تحدّي الرّقمنة

الجُمْهُورِيَّة الجَزَائِرِيَّة الدِّيمُقْرَاطِيَّة الشَّعْبِيَّة

رئاسة الجمهوريّة

المجلس الأعلى للغة العربية

المُواطَنة اللُّغويّة

ودورها في تعزيز سُبُل التّعايش السّلميّ بين اللّغات الوطنيّة في الجزائر

(احتفاءً باليوم العالميّ للعيش معا في سلام)

أعمال ملتقى وطني

26–27 جوان 2019 (المكتبة الوطنيّة – الحامّة)

منشورات المجلس
2019

المُواطَنة اللُّغويّة
ودورها في تعزيز سُبُل التّعايش السّلميّ
بين اللّغات الوطنيّة في الجزائر

ISBN : 978-9931-681-19-9

المجلس الأعلى للغة العربية
52، شارع فرانكلين روزفلت
ص.ب 575 ، ديدوش مراد، الجزائر
الهاتف : 16/17 07 23 21 213+
النّاسوخ : 07 07 23 21 213+
الموقع الإلكتروني : www.hcla.dz

الجُمْهُورِيَّة الجَزَائرِيَّة الدِّيمُقْرَاطِيَّة الشَّعْبِيَّة

رئاسة الجمهوريّة

المجلس الأعلى للغة العربية

المُواطَنة اللُّغويّة

ودورها في تعزيز سُبُل التّعايش السّلميّ بين اللّغات الوطنيّة في الجزائر

(احتفاءً باليوم العالميّ للعيش معا في سلام)

أعمال ملتقى وطنيّ

27-26 جوان 2019 (المكتبة الوطنيّة – الحامّة)

منشورات المجلس
2019

كـتاب: المُواطَنـــة اللغويّة
ودورها في تعزيز سُبُل التّعايش السّلميّ بين اللّغات الوطنيّة في الجزائر.
احتفاءً باليوم العالميّ للعيش معا في سلام
(أعمال ملتقى وطنيّ)

- **إعداد : المجلس الأعلى للّغة العربيّة**
- **قياس الصفحة:** 23/15.5
- **عدد الصفحات:**592

الإيداع القانوني: السداسي الثاني 2019
ردمك: 978-9931-681-19-9

المجلس الأعلى للّغة العربيّة
العنوان: 52، شارع فرانكلين روزفلت
ص.ب 575، ديدوش مراد، الجزائر.
الهاتف: 16/17 07 23 21 213+
النّاسوخ: 07 07 23 21 213+
الموقع الإلكتروني: www.hcla.dz

اليوم الأوّل:

الفترة الصّباحيّة: (09:00 – 10:00)
الجلسة الافتتاحيّة
• النّشيد الوطنيّ • كلمة رئيسة اللّجنة العلميّة ..... د. حياة أم السعد؛ • كلمة وزير التّعليم العاليّ والبحث العلميّ ..... أ.د. الطيّب بوزيد؛ • كلمة رئيس المجلس الأعلى للغة العربيّة ..... البروفيسور صالح بلعيد.

استراحة

الجلسة العلميّة الأولى (10:00 – 11:30)		
رئيسة الجلسة: د. إنشراح سعديّ ..... جامعة الجزائر 2		
المحاضر	عنوان المداخلة	الجامعة
د. صحرة دحمان	المواطنة اللغويّة في الجزائر بين مفارقات السّياسة اللغويّة واختلالات الواقع السّوسيولساني	ج. الجزائر 2
د. ياسين بوراس	المُواطَنة اللغويّة ودورها في التّصدّي للغزو اللغويّ للغات العولمة.	ج. برج– بوعريريج
د. نعيمة عيوش د. العربي بوعلام	أهمّيّة التّعدّدية اللغويّة في تعزيز قيم التّعايش السّلميّ بين الأفراد.	ج. المسيلة
د. العيد علاوي	الوعيّ بالتّاريخ والمواطنة اللغويّة.	م.ج. البيّض
د. سعدودي سعيدة	الواقع اللغويّ في الجزائر والبحث عن الهويّة.	ج. بومرداس
مناقشة عامّة.		

لورشة العلميّة الأولى (10:00 – 13:00)		
رئيسة الورشة: د. نسيبة العرفي ..... جامعة الجزائر 2 مقرّرة الورشة: أ. فريال وعة		
المحاضر	عنوان المداخلة	الجامعة
أ.خيرة عيشون	دور المدرسة في تعزيز قيم المواطنة اللغويّة.	ج. سطيف 2
أ. ليلى مغيث زروقي	دور توطين المعرفة في الوطن العربيّ واستراتيجيّة تمكين الشّباب من الحصول عليها.	ج. الشّلف
أ. مليكة صالح	مواطنة اللغة العربيّة ودورها في تحقيق الأمن اللغويّ.	ج. معسكر
أ. إلياس بن حتة	العدالة اللغويّة كآليّة للمواطنة اللغويّة لتحقيق الأمن اللغويّ في الجزائر.	ج. الجزائر 3
أ.محمد يزيد سالم	المُواطنة اللغويّة ودورُها في تعزيز الهويَّة الوطنيّة لدى الفرد الجزائريّ.	ج. باتنة
أ. عمر بن عيشون	مبادئ المُواطَنة اللغويّة في الدّستور الجزائريّ.	ج. الأغواط
أ. إيمان بلحداد	فعاليّة المدرسة الجزائريّة في تنميّة قيم المواطنة اللغويّة لدى المتعلّمين.	ج. باتنة
أ. حمزة بوضرسة	تعلّم وتعليم اللغات الأجنبيّة وثقافاتهم في الجزائر، الإنكليزيّة مثالا، محنة أم منحة؟	ج. قسنطينة 3
د. يوسف كراد	جهود د. صالح بلعيد والمجلس الأعلى للغة العربيّة في ترسيخ مبادئ المواطنة اللغويّة في الجزائر.	ج. ميلة
مناقشة عامّة.		

اليوم الثّاني:

الجلسة العلميّة الثّالثة (11:30– 13:00)		
رئيسة الجلسة: د. جويدة معبود ..... جامعة الجزائر 2		
المحاضر	عنوان المداخلة	الجامعة
د. نور الدين لبصير	توطين البحث العلميّ باللغة الوطنيّة بين الاستعداد الفطريّ والاستلاب الفكريّ.	ج. بومرداس
د. وسام بدني	تعميم تعليم الأمازيغيّة للانسجام الجمعيّ مدّ لجسور التّواصل.	ج.تيزي– وزّو
د. بوفلاقة محمد سيف الاسلام	المُواطنة اللغويّة وسُبُل توطيد قيّم الهويّة الثّقافيّة وتعزيز الأمن اللغويّ في زمن العولمة –أضواء وملاحظات–.	ج. ميلة
د. حبار العاليا	المدرسة ودورها في ترسيخ وتعزيز قيّم الموطنة.	ج. تلمسان
أ. فاتح قدور أ. دليلة قدور	المواطنة اللغويّة في المجتمع الجزائريّ من خلال فنّ الجداريّة. دراسة تحليليّة لكتابات جداريّة بالجزائر. العاصمة	ج. الجزائر3
مناقشة عامّة		

الورشة العلميّة الثّانية (10:00 – 13:00)		
رئيسة الروشة: د. صحرة دحمان..... جامعة الجزائر 2 مقرّر الورشة: أ يوسف درغال		
المحاضر	عنوان المداخلة	الجامعة
أ. أبو بكر زروقي	الاقتراض اللغويّ بين الأمازيغيّة والعربيّة من المثاقفة.	ج. بسكرة
أ. إيمان بن عزوزي	المواطنة في ضوء مناهج الجيل الثّاني – مفارقات وتحدّيات–.	م.ج. غليزان
أ. يوسف باعمارة	ممارسة المواطنة اللغويّة من خلال التّرجمة الثُّنائية للنّصوص الشّعريّة.	ج. غرداية
أ. ساجية بوخالفي	الثّقافة بين ثوابت الأمّة والعولمة	ج. تيزي–وزّو
أ. نعيمة رشيد	دور مؤسّسات التّنشئة الاجتماعيّة في تعزيز مبادئ المواطنة اللغويّة.	ج. الجزائر 2
أ. نادية بن ورگلة أ. حسين حنّي	سبل توظيف اللغة العربيّة في تكريس ثقافة المواطنة والانفتاح على اللغات الأجنبيّة.	ج. الجزائر 2
أ. إيمان قليعي	دور العربيّة في ترسيخ قيم المواطنة والتّعايش	ج. الشّلف
أ. مريم ضربان	البعد الهويّاتي للمضامين الإعلاميّة ودورها في تكريس المواطنة اللغويّة واللسانيّة	ج. الجزائر 3
أ. سميرة بن جدو	القرار السّياسي والأمن اللغويّ ... أيّة علاقة ؟	ج. الطارف
مناقشة عامّة		

الجلسة الختاميّة
• كلمة رئيس المجلس الأعلى للغة العربيّة؛ • قراءة تقرير الورشة العلميّة الأولى؛ • قراءة تقرير الورشة العلميّة الثانيّة؛ • توزيع الشّهادات.

اللّجنة العلميّة
• الرّئيس الشّرفيّ للملتقى: أ.د. الطيّب بوزيد، وزير التّعليم العاليّ والبحث العلميّ؛ • رئيس الملتقى: البروفيسور صالح بلعيد؛ • رئيس اللّجنة العلميّة: أ.د حياة أم السّعد؛ • منسّقة الملتقى: أ. نورة مراح. • أعضاء اللّجنة العلميّة: د انشراح سعدي+ د. يحي بن بوهون+ د. ياسين بوراس+ د. جويدة معبود+ أ. لحسن بهلول.

المجلس الأعلى للّغة العربيّة
52 شارع فرانكلين روزفلت الجزائر ص.ب. 575 ديدوش مراد – الجزائر
روابط الاتّصال:
الهاتف: 00213 21 23 07 09؛
النّاسوخ: 00213 21 23 07 07؛
الموقع: hcla.dz.
المجلس الأعلى للّغة العربيّة
مجلّة اللّغة العربيّة: madjaletalarabia@gmail.com
www.asjp.cerist.dz
مجلّة معالم للتّرجمة: maalim.traduc@gmail.com
www.asjp.cerist.dz

فهرس

العنوان	الصفحة
كلمة السيد وزير التعليم العالي والبحث العلمي.....	**15**
رأي في تخطيط لغويّ للمواطنة اللغويّة.....	**17**
البروفيسور. صالح بلعيد. رئيس المجلس الأعلى للغة العربية	
المواطنة اللّغوية في الجزائر بين مفارقات السّياسة اللّغوية واختلالات الواقع السّوسيولساني	**25**
د. صحرة دحمان ج. الجزائر2 –	
المُواطَنة اللّغويّة ودورها في التّصدّي للغزو اللّغويّ للغات العولمة.....	**47**
د. ياسين بوراس ج. برج–بوعريريج	
أهمية التعددية اللغوية في تعزيز قيم التعايش السلمي بين الأفراد.....	**75**
د/ العربي بوعمران بوعلام د/ عيوش نعيمة ج. خميس مليانة	
الوعي بالتاريخ والمواطنة اللغوية	**85**
د. العيد علاّوي، أستاذ محاضر "أ " م.ج. نور البشير– البيض	
المواطنة اللغوية وتحدّيات الغزو اللغوي للغات العولمة – الواقع اللغوي في الجزائر والبحث عن الهوية	**99**
الاسم واللّقب : سعدودي سعيدة ج.ـــ بومرداس	

دور المدرسة في تعزيز قيم المواطنة اللغوية –دور المدرسة والمؤسسات اللغوية والإعلامية والاقتصادية في تعزيز المواطنة اللغوية 119
أ. خيرة عيشون
ج. سطيف 2
دور توطين المعرفة في الوطن العربي واستراتيجية تمكين الشباب من الحصول عليها..... 141
أ. ليلى مغيث زروقي.
ج. الشلف.
مواطنة اللغة العربية ودورها في تحقيق الأمن اللغوي..... 153
أ. مليكة صالح
ج. معسكر
المُواطنة اللُّغويَّة ودورُها في تعزيز الهويَّة الوطنيَّة لدى الفرد الجزائري..... 167
د/ محمد يزيد سالم
ج. باتنة
مبادئ المُواطَنة اللّغويّة في الدستور الجزائري "..... 185
د/عمر بن عيشوش
مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة –الأغواط–(crsic)
فعالية المدرسة الجزائرية في تنمية قيم المواطنة اللغوية لدى المتعلمين..... 199
أ. إيمان بلحداد
ج. باتنة
تعلم وتعليم اللغات الأجنبية وثقافاتهم في الجزائر، الإنجليزية مثالا، محنة أم منحة؟..... 219
أ. بوضرسة حمزة
ج. قسنطينة 3 قسم اللغة الإنجليزية

جهود الدكتور صالح بلعيد والمجلس الأعلى للغة العربية في ترسيخ مبادئ المواطنة اللغوية في الجزائر..... 245

د. موسى كراد

المركز الجامعي _ ميلة

إسهام المؤسسات الإعلامية في تحقيق المواطنة اللغوية – إذاعة الجزائر من الشلف نموذجا–..... 271

د. محمد حاج هني

ج. الشلف

أ. عبد العزيز بوكفوسة

مدير إذاعة الشلف الجهوية

الاعتراف" أفقاً لإدارة الاختلاف اللغوي في الجزائر..... 289

أ. بوسحابة رحمة

ج. معسكر، الجزائر

اللّسانيّات الجغرافيّة والمواطنة اللّغويّة إقرار وحدة التّعدّد اللّغويّ بين اللّغات الوطنيّة في الجزائر–دراسة استقرائيّة–..... 301

د. صلاح الدّين يحي

أ. لامية قداش

ج. بومرداس

توطين البحث العلمي باللغة الوطنية بين الاستعداد الفطري والاستلاب الفكري 335

د.لبصير نورالدين

أستاذ محاضر أ

جامعة امحمد بوقرة بومرداس

تعميم تعليم المازيغية تحقيق للانسجام الجمعي ومدّ لجسور التواصل..... 369

أ.وسام بداني

ج. تيزي– وزّو

المُواطنة اللُّغويَّة وسُبُل توطيد قيّم الهويّة الثّقافيّة وتعزيز الأمن اللّغويّ في زمن العولمة –أضواء وملاحظات–..... 379
د. محمد سيف الإسلام بوفلاقـــــة
ج. عنابة
المدرسة ودورها في ترسيخ وتعزيز قيم المواطنة عند المتعلمين..... 405
د. حبار العالية
ج. أبوبكر بلقايد – تلمسان–
المواطنة اللغوية في المجتمع الجزائري من خلال فــن الجداريـــة دراســة وصفية لكتابات جدارية بالجزائر العاصمة..... 421
أ. فاتح قدور
ج. الجزائر2
أ. دليلة قدور
ج. الجزائر3
الاقتراض اللغوي بين الأمازيغية والعربية من المثاقفة إلى الأمن اللغــوي– محاولة للفهم..... 447
أبوبكر زروقي
ج. بسكرة
المواطنة في ضوء مناهج الجيل الثاني – مفارقات وتحديات–..... 459
أ. بن عزوزي إيمان
م. ج. أحمد زبانة –غليزان
ممارسة المواطنة اللغوية من خلال الترجمة الثُّنَائية للنصــوص الشِّــعرية "دراسة ميدانية للظاهرة في مدينة غرداية (عيِّنات مختارة)"..... 489
أ. يوسف باعمارة
ج. غرداية.
الثقافة بين توابث الأمة و العولمة 507
أ. ساجية بوخالفي
ج. تيزي– وزّو

دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية في تعزيز مبادئ المواطنة اللغوية..... 523
د. نعيمة رشيد
ج. بومرداس
سبل توظيف اللغة العربية في تكريس ثقافة المواطنة والانفتاح على اللغات الأجنبية..... 539
أ. نادية بن ورقلة
ج. الجلفة
أ. حني حسين
ج. الجزائر2

البعد الهوياتي للمضامين الإعلامية ودورها في تكريس المواطنة اللغوية واللسانية –قراءة تحليلية لنشرات الأخبار على ضوء نظرية القيمة المتوقعة – الثامنة نموذجا– 553
أ. مريم ضربان
ج. الجزائر 03
تقرير الورشة العلميّة الأولى 587
تقرير الورشة العلميّة الثّانيّة 589

كلمة السّيد وزير التعليم العاليّ والبحث العلميّ

ألقاها نيابة عنه رئيس الديوان لدى افتتاح ملتقى حول "المواطنة اللّغوية ودورها في تعزيز سُبل التعايش السّلمي بين اللّغات الوطنية في الجزائر"

بسم الله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

السيد الأستاذ الدكتور صالح بلعيد، رئيس المجلس الأعلى للغة العربية،
السيدات والسادة ممثلي القطاعات المختلفة،
السيدات والسادة الأساتذة المشاركون في الملتقى،
الحضور الكرام،

اسمحوا لي بداية أن أتقدّم بالشكر للأستاذ الدكتور صالح بلعيد، رئيس المجلس الأعلى للغة العربية على هذه الدعوة الكريمة لحضور هذا الملتقى والمشاركة في افتتاح هذا الملتقى، نيابة عن السيد وزير التعليم العالي والبحث العلمي، هذا الملتقى الذي يقام بمناسبة الاحتفاء باليوم العالمي للعيش معا في سلام.

إنّ الموضوع الذي يتناوله ملتقاكم هذا، والمتعلّق بـ "المواطنة اللغوية ودورها في تعزيز سُبل التّعايش السّلمي بين اللغات الوطنية في الجزائر" يعدّ موضوعا هاما يستحق عناية كبيرة من قبل الأساتذة الباحثين والخبراء، لتوضيح الرؤية وتهذيب السلوكيات والتصرفات عن طريق رفع وعي المواطن بالتعايش اللغوي الذي يزيد في ازدهار الأمة، ويحقّق أهدافها الحضرية في كنف السلم والسلام.

إنّ تنظيم هذا الملتقى في ذكرى اليوم العالمي للعيش معا في سلام، الذي بادرت به الجزائر قبل سنة وكرّسته الأمم المتحدة، يأتي كرسالة قوية تقترح منهجية جديدة للتعامل مع اللغات الوطنية في الجزائر وبخاصة اللغتين الوطنيتين كوسيلتين يجب استثمارهما في تحقيق التنمية الشاملة وفي رفع الوعي بالتاريخ الوطني، وتشكل هاتين اللغتين حصنا منيعا يحافظ على الشخصية الوطنية ويطوّرها في عالم أصبح فيه الغزو اللغوي حقيقة تعاني منه الشعوب الضعيفة.

السّيدات والسّادة،

إن الجامعة الجزائرية بصفتها حجر الزاوية للتنمية الوطنية الشـــاملة، مـــدعوة اليوم، أكثر من أيّ وقت مضى، للسعي لاحتضان كل مشـــاريع التنميـــة الوطنيـــة ومواكبة التطور العلمي والتكنولوجي السائد فـــي العـــالم، للاســـتجابة للحاجيـــات المتزايدة في المجالات المختلفة ومنها المجال اللغوي الذي أصـــبح ورشـــة هامـــة لتقوية اللحمة الوطنية وتعزيز المواطنة، وتحقيق مساهمتها الفعلية في ازدهار وتقدم المجتمع. وكذلك الأمر بالنسبة لمراكز البحث والمخابر المتخصصة التي لهـــا دور كبير في ترقية اللغتين والعمل على توسيع الأبحاث في مجالاتها المختلفة وإثرائهـــا ومد الجسور في ما بينهما عبر الترجمة والقواميس.

إن لأشغال ملتقاكم هذا أهمية بالغة، خاصة في الظروف الحالية التي تمرّ بهـــا البلاد، وفي ظل هيمنة ما يسمى بالعولمة التي تغزي كل المجالات اللغوية والثقافية والاقتصادية،... ، وفي الختام أتمنى أن تكلّل أشغال ملتقاكم هذا بالنجاح التـــام وأن تشكّل النتائج التي تتوصلون لها في وضع لبنة إضافية هامة في رسم ملامح العمل العلمي الذي يُؤسس لمستقبل وطني زاهر متجذر في أعماقه التاريخيـــة، ركـــائزه الحس الوطني الواعي بضرورة العيش معا في سلام في كنف الحرّية والاستقلال.

أشكركم على حسن الإصغاء

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

رأي في تخطيط لغويّ للمواطنة اللغويّة♥

البروفيسور صالح بلعيد.

رئيس المجلس الأعلى للغة العربية

ــ **ديباجة:** إنّ المناسبة َجَلَلٌ وحدثٌ عالميّ كبير، وفي ضوء مقترح الجزائر حصل الإقرار بترسيخ الاحتفاء باليوم العالميّ للسّلم تحت بند (العيش معاً بسلام) وإنّي أفتقر إلى كلمات معبّرة عن هذه المناسبة التي نريد تجسيد ثقافتها في احتواء الآخر الذي يُقاسمنا الدّين أو الإنسانيّة أو الجيرة أو المصير المشترك. ويرى المجلس الأعلى للغة العربيّة أن يحتفي بملتقًى وطنيّ عنوانه (المواطنة اللغويّة ودورها في سبل تعزيز التّعايش السّلميّ بين اللغات الوطنيّة في الجزائر) وليست المرّة الأولى الذي يعمل المجلس على تجسيد ثقافة المواطنة اللغويّة، وقد سبق له أن أنجز أنشطة وندوات وملتقيات تمسّ هذا الموضوع، وقدّم فيها ومن خلالها وصْفات تكامليّة بالثّلاثيّ الذي كان يُرافع عنه **(بالمازيغيّة نَبْقى، وبالعربيّة نَرْقى وبالإسلام نُشكّل العروةَ الوثقى)** تلك وصفة نريدها أن تتبلور على صُعُد عديدة باستقدام كفاءات وطنيّة لتقديم أفكارها بخصوص التّرابط اللغويّ الوطنيّ المؤدّي إلى الانسجام الجمعيّ، ولا يكون إلاّ بتلك الدّراسات التي تأتي من المختصّين وهم اليوم معنا؛ يقدّمون تلك السّبل والطّرائق والمناهج التي تؤدّي إلى التّمتين اللغويّ المُفضي إلى التّعايش في إطار الاختصاص اللغويّ.

ــ **مقدّمة:** إنّ موضوعي الذي أعددتُه في هذا اليوم هو رأي يطرح تخطيطاً لسياسة لغويّة تعمل على الانسجام الجمعيّ في إطار تعدّدية لغويّة وطنيّة، وقد بصرتُ بها وأنا أشرف على أبحاث في التّخطيط اللغويّ، وكانت لديَ تجارب في

♥ ــ كلمة أُعدت بمناسبة اليوم العالمي للعيش معاً بسلام (16 مايو من كلّ سنة) ويحتفي المجلس الأعلى للغة العربيّة بهذه المناسبة بعقد ملتقى وطنياً عنوانه 'المواطنة اللغويّة ودورها في تعزيز سبل التّعايش السّلميّ بين اللغات الوطنيّة في الجزائر). المكتبة الوطنية: 26- 27 جوان 2019.

هذا المجال، وأروم طرحها أمامكم باختصار، أمام بحثة ونخبة وطنيّة علّهم يستفيدون أو ينتقدون؛ للوصول إلى تقديم أفكار مشتركة في تخطيطنا اللغويّ المشترك؛ لبناء منهج علميّ في تراتب اللغات الوطنيّة.

أيّها الحضور، ما دام الموضوع الذي تُدار أشغالُ الملتقى حوله هو (العيش معاً بسلام) أبدأ حديثي عن السّلم؛ فكلّ الدّيانات تحضّ على السّلم، وتدعو إلى تحقيق السّلام، وتُصلي من أجله وتحمل شعارات على شاكلة "**ليكن السّلام حليفك**" فالعالم اليوم في حاجة ملحّة إلى أن يسود التّعايش السّلميّ، وأن تعيش كلّ الشّعوب في سلام؛ بعيدة عن الحروب من أجل أن يُحُلّ السّلام والبناء والنّماء. وإنّ السّبيل إلى العيش في سلام هو محاربة (العدائيّة) و(التّطرّف) وترسيخ روح (المواطنة). ولتجسيد المواطنة لا بدّ أن يكون الحوار، وقبول الآخر للتّحاور وفق رؤى حضاريّة تؤدّي إلى **لا فرض ولا شرط إلاّ وفق مقتضى الأهداف الجامعة والمرجعيات الوطنيّة والحضاريّة والتّاريخيّة**. ووفق ذلك تحصل المواطنة في شكلها العالميّ تنظيراً وممارسة، وفق المساحة المشتركة التي تُحقّق السّلام الشّامل على ما يفهم الآن من الانسجام ومن الاستقرار. فالدّولة لا تنال غايتَها من الانسجام الدّوليّ إلا إذا تمتّع أفرادها بنعمة الأمن والطّمأنينة في ما بينهم. وعن طريق السّلم تحصل المواطنة، ولا تتحقّق المواطنة إلاّ بوجود الدّيمقراطيّة. ويقول أحد المفكّرين "إنّ السّلم عمليّة بِناء مُستمرّة، وهذا يعني أنّ السّلم لا يعني الهُدنة، فالسّلم يحتاج إلى وقاية، ووقايته تأتي عن طريق العدالة الاجتماعيّة، أي بتلبيّة الحاجات والمطالب وبتنميّة الثّروة وتطويرها، مادامت هناك دولة مستقلة تتمتّع بالسّيادة المطلقة". وعلى العموم يمكن اعتبار المواطنة مجموعة من القيَم والنّواظم لتدبير الفضاء العموميّ المشترك، ويمكن تحديد أهمّ تجلّياتها في أربع نواظم هي: الانتماء – الحقوق – المشاركة – الواجبات.

وأنتقل إلى **المواطنة اللغويّة** التي تجمعنا في اللغة المشتركة، وهي قسيمنا المختار من قبل الأجداد، بل إنّه اختيار استراتيجيّ مَرِن؛ حيث المازيغيون تعرّبوا وبقوا على مزوغتهم، والعرب تمزّغوا وحافظوا على عروبتهم، وكان من وراء

ذلك الانصهار الجمعيّ الذي أدّى إلى فتح الأندلس دون نكاية ولا شكاية، والكلّ وراء الفتح الإسلاميّ الذي اشتعلت فيه الآفاق من أجل الدين الإسلاميّ المصحوب بلغة العرب، وما لا يفهم به فهماً جيّداً يحتاج إلى لغة التّنزيل، وهي العربيّة العدنانيّة التي انصهر فيها الجميع بالمحافظة على الخصوصيات التي لا تُخلّ بالمواطنة اللغويّة التي تعني في أحد أوجهها ربط الفرد بدولته وبقوانينها، **وجميع أبناء الوطن يتمتّعون بتلقّي لغات الوطن دون أيّ تمييز، مع المحافظة على التّراتبيّة اللغويّة**، وهي من متطلّبات الثّلاثيّ العالميّ: الحوار+ التّسامح+ السّلام لتحقيق خريطة طريق تعمل على تحقيق التّخطيط اللغويّ المطلوب.

إنّ التّخطيط اللغويّ يستدعي رسم الأهداف ووضعه الآليات ليكون له محلّ في المجتمع «... ولأنَ التّخطيط اللغويّ يسعى إلى رسم الأهداف ووضع آليات ووسائل؛ للتّأثير في المجتمع لتوجيهه إلى أداء لغويّ معيّن، والنّهوض بالمنظومة اللغويّة، المكتوبة والمنطوقة، فلا بدّ أن يتوافر له جملة من العوامل التي تُعينه على رسم أهدافه، وتُصوّر وسائله وتُذلّل له العقبات، وتُمكّنه من القدرة على التّنفيذ الأمثل. ولأنّ تنفيذ التّخطيط اللغويّ يُسهم فيه جميع عناصر المجتمع، وجميع وسائل التّواصل الاجتماعيّ الرّسميّة وغير الرّسميّة، الفرديّة والعامّة التّقليديّة والتّقنيّة، فلا بدّ من الأخذ بعين الاعتبار سمات المُنفّذين، وقدراتهم، وحاجاتهم من التّعليم والتّدريب[1]» كما تكمن أهميّة التّخطيط اللغويّ في:

- تفكيك الخطابات الإيديولوجيّة؛
- السّعي لخلق جوّ لغويّ تكامليّ؛
- الدّعوة إلى إنزال اللّغات الوطنيّة المنزلة العليا؛
- عدم التّماهي مع اللّغات الأجنبيّة لتنافس لغات الهويّة؛
- التّنوع اللغويّ لا تشكّل التّفكيك الاجتماعيّ بقدر ما يُقوي اللحمة الوطنيّة؛
- استكناه التّجارب اللغويّة النّاجحة من خلال الأوضاع اللغويّة الثّنائيّة وأكثر؛

[1] – كلمة التّحرير من مجلة التّخطيط والسّياسة اللغويّة. الرّياض: 2017، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز لخدمة اللغة العربيّة، السّنة الثّالثة، العدد الخامس.

- تحفير المَعنيين إلى اقتراح أفكار تحسينيّة في مجال التّعدّد اللغويّ لمجتمع آحاد يملك منهجيات متعدّدة، وهدف واحد.

إنّ التّخطيط اللغويّ هو تدبير لغويّ Aménagement linguistique وبعض الغربيين يطلقون عليه مصطلح السّياسة اللغويّة، وهذا حسب طبيعة كلّ بلد وكلّ باحث، هو نوع من التّدخّل اللسانيّ في علاج الظّواهر اللغويّة برؤى مستقبليّة. ويعرّفه كالفي L.Calvet بأنّه «مجمل الخيارات الواعيّة المُتّخذة في مجال العلاقات بين اللّغة والحياة الاجتماعيّة، وعلى وجه التّحديد بين اللّغات والحياة في الوطن" ويقتضي وجود جماعة/ جماعات لغوية تهتمّ بوضع سياسة لغويّة ناجحة، أو إحياء لغة بغرض استعمالها، أو العمل على إيجاد آليات التّعايش بين اللّغات الموظّفة في البلد الواحد، وهذا يقتضي وجود:

- تخطيط لغويّ إرادة سياسية هيأة تنفيذيّة+ وسائل ماديّة+ مدة زمنيّة محدّدة.
- تخطيط السّياسة اللغويّة، تعني الخيار الجمعيّ للمجتمع، وإحلال لغة/ لغات يرتضيها المجتمع.
- إحلال لغات البلد يعني الاهتمام بالتّنميّة البشريّة والتّنميّة الوطنيّة الثّقافيّة وتأمين الحقوق اللغويّة لجميع المواطنين مهما تعدّدت أعراقهم وتباينت ألسنتهم.

وفي كلّ هذا ستحصل الأهداف المتوخّاة من التّخطيط اللغويّ لتشارك العلاقات التّكاملية وفق التّعدديّة اللغويّة والتّنوّع الثّقافيّ، وفي التّعايش السّلميّ بين لغات الوطن والثّقافات المتنوّعة وإيجاد العلاقة بين اللّغة/ اللّغات والممارسات الثّقافيّة الواعيّة، وربط الثّقافة بتكامل شخصيّة الفرد والتّنميّة الاقتصاديّة والاجتماعيّة وحقّ المواطنة اللغويّة في المؤسّسات الوطنيّة. وكلّ هذا يستدعي سنّ قوانين ومتابعة تطبيقها مع المُستتبعات التّاليّة:

- تعزيز التّعاون بين المؤسّسات الوطنيّة في المجال.
- توفير الدّعم الماديّ الكافيّ للتكامّل اللغويّ.
- تطوير سبل التّخطيط اللغويّ في مستّجدات العصر.

– حماية التّراث اللغويّ والثّقافيّ الوطنيّ، وإبراز دوره في الهُويّة الوطنيّة وفي إثراء شخصيّة الانسان الجزائريّ.

– التّحسيس بأهميّة الاهتمام باللّغات الوطنيّة عبر النّدوات والملتقيات والمنشورات والمسرحيات.

وكلّ هذا يستلزم العماد الأساس في الوعي المجتمعيّ والفردي لمسألة اللغات ومن ثمّ القرار السّياسيّ. كما يتبع بجملة من الخصائص الفنيّة، وهي:

- حركة التّرجمة البينيّة السّريعة والمبكرة؛
- تضافر كلّ الجهود لخدمة المواطنة اللغويّة؛
- تعزيز الثّقة في اللغتين، والرّفع من قيمتها الحضاريّة والتّاريخيّة؛
- تدريسها تدريساً معاصراً؛
- بثّهما في وسائل التّواصل المختلفة، مع تطبيقاتهما المتنوّعة؛
- تعزيز المبادرات الفرديّة التي تصدر من المتخصّصين في مختلف العلوم.

ـ حالة الجزائر: لا شكّ أنّ ثمرة التّخطيط اللغويّ تظهر بتكامل المعرفة بين المخطّطين والمنفّذين الذين يجب أن تتوفّر فيهم شروط التّنفيذ؛ لتحقيق الغايات المطلوبة وفق معطيات مسطّرة. وهنا لا بدّ من الإقرار في وضعنا اللغويّ بما يلي:

– الخصوصيّة اللغويّة في الجزائر؛
– خروجها من الاستعمار الجائر؛
– فرض المستعمر للغته في التّعليم وفي الإدارة وفي كلّ المرافق العموميّة؛
– شساعة الجزائر جغرافياً ولغوياً؛
– تعدّد الأداء المازيغيات بشساعة البلد؛
– تعدّد الثّقافات والممارسات اللّغوي؛.
– التعدّدية اللّغوية موروث قديم؛
– ظهور صراع لغويّ بين: معرّب/ مفرنس – معرّب/ ممزّغ؛
– تذبذب سياسة التّخطيط اللغويّ والتي شابها بعض الضّعف في التّطبيق والممارسة وظهور ثغرات أدت إلى خلل لغويّ. ومع كلّ ذلك، فإنّ العلاقات

الاجتماعيّة جيّدة، بل تكاتفت وتمكّنت رغم أنّ بعضاً من النّخبة كانت تنظر إلى سياسة التّعريب بعين الريبة وترى بأنّها سياسة قوميّة عربيّة في إطار اجتماعيّ جزائريّ له خصوصياته.

ونظراً للتّكامل اللغويّ كان من اللزوم تخطيط سياسة لغويّة للغات الرّسميّة وفق تراتب عربيّة تحتاج إلى تجسيد قرارات استعمالها في مختلف مراحل التّعليم والإعلام والإدارة وفي كلّ مناحي الحياة. والمازيغيّة تحتاج في البداية إلى:

- التّهيئة الأوليّة للغات المازيغيات؛
- معرفة قضايا القصور اللغويّ فيها؛
- معرفة القرارات اللغويّة العاليّة لكلّ أداء؛
- التّعرّف على الحالات اللغويّة المستعصيّة والعمل على حلّها؛
- تخطيط لغويّ متين على الآماد الثّلاث: مستعجل– متوسّط– طويل؛
- وضع آلية فاعلة للتّقويم والتّقييم والمتابعة؛
- ضمان استمراريّة عمل الجهات المعنيّة بالتّخطيط؛
- وضع حوافز للجّهات المنتجة والمنفّذة بُغية المزيد من الإنتاج والتّحسين.

وبكلّ هذا، يمكن تحقيق **مواطنة لغويّة** تعمل على تحقيق السّلم في إطار الانسجام الجمعيّ ووفق خريطة أجدادنا الذين أبدعوا في العربيّة، وما تناسوا المازيغيّة. تلكم وصفة نعمل على تحقيقها وفق قوانين الجمهوريّة، وتطلّعات النّخبة الوطنيّة وعموم الجزائريين. وهكذا فإنّ الأجداد لم يقوموا بقمع اللّهجات، ولا فرض لغة ما، بل حصل تمازج تلقائيّ بين: الإسلام والعُرُوبة والمُزُوغة، وقد حصل فيها قانون الغلبة عبر تساكن اللغتين [2] تراتبياً "لم يوظّفوا القسر أو القهر في سياستهم اللّغوية، فظلّوا مُتعدّدين مُتوحّدين مُتماسكين، ولم يستطع المُستعمر فكّ هويّتهم المُركّبة[2]". فكان قلب المواطن الجزائريّ مع لغته؛ تسكنه دائماً، وقد يكون ضدّها إذا كانت لا تخدمه وتكون قد ماتت، فإن ماتت لغته مات وانطفأ، ولم يحصل هدا أبداً، لأنّ كلّ مواطن

[2]ــ الفاسي الفهري، السّياسة اللّغويّة في البلاد العربيّة، ط1. ليبيا: 2013، دار الكتاب الجديد المتّحدة، ص 7.

يعرف أنّ كلّ دولة تحيا بلغاتها؛ وهي سيادتها واستقلالها ولذلك حافظ الجزائريّ على لغتيه وتفانى في خدمة التّراتبيّة اللغويّة. وعليه، فإنّ استعمال **لغتين رسميتين في الدّولة الجزائريّة** هو تنوّع ثقافيّ خلاّق؛ يُكسِب مسحةَ المرونة البينيّة، والقابليّة للتفتّح الوطنيّ والعالميّ، ورفضاً للانعزال. وكان علينا أن نسعى لوضع تآلف وطنيّ من أجل التّنوّع الثّقافيّ في مفهوم الثّقافة الوطنيّة؛ وهي جمّاع السّمات الرّوحيّة والماديّة والفكريّة والعاطفيّة التي تُميّز مجتمعاً عن غيره؛ وهي تشمل الفنّون والآداب وطرائق الحياة والحقوق والواجبات والأعراف والقيَم والتّقاليد والمُعتقدات. وكان علينا التّخطيط للثّقافة الوطنيّة بكلّ أطيافها وأنماطها؛ بتخطيط علميّ يُبنى على تعدّد الاختصاص، ويقوم على نظريّة ثقافيّة معرفيّة، مع استشراف كلّ التّوجّهات القادمة التي تزيد في تمتين الوحدة الوطنيّة. وإنّه:

- ليس عيْباً أن نبحث في تراثنا ونستكنِهُ محاسنَه، بدل أن يأتينا من الغير؛
- ليس عيْباً أن يقع التّلاحم الوطنيّ بالاعتراف بالهُويات اللغويّة في الجزائر؛
- تحتاج المازيغيّة إلى التّحبيب والتّسهيل، ولا يخدمها إلاّ الباحث/ المُبدع المُضيف للمكنز الوطنيّ المُكتسب؛
- تحتاج المازيغيّة إلى التّكامل مع العربيّة، لا إلى التّناحر أو التّصادم؛
- تستفيد المازيغيّة من سرعة الإدماج الوطنيّ في حال التّواصل بينها والعربيّة
- المازيغيّة والعربيّة لسان حال هذا البلد، فلا بدّ من التّعدّديّة الاستعماليّة المُزدوجة، بدل التّعدّدية المُتقابلة؛ لأنّ التّعدّديّة المتقابلة تفتح المجال للغة الأجنبيّة وقد تُشْعِل حربَ اللغات؛
- التّكامل اللغويّ؛ يعني العمل بفِعْل السّلف، فهم لم يَخطَؤوا في استراتيجيّة الاختيار اللغويّ.

المواطنة اللّغوية في الجزائر بين مفارقات السّياسة اللّغوية واختلالات الواقع السّوسيولساني

د. صحرة دحمان

ج. الجزائر2 – أبو القاسم سعد الله

توطئة: لا يختلف اثنان على أهمية اللغة في حياة المجتمعات والأفراد؛ لأنّها تساعدهم على تكوين سماتهم الاجتماعية، فهي عنصر رئيس من عناصر الانتماء إلى جماعة معيّنة؛ حيث تمثّل اللغة بالنّسبة إليهم أهم عامل من عوامل الذّوبان والانصهار في تلك الجماعة. فتزوّدهم بالقدرة على التّواصل والتّفاهم، والاندماج في المجتمع، فاللغة إذن هي التي تجعل منهم كائنات اجتماعية بامتياز. ذلك أنّ عدم امتلاك لغة الـ مجتمع يُصعّب مهمّة الأفراد فيه، فيشعرون بالاغتراب والتّهميش لذلك فإنّ أول ما يفعله المسافر إلى بلد أجنبي هو محاولة تعلّم أهم التّعابير المألوفة والدّارِجَة على الألسن في ذلك البلد.

وتجدر الإشارة إلى أنّ تناول وظائف اللّغة وأهميتها بالتّركيز على وظيفة التّواصل والتّعبير عن الأفكار والأغراض والمقاصد غير كاف؛ لأنّ كلّ لغات العالم تقوم بهذا الدّور سواء أ كانت لغات بدائية أم لغات متطوّرة، فالسّمة التّعبيرية ليست مقتصرة على لغة دون أخرى، وبذلك فإنّ أهميتها في حياة الأفراد والشّعوب تتجاوز هاتين الوظيفتين. وذلك ما يجعل البحث عن الأسباب الكامنة وراء تشبث البشر بلغاتهم الأصلية – في الغالب – أمرا مثيرا للاهتمام. فالتّعبير والتّواصل ليسا هما السّبب الوحيد والمباشر في اهتمام الشّعوب والدّول والأمم بلغاتها؛ ذلك لأنّ اللغات هي أدوات تجعل الأفراد كائنات اجتماعية لها خصوصياتها وهوياتها الثّقافية، وإلا لماذا حرص اليهود كلّ الحرص على إحياء اللغة العبرية بعد موتها بإعادة الاعتبار لها تدريسا ونشرا ...إلخ؟ إنّ اعتناء اليهود بدراستها وتعليمها وتعلّمها تدل دلالة قاطعة على أهميتها في حياتهم وانتمائهم العرقي الذي يحدّده الانتماء اللغوي. كما أنّ اليابانيين والصّينيين يولون لغاتهم عناية خاصّة، على

الرّغم من كلّ الصّعوبات التي تواجهها في زمن العولمة وتحديات التّكنولوجيا والعلوم المعاصرة، وغيرهم من الشّعوب كثيرون من يفعل ذلك.

ولأنّ الدّول المستعمِرة كانت تدرك تلك الأهمية، فقد عملت على طمس هويات الشّعوب المستعمرَة بالقضاء على لغاتها. ويشهد التّاريخ أنّ فرنسا كانت من أكثر القوى الاستعمارية تدميرا للبنى اللغوية في العالم، فقد حوّلت بلدانا كثيرة من استعمال لغاتها الأصلية إلى استعمال الفرنسية. وعلى الرّغم من أنّ فرنسا لم تتمكن من تحويل الأرض الجزائرية إلى أرض فرنسية، وتحويل المواطنين الجزائريين إلى فرنسيين، فإنّها أحدثت تشوّهات و**اختلالات** في **الحياة اللغوية الجزائرية** بفعل مناوراتها العسكرية والإدارية، التي لا يزال أثرها إلى يوم النّاس هذا؛ لأنّ الاحتلال الفرنسي كان احتلالا ثقافيا بامتياز. لذلك فإنّ تناول المشكلات اللغوية بالدّراسة أولوية من أهم أولويات المجتمع الجزائري، لأنّه يدفع ثمنا باهظا جدّا في الوقت الرّاهن. فهو كالطّائر المكسور الجناح الذي لم يعد قادرا على الطّيران ولا هو قادر – في الوقت نفسه – على التّنازل عن الطّيران. قد يكون هذا التّشبيه مستفزا؛ ولكنّه يعبّر عن حقيقة مرة يعيشها الشّعب الجزائري بكلّ فئاته.

يقف المجتمع الجزائري اليوم في مفترق الطّرق باحثا عن أنجع الطّرائق والوسائل الأكثر فاعلية لتحقيق **التّعايش اللغوي** تحقيقا لرغبات النّاطقين الجزائريين باللغات أو التّنوعات اللغوية التي أصبحت تشكّل مصدر قلق وإزعاج لأسباب كثيرة سيأتي تفصيلها في هذه الدّراسة.

ولئن كان تبوء المراتب الأولى في تصنيف اللغات والمجتمعات يتوقف على سرعة انتشار اللغات وقدرتها على مسايرة التغيِّرات الحاصلة في مجال التّقنيات والتّكنولوجيا، فضلا عن محافظتها على خصائصها المُمَيِّزة لها؛ فإنّ التّحدّي الأول الكبير الذي يواجهه المجتمع الجزائري هو إيجاد حلول ملائمة للمشكلات التي يطرحها التّعدّد اللساني، والصّراع الفكري النّاجم عن تعدّد الرّؤى حول **المسألة اللغوية في الجزائر**، والذي له جذور تاريخية وعوامل معقّدة أنتجت كلّ تلك الإكراهات والاختلالات في المجتمع. ذلك أنّ التّعدد اللساني ليس هو السّبب

المباشر في حدوث تلك الاختلالات. أمّا التّحدّي الثّاني الذي يواجهه فهو تفطّن أهله إلى الإمكانات والعوامل الكثيرة التي يتوافر عليها من أجل العيش بسلام.

وإذا كان العالم يشهد ثورات تكنولوجية متسارعة ودائمة حتى إننا لا نكاد نستوعب الكم المعرفي، وهو ما أدى إلى ظاهرة تقادم المعرفة؛ حيث أصبح من الضّروري اللّحاق بركب الأمم المتقدّمة التي لا يتوقف إنتاجها العلمي والمعرفي والتّكنولوجي والتّقني. فإنّ حتمية مسايرة المجتمعات لهذا التّطوّر تقتضي الوعي بكلّ الظروف والعوامل المساعدة على تحقيق هذا الهدف.

وإذا غدت هذه المسايرة ضرورية؛ فإنّ فهم الشّروط التي تستند إليها الشّعوب من أجل تحقيق قفزات نوعية في الرّقي بمستوى **الحياة اللغوية** أمر في غاية الأهمية. ويصبح **إدراك مفهوم المواطنة** بوجه عام و**مفهوم المواطنة اللّغويّة** بوجه خاص **لدى الفرد الجزائري** سبيلا من سبل ترسيخ مبادئ هذا المفهوم ونشره بين أفراد المجتمع بكلّ أطيافه، بما في ذلك الاعتزاز باللّغات الوطنية وتنوّعاتها المختلفة، وحمل هموم الوطن؛ لأنّ مواطنيه مطالبون بأداء الواجبات تجاهه، في مقابل ما يقدّمه لهم من حقوق. فيصبح لهذا الوطن حقوقا مادية ومعنوية، وذلك حتى لا ينطبق على الفرد، المنتمي إليه، الحكمة أو المثل القائل: "إن لم يكن يحمل همّ الوطن، فهو همّ على هذا الوطن". لهذا، كان اختيارنا لهذا الموضوع الذي وسمناه بـ «**المواطنة اللغوية في الجزائر بين مفارقات السّياسة اللغوية واختلالات الواقع السّوسيولساني والتّعليمي**» محاولة متواضعة للإجابة عن عدّة تساؤلات لها ارتباط مباشر بمفهوم المواطنة اللغوية (La citoyenneté linguistique) الذي أضحى متداولا في اللسانيات الاجتماعية؛ حيث يتقاطع مع مفاهيم أخرى **كالمواطنة** في مفهومها العام، و**التّعايش اللّغويّ، والتّعايش السّلمي والأمن اللغوي**. وقد ينتج عن المفهوم الأخير مفهوم مضادٌّ وهو ما سميناه **باللاأمن لغوي** الذي يظهر في المجتمعات لأسباب مختلفة.

وقد حدّدنا التّساؤلات **بسؤال جوهري** وأسئلة فرعية كما يلي:

- **ما هي الأسباب الحقيقية التي أدت إلى اختلالات الواقع السّوسيولساني في المجتمع الجزائري، وما علاقة ذلك بمفهوم المواطنة اللغوية؟**
- لماذا يَصْعب إدراك مفهوم المواطنة اللغوية في المجتمع الجزائري؟
- ما هي الحلول الممكنة لتفادي اللاأمن لغوي في المجتمع الجزائري؟

لعلّ الإجابة عن هذه التّساؤلات تفتح المجال واسعا للبحث في **مفهومي المواطنة والمواطنة اللغوية** وشروطهما و**مقوماتهما** في المجتمع الجزائري الذي يسعى عدد من باحثيه في المجالات العلمية المختلفة إلى بحث الأسباب الكامنة وراء الاختلالات المتعدّدة التي تَعصِف به في زمن لا مكان فيه للضّعيف أو المتخلّف عن ركب التّقدّم العلمي والتّكنولوجي والتّقني المرهون بالأمن اللغوي في المجتمع المعني؛ لأنّ هذا الزّمن هو زمن المسايرة العلمية في مجال المصطلح. ولا يكفي أن يُحب أفراد المجتمع اللغات الوطنية، لأنّ ذلك لن يفيدها في شيء، بل هم مطالبون برفع التّحديات التي تواجه حياتهم اللغوية بإيجاد الحلول الملائمة لكلّ المشكلات التي تتسبب في تخلّف المجتمع عن اللّحاق بالمجتمعات المتطوّرة في العالم. ولن يتحقق ذلك إلاّ بتعليم متطوّر، يفقه القائمون عليه في المجتمع أهدافه وآلياته واستراتيجياته وعوامله وأدواته التي ترفع مستواه إلى المستوى المطلوب في التّخصصات جميعها ودون استثناء.

1. **من المواطنة إلى المواطنة اللغوية:** يطرح موضوع المواطنة في علاقته بالمجتمع أو الوطن عدّة قضايا يتسم تناوُلها بالتّعقيد؛ لأنّها متشابكة ومترابطة إلى الحد الذي يستحيل معه فصلها عن بعضها البعض. وربّما يكون لظهور جملة من الاختلالات في الواقع السّوسيولساني في المجتمع الجزائري آثار سلبية تعكس عدم الوعي بمفهوم المواطنة بشكل عام والمواطنة اللغوية بشكل خاص. وما ظهور تلك الآثار – في اعتقادنا – إلاّ لتوفر ثلاثة أسباب رئيسة وأخرى ثانوية؛ ولكنّها مهمّة والتي تتمثّل في الآتي:

أ. <u>السّبب الرّئيس الأول</u>: ما عاشه الشّعب الجزائري ويعيشه بسبب ممارسات السّياسة الاستعمارية في الجزائر طيلة قرن وربع القرن، وما خلّفته هذه السّياسة من دمار شامل واختلال على جميع المستويات السّياسية، والاجتماعية، والنّفسية والثّقافية، واللغوية...إلخ.

ب. السّبب الرئيس الثّاني: ما عاشه الشّعب الجزائري ويعيشه من مفارقات عديدة تسببت فيها السّياسة اللغوية طيلة عقود من الزّمن بعد الاستقلال.

ت. <u>السّبب الرّئيس الثّالث</u>: الاختلالات التي يعيشها الأفراد في واقع **سوسيولساني** تتجاذبه أبعاد سياسية واقتصادية واجتماعية ونفسية و**تربوية تعليمية**...إلخ.

وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه الأبعاد التي تتجاذب الواقع السّوسيولساني تؤثّر جميعها بشكل أو بآخر في **تعزيز مفهوم المواطنة اللغوية** وترسيخ مبادئها التي تعزّز بدورها سبل التّعايش السّلمي واللغوي المنشود في المجتمع.

إنّ فكرة المواطنة في تاريخها الطّويل بدءا بظهورها مع الإنسان الأوّل الذي سكن الأرض التي أمدته بمقوّمات الحياة **فكرة قديمة جدّا**، وانتقلت من دلالة إلى دلالة أخرى بحسب المحدّدات والبيئات. ويبدو أنّها مفهوم فضفاض صعب الإدراك في بعض الأحيان لدى فئات المجتمع الواحد؛ ذلك أنّه مفهوم لا يعكس التّصورات النّظرية؛ لأنّها قد تنشأ في بيئة مخالفة، فيؤدي ذلك إلى تحريف مفهومه الأول فيصبح فارغا من محتواه الذي وضع له في الأصل. وذلك بسبب التّحولات الحاصلة في المجتمعات والعالم على مرّ العصور، تلك التّحولات التي تُصيّر الأوطان إلى أشباه أوطان، فيشعر ساكنوها بالغربة والاغتراب.

وإذا كانت **المواطنة** قد تحوّلت من دلالة إلى دلالة أخرى؛ فإنّ الثّورة الفرنسية تمثّل "نقطة تحول عَرِفَ مفهوم المواطنة معها تطوراً هاماً في تدشين أولى الخطوات لتثبيت الحقوق المدنية الاجتماعية للمواطن الإنسان، حيث جاءت تلك النّقلة النوعية نتيجة للصّراع الضّاري بين الملكية المطلقة وقوانينها الإقطاعية

وبين البرجوازية المكافحة في سبيل نشر علاقات الإنتاج الرأسمالية وسوقها الوطنية الموحدة، (...) فأصبح **مفهوم المواطنة** يشمل الحقوق المدنية والسّياسية، والحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثّقافية، مع إقرار مبدأ المساواة أمام القانون، وعدم إقصاء الأقليات أو أي فئة في المجتمع"[1]. وأصبح الفرد المنتمي إلى ذلك المجتمع فردا له كامل الحقوق دونما تمييز. وعلى هذا فمفهوم المواطنة هو مفهوم غربي في أصل وضعه.

لذلك أصبحت المواطنة تحيل في مفهومها الدّقيق إلى "فكرة المشاركة السّياسية وحق الإسهام في تشكيل الإدارة العامة. وهي تشكّل الخاصية القانونية للفرد الذي يتمتع بحقوق يقوم في مقابلها بأداء مجموعة من الواجبات. هذه الامتيازات، التي من بينها حق التّصويت، حق التّرشح للوظائف الانتخابية، حق الخدمة في الجهاز الإداري للدّولة، حق التّملّك(...)، تشترك في أنّ **استخدامها يمثّل عنصرا لا ينفصل عن عمل النّظام السّياسي بأكمله**"[2]. وبذلك لا يكون لمفهوم المواطنة أيّ قيمة بعيدا عن العلاقة التّبادلية لمفهوم المصلحة، سواء أكانت مادية أم معنوية، بين الدّولة أو المؤسسة ذات الطّابع العالمي (هيئة الأمم المتحدة/اليونيسكو...إلخ) أو القاري أو المتوسطي وهلم جرا والأفراد المنطوين تحتها.

ومهما يكن من أمر تلك المصلحة التي تجمع الأفراد بالنّظام السّياسي أيّا كان صنفه وشكله، فإنّها في الأخير هي ما يجعل الأفراد يشعرون بمواطَنتهم التي تُبنى إذا توفّرت جملة من العوامل: السّياسية والاقتصادية، والاجتماعية والنّفسية، والتّعليمية التّربوية، والثّقافية، واللغوية. ومهما تعدّدت الدّلالات التي تنشأ عن المواطنة فسواء كانت "وطنية تتعلّق بحقوق وواجبات الفرد داخل الدّولة التي ينتمي إليها ويحمل جنسيتها، أو مواطنة عربية أو أوروبية، أو إفريقية؛ فإنّها في دلالتها العامّة **عبارة عن مجموعة من الحقوق المادية والمعنوية، والفردية والجماعية تتكفّل الدّولة بصيانتها وتمكين المواطنين منها** في مقابل مجموعة من الواجبات يسدّد بعضها المواطنون، في شكل خدمات

تحت إشراف الأجهزة الإدارية للدّولة [ومراقبتها]"[3] المتمثّلة في الوزارات والبلديات، والمصالح الولائية، والمدارس، والجمعيات، والجامعات....إلخ.

وفي سياق الحديث عن **الأجهزة الإدارية التّابعة للدّولة** لابد من الإشارة إلى أنّها قد تؤدي **دورا سلبيا** في عدم تمكين المواطنين من حقوقهم باستخدام أساليب غير مشروعة (كالظّلم الاجتماعي، واللامساواة بين الأفراد في فرص العمل والتّعليم وعدم احترام مبدأ تكافؤ الفرص، ...إلخ) التي قد تؤدي إلى حدوث الفوضى في المجتمع ولو بعد حين، لأنّ الخطوات غير محسوبة جيّدا وآليات التّسيير ليست مختارة بعناية، فيحدث ما لا يحمد عقباه وتبدأ بوادر الخلاف تسري في المجتمع فينشأ الصّراع بدل التّعايش السّلمي. ذلك أنّه "لكي تكون هناك مواطنة لابد من تكريس المساواة بين المواطنين بغض النّظر عن المقولات السّوسيولوجية الملموسة المرتبطة بوجودهم كأفراد عمالا كانوا أو أصحاب معامل، أميين أو أصحاب شهادات؛ ذلك أنّ المواطنة ضرورة لضمان تماسك النّظام السّياسي الدّيمقراطي، ووظيفتها تجاوز اللامساواة الفعلية من خلال التأكيد على وجود تعويضي لمساواة قانونية فعلية"[4]، فالدّولة ينبغي أن تضمن حقوق الأفراد العامّة التي تمنحها لكلّ المواطنين دون تمييز بينهم.

لكنّ ما ينبغي تأكيده أنّ هذه المساواة لا يمكن أن تكون مطلقة، لأنّ ضمان **حقوق الأفراد الخاصّة** قضية أخرى تحتاج إلى وعي الأفراد وإدراكهم للآثار السّلبية التي تترتّب عن عدم ضمان تلك الحقوق. فهم مختلفون من حيث أداء الواجبات سواء أ كانت دينية أم دنيوية، مادية أم معنوية، فمنهم المجتهد ومنهم المقصّر. كما أنّهم مختلفون في طّريقة التّقديم والأداء ودرجة الاتقان، لذلك لا يمكن – بأيّ حال من الأحوال – أن يتساووا في الحقوق، مصداقا لقوله تعالى:

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[الزّمر/9 –10].

وقد فضّل الله سبحانه وتعالى بعض عباده على بعض، تبعا لقدراتهم العقلية والجسدية والجنسية، فليس الذّكر كالأنثى، وليس العالم كالجاهل، وليس العامل كالقاعد...إلخ، وقد بيّنت ذلك الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء: 32].

لهذا ينهى الله جلّ وعلا المؤمنين عن "أن يتمنى بعضهم ما فضل الله به غيره من الأمور الممكنة وغير الممكنة. فلا تتمنى النّساء خصائص الرّجال التي بها فضلهم على النّساء، ولا صاحب الفقر والنّقص على الغنى والكمال تمنيا مجردا لأن هذا هو الحسد بعينه، تمني نعمة الله على غيرك أن تكون لك ويسلب إياها. ولأنّه يقتضي السّخط على قدر الله والإخلاد إلى الكسل والأماني الباطلة التي لا يقترن بها عمل ولا كسب. وإنما المحمود أمران: أن يسعى العبد على حسب قدرته بما ينفعه من مصالحه الدّينية والدّنيوية، ويسأل الله تعالى من فضله"[5]؛ ذلك أنّ كلّ فرد يزرع ما تحصده أفعاله، فلا ينال إلاّ ما تعب فيه وكسبه، فيقال للمحسن أحسنت وللمسيء أسأت.

وعلى هذا فالمواطنة ليست حقًّا يُمنح للأفراد أو الأقليات المنتمية إلى مجتمع ما بصفة آلية، لكنّها "تتأسس على **توازن معقّد للحقوق والواجبات** و**تتحدّد عبر الاعتراف** بفردية كلّ إنسان وبالانتماء إلى قيم مشتركة يرتكز عليها وجود الجماعة. فلا وجود لمواطنة من دون غايات وقيم محدّدة. أي أنّها ليست فحسب مجموعة من الحقوق والواجبات. فهذه لا تُمنَح كامتيازات للمواطنين إلاّ من حيث كونهم يشعرون بانتمائهم إلى جماعة تحكمها قيم يتقاسمها الجميع حتى وإن **كانت موضوع حوارات متناقضة** أحيانا"[6] و**متعصّبة** في أحيان أخرى **تغيب** فيها **العقلانية** في الطّرح و**التّناول** فتؤول بأصحابها إلى **المهاترة**. وهذا ما يحصل في المجتمع الجزائري هذه الأيام؛ حيث دخلت جماعات وأقليات في مناقشة الجزئيات التي تفرّق أفراد المجتمع وتركت مناقشة الأساسيات التي تجمعهم.

ففكرة المواطنة – إذن – في علاقتها بالحقوق والواجبات، والتي تقوم على الأساس المذكور في الفقرة السّابقة (الشّعور بالانتماء إلى جماعة معينة ومجتمع معيّن تحكمه مبادئ وقيم مشتركة) لا يمكن أن تتحقق على أرض الواقع في المجتمعات المعاصرة – على اعتبار أننا ننتمي إليها – إلاّ بتوفر شرط أساسي هو وجود النّظام الدّيمقراطي. هذا النّظام الذي يُقر ويسمح بالمشاركة الفعلية للمواطنين في صناعة حياة سياسية متوازنة تحقق السّيادة العامة للدّولة، وهذا "يعني أنّه لا يمكن الحديث عن مواطنة في ظل حكم استبدادي"[7] يلغي حقوق هؤلاء المواطنين بقرارات تعسفية ظاهرها الرّحمة وباطنها العذاب. ذلك أنّ الدّيمقراطية الحديثة والمعاصرة – التي تغيب في أغلب البلدان النّامية – تتبنى "كنظام سياسي واجتماعي على فكرة «التّعاقد» بين الحاكم والمحكوم، أي تنازل الشّعب عن جزء من حريته وسيادته وسلطته المطلقة لمصلحة «مفوَّضِين» عنه في المؤسسات وهياكل الدّولة من أجل تسهيل عملية التّدبير والتّسيير واتّخاذ القرار، مع احتفاظ الشّعب بحقه في المراقبة والمتابعة والمحاسبة في حالة حصول تجاوزات في ممارسة الصّلاحيات"[8] التي تصبح حقا مكتسبا يستخدمه المفوّضون تزول بزوال التّفويض. فلا يكون لهم حق التّصرّف وممارسة تلك الصّلاحيات إلاّ في الحدود التي وضُعت لهم في إطار القانون.

إنّ تعدّد أشكال الحقوق التي يقابلها أداء الواجبات في المجتمع، بالشّروط والأسس التي تحدّثنا عنها آنفا، جَعَل **مفهوم المواطنة** يأخذ أشكالا متعدّدة فنشأت المواطَنة المدنية والسّياسية، والمواطنة الاجتماعية – الاقتصادية. ونشأت **المواطنة اللغوية** التي تتجسّد في حقوق الأفراد اللغوية. وهنا نطرح السؤال الآتي: ما العلاقة بين مفهوم المواطنة ومفهوم المساواة في الحقوق اللغوية؟ والجواب عن هذا السّؤال هو محور المبحث الآتي.

2. المواطنة اللغوية في إطار مفهوم المساواة والاختلالات السّوسيولسانية:

1.2 المواطنة مفهوم غير مكتمل النّمو في المجتمع الجزائري: قبل مناقشة العلاقة بين مفهوم المواطنة في إطار المساواة والاختلالات السّوسيولسانية في

الواقع الجزائري، لابدّ أن نتناول الأسباب التي جعلت من هذا المفهوم مفهوما غير واضح المعالم في الجزائر وفي غيرها من البلدان العربية والإفريقية. فضلا عمّا يحفّه من التباس وغموض؛ ذلك أنّ الاستعمار قد أسهم إسهاما كبيرا في "تدمير البنيات الاجتماعية (البنية القبلية) والاقتصادية (الزّراعة المعيشية) والسّياسية (الدّولة التّقليدية) وتعويضها بأخرى حديثة لم تكن منسجمة مع التّطوّر التّاريخي والثّقافي [واللّغوي] للمنطقة، وبالتّالي ظلت طويلا تبدو كجسم غريب مفروض بالقوة من الخارج يستحيل مقاومته"[9]. لأنّ أسباب الضّعف حلّت مكان أسباب القوّة وزالت مفاهيم كانت سائدة وعُوّضت بمفاهيم أخرى لم تكن تلك الشّعوب قادرة على استيعابها؛ لأنّها غير ملائمة لبنياتها: الثقافية واللغوية والاجتماعية ...إلخ، ففقدت السّيطرة على الوضع واستسلمت لما يتعارض مع أصولها ومبادئها دون حول منها ولا قوة.

لذلك لم يكن بالإمكان أن تستعيد هذه الشّعوب ماضيها وما كانت عليه قبل الاستعمار، و"لم يكن هناك من خيار آخر سوى الاستمرار في **مسلسل التّحديث المتعثّر** ومحاولة الاختزال الزّمني لتجربة التّحديث التي عاشتها الدّول الأوروبية في إطار سياق تاريخي طويل امتدّ لعدّة قرون تفاعلت فيه جميع الجوانب والأبعاد ليكون تطوّرا طبيعيا لتلك المجتمعات"[10]، وهو ما أدى إلى ظهور مفاهيم غير مكتملة التّطوّر في المجتمع الجزائري، لأنّها لم تمر بالمراحل الضّرورية لتطوّر تلك المفاهيم، وبالتّالي صَعُب إدراكها، كمفهومي المواطنة والمواطنة اللغوية اللذين مرّا بمراحل كثيرة في المجتمع الأوروبي وظهرا في سياق مختلف عن السّياق الذي عاشته هذه البلدان. وهو ما يجعله مفهوما ملتبسا وغامضا بسبب تعارض الرؤى وتعدّدها وتشابك مشكلات الواقع الجزائري بكلّ أبعاده.

وبعد الاستقلال وجدت الجزائر نفسها في مآزق كثيرة: سياسية واجتماعية واقتصادية ونفسية ولغوية...إلخ؛ لأنّ ممارسات المستعمِر جعلت المجتمع يئن تحت وطأة التّخلف بدل التّطوّر المزعوم، ثم ممارسات الطّبقة السّياسية الحاكمة بعد الاستقلال التي انتهجت سياسة غير واضحة المعالم أدت إلى **فشل مشروع**

الاستقلال والتّنمية والتّطور المنشود، وفي مقابل ذلك لم يكن الفرد قادرا على مواجهة تلك الضّغوط بكلّ أشكالها، لأنّه يفتقد لأدوات "الحماية [وآلياتها] المضادة التي كانت توفّرها له البنية الاجتماعية التّقليدية (العائلة، العشيرة، القبيلة...) من شبكة حماية وأمان وتضامن. فصار الإنسان ضائعا بعد فقدانه [لتلك الأدوات والآليات]"[11] بسبب الجهل النّاجم عن الأمية؛ لأنّ 95% من أفراد الشّعب الجزائري كانوا أميين؛ حيث تمثّل الأمية أبشع ما ورثته الجزائر من الاستدمار الفرنسي.

كانت كلّ تلك الإرهاصات عاملا قويا ومباشرا في توجيه مسار الشّعب الجزائري وجهة لا تعكس أبدا تاريخه الطويل المليء بالآلام والآمال في الوقت نفسه. فكان الملاذ الوحيد هو الجنوح نحو "الإطار الهوياتي ببعديه الثّقافي والدّيني لعلّه يُؤمِّن للإنسان الفرد ذلك الشّعور بالانتماء وبالتّالي الأمان والحماية [ذلك الإطار الذي لم ينشأ ويترعرع في المجتمع الجزائري، بل كان وليد فترة مظلمة دفعته دفعا إلى أن يستورد] إشكالات الهوية والقومية كما تبلورت في **النّموذج التّاريخي الأوروبي** بكلّ ما تحمله من خصوصية ثقافية وتاريخية أوروبية محضة"[12]. فالشّعب الجزائري لم يتعرض لكلّ تلك الصّدمات والأزمات التي مرّت بها الشّعوب الأوربية في تاريخها الطّويل، بل تعرّض لصدمات وأزمات وتجارب من نوع آخر لم تمنحه إلاّ الدّمار والخراب؛ حيث تسببت في إبعاده عن المنهج الصّحيح والقويم الذي يدفع الأمم والشّعوب نحو الازدهار والرّقي. فمنعته من تبوء المراتب التي كان يمكن أن يحقّقها.

انتقل الشّعب الجزائري بعدها من مرحلة **مواجهة الاستعمار وإخراجه** إلى مرحلة أخرى أكثر أهمية بعد الاستقلال هي مرحلة **إعادة بناء الذّات**، لكّن ذلك الانتقال بقي شكليا ولم يتجاوز الإطار المادي (البناء والتّشييد وتعبيد الطرقات...إلخ) وعلى الرّغم من تلك المجهودات التي بُذلت في هذا المجال، لم يتمكّن من إحداث نقلة نوعية على المستوى الثّقافي، وبقي يدور في فلك الثّقافة التّقليدية[13] التي لم يعد لوجودها أيّ مبرر. فهو يعيش – بين بين– وذلك ناتج عن الإخفاق في تجاوز **صدمة الاستعمار** وتبخر مشروع الاستقلال[14]. وأظن أنّ الجزائر لا تختلف كثيرا

عن جيرانها، فهي تشاركهم في كثير من المسائل، لكنّها تتميّز عنهم في حدّة بعض الظّروف، لأنّ مدّة تعرّضها للاستعمار كانت أطول؛ لذلك فإنّ الثّقافة المترسّبة عن مرحلة الاستعمار تتحكّم في تسيير شؤون البلاد والعباد بشكل أكثر بروزا. وهو ما أدى إلى طَفْو مشكلات لا حصر لها منها مشكلات الهوية والمواطنة بكلّ أشكالها: السّياسية، اللغوية...إلخ.

2.2 **المواطنة اللغوية في إطار مفهوم المساواة:** قد يكون من الصّعب وضع معايير تجعل اللغات متساوية في أيّ واقع سوسيولساني، ذلك أنّ واقع الممارسة اللسانية في المجتمع يفرض تحديد أدوار اللغات التي تتقاسم فضاءاته. لكنّ مطلب العيش بسلام وضمان حياة اجتماعية متوازنة تفرض على كلّ شعب أن يهتم بوضع جملة من المعايير تقوم على مبادئ وقوانين عامة يشترك فيها مع بقية الشّعوب، ثمّ تحديد معايير أخرى لا يشاركه فيها أحد، وذلك تبعا للخصوصية التي قد تميّزه عن غيره، وتبعا لطريقته في العيش وكذا مبادئه وقيمه. لذلك كان سردنا لأسباب الإخفاق والعوامل المؤدية إلى كلّ تلك المشكلات في المبحث السّابق ضروريا لنضع القارئ أمام جملة من الحقائق التّاريخية التي أنتجت صراعا فكريا ولغويا نتج بدوره عن عدم قدرة أطراف ذلك الصّراع من الاستفاقة من صدمة الاستعمار الذي أحدث شروخا كثيرة على جميع المستويات.

ولا يمكن للحقوق اللغوية أن تتعارض مهما كانت أشكالها، في مجتمع يتّصف أفراده القائمون على تسيير شؤونه بالقدرة على إدارة قضاياه الجوهرية والثّانوية. فضلا عن وعي طبقات ذلك المجتمع بتلك القضايا. ذلك أنّ "مفهوم المواطنة من النّاحية النّظرية والفلسفية، والقائم على المساواة لا يتعارض مع أيّ محدّد من محدّدات الأقليات سواء اللغوية أم غيرها. لأنّه **يعبر عن وضع من المساواة** بصرف النّظر عن المميّزات الهوياتية المتعارَف عليها"[15]. فمهما كانت المميّزات الهوياتية التي تدخل في تكوين الهوية الثّقافية وهوية المجتمع بوجه عام متعدّدة فإنّ صفة لم الشّمل (الجمع) هي التي ينبغي أن تستحوذ على المفهوم فلا يترك المجال أبدا ليحل محلّها التّفرقة، فالهدف من المواطنة ألاّ تتعارض حقوق الأفراد

بكلّ أشكالها مع خدمة المجتمع حتى لا يُمَسّ استقراره، فتسود الـرّوح الجماعيـة العالية التي تذوب فيها الخلافات من أجل مصلحة الوطن والأمة.

وربّما كانت التّساؤلات التي طرحها الباحث **زدام يوسف:** ما **المقصود بالمساواة** الوارد في **تعريف المواطنة؟** هل هي المساواة الأصلية، أم هـي **المساواة التي يبنيها المجتمع**[16]؟ والمرتبط بمفهومي المواطنة والمساواة في علاقتهما بـالحقوق اللغوية، متوافقة مع ما طرحناه من تساؤلات ومتماشية كثيرا وما نطمح أن نصـل إليه من نتائج في هذه الورقة البحثية. ذلك أنّ مفهوم المواطنة لا يتعارض أبدا مـع التّنوع والتّعدّد في أشكاله المختلفة، فسواء أكان **التّعدّد لغويا**، أم عرقيـا، أم دينيـا وسواء تعلّق الأمر بالأقليات أم الأغلبية، فإنّه ينبغي أن يوضع في الإطار الطّبيعي لخصوصيات المجتمع المعني حتى لا يفقد "مفهـوم المواطنـة تأسيسـه النّظـري والفلسفي"[17]، وبالتّالي إذا فقد تأسيسه النّظري أصبح مفهوما مُفْرَغا من دلالاته التي تخدم المجتمع باختلاف فئاته وأطيافه، والتي تُكوّن أسس المواطنة الحقة التي تشبع رغبات المواطنين كلّهم وتضمن حقوقهم التي هي مبلغ طلبهم.

وبذلك يصبح لكلّ الجزائريين الحق نفسه في **الحفـاظ علـى المـوروث الثّقـافي للمجتمع الجزائري** بغض النّظر عن عرقهم، ولغتهم، وانتمائهم السّياسي، وطبقـتهم الاجتماعية، **فما يخص الأمازيغية ميراث ثقافي جزائري**، ومـا يخـص **العربيـة ميراث ثقافي جزائري.** ويمكننا أن نستفيد من تجربة سنغافورة التي اسـتطاعت أن تنتقل من **العالم الثّالث إلى العـالم الأول** في وقت قياسي بفضل رَجُلِها الأول «**لـي كوان يو**» ومواطِنيها الذين تمكّنوا من تجاوز الخلافات الطّائفية ومغالبـة مشـاعر العداء بالقضاء على كلّ العقبات التي قد تعيق مسيرتها نحو التّطوّر، حيث عمل ***لي كوان*** عملا دؤوبا ومتواصلا للقضاء على تلك الاضطرابات باتّخاذ سياسة توكَـأتْ على عدم التّعصب لطائفة معينة أو أصل معيّن أو لغة على حساب لغة أخرى، ثـمّ قام بتجسيد ذلك على أرض الواقع بنشر الوعي بمصير مشترك بـين المـواطنين جميعا ودون استثناء لبناء دولة موحّدة تذوب فيها كلّ الخلافات دون تهمـيش لأيّ جماعة أو عرق أو دين. وما ساعده على تنفيذ استراتيجيته هو **تكوّن حس جماعي**

لدى مواطنيــه واستجابتهم بشكل سريع وفعّال، حيث جعلوا مصلحة سنغافورة فوق كلّ اعتبار[18].

لذلك، فإنّ المواطنة في مفهومها العام، والمواطنة في مفهومهـا المحـدّد بالحـدود اللّغوية وما يرتبط بها لا ينبغي أن تجرّ المجتمع الجزائري، بحجّة المساواة، إلى ما يدعو إليه المنظّرون الغربيون وساستهم ليكون مدخلا مـن مـداخل زرع الفتنـة والتّفكك في مفهومه العام، وتفكيك الهوية الجزائرية في مفهومها الخاص، وحجـة هؤلاء "أنّ التّعصب لثوابت الهوية من لغة ودين وقيم اجتماعيـة وروحيـة وإرث حضاري مشترك يعدّ سلوكا لا ديموقراطيا مناف للمواطنة، فلابدّ للهوية الأصـلية بحسب هذا المنطق الأورو – أمريكي تحديد أن تذوب في الهويات الأخـرى إلـى أن تخرج في صورة مغايرة لماهيتها الأصلية...أي أنّ المواطنة هي التـي تحـدّد منطق تفاعل الهويات وليس العكس"[19]. لأنّه منطق يقوم على الصّـراع والتّعانـد وليس على التّعايش والتّكامل والتّوافق، كما أنّه منطق يقوم على الهيمنة.

يتعارض هذا الطّرح كثيرا مع خصوصية المجتمع الجزائري وهويته المبنية علـى الثّالوث الهوياتي: الإسلام والعربية والأمازيغيـة، حيـث "يسـعى إلـى إحـلال الاعتبارات السّياسية والأيديولوجية في تصوّر المواطنة محلّ الاعتبارات التّاريخية والحضارية ممّا يجعل من الاعتراف بالهوية الفئوية أو القومية مجـرّد حـقّ مـن حقوق المواطنة، في حين أنّه لا مواطنة بدون هوية"[20] ولا هويـة بـدون ثوابـت ومكوّنات جوهرية، وبالتّالي لا يمكن بحال من الأحوال استبدال حق مـن حقـوق المواطنة، كالحق اللغوي، بحق من حقوق الهوية؛ حيث تمثّل الهوية جوهر الذّاكرة الجماعية التي يشترك فيها أفراد المجتمع وأفراد الأمة [21] على اعتبار أنّ الجزائـر تشكّل لوحدها أمة، فضلا عن انتمائها إلى الأمـة الإسـلامية. وبـذلك فالمسـاواة المقصودة هي المساواة التي يبنيها المجتمع الجزائري وفق مـا تقتضـيه شـروط العيش بسلام، والتي تتوافق معه دون تنازل عن مكوّنات الذّاكرة الجماعيـة بكـلّ عناصرها.

3.2 المواطنة اللغوية والاختلالات السّوسيولسانية: كنّا قد أشرنا فيما سبق إلى أنّ الجزائر قد وجدت نفسها في خضم مآزق وإخفاقات على جميع الأصعدة: الاقتصادية، والاجتماعية، والنّفسية، والتّربوية... ما جعلها تدخل في دوامة من الصّراعات المتكرّرة، والجدل العقيم الذي أنتج أطروحات متناقضة تخص الهوية والمواطنة والوطنية. وكان ذلك نتيجة حتمية لتراكمات الماضي بعهديه الكولونيالي وما بعد الكولونيالي.

إنّ ما آلت إليه تلك الصّراعات المتكرّرة لعقود متتالية من الزّمن كفيل بتفسير اختلالات الواقع المختلفة: الاجتماعية والاقتصادية والسّوسيولسانية...إلخ. وبما أنّ موضوعنا مرتبط **باختلالات الواقع السّوسيولساني** في علاقته بالسّياسة اللغوية التي يجسّدها الدّستور الجزائري، ثمّ ما ظهر ويظهر **في واقع الممارسة اللغوية** الذي لا يعكس دائما ما جاء في الدّستور، سواء تعلّق الأمر بالمؤسسات التّربوية والتّعليمية المؤسسات الاقتصادية والتّجارية في سوق العمل؛ فإنّ تناول قضاياه وإشكالاته لا يمكن أن يتم إلاّ ضمن تشابك الأبعاد المؤثّرة فيه، والمحيطة بالمسألة اللغوية عبر تاريخها الطّويل في الواقع السّوسيولساني الذي تعود نشأة مشكلاته إلى العهد الاستدماري الذي أثّر فيه تأثيرا سلبيا بفضل خطة فرنسا المحكمة لتغيير الوجهة اللغوية للمجتمع الجزائري، **فخلقت وضعية لسانية** صعبة خلخلت بنيته وحياته اللغوية.

هذه الوضعية اللسانية التي لم تُعَالج بعد الاستقلال بسبب ممارسات السّياسية اللغوية أنتجت مفارقات عديدة أدت إلى تناقضات في الواقع السوسيولساني يمكن تلخيصها فيما يلي:

1. **<u>المفارقة الأولى</u>:** أنّ الواقع السّوسيولساني يشهد **حضور** اللغة العربية في واقع الممارسة في مواضع و**غيابها** في مواضع أخرى، على الرّغم من أنّ **الدّستور الجزائري كفل لها حقوقها نظريا باعتبارها لغة رسمية** في المادة الثّالثة: "اللغة العربية **هي اللغة الوطنية والرّسمية. تظل العربية اللغة الرسمية للدّولة**"[22]. فضلا عن إحداث مجلس أعلى للغة العربية لدى رئيس الجمهورية. كُلِّف بالعمل

على **ازدهار اللغة العربية وتعميم استعمالها في الميادين العلمية والتّكنولوجية** والتّشجيع على التّرجمة إليها لهذه الغاية؛ وعدم الالتزام بتطبيق هذه المادة تطبيقا كاملا في الواقع، فإذا كانت العربية هي لغة التّدريس في المؤسسات التّربوية في المراحل الثّلاث والعلوم الإنسانية في الجامعة، فإنّها تغيب تماما في التّخصّصات العلمية والتّكنولوجية في الجامعات (كليّات الطّب والصيدلة والعلوم والتّكنولوجيا) والمؤسسات الاقتصادية والإدارات: البنوك وغيرها التي تتكفّل اللغة الفرنسية.

وهذا يعني أنّ اللغة العربية **لم تأخذ حقوقها كاملة باعتبارها لغة رسمية**، حيث تسيطر اللغة الفرنسية في مواضع غياب العربية على الرّغم من أنّ الدّستور لم يضمن للفرنسية شيئا، لكن واقع الممارسة اللغوية تكفّل بضمان الكثير.

2. **المفارقة الثّانية:** تبرزها **المادة 3 مكرّر** من الدّستور بعد تعديله في سنة 2016، حيث تمّ إكساب الأمازيغية الطّابع الرّسمي " **تمازيغت هي كذلك لغة وطنية ورسمية**"[23]، لكن واقع الممارسة اللغوية في المؤسسات الرّسمية لا يعكس أبدا هذا القرار.

ولابّد أن نناقش هذه المسألة من وجهة نظر **لسانية وسوسيولسانية محضة** لأنّ ما يحكم تدبيرها إلى غاية الآن هو الاعتبارات السّياسية والأيديولوجية. فإذا كانت حقوق المواطنة تعطي للأفراد الحق في تعلّم لغاتهم الأصلية (أو الأولى بحسب المصطلح السّوسيولساني) والتّعليم بها، فإنّ هذا الحق من الوجهة النّظرية هو حق مشروع جدّا. غير أنّ إكراهات الواقع وسبل التّدبير اللغوي تفرض على المجتمع اتّخاذ التدابير اللازمة، وإلاّ دخل المجتمع في **فوضى لغوية** تزيد الطّين بلّة، وتزيد الوضع اللساني سوءا. لذلك فإنّ ما جاء في الدّستور بخصوص المسألة اللغوية الأمازيغية، غير واضح تماما وهو يعكس الاختلالات والمفارقات التي يعاني منها المجتمع، وذلك لعدّة أسباب أهمها:

أ. ضعف تدبير المسألة اللغوية بشكل عام وتدبير المسألة اللغوية الأمازيغية بشكل خاص لتتناسب مع المشروع الحضاري للمجتمع الجزائري، فوضع مادة في الدّستور تُكسب الأمازيغية طابعا رسميا، وإحداث مجمع جزائري للغة الأمازيغية

يوضع لدى رئيس الجمهورية لا يحل أبدا إشكالات المسألة، لأنّ العربية ذاتها تعاني من مشكلات في الواقع على الرّغم من أنّها اكتسبت هذا الطّابع الرّسمي في أول دستور للجمهورية الجزائرية بعد الاستقلال.

كما أن ما أثبتته المادة الثّالثة بخصوص التّعامل مع تنوعات الأمازيغية غير واضح: "تعمل الدّولة على ترقيتها وتطويرها **بكل تنوعاتها اللسانية المستعملة عبر التّراب الوطني**"[24]، فما المقصود بذلك؟ ذلك أنّ اللغة الواجب ترقيتها وتطويرها هي اللغة الأمازيغية الجامعة لكلّ التّنوعات، خاصّة في المجال التّعليمي إذ يستحيل أن تُدرّس كلّ التّنوعات وإلاّ فُتح المجال واسعا للمطالبة بتدريس كلّ التّنوعات اللغوية العربية والأمازيغية على حدّ سواء وهذا ما لا يتقبله المنطق ولا العقل. لذلك فإنّ ضمان الحقوق اللغوية مرهون بتوزيع وظائف اللغات وتنوعاتها في المجتمع.

لذلك، فإنّ **تقعيد اللغة الأمازيغية ومَعْيَرَتُها** ضرورة ملحة، والفصل في مشكلة الخط الذي تُكتب به الأمازيغية ضرورة ملحة أخرى. لأنّ اللغات تتوزع في الاستعمال بين لغات رسمية ولغات أخرى غير رسمية وتتحدّد وظائفها بحسب أدوارها في المجالات المختلفة: التّعليمية والاقتصادية...إلخ، وليس بطابعها الرّسمي الذي يمنحه إيّاها الدّستور.

3. **المفارقة الثّالثة:** الاختلالات الحاصلة في الواقع، فعلى الرّغم من كلّ تلك المجهودات التي بذلتها الدّولة في مجال التّعليم بوجه عام وتعليم اللغات بوجه خاص، لم تتمكّن المنظومة التّربوية من تحقيق تعليم لغويّ نوعيّ؛ حيث يتخرّج الآلاف من الطّلبة وهم يفتقدون لكفايات لغوية في العربية والفرنسية والانجليزية على الرّغم من إنهائهم لكلّ المراحل التّعليمية.

فالواقع السّوسيولساني الجزائري عرف تعددا لغويا منذ زمن بعيد. لكنّ السّياسة اللغوية لم تفصل في المسألة اللغوية إلى يومنا هذا، على الرّغم من القرارات والمناشير. لأنّ هذا الواقع يكاد يفتقد للتهيئة اللغوية الملائمة، خاصّة فيما يتعلّق بالمصطلح وإشكالاته المعرفية. هذا ما جعلنا نسم هذه الدّراسة بـ "**المواطنة**

اللّغوية في الجزائر بين مفارقات السّياسة اللّغوية واختلالات الواقع السّوسيولساني"، لأنّ هذا الواقع مليء بالإكراهات، فضلا عن أنّ للمسألة اللغوية أبعادا عالمية، فهي ليست مسألة داخلية فحسب، ذلك أنّ سوق اللغات والعولمة يفرضان على الشّعوب إملاءاتِهما، لأنّ المتحكّم في العلوم والتّكنولوجيا هو الذي يتحكّم في استعمال اللغات ونشرها.

وهذا ما يجعل فكرة المواطنة اللغوية فكرة ممكنة التّحقق إذا سهرت الدولة والمواطنون على نقلها من مجرّد مفهوم فلسفي نظري إلى ممارسات فعلية ملموسة يتبناها جميع المواطنين كلّ حسب دوره في المجتمع وبغض النّظر عن لغته وعرقه. ذلك الدّور الذي يتحدّد في إطار القانون الذي يجب أن يخضع له الحاكم والمحكوم على حدّ سواء.

خاتمة: ذكرنا سابقا أنّ المواطنة في مفهومها العام لا تتأسس إلاّ إذا قامت على جملة من المبادئ والقوانين والشّروط التي تتمثّل فيما يلي:

1. التّوازن المعقّد للحقوق والواجبات.
2. الاعتراف بفردية المنتمين إلى المجتمع.
3. عدم تهميش الأقليات أو الفئات الموجودة في المجتمع مهما كان دورها في المجتمع بسيطا أو معقّدا، صغيرا أو كبيرا. وهو ما يضمن المساواة بين الجميع.
4. الانتماء إلى قيم مشتركة يحترمها الجميع.
5. الارتباط بتلك القيم لا يكون إلاّ في ظل الجماعة.
6. ارتباط المواطنة بغايات محدّدة في المجتمع؛ لأنّ لكلّ مجتمع عاداته وتقاليده ومقوّماته وماضيه الذي صنعه الأجداد، وحاضره وما يحتويه.
7. الاختلاف الممكن وجوده في المجتمع: الثّقافي، العرقي، الدّيني، اللغوي.
8. نبذ العنف المؤدي إلى الشّقاق، والتّحلي بالتّسامح المؤدي إلى التّعايش السّلمي، والعيش في ظل الآية الكريمة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ [الحجرات/13]، فالله

سبحانه يخاطب في هذه الآية الكريمة الخلق من النّاس جميعا مؤمنهم وكـافرهم رجالهم ونسائهم، أغنيائهم وفقرائهم، هؤلاء الخلق من الرّجـال والنّسـاء الّـذين تفرّقوا في الأرض، وكوّنوا شعوبا: العـرب، والفـرس، والـروم...إلخ. تلـك الشّعوب المنقسمة إلى قبائل والتي تنقسم بدورها إلى بطون وأفخاذ وأسر. ومثلما يعرف الأفراد بأسمائهم تُعرف الشّعوب كذلك. فخلقنا الله لنتعارف؛ حيث أوجـد أسباب ذلك التّعارف، وهي تلك المصالح المشتركة التي يمكـن أن تجمـع تلـك الشّعوب فتجعلهم يتعارفون؛ حيث وزّع الفضل في الدّنيا، إذ لكلّ شعب فضـائل في الرّزق والموارد لا يملكها شعب آخر، مثلما أنّ لكل فرد فضائل لا توجد عند فرد آخر فتكون سببا في التّكامل الحاصل في المجتمع، وهو مـا يقضـي علـى العداوة والبغضاء؛ لأنّ ذلك التّكامل قائم على اختلاف الأدوار القائم على توزيـع الأرزاق وفق قاعدة «كلّ فرد يقوم بمهّمة لا يقوم بها غيره»، وهي القاعدة نفسها التي تنطبق على الشّعوب فاختلافهم قائم على توزيع الأرزاق والفضائل من أجل التّكامل، فلا سبيل للتّناحر.

9. لا يتحقق العنصر السّابق (نبذ العنف والتّحلّي بالتّسامح والتّعايش السّلمي القائم على التّعارف والاختلاف المؤدي إلى التّكامل) إلاّ بنبذ الأنانيـة وتشـجيع مبدأ الفردانية الخادمة للمجتمع، لأنّ "الأنانية آفة [قديمة] قدم الوجود ولا تقتصـر في وجودها على مجتمع دون الآخر. أمّا الفردانية فأصولها ديموقراطية ولـديها قابلية للتّنامي كلّما تساوت الظّروف"[25].

10. أنّ يُدرك الأفراد أنّ المواطنة "هي سيرورة تاريخية، وديناميكية مستمرة وسلوك يُكتسب عندما تتهيأ له الظّروف الملائمـة، وهـي مُمَارسـةٌ فـي ظـل مجموعة من المبادئ والقواعد"[26]، وهذا يعني أنّ المواطنة سواء أ تعلّـق الأمـر بمفهومها العام أم الخاص (المواطنة اللغوية) ليست مُعطى جاهزا.

11. لا يمكن للمواطنة أن تتحقق إلاّ "في إطار مؤسسـات وآليـات تضـمن ترجمة مفهوم المواطنة على أرض الواقع"[27].

ونخلص في الأخير إلى أنّ فكرة المواطنة اللغوية فكرة ممكنة التّحقق إذا سهرت الدّولة والمواطنون على نقلها من مجرّد مفهوم فلسفي نظري إلى ممارسات فعلية ملموسة يتبناها جميع المواطنين كلّ حسب دوره في المجتمع وبغض النّظر عن لغتهم وعرقهم. ذلك الدّور الذي يتحدّد في إطار القانون الذي يجب أن يخضع له الحاكم والمحكوم على حدّ سواء. ؛ حيث تُجعَل جدارا منيعا يحمي الجميع ويستوعبهم ويجمعهم في نطاق المواطنة الجامعة التي لا تلغي أيّ تركيبة ثقافية أو اجتماعية أو سياسية وبمعنى آخر فالمواطنة اللغوية هي المواطنة التي "لا تمارس تزييفًا للواقع، وإنما تتعامل مع هذا الواقع من منطلق **حقائقه الثّابتة**، حيث توفر البيئة الصحيحة والخصبة لتكوين ثقافة الوطن التي تتشكل من تفاعل ثقافات أبناء الوطن و[لغاته]"[28] فيكون تحقّقها مرهون بتوفر المبادئ التي تحدّثنا عنها سابقا دون اختزالها، مع ضرورة اتّصاف الباحثين المتخصّصين في اللسانيات بفروعها بالموضوعية في تناول المسألة اللغوية. ونختم دراستنا بقول عبد الرّحمان الحاج صالح: "أمّا ظاهرة اختيار الشّعوب لمعيار لغوي لسبب خاص بهم يهمّهم ويهمّ **وحدتهم** فهي ظاهرة لا تخص شعبا دون شعب عبر التّاريخ والاختيار فيها **هو ظاهرة اجتماعية. فلا دخل للعلم في ذلك** إنّما على العلماء أن يصفوا مثل هذه الظاهرة وأن يفسّروها ولا يحكمون عليها بحكم ذاتي كعلماء بل **كمواطنين يهمهم هذا الاختيار**"[29].

الهوامش:

[1] . **الموسوعة السّياسية**، الموقع: https://political-encyclopedia.org/dictionary بتاريخ: 2019/05/06.

[2]. سيدي محمّد ولديب، **الدّولة وإشكالية المواطنة قراءة في مفهوم المواطنة العربية**، دار كنوز المعرفة، ط/1، عمّان – الأردن، 2011، ص.49.

[3]. المرجع نفسه، ص.49.

[4]. المرجع نفسه، ص.52.

[5]. ينظر: الشّعراوي، **تفسير سورة النّساء**، الآية 32، الموقع: http://www.elsharawy.com/sharawy_youtube.asp، بتاريخ: 2019/05/06.

[6]. سيدي محمّد ولديب، مرجع سابق، ص.55.

[7]. الكوخي محمّد، **سؤال الهوية في شمال إفريقيا (**التّعدّد والانصهار في واقع الإنسان واللغة والثّقافة والتّاريخ)، أفريقيا الشّرق، المغرب، 2014، ص.403.

[8]. المرجع نفسه، ص.400.

[9]. الكوخي محمّد، **سؤال الهوية في شمال إفريقيا**، ص.393.

[10]. المرجع نفسه، ص.393.

[11]. المرجع نفسه، ص.396.

[12]. المرجع نفسه، ص.396.

[13]. وهي تلك الثّقافة النّاتجة عن منظومة فكرية لم يعد لها وجود في الحاضر، بسبب الظروف التي قضت عليها ولم تترك لها المجال لتتطوّر تطوّرا طبيعيا؛ لأنّها توقفت عن النّمو، فهي كالجنين الذي لابد أن يسقط لأنّه غير قابل للاكتمال بسبب نقص ما.

[14]. ينظر: الكوخي محمّد، مرجع سابق، ص.397.

[15]. زدام يوسف، **الحقوق اللغوية بحث في مسببات وتأثير اعتبار اللغة مسألة فعل عام** الموقع: http://www.univ-alger3.dz/wp-content/uploads/2019/02/Vol6_Num2_Art8.pdf، بتاريخ: 2019/05/06، ص.93.

[16]. المرجع نفسه. ص.94.

[17]. المرجع نفسه. ص.93.

[18]. يُنظر مقالنا: صحرة دحمان، **بلد البحر تحقيق للتّعايش اللغوي أو تحقيق للغة التّعايش** ملتقى التّعايش اللّغويّ في الجزائر بين العربيّة والأمازيغيّة في ظلّ التّعديل الدّستوري الجديد، 27 و28 نوفمبر 2018، قصر الثّقافة، مفدي زكريا، الجزائر. وهو قيد النّشر.

[19]. سيدي محمّد ولديب، مرجع سابق، ص.67.

[20]. المرجع نفسه، ص.67.

[21]. المرجع نفسه، ص.67.

[22]. المادة 3 من الدستور الجزائري، الموقع:
https://www.joradp.dz/HAR/Consti.htm، بتاريخ: 2019/05/05.

[23]. المرجع نفسه.

[24]. المرجع نفسه.

[25]. دومينيك شنابر وكريستيان باشولييه، **ما المواطنة؟**، تر: سونيا محمود نجا، المركز القومي للتّرجمة، ط/1، مصر، 2016، ص.280.

[26]. الموسوعة السّياسية، مرجع سابق.

[27]. الموسوعة السّياسية، مرجع سابق.

[28]. المرجع نفسه.

[29]. عبد الرّحمان الحاج صالح، **العاميات العربية ولغة التّخاطب الفصيحة**، مجلّة الممارسات اللغوية، مخبر الممارسات اللغوية، الجزائر، العدد 03، 2011، ص.232.

المُواطَنة اللّغويّة ودورها في التصدّي للغزو اللّغويّ للغات العولمة

د. ياسين بوراس

ج. محمّد البشير الإبراهيميّ، برج-بوعريريج

مقدمة: تُعَدُّ المواطنة اللّغويّة إحدى المبادئ الأساسيّة الّتي تتبني عليها حياة المجتمعات اللّغويّة أحادية أو موسومة بالتّعدّد؛ باعتبارها تلعب دورا مهمّا في محافظتها على وحدة هذه المجتمعات، أمام ما يمكن أنْ يطرحه التّعدّد اللّغويّ فيها من إشكالات على مستوى السّياسة، أو التّعليم، أو الإدارة. أو يهدّد أمنها اللّغويّ: كالغزو اللّغويّ للغات العولمة، أو تراجع مكانة لغاتها علميّا، أو عدم قدرتها على مواكبة روح العصر. وهنا لا شكّ في أنّ المواطنة اللّغويّة تلعب دورا مهمّا في تعزيز الوعي بالتّنوع اللّغويّ في هذه المجتمعات وتحقيق ما يُسمَّى بالأمن اللّغويّ والتّعايش السّلميّ بين اللّغات الوطنيّة فيها، من خلال تبنّيها لمبادئ المُواطَنة اللّغويّة، وعملها على غرس هذه المبادئ في مواطنيها، بشكل يجعل كلّ فرد من أفراد هذه المجتمعات، يشعر بالمسؤوليّة الكبرى الموضوعة على عاتقه تجاه لغاته الوطنيّة. وعلى هذا الأساس جاءت هذه المداخلة –بناء على دور المواطنة اللّغويّة في محافظتها على وحدة هذه المجتمعات وتحقيق ما يُسمَّى بالأمن اللّغويّ– لتستهدف الوقوف على تحديد مفهوم المواطنة اللّغويّة استنادا إلى أهمّ مبادئها، ثمّ بيان دورها في التّصدّي للغزو اللّغويّ للغات العولمة أو تحقيق ما يسمّى بالأمن اللّغويّ، مع بيان مخاطر هذا الغزو على المجتمعات اللّغويّة.

أوّلا– مفهوم المواطنة اللّغويّة: يُقْصَدُ بالمواطنة اللّغويّة في معناها العامّ تلك العلاقة القائمة بين الفرد ولغته داخل وطنه، بشكل يجعله يدافع عنها دفاعه عن أرضه وعرضه؛ وهو مُكوَّن من مصطلحين مصطلح (المواطنة) الّذي صِيغَ على وزن المصدر (مُفَاعَلَة) للدّلالة على اشتراك اثنين فأكثر في الحقوق والواجبات ضمن وطن واحد.[1] ومصطلح (اللّغويّة) الّذي صِيغَ على المصدر الصّناعيّ للدّلالة على النِّسبة. وإذا كانت المواطنة في أبسط معانيها تعني مشاركة الآخر في الحقوق

والواجبات ضمن وطن واحد؛ فإنّه ولا شكّ في أنّ المواطنة اللّغويّة تعني كذلك مشاركة الآخر من أبناء الوطن، الهمومَ اللّغويّة ذاتها الّتي تعيشها اللّغات الوطنيّة داخل أوطانها؛ لتدلّ على ذلك الشّعور المتبادل بين أبناء الوطن الواحد تجاه اللّغات الوطنيّة، ويشمل هذا الشّعور الاعتزاز باللّغات الوطنيةّ، والدّفاع عنها، والعمل على ترقيتها، بشكل يجعل هذه العناصر أساسا لتحديد مدى ترسّخ هذا المبدأ بين مختلف أفراد هذا الوطن. وقد جاء مقترنا بصيغة (مُفَاعَلَة) للدّلالة على أنّ هذا الشّعور المتبادل بين أبناء الوطن الواحد تجاه اللّغات الوطنيّة، لا يقتصر في مدلوله على اللّغة المنطوقة دون غيرها من اللّغات الوطنيّة كما قد يُعْتقَد، بل يشمل جميع اللّغات الوطنيّة على مستوى أو صعيد واحد.

ويعدّ صالح بلعيد أستاذ اللّسانيات بجامعة مولود معمري بتيزي-وزو سابقا ورئيس المجلس الأعلى للّغة العربيّة حاليًّا، أوّل من تعرّض -في حدود ما نعلم- إلى هذا المفهوم في الوطن العربيّ في كتابه (المواطنة اللّغويّة وأشياء أخرى) الصّادر عن دار هومة بالجزائر سنة 2008، معتمدا في تحديده لمفهومَ المواطنة اللّغويّة على أثر هذا المبدأ في المجتمعات اللّغويّة، أو النّتيجة الحتميّة المترتّبة عن اعتماد هذه المجتمعات لهذا المبدأ؛ حيث عرّفها على أساس أنّها "استعمال اللّسان الوطنيّ في كلّ المؤسّسات والأماكن العامّة، وقضاء المصالح الإداريّة."[2] مضيفا إلى أنّ هذا المبدأ يضع في أولوياته اللّغة الرّسميّة للبلد ضمن هذا الاستعمال؛ حيث قال: "إنّ المواطنة اللّغويّة فضاء لغويّ ممتدّ تأخذ فيه اللّغة الرّسميّة النّصيب الأوفى، انطلاقا من أنّ تربيّة المواطنة تحصل أوّلا باللّغة الرّسميّة، وعدم احتقار الوطنيّة، وتعزيز الثّقافة الوطنيّة بنقل المفاهيم الوطنيّة للطّفل، وبثّ الوعي بتاريخ الوطن وإنجازاته، والاهتمام بمختلف الأنشطة الثّقافيّة."[3] من دون أنْ يشير صاحب الكتاب إلى المبادئ الحقيقيّة الّتي ينبني عليها مفهوم المواطنة اللّغويّة، وإنْ كان أحدها يمكن استشفافه من التّعريف وهو (عدم احتقار اللّغات الوطنيّة) الّذي يوازي (الاعتزاز باللّغات الوطنيّة).

وقد تلى هذا الكتاب بعد عدّة سنوات مقال للأستاذ الباحث محمّد هتهوت، تحت عنوان "المواطنة اللّغويّة: نظرة في مسلك العربيّة وسُلوك أهلها" الصّادر ضمن العدد التّاسع لمجلّة دراسات لسانيّة، شهر جوان 2018، في الصّفحات المتواليّة بين 123-124، وهي الّتي يصدرها مخبر الدّراسات اللّسانيّة النّظريّة والتّطبيقيّة العربيّة والعامّة بجامعة البليدة (2). وقد وقف صاحبه من خلاله على تحديد مفهوم المواطنة اللّغويّة من دون إعطاء مفهوم حقيقيّ لهذا المصطلح، بعد أن عرّفه على أساس أنّه "مفهوم يُتدَاول في اللّسانيات الاجتماعيّة ووضعيات تماس اللّغات، يدلّ على انتماء جماعة لخصوصيّة ثقافيّة وإيديولوجيّة، ولعلّ -اليوم- من العوامل المثيرة لهذا المفهوم -على المستوى الدّولي- تلك العواصف اللّغويّة، لبعض اللّغات ذوات السّطوة العالميّة، وعلى رأسها الإنجليزيّة، فقد أضحت قطب جذب تتّجه الثّقافات والهويات إليه؛ فتنصهر فيه لتمكّنها من أسباب العلم والتّكنولوجيا والمال."[4] ليحمل بعده مقال آخر لباحث جزائريّ العنوان ذاته، ولكن بتغيير المصطلح من (المواطنة اللّغويّة) إلى (المواطنة اللّسانيّة) ضمن (المجلّة العربيّة) في عددها الخمسمئة واثني عشر (512) الصّادر شهر جانفي من هذا العام (2019) عن دار المجلّة العربيّة للنّشر والتّرجمة بالمملكة العربيّة السّعوديّة، من دون أن يقف على أيّ تحديد لمفهوم المواطنة اللّغويّة في هذا المقال.[5] ليلِي مجمل هذه الدّراسات فيما بعد هذا الملتقى الّذي ينظمه المجلس الأعلى للّغة العربيّة خلال هذا الشّهر من السّنة الجاريّة، احتفاء منه باليوم العالمي للعيش معا في سلام، تحت عنوان (المواطنة اللّغويّة ودورها في تعزيز سُبُل التّعايش السّلميّ بين اللّغات الوطنيّة في الجزائر) وهو ثاني من يحمل عنوانه هذا المصطلح بعد كتاب الأستاذ صالح بلعيد والمقالات المنشورة بعده، في محاولة منه الوقوف على المعنى الحقيقيّ للمواطنة اللّغويّة وعمله على غرس هذا المبدأ في المواطن الجزائريّ تجاه اللّغتين الوطنيّتين العربيّة والمازيغيّة، عن طريق مختلف المؤسّسات التّعليميّة، والإعلاميّة، والإداريّة، وحتّى الاقتصاديّة.

ثانيا- مبادئ المواطنة اللّغويّة: يَعتمِد مفهوم المواطنة اللّغويّة في المجتمعات الدّوليّة، على ثلاثة مبادئ أساسيّة، تحدّد المفهوم الحقيقيّ للمواطنة اللّغويّة، وتُعْتَمَدُ أساسا لقياس مدى ترسّخ هذا المبدأ في كلّ فرد من أفراد هذه المجتمعات، وهي الاعتزاز باللّغات الوطنيّة، والدّفاع عنها، والعمل على ترقيتها، ويأخذ كلّ مبدأ من هذه المبادئ بدوره مفهوما خاصّا به، وفقا لما يلي:

1- الاعتزاز باللّغات الوطنيّة: هو مصدر من فعل عزّ يَعُزُّ، وهو في اللّغة يدلّ على الشّدة والقوة ومن ذلك قوله تعالى: چ ٹ ٹ چ [يس: 14]. وهو في الاصطلاح يمكن عدّه يعبّر لدى الفرد في أي مجتمع من المجتمعات، عن ذلك الشّعور بالافتخار بالانتماء إلى هذه اللّغة أو تلك، بشكل يقوي فيه هذا الشّعور الثّقة في إمكانيّة تطويرها، واعتمادها في بناء مجتمع العلم والمعرفة، ومن ثمّة الإسهام في بناء الحضارة الإنسانيّة. ويُعَدُّ الاعتزاز باللّغات الوطنيّة أولى المبادئ الّتي تحدّد المعنى الحقيقيّ للمواطنة بشكل عامّ والمواطنة اللّغويّة بشكل خاصّ، لاعتماده على قوّة التّأثير الّتي تتميّز بها اللّغة في توجيه موقف الفرد من اللّغات الوطنيّة. وإذا كان الاعتزاز في اللّغة يدلّ على القوة، والشّدة، والغلبة، والرّفعة، والامتناع؛[6] فإنّ الاعتزاز باللّغة يشترك مع هذه المعاني في معنى الرّفعة، من حيث هو شعور بالافتخار بالانتماء إلى اللّغات الوطنيّة؛ باعتبارها رمزا للهويّة الوطنيّة، بشكل يجعل هذا الشّعور متبادلا بين جميع أبناء هذا الوطن أو ذاك تجاه جميع اللّغات الوطنيّة. فإذا تحقّق هذا الشّعور بهذه الصّفة عند جميع أبناء الوطن، فعندها يمكن أنْ ينطبق على أبنائه أحد مبادئ المواطنة اللّغويّة، وهو الاعتزاز باللّغات الوطنيّة الّذي يمكن أنْ يتجلّى في مختلف المؤسّسات الوطنيّة؛ بما فيها المؤسّسات التّعليميّة، والإعلاميّة، والاقتصاديّة أو في القوانين الرّدعيّة الّتي تَعتبِر أيّ مساس باللّغات الوطنيّة مساسا بالهويّة الوطنيّة لهذا المجتمع.

ويمكن تبرير دور هذا الشّعور في تعزيز مبدأ المواطنة اللّغويّة في المجتمع بانتقال دور اللّغات من الوظيفة الأساسيّة وهي التّواصل إلى الوظيفة السّياسيّة وهي التّحكّم في الشّعوب سياسيّا واقتصاديّا؛ بعد أنْ أضحت اللّغة في هذا العصر

مع الدّول الاستعماريّة والدّول الاقتصاديّة العظمى، وسيلة لوضع السّياسات وبناء الاقتصاد، انطلاقا من اعتمادها على ما يُسمَّى بالهيمنة اللّغويّة الّذي تراجعت معه مكانة اللّغات الوطنيّة في أوطانها، أو تزحزحت معه تلك الثّقة الّتي كان يمنحها أبناء اللّغة للغاتهم، بعد أنْ نزح ناطقوها إلى استخدام اللّغات الأجنبيّة على حساب اللّغات الوطنيّة، مثلما يحدث مع دول أفريقيا تجاه اللّغة الفرنسيّة، ودول آسيا تجاه اللّغة الإنجليزيّة؛ حيث تراجعت مكانة اللّغات الوطنيّة في هذه البلدان أمام بسط هاتين اللّغتين الأجنبيتين نفوذهما على حساب اللّغات الوطنيّة فيها. وهنا ينبغي التّأكيد على دور اللّغة في استمراريّة هذا النّفوذ، "بعد أن ْصارت فيه عاملا يوجّه مسارات السّياسة، والاقتصاد، ووسيلة تؤطّر فكر الأمم وثقافات الشّعوب، وأضحى للأمم والأفراد من المنازل والدّرجات، بقدر ما للغتهم من الوجود والحضور، وقد بات في حكم المعلوم الّذي لا يسع العاقل جهله، أنّ الحضور والبقاء في عالم اليوم مكفول لمن استجمع مقوّمات ذلك، وأنّ من فقدها وآثر عليها غيرها فمصيره الهزيمة والتّبعيّة، وتلك سنن الكون لا تحابي ضعيفا لعجزه، ولا تعادي مجدّا لعزمه. وتردّد تجارب الأمم والشّعوب أنّ اللّغة رهينة بأهلها، ترفع شأنهم بين الأنام إذا رفعوا شأنها، وتهوي بهم إلى واد سحيق إذا قعدوا عن الحفاظ عليها مقصّرين، وأنّ ممّا يجلب رفعة الأمم والشّعوب بلغاتهم، هو حضور الاعتزاز بتلك اللّغات بين أهلها، وأنّ من عوامل انتكاس أخرى، هو غياب ذلك الاعتزاز فيهم، إذ هو شعور يستوحي صاحبُه آثارَه من معانيه."[7]

وإنّ ما ينبغي التّنبيه إليه أوّلا في هذا المقام، هو أنّه لم يكن لهذه اللّغات هذا النّفوذ وتلك الهيمنة اللّغويّة على حساب اللّغات الوطنيّة، لولا تلك الثّورة التّكنولوجيّة في مجال والإعلام والاتّصال، الّتي فتحت المجال أمام اللّغة الإنجليزيّة خاصّة؛ لتبسط هيمنتها على حساب اللّغات الوطنيّة في أوطانها، بعد أن أضحت الوسيلة الوحيد لولوج هذا العلم من بابه الواسع، خاصّة ما تعلّق منه بمجال البرمجة الحاسوبيّة. وهنا ينبغي التّنبيه ثانيا في هذا المقام بالذّات، إلى أنّ الانفتاح على اللّغات الأجنبيّة، لا يجب أن يكون دائما وأبدا على حساب اللّغات الوطنيّة؛ بل

يجب أنْ يتم عن طريق استثمار هذه اللّغات في خدمة اللّغات الوطنيّة، واعتماد تعليمها وسيلة لا غاية.

2- الدّفاع عنها: يُعَدُّ الدّفاع عن اللّغات الوطنيّة ثاني المبادئ الّتي تجسِّد المفهوم الحقيقيّ للمواطنة اللّغويّة لدى الفرد أو المجتمع بصفة عامّة، وهذا باعتباره يلعب دورا مهمّا في محافظته على ما يُسمَّى بالأمن اللّغويّ داخل هذا المجتمع ويُقْصَدُ بالأمن اللّغويّ في هذا المقام، تأمين السّياسة اللّغويّة للبلد، كافّة الشروط الضّروريّة لممارسة مختلف اللّغات الوطنيّة وظائفها بشكل طبيعيّ، وهذا على اعتبار أنّ ما نسبته ستمئة (600) لغة فقط من أصل ستة آلاف (6000) لغة، في مأمن من التّهديد بالانقراض، [8] وأنّ ما نسبته مئتين وخمسين إلى ثلاث مئة (250-300) لغة، تموت سنويا، بفعل سرعة التّواصل والميل إلى استعمال اللّغات العالميّة الأكثر فاعليّة، أو ما يُسمَّى بالغزو الثّقافيّ أو اللّغويّ.[9] وعلى هذا الأساس يُعدّ الدّفاع عن اللّغات الوطنيّة مبدأ من مبادئ المواطنة اللّغويّة، وواجبا وطنيّا يقوم به الفرد تجاه لغاته الوطنيّة، بغض النّظر عن طبيعة متحدّثيها، وهذا باعتبارها رمزا للهويّة التّاريخيّة، أو الدّينيّة للوطن؛ وأنّ خسارة إحدى اللّغات الوطنيّة هو خسارة لهذا التّاريخ أو الدّين والإرث الحضاريّ الّذي تحمله. وإنّنا هنا إزّاء واجب إنسانيّ قبل أن يكون وطنيّا؛ وعليه فإنّه لزاما على كلّ فرد من أفراد هذا المجتمع ألا يتنكّر لمسؤوليته تجاه لغاته الوطنيّة، بدءا بلغته المنطوقة، وانتهاءً بلغة غيره من أبناء وطنه ممّن يشاركونه وحدة الوطن، والتّاريخ، والمصير المشترك.

وإذا كان الدّفاع أو الذّود عن الأوطان، تُجاه أيّ عدوان أجنبيّ يتمّ بالسّلاح وبذل النّفس والنّفيس؛ فإنّ الدّفاع عن اللّغة يكاد يضاهيه في هذه الأداة، لولا أنّه سياسة منتهجة وليس ردّا للعدوان؛ حيث يتمّ فيه التّصديّ لأيّ خطر يمكن أنْ يهدد أمن هذه اللّغات في أوطانها، حسب طبيعة هذا التّهديد. وهنا يمكن التّمييز بين نوعين من مهدّدات الأمن اللّغويّ، المهدّدات الدّاخليّة: ويُقصَد بها تلك الصّادرة عن جهات مُعيَّنة داخل الوطن، كتنصّل الجهات الحكوميّة في سياستها اللّغويّة من مسؤوليتها تجاه الاعتراف بوطنيّة هذه اللّغات، أو تعليمها، أو تطويرها. والمهدّدات الخارجيّة:

ويقصد بها الغزو اللّغويّ للغات العولمة عن طريق التّجارة، أو التّعليم، أو الإعلام مثلما يحدث في هذا العصر مع معظم اللّغات الوطنيّة في دول العالم، بعد أن استحوذت اللّغتان الإنجليزيّة والفرنسيّة على مكانتها في هذه الدّول. والنّوع والأوّل من مهددّات الأمن اللّغويّ يتمّ مواجهته بإشعار الحكومات بمسؤوليتها تجاه هذه اللّغات الوطنيّة، عن طريق تجنّد النّخبة مدعومة بممثلي الشّعب على مستوى هذه الحكومات، للقيام بهذا الواجب. أمّا النّوع الثّاني فيتمّ مواجهته بصناعة القرار السّياسيّ، وإنشاء المؤسّسات اللّغويّة الّتي من شأنها أنْ تحدّ من زحف تيار العولمة اللّغويّة، الّذي يتّجه بالعالم نحو ما يُسمَّى بالأحاديّة اللّغويّة أو القطبيّة اللّغويّة، مع إقصاء مقيت للغات الوطنيّة، من دورها في بناء الحضارة الإنسانيّة.

وتتجلّى مظاهر الدّفاع عن اللّغات الوطنيّة كمبدإ من مبادئ المواطنة اللّغويّة في المجتمعات الدّوليّة، من خلال حرص هذه المجتمعات على مراقبة السّياسة اللّغويّة المنتهجة من قبل حكوماتها تجاه هذه اللّغات، وكذا مدى احترام هذه المجتمعات للقوانين الدّاخليّة الخاصّة بحماية هذه اللّغات داخل أوطانها، وعملها الدّائم على ترقيتها باستمرار لمواجهة تحدّيات العصر؛ من خلال إيجاد مقابلات للألفاظ الأجنبيّة في هذه اللّغات الوطنيّة. وهنا يمكن أن نميّز في القيام بهذا الواجب تجاه اللّغات الوطنيّة بين ثلاثة أنواع من المجتمعات اللّغويّة؛ مجتمعات لغويّة ذات وعي عال بالمسؤوليّة الكبرى الموضوعة على عاتقها تجاه لغاتها الوطنيّة، كالولايات المتّحدة الأمريكيّة، وبعض من دول أوربا، وآسيا. ومجتمعات ذات وعي متوسّط بواجبها تجاه لغاتها الوطنيّة؛ حيث تهتمّ ببعض شؤون هذه اللّغات دون بعض كالاعتراف بوطنيّتها، أو تعليمها، ومن هذه المجتمعات دول شمال أفريقيا؛ بما فيها: ليبيا، وتونس، والجزائر، والمغرب، وموريتانيا. ومجتمعات ذات وعي متدنٍ مقارنة بالنّوعين الأوّلين، حيث لا تهتمّ بأي شأن من شؤون لغاتها الوطنيّة، وهو الحال مع بعض الدّول في جنوب أفريقيا.

3- العمل على ترقيتها: يُعَدُّ العمل على ترقيّة اللّغات الوطنيّة المبدأ الثّالث والأخير للمواطنة اللّغويّة وهو الذّي يحدّد بدوره المعنى الحقيقي لهذا النّوع من

المواطنة؛ باعتباره يلعب دورا مهما في محافظته على اللّغات الوطنيّة من الاندثار أمام طيّات الزّمن؛ فحينما يتحوّل أفراد مجتمع من المجتمعات اللّغويّة من مجرّد الاعتزاز باللّغات الوطنيّة والدّفاع عنها إلى العمل على ترقيتها، فعندها يمكن أن ينطبق على هذا المجتمع التّمتع بروح الحسّ بالمواطنة اللّغويّة بأتمّ معنى الكلمة وذلك باعتبار أنّ اللّغات الوطنيّة تظلّ دوما في حاجة إلى تطوير مستمرّ؛ نتيجة تغيّر متطلّبات الحياة باستمرار، وهنا تظلّ اللّغات الوطنيّة في حاجة مستمرّة إلى متحدّثيها من أبناء وطنها للعمل على ترقيّتها في مختلف مستوياتها اللّغويّة، معجما ونحوا، وصرفا، وتركيبا ودلالة، وإلاّ ظلّت هذه اللّغة حبيسة مقعدها لا تعبّر عن حاجات متكلّميها إلاّ بالقدر الّذي تستطيعه، ويكون عندها مآلها الموت بعامل الزّمن الّذي لن يمهلها حتّى تستعيد حيويتها؛ لأنّ أهلها عندها يكونون قد تغيّروا إلى لسان آخر أكثر قدرة على التّعبير عن متطلّبات العصر. ولنا في اللّغات الأفريقيّة على وجه التّحديد ألف عبرة ودليل، بعد أنْ بادت هذه اللّغات نتيجة عدم قدرتها على مواكبة ومسايرة التّطوّر العلميّ والتّكنولوجيّ الّذي تشهده البشريّة، ممّا قلّل من وظيفيتها في التّعامل بها في مختلف مجالات الحياة، وهكذا اندثرت مع آخر متحدّث بها "ففي بعض أجزاء غرب إفريقيا، حيث الإنجليزيّة والفرنسيّة، تجذبان أعدادا ضخمة من المتحدّثين الجدد؛ فإنّ العديد من اللّغات المحليّة أصبحت مهدّدة بالانقراض، بالرّغم من أنّ هذه اللّغات حاليا يتكلّمها مئات الآلاف من النّاس، وهذا ما يدعو النّاس إلى الدّهشة والاستغراب أن تكون لغات بهذه الأعداد الكبيرة من المتحدّثين بها، ومع ذلك تكون في نطاق الخطر."[10] وعلى هذا الأساس يمكن أن يتجلّى مبدأ العمل على ترقية اللّغات الوطنيّة في المجتمعات الدّوليّة –حفاظا على حياتها– في عدّة عناصر أساسية، تشمل: إنشاء المؤسّسات اللّغويّة، وصناعة المعاجم، ودعم التّرجمة، وتشجيع البحث العلميّ، واعتماد النّشر الإلكترونيّ وأخيرا توظيفها في مجال الإعلام.

1- إنشاء المؤسّسات اللّغويّة: يمكن بالنّظر إلى وظيفة المؤسّسات اللّغويّة تحديد دور هذه المؤسّسات في ترقية اللّغات الوطنيّة، والّتي من بينها المحافظة

على سلامة اللّغات، وجعلها وافية بمتطلّبات العصر وذلك بإنشاء المعاجم اللّغويّة والقواميس المصطلحيّة اللاّزمة في التّعبير عن متطلّبات العلوم والفنون والحياة العامّة، إلى جانب تهذيب الذّوق اللّغويّ بتصحيح العبارات اللاحنة أو الدّخيلة على اللّغة، وتقريب العاميّات من الفصحى أو اللّغة المعياريّة. وهنا يمكن اعتبار عدد المؤسّسات اللّغويّة في دولة ما دليلا على مدى اهتمامها بلغاتها الوطنيّة؛ حيث يمكن النّظر إلى هذه المؤسسات على أنّها رأس مال لغويّ يمكن استثماره في تطوير اللّغات الوطنيّة، خصوصا مع الثّورة العلميّة والتكنولوجيّة لهذا العصر، والتي استحال فيها على الجهود الفردية في إنشاء المعاجم اللّغويّة والقواميس المصطلحيّة أن تواكب هذه التّطور، فأضحى من اللاّزم الاستناد إلى الجهود المؤسّساتية لمواكبة مختلف التّطوّرات الحاصلة على مستوى العلوم ومختلف الفنون.

ولعلّنا هنا لا نقف على دور هذه المؤسّسات اللّغويّة بالنّسبة للّغات الوطنيّة، بقدر ما نقف على حظّها من هذه المؤسّسات، وكذا أهمّ إنجازاتها في خدمة هذه اللّغات وحمايتها، والّتي يمكن أنْ يُلاحظَ عليها التّفاوت في عدد هذه المؤسّسات، إلاّ أنّ بعضها نجح في ترقيّة هذه اللّغات وحمايتها من أيّ تهديد داخليّ أو خارجيّ رغمّ قلّتها بالنّسبة للّغة التي تشكّل موضوع اهتمامها، والبعض فشل لعدّة أسباب، بعضها يرتبط بنقص التّمويل المادّي من قبل الحكومات المشرفة على هذه المؤسّسات والبعض الآخر يرتبط بعدم القدرة على مواكبة الانفجار المعرفي للعلوم، وغيرها من الأسباب الّتي لا يتسع المجال لذكرها؛ لأنّ ما يهمّنا في هذا الموضوع هو مدى تمكّن هذه المؤسّسات من إحياء هذه اللّغات الوطنيّة الّتي تأخّرت عن مواكبة روح التّطور ممّا يمكن أنْ يمثّل لها مصدر تهديد، وهذا ما يضطرّها إلى إعادة النّظر في مشاريعها العلميّة الخاصّة بتطوير هذه اللّغات، خاصّة إذا علمنا أنّ بعض اللّغات تتوّفر على أزيد من ثلاثة عشر مؤسّسة لغويّة، إلا أنّها لم تستطع أنْ تساير التّطوّر العلميّ الّذي تسايره لغات وطنيّة أخرى هي أقل حظا منها في عدد هذه المؤسّسات مثلما توضّحه قائمة المؤسّسات اللّغويّة في العالم:[11]

اللغة	البلد	المؤسّسات اللّغويّة
أميس	جمهوريـــة الصـــين (تايوان)	مجلس الشعوب الأصلية
الأفريقية	جنوب أفريقيا	يموت تالكوميسي
اكان	غانا	لجنة علم الأكان الإملائي (AOC)
الألبانية	ألبانيـــــــــــــــا كوسوفو	أكاديمية العلوم في ألبانيا، تيرانا
عربي	جامعة الدول العربية	أكاديمية اللغة العربية (مجمع اللغة العربية) المجلس الدولي للغة العربية
	الجزائر	المجلس الاعلى للغة العربية في الجزائر
	مصر	أكاديمية اللغة العربية بالقاهرة
	العراق	أكاديمية العلوم العراقية
	الأردن	الأكاديمية الأردنية العربية
	ليبيا	أكاديمية اللغة العربية بالجماهيرية
	المغرب	أكاديمية اللغة العربية بالمغرب
	المملكـــــة العربيـــة السعودية	أكاديمية اللغة العربية بالرياض
	الصومال	أكاديمية اللغة العربية في مقديشو
	السودان	أكاديمية اللغة العربية في الخرطوم
	سوريا	أكاديمية اللغة العربية بدمشق
	تونس	مؤسسة بيت الحكمة
	فلسطين	أكاديمية اللغة العربية في فلسطين (مجمع اللغة العربية)
أراغون	أراغون	أكاديمية لاراجونيس، أراغون، إسبانيا

الأرميني	أرمينيا	الأكاديمية الوطنية الأرمينية للعلوم (Հայաստան)
الأسامية	أسام	آسام ساهيتي سبها (অসম সাহিত্য সভা)
الأسترية	أستورياس	أكاديمية اللغة الأستورية (أكاديمية لا لينغوا أستوريانا)
أذربيجان	أذربيجان إيران	أكاديمية أذربيجان الوطنية للعلوم
الباسكي	إقليم الباسك نافار إقليم الباسك الفرنسي	Euskaltzaindia، وغالبا ما تترجم *الأكاديمية الملكية للغة الباسك*
البيلاروسية	روسيا البيضاء	معهد جاكوب كولاس وجانكا كوبالا للغات والأدب [2] في الأكاديمية الوطنية للعلوم في بيلاروسيا
البنغالية (البنغالية)	بنغلاديش	الأكاديمية البنغالية (বাংলা একাডেমি)
	البنغال الغربية	باشيمبانجا بانجلا أكاديمي (পশ্চিমবঙ্গ বাংলা আকাদেমি)
البربرية	المغرب	المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية
	الجزائر	أوت كونسيل على الأمازيغية
		الأكاديمية الجزائرية للغة الأمازيغية
بيكول الوسطى	الفلبين	أكاديميا بيكولانا *البائد*
البوسنية	البوسنة والهرسك سنجق	جامعة سراييفو
البلغارية	بلغاريا	معهد اللغة البلغارية في الأكاديمية البلغارية للعلوم
البورمية	ميانمار	لجنة لغة ميانمار

الكاتالونية	كاتالونيا	معهد الدراسات الكاتالانية (*معهد الدراسات الكاتالونية*)
	مجتمع بلنسية	أكاديميا فالينسيانا دي لا لينجوا (المعايير فالنسيا)
السيبيونو	الفلبين	أكاديمية فيسيان للفنون والآداب (*أكاديمانج بيسايا*)
شيروكي	شيروكي نيشن	مجلس الأمة الشيروكي (GWƴƋ DβP)
الصينية القياسية	جمهورية الصين الشعبية	لجنة عمل لغة الولاية (国家 语言 文字 工作 委员会)
	جمهورية الصين (تايوان)	اللجنة الوطنية للغات (國語 推行 委員會)
	سنغافورة	تعزيز مجلس الماندرين (讲 华语 运动 理事会)
	ماليزيا	مجلس توحيد اللغة الصينية في ماليزيا (马来西亚 华语 规范 理事会)
كورنيش	كورنوال	شراكة لغة الكورنيش (*Keskowethyans an Taves Kernewek*)
الكرواتية	كرواتيا	معهد اللغة واللسانيات الكرواتية (*Institut za hrvatski jezik i jezikoslovlje*)
	البوسنة والهرسك	
تشيكي	جمهورية التشيك	معهد اللغة التشيكية (أكاديمية العلوم في جمهورية التشيك) (*Ústav pro jazyk český (Akademie věd České republiky)*)
دانماركي	الدنمارك	Dansk Sprognævn (مجلس اللغة الدنماركي)
Dalecarlian	مقاطعة دالارنا	أولوم دالسكا

الضاري	أفغانستان	أكاديمية العلوم في أفغانستان
المالديفية	جزر المالديف	أكاديمية ديفيهي
هولندي	هولندا بلجيكا سورينام	Nederlandse Taalunie (اتحاد اللغة الهولندية)
الزونخاية	بوتان	Dzongkha (لجنة التنمية)
الإستونية	استونيا	*Emakeele Seltsi* يضع *keeletoimkond* (مجلس اللغة في جمعية اللغة الأم) القواعد والمعايير، وتقدم المشورة الموثوقة من قبل معهد اللغة الإستونية (*Eesti Keele Instituut*)
جزر فارو	جزر صناعية	مجلس اللغة الفارسية (Málráðið)
الفلبينية	الفلبين	*Komisyon sa Wikang Filipino* (لجنة اللغة الفلبينية)
اللغة الفنلندية	فنلندا	معهد بحوث لغات فنلندا
الفرنسية	فرنسا	الأكاديمية الفرنسية (الأكاديمية الفرنسية)
	بلجيكا	أكاديمية رويال دي لونجو وإليتراتيج فرانسيز دي بيلجيك (الأكاديمية الملكية للغة الفرنسية وآدابها في بلجيكا)
	كيبيك	مكتب québécois de la langue française (مكتب كيبيك للغة الفرنسية)
الجاليكية	غاليسيا	الأكاديمية الملكية الجاليكية (*Real Academia Galega*)
الألمانية	ألمانيا النمسا	مجلس تقويم العظام الألماني (*Rat für deutsche Rechtschreibung*)

	سويسرا جنوب تيرول بلجيكا ليختنشتاين لوكسمبورغ	
غرينلاند	الأرض الخضراء	أمانة لغة جرينلاند (Oqaasileriffik)
الإغريقي	اليونان قبرص	مركز اللغة اليونانية
غواراني	باراغواي	أكاديمية غواراني للغات (غواراني ريه ريكافوي)
هاكا	جمهورية الصين (تايوان)	مجلس شؤون هاكا (客家委員會)
الكريولية الهايتية	هايتي	*أكاديمي كريبيل أييسين* (أكاديمية الكريول الهايتية)
الهندية	الهند	المديرية الهندية الوسطى (تنظم استخدام سيناريو ديفاناغاري والتهجئة الهندية في الهند)
Hmar	الهند	Hmar Literature Society (مانيبور، الهند) [*بحاجة لمصدر*]
الهنغارية	اليونان	معهد بحوث اللغويات التابع لأكاديمية العلوم *المجرية* (*Magyar Tudományos Akadémia Nyelvtudományi Intézete*)
أيسلندي	أيسلندا	nirni Magnússon Institute for Icelandic Studies
الإيبو	نيجيريا	جمعية لتعزيز اللغة والثقافة الإيبو
الأندونيسية	أندونيسيا	وكالة تنمية وتعزيز اللغة (*بادان بينجمبانجان دان بيمبينان باهاسا*)
الأيرلندية	أيرلندا	Foras na Gaeilge

	إيرلندا الشمالية	
الإيطالية	إيطاليا سان مارينو سويسرا مدينة الفاتيكان	أكاديمية ديلا كروزكا (*أكاديمية النخالة*)
اليابانية	اليابان	لا يوجد تنظيم مركزي رسمي، ولكن لوائح *الأمر الواقع من* قبل وكالة الشؤون الثقافية (庁 庁) في وزارة التعليم في اليابان (文 部 科学 省)
الكانادا	كارناتاكا	مختلف الأكاديميات وحكومة ولاية كارناتاكا
الكاشبايان	بولندا	لجنة اللغة الكاشوبية [1]
الكازاخية	كازاخستان	وزارة الثقافة في كازاخستان
الخمير	كمبوديا	الأكاديمية الملكية لكمبوديا (រាជបណ្ឌិត្យសភាកម្ពុជា)
الكورية	كوريا الجنوبية	المعهد الوطني للغة الكورية (국립 국어원 / 國立 國語 院)
	كوريا الشمالية	معهد بحوث اللغات، أكاديمية العلوم الاجتماعية (사회 과학원 어학 연구소 / 社會 科學院 語 學 研究所)
	جمهورية الصين الشعبية	لجنة تنظيم اللغة الكورية الصينية (중국 조선어 규범 위원회 / 中国 朝鲜语 规范 委员会)
Kven	النرويج	معهد Kainun – معهد kvensk
قيرغيزستان	قرغيزستان	اللجنة الوطنية للغة الدولة برئاسة رئيس جمهورية قيرغيزستان
لاتينية	الكرسي الرسولي	الأكاديمية البابوية للاتينية (*Pontificia*

		Academia Latinitatis) (الكنسية اللاتينية)
		المدونة الدولية للتسميات النباتية (الصادرة عن الرابطة الدولية لتصنيف النبات : اللاتينية النباتية)
		المدونة الدولية للتسميات في علم الحيوان (اللجنة الدولية للتسميات في علم الحيوان : علم الحيوان اللاتيني)
اللاتفية	لاتفيا	مركز اللغات في لاتفيا (Valsts Valodas Centrs)
اللتوانية	ليتوانيا	لجنة اللغة الليتوانية
Lusoga	أوغندا	هيئة لغة لوسوجا (LULA)
لغة الملايو	ماليزيا	ديوان باهاسا دان بوستاكا (معهد اللغة والأدب)
	بروناي	ديوان باهاسا دان بوستاكا بروناي (مكتب الأدب واللغة)
المالايالامية	ولاية كيرالا	ولاية كيرالا Akademi Sahitya (കേരള സാഹിത്യ പരിശീലന സ്ഥാപനം) وحكومة ولاية كيرالا
المالطية	مالطا	المجلس الوطني للغة المالطية (www.kunsilltalmalti.gov.mt)
مانكس	جزيرة آيل أوف مان	كونسيل نيويورك جيلجي
الماوري	نيوزيلندا	لجنة اللغة الماورية
الميراندیز	البرتغال	Anstituto de la Lhéngua Mirandesa (معهد اللغة Mirandese)
الميكستيك	المكسيك	أكاديمية لغة *Mixtec* (*Ve Tueun Sávi*)
خالخه المنغولية	منغوليا	مجلس لغة الدولة الرسمية

شاخار المنغولية	جمهورية الصين الشعبية	مجلس العمل اللغوي والأدبي
النيبالية	نيبال	أكاديمية اللغة في نيبال
النرويجية (ريكسمال/ بوكمال)	النرويج	الأكاديمية النرويجية
النرويجية Bokmål نينورسك النرويجي	النرويج	مجلس اللغة النرويجية
الأوكيتانية	قسطانية فرنسا إسبانيا موناكو إيطاليا	Lo Congrès Permanent de la lenga occitana (*المؤتمر الدائم للغة الأوكيتانية*) [2] معهد الاستوديس أرانيزي (Aranese) [5] Conselh de la Lenga Occitana
الباشتو	أفغانستان	أكاديمية العلوم في أفغانستان
	باكستان	أكاديمية البشتو
اللغة الفارسية	إيران طاجيكستان أفغانستان أوزبكستان	أكاديمية اللغة الفارسية وآدابها (فرهنگستان زبان و ادب فارسی)
Paiwan	جمهورية الصين (تايوان)	مجلس الشعوب الأصلية
البولندي	بولندا	مجلس اللغة البولندية (*Rada Języka Polskiego*)، من أكاديمية العلوم البولندية
البرتغالية	البرتغال	Academia das Ciências de Lisboa، Classe de Letras

	البرازيل	أكاديمية برازيليرا دي ليتراس (الأكاديمية الأدبية البرازيلية)
	غاليسيا	الأكاديمية الجاليكية للغة البرتغالية (Academia Galega da Lingua Portuguesa)
الكيشوا	بيرو	الأكاديمية العليا للغة الكيشوا (*Qheswa simi hamut'ana kuraq suntur*)
روماني	رومانيا	معهد اللغويات الأكاديمية الرومانية (معهد اللغويات في الأكاديمية الرومانية)
	مولدوفا	Academia de Ştiinţe a Moldovei
الروسية	الإمبراطورية الروسية	الأكاديمية الروسية (1783–1841)
	روسيا	معهد اللغة الروسية التابع لأكاديمية العلوم الروسية (منذ عام 1944)
الاسكتلنديين	أسكتلندا	يدعم مركز اللغة الأسكتلندية لغة الأسكتلندية. [6] تقوم قواميس اللغة الاسكتلندية بتسجيل وتحليل اللغة كما يتم التحدث بها وكتابتها في جميع أنحاء اسكتلندا وأولستر اليوم. [7]
Secwepemctsín	كندا	Stk'wemiple7s re Secwepemctsin، هي مجموعة من الأشخاص تدعمهم جمعية Secwepemc للتربية الثقافية الذين يقومون بتطوير كلمات جديدة.
الصربية والجبل الأسود	صربيا الجبل الأسود	مجلس توحيد اللغة الصربية
السندية	باكستان	سلطة اللغة السندية [3]
السنهالية	سيريلانكا	හෙළ හවුල (هيلا هافولا)

السلوفاكية	سلوفاكيا	دودتوفيتر معهد اللغويات (*Jazykovedný ústav Ľudovíta útúra*) في أكاديمية العلوم السلوفاكية (*Slovenská akadémia vied*)
السلوفينية	سلوفينيا	الأكاديمية السلوفينية للعلوم والفنون
الصومالية	جيبوتي أثيوبيا الصومال	الأكاديمية الإقليمية للغات الصومالية
الصربية	ألمانيا جمهورية التشيك بولندا	معهد صربسكي [4]
الإسبانية	إسبانيا كولومبيا الإكوادور المكسيك السلفادور فنزويلا تشيلي بيرو غواتيمالا كوستا ريكا الفلبين بنما كوبا باراغواي بوليفيا جمهورية الدومنيكان نيكاراغوا الأرجنتين	Asociación de Academias de la Lengua Española (تتشكل من أكاديمية Real Academia Española بالإضافة إلى 22 أكاديمية وطنية منفصلة أخرى في العالم الناطق بالإسبانية ولجنة مقرها إسرائيل لليهودايو الإسبانية).

	أوروغواي هندوراس بورتوريكو الولايات المتحدة الامريكانية غينيا الإستوائية إسرائيل	
السواحلية	تنزانيا	برازا لا كيسواهيلي لا الطائف
	كينيا	شاما تشا Kiswahili تشا الطائف
اللغة السويدية	السويد	مجلس اللغة السويدية (شبه رسمي) الأكاديمية السويدية
	فنلندا	قسم اللغة السويدية بمعهد أبحاث لغات فنلندا (*Svenska språkbyrån*)
التاميل	تاميل نادو	جامعة ثانجافور تاميل واللجنة الرسمية لحكومة تاميل نادو
	سيريلانكا	قسم اللغات الرسمية، سريلانكا
التايوانية هوكين	جمهورية الصين (تايوان)	وزارة التعليم (تايوان)
تتارية	تتارستان	معهد اللغة والأدب والفنون التابع لأكاديمية العلوم بجمهورية تتارستان [5]
التيلجو	ولاية اندرا براديش وتيلانجانا	أكاديمية التيلجو واللجنة الرسمية لحكومة ولاية أندرا براديش
التيتم	تيمور الشرقية	المعهد الوطني للسانيات بالجامعة الوطنية لتيمور الشرقية
التايلاندية	تايلاند	الجمعية الملكية في تايلاند (ราชบัณฑิต ย สภา)
التبتية	منطقة التبت ذاتية	لجنة شؤون اللغة التبتية [6]

	الحكم	
	الهند	لجنة توحيد اللغة التبتية
اللغة التركية	ديـــــك رومـــــي قبـــــــــــــرص شمال قبرص	جمعية اللغة التركية
الأوكرانية	أوكرانيا	NASU معهد اللغة الأوكرانية
الأردية	باكستان	الهيئة القومية للغات، باكستان
	الهند	المجلس الوطني لتعزيز اللغة الأردية، الهند
أورهوبو	نيجيريا	جمعية دراسات أورهوبو
Võro	استونيا	معهد Võro
الواراي	الفلبين	Sanghiran san Binisaya ha Samar ug Leyte) Academy of Visayan (Language of Samar and Leyte)
تهرب من دفـــع الرهان	ويلز	مفـــوض اللغـــة الويلزيـــة (Meri Huws) – حكومـــــــــــــة ويلـــــــــــــز سابقًا (مجلس اللغة الويلزية *Bwrdd yr Iaith Gymraeg*)
الفريزية الغربية	فريسلاند	فريسك أكاديمى (الأكاديمية الفريزية)
الولوف	السنغال	مركز علم اللغويات في داكار (مركز اللغويات التطبيقية في داكار في جامعة الشيخ أنتا ديوب)
اليديشية	الولايـــات المتحـــدة الامريكانيـــــــــــــة الســـــــــــــويد روسيا	YIVO
اليوروبا	نيجيريا	أكاديميّة يوروبا

2- صناعة المعاجم: تُعَدُّ صناعة المعاجم والمعاجم الإلكترونيّة خاصّة في عصرنا الحالي من الأمور الأساسيّة في مجال ترقية اللّغات الوطنيّة، وذلك لأنّها تعمل على جمع مفردات اللّغة وحمايتها من الضّياع إلى جانب تمكين مستخدميها من فهم طبيعة اللّغة الّتي كُتِبت بها مختلف النّصوص اللّغويّة، وتحديثها باستمرار كلّما استدعت الحاجة لذلك؛ ممّا يجعلنا نصطلح على هذا النّوع من المعاجم بالبنوك اللّغويّة/ المصطلحيّة حسب طبيعة المجال الّذي توظّف فيه هذه المعاجم، وهو إمّا شرح المعنى اللّغويّ للفظ، أو شرح معناه الاصطلاحيّ؛ وذلك لأنّ المعاجم الإلكترونيّة أكثر قدرة من المعاجم الورقيّة على احتواء ألفاظ اللّغة ومعانيها، زيادة على أنّها أكثر اقتصادا وأقلّ تكلفة، مقارنة بالمعاجم الورقيّة الّتي تستلزم الطّباعة والنّشر وغيرها من مستلزمات التّسويق. وإذا ما تحدّثنا عن اللّغات الحيّة ونصيبها من هذه المعاجم وجدنا الإنجليزيّة في المرتبة الأولى تليها الفرنسيّة، ثمّ العربيّة، ثم الإسبانيّة، ثمّ الألمانيّة، ثمّ، البرتغاليّة، ثمّ الهولنديّة، ثمّ الرّوسيّة، ثمّ الإيطاليّة.[12] وهذه اللّغات العالميّة أو الّتي تتّجه نحو العالميّة، بدورها هي الأكثر حظّا في اعتماد هذا النّوع من المعاجم، أمّا إذا ما جئنا إلى مختلف اللّغات الوطنيّة في مختلف دول العالم فإنّ حظها في هذا النّوع من المعاجم، يكاد يكون قليلا إنْ لم نقل منعدما، مع أنّ هذا النّوع من المعاجم يتيح للّغات الوطنيّة في مختلف دول العالم كما يتيح لهذه اللّغات العالميّة، فرصة تطوير معجمها اللّغويّ باستمرار، أمام إمكانيّة تحديثها باستمرار.

3- دعم التّرجمة: إذا كان للمعاجم دور مهمّ في الحفاظ على اللّغات الوطنيّة من الاندثار أمام طيّات الزّمن فإنّ للتّرجمة دور مهم في زيادة عمر هذه اللّغات، أو إمكانية صمودها أو بقائها على قيد الحياة لمدّة أطول باعتبارها وسيطا ثانيا بين اللّغة والمعرفة بعد البحث العلميّ، وهنا لا تقتصر وظيفة التّرجمة على نقل المعرفة من اللّغة المصدر إلى اللّغة الهدف فحسب، بل تتجاوزه إلى زيادة عدد ألفاظ اللّغة أمام حاجتها المستمرّة في التّعبير عما استجدّ من معاني، وذلك باعتبار أنّ التّرجمة دوما تستلزم البحث عن ألفاظ جديدة في التّعبير عما استجدّ من معاني، وهكذا

تحافظ اللّغة على حياتها باستمرار، لأنّه بقدر ترجمتنا لمختلف النّصوص اللّغويّة بقدر ما نضيف إلى لغاتنا ألفاظا جديدة، وبالتّالي حياة جديدة؛ لأنّ المترجم هنا دوما في حالة بحث مستمرّ عن الألفاظ لِمَا استجدّ من معاني على مستوى النّصوص المُترجَمة، وبالتّالي يتحوّل عمله من مترجم إلى معجميّ، مع العلم أنّ المعجميّ وظيفته الجمع والتّنصيف والشّرح لا غير. ويمكن هنا التّركيز في دور التّرجمة بالنّسبة لحياة اللّغة على التّرجمة الآليّة، من حيث هي أكثر قدرة وأفضل سرعة في نقل النّصوص المترجمة من التّرجمة اليدويّة، وبالتّالي نسبة إضافة الألفاظ إلى اللّغة المستهدفة بالتّرجمة أعلى وأسرع منها في التّرجمة اليدويّة. وإنّنا هنا إزّاء تحدّ كبير يواجه اللّغات الوطنيّة في مختلف دول العالم وبخاصّة تلك الّتي تواجه مشكلة ما مع برامج الحاسوب: كصعوبة التّعرّف الآليّ على الحروف، أو تحديد المعنى الدّلاليّ للكلمات، وقلّة المصطلحات، وغيرها من المشاكل الّتي قد تقف عائقا أمام نجاح التّرجمة الآليّة مئة بالمئة كما هو معروف مع اللّغات الحيّة الأخرى. ومع هذا فإنّ هذا لا يقلّل من عمل التّرجمة في تطوير اللّغات ومحافظتها على استمراريتها عبر أجيال متلاحقة، أمام حاجتها إلى مواكبة التّطوّرات التّكنولوجيّة الحاصلة في مجال الإعلام والاتّصال، خصوصا مع تيار العولمة الجارف الّذي يهدد أمن هذه اللّغات في أوطانها، أو موت اللّغات الّذي يهدّد العديد من اللّغات الحيّة في هذه الأوطان، بله الحديث عن اللّغات الآيلة للزّوال.

4- تشجيع البحث العلميّ: يُعتَبر البحث العلميّ على مرّ التّاريخ من أهمّ الوسائل الّتي تعمل على ترقيّة اللّغات الوطنيّة وتطويرها؛ بل لا يكاد يضاهيه في هذه الوظيفة أيّ وسيلة من الوسائل السّابقة أو اللاّحقة، وهذا باعتبار أنّ البحث العلميّ يعمل على تطوير نتائج العلم باستمرار، والّتي بدورها تحتاج بالضّرورة إلى ما يعبّر عن هذه النّتائج من ألفاظ أو مصطلحات علميّة، ممّا يمكن اللّغة من تحديث نفسها كذلك باستمرار وآليا. وهنا لا يُعَدُّ بهذا تغييب اللّغات الوطنيّة أو إقصاؤها من المشاركة في البحث العلميّ وإنتاج المعرفة، وأُدًا لها في عقر دارها

فحسب؛ بلْ يعدّ بمثابة إقصاء للفرد داخل وطنه من الإسهام في بناء هـذا الـوطن ومن ثمّة المشاركة في بناء الحضارة الإنسانيّة.

5- اعتماد النّشر الإلكترونيّ: يُعَدُّ كذلك النّشر الإلكترونيّ إحدى أهمّ الوسـائل المعاصرة في تطوير اللّغات الوطنيّة وترقيتها؛ باعتبـاره وسـيلة لتسـريع نقـل المعلومات أمام حاجة المجتمعات إليها، وتعدّ المعرفة العلمية إحـدى المعلومـات الأساسيّة الّتي يحتاجها المجتمع باستمرار، وعلى هذا الأساس فاللّغة التي تدعم هذا النّوع من نشر المعرفة هي لغة سريعة الانتشار، وانتشارها يزيد من كثرة المقبلين عليها، وبالتّالي زيادة عدد مستخدميها قراءة أو كتابة أو ترجمة منها أو إليها علـى مستوى البحث العلميّ، الذي من شأنه أن يعمل تطويرها تبعا لتطور نتائج البحـث فيه. ويعبر كلّ هذا عن علاقات اسـتلزاميّة بالمصـطلح الرّياضـيّ بـين النّشـر الإلكترونيّ، والعلم، واللّغة، والتّطوّر؛ باعتبار أنّ كلا واحد منهما يستلزم الذي قبله أو الذي يليه.

6- توظيفها في مجال الإعلام: لا يمكن التّشكيك فـي قـدرة الإعـلام علـى النّهوض باللّغات الوطنيّة وترقيتها، في هذا العصر الذي تتسـارع فيـه الأحـداث وتحتاج فيه بالضّرورة إلى ألفاظ جديدة تعبّر عنها والّتي نجد فيها الإعلاميّ يسابق الزّمن في استحداثها ترجمة، أو اشتقاقا، أو تعريبا (بالنسّبة للّغة العربيّة) مسـتعينا في بعض الأحيان بما تؤمّنه له المؤسّسات اللّغويّة من أدلّة وظيفيّة علـى مسـتوى اللّغة الإعلاميّة، وفي أحيان كثيرة على الارتجال في استحداث هذه المصـطلحات. وهنا يمكن التّشييد بدور هذه المؤسّسة في تطوير العديـد مـن اللّغـات الوطنيّـة وترقيتها، خاصّة في البلدان المستعمرة الّتي تراجعت فيهـا لغاتهـا مـن النّاحيـة الوظيفيّة، ولم تعد تستخدم إلا في حدود ضيّقة: كالتّعبد، وتعليم الدّيانات، من خـلال المقارنة بين تاريخين مختلفين لكلٍّ من اللّغتين العربيّة والعبريّـة، قبـل ولوجهمـا مجال الإعلام في العصر الحديث. واللّتين كان الفضل فيهما للإعـلام فـي نقـل وظيفيّتهما من حدود التّعبّد أو تعليم الدّيانة الإسلاميّة بالنّسبة للعربيّة أو تعليم الدّيانة اليهوديّة بالنّسبة للعبريّة، إلى مجالات مختلفة كالتّعليم، والإدارة، والبحث العلميّ بعـد

أنْ أخّرت الأولى الحملات الصّليبيّة والحروب المغوليّة عن ركب التّطـوّر والثّانيـة عدم الاستقرار السّياسيّ في المجتمع النّاطق بالعبريّة.

ثالثا- المواطنة اللّغويّة ودورها في التّصدّي للغزو اللّغويّ للغات العولمة: يُقْصَد بالغزو اللّغويّ للغات العولمة أو ما يُسمَّى بالعولمة اللّغويّـة، ذلـك الامتـداد غيـر الطّبيعيّ للغة من لغات العالم، على حساب اللّغات الوطنيّة. ويجد هـذا النّـوع مـن الغزو طريقه إلى المجتمعات اللّغويّة عن طريق التّعلـيم والتّجـارة بشـكل طبيعـيّ والاستعمار بشكل غير طبيعيّ؛ حيث تتدخّل القوّة في فرض هذه اللّغـات. وتتحـوّل لغات العولمة مع هذه الأدوات من مجرّد وسيلة لتحصيل المعرفة أو تسجيل العقـود التّجاريّة أو تسيير الشّؤون الدّاخليّة مع المستعمر إلى أداة للسّيطرة وبسط النّفوذ على اللّغات الوطنيّة في هذه المجتمعات. وأكثر هذه المجتمعات اللّغويّة عرضة لهذا النّوع من الغزو، المجتمعات الموسومة بالتّعدّد. ومن مخاطر هذا الغزو على المجتمعـات اللّغويّة بصفة عامّة، ما يلي:

1- خلق الصّراع اللّغويّ داخل هذه المجتمعات بشكل يجعلها تعيش حالـة مـن الحروب اللّغويّة والصّراعات الدّاخليّة.

2- خلق تعدّد لغويّ مصطنع داخل هذه المجتمعات بشكل يجعلها تعيش بهويـات متعدّدة، بدل هويّة واحدة أو هويّات حقيقيّة.

3- تغييب لغاتها الوطنيّة من المشاركة في بناء الحضارة الإنسانيّة، عن طريـق إقصائها من ممارسة التّعليم، وهو ما يعد بمثابة إقصاء الجنس البشريّ النّاطق بهـذه اللّغات من الإسهام في بناء هذه الحضارة.

4- زعزعة الثّقة في هذه المجتمعات اللّغويّة تجاه لغاتها الوطنيّة، فـي إمكانيـة تطويرها واعتمادها في بناء مجتمع العلم والمعرفة.

5- ذوبان اللّغات الوطنيّة لهذه المجتمعات في هذه اللّغات العالميّة (لغات العولمة) بشكل يجعلها تتحوّل من لغة إلى لهجة أو لهجات محليّة يغلب عليها الهجين اللّغويّ.

6- رفع تكلفة التّعليم في هذه المجتمعات، على اعتبار أنّ التّعليم بلغة أجنبيّة بـدل اللّغة الوطنيّة يفرض على المجتمع المرور بمرحلتين (مرحلة تعلّم اللّغة الأجنبيّة ثـمّ

مرحلة تعلّم المعرفة) وعادة ما تضيع الجهود التّعليميّة في المرحلة الأولى من التّعليم دون أن تتجاوزها إلى المرحلة الثّانيّة.

7- خلق الطّبقيّة بين مختلف أفراد المجتمع في غياب لغة وطنيّة توحّد فرص التّعليم بين مختلف أفراد هذه المجتمعات.

8- فرض نمط التّبعيّة اللّغويّة ومن ثمّة التّبعيّة العلميّة على هذه المجتمعات بشكل يجعلها تابعة لا مستقلّة داخل أوطانها.

9- استنزاف العقول البشريّة من أوطانها الأصليّة إلى أوطانها البديلة، مع حاجة هذه المجتمعات إلى عقولها في مختلف مجالات الحياة العلميّة والعمليّة.

10- القضاء على التّراث الحضاريّ للإنسان في اتّجاه العولمة اللّغويّة نحو توحيد العالم لغويّا.

وإذا كانت هذه الموضوعات تشكّل مجمل مخاطر الغزو اللّغويّ للغات العولمة على المجتمعات اللّغويّة، والموسومة منها بالتّعدّد اللّغويّ بشكل خاصّ، فإنّه من دون شكّ تصبح مبادئ المواطنة اللّغويّة، بما فيها الاعتزاز باللّغات الوطنيّة والدّفاع عنها، والعمل على ترقيتها، وحدها الكفيلة بردّ هذا الغزو وحماية هذه اللّغات الوطنيّة داخل أوطانها، بشكل يجعلها في مأمن من أيّ تهديد داخليّ أو خارجيّ، ويضمن لها ممارسة وظيفتها داخل هذه الأوطان بشكل طبيعيّ، تحقيقا لِمَا يُسمَّى بالأمن اللّغويّ الّذي هو هدف كلّ سياسة لغويّة منتهجة من قبل الحكومات في أيّ مجتمع من المجتمعات.

خاتمة: تناول هذا المقال مفهوم المواطنة اللّغويّة في المجتمعات الأحاديّة أو الموسومة بالتّعدّد، وأهمّ المبادئ الّتي يقوم عليها مفهومها في هذه المجتمعات اللّغويّة وهذا باعتبارها مبدأ من المبادئ الّتي تتبنى عليها حياة هذه المجتمعات، أو تعمل على تحقيق التّعايش السّلميّ بينها، ومن جملة النّتائج المتوصّل إليها ما يلي:

- يستند مفهوم المواطنة اللّغويّة في مختلف المجتمعات اللّغويّة على ثلاثة مبادئ أساسيّة، تشمل الاعتزاز باللّغات الوطنيّة، والدّفاع عنها، والعمل على ترقيّتها.

– يأخذ مفهوم الاعتزاز باللّغات الوطنيّة كمبدإ أوّل من مبادئ المواطنة اللّغويّة من ذلك الشّعور بالافتخار بالانتماء إلى مختلف اللّغات الوطنيّة، بشكل يقوي فيه هذا الشعور الثقة لدى المواطنين بإمكانية تطوير هذه اللّغات واستخدامها في جميع مجالات الحياة.

– يأخذ مفهوم الدّفاع عن اللّغات الوطنيّة كمبدإ ثانٍ من مبادئ المواطنة اللّغويّة من تلك النّخوة على هذه اللّغات الوطنية، بشكل يتحوّل فيه المواطن إلى شخصية وطنيّة تصدّ كلّ عدوان داخلي أو خارجيّ تجاه هذه اللّغات.

– يأخذ مفهوم العمل على ترقيّة اللّغات الوطنيّة كمبدإ ثالث وأخير من مبادئ المواطنة اللّغويّة، من تسخير مختلف الوسائل الممكنة في سبيل تطوير المعجم اللّغويّ لهذه اللّغات بشكل تكون فيه قادرة باستمرار على التّعبير عن مستجدّات العصر وتشمل هذه الوسائل: إنشاء المؤسّسات اللّغويّة، صناعة المعاجم، دعم التّرجمة والتّرجمة الآليّة خاصّة، تشجيع البحث العلميّ، واعتماد النّشر الإلكترونيّ وأخيرا توظيف اللّغة في مجال الإعلام.

– يمكن اعتماد هذه المبادئ الثّلاثة (الاعتزاز باللّغات الوطنيّة، الدّفاع عنها العمل على ترقيتها) في قياس مدى ترسّخ مبدأ المواطنة اللّغويّة في أيّ مجتمع من المجتمعات اللّغوية.

– تتجلّى مخاطر الغزو اللّغويّ للغات العولمة أو العولمة اللّغويّة على المجتمعات اللّغويّة في عدّة مظاهر أخطرها: القضاء على التّراث الحضاريّ للإنسان، وتغييب مشاركته في بناء الحضارة الإنسانيّة.

– تبقى مبادئ المواطنة اللّغويّة الثّلاث؛ بما فيها الاعتزاز باللّغات الوطنيّة والدّفاع عنها، والعمل على ترقيتها، وحدها الكفيلة بتحقيق الأمن اللّغويّ على مستوى هذه المجتمعات، وردّ الاعتبار إلى الإرث الحضاريّ للإنسان، ومساهمته في بناء الحضارة الإنسانيّة.

قائمة المصادر والمراجع:

[1]- أحمد مختار عمر، معجم اللّغة العربيّة المعاصرة، ط1. عالم الكتب، القاهرة: 2008، مادّة (وطن).

[2]- صالح بلعيد، في المواطنة اللّغويّة وأشياء أخرى...، ط1. الجزائر: 2001، دار هومة ص19.

[3]- المرجع نفسه، ص19.

[4]- محمّد هتهوت "المواطنة اللّغويّة: نظرة في مسلك العربيّة وسُلوك أهلها" مجلّة دراسات لسانيّة مخبر الدّراسات اللّسانيّة النّظريّة والتّطبيقيّة العربيّة والعامّة بجامعة البليدة، الجزائر: 2018 ص124-143.

[5]- ينظر: إسماعيل بوزيديّ "المواطنة اللّسانيّة" المجلّة العربيّة، دار المجلّة العربيّة للنّشر والتّرجمة، المملكة العربيّة السّعوديّة: 2019. تمت الزّيارة في: 09-05-2019، على الرّابط: http://www.arabicmagazine.com/arabic/articleDetails.aspx?Id=6605

[6]- أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم بن علي ابن منظور، لسان العرب، ط3. بيروت: 1414، دار صادر، ج5، مادّة (عزز).

[7]- عبد الحفيظ شريف "الاعتزاز باللّغة؛ أثر الحضور وخطر الغياب" عمل جماعيّ حول العربيّة في خطر، دط. الجزائر: 2013، منشورات مخبر الممارسات اللّغويّة في الجزائر، ص48.

[8]- ينظر: ديفيد كريستال، موت اللّغة، تر: فهد بن مسعد اللّهيبيّ، المملكة العربيّة السّعوديّة: دت جامعة تبوك، مقدّمة الكاتب.

[9]- شبكة فولتير "انقراض اللّغة العربيّة خلال القَرن الحاليّ.. الدّكتور علي القاسمي" تم نشره 08 مارس 2017، تاريخ الزّيارة: 10-05-2019، على الرّابط

]https://www.voltairenet.org/article145997.html.[

[10]- ينظر: ديفيد كريستال، موت اللّغة، مقدّمة الكاتب.

[11]- Wikipedia " List of language regulators"

[https://en.wikipedia.org/wiki/List_of_language_regulators] date: 05-06-2019.

[12]- يمكن أن ينظر في هذا إلى: علي القاسميّ "بنوك المصطلحات: أسسها، وأنواعها واستعمالاتها" تمت الزّيارة يوم: 11-05-2019، على الرّابط [http://www.arabacademy.gov.sy/uploads/conferences/conference3/6.pdf].

أهميّة التعدديّة اللّغويّة
في تعزيز قيم التعايش السّلمي بين الأفراد

د/ العربي بوعمران بوعلام

د/ عيوش نعيمة

ج. خميس مليانة

مقدمة: تعتبر اللغات أقوى عامل للتبادل الحضاري والتعايش السلمي بين الشعوب، واحدى رموز الهوية والمواطنة لدى المجتمعات، كما وتعد جسرا هاما في التواصل والتفاهم مع الآخر، إلا انه نتيجة لتداخل الثقافات والسرعة الهائلة في زيادة المعرفة بكل اللغات وتطور وسائل الاتصال وتلاشي الحدود تراجعت فكرة انغلاقية الفرد على لغته وفرضت التعددية اللغوية نفسها لتصبح رافدا مهما للتعايش السلمي، إلا ان هذا المفهوم وإن اكتسح الركح العالمي مازال يركن في زاوية ضيقة ضمن الرقعة الواحدة.

لذا لا بد ان نسعى للوصول بالتعدد اللغوي إلى مرحلة المشاركة والتفاعل الخلاق، الذي يضفي نوعا من الوحدة القادرة على تجميع مختلف الاطراف المتباينة، وبالتالي يضبط مفهومه ضمن إطار المواطنة حتى لا يحدث تفكك للهوية والدولة.

الهدف من هذا البحث هو تنمية الوعي بالتعدد اللغوي ضمن الدولة الواحدة وترسيخ لفكرة المواطنة اللغوية تحت شعار" **اللغات كثيرة والهوية واحدة** " سنحاول من خلال هذه الدراسة ان نجيب عن مجموعة من التساؤلات من بينها:

- ما المقصود بالتعدد اللغوي؟ ما هي ابعاده وأثاره الثقافية والاجتماعية؟

- هل يمكن الاكتفاء بالأحادية اللغوية واستبعاد لغات الاقليات التي هي في طريق الزوال والاندثار؟
- هل هناك بنود و مواثيق تدعم التعدد اللغوي؟
- كيف يمكننا استخدام العديد من اللغات مع المحافظة على هويتنا اللغوية؟
- ما المقصود بصراع اللغات؟ ولماذا للهيمنة اللغوية؟

مفهوم التعدد اللغوي: يقصد بالتعدد اللغوي استعمال الشخص الواحد لعدة لغات، ويرى آخرون بأن مصطلح التعدد اللغوي يعني وجود عدة لغات تتعايش داخل مجتمع معين، كما أن تعدد الالسن آية من آيات الله عز وجل الدالة على قدرته وعظمته وذلك لقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴾(22).

هناك العديد من البنود والمواثيق العالمية التي نصت على التعددية اللغوية وارتبطت بالقدرة على استخدام عدة لغات، مما يسهم في تيسير التواصل بين أفراد ينتمون إلى ثقافات مختلفة، وتمارس تعددية اللغات اليوم في الكثير من مدارس العالم حيث تجعل أهداف التربية الوطنية التماسك الاجتماعي، من اولويات الاستثمار الوطني في التربية والتعليم، وتعتبر السياسات اللغوية التي تساند تعددية اللغات وتعلم اللغات، واللغات المعرضة للخطر أداة لا غنى عنها لتحقيق واستدامة التنوع الثقافي على المدى الطويل، وبالتالي فإن ضمان استمرار قدرة لغات العالم على البقاء مرهون بضرورة حماية التنوع اللغوي والترويج لتعددية اللغات ووضع سياسات تعمل على التنسيق بين جميع اللغات دون استبعاد أي لغة.[1]

إن ما يؤيد أهمية التعدد اللغوي هو النهضة الحضارية التي شهدها العرب اثناء انفتاحهم على الحضارة اليونانية والفارسية، حيث تم نقل مختلف العلوم والمعارف من اللغة اليونانية إلى العربية عن طريق الترجمة، فأتقنوا اللغة الفارسية والهندية واليونانية فاغرقوا العالم من الصين إلى الاندلس بعلومهم، فكان ذلك ثراء للحضارة العربية والعالمية، ولم يؤثر ذلك البتة سلبا على اللغة العربية.

إن التعدد اللغوي الذي عرفته الحضارة العربية كان مرتبطًا بالعديد من القيم من بينها مبدأ التسامح بين سائر البشر، واحترام الاختلافات الموجـــودة بـــين الأفـــراد سواء في الدين أم اللغة أم العرق أم لون البشرة وهنـــاك العديـــد مـــن النصـــوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تنص على ذلك، إضافة إلى فكرة تقبل لغة الآخـــر وعدم المفاضلة بين اللغات، كون ان اللغات في الدين الاسلامي كلها متساوية، على اعتبار أنها تؤدي غرضا واحدا وهو التبليغ والتواصل وذلك لقوله تعـــالى:(**ومـــا أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم)** ابراهيم (04)، لذا فإن قبول التعـــدد اللغوي يسمح لنا بالانفتاح على الآخر وتوطيد العلاقات الانسانية، كما يسهم في نقل المعارف والخبرات بين الشعوب وتطويرها وبالتالي تدعيم الصـــرح الحضـــاري والانساني.

إن التعددية اللغوية ثروة ينبغي الحرص عليها، إذا كانت تـــدور حـــول اللغـــة القطب، ولا تزاحمها أو تنزع عنها وظيفتها الجامعة، وقد كان هذا شـــأن العـــرب والمسلمين في عصرهم الزاهر، فقد كانت مجامع العلم من ثنـــائي وثلاثـــي اللغـــة وإتقان اللغات الأخرى هو الذي مكنهم من نقل تراثها وتوطينه بالعربية الفصـــحى المشتركة واوصلوه إلى أروبا بعد أن أضافوا إليه الكثير، وصنعوا بـــذلك حداثـــة عصرهم بالتفوق في الكثير من العلوم[2].

تؤكد الدراسات السوسيو لسانية أن التعدد اللغوي واقع لا مفر منه، حيث أنه من الصعب عد جميع اللغات المنطوقة على وجه البسيطة، فباعتبار انه هنـــاك 5000 لغة موزعة على 200 دولة فهذا يعطينا معدلا بـــ 25 لغة بكل بلد، مما يوضح أن الوضع الأكثر شيوعا هو التعدد اللغوي وأنه لا وجود لدولة أحادية اللغـــة[3]، إلا ان اللغات تختلف من حيث الوظيفة التي تؤديها والدور الاجتماعي وحدود انتشـــارها فبعض اللغات تستعمل على نطاق جد واسع واخرى تستعمل ضـــمن نطـــاق جـــد محدود.

نحن بلا شك في حاجة إلى اتقان لغات البلدان المتقدمة، والاستفادة من ذخائرها في العلوم والفنون والتكنولوجيات، لتدارك الفجوة التي تفصلنا عنها ووضع تخطيط

وسياسة للغات الأجنبية... وتساعد على نقل المفيد والجيد من تراثها العلمي والأدبي الذي يتزايد بسرعة هائلة[4].

الهيمنة اللغوية: تعتبر اللغة مكونا أساسيا للمجتمعات الانسانية، باعتبارها اداة للتواصل بين افراد المجتمع الواحد ومقوم مهم من مقومات الهوية فهي بمثابة أداة توحيد للمجتمع، لما تنهض به من ادوار تواصلية وثقافية ومعرفية وتاريخية وحضارية تضمن ترابطه وتماسكه وانسجامه واستمراره، وتنظم العلاقة بين أفراده كونها تعد جزءًا من السلوك الانساني[5] .

كلنا نتفق حول اهمية التعدد اللغوي في كونه ثراء لسانيا وثقافيا كما انه يشجع قيم التعايش بين الشعوب البشرية وتصبح اللغات بذلك هدفها الاسمى هو تحقيق التواصل والتبليغ، إلا ان هذا التداخل بين اللغات قد ينجم عنه نوع من التضارب والتنافس من اجل فرض الهيمنة، وبالتالي الصراع ليس فقط بين اللغات وإنما بين الدول والجماعات وحتى الاقليات، كون أن اللغة هي رمز من رموز نشأة كل دولة، إضافة إلى انها ترتبط بهوية الافراد وثقافتهم.

إن ما يغذي الهيمنة اللغوية هو الصراع بين اللغات وعدم تكافئها في المكانة وتوزيع الأدوار غير العادل فيما بينها وتفضيل احداها على البقية، يعطيها نوعا من الهيمنة والاسبقية، ولعل ذلك عائد إلى العديد من الاسباب كسيطرة بعض الدول على الاقتصاد العالمي، والصناعات التكنولوجية الحديثة الرائجة في العالم والتحكم في المؤسسات والهيئات الدولية وكذا الاعلامية والبرامج التعليمية، هذا ما تؤدي إلى استبعاد العديد من اللغات وانحصارها في التواصل بين أفراد الجماعة المتمسكين بالهوية اللغوية الثقافية.

فالهدف من الهيمنة اللغوية ليس استبعاد اللغات بقدر ما هو محاولة لفرض الأحادية اللغوية، في مختلف المجالات وقد ظهرت العديد من المجهودات التي سعت الى تقرير الأحادية اللغوية من خلال طرح العديد من الافكار التي تدعمها مثل: الثقافة العالمية، العولمة، التعايش السلمي، التسامح بين شعوب العالم، القرية الكونية، الى جانب هذا الصراع المستهدف ضد اللغات نجد نصرة بعض القضايا

وهي الحقوق اللغوية للأقليات التي افرزت العديد من النزاعات ضمن نطاق الدولة الواحدة فبعضها نجح في سياسة لغوية تعمل على التوفيق بين اللغة الرسمية ولغة الاقليات، وبعضها عجزت في ارضاء مختلف الطوائف فتبقى رهينة الصراعات والحروب.

كما تعزى أسباب الهيمنة اللغوية إلى تفكك العلاقة بين الفرد ولغته الأصل واستعماله للغة اخرى مما يدفع الجماعة نحو اتخاذ الاجراءات للحفاظ على الهوية اللغوية، بحثا عن الحماية وهذا ما يجعل اللغة تنغلق على ذاتها وتحتفظ بخصوصيتها وتنبذ التواصل مع اللغات الاخرى ، مما يؤدي إلى تراجعها خوفا من خوض الصراع القائم بين اللغات.

إن النزاع بين اللغات تتعدد اسبابه فقد ترتبط اللغة بالمعتقد فيكون النزاع نتيجة لصراع الديانات، فيما بينها كما قد ترتبط بثقافة او جماعة محددة وهذا ما نجده في صراع الاقليات ضمن الدولة الواحدة، ولعل هذه النزاعات كلها تعود الى انعدام ثقافة التعايش السلمي بين المجموعات البشرية، وبالتالي لا تشكل اللغات بحد ذاتها مصدر النزاع إلا عندما يحولها الناس إلى وسيلة لرفض التعاون المتبادل ولا تتحول اللغات في منطقة ما إلى مصدر للنزاع إلا على يد الناطقين بها، وما دام التواصل بين الناس ذوي اللغات والثقافات المتعددة يقوم على الاستعداد للتعاون فإن اللغات المعنية سرعان ما تجد لنفسها قنوات للتجانس الوظيفي، إن تعدد اللغات في منطقة ما يصبح قادرا على أداء وظيفته شريطة التعامل العقلاني مع هذه اللغات من قبل الناطقين بها"[6].

فالصراع اللغوي مرتبط بالسياسة اللغوية التي تنتهجها الدول فقد تمارس بعضها ضغوطا على لغة الاقليات واستبعادها وتفضيل لغة الاغلبية هذا ما يؤدي إلى نشوب النزاعات.

لطالما اعتبرت حالة احادية اللسان في بعض المجتمعات إلى وقت قريب الحالة الطبيعية التي يجب أن تسود داخلها، أما التعدد اللساني فنظر إليه دوما على أنه حالة اختلال الأمر الذي خلق حالات احتقان في هذه المجتمعات، بالنظر إلى أن بعض المجموعات اللغوية رأت في اعتماد الدول أو المجتمعات التي تعيش فيها ضربا من

تهميشها ومساسا بهويتها والأكثر من ذلك عدم الاعتراف بوجودها، هنـــاك مجتمعـــات كثيرة لم تعالج هذه الظاهرة بطرق تضمن التعايش بين المجموعات داخـــل المجتمـــع الواحد.[7]

إن المطالبة باحترام التعددية اللغوية لا يدخل ضمن نطاق احترام الحقـــوق اللغويـــة للأقليات، وانما يستلزم كذلك رفض فكرة الهيمنة العالمية واللغة السائدة وفـــتح المجـــال امام جميع اللغات في مختلف المجالات، وهذا لا يكون بالمواثيق الدولية فحسب وانمـــا بسعي الدول الى فرض نفسها اقتصاديا سواء في مجال التكنولوجيا والصناعة والتجارة العالمية وحتى سياسيا وثقافيا.

التعدد اللغوي والهويـــة: لكل فرد من أفراد المجتمع هوية شخصية واجتماعية تحدد انتمائه إلى جماعة معينة وعلى هذا الأساس يصنف الأفراد والجماعات أنفســـهم علـــى اعتبار أن الهوية هي مجموعة من الخصائص والملامح التي تتكون منها الشخصـــية المتميزة لشعب من الشعوب[8]، ويظهر مفهوم الهوية بشكل جلي عندما تتعرض جماعة ما للاستبعاد والاستقواء فإنها تنتفض محدثة ردا عنيفا للحفاظ على هويتها الوطنيـــة أو القومية فترفض تلك الجماعة اختراق سيادتها وطعن كرامتها، وتعبر عن ذلك الـــرفض بالتشبث بلغتها وثقافتها ونجد ذات الأمر يتعلق بالأقليات ضمن نطاق الدولة الواحدة.

فالعلاقة بين الهوية واللغة هي علاقة تفاعلية إذ ليست اللغة أداة للتعبير فحسب ولا وسيلة للتواصل بين الأفراد، ولا شأنا من شؤون العلم والثقافة والتدريس ولكنهـــا شـــأن من شؤون الهوية والأمن القومي والسيادة الوطنية والاســـتقرار الاجتمـــاعي والنفســـي حيث اللغة مؤلف رئيسي من مؤلفات الهوية في كل المجتمعات.

فعلى الرغم من العديد من الاشكاليات اللغوية التي يطرحها عالمنا اليـــوم كالهيمنـــة اللغوية، والعولمة، والصراع بين اللغات، إلا أن هناك العديـــد مـــن اللغـــات تبقـــى مرتبطة بالجماعات البشرية، محافظة بذلك على كينونتها وتسعى للتكيف مع مختلـــف التغيرات، كما وتؤدي اللغات دورا هاما ووضع الحـــدود بـــين مختلـــف الجماعـــات البشرية، وبالتالي اللغات تناضل من أجل البقاء شأنها في ذلك شأن مختلف الأنواع في الطبيعة فهناك العديد من اللغات المهيمنة التي تفرض نفســـها علـــى حســـاب اللغـــات

الأخرى مما يؤدي إلى اندثار وزوال العديد منها وكثيرا ما نجد استبعاد لغة الاقليات وممارسة نوع من الاستقواء عليها، مما يؤدي إلى نشوب النزاعات والصراعات فاللغة أحيانا تكون عاملا مثيرا للصراعات الثقافية والعرقية، كما قد تصبح عاملا مشجّعا على الاستقرار والوحدة عندما تصبح مشتركة بين الافراد، ما يساعد على خلق نوع من الثقافة القومية المشتركة، وفي المقابل فمن الصعوبة بمكان خلق ثقافة قومية موحدة، دون أن تكون هناك وحدة في اللغة بين أفراد التجمع البشري، ومن شأن التجانس اللغوي أن يهيئ لخلق نوع من التجانس الثقافي.[9]

إن تنشيط اللغة مرهون في المقام الأول بعودة الأفراد إلى تأكيد هويتهم الثقافية ويمكن لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات الجديدة أن تؤثر إيجابا على جهود التنشيط هذه.

إن هذا التداخل بين اللغة والهوية جعلنا امام مصطلح جديد وهو الهوية اللغوية والتي اصبحت تحيل إلى ذلك الرابط التواصلي الذي يربط الفرد أو الجماعة بلغة بعينها، وهي شعور الفرد بالانتماء إلى جماعة كلامية ووعيه بهذا الانتماء وبالعلاقة التي تربطه بلغة الجماعة ويعبر عن هذا الانتماء بالعديد من الأشكال نذكرها فيما يلي:

- **الاستعمال:** إن استعمال الأفراد للغة في تواصلهم يعتبر شكلا من أشكال التعبير عن الهوية اللغوية ، فأهمية لغة معينة في السياق اللساني الاجتماعي لا تنتج من قيمتها اللغوية الداخلية من وحداتها الصرفية وتراكيبها النحوية – على الرغم من اهمية هذا الجانب في تكوين اللغات – بقدر ما تنتج من وظيفتها باعتبارها أداة للتواصل.

- **الاكتساب:** نقصد بالاكتساب الحرص على تلقين اللغة للأبناء، ونقلها للأجيال من خلال إتقان مختلف المهارات اللغوية، وتعزيز الملكة اللسانية لدى الافراد وصونها من اللحن والخطأ.

- **التمكين اللغوي:** ونقصد به سعي الأفراد إلى ترقية لغتهم وتطويرها ووضع مكانة مميزة لها بين اللغات، ومجاراتها للعولمة ومختلف التكنولوجيات المستحدثة.

التعدد اللغوي والتعايش السلمي: نقصد بالتعايش اللغوي هو العيش المشترك للغات والقبول بالتنوع اللغوي ضمن اطار المجتمع الواحد، وان كان التعايش بمفهومه الواسع

يشمل كل لغات العالم كونه اصبح ضرورة ملحة في ظل النمو المتسارع لبعض اللغات على حساب اخرى نتيجة العولمة، هذا ما ادى الى ضرورة كفاح الشعوب من أجل الحفاظ على لغاتها وحفظ ثقافتها وتراثها وحاليا الحروب الأهلية والعرقية وصراعات الهوية هي التحديات التي تواجه التعايش اللغوي القائم.

التعدد اللغوي والعولمة: تجمع الدراسات اليوم على اندثار نسبة كبيرة من لغات العالم في الأعوام المقبلة ، بالمقابل نجد نموا لمجموعة من اللغات المهيمنة على العالم والتي ترتبط بالعولمة والتي نجدها أكثر انتشارا كاللغة الانجليزية.

كما وقد تعرضت لغات مجتمعات كثيرة للتشتت في مختلف أنحاء العالم، نتيجة الهجرة سواء بحثا عن العمل، أم اللجوء السياسي، أم للسياحة، وعادة ما يرتبط سبب تراجع اللغات بالتوسع الاستعماري، وكلنا نعلم الهدف الاساسي للسياسة الاستعمارية القائم على فرض لغتها ومعتقداتها وعاداتها وتقاليدها إلى جانب استنزاف ثرواتها على الدول المستعمرة ، لازالت العديد من الدول تعاني من تعددية اللغات التي خلفها المستعمر على اراضيها حتى بعد استقلالها واكبر دليل على ذلك الاستعمار الفرنسي للدول الافريقية، والاستعمار البريطاني للدول الآسيوية، اذ خلف لغة اجنبية في جل المرافق العمومية دون أن ينص الدستور على ترسيمها أو دسترتها كما هو الحال في الجزائر هناك العديد من الوثائق الرسمية تكتب باللغة الفرنسية.

إن هذا الارتباط بين اللغة والمكان أسهم في إيجاد تنوع وتعدد لغوي، كما تتميز بخليط من الاستعمالات تطرح من خلالها العديد من القضايا كالتداخل اللغوي والازدواجية اللغوية، بالإضافة إلى ذلك تسهم الشبكات الالكترونية ومواقع الانترنيت ومختلف تكنولوجيات الاتصال والمعلومات في خلق العديد من أشكال التواصل اللغوي، ترتبط بهويات ثقافية جديدة تعيد رسم الحدود اللغوية لدى الجماعات.

لقد خلفت العولمة تنافسا في مختلف المجالات، اعطت فيه الحظوة للأقوى مما فرض نوعًا من الهيمنة الاقتصادية والسياسية والفكرية والثقافية، مما استلزم على الشعوب الكفاح من أجل الحفاظ على كينونتها وتعد اللغات هي الاكثر عرضة للاندثار والتراجع، كون ان اللغة ترتبط بمختلف مناحي الحياة البشرية.

لابد من فسح المجال امام جميع لغات العالم، واحترام التعددية اللغوية كونها تسهم في حوار الحضارات ونقل المعارف والخبرات.

خرجنا في الاخير بالعديد من التوصيات الهامة من بينها:

- يمكن أن تتعايش مجموعات لغوية متعددة في تناغم وانسجام تام ضمن اطار الدولة الواحدة فتتلاشى بذلك التفرقة العنصرية.
- التعدد اللغوي يشير إلى تعدد توجهات الافراد داخل المجتمع الواحد لديهم لغات متنوعة، ولكنهم في الوقت ذاته يكيف هذا التعدد داخل الوحدة التي تشكل في النهاية الهوية الوطنية لهذا المجتمع.
- ينبغي تنفيذ سياسات لغوية وطنية تهدف في آن واحد إلى صون التنوع اللغوي والترويج للكفاءات متعددة اللغات.
- إتاحة المجال حسب الاقتضاء لتعلم لغات الأقليات إلى جانب اللغة الأم داخل المجتمع الواحد.
- ترسيخ الاعتداد بالمكونات الهوياتية التي تشكل شخصية كل جماعة كيانها والسعي للحفاظ على مقوماتها الثقافية وعلى رأسها اللغة,
- نشر الوعي لدى الجماعات اللغوية لتجنب الانغلاق حول الذات والاعتداد بمقوماتها مما يؤدي إلى عدم تقبل الآخر ونشوب النزاعات.
- اللجوء الى اللغة الجامعة في البلد الواحد ذي التعددية اللسانية.

خاتمة: يعكس التعدد اللغوي صورة من صور التلاحم والتعايش بين لغات العالم منذ أمد بعيد إلا انه حاليا اصبح قضية العصر نظرا لارتباطه بالعديد من القضايا كالعولمة والتنوع الثقافي والهوية والمواطنة وحقوق الأقليات، ونتيجة للتنافس القائم بين اللغات كان لا بد من السعي لتحقيق التوازن بين اللغات الرائجة ولغات الاقليات كون ان جميع اللغات متساوية تخدم هدفا واحدا وهو التواصل بين الافراد.

المراجع:

[1] منظمة اليونسكو/ موجز تنفيذي لتقرير اليونسكو العالمي في التنوع الثقافي والحوار بين الثقافات 2009.

[2] محمد العربي ولد خليفة، التعدد اللساني واللغة الجامعة، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزء 01، 2014، ص 07.

[3] التعدد اللساني واللغة الجامعة ، المجلس الأعلى للغة العربية،2014 ، ص190.

[4]محمد العربي ولد خليفة، التعدد اللساني واللغة الجامعة، ص 08.

[5] التعدد اللساني واللغة الجامعة ، المجلس الأعلى للغة العربية،2014 ، ص200.

[6] هارلد هارمان، تاريخ اللغات ومستقبلها، ترجمة: سامي شمعون، المجلس الوطني للثقافة والفنون، قطر، 2006، ص 49.

[7] التعدد اللساني واللغة الجامعة، المجلس الاعلى للغة العربية، 2014،ص 798/ 799.

[8] نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، عالم المعرفة، الكويت، 2001، ص 227.

[9] احمد وهبان، الصراعات العرقية واستقرار العالم المعاصر، أليكس لتكنولوجيا المعلومات،الاسكندرية،2007،ط1، ص65.

الوعي بالتاريخ والمواطنة اللّغوية

د. العيد علاّوي، أستاذ محاضر "أ"

م.ج. نور البشير- البيض

ملخص: يعدّ "**الجهل بالتاريخ**" أحد التحدّيات التي تواجه المواطنة اللّغويّة وتهدد الوحدة والتّعايش السلمي بين الأفراد، فالتّفكير يجعلني أذهب إلى أن "**الوعي بالتّاريخ**" و"**دراسته وتلقيه**" من مصادره الصحيحة يمدّان المجتمعات بقوة وصلابة تجعل العلاقات متينة، وتمكّن الأفراد من العيش في سلام وأمن.

سأستعرض في هذه الدّراسة نماذج من دراسات تعلقت بتاريخ شعوب وأمم تعايشت؛ ارتضى بعضها الدّين الإسلامي وحافظ على لغته غير العربية، وارتضى بعضها الآخر اللّغة العربيّة في ظلّ التنوع الديني (مسلمين، مسحيين، أقباط) وآثر بعضها أن يخصص موروثه الثّقافي للبحث والدّارسة من قبل الأكاديميين في الجامعات.

وعليه تروم هذه الدّراسة الكشف عن دور التاريخ في إرساء دعائم المواطنة اللّغوية والتّعايش في ظلّ السلام، وسأطرح بعض الإشكالات التي تؤرقني منها: أن الملاحظة واستقراء الواقع يدفعاني إلى أن المازيغية ملك لعموم الجزائريين، فبعض المناطق اليوم لا تتحدث المازيغية، إلا أن تتبّع ألفاظ أجيالها الأولى يضعنا أمام كم هائل من الألفاظ المتّصلة بالمازيغية، تستدعي الاستقراء والاستقصاء والدّراسة ويدفعني هذا إلى الإشادة بالجهد المبذول من قبل الأستاذ عثمان سعدي الذي اجتهد في البحث عن جذور المازيغية في العربيّة من خلال كتابيه(أعلام عروبية مغاربية... ومعجم جذور الأمازيغيّة في العربيّة).

1- **مقدمة:** ظلت فكرة الكتابة في هذا الموضوع تراودني منذ أن درّست مقياس تاريخ الحضارات لطلبة السنة الأولى علوم إنسانية، وازداد الحماس لها يوم أن اطّلعت على ورقة التّعريف بالملتقى الوطني "المواطنة اللّغوية ودورها في تعزيز سبل التّعايش السّلمي بين اللّغات الوطنيّة في الجزائر" (احتفاءً باليوم العالمي

للعيش معا في سلام)، وازداد أكثر بعد أن شاهدت هذه الأيام في مواقع التواصل الاجتماعي منشورا بدا لي أنه لا يخدم المصلحة الوطنية في شيء.

فقد نشر أحدهم بتاريخ 11ماي 2019 صورة بها ثلاث صور لليد اليسرى الأولى تشير إلى أنه إذا كان البنصر أطول من السبابة، فأصل صاحب اليد أمازيغي، والثانية تشير إلى أنه إذا كانت السبابة أطول من البنصر، فأصل صاحب اليد عربي، والثالثة تشير إلى أنه إذا تساوى البنصر مع السبابة في الطول، فأصل صاحب اليد عثماني، والغريب أن الصورة صُدّرت بعبارة "سبحان الله".

يجعلني هذا أطرح جملة من التساؤلات: لمِ هذه المنشورات في مثل هذا الوقت؟ ما الجدوى من نشرها؟ وهل تستند إلى دليل علمي؟

وقد عرضت على زميل لي في التاريخ الوسيط الاشتراك معي في هذا العمل حتى تكون ثمرته أفضل إلا أن حاله الصحي حال دون ذلك، وأنا الآخر مرضت وكاد مرضي أن يحول دون كتابة هذه الأسطر، وبهذين السببين لم تبلغ الدراسة الهدف المتوقع، والمأمول أن تطرح نقاشا أو تثير أفكارا أو تحرك عقولا وأقلاما.

2- فائدة التاريخ: دراسة التاريخ ليست ترفا فكريا، وعرض الروايات والأخبار ليس الغرض منه الترويح على النفس وإدخال البهجة على المجالس فحسب؛ بل إن التاريخ والوعي به يعود بفائدة على الأفراد والمجتمعات" **فالتاريخ ذاكرة الأمم والشعوب، ومن فقد ذاكرته عاش تائها لا يعرف إلى أين يتّجه والتاريخ الإسمنت الحضاري بين الأجيال مهما تباعدت في الزمن**"[1]

وفي هذا السياق أكّد لحسن سرياك على أن " **مسألة التاريخ لا تعني فقط الجوانب النفعية وطموحات الهيئات الحاكمة الوطنية، فلمعرفة التاريخ وظيفة"وطنية" أعمق بكثير: فهي تسهم في إثراء وتخصيب مكونات شخصية كل مواطن والوعي الفردي بالذات وبعظمة شعبه وأمته التاريخية** "[2]

ولقد تتبع الدارسون فوائد التاريخ، ومن ذلك ما أورده عبد الكريم إبراهيم دوحان، فإضافة إلى أن التاريخ مما يتجمل به الإنسان في المجالس والمحافل فيتطلع الجالسون إلى محاسن الأخبار لتكون رياضة لعقولهم وتذكرة لقلوبهم

فالتاريخ مفيد أيضا للسياسيين وللمشتغلين في الوظائف الحكومية، ومساعد على تفهم الأحداث العامة والشؤون المعاصرة، ودافع لاعتزاز المواطن بوطنه وأمته وهو من أهم مقومات الشخصية الوطنية والقومية، ومرسخ للوحدة الوطنية. [3]

والذي ننطلق منه ههنا أن التاريخ من مقومات الشخصية الوطنية ومرسخ للوحدة الوطنية، ويقودني هذا إلى أن أستعرض بعض جهود المؤرخين الجزائريين في الحفاظ على الهوية الثقافية[4] للجزائريين، وتلك الجهود كثيرة واستقراؤها والنظر فيها ومناقشتها وتقييمها يحتاج إلى وقت، وحري أن تضطلع به هيئات ومؤسسات.

ففي قراءة عابرة للعصرين العربي والبربري من كتاب" **تاريخ الجزائر في القديم والحديث** " لـ **مبارك بن محمد الميلي** سجّلت أن بعض الألفاظ ينبغي أن تقرأ بنية حسنة، لا أن يوقف عندها وتستثمر في إذكاء صراعات وهمية لا جدوى منها، ومن تلك الألفاظ مثلا: (غزا العرب الشمال الإفريقي... وأخضعوا البربر لإمارتهم) [5]

فيبدو لي ههنا أنه لا ينبغي لنا أن نقف عند حدود الألفاظ التي قد لا تحيل إلى مراد سيء دائما، ولعل الذي يؤكد هذا الزعم ما جاء في الكتاب من معاني الامتزاج الحضاري بين التركيبتين وقيم التعايش، ومن ذلك قوله:" **في القرن الخامس الهجري انقطع سلطان العرب على الجزائر، وقد كان جنسهم ينقطع تبعا لسلطانهم لولا نزوح الهلاليين، وأبى الله إلا أن يستوطن العرب شمال إفريقيا ويبقوا جيرانا للبربر إخوانهم في الدين، والدين أمتن رابطة**"[6]

– وقوله:"**عرف العرب أساتذة ماهرين مخلصين لا فاتحين غالبين يسوسونهم بالعسف ويسومونهم سوء العذاب ثم يمنون عليهم بأنهم تعبوا في تمدينهم أو يملكون عليهم أراضيهم ثم يسبونهم بأنهم لا يحسنون تعميرها**".[7] ويبطل هذا ما جاء في بعض المصادر وما نقلته بعض الأخبار، فقد نقل **لحسن سرياك** أن عقبة بن نافع حين اتّجه من طنجة إلى سوس الأدنى جنوبا، وهاجم الأمازيغ بعناد وغطرسة مذهلتين؛ نفّذ مجزرة في حقّهم، واستحوذ على نسائهم المعروفات

بجمالهن، وروي أن إحداهن من بناتهم بيعت في الشرق بثمن ألف قطعة ذهبية. ونبّه الدارس(لحسن سرياك) مشكورا إلى أن هذا الخبر ينبغي أن يُوضع في سياقه التاريخي؛ ذلك أن المؤلفين آنذاك كانوا يميلون إلى المبالغة في سرد الأحداث والظروف. [8]

– ومن أقوال الإيجابية البانية **للميلي** التي تؤكد حسن قصده، قوله أيضا: "**وفي القرن الخامس استقل البربر بوطنهم من غير كفران لفضل العرب...** "[9]

– وقوله: "**وكان عصر الموحدين هو شباب العصر البربري، اتحد فيه سكان المغرب تحت راية واحدة، وبلغوا من حسن الإدارة وانتشار المعارف ورقي الحضارة مبلغا عظيما...**" [10]

– وقوله: " **وقد شاء الله أن يكون للعرب وجود جنسي في عصر البربر السياسي، كما كان للبربر وجود جنسي في عصر العرب السياسي، غير أن بين الوجودين فرقا، فإن العرب مؤثرون في البربر في العصر العربي سياسيا ودينيا وفي العصر البربري اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا أيضا**"[11]

– وقوله:" ومن قبائل البربر وبطونهم ماله **فروع في بقية المغرب، ومنها ما ينتسب في العرب القحطانيين أو العدنانيين انتسابا دعا إليه حب العرب لا ثقة الرواية بالنسب** "[12]

وبالمقابل أدعو الكتاب والمؤرخين إلى تهذيب ألفاظهم في الكتابة حتى لا تكون مدخلا لخلق صراعات لا أساس لها ولا طاقة لنا بها، فلا ضير أن تَحُل لفظة (حلّ أو استوطن) محل لفظة(غزا)، وما الضير في استبدال عبارة(وأخضعوا البربر) بعبارة (واندمج البربر).

استوقفني كذلك الجواب الحضاري الواعي الراشد المرشد لـ**محمد الصغير غانم** عن السؤال الجوهري طرحه وهو: "من نحن؟"، فقد أجاب بقوله: نحن حنشيون وتغنيفيون وهوجاريون –صحراويون وعاتريون ومويلحيون وقفصيون ومشتويون وبحر متوسطيون وليبيون ونوميديون ومزالمة أوراسيون وإفريقيون وموريتانيون وجيتوليبيون وباربار وبربر أمازيغ... [13]

وطرح جملة تساؤلات بعد عرض هذا الموزايك الإثنيني العرقي المتداخل يُفهم منها أنه من الصعب البت في أصول كل جماعة منا، وليس بالإمكان اللجوء إلى علم التشريح والمخابر المتقدمة لفكّ اللّغز المحيّر الذي اسمه **الهوية العرقية** التي اعتبرها ضالة ومضللة (من حيث إنها لا تعود بفائدة ولا ينبني عليها عمل ولا تتأسس عليها نهضة أو حضارة)، وأحد هذه التساؤلات يوجّهنا إلى أن نوكل أمرنا إلى التراكم الحضاري الذي مرّ بنا والرقعة الجغرافية الواحدة...

وما من شك أنه استقى رؤيته هذه من تاريخ بعض الأمم، فقد أوضح" **أن الأمم التي فتحت الحوار حول هويتها الثقافية بكل هدوء، وانتمت إلى التسلسل الحضاري الثقافي في بلدانها دون مراعاة للعرقية الجهوية الضيقة، تناقشت نخبها وعلماؤها وساستها بكل هدوء في مثل هذه المواضيع الشائكة التي تعتبر من مخلفات المستدمر، ثم احتكمت بعد ذلك إلى منطق العقل والتسلسل الحضاري دون أن تفقد توازنها أو تترك المجال فارغا للذين يريدون توظيف موضوع الهوية فيما يحلو لهم وفقا لأمزجتهم وطموحاتهم الخاصة**"[14]

ويضم هذا القول جملة من القيم جدير أن يوقف عندها ويُستفاد منها لتقوية روابط الهوية الثقافية وهي:

- فتح الحوار، والحوار في حول قضايانا؛
- العمل لتقوية الانتماء والاعتزاز بالتاريخ الحضاري الثقافي؛
- اضطلاع العلماء والساسة والنخب بالأدوار المنوطة بهم، وتغليب منطق العقل والحكمة، والابتعاد عن الأهواء والطموحات والمصالح الضيقة؛
- الانتباه والتحلي باليقظة تجاه المشاريع الكيدية التي تستهدف هويتنا الثقافية وتبصير أفراد الأمة وتذكيرهم بمخلفات المستدمر.

وجدير بالذكر أن التجارب التي ذكرها تستحق الإشادة والإفادة منها، فمصر تناقش مثقفوها الهوية الفرعونية التي تشتمل على تراث مكتوب في شتى المجالات وبعد استعراضهم لتسلسلهم الحضاري والشوط الذي قطعوه في ظل العروبة والإسلام سلموا أنهم لم يكونوا إلا عربا مسلمين مع احترامهم للأقليات وأن لغتهم

الرسمية لن تكون إلا العربية ، ويترك التراث الحضاري الفرعوني مخصصا للبحوث العلمية والتاريخية، ومثل ذلك تجربة السوريين واللبنانيين ومناقشتهم لهويتهم الفينيقية، ومثل ذلك تجربة العراقيين وتراثهم السوماري والأكادي ثم البابلي والأشوري[15] (ص14-15)

وفي هذا السياق نقل محمد الصغير غانم عن **العربي الزبيري** قولا يبعث على الراحة، فقد جزم أن البحث عن العرقية وإدعاء الصفاء أو النقاوة الجنسية وهم خيال بالنسبة لكامل شعوب العالم جماعات وأفراد، حتى تلك التي لا تزال غارقة في البداوة... [16]

وتعد جهود **عثمان سعدي** من الجهود التي تستحق الثناء، فقد اجتهد الرجل في إقامة بحوث تبين صلة الأمازيغية بالعربية، نحو العمل الذي قام به في معجمه **الجذور العربية للكلمات الأمازيغية**، منشورات مجمع اللغة العربية طرابلس. وكذا كتابه: أعلام عروبية مغاربية في التاريخ القديم بين220ق.م 398م، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر، الذي عمل فيه على التأصيل العربي لبعض الأسماء من التاريخ القديم.

أما **لحسن سرياك** وكتابه" **الهوية الأمازيغية الجزائر في أصول البشرية ثلاثون قرنا من التاريخ** "، فيمكنني القول إن كتابه اشتمل على أفكار طيبة، وعلى أفكار تحتاج إلى مناقشة، فمن تلك الأفكار الطيبة:

- إشارته إلى أنه وُجد منذ ألف وأربع مائة سنة خلت أمازيغ، من أمثال طارق بن زياد وابن تومرت... أسهموا في ازدهار وانتشار والحضارة العربية الإسلامية عبر المعمورة في كل الميادين[17]

- تفطنه إلى المرجو اليوم من أبناء الأمة الجزائرية، بقوله: " **اليوم وبعد أحداث كثيرة عادية وفي بعض الأحيان بالغة الخطورة، بعد زمن الصراعات (الموظفة) بين اللغات الجزائرية والهوية الجزائرية، آن الأوان لتغليب لغة الحوار والذكاء والعقل...** [18]

– تركيزه على دور التاريخ في وحدة الأمة بقوله:"**لن تعي الجزائر بمصيرها ولن تحقق وحدتها الحقيقية ولن تسمع صوتها لنفسها إلا إذا استعاد الجزائريون كل الجزائريين تاريخهم الألفي ويعيشونه سويا**".[19]

– دعوته الله أن يهدي الجزائريين إلى الطريق الذي يوحّد صفوفهم ويهبهم الطاقة التي يقضون بها على الجهل، كل أشكال الجهل وكل أشكال اللاتسامح... [20]

وكنت قد أشرت أن الكتاب حافل بالأفكار التي تحتاج إلى قراءة متأنية واعية ومناقشة، فبعد افتراض أن (**أكثر 80 بالمائة من الجزائريين يتحدثون ويكتبون بالفرنسية وإسهامهم في ازدهار الحضارة الفرنسية في مجالات مختلفة.**) [21] تساءل عن ملايين الأحفاد الذين سينحدرون من الأربعين مليون جزائري الذين سيكونون قد تبنوا الفرنسية كلغة عصرية حاملة للعلم والمعرفة قد تمايزوا عن الجيوب الباقية من المعربين في الجزائر العميقة. هل ستترسخ في أذهانهم قناعة بأنهم فرنسيون. [22]

– وافترض أن كل من لا ينطق بالفرنسية عروبيون(أرابيست)، مثلما هو حال زمرة المعربين حاليا الذين ينعتون الأمازيغ بالبربريين(بربريست) [23]

– وتساءل عن المستقبل البعيد، إذا تبنى أغلب الجزائريين أرقى اللغات(الإنجليزية)، هل سيواجهون بصفتهم إنجليز أو أمريكان؛ هذه المرة هجمات الفرنسيست...؟ [24]

ومناقشة لما تقدم، فلا أظن أن 80 بالمائة من الجزائريين يتحدثون ويكتبون بالفرنسية، فالواقع لا يصدق ذلك، ثم إذا فرضنا ذلك جدلا، وافترضنا أنهم أسهموا في الحضارة الفرنسية في مجالات مختلفة، فهذا يقودنا إلى طرح السؤال التالي: ما حال إسهامهم في خدمة العربية والمازيغية؟

وأرى كذلك أن وصفه للذين لا ينطقون بالفرنسية بـــ(العروبيين) يحتاج إلى نظر، بالانطلاق من تمييز عثمان سعدي بين العربي والعروبي، فالعروبي من منظوره هو العربي قبل الإسلام، فالكنعاني والأكدي والأشوري والبابلي والآرامي عروبيون، والعربي هو الذي ظهر بعد الإسلام. [25] ولا يقبل أيضا أن يتصور أن

البربر شتيمة حضارية، فباربار هي التي تحمل معنى الشتيمة، وأنعم بها من شتيمة، فقد أطلقت على الذين رفضوا سياسة الرومنة. [26]

أما سؤاله عن المستقبل البعيد، وأنه إذا تبنى أغلب الجزائريين الإنجليزية، فهل سيواجهون بصفتهم إنجليز أو أمريكان، ويظهر لي أن هناك فرقا بين من يتحدّث لغة أخرى وبين من يتبنّاها، فلِمَ لا يتحدّث لغة أخرى ويخدم لغته وثقافته، ويعمل على تطويرهما، لا أن يتبنّى لغة أخرى وينغمس في ثقافتها ناسيا أو متناسيا مزدريا ثقافته وهويته.

ويبدو لي أنه قارب هذا المآل ولو بصورة مختلفة بقوله: إن هذا من غير شك سيحدث مادامت الهوية الأصلية للأمة الجزائرية مطموسة وممزوجة باللغات المتبناة عبر مختلف الحقب التاريخية. أن تكون هذه اللغات ذات تفاضل ديني أو حضاري أو تكنولوجي أو إعلامي.[27]

ويكمن الحل إذاً، وانطلاقا من قوله، في التفكير في سبيل إعادة بعث الهوية الأصلية المطموسة الممزوجة والعمل على تطوير الهوية حتى لا تكون وئيدة ضروب التفاضل.

3- **راهن التنوع اللغوي في الجزائر والصراع المفترض:** من خلال ما تقدم عرضه، وانطلاقا من واقع الجزائريين يمكنني القول إن موقف الجزائريين من التنوع اللغوي ينقسم إلى ثلاثة اتجاهات: اتجاه متعصب للعربية، واتجاه متعصب للمازيغية والفرنسية، واتجاه متمسك بالعربية والمازيغية.

1.3-**الاتجاه المتعصب للعربية:** إن المناوئين له يرون أنه يقوم على أساس ديني، ومن منظوري، إن هذا الاتجاه لا أثر له على أرض الواقع، ولئن افترضنا وجوده، فهو موقف العوام الذين يدفعهم إلى تبني هذا الموقف حاجز التواصل بدليل أن كثيرا ممن لا يتحدثون المازيغية من المثقفين ومن غير المثقفين أحيانا يعيشون ويتعايشون مع المتحدثين بها ولا يرون بأسا في ذلك.

2.3 - الاتجاه المتعصب للمازيغية والفرنسية: يجعلني الصراع المفتعل أحيانا بين العربية، وتعصب بعضنا إلى المازيغية باعتبار أوليتها، إلى القول بوجود اتجاه

يتعصب للمازيغية–وربما لم يقدم لخدمتها شيئا، وبالمقابل يتعصب للفرنسية، بدليل أنه ربما يرضي– حتى لا أقول رضي– بكتابة المازيغية بالفرنسية لا بالعربية ولا بالتفيناغ، وأرى أن هذا الاتجاه ينبغي له أن يراجع موقفه وأفكاره خدمة للهوية الثقافية الجزائرية.

3.3 – الاتجاه المتمسك بالعربية والمازيغية: يمثل هذا الاتجاه الباحثون الجادون الذين حاولوا ويحاولون ردّ المازيغية إلى العربية(بلطف الصنعة والتأويل على حد تعبير ابن جني)، [28] وحمدت الله أن وجدت من ينصرني في افتراض هذا الاتجاه، فقد تحدّث **أحمد بن نعمان** عن رد أبو القاسم سعد الله عن مقال صدر بجريدة الشعب بتاريخ 19/ 2/ 1990، يوقف فيه على شبه تصور لمشروع لثقافي للجزائر، إذ تمنى على صاحب الطرح المخالف أن لو دعا إلى إنشاء (أكاديمية جزائرية) تبحث في ترقية اللغة العربية والصلة بينها وبين العربية عبر التاريخ، وإحياء الثقافة الشعبية من أمثال وحكم وأشعار...[29]

ولعمري هذا هو الموقف الذي ينبغي للعلماء والباحثين والدارسين أن يضطلعوا به، حتى يترسخ للجزائريين جميعا أن الأمازيغية ملك لهم، والتسلسل الحضاري والامتزاج بين الحضارات المتعاقبة على هذا البلد توحي بوشائج بينهما.

وأغتنم الفرصة لأعرض مثالين يؤكدان تجذر الثقافة الجزائرية ووشائج القربى بين مكوناتها، وقبل عرض المثالين أشير إلى أن المنطقة التي أسكنها على الرغم أن أهلها لا يتحدثون المازيغية، إلا أن في لغة الأجداد والجدّات ألفاظ يبدو أنها أمازيغية، وبعض تلك الألفاظ سألت عنها بعض الزملاء ممن يتحدثون المازيغية فوجدت أنها موجودة أو مستعملة عندهم، وفي الغالب لا تختلف في معناها أو وظيفتها عما وُضِعَت له عندنا، ويتعلق المثال الأول بلفظة(تقمي)، فقد سمعت يوما في مشاهدة عابرة لتمثيلية أو فيلم مازيغي عبارة (البرا أتاقمي)، ومكّنتني الترجمة إلى العربية من إدراك أن المقصود (في الخارج والداخل)، فرجعت بذكراتي إلى استعمال اللفظة في العصور الماضية، فقد أطلق الأجداد(تقمي) على السماد أو الذبال الذي تراصت طبقاته بطول المكث، واختفت(غبرت) بعض طبقاته، وتذكرت

أن غباره يغم من أثاره بغرض إخراجه، وعن إبدال صوت الغين بصوت القاف تذكّرت معلومة سمعتها عن زميل لي متخصص في الفلاحة في المغرب الأوسط فقد سمعته يوما يقول أنه جاء في الأخبار"**أن أفضل السماد ما غُمّ**"، وتجدر الإشارة أن" **السرقين**" تبدل القاف غينا، فيرد في بعض المصادر(**السرغين**)، ووتدت هذا بمعلومة أفدتها من حوار جمعني ب**الدكتور إحيا الطالبي** من المغرب الشقيق، فقد نقل عن شيوخه أن" **كل ما يقمقم يغمغم يكمكم يجمجم**"، وفعلا أجد هذا ماثلا في أسماء بعض المواقع الجزائرية نحو: إغلي، إقلي، توقرت، توغرت، توكرت... وفي بعض الأسماء المغربية نحو: أكدال، أقدال، أغمات، أقمات، أغادير أقادير...

وفي عرض لبعض هذه المعلومات أمام طلبتي، أطلعني طالب ينحدر من منطقة **بوسمغون** المعروفة باستعمالها للمازيغية أن عبارة (قي م) معناها (في الفم) وما من شك أن ما كان في الفم لا يدل إلا على داخل.

والمثال الثاني يتعلق بالموقع الحضاري قفصة، فقد أورد **لحسن سرياك** أن "كابسا" هي الاسم القديم لـــــ" قفصة".[30] ويذهب الناظر أن الكاف من مخرج القاف وأبدلت بها، وأن الباء أخت الفاء ويحدث إبدالها في كلام الناس، كما يحدث إبدال الصاد بالسين وإن لم تكن من مخرجها.

وأنوّه ههنا بالجهد الذي تبذله بعض المجموعات والصفحات على مواقع التواصل الاجتماعي، نحو مجموعة"**العربية أصل اللغات**"، فمن بين ما نشرت أن **الخبز** بالأمازيغية **أغروم**، وأهل اليمن يقولون: الغرم، وأن (قف أو قم) في الأمازيغية (وكر أو أكر) وفي العربية القديمة في اليمن يقولون: وكر الظبي، أي: وقف. و **الملعقة** في الأمازيغية **الغنجاية أو تاغونجايت**، وأهل اليمن يسمونها **الغنجاي**. وتطلق **امطوث** على المرأة في العربية الجنوبية(عربية اندثرت) تسمى المرأة **الطامث**، و **أمقران** في الأمازيغية (القبائلية) تعني الكبير، وفي العربية **أقرن** أي كبر في السن.

4-خاتمة:

-فالعمل للهوية الثقافية وللمواطنة اللغوية يقتضي منا عملا جبارا أفرادا وجماعات، ويأتي في مقدمة هذا العمل إعادة الاعتبار للتاريخ، من حيث درسه وتعليمه، ومن حيث العناية بالكتابة التاريخية والعناية بضبط المصطلحات وتحديد المفاهيم وتهذيب الألفاظ، ومن حيث قراءة الكتابات التاريخية قراءة واعية متأنية والعمل على مناقشتها والنظر فيها.

-الاشتغال على ترسيخ أن المازيغية ملك لجميع الجزائريين، والعمل على خدمتها وتطويرها إلى جانب خدمة وتطوير العربية، في الأوساط العلمية والأكاديمية، بتخصيص ورشات عمل تعنى بفتح حوار هادئ وإقامة أبحاث جادة تحاول إيجاد صلات أو علاقة بين العربية والمازيغية.

- الإسهام في تطوير العربية والمازيغية، بمواصلة جمع التراث، والعمل على النهوض بهما(ترقيتهما) دينيا وأدبيا وإعلاميا وتكنولوجيا، وما مشروع ترجمة القرآن الكريم إلى المازيغية إلا سبيل لخدمة الدين وخدمتها، وما ترجمة بعض الأمثال الشعبية الأمازيغية إلى العربية إلا سبيل لخدمة التراث الجزائري، وينتظر من الروائيين والأدباء توظيف الموروث المازيغي في أعمالهم للنهوض بها أدبيا على نحو ما يقوم بعض الأدباء المغاربة.

- نثمن دور المجلس الأعلى للغة العربية عاليا، وندعوه إلى مواصلة العمل في هذا الإطار خدمة للجزائر وتراثها وهويتها والله المستعان وعليه التكلان.

الهوامش:

[1]- محمد الصغير غانم، نصوص بونية- ليبية مختارة من تاريخ الجزائر القديم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2012، دط، ص5 صفحة الإهداء.

2- لحسن سرياك، الهوية الأمازيغية، الجزائر في أصول البشرية ثلاثون قرنا من التاريخ، مدونة وبيبلوغرافيا، 2003، دط ص11.

3- عبد الكريم إبراهيم دوحان، دراسات في منهج البحث التاريخي والأدبي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع والمنشر والتوزيع، القاهرة، 2009، ط1، ص48-49.

4- الهوية الثقافية هي اللحمة التاريخية والفكرية التي تربط أفراد مجتمع ما، وهي الخلفية الحضارية المتينة التي تستند إليها الشعوب كلما أرادت أن تراجع ماضيها وتستشرف حاضرها ومستقبلها، محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، مقالات وآراء في تاريخ الجزائر القديم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2011، دط، ج4، ص6.

[5]- مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح: محمد الميلي المؤسسة الوطنية للكتاب، د تا، دط، ص 6.

[6]- مبارك بن محمد الميلي، م ن، ص6.

[7]- م ن، ص204.

[8]- لحسن سرياك، م س، ص 94.

[9]- الميلي، م س، ص204.

[10]- م ن، ص204.

[11]- الميلي، م ن، ص205.

[12]- م ن، ص 208.

[13]- محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية والتراثية...، م س، ص6 وما بعدها.

[14]- م ن، ص13.

[15]- محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية...، م س، ص14-15.

[16]- العربي الزبيري، الغزو الثقافي في الجزائر 1962-1982، المؤسسة الجزائرية للطباعة 1986، ص26، نقلا عن، محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية...، م س، ص13.

[17]-لحسن سرياك، م س، ص 15.

[18]- م ن، ص18.

[19]- م ن، ص122.

[20]-م ن، ص125.

[21]–م ن، ص125.

[22]– م ن، ص15.

[23]– لحسن سرياك، م ن، ص15.

[24]– م ن، ص16.

[25]– عثمان سعدي، أعلام جزائرية مغاربية عروبية في التاريخ القديم بين 220ق.م 398م، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2014، دط، ص ظهر الغلاف.

[26]–محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية والتراثية، م س، ص 10.

[27]– لحسن سرياك، م س، ص16

[28]– ينظر، ابن جني ، الخصائص، تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، د ط، د ت، ج2. (باب في قلب لفظ إلى لفظ بالصنعة والتلطف لا بالإقدام والتعجرف) ص88–93، و(باب الاشتقاق الأكبر ص133) وما بعدها.

[29]– أحمد بن نعمان، فرنسا والأطروحة البربرية، الخلفيات، الأهداف، الوسائل، البدائل، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، برج الكيفان، الجزائر، 1997، ط2، ص75.

[30]– لحسن سرياك، ص29.

المواطنة اللغوية وتحدّيات الغزو اللّغوي للغات العولمة
الواقع اللّغوي في الجزائر والبّحث عن الهويّة

الاسم واللّقب : سعدودي سعيدة

جامعة أمحمد بوقرة ـ بومرداس ـ الجزائر

الملخص: تعدّ اللغة في أبرز تمثّلاتها وعاء للفكر ووسيلة أساسية للاتصال والتواصل، وقد أصبح العالم اليوم في ظلّ المدّ العولمي غرفة صغيرة لا قرية صغيرة فحسب، خاصّة مع تحدّيات الغزو اللغوي للغات المكتسحة للساحة الاقتصادية، والتكنولوجية والإعلامية بما في ذلك الوسائط المتعددة. ممّا جعل اللغة تتأثر بطريقة أو بأخرى.

ولعلّ الواقع اللغوي الجزائري المتجذّر أمازيغيا، المعرّب إسلاميا والمفرنس استعماريا يواجه اليوم غزوا لغويا جديدا فرضته مصادر متعددة أشهرها وسائل التواصل الاجتماعي. ممّا يجعله واقعا لغويا مغمورا زئبقي الهويّة في كثير من الأحيان، ويجعل مسألة المواطنة اللغوية مسألة حسّاسة نوعا ما ومثار جدل في الوقت نفسه.

في ضوء هذا جاءت إشكالية البحث على النّحو الآتي:

كيف يمكن وصف الواقع اللغوي في الجزائر؟ وهل يمكن تحديد هويته بدقة؟ هل يعد التعدد اللغوي في الجزائر أحد سبل التعايش السلمي الوطني ووسيلة إثراء للرصيد الثقافي أم أنه أداة للقضاء على الهوية الوطنية وتقويض للمواطنة؟

الكلمات المفتاحية: اللغة، المدّ العولمي، الواقع اللغوي الجزائري، المواطنة اللغوية.

المداخلة: لا نكاد نجزم بأنّ ظاهرة التعدّد اللغوي لا تخلو منها أيّة أمة من الأمم أو دولة من الدول أو مجتمع من المجتمعات، إلا أن الاختلاف يكمن في مسألة التعامل مع هذه الظاهرة فهناك من عدّها معيارا من معايير التخلف فعادت عليه بالضعف والسلب، ومنهم من جعلها وسيلة للتعبير عن احترام الشعوب ولغاتها، وانفتاحا على الثقافات التي تحملها هذه اللغات، فكان استغلال هذه التعددية اللغوية والاهتمام باللغات الدخيلة جزءا من مكوناتها الثقافية، والجزائر كغيرها من الدول عرفت هذه الظاهرة والتي تمثلت في **شكلين:** أحدهما ما يطلق عليه **الثنائية اللغوية** والآخر ما يسمى **بالازدواجية اللغوية**، وكان لكل منهما حضورا واسعا وقد خلّفت هذه التعددية أثرا عميقا على العملية التواصلية عموما وفي داخل المجتمع الجزائري ووسطه التعليمي خصوصا.

وقد شهدت اللّغات اليوم صراعا لغويا مع غيرها من اللغات سواء كانت مجاورة لها أم بعيدة عنها، مما أدى إلى سيطرة اللغة الأقوى علميا وتقنيا، ونتيجة لهذا الصراع والانفتاح الحضاري، في هذا العصر الذي عرف تطورا وتقدما في جميع المجالات العلمية والتقنية والإنسانية، صار الأفراد يقبلون على تعلّم اللغات الأجنبيّة مما تيسر لهم سهولة التواصل بين المجتمعات المختلفة، ليصاحب ذلك ظهور ما يصطلح عليه ب:"**التّعدد اللغوي**(Plurilinguisme)"، الذي أصبح قضية مركزية تشغل بال كثير من الباحثين على اختلاف تخصصاتهم، **كاللسانيين** و**اللسانيين الاجتماعيين**، و**المهتمين بمجال تعليمية اللغات**؛ فقد يكون هذا التعدد وسيلة لمواكبة التقدم العلمي **و**التكنولوجي الذي يشهده العصر، والذي يمكن أن تكون له آثار سلبية تمسّ **الهوية الوطنية** و**الثقافية**.

وذهب الكثير من الباحثين اللغويين المعاصرين إلى الجزم بوجود **الازدواجية** في سائر اللغات البشرية؛ لأنها تمارس في مجتمعات متنوعة، فأي مجتمع من المجتمعات يتضمن خليطا من البشر ــ على اختلاف أصولهم وأعراقهم ــ فالتنوع اللّغوي حتمية لتلك الفصائل الاجتماعية وثمرة من بذور تفاعلها. واللغة العربية

كغيرها من اللغات العالمية الحية، إذ يرى هؤلاء أن **الازدواجية** في **العربية** تتجسد في المجتمع الجزائري باختلاف تلك **اللغات** و**اللهجات العامية** إذ تشهد خليطا رهيبا بين العربية والعامية والفرنسية، وهو ما يجعلنا نتساءل هل أثرّ ذلك في التعامل الاجتماعي والعلمي الذي يتجاذبه ذلك التنوع والتعدد اللهجي؟ أي بين صعوبة العربية وقوة انتشار اللغة الهجينة العامية الثانية. **ولكن ماذا نعني بالتعدد اللغوي؟**

قبل أن نتطرق إلى مفهوم التعدّد وماذا نقصد به يجب أن نعرّف اللغة أولا:

1.اللغة والتمفصلات اللغوية:

1.1. اللغة:

أ/لغةً: اللغة اسم ثلاثي على وزن فُعَةٌ، وأصله لُغْوَةٌ على وزن فُعْلَةٌ، فحذفت لامُه، وهو من الفعل الثّلاثي المتعدّي بحرف: لغا بكذا، أي تكلم؛ فاللغة هي التّكلم أي النّطق الإنساني[1]، وهي "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[2].

ب/ اصطلاحاً: تعدّدت أراء العلماء واختلفت ــ باختلاف مواقفهم وانتماءاتهم ــ الفكرية، والنّفسية، والدّينية، ولربما يرجع السّبب في ذلك إلى ارتباط علم اللّغة بعلوم عديدة كعلم النّفس، وعلم الاجتماع، والفلسفة والبيولوجيا ...الخ. بحيث لم يتّفق اللّغويون على تعريف واحدٍ للّغة، وقد توسّع القدامى في استعمالها، ونظر إليها كلّ عالمٍ من زاوية العلم الذي يبحث فيه، ففريق عالجها من المنظور الفلسفي المنطقي، وفريق آخر عرّفها انطلاقا من الجانب العقلي والنّفسي، ونظر إليها بعضهم الآخر من زاوية وظيفتها في المجتمع، ويعدّ تعريف **ابن جنّي** للغة أحسن تعريف إذ يقول في تعريفها:" **وحد اللّغة أصوات يعبّر بها كلّ قومٍ عن أغراضهم**"[3]، كما عرف **ابن سيّدة** اللغة بقوله:" **وهذا حدّ دائر على محدوده محيطٌ به، لا يلحقه خلل، إذ كلّ صوت يعبّر به عن المعنى المتصوّر في النّفس لغةً، وكلّ لغة فهي صوت يعبّر به عن المعنى المتصوّر في النّفس**" [4] في حين يرى **الفيلسوف ديكارت** بأنّها :" **خاصية الإنسان بما هو حيوان ناطق، أي مفكّر، وبما هو حيوان اجتماعي، فهي تحقّق ناطقية الإنسان بنسقيها الفكر والعمل، وهي من**

ثمّ تجعله أهلاً لأن أن يكون خليفة الله في الأرض، أي أنّها الخاصية التي تميّز الإنسان عن سائر الحيوان، (...) وللناطقية– عند ديكارت– ركيزتان: **ممارسة التّفكير، وممارسة الحياة الاجتماعية، فضلاً عن أنّها سبيل الكشف عن النّفس والغير والكون (...) والكشف فعل كما قال الفلاسفة.**"[5]

وينفي **أنيس فريحة** أن تكون اللغة مجرّد صفة عضوية في الإنسان، بل إنّه يربطها بالمجتمع، فاللّغة عنده" ظاهرة بسيكولوجية اجتماعية ثقافية مكتسبة (بحسب المحيط الذي يعيش فيه) لا صفة بيولوجية ملازمة للفرد، تتألّف من مجموعة من رموز صوتية لغوية اكتسبت عن طريق الاختبار معاني مقرّرة في الذّهن، وبهذا النّظام الرّمزي الصّوتي تستطيع جماعة ما أن تتفاهم وتتفاعل وباللّغة فقط صار الإنسان إنساناً، وباللّغة فقط تطوّرت الحضارة، وتقدّم العمران وبلغ العقل الإنساني ذروته، فدرس اللّغة درساً علمياً فلسفياً في الإنسان وفكره" [6] وهذا ما ذهب إليه **إبراهيم أنيس** أيضاً إذ يقول:" (اللّغة) اكتسبت مع الزّمن صفةً أسمى وأرقى من مجرّد الرّمزية، لأنّها اتّصلت بخواطر النّاس وأفكارهم وأصبحت جزءا من هذه الأفكار"[7] أما **جفونز** فاختصرها في قوله هي: " وسيلة للتّواصل، وأداة للتّسجيل، ومساعد آلي للتّفكير"[8] والملاحظ من هذا التّعريف أنّ **جفونز** حدّد ثلاث وظائف للّغة وهي: وظيفة التّواصل، ووظيفة التّسجيل، ووظيفة التّفكير على التوالي.

2.1ــ مفهوم اللّهجة:

أ/ اللهجة لغة: ورد في معجم لسان العرب **لابن منظور:** " واللّهجة: طرف اللّسان، وجرس الكلام، ويُقال: فلان فصيح اللّهجة، واللّهجة هي اللّغة التي جُبِل عليها فاعتاد ونشأ عليها."[9].

ب/ اصطلاحاً: تبين الدّراسات أنّ القدامى لم يستعملوا كلمة **لهجة**، واستخدموا بدلاً منها لفظة **اللّغة**، و**اللّحن**، وهو ما أشار إليه **إبراهيم أنيس** عندما قال:" وقد كان القدماء من علماء العربية يعبّرون عمّا نسمّيه الآن باللّهجة بكلمة **(اللغة)** حيناً، وب**(اللّحن)** حيناً آخر، ويظهر هذا واضحاً جلياً في المعاجم العربية القديمة

وفي بعض الرّوايات الأدبية، فيقولون **مثلاً**" الصّقر" بالصاد من الطّيور الجارحة وبالزّاي لغةً، وقد يُروى لنا أنّ أعرابياً يقول في معرض الحديث عن مسألة نحوية:" ليس هذا لحني ولا لحن قومي"، وكثيراً ما يشير أصحاب المعاجم إلى لغة تميم ولغة طيئ، وهذيل، ولا يريدون بمثل هذا التّعبير سوى ما نعنيه نحن الآن بكلمة " لهجة"[10].

وتحدّث **إبراهيم أنيس** عمّا يُقابل لفظة **لغة** عند **القدامى** فقال "ويظهر أنّ العرب القدماء في العصور الجاهلية وصدر الإسلام لم يكونوا يعبرون عمّا نسميه نحن ـــ اللّغة ـــ إلاّ بكلمة لسان تلك الكلمة المشتركة بين اللّفظ والمعنى في معظم اللّغات السّامية شقيقات اللّغة العربية. وقد يُستأنس لهذا الرأي بما جاء في القرآن الكريم من استعمال كلمة اللّسان وحدها في معنى اللغة"[11] ومن خلال هذا التعريف نستنتج أنّ **اللّهجة** كان يقابلها لفظة لغة في القديم، في حين أن لفظة اللّغة يقابلها لفظ لسان، وليس هناك ما هو أبين وأصدق وأفضل من قوله تعالى في سورة" **الأقحاف**"وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ" [سورة الأحقاف:12]. فقد تكرّرت لفظة **اللّسان** في القرآن الكريم ثماني مرّات. وهي: " مجموعة من الصّفات اللّغويّة التي تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصّفات جميع أفراد هذه البيئة.

أمّا الصّفات الّتي تتميّز بها اللّهجة فتكاد تنحصر في الأصوات وطبيعتها وكيفيّة صدورها. فالّذي يفرق بين لهجة وأخرى، هو بعض الاختلاف الصوتي في غالب الأحيان[12]"، وهي أيضاً " لغات مختلفة لمعان متّفقة"[13]، وهي " شكل من أشكال اللّغة لها نظام خاص على المستوى الإفرادي والتّركيبي والصّوتي وتستعمل في محيط ضيّق بالمقارنة مع اللّغة نفسها"[14].

كما نجد **إبراهيم كايد** في مقال له بعنوان: **العربية الفصحي بين الازدواجية اللّغوية والثّنائية اللّغوية** يقرّ بأنّ **اللّهجة**": هي الجانب المتطور للغة الذي يشمل البعد عن اللغة الأم"[15]؛ فاللّهجة **إذاً** هي التّنوّعات المختلفة للعامية (لغة التّخاطب) وهذا المفهوم مرتبط أساسا بالاختلافات الجغرافية، وعليه فاللّهجة هي: العامية أو

الدّارجة التي نستعملها في حياتنا اليومية، هي اللغة المستعملة في البيت وفي الشّارع، وفي حواراتنا العادية والعفوية، وهي المستوى الثّاني من اللّغة بعد الفصحى، وتختلف من منطقة إلى أخرى، غير أن **الطيّب البكوش** يفضّل لفظة الدّارجة على العامية، وفي هذا الصّدد يقول:" وإنّنا نفضّل استعمال كلمة (الدّارجة) على (العامية) لما تتضمّنه الكلمة الأخيرة من دلالة طبقية، وصفات تحقيرية استهجانية، لا تليق بالبحث العلمي المجرّد"[16].

كما نجد هناك من جعل اللّهجة مثل الفصحى تماما، بل فضّلها عليها، وهو ما ذهب إليه **أنيس فريحة** الذي يقول في صدد ذلك:" اللّهجة كاللّغة، ولكن لسبب خارجي، أو لظروفٍ خاصّة تعتبر اللّغة قومية رسمية، بينما لهجة أخرى ربّما أفضل منها، لا يعترف بها، فالقضية قضية سلطة عليا، وقضية اعتراف بهذه السّلطة."[17] وهو رأي فيه من التأويلات ما فيه.

وفي الحقيقة حاول اللّغويون المحدثون وضع تعريف دقيق لكلّ من مصطلح **اللّهجة** و**اللّغة**، واستقروا على أنّ المقصود **باللّغة** هو **اللّغة الفصحى**؛ أي التي تخضع لنظام الإعراب، والصّيغ الصّرفية في شعرها ونثرها، وأنّ **اللّهجة** هي التي تمثّل اللّغات المحلية المجرّدة من علامات الإعراب، والصّيغ الصرفية؛ لأنّها تتغيّر وتنتقل من صورة إلى أخرى مع الزّمن، دون أن تخضع لضوابط وقيود، وأنّ **العامية** ما هي في الأصل إلاّ انحراف عن الفصحى وخروج عن قواعدها من أجل التّيسير والتّسهيل في النّطق، وهذا الانحراف قد يكون إمّا صوتياً، وإمّا صرفياً وإمّا دلالياً.

ومن هنا تتّضح العلاقة بين الفصحى واللّهجة، والتي تتمثّل في علاقة **الخاص بالعام**؛ ومعنى ذلك أنّ اللّهجة هي جزء من اللّغة الفصحى تفرّعت عنها في الأصل، وإنّ هذا الأمر هو الذي تسبّب في وجود ظاهرة **الازدواجية اللّغوية** وانتشارها في المجتمعات العربية؛ أي من خلال ممارسة الأفراد للمستويين من اللّغة، المستوى الرّاقي المتمثّل في اللّغة الفصحى المستعمل في المجالات الرّسمية والمستوى العامي المتداول في الحياة اليومية وفي كلّ الأوقات. لكن هذا لا ينطبق

على اللّهجة العربية المعاصرة التي نشهدها في وقتنا الرّاهن، فهي لم تعد تنبثق عن اللّغة العربية الفصحى فقط، وإنّما هي عبارة عن مزيج من اللّغـات أو اللّهجـات العربية والفرنسية والانجليزية وغيرها من لغات الاستعمار الذي تشعّب في مختلف أقطار الوطن العربي، هذا الأخير الذي كان كلّ همّه هو تهديم لغة القرآن الكـريم والقضاء على الهوية بكل مقوماتها وتخريبها لتعزيز استيطانه في تلك البلدان.

3.1. ــ تعريف العامية: لقد اختلف اللغويون في تحديد مصـطلح **العاميـة** كما اختلفوا من قبل في تحديد مصطلحي اللّغة واللّهجة، فمنهم من جعلها و**اللّهجـة** شيئاً واحداً لا فرق بينهما، وهناك من رآها لغة قائمةً بذاتها مثلهـا مثـل العربيـة الفصحى، بل هناك من بالغ في الأمر واعتبرها أفضل وأحسن من الفصحى، ودعا إلى جعلها لغةً رسميةً بدلاً من الفصحى[18] ذلك لأنّها اللّغة التي يُحسنها كلّ فرد من أفراد الأمّة عالماً كان أم جاهلاً، كبيراً أو صغيراً، غنياً أو فقيراً، وهي اللّغة الأولى للتّخاطب في الحياة، وأوّل ما يتلقّاه الطّفل في أولى مراحل حياته[19]، وهي التـي لا تخضع لا لقواعد تحكمها ولا لأنظمة تضبطها.

و ــ في الحقيقة ــ هناك من ينادي في وقتنا الحاضر بضرورة إحلال **العاميـة** محلّ اللغة **الفصحى** بحجّة أنّها أكثر سهولة، وأنّها تبسّط عملية الاتّصال والتّواصل ومن هؤلاء نذكر على سبيل التمثيل لا الحصر: **دروزة عزّة** الذي يقول في مقال له بعنوان "**ضمن قضايا وحوارات النّهضة العربية** "ولا يرِد اعتراض على هذا بـأنّ اللّغة هي ــ من حيث الأصل ــ للتّفاهم والتّعبير عن الأفكار من أقـرب الطّـرق وأسهلها، وأنّ اللّغة العامية ما دامت تؤدّي هذا الغرض فهي وافيـة بالغايـة ولا ضـرورة للاحتفاظ بلغة فصحى معها وتحمل المشـقّة فـي تعليمهـا؛ لأن اللّغـة المتبدلة التي لا يضبطها ضـابط، والمختلفة في كل ناحية من نواحي القطر الواحد بعوامل إقليمية، طبيعية، واجتماعية، واقتصادية، لا يمكن أن تفي بحاجة التّـدوين والثّقافة حتى ولا الوحدة الوطنية في مثل جماعاتنا التي ارتقت عن الحالة الإنسانية السّاذجة وأصبحت هذه الأغراض ضرورة من الضّرورات ينبغي أن تكـون لهـا وسائلها الوافيـة [20]".

إنّ إحلال **العامية** محلّ **اللّغة الفصحى** فيه دعوة غير مباشرة إلى تشتيت أواصر التّرابط بين الشّعوب العربية من جهة، وإلى اندثار الموروث الثّقافي الموحّد وزواله من جهة ثانية، خاصّةً وأنّ العامية ليست عامية واحدة في البلد الواحد، وإنّما هي متعدّدة ومتباينة من منطقة إلى أخرى، ومثال ذلك الجزائر فيها مزيج لهجي مختلف كلهجة سكان الغرب (الوهرانية)، واللّهجة الشرقية (القسنطينية)، ...الخ، مما يخلق تحيّز كلّ طرف للهجته ورغبته في تعميمها على اللّهجات الأخرى وهو ما يساعد على تشتت الامة وتعجيل مسألة زوالها.

2ــ بين الازدواجية اللّغوية والثنائية اللّغوية: في هذا المقام لا يسعنا إلا أن نميّز بين مصطلحي **الازدواجية اللّغوية**، و**الثنائية اللّغوية** بما تمليه علينا طبيعة البحث " **فالثّنائية اللّغوية** صفة مميزة للتصرّف اللّغوي على مستوى الفرد أمّا **الازدواجية اللّغوية** فهي خاصية من خصائص التنظيم اللّغوي على مستوى المجتمع، والثّنائية اللّغوية هي سمة الاستخدام اللّغوي من قبل الأفراد، بينما الازدواجية اللغوية هي صفة لتخصيص المجتمع لوظائف معينة للّغات واللّهجات المختلفة"[21] كما أنّ الازدواجية يقصد بها استخدام مجموعة لغوية لتنوعين من اللّغة المشتركة الواحدة، أحدهما ذو مستوى راق وهو اللّغة التي تستخدم في الكتابة الأدبية والعلمية والفكرية والخطب، والآخر ذو مستوى أدنى نجده في لغة التّخاطب اليومية، وهي العامية أو الدّارجة في العربية، وهذا ما أدى إلى شيوع ظاهرة الازدواجية اللّغوية نظراً لوجود الفصحى بشكل رسمي، واستعمال العامية في الحياة اليومية، وما يزيد الأمر سوءا هو انتشار هذه الظّاهرة بين أوساط المتعلّمين في المدارس والجامعات.

أما **الثّنائية اللّغوية** فيُقصد بها وجود لغتين متنافستين في الاستعمال، بحيث تتمتعان بمنزلة واحدة من حيث الكتابة الرّسمية والاستعمال الرسمي، كاستخدام مثلاً اللّغة العربية والفرنسية معاً أو اللّغة العربية والانجليزية[22].

3 ــ تاريخية اللغة العربية في الجزائر:

1.3. الواقع اللغوي الأمازيغي في الجزائر: قبل الوقوف عند حدود اللغة العربية في الجزائر، لابدّ من العودة إلى أصل اللغة المحلّية للسكان الجزائريين والمتمثلة في اللغات الأمازيغية أو البربرية(*تمازيغت*، نيو– تيفيناغ) وهي فرع من عائلة اللغات الأفرو آسيوية يتحدث بها عدد كبير من سكان المغرب العربي بما في ذلك : الجزائر، المغرب، ليبيا، تونس، شمال النيجر ومالي وفي واحة "سيوة" بمصر ...الخ وكان انشقاق الأمازيغية من اللغات الأفريقية الآسيوية الأخرى قديما جدا: 10،000 ~ 9،000 سنة قبل وقتنا، ومن أشهر ملوك الأمازيغ القدامى الذين تكلموا الأمازيغية بعد – الكاهنة –: يوغرطة وشوشناق وماسينيسا ويوسف بن تاشفين.[23]

وتشمل اللغات البربرية الرئيسية الشلحية والقبايلية، والريفية، والشاوية والمزابية، والأطلس البليدي، والتارقية. ويقترح" **روجر بلانتش**" في المصالحة بين الأدلة الأثرية واللغوية للعصر ما قبل التاريخ للأمازيغ (2018) أن متحدثي اللغة البدائية الأمازيغية انتشروا عبر الرعي من نهر النيلإلى شمال أفريقيا ما بين 4000 و 5000 سنة قبل وقتنا[24].

وبعد دخول الإسلام انتقل الواقع اللغوي الأمازيغي في الجزائر إلى واقع عربي شيئا فشيئا، لكن بسبب تشبّث الأمزيغ بلغتهم حدث ما يمكن أن ندعوه بالتفاعل اللغوي بين الأمازيغية والعربية فبعض الأمازيغ تعربوا لغويا، وكثير من المهاجرين العرب تمزغوا. أما الأمازيغ غير المعربين فيستعملون بعض الكلمات العربية خصوصا في مجال الدين والعبادات إضافة إلى كلمات لاتينية في مجال التجارة والعمل. كما أن تأثير الأمازيغية في اللهجات العربية المغاربية واضح بجلاء صوتا وصرفا وتركيبا ودلالة، وذلك نتيجة قرون طويلة من التفاعل بين العربية والأمازيغية على ألسنة السّكان المحليين. ويمكن اعتبار اللهجات العربية المغاربية نتاجا صرفا للثقافة الأمازيغية كأبعد تقدير.

وقد دخلت اللغة العربية إلى الجزائر مع الشعوب العربية التي استوطنت شمال إفريقيا قبل الفتح الإسلامي وبعده في القرن الأوّل الهجري، وتوسّع وجودها مع هجرة بني هلال وبني سليم في القرن الخامس الهجري: " وكان لدخول العرب إلى المغرب أثر كبير في تعريب البربر وإدماجهم في العنصر العربي، وذلك بفضل الدّين الإسلامي والصفات المتشابهة نحو البساطة والشجاعة والصّبر والأنفة والقناعة ومقاومة الأعداء[25]".

وفي الحقيقة يعدّ البربر هم السكان الأصليون للجزائر، ولغتهم الأمازيغيّة التي تعرف في مناطق شتّى من المغرب الكبير بلهجات مختلفة. وبعد دخولهم الإسلام لم يعاملوا العرب الفاتحين والمهاجرين معاملة المحتلّين، بل اندمجوا فيهم وانسجموا معهم مشكّلين أمّة عربيّة واحدة يظلّها الإسلام بتعاليمه السّمحة، وبذلك "تعرّبت البربريّة (الامازيغية) كما تعرّب البربر أنفسهم نتيجة اتّصالهم باللغة العربيّة، إذ يتألّف ثلث البربريّة التي يتكلّم بها القبائل الكبرى من كلمات عربيّة، وذلك ما يؤكّد شدّة تأثير العرب في هذه المناطق، وهو ما لم تستطع تحقيقه الأمم السابقة[26]". وبقيت اللغة الأمازيغيّة لغة للتخاطب اليومي المحدود بين البربر الذين نشأوا عليها وحافظوا عليها كتراث شفاهي، وهذا ما ضمن لها الاستمرار إلى يومنا هذا وحماها من الاندثار.

وفي الثمانينيات من القرن العشرين بدأت الحكومة الجزائريّة تُولي اهتماما بهذه اللغة، باعتبارها جزءا من الخصوصية الجزائريّة، فصارت تخصص لها نشرات إخبارية تقدّم في التلفزيون الجزائري بمختلف لهجاتها. ثم سمحت بتدريسها في المدارس الواقعة في منطقة القبائل، على الرّغم من أنّ الأبجديّة الأثريّة لهذه اللغة لم تعد مستعملة، بل استعاض عنها أهلها بالحروف اللاتينيّة غالبا[27].

2.3.اللغة العربية في عهد الاستعمار الفرنسي: يعتبر الاحتلال الفرنسي للجزائر أشرس احتلال عرفته المنطقة في تاريخها، فقد عمل على تحطيم كلّ ما يمثّل الهويّة الجزائريّة، فسعى إلى تشويه الدّين الإسلامي بالخرافات والبدع، وإلى محو اللغة العربيّة بفرض الأمّية وتعليم اللغة الفرنسيّة، فقد "كان الاستعمار

الفرنسي في الجزائر يهدف إلى القضاء على عروبة الجزائر، فجعل التعليم الحديث منذ 1830 تعليما للمستوطنين الفرنسيين وحدهم، ولذا ظلّ التعليم في الجزائر حتّى الاستقلال يتوسّل باللغة الفرنسيّة في تدريس كلّ الموادّ الدّراسيّة[28].

وكان ذلك كله نتيجة طبيعيّة وأمرا متوقعا لطول فترة الاحتلال الفرنسي في الجزائر، والسياسة التي اتّبعها، فقد كانت أولى توصيات الحاكم الفرنسي لجيشه الزاحف إلى الجزائر: "علّموا لغتنا وانشروها حتّى تحكم الجزائر، فإذا حكمت لغتنا الجزائر فقد حكمناها حقيقة"[29]. فالوصيّة تلك كانت استمراريّة لسياسة نابليون في حملته على مصر وقد نجح الاحتلال الفرنسي في خطّته، فقد أنشأ جيلا أمّيا لا يكاد يكتب ويقرأ لغته الأم، وفي المقابل ذلك له جيل اتّخذ لغة المحتلّ بديلا عن لغته التي حرم من تعلّمها. "لقد أدرك هؤلاء الغاصبون وأمثالهم أن اللغة القوميّة تشدّ الإنسان الفرد إلى قومه، وتربي فيه شخصيّة أمّته، وتنمي فيه عزّتها وتمنحه أصالة الانتماء إليها، بل لقد آمنوا بما قاله علماؤنا بصدد الحضّ على تعلّم العربيّة من أن لغة المرء تؤثّر في عقله وخلقه، وأنّ ثقافته اللغويّة تميل به إلى حبّ أهل اللغة[30]".

فالصّلة بين الأمّة واللغة صلة وثيقة جدا بحيث "سميت اللغة القوميّة للإنسان باللغة الأم ولهذه الصلة نفسها بين الأمّة واللغة؛ يقترن الوعي السياسي والقومي لدى الأمم الرّاقية بالاعتزاز باللغة والوعي الكامل لرسالتها الرائعة في حياة الأمة ووحدتها"[31]. زيادة على ذلك أن "اللغة الأم تشكّل عاملا رئيسيا في هويّة الفرد المنتمي إليها، وهي من خلال هذا تؤهّل الفرد لكي يلتحق بجماعة أكبر تنتمي إلى نفس اللغة، بدءا من الجماعة الصغيرة في الأسرة الواحدة وامتدادا إلى الجماعات الأكبر في القرية أو الإقليم أو القبيلة أو المنطقة أو الولاية أو الدّولة أو غيرها من مسمّيات التّجمّعات البشريّة"[32]. فعلى الرّغم من تفرّع اللغة الأمّ إلى لهجات تشكّلت من تأديات كلامية خاصة بهذه اللغة، كالاختلاف في **التفخيم** و**الترقيق** و**الإشباع** أو نطق حرف من الحروف، **مثلا:** حرف "**القاف**" ينطق كما هو في الوسط والشرق الجزائري، في حين ينطق "**همزة**" في تلمسان وينطق "**قافا**" في أغلب ولايات الغرب الجزائري، إلّا أنّ اللغة الأم لا تفقد وظيفتها كعنصر جامع وموحّد للأمّة

الناطقة بها التي شكّلت هويات صغيرة من خلال اختلافها اللهجي وطريقة تأديتها لتلك اللغة.

وقد بين **أحمد درويش** دور اللغة في تعزيز **الهوية الوطنية** بقوله: "من أجل جمع شتات هذه الهويّات الصّغيرة المتقاربة والمختلفة في آن واحد، اهتدت اللغات منذ القدم إلى فكرة اللغة المكتوبة التي تشكّل بؤرة تلتقي فيها أشعّة الهويّات اللغويّة الصّغيرة مكوّنة منها هويّة لغويّة كبيرة لجميع المنتمين إليها"[33] والأمثلة كثيرة من التاريخ شاهدة على مثل ذلك وأبرزها ما حصل مع اللغة العربيّة الأمّ التي توحّدت في العربيّة المضريّة التي عدّت أفصح اللهجات واتخذت اللغة الرّسميّة للأمّة العربيّة قديما وحديثا.

وإذا عدنا إلى واقع اللغة العربيّة في الجزائر، نجد التعريب قد خطا خطوات هامّة بعد مضيّ سنين من الاستقلال، إلا أنّه لم يستطع أن يبلغ المطلوب المتوخى وما كان ينتظر من دولة عربيّة استقلّت منذ أكثر من خمسين سنة؛ ولعلّ السّبب يرجع في ذلك ــ في نظرنا ــ إلى مخلّفات الاستعمار، وإلى جيل المفرنسين (الفرونكفيليين) الذين يحاربون اللغة العربيّة، ويحولون دون تعميم استعمالها، كما أن قوانين تعميم استعمال اللغة العربيّة جمّدت غير مرّة في الجزائر كما هو معروف[34].

وقد آن الأوان أن نؤمن بأنفسنا وكياننا وهويتنا وننطلق ــ على الأقل كخطوة أولى ــ نحو التطوّر والتقدّم والاستقلال في تدريس مختلف العلوم باللغة الرسميّة "**الأم**"؛ أي اللغة العربيّة ونترك تعلّم اللغات الأجنبيّة للمتخصصين بها، ولغيرهم فقط؛ لأجل التّمكن من التّحاور بها في بلدانها، ولقراءة آدابها؛ لأنّ تدريس العلوم باللغة الأم دليل على الثقة في **الهويّة القوميّة** والاعتزاز بالانتماء، كما أنّه دلالة على تطوّر الأمّة التي تفرض لغتها الأصليّة لتدريس جميع العلوم، وإن كان أغلبها مستعارا من غيرها من الشعوب والأمم. فهذه السّويد مثلا تفرض تدريس جميع العلوم باللغة السويدية، ولا تستعين في ذلك باللغة الإنجليزيّة، حتى وإن كانت المستجدّات في العلوم المدروسة مصدرها لغة أخرى كالفرنسية أو الإنجليزيّة

وذلك على الرّغم من أنّ اللغة السويدية محدودة الاستعمال في العالم، ولا تكاد تتجاوز دولة السويد.

فالأولى على الأمّة العربيّة أن تبادر لمثل هذه الخطوات الهامة والضرورية فهي التي ــ تكتسح لغتها مساحة بارزة من العالم تمتدّ من المحيط إلى الخليج – أن تستعير لغة أجنبيّة لتدريس العلوم بدل تعريب تلك العلوم، وتقديمها باللغة الأمّ لتثبت أن لها استقلالية وخصوصية؟ وهذا لا يعني أننا ننظر نظرة سلبية لمسألة المزاوجة بين اللغات أو أننا نقول بسلبية ظاهرة اللهجات واستعمالها في المجتمعات ولكن يجب أن نتعامل معها على أنها أداة مساعدة على تقريب الهوة فيما بينها، وتضييق الفجوة بينها وبين اللغة الفصحى.

وهذا كله له فائدته الكبيرة في تعميق التفاهم بين أبناء الأمة العربية؛ لأنّ اللغة من أقوى الدعائم لتوثيق الروابط بين الأفراد وهو الاعتقاد الذي ذهب إليه المحدثون بأن دراسة اللهجات العربية الحديثة والتعرف على خصائصها المشتركة أقوى روابط الأمة. فاللغة ركن من أركان الفكر والحضارة، وأساس من أسس الهوية، وهي اللسان الناطق والقلب النابض لكل أمة من الأمم، ولذا فإن في بقائها بقاء للأمة، وفي زوالها زوال لتلك الأمة. وكم من أمة اندثرت حين ذابت في حضارة أمة أخرى، والأدلة كثيرة على ذلك.

4 ــــ اللغة العربية في ظل المد العولمي الحديث: مما لا شك فيه أن مستقبل اللغة العربية يرتبط باستخدامها المتزايد والجاد في شبكات المعلومات العالمية وهو أمر ليس بالسهل؛ لأنّه يتطلب جهودًا كثيرة على المستوى اللغوي، وعلى مستوى تقنيات المعلومات حتى تستطيع المؤسسات العربية التعامل باللغة العربية. وهذا أحد تحديات المستقبل القريب للارتقاء باللغة العربية إلى مصاف اللغات العالمية الكبرى بوصفها وسيلة لنقل المعلومات بالتقنيات المتقدمة[35] بمعنى أن اللغة العربية تصبح لغة منتجة للعلم، حتى تتبوأ المكانة اللازمة بين لغات العالم. وتؤهل بذلك لمواكبة تحديات العولمة إذ يجب تجديدها مع المتغيرات التي تعيشها المجتمعات العربية بحيث تكون عملية التطوير استجابة لتطور تلك المجتمعات.

بالإضافة إلى ذلك كله يجب علينا الاهتمام بالانفتاح على المستجدات في العالم خاصة في مجالات العلوم والتقنيات والاستفادة من نتائج هذه العلوم جميعا من خلال ربط اللغة بحركة الفكر الإنساني، فاللغة هي أهم الروابط المعنوية التي تربط الفرد بغيره؛ لأنها وسيلة التفاهم والتوصل وآلة تفكير الانسان، وهي واسطته لنقل الأفكار والرؤى، من الأسلاف إلى الأخلاف. فاللغة وعاء الثقافة وأقدم تجليات الهوية، على اعتبار أن اللغة المشتركة هي التي تجعل من كل فئة من الناس " جماعة" واحدة، ذات هوية مستقلة، ويزداد الاهتمام باللغة العربية والهوية في ظل العولمة؛ التي تعني سيطرة اللغة القوية على اللغات الأخرى الضعيفة وتهميشها في المجالات السياسية والاقتصادية والعلمية، حيث تحل محلها اللغات الأقوى وبصورة خاصة اللغة الإنجليزية. وعليه فإن العولمة إما أن تتيح فرصة نوعية لانفتاح الشعوب والثقافات على بعضها البعض لغاية التعريف بالتراث الحضاري والفكري واللغوي والروحي للشعوب، مما يؤدي إلى احترام الحق في الاختلاف والتنوع والاعتراف بكل ثقافة وبإسهاماتها في الحضارة الإنسانية الواحدة، أو أنها تؤدي إلى تدمير الثقافات، إذا كانت غايتها إلغاء الآخر بفرض التجانس، مما يؤدي إلى تحويل النتاجات الثقافية إلى سلع تتحكم فيها قوانين السوق. وفي ــ الحقيقة ــ ترجع جذور عولمة اللغات إلى الاستعمار الاستيطاني في العالم الثالث عامة، وفي العالم العربي خاصة ــ كما بينا سابقا ــ إذ حاول هذا الأخير إلغاء اللسان العربي واستبداله باللسان الفرنسي في المغرب العربي وباللسان الإنجليزي، في المشرق العربي

إذا فالتحديات التي تواجهها اللغة العربية لا تأتي من الداخل فقط، وإنما تأتي أيضا من مصادر خارجية، بدءا من الاحتكاك مع اللغات الأخرى، وخاصة لغة المستعمر التي فرضت سلطانها على الدول العربية في القرون والعقود السّابقة.

خاتمة: إن الخطر لا يكمن في التعدد اللغوي في المجتمع اللغوي الواحد كعلاقة اللغة العربية بلهجاتها المختلفة؛ لأن هذه الظاهرة قديمة ومضطردة في مختلف الأمم والشعوب ويمكن التحكم فيها؛ وإنما يكمن الخطر في علاقتها مع

اللغات الأجنبية التي تهدد كيانها وتحاول تهميشها أو أن تأخذ مكانها إذ لا بد للغة العربية أن تكون لغة عمل وتواصل في جميع الأصعدة والجهات بدءًا بالنشر العلمي وتبادل الخبرات التكنولوجية، فيما بين الدول الصناعية فما الفائدة من لغة يصعب التواصل بها لشح محتواها الرقمي ورداءته، فلا بدّ من تدريس كل العلوم التكنولوجية والعلمية بالعربية مع ضرورة تعلم اللغات الأجنبية بالنسبة للمتخصصين في هذه المجالات (التقنية الصناعية) مع الإحاطة بالمصطلحات العلمية فتسير بذلك بخطي التقدم العلمي المتسارع، وتعزز مكانتها وتجدد ملامحها لأجل الإفادة والاستفادة من النتاج الفكري للأمم والانفتاح عليها والتحاور معها.
ومن أهم النتائج التي خرج بها البحث:

ــ فتحت العولمة اللغوية بابا ووفرت جميع الوسائل لكل لغة لتجد سبيلها إلى خوض التواصل الدولي. ولكنها من ناحية أخرى قد أدت إلى ما يمكن الإطلاق عليه مصطلح "**أزمة الهوية اللغوية**"، حيث أن أبناء هذا العصر لم يعودوا يعيشون اللغة التي تنتمي إليها ثقافتهم وأرضهم وإنما تنتمي هويتهم اللغوية إلى اللغة المهيمنة في التواصل الدولي؛

ــ العولمة اللغوية لا تقل خطورة عن العولمة الاقتصادية بل إنها أخطر ألوان العولمة؛ لأنها لا تعني عولمة اللغة الإنجليزية وهيمنتها على سائر اللغات فقط وإنما تعني أيضا عولمة ثقافة هذه اللغة وسيادتها على ثقافات العالم كلها؛

ــ التعايش السلمي بين اللغات (اللهجات) الجزائرية هي نتاج صرف لاختلاف الثقافة الأمازيغية؛

ــ يمكن أن تتيح العولمة فرصة نوعية لانفتاح الشعوب والثقافات مع بعضها ببعض لغاية التعريف بالتراث الحضاري والفكري واللغوي والروحي للشعوب؛

ــ تعتبر اللغة ركن من أركان الفكر والحضارة، وأساس من أسس الهوية الوطنية.

قائمة المصادر والمراجع:

1- القرآن الكريم.

2- أبو الفتح عثمان بن جنّي: الخصائص، تح: محمّد علي النّجار، ج1، ط2، دار الهدى، بيروت.

3- ابن سدة الأندلسي: المخصّص في اللغة، دار الآفاق الجديدة، تحق: لجنة إحياء التّراث العرب، بيروت لبنان.

4- ابن منظور لسان العرب، مادّة (ل، ه،ج)، دار إحياء التّراث العربي، بيروت لبنان، ط2، 1993، ج2.

5- إبراهيم خليل: مدخل إلى علم اللغة، عمان، الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع 2010 م.

6- إبراهيم كايد: العربية الفصحي بين الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل، المجلد 61.ص،2002، العدد1.

7- أنيس إبراهيم: في اللّهجات العربيّة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط2 1995م.

8- أنيس فريحة: نظريات في اللّغة، المكتبة الجامعية، دار الكتاب اللّبناني، بيروت ط2، 1981.

9- بلعرج بلقاسم: الدّارجة الجزائريّة وصلتها بالعربيّة الفصحى، دراسة لسانيّة للهجة بني فتح (جيجل)، مديريّة النشر لجامعة قالمة، 2008.

10- توفيق محمّد شاهين: دراسات لغوية، علم اللّغة العام، مكتبة وهبة للطّباعة والنّشر، القاهرة، مصر، (دط) .

11 ــ حجازي، محمود فهمي: اللغة العربيّة في العصر الحديث، قضايا ومشكلات دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، 1998.

12 ــ حمزة الكتاني، الحرف العربي أداة تبليغ التكنولوجيا، ضمن كتاب الحرف العربي والتكنولوجيا، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1988 م.

13 ــ دروزة، عزة. العامية والفصحى: مقال ضمن قضايا وحوارات النهضة العربية، المنشورة في كتاب (الفصحى والعامية)، تحرير وتقديم: محمد كامل الخطيب، دمشق :منشورات وزارة الثقافة2004.

14 ـــــ درويش أحمد: إنقاذ اللغة إنقاذ الهويّة، تطوير اللغة العربية، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 2006.

15- سعيد الأفغاني: مجلّة مجمع اللّغة العربية، قصّة العامية في الشّام، القاهرة ج41.

16ـــ سهام ماذن: بين الفصحى والعامية: دراسة مقارنة لتراكيب اللغة العربية رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1997.

17الطيب بكوش: إشكاليات الفصحى والدّارجات: بحث ضمن كتاب من قضايا اللغة العربية المعاصرة.

18 ـــــ لوبون، غوستاف: حضارة العرب، تعريب عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربيّة، عيسى بابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ط 3، 1956.

19ـــــ مبارك مازن: اللغة العربيّة في التّعليم العالي والبحث العلمي، دار النفائس بيروت، ط 4، 1998.

20 ـــ هلال، عبد الغفار حامد: اللّهجات العربيّة نشأة وتطورًا، دار الفكر العربي القاهرة،. 1998م.

الهوامش

[1] عادل خلف: اللغة والبحث اللغوي، مكتبة الآداب، القاهرة، دط، 1994م، ص 51.

[2] ابن جني: الخصائص، تح: محمّد علي النجّار، دار الكتب المصرية، ط2006، ج1، ص33.

[3] ا بن جنّي: الخصائص، تح: محمّد علي النّجار، دار الهدى، بيروت ج1، ط2، ص33.

[4]ا بن سدة الأندلسي: المخصّص في اللغة، دار الآفاق الجديدة، تحق: لجنة إحياء التّراث العـرب بيروت لبنان، ص30.

[5] توفيق محمّد شاهين: دراسات لغوية، علم اللّغة العام، مكتبة وهبة للطّباعـة والنّشـر، القـاهرة مصر، (دط)، 1995، ص13.

[6] أنيس فريحة: نظريات في اللّغة، المكتبة الجامعية، دار الكتاب اللّبناني، بيـروت، ط2، 1981 ص14.

[7] نقلاً عن توفيق محمّد شاهين: دراسات اللّغوية، ص13.

[8] المرجع نفسه، ص14.

[9] ابن منظور لسان العرب، مادّة (ل، ه،ج)، دار إحياء التّـراث العربـي، بيـروت لبنـان، ط2 1993، ج2، ص340.

[10] أنيس، إبراهيم: في اللّهجات العربيّة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط2 1995م، ص17

[11] المرجع نفسه، ص17.

[12] هلال عبد الغفار حامد: اللّهجات العربيّة نشأة وتطورًا، دار الفكر العربي، القـاهرة، 1998م. ص34.

[13] توفيق محمّد شاهين: دراسات لغوية في علم اللّغة العام، ص14.

[14] سهام مادن: بين الفصحى والعامية: دراسة مقارنة لتراكيب اللغة العربية، رسـالة ماجسـتير جامعة الجزائر، 1997، ص28.

[15] إبراهيم كايد: لعربية الفصحى بين الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية، المجلة العلمية لجامعـة الملك فيصل، المجلد 61.ص،2002، 1 العدد، ص.3

[16] الطيب بكوش: إشكاليات الفصحى والدّارجات: بحث ضمن كتاب من قضـايا اللغـة العربيـة المعاصرة، ص174.

[17] أنيس فريحة: نحو عربية ميسّرة، ص93 ص94.

[18] يُنظر: بوهانفوك: دراسات في اللغة واللهجات، ص36.

[19] سعيد الأفغاني: مجلّة مجمع اللّغة العربية، قصّة العامية في الشّام، القاهرة، ج41، ص

[20] دروزة عزة: العامية والفصحى: مقال ضمن قضايا وحوارات النهضة العربية، المنشورة في كتاب (الفصحى والعامية)، تحرير وتقديم: محمد كامل الخطيب، دمشق :منشورات وزارة الثقافة2004، ص 108-109.

[21] إبراهيم كايد: العربية الفصحى بين الازدواجية اللّغوية والثّنائية، ص87.

[22] يُنظر: إبراهيم خليل، مدخل إلى علم اللغة، عمان، الأردن، دار المسيرة للنشر والتوزيع 2010 م، ص. 75-76

[23] ينظر: ويكيبديا اللغات الأمازيغية.

[24] Blench, Roger. 2018. Reconciling archaeological and linguistic evidence for Berber prehistory ./WEB واي باك مشين.11 /2018/12

[25] بلعرج بلقاسم: الدّارجة الجزائريّة وصلتها بالعربيّة الفصحى، دراسة لسانيّة للهجة بني فتح (جيجل)، مديريّة النشر لجامعة قالمة، 2008، ص 8.

[26] لوبون، غوستاف: حضارة العرب، تعريب عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربيّة، عيسى بابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ط 3، 1956، ص 247.

[27] نقلا عن: مليكة سعدي، اللغة الأمّ في الجزائر، عود الند، مجلة ثقافية فصلية، العدد 109.

[28] حجازي، محمود فهمي: اللغة العربيّة في العصر الحديث، قضايا ومشكلات، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، 1998، ص 25.

[29] مبارك مازن: اللغة العربيّة في التّعليم العالي والبحث العلمي، دار النفائس، بيروت، ط 4، 1998، ص 9.

[30] المرجع نفسه، ص 9.

[31] المرجع نفسه، ص 9-10.

[32] درويش أحمد: إنقاذ اللغة إنقاذ الهويّة، تطوير اللغة العربية، نهضة مصر للطباعة والنشر القاهرة، 2006، ص19.

[33] المرجع نفسه، ص 21.

[34] نقلا عن: مليكة سعدي، اللغة الأمّ في الجزائر، عود الند، مجلة ثقافية فصلية، العدد 109. بتصرف

[35] ينظر: حمزة الكتاني، الحرف العربي أداة تبليغ التكنولوجيا، ضمن كتاب الحرف العربي والتكنولوجيا، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1988 م. ص94.

دور المدرسة في تعزيز قيم المواطنة اللغوية

دور المدرسة والمؤسّسات اللّغوية والإعلاميّة والاقتصاديّة في تعزيز المواطنة اللّغوية.

أ. خيرة عيشون

ج. محمد لمين دباغين سطيف 2

الملخص: إن الحديث عن دور المدرسة في المجتمع أمر لا ينفيه أي كان، وإن اختلفت الرؤى فالمدرسة مؤسسة اجتماعية تقوم على ترسيخ مجموعة من القيم الوطنية والإنسانية والأخلاقية من خلال برامجها ومناهجها التربوية والتعليمية.

ومن بين الاعتبارات الكبرى للمدرسة داخل المجتمع نجد بناء وترسيخ قيم المواطنة اللغوية، ولن يتأتى ذلك مالم تعط الأهمية البالغة للمدرسة، لما تحمله من دلالات حقيقية في سبيل ترسيخ اللغة الوطنية باعتبارها ثابتا من ثوابت الأمة فتمس جميع الطبقات الاجتماعية والثقافية والسياسية ... لذا فمهمة المدرسة الرئيسة هي المحافظة على ثوابت المجتمع وترسيخ مبادئ الهوية من خلال برامجها ومناهجها التعليمية وتسهر على بلوغ غايته الأساسية المرتبطة بالتحديد بتربية وخلق مواطن قادر على الانخراط في المجتمع

إن التربية اللغوية جزء لا يتجزّأ من مهام المدرسة، والتربية على المواطنة اللغوية ليست معرفة فقط؛ بل ممارسة تلقن للتلاميذ للتفاعل والعيش معا من خلال نشاطات ملموسة تسمح لهم ببناء فضاءات المواطنة، ومن هنا تبدت إشكالية البحث لتجيب على جملة من التساؤلات لعلّ أهمها ما يلي: كيف تسهم المدرسة في بناء مواطنة لغوية لدى المتعلمين؟ ما دور المعلم في ترسيخ المواطنة عند التلاميذ؟ ما الرّكائز التي تستند عليها المناهج التربوية والبرامج التعليمية لبناء مواطن الغد الذي يعتز بلغته وانتمائه إليها؟

الكلمات المفتاحية: المدرسة، المعلم، المتعلّم، المقرر الدّراسي، قيم المواطنة اللّغوية.

مقدمة: تعد المدرسة مؤسسة لها حق الصدارة في المجتمع، تضطلع بمهمة رئيسة تتمثل في تربية النشء وتعليمه، قصد إعداد مواطن صالح جاهز للانخراط في صلب الحياة الاجتماعية والتفاعل معها بهدف الإسهام في إحداث تنمية شاملة بمختلف أبعادها، ولاشك أن هذه الأهداف السامية للمدرسة تعترضها مجموعة من الصعوبات والعراقيل منها ما تعلق بالمدرسة في حد ذاتها، كالبرامج والمناهج الدراسية، وكذا الهياكل الإدارية ومدى فاعليتها في الأداء، بالإضافة إلى ما هو خارج عن نطاقها وتابع للسياق الاجتماعي التفاعلي ومحيط المدرسة بمختلف عناصره، كالقيم السائدة، والتوجهات السياسية المختلفة، وربما كان أخطر هذه العوائق والعراقيل على الإطلاق ما يسمى بظاهرة العولمة والتي تنطوي على تهديد كبير لمعظم المجتمعات الإنسانية، ذلك أنها تؤدي إلى ميلاد عالم جديد لا حدود سياسية لديه ولا ثقافية، وهذا ما فتح الباب على مصراعيه لانتقال الأفكار والقرارات والتشريعات السّياسية عبر المجتمعات بلا رقيب ولا حسيب، وقد أدى هذا إلى تشكل مجتمع معولم تسيطر عليه ثقافة جديدة تضمّ قيما وأخلاقا ومعايير معولمة جديدة لا عهد للمجتمع بها فهي تعمل على تسهيل التواصل والتقارب بين جميع البشر من جهة ولكنها من جهة ثانية تتجاهل كل الحدود والاختلافات الثقافية والدينية والعقائدية بينهم.

وتحت هذا الضغط الناجم عن المدّ المتزايد للأفكار والمعارف المشكلة للسّلوك الفردي والجماعي والمحملة بالنمط الحضاري المتحيّز للثقافة الغربية السّائدة، حدث تغيّر جذري في المفاهيم السّائدة ومن بينها المواطنة التي لم تعد تدلّ على ذلك الشخص الذي يتمتع بالحقوق ويلتزم بالواجبات ضمن رقعة جغرافية معينة لها حدود معينة تعرف بالدّولة.

وبهذا طفت إلى السّطح مشكلة بالغة الأهمية أضحت تؤرق الدّول النامية على وجه الخصوص في ظل هذا الانسلاخ الثقافي والحضاري، وبناء عليه فإنه يوكل إلى المدرسة مهمة الاضطلاع بحماية النشء من الخطر المحدق بهم، وغرس قيم المواطنة بكافة أبعادها في متعلم اليوم وإعداده للذود عن الوطن غدا، فدور

المدرسة لا يتوقف عن إكساب المعارف والمهارات التقنية والقدرات العقلية فقط... وإنما يمتد إلى بناء وترسيخ منظومة متكاملة من القيم وأنماط التفكير.

يعد قطاع التربية والتعليم ركيزة أساسا لتكوين الأفراد وبناء المجتمعات وهو بذلك من أهم الوسائط الاجتماعية وأكثرها نجاعة لتكريس توجهات المجتمعات ولذا تشكل المنظومة التربوية إحدى انشغالات العصر الكبرى التي نالت عناية الأمم واهتماماتها، وليست المدرسة مكانا للتعلم وتحصيل المعارف فحسب، بل هي إلى جانب ذلك فضاء مناسب ليكتسب فيه المتعلم القيم التي تصقل شخصيته وتحدّد سلوكياته الحالية والمستقبلية، وتعد التربية اللّغوية جزءا لا يتجزأ من مهام المدرسة، والتربية على المواطنة اللّغوية ليست معرفة فحسب، بل ممارسة تلقن للتلاميذ للتفاعل والعيش معا من خلال نشاطات ملموسة تسمح لهم ببناء فضاءات المواطنة ومن هنا تبت إشكالية البحث لتجيب عن مجموعة من الأسئلة لا يمكن أن نحيد عنها لعل أهمها ما يلي: ماذا تعني المواطنة والمواطنة اللّغوية خاصة؟، كيف تسهم المدرسة في بناء المواطنة اللّغوية لدى المتعلمين؟، ما دور المعلم في ترسيخ المواطنة اللّغوية عند التلاميذ؟، ما الركائز التي تستند عليها المناهج التربوية والبرامج التعليمية لبناء مواطن الغد الذي يعتز بلغته وبانتمائه إليها؟ وقبل هذا يجب الوقوف على مجموعة من المفاهيم التي تسهل الولوج إلى البحث منها:

1ــ مفهوم المدرسة :

لغة: تشير معظم المعاجم العربية إلى كلمة المدرسة في اللّغة مشتقة من الفعل الثلاثي "درس" و"درس الشيء بمعنى طحنه وجزأه، وسهّل ويسّر تعلمه إلى أجزاء فيقال درس الكتاب يدرسه دراسة بمعنى قرأه وأقبل عليه ليحفظه ويفهمه والمدرسة مكان الدّرس والتعلم ويقال هوعلى مدرسة فلان أي: على رأيه ومذهبه"[1]

اصطلاحا: لقد تعددت التعريفات المقدمة للمدرسة باختلاف مشارب العلماء والباحثين واختلفت باختلاف توجهاتهم، ومن أبرز التعاريف التي رصدناها هي أن المدرسة: "مؤسسة اجتماعية أنشأها المجتمع عن قصد، لتتولى تنشئة الأجيال الجديدة بما يجعلهم أعضاء صالحين في المجتمع الذي تعدهم له، كما تعمل على

تنمية شخصية الأفراد تنمية متكاملة ليصبحوا أعضاء إيجابيين في المجتمع"[2] إذا كانت هذه وجهة النظر التي سيطرت على علماء الاجتماع حيث يركزون على المدرسة في علاقتها بالمجتمع، فإن علماء التربية ينظرون إلى المدرسة باعتبار وظيفتها الرئيسة وهي التربية والتعليم، ولهذا تعرّف المدرسة عندهم على أنها "المكان أو المؤسسة المخصصة للتعليم، وتنهض بدور تربوي لا يقل خطورة عن دورها التعليمي، إنها أداة تواصل نشطة تصل الماضي بالحاضر والمستقبل، فهي التي تنقل للأجيال الجديدة تجارب معارف الآخرين والمعايير والقيم التي تبنوها وكذا مختلف الاختيارات التي ركّزوا وحافظوا عليها، بل وأقاموا عليها مجتمعهم الحالي"[3] وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن المدرسة فضاء تربوي، وأداة للحفاظ على الهوّية والتراث ونقله من جيل إلى آخر، وهي أس مكين من أسس التنمية وتقدم المجتمعات الإنسانية.

إن الملاحظة الدّقيقة لهذين التعريفين تمكننا من القول: المدرسة مؤسسة اجتماعية أوجدها المجتمع بغية ترسيخ مجموعة من القيم الإنسانية والأخلاقية التي تحفظ له كينونته وتميّزه عن طريق برامجها ومناهجها التربوية والتعليمية وفق توجهات المجتمع التربوية وسياسته التعليمية ومبادئه العامة، والعمل على ترجمتها إلى واقع يتجسّد في سلوكيات الأفراد الاجتماعية، وبهذا يتحقق الهدف الأسمى في حفظ التراث الثقافي للمجتمع ضامنا بذلك تواصل الأجيال وترابطها.

مكونات المدرسة:

أ- **المعلم:** وهو المرشد والموجّه والقائم على تزويد المتعلمين بمختلف المعارف والمهارات والخبرات والقيم من خلال توظيف وسائل وأساليب فنية تتيح له أداء مهمته على أحسن وجه وهي تتلخّص في:

- استثارة دافعية التلاميذ نحو الإقبال على التعلم وبذل جهود مضاعفة قصد بلوغ التحصيل الدّراسي الجيّد؛
- التخطيط للدّرس وتقديم المعرفة؛
- توجيه النقاش بين التلاميذ وإدارته؛

ـــ الضبط والمحافظة على النّظام؛

ـــ إرشاد التلاميذ.

ـــ التقييم.

تجدر الإشارة إلى أنه ينبغي أن يكون المعلم مسلحا بالمعرفة والفضائل الأخلاقية والاجتماعية والقيم السامية لأن تأثيره كبير في بناء شخصية المتعلم من الجوانب النفسية والاجتماعية باعتباره المثل الذي يقتدى به المتعلم.

ب ـــ **المتعلم (التلميذ)**: وهو الطرف المستقبل للمعلومات والمعارف والخبرات من المعلم، ولم يعد الأمر متوقفا عند هذا الحدّ بل صار المتعلم عنصرا فاعلا وناشطا في العملية التعليمية ـــ التعلمية: لذا ينبغي العمل بوعي على اشراكه في بناء المعارف واكتساب القيم والخبرات وهذا بهدف تنمية قدراته لبناء حياته ومجتمعه، وهذا عن طريق دفع المتعلم إلى البحث لتوسيع معلوماته ومدركاته، والعمل على تجنيدها يوميا.

ج ـــ **المناهج**: يعرّف المنهاج على أنه "جميع الخبرات التي يمرّ بها المتعلمون في برنامج تربوي يهدف إلى تحقيق أهداف عامة عريضة، وأهداف تدريسية خاصة مرتبطة بها وتمّ تخطيطها"[4] وعن طريق البرامج والمقررات الدراسية يكتسب المتعلم مجموع المعارف الفعلية والسلوكية والقيمية التي تسعى المنظومة التربوية إلى غرسها وترسيخها عند المتعلم لمواجهة تحديات الغدّ.

2ـــ **القيـّم** :

أ ـــ **لغة**: تصفح المعجم بحثا عن مفهوم للقيمة يقودنا إلى أن: "القيمة جاءت من الفعل قوم، وقام، ونقول قام المتاع أو الشيء الثمين ذو الأهمية والفعل أو الشيء الذي يثمّن بقدر"[5] فالقيّم هو السيّد سائس الأمور وفي الحديث: "أتاني ملك وقال: أنت قيّم وخلفك قيّم ومن يتولى المهجور عليهم" وأمر قيّم أي مستقيم، وكتاب قيّم أي نفيس ذو قيمة، والقيمة هي المستقيمة، قال الله تعالى: "يتلو عليهم صحفا مطهّرة فيها كتب قيّمة" والأمّة القيّمة هي المعتدلة، قال الله تعالى: "وذلك دين القيّمة" أي عادلة مستقيمة ليس فيها خطأ"[6]

وبناء عليه فإن المعنى اللّغوي للقيّمة يدور حول مفـاهيم الاسـتقامة، العدالـة الثبات وكذا الدّوام، وبهذا تكتسي القيّمة في اللّغة العربية معنى إيجابيا يعكس مـدى أهميتها في حياة الأفراد والمجتمعات.

ب ــ **اصطلاحا:** يدل مفهوم القيّمة على أنها "مجموعة من التصورات والمفاهيم التي تكون إطارا للمعايير والأحكام والمثل والمعتقدات والتفضيلات التـي تتكـون لدى الفرد من خلال تفاعله مع المواقف والخبرات الفردية والاجتماعيـة، بحيـث تمكّنه من اختيار أهداف وتوجهات لحياته ويراها جديرة بتوظيف إمكانياته وتتجسد من خلال الاهتمامات أو الاتجاهات او السلوك العملي او اللّفظي بطريقة مباشرة أو غير مباشرة[7] وبهذا يتضح أن القيّم هي مجموعة المبادئ الثابتة التي يهتم بترسيخها لدى الناشئة بحيث تمكنهم من رسم معالم مستقبلهم وتقيهم مرّ الانسلاخ والانـدماج الحضاري فتحفظ لهم هويتهم. وتعرّف القيّم كذلك بأنهـا "موجهـات للسـلوك أو الأحكام المعيارية للسلوك الإنساني وهي تعد مرجعية حاكمة للسـلوك المرغـوب الذي يرتضي المجتمع لأفراده وبه تنتظم الحياة"[8] وبهذا تكون القيّم هـي النمـوذج الأمثل للسلوك الإنساني الذي يجب أن يتمثله الفرد في تفاعله مع غيره من أفـراد المجتمع، ومراعاة القيّم على هذا النحو يؤدي إلى انتظام الحياة ويسرها بين أفـراد المجتمع الواحد.

انطلاقا ممّا سبق يمكن القول إن القيم هي تلك المبادئ والمقـاييس والمعـايير والمؤشرات التي توجّه رغبات الإنسان واتجاهاته ومعتقداته، وهي تتكـون لـدى أفراد المجتمع عن طريق التفاعل مـع مختلـف المواقـف والخبـرات الفرديـة والاجتماعية، وتمكنهم من اختيار أهداف وتوجهات لحياتهم، ولكن تبقى القيم رهينة حدوث القبول من طرف المجتمع.

3ــ **المواطنة:**

أـ **لغة:** لقد شاع استخدام مصطلح المواطنة مع بداية القرن العشرين في اللّغـة العربية وهي ترجمة للمصطلح الأجنبي citizenship، وبالرّجوع إلى لسان العرب لابن منظور نجد أن "الوطن هو المنزل الذي تقيم فيـه، وهـو مـوطن الإنسـان

ومحله... ووطن بالمكان وأوطن أقام، وأوطنه اتخذه وطنا، والموطن... ويسمى به المشهد من مشاهد الحرب وجمعه مواطن، وفي التنزيل العزيز "لقد نصركم الله في مواطن كثيرة" والمواطن الذي نشأ في وطن ما وأقام فيه، وأوطن الأرض وواطنتها واستوطنتها أي اتخذتها وطنا، وتوطين النفس على الشيء كالتمهيد[9] ومن هذا نستنتج أن المعني اللّغوي لا يخرج عن التشارك في الوطن والعيش في مكان واحد، غير أن هذا المعنى أضحى غير كاف بالنسبة للمواطنة اليوم ولا هو واف بأبعادها السياسية والقانونية والاجتماعية وحتى العاطفية.

ب ــ **اصطلاحا:** يشيع بين العامة من الناس على أن المواطنة تدل على شعور الفرد بحبّه لوطنه والانتماء إليه، وهو شعور وجداني بالارتباط بالأرض والأفراد الساكنين على تلك الأرض، ويتجلى هذا الارتباط في مجموعة من القيم الاجتماعية والتراث التاريخي المشترك، وأما الدّارسون والباحثون فيرون أن: "المواطنة هي صفة المواطن التي تحدّد حقوقه وواجباته عن طريق التربية الوطنية، وتفترض المواطنة نوعا خاصّا من ولاء المواطنين لبلادهم وخدمتها في أوقات السّلم والحرب والتعاون مع المواطنين الآخرين في تحقيق الأهداف القومية"[10] إن المتفحص في جنبات هذا التعريف يدرك تركيزه على العلاقة القائمة بين المواطن والوطن وهي علاقة براغماتية (نفعية) وترتكز على الأخذ والعطاء، وفي هذا الإطار تعرّف كذلك المواطنة على أنها "علاقة بين فرد ودولة كما يحدّدها قانون تلك الدولة، وبما تتضمنه تلك العلاقة من واجبات وحقوق في تلك الدولة وتدل ضمنيا على مرتبة من الحرّية مع ما يصاحبها من مسؤوليات"[11] وأمّا المتمرسون في السّياسة فيعرفون فيرون أنّ: "وضع المواطنة يضمن للشخص الحماية التي تمنحها له قوانين الدّولة وتشريعاتها، ويؤدي المواطن واجبات معينة كدفع الضرائب، والخدمة في صفوف الجيش كما يتمتع ببعض الامتيازات كحق المشاركة في حكم بلده، وعندما يكون المواطن خارج دولته فإنه يكون تحت رعاية البعثة الدّبلوماسية والقنصلية الخاصّة بالدّولة التي ينتمي إليها"[12] من خلال هذا التعريف يتبدى أن المواطنة هي تعبير عن تمتع الفرد بحقوقه والتزامه بواجباته

يضاف إليها القدرة على ممارسة الحياة المدنية بكل ديمقراطية كحق الانتخاب مثلا والمشاركة في صنع القرارات وإعداد الأفراد للمشاركة بفعالية في خدمة المجتمع ومع هذا فإن المواطنة لا يمكن اختزالها في جانب اجتماعي أو سياسي فحسب بل هي ممتدة متفرعة عبر مجالات عدة ويمكن تحديد المواطنة من خلال ثلاثة أبعاد رئيسة هي:

البعد الفلسفي والقيمي: بعدّ المواطنة إنتاجا ثقافيا إنسانيا، فإنها تنطلق من مرجعية وقيمية تستوحي دلالتها من مفهوم الحرية والعدالة والخير، والهوية والمصير والوجود المشترك.

البعد السياسي والقانوني: حيث تتحدد المواطنة كمجموعة من القواعد والمعايير التنظيمية والسلوكية الاجتماعية داخل المجتمع.

البعد الاجتماعي والثقافي: حين تصبح المواطنة ضابطا لمنظومة التمثلات والسّلوكات والعلاقات والقيم الاجتماعية والثقافية، وبهذا تصير المواطنة مرجعية معيارية وقيمية اجتماعية، وثقافة ونظام مجتمعي[13].

4- المواطنة اللّغوية : la citoyenneté linguistique

يروج استخدام هذا المصطلح في اللسانيات الاجتماعية خاصة، ووضعيات تماس اللغات، "وهو يدل على انتماء جماعة لخصوصية ثقافية وإيديولوجية ولعلّ- اليوم-من العوامل المثيرة لهذا المفهوم -على المستوى الدولي-تلك العواصف اللغوية أو الهيمنة اللغوية لبعض اللغات ذوات السطوة العالمية، وعلى رأسها الإنجليزية، فقد أضحت قطب جذب تتجه الثقافات والهويات إليها، فتتصهر فيها نظرا لتمكنها من أسباب العلم والتكنولوجيا والمال"[14].

إن تبني الخصوصية الثقافية للمجتمع الذي ينتمي إليه الفرد تجعله يتمسك بأهم مقوماته ألا وهي اللغة، فتتخذ كافة التدابير من أجل الإبقاء على استعمالها والمحافظة على ديمومتها في ظل العولمة، وما تعكسه من آثار سلبية على خصوصية الأوطان وثقافتها ولذلك كانت المواطنة اللغوية هي "استعمال اللسان الوطني في كل المؤسسات والأماكن العامة وقضاء المصالح الإدارية، وإن

المواطنة اللغوية فضاء لغوي ممتد تأخذ فيه اللغة الرسمية النصيب الأوفى انطلاقا من أن تربية المواطنة تحصل أولا باللغة الرسمية وعدم احتقار اللغة الوطنية وتعزيز الثقافة الوطنية بنقل المفاهيم الوطنية للطفل، وبث الوعي بتاريخ الوطن وإنجازاته، والاهتمام بمختلف الأنشطة الثقافية"[15]. من خلال ما سبق نستدلّ على أن المواطنة اللغوية هي ترسيخ لاستخدام اللغة الرسمية للوطن، وبثّ روح الانتماء والافتخار بالموروث الثقافي لدى الناشئة تشجيعا على استخدامها في كافة المجالات مما يخلق علاقة مميزة بين المواطنين منبعها الثقافة الوطنية المشتركة لذلك كانت "العلاقة بين مفهوم المواطنة ومفهوم الثقافة الوطنية هي علاقة مشاركة إبداعية في خلق فضاء وطني جديد متجدد يتجنّب العزلة والانكفاء، ويحارب التعصب والشوفينية ويؤسس للاندماج والوحدة على قاعدة الديمقراطية واحترام التعدد وصيانة حقوق الإنسان"[16]. ولأن اللّغة من أهم مقومات الأمة والدولة وهي عامل أساسي في بناء الأوطان وتوحيد الأفراد، وفي اللّزام المجموعات بالوطن، وتعمل على تقوية الشعور بالانتماء للوطن، وزيادة التعاون بين المواطنين، فتربط الفرد بجدوده وبتراثه وبتقاليده كما تطور النظام التعليمي فتتيح للجميع فرص التعلم، وإن الاعتداء على هذا المقوّم والتقليل من شأنه أن يفتح على الدولة باب التفكك والصّراع بين مختلف الجماعات اللّغوية ذلك أن "اللّغة عامل انقسامي في الوطن الذي يتكلم أبناؤه أكثر من لغة واحدة فعندما تشعر مجموعة لغوية بالغبن في وطنها يتفاقم خطر الانفصال بسبب العامل اللّغوي، وتقوى النزعة الانفصالية في وجود التفاوت الاجتماعي وانعدام المساواة في فرص العمل، إذ تتحد الأقليات التي تتكلم اللّغة الواحدة في حركة وتنظيمات سياسية تعمل على رفع شأن الجماعة ككل وغالبا ما تكون الجماعة مغلوبة على أمرها في النواحي الاجتماعية والاقتصادية لأنها اللّغة الرسمية والنافذة، ممّا يزيد من شعورها بالغبن"[17] ولمّا كانت المواطنة عامة تتحدد عن طريق أداء الواجبات والتمتع بالحقوق، "فإن المواطنة اللّغوية تتجسد عن طريق منح التلميذ حقه في تعلم لغته واستعمالها، والعمل على إدخالها

إلى منظومة اللّغات الحية، وكذا حقه في أن تدافع مؤسسات الدولة عن نيل المرتبة التي تستحقها كلغة رسمية/ وطنية، وتسن القوانين العاملة على احترامها"[18].

5-المدرسة والمواطنة اللغوية: يؤدي دورا أولا في تربية قيم المواطنة وللمسجد دور داعم كذلك، وأما المدرسة فإن دورها تعزيزي ترسيخي في تقديم المعارف العلمية، وهي معارف محضة وفي توجيه التلاميذ لخدمة مجتمعاتهم وهي معارف إجرائية منهجية، ثم تكريس العمل على والجهد لتحقيق انفتاحهم على البعد العالمي من خلال الممارسة الديمقراطية، ونبذ العنف وتشجيعهم على الحوار وتقبل الآخر رغم الاختلافات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، ولما كان للثقافة الوطنية الأهمية البالغة في بيان خصوصية الشعوب وتمايزها، فإن الجهود قد صبّت لأجل الاهتمام بأبعادها وفي مقدمتها البعد اللغوي ولهذا ألفينا وزارات التربية في الدول المهتمة بالمواطنة تعمل على تدريس مادة المواطنة حرصا على تحقيق جملة من الأهداف هي كالآتي:

- تنمية معارف المتعلمين حول نظام الحكم ومسؤولياته، والمعطيات السياسية وأهم مؤسسات المجتمع؛
- تشجيع المتعلمين على التمسك بالقيم الأساسية (الحرية، المساواة، حقوق الإنسان، العمل التطوعي)؛
- توعية المتعلمين بأهم قضايا المجتمع ومشكلاته، وتشجيعهم على المشاركة في إيجاد الحلول لها؛
- تنمية الاتجاهات الإيجابية لدى الأبناء نحو المجتمع ومؤسساته، والتشجيع على المشاركة السياسية؛
- تشجيع المتعلمين على ممارسة أدوار اجتماعية معينة في المدرسة، وفي المجتمع بعد ذلك؛
- تنمية وعي المتعلمين بالأدوار المستقبلية لمؤسسات العمل، هو تضمين لمفاهيم الجودة والتقدم الحضاري، والربط بين مفاهيم المواطنة والجودة، وتنمية

إدارة وقيم العمل والشعور الوطني، بما يعني معايشة الفرد وتفاعله مع المجتمع في حاضره ومستقبله؛

- إكساب الأبناء قيم المواطنة يعد الركيزة الإيجابية والفعالة في التنمية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية[19].

والجزائر واحدة من الدول التي تولي أهمية لتربية المواطنة وتعزيزها عند المتعلمين، ولذا فقد بيّن القانون التوجيهي للتربية في مقدمته أهداف التربية على المواطنة وركّز على دور المدرسة في تعزيز القيم الروحية والوطنية بكافة أبعادها فجاءت على النحو الآتي:

- الاعتزاز بالشخصية الوطنية، وتعزيز الوحدة الوطنية، وذلك بالتقية والحفاظ على القيم المرتبطة بالإسلام والعروبة والمازيغية؛
- التكوين على المواطنة؛
- التفتح على الحركة التقدمية العالمية والاندماج فيها؛
- التأكيد على مبدأ الديمقراطية؛
- ترقية الموارد البشرية وإبراز مكانتها؛
- تحضير التلاميذ لمواصلة الدراسات الجامعية، وذلك بتنمية القدرات التي تمكن من اكتساب المعارف وإدماجها، والتركيز على قدرة التحليل والتقويم والحكم
- إيصال التلاميذ إلى استقلالية الحكم؛
- تعزيز الشعور بالانتماء إلى أمة وحضارة عمرها آلاف السنين؛
- تنمية وتعزيز القيم الروحية الأصيلة للمجتمع الجزائري، الموسومة بالتسامح والعدل واحترام النفس والغير؛
- ترسيخ وتنمية حب العمل والدقة وحب الإتقان؛
- تنمية روح النقد واحترام البيئة والملكية العمومية والخاصة[20].

تأخذ المدرسة الجزائرية على عاتقها مهمة تعزيز وترسيخ قيم المواطنة اللغوية ويتضح هذا جليا من خلال المادة الأولى من القانون التوجيهي للتربية وذلك بعدّ اللغة العربية واحدة من ثوابت الأمة التي تؤدي إلى الاعتزاز بالشخصية وتعزيز

الوحدة الوطنية ومن هذا يتبيّن أن الحفاظ على الأمة هو حفاظ على مقوماتها الأساسية وفي مقمتها اللغة.

المدرسة وحدة اجتماعية لها وجودها الخاص الذي يساعد بدرجة كبيرة على تشكيل إحساس الطالب بالفاعلية الشخصية، وفي تحديد نظرته تجاه البناء الاجتماعي القائم، وهي تلعب دورا أساسيا في عملية التنشئة اللغوية، خاصة وأنها تمثل الخبرة الأولى المباشرة للطالب خارج نطاق الأسرة، وذلك من عدة زوايا فهي تتولى غرس القيم اللغوية التي يتبعها النظام السياسي بصورة مقصودة من خلال المناهج والكتب الدراسية والأنشطة المختلفة التي ينخرط فيها التلاميذ، وليس بصورة تلقائية كما هو الحال في الأسرة أو المؤسسات الأخرى، كما أن المدرسة تؤثر في نوع القيم اللغوية التي يؤمن بها الفرد، وذلك من خلال علاقة المعلم بالطالب، ومن خلال آداء المعلم لعمله ومن خلال التنظيمات الإدارية[21].

أ- **المناهج الدراسية والمواطنة اللغوية:** إن المنظومة التربوية الجزائرية بكل ما تحمله من برامج ومناهج تسعى في عمومها إلى توصيل مجموعة من القيم المتعلقة خاصة بالهوية الوطنية كضرورة التحكم في اللغة الأم(العربية)، وتثمين الإرث الحضاري الذي تحمله من خلال الوعي بالهوية، وتعزيز المعالم الثقافية للأمة الجزائرية، وتصنّف المناهج الدراسية كإحدى الوسائل والأدوات الرئيسة التي تطوعها المدرسة لغرس قيم المواطنة في عقول الناشئة فهي التي تزوّد التلاميذ بمختلف أنواع المعارف والمهارات والقيم التي تضمن عملية الاندماج في النسق القيمي للمجتمع وهو ما يعني المشاركة الفعالة الإيجابية في مختلف مجالات الحياة الاجتماعية، بما يتيح تحقيق الصالح العام للوطن وللمواطنين، ويحفظ بذلك إمكانية تحقيق التقدم والازدهار للأمة.

والمنهاج الدراسي في عرف اللجنة الوطنية للمناج يعني: "كل التجارب التعليمية المنظمة، وكافة التأثيرات التي يمكن أن بتعرض لها التلميذ تحت مسؤولية المدرسة خلال فترة تكوينه، ويشمل هذا المفهوم نشاطات التعلم التي يشارك فيها التلميذ والطرائق والوسائل المستعملة وكذا كيفيات التقويم المعتمدة، ولم يعد الاهتمام

منصبا على المعرفة بل على التنمية الشاملة للتلميذ، من خلال التفتح المعرفي وتنمية جوانب النفس حركية والاجتماعية للتلميذ، يتكفل بها من خلال تجارب الحياة التي يتعرض لها تحت مسؤولية المؤسسة التربوية، إذ تتكفل فرق المدربين بتوجيه مسيرته في إطار ديناميكي لتكوينه وبناء شخصيته وكفاءاته"[22]. و"تتبوأ المناهج الدراسية عملية التطبيع الاجتماعي ذلك أن فاعلية التطبيع داخل المؤسسة التربوية مرهونة بجودة المناهج الدراسية وقدرتها على إشباع ميول التلاميذ وحاجاتهم وتجاوبهم مع مشكلات المجتمع وخصائصه ومن ناحية أخرى فإن لكل مادة دراسية طبيعتها التي تساعدها في عملية تطبيع التلاميذ اجتماعيا في ضوء الإطار الاجتماعي العام"[23] وهو الأمر عينه بالنسبة لمادة اللغة العربية وغيرها من المواد الأخرى التي تعمل على ترسيخ المواطنة اللغوية وتكريسها في الممارسات الفعلية لدى النشء.

إن العمل على تعزيز أهداف المواطنة اللغوية بالشكل السليم لابد أن ينطلق من مراعاة المبادئ التالية:

- ضرورة أن تشتمل المناهج الدراسية على ثلاثة عناصر أساسية هي: المعرفة المدنية، القيم والاتجاهات، مهارات المشاركة المجتمعية؛

- الحرص على الاهتمام بالمنظومة القيمية المجتمعية التي تحقق المواطنة الصالحة، والانتماء للوطن وتصون الوحدة الوطنية، وتهيّء للفرد درجة عالية من التوافق مع مجتمعه، وأبرز هذه القيم هي قيم المواطنة اللغوية والانتماء اللغوي حيث يسعى الفرد في المجتمع إلى استخدام لغته الأم دونما خجل بها ودون نفور من مفرداتها أو شعوره بالنقص الاجتماعي في حال توظيفها فيضطره ذلك للهرب إلى اللغة الأجنبية أو إدخال ألفاظ هذه اللغة الأجنبية على اللغة الأم في شكل مزيج وخليط لغوي.

- الاهتمام بالثقافة اللغوية بما ينمي لدى الأجيال مهارات التعامل الواعي وتوظيف اللغة الأم في مختلف المواقف التواصلية؛

– تهيئة المتعلم للممارسة الحياتية المستقبلية للمواطنة اللغوية وذلك عن طريق التطبيقات العملية، والأنشطة التعلمية، سواء كانت الصفية أم اللاصفية؛

– بناء قيم الاستخدام اللغوي للغة الأم، والاعتزاز بها وبيان أهميتها داخل المجتمع، ودورها في تطّوره وتميّزه وتفرّده عن باقي المجتمعات؛

– تنويع طرق وأساليب تدريس اللغة الوطنية من خلال الارتكاز على التشويش والابتكار.

ولذا تعدّ "المناهج التعليمية إحدى الوسائل الهامة في غرس قيم الوطنية والولاء والانتماء في أذهان الناشئة، فهي المخصب الأساس للذهن والذاكرة إزاء تمسكها بقيم الوحدة الوطنية والعدالة والمساواة والديمقراطية، وهي المسؤولة عن ترسيخها في أذهان الأجيال"[24]. وتصل المدرسة إلى أعلى درجات الفاعلية في تعزيز قيم المواطنة اللغوية؛ إذا كان هناك تطابق بين مناهجها النظرية وبرامجها التطبيقية وحيثما حصل في هذا التوافق تناقض يصير تأثير المدرسة ضعيفا، ومثال ذلك أن تتضمن البرامج ضرورة استخدام اللغة الوطنية في جميع مؤسسات الدولة في حين أن ما يلاحظه المتعلم في المجتمع وحتى في حجرات الدراسة عكس ذلك، نظرا لما يعتري الاستعمال اللغوي من ازدواجية وثنائية لغوية تلحق الضرر بالاستخدام السليم للغة الوطنية، فتضر بقيم المواطنة اللغوية لدى المتعلم، لذا فقد دعت الضرورة إلى أن تتحول المدرسة إلى مجتمع حقيقي يمارس فيه المتعلم حياة اجتماعية صحيحة، يكون لها دور في بناء مجتمع متكافل متماسك معتزّ بأصالته وواثق بمستقبله الذي يرتكز على الهوية الوطنية المتمثلة في الإسلام عقيدة وسلوكا حضاريا، وفي العروبة حضارة وثقافة ولغة، وفي المازيغية ثقافة وترابا لا يتجزّأ وفي مقومات الشخصية الوطنية التي يجب الاهتمام والنهوض بها وإثراؤها في نطاق الثقافة الوطنية.

ب– المعلم والمواطنة اللغوية: تعنى المدرسة بغرس قيم المواطنة من خلال المناهج والأنشطة المختلفة، وتعتمد في ذلك على الكتاب المدرسي وعلاقة المعلم بالمتعلم، فعندما يكون المعلم متحكما في مادته الدراسية ومتمكنا منها، فإنه يكتسب

احترام التلاميذ، ويسهل عليه التأثير فيهم، فتتغير القيم التي يؤمنون بها والعكس صحيح، وإذا ترك المعلم الطلبة يعبرون عن آرائهم وأفكارهم بحرية فإن هذا يساعدهم على نمو شخصياتهم وزيادة ثقتهم بأنفسهم.وإن المعلم بوصفه شريكا استراتيجيا في العملية التعليمية التعلمية وعنصرا أساسيا في أي مشروع تربوي تولي تعليمية المواطنة بصفة عامة والمواطنة اللّغوية خاصة، والعمل على تنفيذ المقاربات والاستراتيجيات الموضوعة لها في مناهج الدراسة، فيكون بذلك صاحب الدور الحاسم في تحصيل المعارف، وتثمين التعليمات المرتبطة بها وأن يسهم في غرس روح الولاء والانتماء والاعتزاز بالهويّة الوطنية، مرشدا وموجها للمتعلم في كيفية اكتساب مبدأ العمل والتعاون الجماعي، والشعور بالمسؤولية المشتركة[25] إذن: يقع على المعلم الدور الكبير في تجذير تربية المواطنة اللّغوية لدى المتعلمين وذلك عن طريق إشراكهم في العملية التعليمية التعلمية بكافة مراحلها: تخطيطا وتنفيذا وتقويما ومتابعة، وتشجيعهم على معالجة المشكلات ومواجهتها بأسلوب عقلاني هادئ، ومثال ذلك التشجيع على استخدام اللّغة الوطنية في كافة مجالات الحياة وخاصة خارج أسوار المدرسة بحيث يسمح ذلك للمتعلم من التمكن الجيد من لغته وتحقيق روح الانتماء للوطن الواحد الاعتزاز بمقوماته وفي مقدمتها اللّغة ويضطلع المعلم كذلك بمهمة تشجيع المتعلمين على تكوين النوادي العلمية والأدبية التي تسمح لهم بإبراز مواهبهم وتوظيف لغتهم الوطنية، أضف إلى ذلك تعويدهم على التفكير الناقد البناء مع التركيز على ضرورة الاستخدام الحسن والجيد للغة الوطنية والاعتزاز بهذا المكون المشترك لدى أبناء الأمة الواحدة. وإنه لمن الضرورة بمكان التأكيد على طرائق التدريس التي يوظفها المعلم فهي تحتاج إلى مناخ ديمقراطي يتسم بالحريّة والتسامح الفكري والتفاعل الإيجابي وتساعد على تحرير المتعلم من القهر وتكوين الذاّت المشاركة.

ويتجسد دور المعلم في تنمية قيم المواطنة اللّغوية خاصة عن طريق القدوة الحسنة أمام متعلميه، والتزامه بدور المربي الذي تظهر في شخصيته قيم المواطنة اللّغوية حيث ينبغي أن يدخل في علاقة ودية مع تلاميذه ويحترمهم، ويعطف

عليهم، ويلتمس مشكلاتهم ويحترم آراءهم ويتقبلها حتى يستطيع أن يسهم في تنمية الانتماء اللّغوي والوطني في نفوسهم، ويتطلب منه ذلك تطوير قدراته ومعارفه خاصة في مجال طرائق التدريس الحديثة والتمكن من المادة التي يدّرسها مسألة في غاية الأهمية، ودعم ذلك بشيء من الحزم والصّرامة في المواقف التي تستوجب هذا، يضاف إلى هذا أن يكون المعلم منظما في شرحه، ولديه القدرة على الاقناع مرنا في التفكير وفي تعامله مع الطلبة، متقبلا لآرائهم ونقدهم، ملتزما بالنزاهة والموضوعية[26].

ج-**الادارة المدرسية والمواطنة اللّغوية:** تتسم كل إدارة مدرسية بأسلوب وتنظيمات معينة تسخّر من أجل السير الحسن لهذه المدرسة، وإن الادارة المدرسية ليست بالعامل الحيادي في عملية غرس المواطنة اللّغوية، إذ يتحدد دور المدرسة ككل في احتوائها على إدارة تربوية تدرك جيدا مفهوم التربية الحديثة وتمارس أسلوبا ديمقراطيا في قيادة المدرسة، وتعمل على خلق بيئة تعليمية فاعلة من خلال نسج علاقات تواصل إنسانية وتربوية مع المعلمين والمتعلمين على حد السواء[27].

فإذا كانت التربية على المواطنة اللّغوية تحتاج إلى إدارة تربوية واعية مدركة لوظيفتها، فإن بناء المواطنة اللّغوية داخل أسوار المؤسسة التربوية وخارجها يحتاج إلى رؤية واضحة متبصّرة وواسعة الآفاق، كما يحتاج إلى تخطيط محكم وكفاءات في التنفيذ من قبل القائمين على إدارة المدرسة.

د-المدرسة الجزائرية والمواطنة اللّغوية: لقد وجدت المدرسة الجزائرية صعوبة في تحقيق عنصر هام من المواطنة ألا وهو اللّغة المشتركة أي المواطنة اللّغوية، حيث تبدى الصراع الأيديولوجي بين المعرّبين والفرانكفونيين فصار كل طرف يحاول باستماتة من أجل بث إيديولوجيته وأفكاره في الوسط المدرسي ولا يخفى على أحد منّا أن العربية ليست مجرّد كلمات للتواصل، بل هي أبعد من ذلك فهي تعد أداة للتعبير عن الثقافة المجتمعية، ورغم أن التوجه الجديد للإصلاح ينادي إلى ضرورة التفتح على اللّغات الأجنبية، وهي نقطة إيجابية جدا للنظام التربوي الجزائري، إلا أنه لا يمكننا أن نتجاوز ما للغة العربية من أهمية في ترسيخ الهويّة

الثقافية للتلميذ، حيث يؤدي هذا إلى إثارة مجموعة من الأسئلة من بينها: كيف يمكن لطفل لم يتمكن بعد من تكوين جملة بلغته (الأصلية) العربية أن ننتقل به إلى تعلم لغة أجنبية أخرى (الفرنسية)، هذه الأخيرة التي تعبر عن إيديولوجية ثقافية ومحاولة صارمة لطمس معالم الهويّة الوطنية، أكثر منها تفتح على العالم الخارجي وإن اللّغة الفرنسية- اليوم- تفتقد لتلك القيمة العلمية التي كانت تحظى بها في سنوات سابقة، بل إن الملاحظ اليوم أن الإنجليزية هي لغة العلم الأولى، والسؤال الذي يثار في هذا المقام كذلك: لما كل هذا الحرص على توظيف اللّغة الفرنسية، وبالضبط في السّنة الثالثة ابتدائي؟ وإن في ذلك لمساواة خفية بينها وبين اللّغة الأمّ (اللّغة العربية) وفي هذا تحد صارخ لقيم المواطنة اللّغوية عند التلاميذ الجزائريين وخاصة إذا ما آمنّا بأن تلميذ اليوم هو مواطن الغد وإطار المستقبل، الذي بات يتشوق من أجل الرحيل إلى فرنسا (الفردوس المفقود) وحتى وإن كان على حساب المخاطرة بحياته واتخاذ السبل غير المشروعة، فإذا بالمدرسة الجزائرية وبطرق غير مباشرة، تنمي في أبنائها حبّ الهجرة، انطلاقا من اللّغة التي تعتبر الأساس الأوّل والأخير للتعريف بالهويّة الوطنية.

ضوابط تفعيل دور المدرسة في تعزيز قيم المواطنة اللّغوية: على ضوء ما سلف تقديمه في هذه الدراسة يمكن طرح مجموعة من الاقتراحات والإجراءات التي قد يكون لها نصيبا من الإسهام في تعزيز قيم المواطنة لدى متعلمي المدارس وهي على النحو الآتي:

- العمل على إيجاد توافق بين قيم المجتمع الأصيلة وتراثه الثقافي والحضاري، والاتجاهات المعاصرة في التربية على المواطنة اللغوية، بما يكفل التمسك بهوية الأمة، ويواكب التطور في وسائل المعرفة والحياة العصرية للمجتمعات في الوقت نفسه؛

- نشر الوعي بأن العملية التعليمية التعلمية هي عملية تخص المجتمع بالدرجة الأولى وذلك بدمج التكنولوجيا المتطورة في التعليم والتدريب وربطها بالمفاهيم

الحديثة، مع تطوير نظام الامتحانات وأساليب قياس قدرات التلاميذ بغرض الاكتشاف المبكّر للنوابغ من أجل توجيههم؛

– السعي الدؤوب من أجل تطوير المناهج التعليمية التعلمية وأساليب التدريس في المراحل المختلفة بالتركيز على مفاهيم الحاضر والمستقبل شرط أن يكون هذا التطوير يتماشى مع متطلبات العصر ومع الاهتمام باللغات الأجنبية والعلوم الدقيقة والعلوم الإنسانية وغيرها من المعارف اللازمة لهذا التطور المتجدد والمستمر؛

– التمحيص في أهمية العلوم الاجتماعية والإنسانية ومكانتها داخل المنظومة التربوية، إذ لا ينبغي أن تقتصر على الدور الاجتماعي وتأكيد الهوية الوطنية بالمفهوم التقليدي للعبارة، بل يجب أن تتعداها إلى التكفل بالمطالب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية نتيجة العصرنة وتوسع المبادلات الدولية، عن طريق تنمية روح النقد والإبداع والابتكار لدى المتعلم، ومن أجل بلوغ هذا الهدف فإن العلوم تتطلع إلى تحسين قدرات التلاميذ إلى ترشيد النشاطات والخبرات الإنسانية، وتقويمها قصد الاستفادة منها وتجوزها؛

– أن تكثف المدرسة جهودها مع بقية المؤسسات المجتمعية وفي مقدمتها الأسرة ووسائل الإعلام، والمؤسسات الدينية ذات التأثير على الشباب من أجل تنمية قيم المواطنة اللغوية وتفعيل دورها كمؤسسة هامة في حياة التلاميذ؛

– العمل على محو الفوارق الاجتماعية والثقافية بين المتعلمين عن طريق العدل والمساواة بينهم مما يسمح بالتفاعل والتواصل الاجتماعي بينهم الذي بدوره ينمي روح الألفة ويعزز قيم المواطنة بينهم، بالإضافة إلى تعاملهم مع المدرسين والعاملين من شأنه أن يشكل دفعا في تعزيز قيم المواطنة اللغوية؛

– مدّ جسور تربط المدرسة بالعالم الخارجي والتركيز على بيداغوجيا المشاريع، فمن شأنها ردم الفجوة بين الجانب النظري والجانب التطبيقي، وذلك عن طريق تنظيم أنشطة متنوعة لخدمة المدرسة والمجتمع معا؛

– الحرص على أن تكون المدرسة أنموذجا عمليا للمواطنة اللغوية، حيث تكفل لهم المدرسة حرّية تنظيم نشاطات وفعاليات وطنية واجتماعية، يغلب عليها روح

الحوار في التعامل مع التلاميذ والعاملين مما يسمح لهم بالتعبير عن رأيهم وتوظيف لغتهم بحرية كاملة، وفي ذلك دعم للثقافة الوطنية وتنمية لروح المواطنة اللغوية لديهم؛

- ضرورة توفر المدرسة على النوادي العلمية والأدبية التي تشجع المتعلمين على ممارسة نشاطاتهم الفنية والإبداعية، وتنمي مهارات المشاركة وتغذي قيم الانتماء والوطنية والاعتزاز بالذات.

خاتمة: المواطنة اللغوية ليست شعارا ترفعه الأمم أو نظرية تؤمن بها، بل المواطنة اللغوية ممارسة فعلية وسلوك يستحضر مجموعة من القيم التي يُطبع عليها الفرد في مؤسسات التنمية الاجتماعية وعلى رأسها المدرسة التي تأخذ على عاتقها مهمة تعزيز قيم المواطنة اللغوية في نفوس التلاميذ، ولن يتأتى لها ذلك عن طريق تقديم الدروس وتلقين المضامين فحسب، وإنما الأمر يتطلب تفاعل المدرسة مع باقي مؤسسات التنشئة الاجتماعية ومنها: الأسرة، المسجد، وسائل الإعلام... وهي لا محالة تلعب دورا في تعزيز قيم المواطنة اللغوية.

وصفوة القول إنه يجب على المدرسة أن تؤدي الدور المنوط بها في ترسيخ الانتماء للوطن وتعزيز وغرس مقومات الهوية الوطنية وفي مقدمتها اللغة لدى الناشئة، قصد المحافظة على الأمن والاستقرار الاجتماعي، فيجدر بنا أن نولي اهتماما خاصا للمعلم عن طريق توجيهه وتكوينه باعتباره قدوة للتلاميذ في سلوكه وتصرفاته وأدائه اللغوي، وكذا عن طريق الاهتمام بالمناهج الدراسية لأنها السبيل إلى تنمية وتعزيز قيم المواطنة اللغوية، وذلك عن طريق ربط المناهج الدراسية بالمجتمع المحلي وخصوصياته ومشكلاته حتى يحدث التوافق بين أهداف المدرسة والتوجه العام للمجتمع.

الهوامش:

[1] معجم اللّغة العربية: المعجم الوسيط، ص ص281-282.

[2] إبراهيم ناصر: أسس التربية، دار عمان للنشر والتوزيع، عمان، ط5، 2000، ص171.

[3] جميل حمداوي: **تدابير الحياة المدرسية**، شبكة الألوكة، ط1، 2015، ص8.

[4] إبراهيم ناصر: **المواطنة**، مكتبة الرائد العلمية، عمان، ط1، 2000، ص14.

[5] إبراهيم ناصر: **أصول التربية (الوعي الإنساني)**، مكتبة الرائد العلميـــة، عمـــان، ط1، 2004 ص148.

[6] علي بن هادية وآخرون: **القاموس الجديد**، المؤسسة الوطنية للكتـــاب، الجزائـــر، ط7، 1991 ص ص204-205.

[7] علي خليل مصطفى: **دراسة في طبيعة القيّم ومصادرها ودور التربية الإسلامية في تكوينهـــا وتنميتها**، مكتبة إبراهيم حلبي المدينة المنورة، ط، 1988، ص34.

[8] سامي عمارة: **دور أستاذ الجامعة في تنمية قيّم المواطنة، مجلة مســـتقبل التربيـــة العربيـــة** المركز العربي للتعليم والتنمية، الأسكندرية،2010، ص48.

[9] ابن منظور: **لسان العرب**، 1968، ص451

[10] أحمد زكي بدوي: **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية**، مكتبة لبنان، بيروت، دط، 1993، ص

[11] سامي عمارة: **دور أستاذ الجامعة في تنمية قيّم المواطنة، مجلة مســـتقبل التربيـــة العربيـــة** المركز العربي للتعليم والتنمية، الأسكندرية،2010، ص48.

[12] حمدي مهران: **المواطنة والمواطن في الفكر السياسي**، دار الوفاء لـــدنيا الطباعـــة والنشـــر الإسكندرية، ط1، 2012، ص66.

[13] سهير علي الجيار: **التربية للمواطنة لطلاب الجامعات- دراسة تحليلية**، مجلة مستقبل التربية- التربية العربية، المركز العربية للتعليم والتربيـــة، الإســـكندرية، المجلـــد4، العـــدد 27، 2007 ص49.

[14] محمد هتهوت: **المواطنة اللغوية- نظرة في مسلك العربية وسلوك أهلها- دراسات لســـانية** المجلد2، العدد9، جوان 2010، ص128.

[15] صالح بلعيد: **المواطنة وأخواتها**، الممارسات اللغوية، جامعة تيـــزي وزو، المجلـــد ، العـــدد ص188.

[16] الصافوط محمد: **المواطنة والوطنية**، مطبعة النجاح الجديـــدة، الـــدار البيضـــاء، ط1، 2007 ص71.

[17] ينظر ميشال زكريا: **قضايا ألسنية تطبيقية ـــــ دراسات لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة تراثية**، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1993، ص14.

[18] ينظر صالح بلعيد: **المواطنة واخواتها**، ص189.

[19] العيد هداج: **المدرسة الجزائرية وتنمية قيم المواطنة لدى التلاميذ**، مجلة العلوم الاجتماعية جامعة محمد لمين دباغين سطيف2، المجلد 16، العدد1، 2019، ص18.

[20] العيد هداج: **المدرسة الجزائرية وتنمية القيم الوطنية**، ص18.

[21] ينظر علي سعيد إسماعيل: **رؤية سياسة التعليم**، دار عالم الكتاب، القاهرة، ط1، 1999 ص5.

[22] محمد عطوة مجاهد: **المدرسة والمجتمع**، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، دط، 2008 ص26.

[23] المرجع نفسه، ص نفسها.

[24] المذابي هايل علي: **دور المناهج التعليمية في تعزيز روح الولاء والانتماء وغرس مفاهيم الاعتزاز بالهوية الوطنية**، شبكة النبأ المعلوماتية http://www.oppc.net/mag/mag21/new_16.html

[25] نقلا عن عبد الكريم الشيظمي: **دور المدرسة في بناء المواطنة**، أفريل 2012 http://ashamousata3limi.maghrebarabe.net/k2930-topic

[26] ينظر المزين سليمان: **درجة ممارسة طلبة الجامعات الفلسطينية لقيم المواطنة في محافظات غزة من وجهة نظرهم وسبل تحسينها**، مجلة الجامعات الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية غزة، المجلد2، عدد23، 2015، ص83-57.

[27] M.ouss04: **دور المدرسة الأساسية في تنمية قيم المواطنة لدى التلاميذ**، 14 مارس2017م ousrattalim.jeun.fr/t81-topic

دور توطين المعرفة في الوطن العربيّ واستراتيجيّة تمكين الشّباب من الحصول عليها.

أ. ليلى مغيث زروقي.
ج. الشلف.

.ملخص:في عالم اليوم تحتل المعرفة، منزلة الصدارة في مختلف النشاطات والمشاريع الكبرى، لأنها مفتاح كل نهضة، والرافد الأساسي لتحقيق التنمية الشاملة والمستدامة الشرط الضروري لبناء الكفاءات وإنتاج الثروات وتطوير الخدمات وبقدر ما تمتلك الدول المعرفة، فهي الأقدر على تحقيق الازدهار الاقتصادي، وتوفير الرخاء لمواطنيها، واحتلال مكانة مرموقة، في التصنيفات العالمية ذات الصلة.

فالفجوة الحقيقية تكمن في القدرة على اكتساب المعرفة و انتاجها، وليست في الدخل، فالفرق بين البلدان وحتى الفئات الاجتماعية الفقيرة والغنية في المجتمع او الدولة نفسها، ليس في ضعف الموارد المالية ، ولكن في ضعف قدرتها على إنتاج المعرفة أو مشاركتها أو استخدامها لمواجهة التحديات اليومية التي تواجهها المعرفة.

وعل هذه الدول ان تستثمر في كل طاقاتها ودعائمها القوية من خلال تمكين شبابها من المشاركة الفاعلة في بناء مجتمع المعرفة والسعي الى تحقيق ثلاثة عناصر أساسية؛ أولها نقل المعرفة، وثانيها توطين المعرفة، وثالثها تدريب وتأهيل الشباب للمشاركة الفاعلة في عمليتي النقل والتوطين لهذه المعرفة.

الكلمات المفتاحية: مجتمع المعرفة ، توطين المعرفة ، المشاركة الفاعلة .

Dans le monde actuel, la connaissance est au premier plan de toutes les activités et projets majeurs, car elle est la clé de toute renaissance et le pilier du développement global et durable, la condition nécessaire au renforcement des capacités, à la création de richesses et au développement des services. Ils peuvent assurer la prospérité

économique et la prospérité de leurs citoyens. Et occupent une place de choix dans les classifications mondiales pertinentes.

La différence ne réside pas seulement dans la capacité d'acquérir des connaissances, mais pas sur le revenu. La différence entre les pays et même les groupes sociaux pauvres et riches de la société ou de l'État lui-même ne se limite pas aux ressources financières, mais est faible dans sa capacité à produire, à partager ou à utiliser le savoir pour faire face aux défis quotidiens auxquels il est confronté. Connaissances et connaissances: ces pays devraient investir dans toutes leurs énergies et leurs piliers forts en donnant à leurs jeunes la possibilité de participer activement à la construction de la société du savoir et en s'efforçant d'atteindre les trois éléments de base suivants: premièrement, le transfert des connaissances, deuxièmement, la localisation des connaissances; Les processus de transport et de réinstallation de ces connaissances.

نص المداخلة:

مقدمة : إن قضية دمج الشباب وتوطين المعرفة في العالم العربي هي قضية حياة ومستقبل. فيما يخص التعامل مع هذه القضية، يقدم تقرير المعرفة العربي 2014 نقلة محورية في رحلة البحث عن بناء مجتمع المعرفة، الذي يمثل الشباب عمادها. إنها بالأحرى رحلة البحث عن تمكين الشباب في المنطقة العربية من المشاركة الفعّالة في إيجاد تنمية مستدامة في أوطانهم من خلال[1] الآفاق الواسعة لمجتمع المعرفة.

والمجتمع العربي معروف عليه بالمجتمع الشبابي والفئة الشبانية هي أساس بناء المجتمعات. علمّا بأن هذه الدول العربية تزخر بجيل شاب يستطيع التأقلم مع التغيّرات التكنولوجية واستيعابها بسهولة وإقبال كبير. كما أنهم يمثلون الفئة الأقدر والأصلح لضمان نجاح مجتمع المعرفة لأنهم هم الذين لديهم قابليّة التلّقي للمعرفة أكثر من سواهم، واحتفاظهم بهذه المعرفة، اضافة إلى كونهم محركّات البناء والتطور ونشر المعرفة والعلم سواءً أكانوا معلّمين أم طلبة أم باحثين، وهم يمثلون القطاع الأكبر في المجتمع والعنصر النابض بالحيوية، والفاعلية والإنتاجية في المجتمع العربي ، وتسلّحهم بالمعرفة يعني تسلح المجتمع بهذه المعرفة، ومتى تسلّح المجتمع بالمعرفة فإنها تزيد من قوة هذا المجتمع وإنتاجيته. ولهذا تسعى المنطقة العربية في ظل الوضع المعرفي الذي لا يلبي الطموح الى توطين المعرفة بل إنتاجها و توظيفها في خطط التنمية البشرية وكل مكونات الاستدامة العلمية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والبيئية من خلال الاستثمار في المواطن او الشاب العربي وإدماجه وتمكينه من المساهمة الفاعلة في نقل وتوطين المعرفة باعتبارها نقطة انطلاق لإقامة مجتمع المعرفة في الدول العربية، وبوصفها كذلك مدخلاً مهماً لآفاق أرحب للتنمية الإنسانية المستدامة وذلك من خلال تمكين الشباب من تطوير معارفهم ومهاراتهم وأطر تفكيرهم وقيمهم لنقل وتوطين وإنتاج المعرفة وتوظيفها بأنجع السبل وبما يعود بالفائدة عليهم وعلى المجتمع العربي ككل والذي تبقى قدرته على المنافسة الحضارية العالمية مرهونة بقدرته على تأهيل شبابه وتحويل الطفرة الشبابية من

كونها مشكلة وتحدياً إلى رأس مال بشري يمثل أصولا معرفية لبناء اقتصاديات المعرفة والمشاركة في الحضارة العالمية والمساهمة في توجيه مسارها نحو مجتمع إنساني ينعم بالرفاهية والعدل والسلام.

تمكين الشباب من المعرفة اللغوية : التمكين كمفهوم تعاريف كثيرة لدى الباحثين والمهتمين إضافة إلى انتشاره في أوساط العاملين في كثير من منظمات الأعمال في أمريكا وأوروبا واليابان. وأخذنا نسمع كثيراً عن المنظمات المتمكنة Empowerment Organizations, والمدير المتمكن Manager Empowered، والمشرف المتمكن Supervisor Empowered, والفريق الممكن Empowered Team. كل ذلك أتى بفضل الكتابات حول مفهوم التمكين وإيجاد بيئة العمل المتمكنة. وقد عرف التمكين على ان[2]:

-امتلاك الفرد الحرية في أداء العمل مع مسؤوليته الكاملة عن النتائج،

-عملية تعزيز اندماج الأفراد في أعمالهم، لاسيما التصميم والتدقيق والتفاعلات وصنع القرارات.

-منح الأفراد العاملين القوة والحرية والمعلومات لصنع القرارات والمشاركة في اتخاذها.

وفي ضوء هذه التعريفات يلاحظ التمكين بأنه (عملية تأهيل العاملين في تحديد أهداف عملهم الشخصي ومسؤولية إنجازه واتخاذ القرارات في مجاله ومعالجة المشكلات التي تواجههم وحلها في إطار المسؤولية المناطة بهم والسلطة الممنوحة لهم من قبل المستويات الإدارية العليا، فضلا عن حرية التصرف التي يتلقونها لمواجهة الحالة في ضوء المواقف المختلفة في العمل)[3] .

التمكين مفهوم ذو دلالة مركبة يشير إلى عمليتين متداخلتين الأولى تتعلق بإكساب الشباب إمكانات القيام بعمل ما من حيث القدرات والمهارات والمعرفة، والثانية تشير إلى البيئات الحاضنة لعملية بناء تلك القدرات والمهارات في مجالات التنشئة المختلفة سياسيا واجتماعيا واقتصاديا[4].

فلابد ان نقدم للشباب ما يلبي طموحاتهم وحاجاتهم ومتطلباتهم، وان ننتقل من مفهومي الحماية و الرعاية تجاه الشباب الى مفهوم التمكين والمشاركة والاندماج من خلال اعادة النظر في البرامج الموجهة للشباب ليكون هدفها ليس نقل المعرفة كما كان بالسابق، بل تمكين الشباب من انتاج المعرفة وتوظيفها وتحويلها من صيغة الى اخرى لاستدامة التنمية.

تمر المنطقة العربية حاليا بمنعطف تاريخي تتمتع فيه بالثروة الشبابية إلى جانب الثروة المالية، وتتصاعد فيه الثورة المعرفية والتكنولوجية ، أو بمعنى اخرتوفّر ثلاثية الثروة المالية والثروة الإنسانية–الشبابية والثورة المعرفية العالمية، أنّ فرصة العالم العربي لإحداث انطلاقته متاحة، لا بل مطلوبة وبقوة، وهي فرصة لتنتقل فيها دول المنطقة من اقتصاد ريعي تقليدي إلى اقتصاديات المعرفة ومن طفرة شبابية إلى كنز ديموغرافي يستثمر في الشباب الفاعل اقتصاديا واجتماعيا بما يمتلكه من تجهيزات وفعاليات معرفية مبنية على أسس المعرفة والمهارة والقيم، لبناء إنسان عربي جديد في عالم جديد، ينعم بالحرية والعزة والرفاهية[5].

التكنولوجيا: من المهم أن تعمل الدول العربية على الالتحاق بركب الثورة الصناعية الرابعة والاستفادة من التكنولوجيات الحديثة مثل إنترنت الأشياء والذكاء الصناعي والروبوتات والمدن الذكية وغيرها من الحلول المبتكرة للدفع بجهود التنمية المستدامة ؛

تحتاج الدول العربية إلى الاستثمار في التكنولوجيا ل محو الأمية بكل أشكالها وتحسين جودة التعليم كأحد ى الوسائل الرئيسية لتمكين الناس من العيش بكرامة ؛

تتيح التكنولوجيا بكل أنواعها أدوات لتمكين المرأة والأشخاص ذوي الإعاقة والشباب وتعزيز اندماجهم في سوق العمل كما أنها فرصة سانحة لكسر الحواجز الجغرافية وتخطي القيود الثقافية للتواصل وتبادل المعرفة والوصول إلى المعلومات وهي أداة لهم في حياتهم اليومية وكذلك في در المدخول الشخصي، عدا عن دورها في تنمية المواهب الابتكارية وتحويلها إلى مشاريع وتطبيقات ربحية.

ـ **اللّغة العربية ومعطيات العصر**[6]: لا يجب أن تأخذنا العزة بالإثم، ونقول على العربيّة أن تعم وتتضاءل مساحاتها كاملة، وتكون لغة كلّ الوسائل والمجال وتكون لها السيادة في كلّ المواقع، إلى غير ذلك من المنافحات الخطابية. و لكن جميل أن نصور الواقع ونخاطب العقلَ، فماذا أعددنا لهذه اللّغة ضمن معطيات العصر لتنالَ مساحاتها؟ وهذا ما يجب أن يكون في الحسبان لربح معركة الأمن الثّقافي .

إن واقعنا الثّقافي واللّغوي يدعونا إلى عمل قو ّي ومستعجل لنشر ثقافتنا وتعميمها بعربية تحمل المضامين الإسلامية والإنسانية، ونعلم بأن الطريق طويل وليس مفروشاً بالورود، فهل نكسب الرهان؟ وما كان يجب أن نبقى دون العيش في مغامرات التنافس القائم ة بين الثقافات واللغات، ونكون على دراية بأ ن المسألة تتطلّب العديد من الجوانب الإبداعية، وتهمنا الجوانب الثّقافية واللّغوية و ، ما تقوم به المؤسسات ذات العلاقة باللّغة العربية لاحتواء التنافس والعيش داخله والتأثير فيه والوقوف نداً للند، والحديثَ عن التجهيزات الثقافية كعملية فكرية تتحدّى الحواجز الثقافية، باستعمال أفضل للوسائل التقانية المعاصرة لربح معركة التنافس. ولهذا يرى بضرورة تطوير هذه المؤسسات وما يلحقها من الأجهزة المسموعة والمرئية بما يعمل على التأثير والتفعيل ، وتوضيح خطورة التبعية الفكرية أو اللّغوية ، وهذا ما ينبغي أن ننتبه إليه. أضف إلى هذا يجب أن ندرك أن بعض الحاجات التكنولوجية الحديثة التي غزت أسواقنا ينبغي ألا نكتفي بنقلها كما هي ، بل نعمل على أن نتحكّم فيها حتى تسخر لأهداف ثقافتنا وحضارتنا "فالآلات التي خلقتها التكنولوجيا نشأت عن معطيات وحاجات معينة مرتبطة بطبيعة العيش وبفلسفة اجتماعية معينة في مجتمع معيّن، ولذلك فلا يمكن إلاّ التأكيد على ضرورة الاستفادة من العلم ومن المخترعات والاكتشافات في مجال الطب والبيولوجيا والزراعة والهندسة والإعلام ووسائل النقل والاتّصال ولكن يجب في نفس الوقت تكييف كلّ الاكتشافات والمخترعات

مع معطيات مجتمعنا ، وبالتالي مع القيم التي تعد التكنولوجيا وسيلة لخدمته ." وعلى العموم، فإنّه لا يمكن أن يحصل التطور إلاّ ذاتياً، فإذا نقلنا العلوم والتكنولوجيا بدون فهم وحسن استعمال فسيؤدي ذلك إلى مسخ شخصيتنا بتشويه حضارتنا، بما فيها اللّغة العربيّة التي لا يمكن أن تزدهر و تحيا وتتطور إلا بحمولتها الثقافية والحضارية الغنية.

وإن مسألة العلاقة بين اللّغة والهوية الثّقافية لدى الشباب و اكتساب المعرفة ليست جديدة، وهي علاقة معقدة بدأت في الظهور لما باشرت اللّغات طريقها إلى التقنين من خلال وضع المعاجم والقواعد النحوية على وجه خاص. وقد كان ذلك مع اللّغة **دور توطين المعرفة في الوطن العربي واستراتيجية تمكين الشباب من الحصول عليها.**

العربية في عصر التدوين في الفترة العباسية وقبله تدوين القرآن الكريم في عهد الخلفاء الراشدين ثم تلاها تدوين الحديث النبوي الشريف. كان الهدف من وراء ذلك الحفاظ على عقيدة المسلمين من الضياع وعلى وحدة المسلمين الدينية والسّياسيّة والثّقافيّة وعلى سلامة اللّغة العربية[7].

ـــ مستقبل التنمية في المنطقة العربية يعتمد على تمكين شبابها: تشيد التقارير والدراسات الأخيرة على أن الشّباب في المنطقة العربيةلا يشكلون ً مشكلة لعملية التنمية أو عبئ عليها ، وإنما هم مورد أساسي لحل مشاكل التنمية في هذه المنطقة. وُ ّ نخلص إلى أن في وسع البلدان العربية تحقيق اكتفائها دون الحاجة لموارد أخرى ، إذا وضعت على رأس أولوياتها الطاقة الشبابية للمجتمع العربي وتحرير ِ طاقاتهم، وتوسيع الفرص المتاحة لهم[8].

عدم تمكين الشباب يزرع بذور عدم الاستقرار: تشير "ينبه التقرير إلى أن جيل شباب اليوم أكثر تعليما ونشاطا ً وارتباطا بالعالم الخارجي، ما ينعكس على مستوى وعيهم بواقعهم ّ وتطل ٍ عاتهم إلى مستقبل أفضل. إلى أن وعي الشباب بقدراتهم وحقوقهم يصطدم بواقع يهمشهم وي ّ في أوج ِ قنوات التعبير عن الرأي

والمشاركة الفاعلة، وكسب العيش؛ ما قد يتسبب في دفعهم إلى التحول من طاقة هائلة للبناء إلى قوة كاسحة للهدم[9]".

تعزيز القدرات وتوسيع الفرص ثنائية تمكين الشّباب : إنّ تعزيز القدرات وتوسيع تغييرات جذرية في الشباب إدخال عملي يستوجب تمكين ب في اجتماعية التي تتسبب قتصادية و االبيئة السياسية واال ع فرص مشاركة وس إقصائهم. وينبغي لتلك التغييرات أن ت الشباب وانخراطهم في المجال السياسي الرسمي؛ وأن ا على إنتاج فرص العمل اللائق للشباب وتعزيز قدراتهم على ريادة الأعمال، وأن ي سس العدالة والمساواة وتكافؤ اجتماعية في المنظومة اال الممارسات التمييزية على أساس ى لكل الفرص، ويتصدر الجانب الإجتماعي .أو العقيدة أو النوع في استثمارات جديدة ، يستوجب التمكين أُخرى من ناحية تحسين أنظمة الخدمات الأساسية المرتبطة بتعزيز قدرات . والصحة والخدمات الاجتماعية الأخرى التعليم الشباب، وبخاصة مسبوق غير وفي المنطقة العربية التي تشهد تصاعد بل تعكس مسارها في ضل مكتسبات التنمية الصراعات التمكين في سعي بعض ألحيان ، يجب أن تتجذر جهود استقرار المجتمعي، وحثيث إحلال الأمن والسلم كفاعلين أساسيين وضمان شمول هذا السعي الشباب ثالثة مستويات للصالح الشباب إصلاحات على ثالثة مستويات من يستدعي تمكينها بالسياسات الناظمة للعقد الاجتماعي بين الدولة العمل؛ يرتبط أول لضمان الشمول الكامل وتوسيع الاقتصاد ومواطنيها وهيكلة تمييز .ودون ن فيهم الشباب، بعدالة الفرص المتاحة للجميع، بم الثاني على السياسات القطاعية، والمستوى رك ويعرف ما في مجالات التعليم والصحة و التوظيف، لضمان ضخ قدرات الشباب ومن الخدمات التي من شأنها تعزيز جودة وَا ختيار. ثم لتوسيع نطاق حر الثالث السياسات الوطنية المعنية ا، يتناول المستوى أخير نهج إيجاد الحلول لمشاكل الشباب' الذي عادة ما يكون جزئيا وقصير المدى[10] .

مكتب تنسيق من مجلة اللسان العربي التعريب[11]: أصدر مكتب تنسيق التعريب العدد 79 من مجلة » اللسان العربي « ، ويتضمن أوراقا علمية قدمت خلال المؤتمر الثالث عشر للتعريب، المنعقد ما بين 15 و 17 محرم 1440)25 – 27 سبتمبر 2018 (بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، بتعاون علمي مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وإشراف أكاديمي من مكتب تنسيق التعريب بالرباط ومعهد الملك عبد الله للترجمة والتعريب بالمملكة العربية السعودية . يشتمل هذا العدد على مقالات علمية رصينة ألقيت في الندوة العلمية للمؤتمر "التعريب وتوطين العلوم والتقنية"، وقد توزعت إلى العديد من المحاور أهمها: المصطلح العلمي في المعجم المختص: أنواعه ومواصفاته؛ الرموز العلمية أشكال إقرارها والتوافق حولها؛ المحتوى العلمي العربي على الشبكة: التحديات والطموح التعريب والتوطين: توطين المعرفة والوافد؛ تنسيق التعريب: توحيد الأهداف وطرق الوصول إلى الوفاق؛ تعريب التعليم الجامعي والتخطيط للمستقبل . ومن أبرز القضايا النظرية والتطبيقية التي عالجتها الأبحاث المنشورة بالتحليل: أهمية دور مراكز الترجمة الجامعية في توطين المعرفة سواء تعلق الأمر بالعلوم الإنسانية أو الهندسية أو الطبية وسواها، فضلا عن تصوّر منهجيات جديدة لوضع المعاجم المتخصصة وصناعة المصطلحات المناسبة وفق المبادئ العامة ترجمة وتعريبا وتأثيلا ؛ كما عالجت أبحاث علمية أخرى قضايا تهمّ اللغة العربيّة ومشكلة الرّمز العلميّ، والاختصارات والرموز العلمية في القواميس الإلكترونية، وحاجة اللغة العربية لحروف دولية بالرسم العربي لتنسيق وتوحيد ونشر المصطلح العلمي والتقني؛ اشتمل العدد على الدراسات التالية :

د. عمر أحمد شيخ الشباب: توطين العربية: نموذج مَعْرفي

د. منصور بن محمد الغامدي: منظومة متكاملة لتعريب العلوم

أ.د. عبد الحميد عليوة: تصنيف طرق التعريب في المعاجم العربية

أ.د. صهيب عالم: تعليم الترجمة العربية في الجامعات الهندية

أ.د. هدير رفعت أبو النجاه: دور مراكز الترجمة الجامعية في تـــوطين المعرفـــة وموازنة الهوية

د. منتصر أَمين عبد الرَّحيم: المصطلحات اللِّسانيَّة في المعاجم العربيَّة

أ.د. محمد الحناش: مصطلحات هندسة اللغة العربية بين التعريب والتأثيل

أ.د. عمر مهديوي: مصطلحات الهندسة اللغوية بين الترجمة والتعريب: نحو بناء معجم موحد

أ.د. محمد أحمد طجو: تعريب المصطلح الترجمي: دراسة تحليلية نقدية مقارنة

طاهر لَوَنْ معاذ : ترجمة مصطلحات الفقه الإسلامي عند نَانْسِي أويـــس، بـــين التكافئ الشكلي والدينامي: ترجمة بلوغ المرام أنموذجا

أ.د نوال بنت إبراهيم الحلوة المعجم المختص بمعاني مصطلحات المهن في اللغة العربية المعاصرة باستخدام تقنيات الأنطولوجيـــا (دراســـة فـــي ضـــوء لســـانيات المدونات)

أ.د. حبيب بوزوادة : اللغة العربيّة ومشكلة الرّمز العلمـــيّ بحـــث فـــي آليـــات الصياغة وسُبُل التطوير

أ.د. محمد خليفة الأسود: حاجة اللغة العربية لحروف دوليـــة بالرســـم العربـــي لتنسيق، وتوحيد، ونشر المصطلح العلمي.

يقع العدد في 383 صفحة من القطع المتوسط، و بغلاف من تصميم الفنان أحمد جاريد[12].

وعليه تتضح الجهود التي قام بها العديد من العلماء من جهود في سبيل إنجـــاح عملية

توطين المعرفة في الوطن العربي : وعرف المجتمع الجزائريّ بترسيم السّياســـة اللّغويّة لهذا البلد، اللّغة المازيغيّة لغة رسميّة ثانيّةردود فعل مختلفة، عبّـــرت عـــن سلوكات تعكس غياب الحسّ بالمُواطَنة اللّغويّة لدى بعـــض مـــن أفـــراد المجتمـــع الجزائريّ: كرفض قرار تعميم تعليم المازيغيّة في بعض المدارس الجزائريّة، ورفع شعارات التّنديد بالقرار وغيرها من السّلوكات الّتي وجدت ردود فعل معاكســـة مـــن

الطّرف الآخر، أمام ما تقتضيه المُواطَنة اللّغويّة من الشّعور بالمسؤوليّة تجاه كلّ اللّغات الوطنيّة في الجزائر، بما يعزّز سبل التّعايش السّلميّ بين هذه اللّغات ويعمل على استثمارها في تحقيق التّنميّة المستدامة وتسريع وتيرتها عن طريق اللّغة الّتي تُعَدُّ أحد أسس النّهضة العلميّة والاقتصاديّة في المجتمعات المتقدّمة.

خاتمة: إن توطين المعرفة واستيعابها ومن ثم توليدها وإنتاجها وكذلك تطويرها هي الوسائل الرئيسية التي يمكن أن يلج منها كل من يريد صنع غد أفضل ويريد امتلاك موضع قدم يحفظ له هيبته ومكانته واستقلاله في هذا العالم المضطرب الذي يعتمد على المعرفة كوسيلة لبلوغ مبتغاه وفرض هيمنته. ان التوطين أساسه هو انتقال من استهلاك المعرفة وإعادة تدويرها بالشكل الذي نقلت به من مجالاتها الأصلية إلى تملكها والاشتغال بها وعن طريقها داخل مجتمعات نوعية محددة وفي إطار منظومة اجتماعية وثقافية تسعى إلى تحقيق التقدم وتوفير شروط تنمية أصيلة قادرة على المساهمة الفاعلة في بناء لحضارة الإنسانية. ، يشتمل مفهوم توطين المعرفة على ثلاثة عناصر رئيسية يكمل بعضها بعضا؛ أولها نقل المعرفة، وثانيها إنتاجها وثالثها نشرها وتوظيفها خدمة لأهداف التنمية، ولكي يستفيد منها المجتمع. ويتعلق السؤال المطروح في إطار مفهوم توطين المعرفة بمدى توافر وفعالية البيئات التمكينية المساعدة والمطلوبة لنقل وتوطين المعرفة، بما في ذلك التشريعات والقوانين و البنى التحتية والمؤسسات الداعمة، والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والتعليمية والعلمية والثقافية والإعلامية.

و خلاصة القول لكي نحسن استثمار الطاقات الشبابية ، يتعين علينا أن نؤمن لشبابنا العربي بيئة فكرية و ثقافية محفزة توازن بين الأصالة و الحداثة بين الهوية العربية والانفتاح العالمي، تأخذ من الأولى قيمها و من الثانية انفتاحها على العلم و العالم لان الشباب العربي يواجه صعوبات و تحديات كبيرة تزداد تداعياتها في ظل العولمة و اشتداد التنافسية و اتساعها في اطار اتفاقيات التجارة العالمية و سرعة التقدم العلمي و المعرفي و التقني و عولمة الأسواق بما فيها سوق العمل. ولهذا يعتبر التعليم باللغات الوطنية الخطوةَ الأولى في عملية الإصلاح.

الهوامش:

[1]جواد عباس حسين ، حسين، عبد السلام علي. أثر استراتجية التمكين في تنشيط رأس المال الفكري دراسة تحليلية لعينة من العاملين في بعض المصارف العراقية الخاصة. [على الخط المباشر]. زيارة يوم: 2016/04/13. على الرابط التالي:
http://www.ahlulbaitonline.com/karbala/New/html/research/research.php?ID=48

[2]. المرجع نفسه ، جواد ، عباس حسين ، حسين، عبد السلام علي، الصفحة نفسها .

[3]. ينظر : كشغري، أميرة. البيئات التمكينية شرط لمجتمع المعرفة . يوم: 2016/01/16. على الرابط التالي:
http://www.okaz.com.sa/article/490088/%D8%A7%D9%84%D8%B1%

[4] تقرير المعرفة العربي: توطين المعرفة عربيا رهان قابل للتحقق. زيارة يوم: 2016/01/18. على الرابط التالي:
http://www.alarab.co.uk/pdf/2015/03/11-03/p06.pdf 2015 - 03/

[5] سوهام بادي النموذج المفاهيمي لتوطين المعرفة في الوطن العربي واستراتيجية تمكين الشباب: قراءة في تقرير العربي 2014، جامعة العربي التبسي تبسة ، الجزائر . cybranrians journal

[6]صالح بلعيد، لأمن الثّقافي و اللغوي الانسجام الجمعي، أعمال اليوم الدراسي، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر ، 2018 ص 17.

[7] محمد داود، الهوية والتعدد اللّغوي والثقافي في الجزائر: واقع و رهانات جامعة أحمد بن بلة، وهران، أعمال اليوم الدراسي الأمن الثقافي واللغوي والانسجام الجمعي ، المجلس الأعلى للغة العربية ، الجزائر ، 2018، ص 29.

[8]ينظر :تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2016ُ الشبابّ وآفاقُ التنمية إنسانيٍ ة في واقع متغير، ص 4.

[9] المرجع نفسه ، ص 8..

[10] المرجع نفسه ، ص 9.

[11]مكتب تنسيق ، من مجلة اللسّان العربي التعريب، العدد 79، ص383. 27 سبتمبر 2018.

[12] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

مواطنة اللّغة العربيّة
ودورها في تحقيق الأمن اللّغوي

طالبة دكتوراه: مليكة صالح
جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر

توطئـــة: إنّه لمن المسلمات به ما للغة من أهمية بالغة في تكوين المجتمع باعتبارها ظاهرة اجتماعية أو نتاج لهذا المجتمع، فبدونها لن يتكون نظام مجتمعـــي متين،لأنهـــا الوسيلة لإدراك واقع العالم الذي يحيط بنا، وهي أداة تعاملنا مع هذا الواقع، فهي تحمـــل أفكارنا ومشاعرنا وتحوي ماضينا وتسطر مستقبلنا، إذ أننـــا نجـــدها رمـــزا للهويـــة وحاملة للتراث، وخادمة للبعد الحضاري، حيث أنها لم تعد وظيفـــة اللغـــة التواصـــل فحسب، وإنما تجاوزت ذلك إلى زرع الوعي في المجتمع؛ فبلغتـــك تظهـــر مكانتـــك ومركزك في هذا العالم المترامي الأطراف لأنها تحمل فكرك الذي تبلوره علـــى أرض الواقع المعاش.

ومما هو ملاحظ أن زحف العولمة أدّى إلى احتقار اللغات الوطنية ودعا إلى اعتماد لغة أجنبية وحيدة باعتبارها لغة العلم والتكنولوجيا وما وصلت إليه المسألة اللغوية فـــي الجزائر إلاّ دليل على ذلك حيث هيمنت اللغة الفرنسية في تعامل أفراد المجتمـــع التـــي فرضها عليه العامل التاريخي بحكم الظروف التاريخية التي مرت بها اللغـــة العربيـــة إبان الاستعمار الفرنسي، كما أنه يعرف المجتمع الجزائري حاليا التـــأثر بالإنجليزيـــة رغبة في التعليم واكتساب المعرفة والتبادل الثقافي، بحيـــث مـــسّ ذلـــك العديـــد مـــن المستويات، وقد أدّى التأثر باللغات الأجنبية _ ســـواء ذات البعـــد التـــاريخي أم البعـــد العولمي _ إلى خلق نماذج وتراكيب غير أصلية أو هجينة غير معهـــودة فـــي اللغـــة العربية، إضافة إلى ضعف إتقانها وإجادتها، وقد بدأ يظهر فـــي المجتمـــع الجزائـــري الاستخدام المفرط والعشوائي للغات غير اللغة الأم كوسيلة للتخاطب والتواصـــل مـــع الآخرين وعلى رأسها اللغة الفرنسية بدعوى التحضر والرقي، فأدى هذا إلى تراجـــع

العربية وزحزحة مكانتها بعد أن كانت حاملة للعلوم في زمن مـــا، فأصـــبح المجتمـــع الجزائري يتخبط في بيئته ليوفر الأمن اللغوي الذي لن يتحقق إلا بحماية اللغة الوطنيـــة الرسمية في بيئتها، ولن يكون ذلك إلاّ بمواطنة هذه اللغة وإنزالها مكانتها التي تســـتحق حسب ما ينص عليه الدستور.

ويرتبط مفهوم المواطنة بالوطن العربي الذي يقيم فيه الفرد،علـــى إحســـاس الفـــرد بالانتماء إلى هذا الوطن، وفي الوقت المعاصر تشير كلمة المواطنة " إلى العلاقات بين الفرد والدولة وماله من حقوق وواجبات"[1]، و قد اتسع معنى المواطنة ليتمثل في التعلق بالبلد والانتماء إلى تراثه التاريخي ولغته وعاداته.

وعليه سنركز في مداخلتنا هذه على اللغة العربية التي تعد اللغة الوطنيـــة الأولـــى والرسمية للبلاد، ومن حق المواطن وواجبه أن يمارس هـــذه اللغـــة فـــي المعـــاملات الرسمية، فمواطنة اللغة متعلق بمسألة الهوية.

وقد انطلقنا في هذه المداخلة بإشكالية: كيف تتم مواطنة اللغة العربية؟ ومـــا علاقـــة المواطنة اللغوية بأمن اللغة العربية؟ وما هي إشكالية دسترة الأمازيغية؟ وما تأثير ذلك على أمن اللغة العربية ؟

كل هذه التساؤلات سنحاول أن نجيب عنها من خلال هذه الورقة البحثية، وقبـــل أن ندخل في غمار هذا البحث لابد أن ننفض الغبار عن بعض مصطلحات الدراسة.

1. **المواطنة اللغوية:** إنّ لكل وطن لغة خاصة يعتمدها في معاملاته الرســـمية إضافة إلى اعتمادها في التعليم والإدارة، وتعد اللغة العربية لغة بلاد العرب التي تحمل تاريخهم وحضارتهم فهي هويتهم، أما المواطنة فهي شعور بالانتماء للوطن وممارســـة الحقوق والواجبات فيه، وإذا جاء حديثنا عن المواطنة اللغوية فهي" اســـتعمال اللســـان الوطني في كل المؤسسات والأماكن العامة وقضاء المصالح الإدارية، وإنّ المواطنـــة اللغوية فضاء لغوي ممتد تأخذ فيه اللغة الرسمية النصيب الأوفى انطلاقا من أنّ تربيـــة المواطنة تحصل أولا باللغة الرسمية، وعدم احتقار الوطنية، وتعزيز الثقافة الوطنيـــة"[2] فإذا تحدثنا عن اللغة الرسمية فهي التي نصّ عليها الدستور وتستعمل فـــي المكاتبـــات الرسمية والوثائق الإدارية، أما اللغة الوطنية" فهي تشير إلى إيديولوجية محددة ومرجع

معين، إذ تكون متعلقة بالجوانب التاريخية والجغرافية للغة وعليه فالمواطنة اللغوية هي الحفاظ على الحقوق اللغوية والسماح بممارستها في نطاقها وفي مجالاتها.

2-الأمن اللغوي: يعد الأمن اللغوي مطلبا هاما للحفاظ على الهوية والمكتسبات الحضارية، وتعد اللغة أهم مكونات هذه الهوية سواء كانت هوية الفرد أم هوية الأمة.

وقد استعمل مصطلح الأمن اللغوي أول مرة من طرف العالمة نيكول غونييه nicole Gueunier في بحث لها عن مظاهر التعدد اللغوي في المجتمعات الخليط وبالذات في تجمعات المهاجرين بفرنسا، فرأت" أن هذه التجمعات تشكل خطورة (اللاأمن لغوي) في منظور التواصل والانسجام المجتمعي وأن تفتيت المجتمعات من الداخل يأتي من التسامح اللغوي " [3] هذا التسامح الذي ما فتئ أن غزا مؤسساتنا التعليمية أولا ومؤسساتنا الإعلامية ثانيا، حيث أصبح التساهل وفي استعمال العامية أمرا عاديا سواء من طرف المعلمين أم المتعلمين وهذا ما سيخلق فجوة كبيرة بيننا وبين اللغة العربية التي هي رمز هويتنا، أما الإعلام الذي وجدت فيه اللغة العامية طريقا واسعا بحجة أنها أسهل وسيلة للوصول إلى قلوب المشاهدين والمستمعين، وأن سهولة إيصال المعلومات عن طريق العامية أفضل، فغلبة العامية على العربية الفصحى يحد من انتشارها، ناهيك عن استعمال اللغة الأجنبية في الإدارة وهيمنتها على الوثائق الذي يعتبر عائقا أمام العربية في النهوض بها وجعلها لغة علم، كل هذه المضايقات التي تواجهها العربية تشكل خطرا على أمنها، فحمايتها من منافسة اللغات الأجنبية لها وتنقيتها من الهجين يعتبر أمنا لغويا.

وكم نحن بحاجة إلى هذا الأمن كحاجتنا إلى الماء والغذاء، فقد ربط محمود سيد الأمن اللغوي بالأمن القومي وأنه لا يقل أهمية عن الأمن الغذائي والأمن المائي والأمن البيئي... لأنه يحافظ على الهوية؛ هوية الفرد من جهة وهوية الأمة التي ينتمي إليها من جهة أخرى... ولما كانت اللغة العربية هي وعاء الهوية ولسان المواطنة وحاملة الموروث الثقافي... كان من أولويات الأمن الحفاظ عليها والنهوض بها.[4]

إنّ الأمن اللغوي ضروري لتعيش العربية بسلام بين مجتمعاتها ولن يكون ذلك إلا بتخطيط لغوي سليم وإستراتيجية مدروسة وسياسة لغوية صارمة، فالأمن اللغوي هو

توفير الوسائل والإمكانيات التي تحفظ للغة العربية مكانتها وتعيد إليها بريقها الذي كانت عليه في عصور تقدمها وازدهارها وتعمل على إعادتها إلى الواجهة من خلال جهود حقيقية مشتركة، وتحقيق الظروف الموضوعية الملائمة لتحقيق ذلك بوضع إستراتيجية شاملة تحمي لغتنا وثقافتنا من تيار العولمة الجارف.[5]

3-المواطنة اللغوية والهوية: يتعلق موضوع الهوية بأبعاده الثلاثة: الجانب الثقافي، الجانب الاجتماعي والجانب التاريخي، وكل بعد من هذه الأبعاد يحمل قيمة جوهرية تتفاعل فيما بينها لتحدد لنا هوية الفرد وهوية الأمة، فالهوية الوطنية هي مجموعة من السلوكات التي يواجهها الفرد، يكون قد ورثها من عمقها التاريخي وقد ربطها بالعادات والتقاليد للمجتمع وطبع عليها ثقافة هذا المجتمع، إذ تتكون الهوية من عناصر لا يختلف عليها اثنان، وهي الوطن الذي ينتمي إليه والدين واللغة والثقافة والتاريخ.

فاللغة تعد من أهم مكونات الهوية هي التي تحمل فكر الإنسان وهي التي تحدد ثقافته وتعزيزُها تعزيزٌ للهوية مما يزيد من شعور المواطن بانتمائه لوطنه، فحفظ الحقوق اللغوية يعزز الانتماء للوطن " والحماية اللغوية تعد بالنسبة للمواطن حماية هويته، فيشعر بالأمان عندما يسمع لغته يتلاغى بها في كل موقع، بل عندما يسمعها من أفواه مسؤوليه، وهناك يحس بالقيمة المضافة التي تعطيها اللغة الوطنية للفرد"[6] .

إنّ مواطنة اللغة العربية في بلد متعدد مثل الجزائر ضرورة ملحة لأن الواقع اللغوي يحتم فرض لغة مشتركة تعمل على تماسك المجتمع، ومنه وحدة الوطن؛ وبما أن الدستور الجزائري ينصّ على أن العربية لغة وطنية ورسمية للبلاد، فهو قرار سياسي يفتح لها المجال أن تحتل الصدارة بين اللغات الموجودة في هذا المجتمع،" فاللغة الوطنية أهم مكونات الأمة والدولة واللغة عامل أساسي في بناء الأوطان وفي توحيد الأفراد، وفي التزام المجموعات بالوطن، تقوي الشعور بالانتماء إلى الوطن وتنمي الحاجة إلى التعاون بين المواطنين: تربط الفرد بجدوده وباتزانه وتقاليده وتساعد في تطوير النظام التعليمي بحيث يتاح للجميع فرص التعلم " [7].

فالتسامح في مسألة المواطنة اللغوية هو مساس بالهوية وطمس للشخصية العربية الإسلامية " والقضاء على هوية الشعب أو أمة معناه تجريدها من شخصيتها وسهولة فرض التبعية عليها، فمن لا هوية له مضطر بلا شك لتبني شخصية الآخر وتقمصها والذوبان فيها وسهل عليه أن يكون ...تابعا من توابعها" [8].

لكن لا يعني مواطنة العربية في الجزائر إقصاء للامازيغية، فقد تمّ دسترتها وجعلها لغة وطنية ثانية، وقد كانت الأمازيغية لغة سكان شمال إفريقيا منذ القدم إلا أن اعتناقهم للإسلام جعلهم يحضنون اللغة العربية أيضا لأنها لغة القرآن ولغة الإسلام الذي ارتضوه دينا لهم، وقد تعايشت الأمازيغية والعربية منذ الأزل ولم تكن هناك صراعات بينهما " كما أثبتت التجارب السياسية المعاصرة أنه يمكن أن تتعايش مجموعات لغوية متعددة في تناغم وانسجام اجتماعيين ضمن دولة واحدة... وبالتالي ينشأ ما يعرف بالأغلبية والأقلية أي أنها تتعايش في إطار قانوني مبني على أساس العدالة الاجتماعية" [9]. وهذا ما يفرضه مفهوم المواطنة الذي يميل إلى مبدأ المساواة واحترام كرامة الجميع، وما الصراع المفتعل الذي وجد بين العربية والأمازيغية في زمن ما كان وليد الاستعمار الذي اتخذ سياسة 'فرق تسد '، فقد حاول أن يفرق شمل المجتمع الجزائري بزرع النزاعات العرقية واللغوية بين أفراده ليتمكن من إطاحته والتغلب عليه بعد أن عجز عن ذلك بقوة السلاح، ولو تمعنا قليلا في التاريخ الجزائري لوجدنا أن أجدادنا ما كان لديهم هذه النزاعات قبل الاستعمار والدليل على ذلك أن الأمازيغ قديما لم يترجموا القرآن إلى الأمازيغية بل عكفوا على تعلم اللغة العربية التي تمكنهم من حفظه وفهمه واعتبروا قدسية اللغة العربية من قدسية القرآن، " فالقرآن أعمق من أن تسعه الترجمة أو اللغة الأمازيغية... بل إنّ علماء الأمازيغ أبدعوا بالعربية ويفهمونها فهم المتضلعين فليسوا بحاجة إلى ترجمة.[10]

وتجدر الإشارة إلى أن الحق في المواطنة اللغوية للأقلية لا يكون على حساب اللغة العربية الرسمية باعتبارها اللغة الأولى المشتركة الموحدة لأفراد المجتمع فالغاية هو إيجاد دولة متماسكة بعيدة عن النزاعات ليعمّ الاستقرار وسط المجتمع.

وهنا يمكننا أن نركز على مسألة التخطيط اللغوي وكيفية وضع سياسة لغوية راشدة تسعى إلى تنظيم اللغات في الوطن وذلك بتبيان وظيفة كل من اللغات الرسمية وتحديد أدوارها ومجالات استعمالها فلا يمكن أن تكون الأمازيغية ندّا للعربية وإنما لكلّ منهما مجالاتها، فتبقى العربية لغة التدريس ولغة العلم والعامل المشترك بين أفراد المجتمع.

4-الوعي اللغوي: إنّ المتمعن في المسألة اللغوية في الجزائر يلاحظ هيمنة اللغة الأجنبية(الفرنسية) على الساحة اللغوية في التواصل اليومي وحتى في المعاملات الإدارية؛ إذ مازلنا نلمس وجودها فاعتبروها لغة تطور ورقي، وهذا ما يؤثر على أمن العربية.

وترتبط المسألة اللغوية بالوعي اللغوي الذي ينجم عنه الاعتزاز باللغة القومية ومواطنتها واعتبارها مكونا أساسيا من مكونات الهوية العربية الإسلامية، فالارتقاء باللغة الوطنية يعتمد على وعي الأمة التي تنتمي إليها ومدى حرص أهلها على رعايتها وحمايتها ونشرها والعمل على تقدمها.

إنّ مواطنة اللغة العربية هو حماية لها والذي ينجم عنه حماية للهوية العربية وتحقيق للأمن القومي والثقافي، فما تطور البلدان إلاّ بوعيها بأهمية لغتها القومية وإعلاء شأنها وذلك باستعمالها في المحافل الدولية.

والمحافظة على اللغة العربية ليس ترفا فكريا كما يعتقده البعض، بل هو أساس الانتماء الوطني القومي، وأمنها ليس بعدم هجرانها فقط وإنما هو قوة الإيمان بوجودها والسعي على تمكينها في جميع المجالات واعتبار ذلك حقا من الحقوق نسميها بالحقوق اللغوية " وأفظع عنف هو سلب الحقوق اللغوية" [11] وكل اعتداء على الحق اللغوي هو اعتداء على البشر، فالحق اللساني هو الذي يعطي الشعور بالمواطنة.

إنّ زرع حب اللغة العربية يبدأ من الناشئة، أي عند بدايات النشأة الأولى للطفل نعلمه بعض الكلمات من العربية الفصحى ونزرع فيه حبها ونعرفه بأهميتها وعلاقتها بالقرآن.

ومن علامات وعينا للغتنا؛ محاولة تمكينها في التعليم وتدريس العلوم بها والتعويل على وسائل الإعلام لأنها تسهم أيما إسهام في نشرها واتساع رقعتها، والحث على

استعمال العربية الفصيحة في برامجها والتخلي عن العامية خاصة العامية الهجينة التي تتخلل مفرداتها كلمات أجنبية لا علاقة لها باللغة الأمّ. إنّ اعتزازنا باللغة العربية هو رفع أوصاف التخلف عنها والاقتناع بها، وأنها لغة قادرة على احتواء العلم بما أنها احتوته في زمن ماض، لولا تقاعس أبنائها وإهمالهم لها.

إنّ القرار السياسي في هذه المرحلة هو الفيصل في إعادة اللغة العربية لمكانتها فالوعي اللغوي يبدأ من السياسي صاحب القرار؛ الذي يسن قرارات تخدم العربية، كما شرع في سنوات ماضية قضية التعريب التي سعت إلى تعميم استعمال العربية وتمكينها في جميع المجالات، إلاّ أنّ النخبة الفروكوفونية وقفت عائقا أمام إتمام المشروع الذي جمدت قراراته لأنها وجدت فيه تدميرا وتراجعا للغة الفرنسية التي أريد لها الانتشار والهيمنة.

5-اللغة العربية والدوارج: تعتبر الدوارج أو اللهجات صفة خاصة بكل لغة فلكل لغة مستوى أعلى ومستوى أدني من التعبير " فاللهجات هي واقع ومستوى لغوي أدني، واستعمال وظيفي لا بد منه"[12] يستعمل من باب الأنس والتواصل اليومي وعليه فهي لا تسبب خطرا على اللغة العربية وإنما فكرة " محاربة الدوارج خطاب استعماري غرضه التشتت اللغوي لترك الباب أمام الأجنبية..و إن وجود اللهجة لا يعمل على إضعاف اللغة، فهي داعمة للعربية عبر الوظائف الحياتية والوجدانية"[13] فكثيرا ما نجد بعض الألفاظ في لهجتنا العامية نعتقد انه لا أصل لها في العربية الفصحى ولكن إذا أمعنا النظر وجدناها عربية فصيحة قد طرأ عليها بعض التغيير من إمالة وتخفيف أو إبدال أو حذف، بل أننا نجد في عاميتنا تعابير من القرآن تداولتها ألسنتنا لذلك لا يمكن إقصاء العامية، وإنما العمل على ترقيتها لتعود إلى فصاحتها وهناك تجارب عديدة أنجزت في تفصيح العامية،"فالسعي للتقريب بين اللغة الفصيحة والعامية قصد التعايش والتلاحم أمر مشروع شريطة أن لا تفقد الأولى من منزلتها ومكانتها كونها ترتبط ارتباطا وثيقا بالمنزلة التي يحتلها مستعملوها"[14]

لكن كل هذا لا يعني أن تطغى العامية على فكرنا فهناك من دعاة الإدماج من أراد استبدال العربية الفصيحة باللهجات بدعوى البون بين اللغة المنطوقة والمكتوبة وهذا

طعن في العربية وتقليل من شأنها، إن ما نقصده هو رفع الصراع بين الفصحى وعاميتها فلكل وظيفتها ومجالها اذ تستعمل العامية في التواصل اليومي وتبقى العربية لغة التدريس والإدارة والإعلام والصحافة، والأجدر بنا الاهتمام بالخطر القادم من اللغات الأجنبية إذ طغت المفردات الأجنبية على لغتنا، فعلينا تنقية العامية من الكلمات الأجنبية ذات الصياغة العربية حتى تقترب العامية من الفصحى، فلم تسلم الجمل العربية من الألفاظ الأجنبية الدخيلة لذلك تولّد بما يسمى بالهجين اللغوي الذي يشكل خطر الانتقاص من العربية والتشكيك في قدراتها.

وواجبنا نحو العربية هو حمايتها من هيمنة اللغات الأجنبية أما من حيث اللهجات فيكفينا ترك المهمة على عاتق المدرسة،و ذلك بان يكون المعلم قدوة في الاستعمال اللغوي السليم وفرض الحديث باللغة العربية على التلاميذ وعدم التسامح في هذا الأمر وجعل ممارسة اللغة العربية في القسم وفي المدرسة لترسيخ الأساليب والصيغ الفصيحة لدى الناشئة.

6-المجتمع المدني ودوره في تعزيز المواطنة اللغوية: إن مسألة المواطنة اللغوية لا تقع على عاتق الدولة فقط، ولكن تتظافر الجهود بين الهيئات الحكومية والمجتمع المدني الذي يعمل على خلق وعي لغوي في المجتمع،و ذلك بزرع الاعتزاز باللغة الوطنية والسعي إلى ترقيتها، ويعرف المجتمع اللغوي على أنه"تلك الجمعيات والنقابات والاتحادات والمؤسسات والهيئات والجمعيات الخيرية والاتحادات المهنية والنوادي والهيئات الطلابية وتجمعات الحرفيين والمؤسسات والمنظمات..وتتصف بأنها تنظيمات تطوعية قائمة على الإرادة الحرة والمصلحة المشتركة بين أعضائها" [15] فتبني المجتمع المدني قضايا الهوية والمسألة اللغوية يسمح بالارتقاء باللغة العربية والسعي إلى نشرها واستمالة قلوب الناس إلى الاعتزاز بها والفخر بالانتماء إليها وهذا ما "يؤدي إلى الكفاية الأمنية للغات الوطنية، أو ما نسميه بالأمن اللغوي الذي يمكن أن تقدمه الجمعيات المدنية لحماية لغتها مما يعلق بها من مخاطر اللغات الغازية من باب التعالي عليها لا من باب الاستفادة من علمها."[16]، ويكون ذلك من خلال النشاطات الثقافية والمسابقات التي تقدمها هذه الجمعيات كأن تعلن عن مسابقة حول أحسن

الإبداعات سواء في الشعر أم القصة أم في فنون أدبية أخـرى،لأن المجتمـع المـدني يحمل مفاتيح ترقية العربية ومواطنتها بوصفه له القدرة على إقامة التظاهرات الثقافيـة والمسابقات الأدبية وإحياء اليوم العالمي للغة العربية مـن كـل سـنة وغيرهـا مـن النشاطات التي تسمح بإعادة الاعتبار للغة العربية.

إن دور المجتمع المدني في مواطنة اللغة العربية وترقيتهـا لـيس جديـدا جديـة المصطلح بل قد كان ذلك منذ عهد الاستعمار وخير مثال نحتذي به وبقوة إرادته فـي النهوض باللغة العربية جمعية العلماء المسلمين التي ما فتئـت أن أخـذت بيـد اللغـة العربية إلى بر الأمان،لقد سعت الجمعية إلى الحفاظ على الهويـة العربيـة الإسـلامية الجزائرية وذلك باتخاذها مبدأ الإصلاح ومحاولة نشر تعليم اللغة العربية الفصيحة رغم الظروف الصعبة التي كانت تمر بها البلاد،و رغم الإمكانيات الضعيفة إلا أنهم اتخـذوا المساجد مقرا لتعليم العربية بعد أن سعت فرنسا إلى طمسـها ونشـر الفرنسـية فـي مدارسها بغية القضاء على الهوية الجزائرية الذي لن يتحقق إلا بتحطـيم لغتهـا، لـذا وجب علينا أن نكون خير خلف لخير سلف وان يتبنى المجتمع المـدني هـذا الـدور ويكمل ما بدأت به الجمعية.

وكما هو متعارف عليه فللجمعيات الثقافية دورها المميز في تعزيز الانتماء الوطني والمواطنة اللغوية وذلك بالاهتمام باللغة العربية وجعلها في ممارساتها الإدارية وفـي نشاطاتها اليومية، وتنظيم ندوات حول قضايا اللغـة العربيـة ومضـايقاتها العصـرية وتتويج ذلك بمسابقات أدبية تنهي بتقديم الجوائز للفائزين ويقترح الدكتور صالح بلعيـد بعض النقاط التي هي من واجب المجتمع المدني تجاه اللغة العربية:

1 _ الإسهام الجادة في التظاهرة السنوية في أول مارس من كل عام باحتفائية اليوم العربي للغة العربية.

2 _ العمل في إطار القانون على تشكيل لجـان تنشـط علـى مسـتوى الأحيـاء والبلـديات والولايـات والـوطن لغـرس حـب الانتمـاء والاعتـزاز بالهويـة الوطنية:الأمازيغية والعربية والإسلام.

3 _ تنظيم مسابقة تربوية وعلمية وأكاديمية.

4 _ القيام بمعارض محلية للكتاب العربي.

5 _ تنظيم حملات تطوعية لمصالح البريد/البنوك/البلديات/الولايات والمساعدة على ملئ الاستمارات بالعربية.[17]

وعلى المجتمع المدني أن يقدم المشاريع اللغوية في حدوده وأن لا ينتظر من السلطة كل شيء.

7-هل ترسيم الامازيغية يشكل اللامن بالنسبة للعربية: بعد أن تم دسترة الأمازيغية والاعتراف بها كلغة وطنية ورسمية وقفت النخبة بين معارض وموافق لهذا القرار بحجة أنه سيهدد أمن اللغة العربية والله اعلم إن كانت النيات ترمي إلى إيجاد سبل تحقيق الأمن اللغوي أو بنية تهميش لغة تعايشت مع العربية منذ الفتوحات الإسلامية بعد إن احتضن أهلها العربية حبا في الإسلام والقرآن خاصة إذا اعتمدنا على الشرط التاريخي الذي يشهد على تكامل اللغتين وتعاضدهما منذ عقود قديمة" إذ لم يسجل لنا التاريخ أن حدث في يوم ما قبل الاستعمار الفرنسي للجزائر أن قمعت الأمازيغية أو حصل اعتراض عليها من قبل أي كان من الفاتحين العرب الأوائل"[18]بل كان من الواجب أن نفكر في أمن العربية وما يشوبه من طغيان اللغات الأجنبية خاصة الفرنسية التي اكتسحت جميع القطاعات إذ تسعى النخبة الفرونكوفونية إلى التشكيك في قدرة اللغة العربية على مواكبة العصر لذلك رفض استخدامها في تعليم العلوم مما ولد شعورا بالنقص لدى أهلها والنظر إليها نظرة احتقار ودونية وأنها لا تحملهم إلى منافذ العلم والتكنولوجيا بل أصبح أبناؤها يشمئزون من دروس العربية في المؤسسات التربوية التي تؤدي بهم إلى الشعور بالملل.

هذه الكراهية أصبح بعضنا يجاهر بها ولا يخفيها ضد لغته وثقافته ... وأفقد الناس الثقة في أنفسهم وأمتهم وتاريخهم وحضارتهم وثقافتهم ولغتهم ...[19]"

إن الصراع الحقيقي ليس بين العربية الأمازيغية إذ إن العلاقة بينهما بنيت على الأخوة ووحدة الرقعة الجغرافية والتعايش والتكامل بينهما أصبح مطلبا أساسيا لحفظ الحقوق اللغوية الذي يؤدي إلى الأمن اللغوي والوحدة الوطنية بعيدا عن الصراعات السياسية والإيديولوجية.

فحري بنا أن نخرج من شرنقة الفرنسية التي لطالما طوقت العربية وجعلتها لغة الدين والشعر والأدب فقط بل نريدها لغة تواكب العصر تحمل الرقي والعلوم.

والإشكالية التي تطرح بعد ترسيم الأمازيغية هي الخط الذي تكتب به وهناك انقسمت الآراء بين من رأى أن تحافظ الأمازيغية على حطها التراثي وهو التيفيناغ ولكن لغرابة الخط وصعوبة استيعاب حروفه يجعل تعلم الأمازيغية صعبا وعسيرا لذلك فكرت فئة أخرى أن تكتب باللاتينية إلا أننا نشم في ذلك رائحة تبعية للغة الفرنسية التي حاولت في ما مضى أن تحتوي الأمازيغية لتشتت وحدة الوطن وهو "لا يعني التكامل الأمازيغي العربي بل يعمل على الابتعاد عن الثوابت ومعاداتها ونشوب صراع وطني قادم "[20].

أما فئة ثالثة فرأت أن تكتب الأمازيغية بالحرف العربي وحجتهم في ذلك أن أصوات الحروف الأمازيغية قريبة من أصوات الحروف العربية.

وأن معظم التراث الذي وصلنا من الأمازيغية قد "كتب بالحرف العربي باعتباره مقوما من مقومات الثقافة الوطنية ولا يزال هذا التراث لا يعرف عنه إلا القليل.. واستخدمت الحرف العربي في المخطوطات التي وصلتنا من تلك الفترة."[21]

إن كتابة الأمازيغية بحروف عربية يزيد من تعايش وتكامل هاتان اللغتان ويمتن أواصل الهوية العربية المازيغية الإسلامية لدى أفراد المجتمع ويحقق الأمن اللغوي.

الخاتمة:

من خلال هذه الورقة البحثية يمكننا أن نخرج بالنتائج التالية:

_ يعتبر التنوع اللغوي سنة كونية وظاهرة اجتماعية بصفة عامة فهو محصلة لظروف تاريخية واجتماعية، ولم يكن التعدد اللغوي عاملا لزعزعة الوحدة الوطنية وإنما هو عنصر ثراء ثقافي بين المجتمعات مادام الدين الواحد هو الذي يجمع شملهم

_ إن التعايش بين العربية والأمازيغية منذ عصور ماضية كان بفضل اقتناع الأمازيغ بالإسلام الذي اعتنقوه طوعا لا كرها، وحبهم للعربية التي جعلوا قدسيتها من قدسية القرآن، بوصفها لغتهم الحاملة لعقيدتهم فلم يشعروا عبر القرون أنها دخيلة عليهم؛

_ إن الصراع الحقيقي الذي وجب أخذه بعين الاعتبار هو منافسة اللغات الأجنبية للغة العربية ومحاولة إضعافها وزعزعة مكانتها لذا وجب العمل على النهوض بها لمواكبة العصر وجعلها لغة علم؛

_ إن وجود العامية في المجتمع الجزائري لا خوف منه على العربية الفصحى مادامت تستعمل في مجالها ومن أجل قضاء الحاجات اليومية، فعلينا أن نحاول تقريبها إلى الفصحى وتنقيتها من الكلمات الأجنبية (الفرنسية) وتفعيل العربية الفصحى في المجالات الحيوية مثل المؤسسات التربوية والإعلام والإدارة التي تساهم في نشر الفصيحة وتوسيع رقعتها وهذا ما نسميه بمواطنة العربية الذي يؤدي بنا إلى الأمن اللغوي؛

_ ضرورة تبني سياسة لغوية راشدة تحدد وظائف اللغات في الجزائر حسب تراتبيتها لإيجاد حلول للمضايقات التي تعاني منها اللغة العربية بوصفها لغة وطنية رسمية أولى واللغة الأمازيغية بوصفها لغة رسمية ثانية.

الهوامش

[1] صالح بلعيد: في المواطنة اللغوية وأشياء أخرى _ الجزائر_ دار هومة ص 176.

[2]صالح بلعيد: في المواطنة اللغوية وأشياء أخرى، دار هومة ص19.

[3] صالح بلعيد: في الأمن اللغوي، دار هومة ص43.

[4] محمود سيد: الأمن اللغوي ودور في الحفاظ على هوية الأمة، مجلة التعريب، العدد 53 ديسمبر 2017 ص18.

[5] محمود شاكر سعيد: الأمن اللغوي ودور جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية في تعزيزه الرياض 2014، ص6 .

[6] صالح بلعيد: في الأمن اللغوي، دار هومة ص26.

[7] ينظر زكريا مثال : قضايا ألسنة تطبيقية، دراسات لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة تراثية ط1 دار العلم للملايين ببيروت 1993م ص14.

[8] للطيب ابن إبراهيم: استشراق الفرنسي وتعدد مهامه خاصة في الجزائر د ط دار المنابع للنشر الجزائر 2004م ص 14.

[9] أحمد عزوزو محمد خاني: العدالة اللغوية في المجتمع المغاربي بين شرعية المطلب ومخاوف التوظيف، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ط1 بيروت يناير 2014م ص36.

[10] صالح بلعيد: يزع بالحاكم ما لا يزع بالعالم دار هومة الجزائر ص235.

[11]صالح بلعيد: في الأمن اللغوي ص18.

[12] صالح بلعيد – في المواطنة اللغوية وأشياء أخرى –دار هومة – الجزائر ص 25

[13] المرجع نفسه ص205–206

[14]صفية بن زينة، الأمن الثقافي واللغوي والانسجام الجمعي أعمال اليوم الدراسي 2018 المجلس الاعلى للغة العربية ص171

[15] صالح بلعيد–في الأمن اللغوي–ص206

[16] المرجع نفسه ص205 –206

[17] صالح بلعيد،في الأمن اللغوي،ص214–215

[18] بوزيان دراجي القبائل الأمازيغية وأدوارها ومواطنها وأعيانها دار الكتاب العربي القبة الجزائرية ط1999ج1ص42

[19] عبد العلي الودغيري اللغة العربية في مراحل الضعف والتبعية ,مجلة الممارسات اللغوية جامعةمولود معمريالعدد6 ص91

[20]صالح بلعيد في المواطنة اللغوية وأشياء أخرى ص33

[21]صالح بلعيد هل تشتعل حرب الحروف منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر ص155

المُواطنة اللُّغويَّة
ودورُها في تعزيز الهويَّة الوطنيَّة لدى الفرد الجزائري

د/ محمد يزيد سالم

جامعة الحاج لخضر– باتنة–

مهاد:

تُعتبر اللُّغة هي الأساس الذي يقومُ عليه مِخيَالُ الأُمم، وهي العامل االــرئيس في بناء البلدان، وفي توحيد الأفراد والجماعــات، وتُقــوِّي الشُّــعور بالمســؤولية للانتماء إلى الوطن الواحد والأمَّة الواحدة، والإخلال بهذا العنصر– اللُّغة– والتَّقليل من شأنِه سيبعثُ– دون شك– على تفكك الدُّول وصراع الجماعات اللُّغويَّة؛ وذلــك أنَّ اللُّغة عاملٌ انقساميّ في الوطن الذي يتكلَّم أبناؤُه أكثر من لغة، فعنــدما تشــعر مجموعة لُغويَّة بالاقصاء في وطنها يتفاقم الخطر، وتقوى النَّزعة الانفصــاليَّة فــي وُجود التَّفاوُت الاجتماعي وانعدام المُساواة، إذ تتَّحد الأقليات التي تتكلَّم لغة واحــدة في حركات وتنظيمات سياسية وجمعويَّة تعمل على الرَّفع من شأن الجماعة اللُّغويَّة الواحدة. وهذا الأمرُ يشبه إلى حدٍّ كبير ماهو حاصل فــي المشــهد اللُّغــوي فــي الجزائر، الذي يتميَّز بمظهرين متناقضين في الظَّاهر منسجمين في الواقع، وهمــا التَّعايُش والصِّراع، ذلك أنَّ الاعتراف الأخير من الدَّولة الجزائرية– فبراير/ شباط 2016م– باللُّغة الأمازيغية كلغة وطنية والإقرار بذلك دستوريًا، قد أعَــاد طــرح الكثير من النقاشات والجِدالات بين التيارات النُخبويَّة الأمازيغيَّــة داخليــا، وبــين النُخب التي ترفض الأمازيغيَّة وتزيدُ من تصعيد الأزمة الهُوياتيَّة للجزائريين علــى الصَّعيد اللُّغوي، بل وحتى العرقي، إنَّها حقًّا متَاهة بدأت تعود لإفراز أزمات علــى مستوى الهُويَّة الوطنيَّة.

في إطار الطَّرح أعلاه سنُحاول في هذا البحث الوُقوف على الـدَّور الـذي تلعبُه المُواطنة اللُّغويَّة في ترسيخ وتثبيت قيم الهُويَّة الوطنيَّة لدى الفرد الجزائـري وكذا دورُها في ترسيخ ثقافة التَّعايش السلمي بين اللُّغات الوطنية في الجزائر.

1- اللُّغة والهويَّة: أيَّة علاقة؟

تعتبر اللُّغة مبدعة الهويَّة، وتُدرج في المقام الأوَّل في سلسلة مكوِّنات الإطـار المرجعي والهويَّاتي، وبواسطتها نستطيع أن نبني العالم، إنَّهـا ليسـت أداةً تبقينـا خارجًا، ولكنَّها تُعطي شكلاً لعلاقاتنا بالعالم المُحيط بنا، وتُمكننا من تكوين ذواتنا.

فالنَّشاط اللُّغوي الذي هو أساس كل علاقة يُمكن أن يُعطي معنى لكلِّ ما نتحدَّث به، أو نقوم به من أفعال لبناء حياتنا الاجتماعيَّة، وأنشطتها، كما يُمكن أن يُقوِّضها من الأساس؛ ولذلك أجمعت الدِّراسات السوسيولغويَّة على أنَّ اللُّغة هي أحد أبـرز مكوِّنات الهويَّة، حيثُ يختلط الجنس والعرق باللُّغة، ويُنسب الكائن البشري غالبًـا إلى لغته، إن عربيًّا فعربية، إن فرنسيًّا ففرنسيَّة[...] إلخ، وبناءً عليه فاللُّغة والوطن أو الجنسيَّة متلازمان كوجهي العملة الواحـدة، إذ لا يُمكـن الفصـل بينهمـا دون الإخلال بمنظومة الهويَّة ومكوِّناتِها والسقوط في الضَّياع المُـؤدِّي إلـى التَّلاشـي التَّدريجي[1].

ولن يستطيع أي مجتمع أن يُؤسِّس منظومة معرفية دون أن يمتلـك منظومـة لغويَّة تكون شاملة، ومشتركة، متجذرة، حمَّالة للأبعاد المتنوِّعـة فكـرًا وروحًـا وإبداعًا، فاللُّغة هي الحامل الضَّروري المُحايث لكلِّ إنجازٍ لغوي.

إنَّ أمر اللُّغة أمرٌ جليلٌ، بل لولا خشية المضنَّات واتِّقاء انفلات التأويل لقلنا: إنَّ اللُّغة أجلُّ من أن تترك بيد السياسيين، والسبب في ذلك يعود إلى أنَّ رجال السِّياسة يضعون الزمن الجماعي على مرآة زمنهم الفردي، أمَّا رجال الفكر فينحتون زمنهم الفردي على مقاس الزمن الجماعي، فإن نحن سلمنا جدلاً بجلال الظَّاهرة اللُّغويَّـة بصورة شاملة مطلقة فمن المفروض أنْ يكون شأنُها عند أمَّة العرب أجل وأمكـن لكن الواقع يشهد على عكس ذلك[2].

وحتى لا تتعرض الهويَّة للتَّفكيك، يجب أن تُرفع المسألة اللُّغويَّة إلى مرتبة القضايا الاستراتيجيَّة الكبرى للأمة، وأن تعتبر قضية حكومات وشعوب لا قضية مهتمين ومتخصِّصين فقط، فالدَّولة التي تُصلح سياستها، واقتصادها، وتعليمها، ولا تفكر في إصلاح أوضاعها اللُّغويَّة، وكذا ترشيد لغاتها، هي دولة تعرِّض هويَّتها للتَّفكيك والاضمحلال.

فالصلة بين الهويَّة واللُّغة وثيقة، وإن كان الجدال قائمًا حول طريقة تبادل التَّأثير ذلك أنَّ" المشكل لا يكمن في أنَّ ارتباط الهويَّة باللُّغة ذاته قد حظي بأهميَّة بالغة بل إنَّه يكمن في التَّعامل مع طريق ذات اتِّجاهين كما لو كانت طريقًا واحدة"[3].

بناءً عليه فقد اعتُبرت مسألة الهويَّة[4] من أخطر القضايا الفكريَّة وأدقِّ الأبواب الحضاريَّة، ولا يعود خطرها إلى استقصاء فيها، ولا تُعزى دقتُها إلى قصورٍ في إحساس الناس بها أو إدراك نخبتهم لها، وإنَّما يأتيان من شمولها الأفق على سطح الأحداث ومن عمقها العمودي إلى قاع الأغوار في الوعي واللاوعي، سواءٌ على مستوى الكائن الفردي أم على مستوى الكيان الجمعي. على أنَّ موضوع الهويَّة ما انفكَّ يتعقَّد أمره ويتعاضم شأنه بحكم الانتقال الفجائي الحاصل في مرجعيات الحياة السياسيَّة على المستوى الكوني ممَّا ألقى بظلاله على كلِّ معايير الانتظامات الوطنيَّة والقوميَّة والاقليميَّة، ولقد ازدادت المسألة تضخُّما ومعاييرها ارتجالاً منذ انبرى بعض المنظرين ينفثون في أتون المُنازعات الثقافيَّة سواء بطرح مقولة نهاية التَّاريخ أم بطرح مقولة صراع الحضارات، بل ومنذ أمعن بعض محترفي الإغاضة السياسيَّة وبعض المخططين للكيد الحضاري في تمضية السكاكين الجارحة لأديم الجسد الثَّقافي والغائصة على شرايين الانتماء التَّاريخي، وذلك بتنصيب أنفسهم وُكلاء على ما يُسمُّونه" حقوق الأقليات" ويُسدلون به غطاء أجنحتهم على الأقليات العرقيَّة، والأقليات الدِّينيَّة، والأقليَّات اللُّغويَّة. وقد" وجد المُثقفون الخُلَّص أنفسهم في كافة الأوطان ومن مختلف الاتِّجاهات والانتماءات محمولين حملاً على التَّصدِّي لهذه المظلمة الفكريَّة المستشرية. ولكنَّنا على يقين راسخ بأنَّ أولى النَّاس بالانزعاج وأحقِّهم بالانخراط في الجبهة الفكريَّة الشريفة هم

جيل المثقفين ممَّن يؤهِّلهم زادهم الفكري المتفتِّح ورسوخهم الحضاري الأصيل إلى أن يكونوا الأقدر على فك شفرة النِّظام الثَّقافي العالمي دون أن يُفرطوا في أواصر الارتباط بالهويَّة"[5].

2- السياسة اللُّغويَّة والتَّخطيط ودورهما في تعايش الهويَّات اللُّغويَّة:

لم تعد السِّياسة اللُّغويَّة ترفًا علميًّا مقصورًا على قاعات النقاش العلمي والدِّراسات الأكاديميَّة، بل أضحت ضرورة ملحَّة من ضرورات الحفاظ على الهويَّة والمجتمع على حد السواء، وباتت مكوِّنًا رئيسيًّا من مكوِّنات الدُّول وركنا من أركانِها، إذ لا يكاد يخلو دستور من دساتير دول العالم من النُّصوص التشريعيَّة التي تنص على لغة الدولة أو لغاتها، بالإضافة إلى القوانين المسنونة والمتعلِّقة باللُّغة في أبعادها النِّظاميَّة المختلفة.

وتختلف السياسة اللُّغويَّة من بلد إلى بلد ومن لغة إلى لغة، وذلك طبقًا لمعطيات كل مجتمع وتركيبتِه السُّكانيَّة وتنوعها اللُّغوي، بالإضافة إلى طبيعة اللُّغة في حدِّ ذاتها وهو ما يفرض وضعها في الاعتبار عند رسم السياسات اللُّغويَّة.

ولنجاح أيِّ سياسة لغويَّة لابدَّ من تحديد أهدافِها بوضوح ودقَّة، لاختيار المسار المناسب والآليات الفاعلة الذي يحقِّق هذه الأهداف بأقلِّ مجهود وتكلفة والمتأمِّل في الجهود المبذولة على أرض الواقع يجد جهودًا مخلصة ونيَّات صادقة لكن يعوزها التَّخطيط اللُّغوي الذي يعتمد على سياسة لغويَّة واضحة الأهداف والمرامي، سواءً العامَّة منها أم المرحليَّة[6].

ولابدَّ لكل سياسة لغويَّة من ثلاث مراحل هي[7]:

1- وصف الوضع اللُّغوي[8] الاجتماعي من خلال التَّحليل الدَّقيق للوضع اللُّغوي في المجتمع، وتحديد الفرص المُتاحة والتَّحدِّيات المفروضة بشكل علمي ميداني؛

2- تحديد الأهداف العامَّة والمراحل المرجوَّة، ولا يتمُّ ذلك إلاَّ عن طريق المعرفة التَّامة للمُخرجات والنَّتائج المتوقَّعة؛

3- وضع الإستراتيجيَّات وتحديد الوسائل والخطوات الإجرائيَّة التي يتمُّ من خلالها ترجمة الآراء النَّظريَّة في الواقع، وبذلك تتحقَّق الغايات المُستهدفة. وقبل تحديد أهداف السياسة اللُّغويَّة، لابدَّ من توضيح أنَّ اتِّجاهات السياسة اللُّغويَّة والتَّخطيط اللُّغوي لا يخلوان من ثلاثة اتِّجاهات:

1- محاولة إزالة كل اللُّغات باستثناء لغة واحدة، حيث يهدف هذا الاتِّجاه إلى إزالة التَّعدُّديَّة في المجتمع اللُّغوي أو الدَّولة؛

2- الاعتراف بالتَّعدُّديَّة اللُّغويَّة[9]، والمحافظة على اللُّغات الأساسيَّة في إطار المجتمع اللُّغوي أو الدولة؛

3- الاعتراف بلغتين رسميتين تتوافقان مع التَّركيبة اللُّغويَّة الوطنيَّة، حيث يسعى هذا الاتِّجاه إلى إقامة المساواة بين المجموعتين اللُّغويتين في البلد الواحد[10].

ويبدو أنَّ الاتِّجاهين الثاني والثالث هما الأكثر ملاءمةً لرسم السياسة اللُّغويَّة في البلاد العربية، بينما الاتّجاه الأوَّل مستبعد؛ لأنَّه يفرض صلاعًا لغويا - نحن في غنًى عنه- لا يخدم العربية، بل يعمل على تعزيز الانقسام والتَّعصُّب بالإضافة إلى تكريس مفهوم الإقصاء والاستبعاد الذي لا يخدم الجميع.

وتجدر الإشارة أنَّ كثيرا من الباحثين لايفرِّق بين مصطلح" السياسة اللُغويَّة" ومصطلح "التَّخطيط اللُّغوي"، وغالبًا ما يزاوج الباحثون بينهما ولا يفرِّقون فالتَّخطيط اللُّغوي:" هو نشاط تقوم به غالبًا الحكومات من أجل دعم التَّغيُّر اللُّغوي العام في جماعات من المتكلِّمين، بغاية إبقاء التَّواصل والنِّظام المدني، وعادةً ما يكون التَّخطيط مقترنًا بالإعلان عن سياسة لغويَّة للدَّولة أو لهيئة مجتمعيَّة"[11]. أمَّا مصطلح" السياسة اللُّغويَّة" فيقصد به:" الأفكار والقوانين والضَّوابط والقواعد والممارسات، تروم إنجاز التَّغيير اللُّغوي في المجتمع، والمجموعة، أو النِّظام، فإذا وُجدت سياسة من هذا النَّوع، يمكن آنئذٍ بتقييم جِدِّي للتَّخطيط"[12]. ومن هنا فالعلاقة بين"السياسة اللُّغويَّة" و"التَّخطيط اللُّغوي" هي علاقة تبعيَّة؛ ذلك أنَّ قرارات السلطة تمثِّل(السياسة)، والانتقال إلى العمل الفعلي يُمثِّل(التَّخطيط).

بناءً عليه فإنَّ الخطوة الأولى والأساسيَّة في أيِّ تخطيط علمي للنُّهوض باللُّغة" تنطلق من التَّشخيص الموضوعي العلمي الدَّقيق والشامل لواقعها، في أنظمتها ووظائفها الدَّاخليَّة، وتشخيص واقعها الخارجي عبر الناطقين بها ومستعمليها، والبيئات والسِّياقات المختلفة التي تحيا فيها، وتقييم السياسات اللُّغويَّة المتَّبعة فعليًّا، حتى يتسنَّى قياس الفرق بين الوضع القائم والوضع المرتقب، ورسم خطط العمل والتَّداخل الكفيلة بوقف نزيف تحوُّل محبيها عنها إلى غيرها، من أجل أن تُصبح لغة حركيَّة حيويَّة جذَّابة، مربحة"[13].

3- المواطنة اللُّغويَّة وأثرها في تكوين الهويَّة الوطنية لدى الجزائريين:

لا يخفى علينا أنَّ الجزائريين متعدِّدون لغويا ليس لهم لغة واحدة، بل عدَّة لغات وكذلك لهجات وسجلات لغويَّة متنوعة، وينبغي ألاَّ نخلط اللَّهجة باللُّغة (Linguistique Repertiore) فإذا بحثنا في السجل اللُّغوي للمغاربة عمومًا ماذا نجد ضمن السجل اللُّغوي الجزائري خصوصًا؟ سنجد العربية الفصحى والدارجة العامية بتنوعاتها حسب المناطق والطبقات المجتمعيَّة، والأمازيغيَّة بتنوعاتها أيضًا الشلحية والمتوسطة والرِّيفيَّة وغيرها وذلك حسب المتكلِّمين، إلاَّ أنَّ ألسن الهوية محدودة في لسانين هما: اللِّسان العربي واللِّسان الأمازيغي، وينصُّ الدستور الجزائري على ضرورة دعم وتقويَّة هذين اللِّسانين.

وقد عاشت اللُّغة العربية جنبًا إلى جنب مع أُختها الأمازيغيَّة، وكان التَّداخل والتَّمازج اللُّغوي شعبيا في الأساس، آل إلى مزيج من اللَّهجات يتكلَّم بها الجزائري في حياته اليوميَّة، ولم يكن للعربية الفصيحة إلاَّ دور فوقي في إطار توزيع طبيعي للألسن، وذلك طبعًا بحسب الوظائف، وتدبيرٌ شعبي عفوي، ولم يكن للدولة أيُّ خطَّة لغويَّة صريحة لتعريب الجزائريين، كما لم تتدخل الدولة لنصرة اللُّغة العربية ضد الأمازيغيَّة، بحيث يُمكن الجزم قطعًا بأنَّ هويَّة الجزائر اللُّغويَّة بمختلف روافدها استفادت من تقبُّل وتعايش لغوي سلمي وشعبي[14].

إنَّ ما طبع الجزائريين عبر تاريخهم اللُّغوي هو التَّسامح والتَّعايش، وهو سلوكٌ نابعٌ من سماحة الدِّين الإسلامي ونظرته إلى التَّعدُّد اللُّغوي واختلاف الألسنة

باعتباره آية من آيات الله تعالى، وإلى الانتماء اللُّغوي الذي يرتبط بالعرق مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم:" من تحدَّث بالعربية فهو عربي"، الذي قطع الطَّريق أمام التَّعصُّب للأعراق والإثنيات.

والبلد الذي تتعدَّد فيه أصول مواطنيه العرقية والدِّينيَّة وانتماءاتهم الثقافيَّة والسياسيَّة لا يُمكن ضمان وحدته واستقراره إلاَّ على أساس مبدإ المواطنة التي تعني أن يتحلَّى الفرد بروح التعاون والعمل الجماعي والصدق في التَّعامل، ويُسهم في الحياة الثقافيَّة للمدرسة أو الحي أو القرية، وينتهج في ذلك أساليب الاستماع والحوار، وينبذ كل أشكال العنف والعنصرية.

هذا ويشير مفهوم المواطنة إلى الانتساب الجغرافي لأفراد المجتمع من خلال الارتباط ببقعة جغرافية محدَّدة تتمثَّل بالمدينة والدولة وبالوطن الواحد في الوقت الرَّاهن، أمَّا الهوية فإنَّها تشير إلى الانتساب الثقافي؛ أي: انتساب إلى معتقدات وقيم وهعايير معيَّنة تحدِّدها الثقافة الاجتماعيَّة التي ينتمي إليها الفرد والتي يكتسبُها من خلال الولادة وعملية التنشئة الاجتماعيَّة السَّويَّة التي يمرُّ بها في حياتِه. فالهويَّة لازمة للمواطنة؛ لأنَّ المواطنين لابدَّ لهم من نظام سياسي، وعلاقات اقتصادية واجتماعية، وقوانين تضبط هذه العلاقات، وكلُّ هذا إنَّما يُبنى على معتقدات وقيم ومعايير؛ أي على هوية معيَّنة[15].

هذا وتجسد المواطنة" دور العضو في الجماعة التي ينتمي إليها، فهو مواطن حينما يُجسِّد حضوره الدَّائم في عملية المشاركة الواسعة، في تصوُّر استراتيجية للتَّغيير ورسم الأهداف المرغوبة- بحسب طبيعية النظام الإيديولوجي والسياسي المنتهج- وأيضا الإسهام الفعلي في تحقيق مساعي تلك الأهداف وتحويلها من مجرد حبر على أوراق إلى مجسمات حقيقيَّة في مجالات مختلفة تربويَّة واقتصاديَّة وثقافيَّة وتكنولوجيَّة[...] وهكذا، هذا عبر مجموعة القنوات أو المعايير المشروعة التي تحقِّق له المشاركة سواء بانتخاب ممثلين كوكلاء للتَّغيير، أم الانخراط مباشرةً في هيئات المجتمع المدني كالأحزاب- مثلاً- كمؤسَّسات سياسية رسميَّة تسعى شخصيًّا لإحداث هذا التَّغيير"[16].

وليس الوطن الذي ينتسب إليه المواطنون هو الذي يحدِّد لهم نوع الهويَّة التي ينتسبون إليها، فالوطن الواحد قد تتعاقب عليه نظم مختلفة، بل ومتنافضة أحياناً وحملاً عليه فالهوية إذن هي النَّظارة التي يرى من خلالها المواطنون ماهو مناسب، صالح أو غير صالح لوطنهم، فإذا اختلفت النَّظارات اختلف تقويم النَّاظرين إلى ما ينظرون إليه، وإن اتَّفقوا على الحقائق الحسيَّة[17].

ذلك أنَّ المواطنين مهما كان إخلاصهم لوطنهم وحرصهم على مصلحته لايُمكن أن ينظروا إلى تلك المصلحة باعتبارهم مواطنين فقط، بل لابدَّ أن ينظروا إليها بحسب هوياتهم، لكن البعض يتوهم أنَّه بإمكان المواطنين في بلدٍ ما أنْ يحلُّوا مشكلاتِهم بمجرَّد انتمائهم الوطني.

فلابدَّ للمواطنين– إذن– من هوية، من ثقافة تكون هي المنظار الذي ينظرون به إلى الواقع، والمعيار الذي يقترحون به الحلول لمشكلاتِه[18].

3-1- مفهوم المواطنة اللُّغويَّة:

يقصد بالمواطنة اللُّغويَّة:" استعمال اللِّسان الوطني في كلِّ المؤسَّسات والأماكن العامَّة، وقضاء المصالح الإدارية، وإنَّ المواطنة اللُّغويَّة فضاء لغوي ممتد تأخذ فيه اللُّغة الرَّسميَّة النَّصيب الأوفى انطلاقًا من أنَّ تربية المواطنة تحصل أوَّلاً باللُّغة الرَّسميَّة، وعدم احتقار الوطنيَّة، وتعزيز الثقافة الوطنيَّة بنقل المفاهيم الوطنيَّة للطِّفل وبثِّ الوعي بتاريخ الوطن وإنجازاتِه، والاهتمام بمختلف الأنشطة الثَّقافيَّة، وخاصَّة التي تنسج في الغالب علاقة متميِّزة بين المواطنين بتحسيسهم أنَّه جزء من ذواتهم"[19]. وبناءً عليه فالعلاقة القائمة بين مفهوم المواطنة ومفهوم الثقافة" هي علاقة مشاركة إبداعيَّة في خلق فضاء وطني جديد متجدِّد يتجنَّب العزلة والانكفاء، ويُحارب التَّعصُّب والشُوفينيَّة، ويؤسِّس للاندماج والوحدة على قاعدة الدِّيمقراطية واحترام التَّعدُّد وصيانة حقوق الإنسان"[20].

وهكذا فإنَّ المواطنة اللُّغويَّة لا تأتي مفاهيمها المرتبطة بالحقوق أيًّا كانت، بل تحتاج إلى تجسيد فعلي في حق التلميذ في تعلُّم لغته، وحقِّه في استعمال لغتِه وإدخالها إلى منظومة اللُّغات الحيَّة، وحقِّه في استعمال لغته وإدخاله إلى منظومة

اللُّغات الحيَّة، وحقِّه في أن تدافع مؤسَّسات الدولة على نيل المرتبة التي تستحقها كلغة رسميَّة/ وطنيَّة، وتسنُّ القوانين العاملة على احترامها[21].

3-2- تعايش الهويَّات اللُّغويَّة في المجتمع الجزائري: الرَّاهن والمأمول:

كما لا يخفى علينا فإنَّ اللُّغة العربية ليست في موقع تنافس مع الأمازيغيَّة، بل هي في موقف صراع مع الفرنسيَّة؛ لأنَّها احتلَّت مواقعهما وخلقت" ازدواجيَّة لغويَّة"[22] مفروضة، وهو ما أدَّى إلى تدهور العربية لما للمزايا التي تحظى بها الفرنسيَّة من فرص العمل واكتساحها مجالات الاقتصاد، أمَّا الأمازيغيَّة، فلم تعطَ صورة الظهور بتاتًا لا في العهد القديم ولا في العهد الحديث المعاصر[23].

ومع أنَّ اللُّغة العربية هي اللُّغة الرَّسميَّة ولغة المدرسة الجزائرية، وإحدى المركبات الأساسيَّة للهويَّة الوطنيَّة الجزائريَّة، وأحد رموز السيادة الوطنيَّة، فإنَّ ذلك لا يعني منع اللُّغات الوطنية الأخرى من التَّواجد في السَّاحة اللُّغويَّة الوطنيَّة أو منعها في المؤسَّسات التَّربويَّة والتعليميَّة، بل إنَّ المقصود باللُّغة الرَّسميَّة هو لغة الإدارة والخطاب السِّياسي والمُكاتَبَات ومختلف الوثائق، وقد تكون هذه اللُّغة الرَّسميَّة في نفس الوقت لغة وطنيَّة.

وإذا كان العرب والأمازيغ يجمعون على عُنصري(الإسلام والمغربة) كعناصر أساسيَّة للهويَّة الوطنيَّة، بالإضافة إلى التَّاريخ المشترك، والأرض المشتركة، فإنَّه يصبحُ لزامًا تعميق عنصر" العروبة الأخوية" لدى الأمازيغ، بعيدًا عن العروبة الرَّسميَّة والحزبيَّة، فهناك عناصر كثيرة من العروبة موجودة لدى الأمازيغ، ويصبح- حينئذ- مطلوبًا تعميق عنصر الأمازيغيَّة لدى العرب، بالتَّكامل وليس بالتَّناقض، فالطَّرح التناقضي لمسألة حسَّاسة كهذه يؤدِّي إلى انتصار التَّيَّار الغرائزي لدى الجانبين، والأهم هو عدم التَّهرُّب من طرح المشكلة على طاولة الحوار العقلاني الهادئ، وقد يتسبَّب ذلك في حماسٍ عاطفي لا جدوى منه في البداية، لكنَّه مع الشفافيَّة يتحوَّل إلى حوار عقلاني[24].

والمتتبِّع لواقع الثَّقافة الجزائريَّة في بعدها اللُّغوي يلاحظ أنَّها" ذات أبعادٍ مختلفة فهي عربية إسلاميَّة أمازيغيَّة، متوسطيَّة، إفريقيَّة، عالميَّة، ورغم ذلك

تضعف فيها أبعاد معيَّنة وتقوي أخرى على مستوى الانفتاح الثقافي والتثاقف[...] ففي الوقت الذي ينتظر فيه الإستفادة من جميعها يلاحظ غلبة التَّوجُّه المتوسطي فيها والفرنسي بالخصوص[...] ولهذا يحتدم الصراع بين معربين ومفرنسين[...] والذي نستشف منه الأزمة اللُّغويَّة في الجزائر"[25].

وقد أدَّى الاعتراف الأخير من الدولة الجزائرية باللُّغة الأمازيغيَّة كلغة وطنيَّة[26] إلى زيادة اللُّحمة بين الشعب الجزائري- بغض النظر عن بعض المتعصبين من هنا أو هناك- ويدخل في هذا إطار الحق القانوني للغة الأم، وهذا بطبيعة الحال لا يشكِّل خطرًا على اللُّغة الرَّسميَّة، بقدر ما يُعلي من شأنها؛ لأنَّ لكلِّ لغة وظيفة اجتماعية منوطة بها، وسياسة محدَّدة، وما علينا إلاَّ تمتين هذا الرِّباط الذي أقامه الإسلام منذ زمن طويل.

ومن خلال الإدماج بين اللُّغة العربية كلغة رسميَّة والأمازيغيَّة كلغة وطنية لا تناقض بينهما، يمكن تحقيق جملة من الاعتبارات المهمَّة على درب ما يمكن تسميته بالمصالحة الوطنية، وتتمثَّل هذه الاعتبارات في استتباب الأمن اللُّغوي والسام الثقافي، وفي توسيع دائرة المشاركة السياسية، وفي ترسيخ المواطنة الثقافيَّة واللُّغويَّة، وكذلك في تقوية الوحدة الوطنية[27].

إنَّ وجود لغة- أو لغات- وطنية مشتركة في سياق التَّعدُّد اللُّغوي يمثِّل السبب الرئيس في إيجاد فكر وإحساس مشترك في سائر أنحاء الدولة والوطن بما يفعل الإحساس بالمواطنة والانتماء المشترك، كما أنَّها تمثِّل الطريقة المُثلى التي تمكن المجتمع من الوُصول إلى عقل جماعي مشترك يؤهل الفرد المستخدم للاتِّصال اللُّغوي من الحصول على المعرفة، والعمل على نشرها بشكلٍ يؤدِّي إلى تعميق الثقافة التشاركيَّة[28]، وهو الأمر الذي يؤدِّي إلى منطلقات مؤسسة للإضافات اللُّغويَّة، ضامنة لفاعليتها بما يتماشى مع متطلبات الهويَّة الوطنيَّة.

وقد عمل العرب والأمازيغ على تكوين الهويَّة الوطنية بمختلف أبعادها حيث أسهموا جميعًا في تطوير الفصحى، وإحلالها المكانة اللاَّئقة، وتولَّد عن هذا إشباع هويَّة ثنائيَّة متجانسة أضحت واحدةً، وأصبحت بعد ذلك اللُّغة العربية مكوِّنًا مهمًّا

للشعب الجزائري، واستقرَّت في أذهانهم، وأعلوا من شأنها منذ أن دخل الإسلام هذه الدِّيار، فلا يوجد دار أو قرية في وقت الاستعمار لا يدرَّس فيها القرآن الكريم كما أنَّ اللُّغة العربية وحدها كانت لغة التِّجارة والاكتتاب قبل دخول فرنسا، وقد أسهمت هذه الأمور وغيرها في نشر اللُّغة العربية وتعميق جذورها في سائر أنحاء الجزائر، فكانت اللُّغة الموحِّدة العاملة على التَّماسك الاجتماعي، وتساوي الفرص أمام الجميع، رغم ما واجهته الهويَّة الجزائريَّة من تحديات، لكنَّها خرجت متماسكة وستظلُّ متماسكة أمام التَّحدِّيات المعاصرة، بل هي مصدر القوَّة في كلِّ المعارك التي تفرض عليه من الدَّاخل والخارج[29].

هذا وتعدُّ الأمازيغيَّة في المناطق النَّاطقة بها لغةٌ أم؛ رغم محدوديَّة مستعمليها حيثُ لا يوظف غيرها، خاصة في الرِّيف وداخل البيوت وعند كبار السن، وبفعل عملية التَّعريب فإنَّ الأمازيغيَّة تقلَّص عملها كلغة استعمال في المحيط حتى في المناطق الأمازيغيَّة نفسها، ومع ذلك تتوافق مع مصطلح اللُّغة الأم من حيث تطابق الشروط الأساسيَّة لتصنيف اللُّغة كلغة أم، إضافةً إلى ذلك فهي لغة وطنية بحكم أصالتها واستعمالها في عديد من المناطق وبحكم الدُّستور الذي أُقِرَّ بها كلغة وطنية[30]، ولكن مصطلح اللُّغة الوطنيَّة يقتضي أن تكون مكتوبة، ولغة الاستعمال الشفاهي اليومي، وهذا جانب تشتكيه اللُّغة الأمازيغيَّة في الوقت الرَّاهن، ويعتبر حاجزًا يحول دون معياريتها[31].

ومن حقِّ المواطن الجزائري على دولته أن تضمن له حقوقه، وعلى رأسها الحقوق اللُّغويَّة؛ فتحميها وتؤهِّلها، وهي مسألة ديمقراطيَّة باعتبار اللُّغة تمثِّل الأمن اللُّغوي والاستقرار النَّفسي للمواطن والأمن الاجتماعي للوطن، وعلى المجتمع المدني السهر على تجسيد ما يختص بقضيَّة الهويَّة، ويكون الاعتزاز باللُّغة الوطنية(الأم) في المقام الأول لما لها من خصوصيَّة تتعلَّق بالهويَّة والحضارة والعلميَّة والدِّين والشَّخصيَّة الوطنيَّة في كامل أبعادها ذلك أنَّ" المجتمع الذي لا ينجز نهضته في بلده بلغته الأم لا يتفاعل مع العولمة، ولا يُجاري التَّطوُّر في الاقتصاد والعلوم والفنون، ويبقى على هامش الحضارة الإنسانيَّة، ولا يُسهم فيها

بل عن الاستخدام في المجالات الدِّينامِيَّة المتطوِّرة، والمغيَّرة باستمرار مثل العلـــوم والفنون والاقتصاد"[32].

ولعلَّ العجز الحقيقي في تشكيل هويَّة وطنيَّة جزائريَّة موحَّدة اللُّغة، يرجع بصفةٍ رئيسيَّة إلى عدم الإتِّفاق الجماعي على تحديد أيِّ اللُّغات أكثر تماشيًا مع هذا الزخم اللُّغوي المكتسب، والتقوقع في الإصرار على الأنا اللُّغويَّة الخاصَّة فـــي الاتصـــال والتعامل لتصل حدَّ النَّرجسيَّة في بعـــض الأحيـــان، فبـــين العربيـــة والعـــروبيين والبربرية والبربريين تمزَّقت الذات اللُّغويَّة الجزائريَّة ونُعتت بأبشع الصـــفات فـــي مواقفٍ كثيرة أبرزها صفة البربرية الهمجيَّة[33].

3-3- المدرسة الجزائرية ودورها في تثبيت المواطنة اللُّغويَّة والهويَّة:

هناك رهانٌ لغوي إذا استطاعت المدرسة الجزائريَّة استيعابه فســوف تحصـــل على انطلاقة ثقافيَّة وعلميَّة نوعيَّة، والتَّوفيق بين اللُّغة الرَّســميَّة(اللُّغـــة العربيَّـــة) واللُّغة الوطنيَّة(اللُّغة الأمازيغيَّة) في إطار أن تأخذ كلَّ واحدةٍ حقَّها، وفـــي إطـــار التَّكامل المعرفي والثَّقافي، ولذا يجب رفع الأمازيغيَّة من مجال التنظيمات السِّياسيَّة والمدنيَّة من خلال جعلها ملكا لكلِّ الجزائريين، وليست حكرًا على النَّـــاطقين بهـــا فحسب، أو على بعض الجهات المتواجدة بها، فهي لغة ســـاكنة الجزائـــر عامَّـــة والأحقُّ بنا في هذا المقام العمل على مسح مرجعيَّة التَّاريخ الأسطوري للأمـــازيغ وهو تاريخ يجعل الأمازيغ أرقى من غيرهم في الجزائر، تاريخٌ يضع الحدود بـــين عرقٍ واحد[34].

وعليه فإنَّ ترسيخ اللُّغات الوطنيَّة بأساليبٍ تحفيزيَّة تتساوق مع طرائق التَّعليم اللُّغوي المعاصر، وفتح مجال الإبداع فيما يتماشى مع المنجزات العلميَّة والـــدَّعوة إلى استيعابها بوصفها لغة إدارة وتعليم لا ينبغي أن تتناقض مـــع تعلـــيم اللُّغـــات الأجنبيَّة الأخرى، إذ إنَّ الرُّكون إلى خطاب المنع والإكراه لا يستقيم مـــع الـــرُّوح العامَّة للنَّاشئة في ظلِّ الثورة الكبيرة الحاصلة في وسائل الإعلام، والتي لا تعترف بالحدود الجغرافيَّة والسياسيَّة للدُّول، وبالتَّالي فإنَّه يجب تجاوز" الهويَّة المفروضـــة" إلى" الهويَّة المحتملة" أو الهويَّة المطمئنة أو المتفتِّحة بالمعنى الذي يتمُّ فيـــه درء

لغة الالتزام والقسر الهويَّاتي لصالح أساليب جديدة ومُحبَّبة تأخذ بعين الاعتبار إغراءات الهويَّات واللُّغات الأخرى، خصوصًا وأنَّ المهتمِّين بالتَّخطيط اللُّغوي، قد فصلوا في الوسائل والمرتكزات المؤدِّية للتَّرشيد اللُّغوي بغرض الحفاظ على الشَّخصيَّة اللُّغويَّة وفق نظرتين أساسيتين: أدائيَّة وتكوينيَّة، حيث ترتكز الأدائيَّة على وظيفة اللُّغة التَّواصليَّة بوصفها مجموعة من الكلمات التي تستعمل بوصفها أدوات تعبيريَّة تسمَّى من خلالها الأشياء والأفكار. في حين تُحيل التَّكوينيَّة إلى علاقة مستخدم اللُّغة بمضامينها في إطار التَّعبير عن الكينونة والوُجود بالشكل المؤدِّي إلى إحداث المُماهاة بين اللُّغة والهويَّة[35].

وبناءً عليه فإنَّ أيَّ معالجة ناجحة للمسألة اللُّغويَّة في الجزائر تقتضي تطبيق ما يسمَّى بـ" مفهوم التَّعدُّديَّة المدمجة"؛ أي الاندماج المؤسَّساتي الحامي لممارسة الحقوق اللُّغويَّة والثَّقافيَّة للمجتمع، ولا تكون فيها لغة من اللُّغات محل تفاضل ويكون ذلك بالتَّنازل اللُّغوي لصالح اللُّغة الرَّسميَّة واللُّغة الوطنيَّة، والتقريب بين مستويات الاستعمال اللُّغوي؛ ذلك أنَّ" الفرق بين المجتمع المتكامل السليم والمجتمع المتنافر المريض هو في تقارب المستويات اللُّغويَة في الأوَّل وتباعدها في الآخر فتقارب مستويات التَّعبير دليلٌ على تجانس المجتمع وتوازن طبقاته وحيويَّة ثقافته"[36].

ومن هنا شهدنا المعادلة البسيطة والتَّكامل بين العربية والأمازيغيَّة في التَّعدُّديَّة والوحدة، أي في التفاعل الإيجابي بينهما مع أنَّ لكلٍّ منها حقل خاص وهذا قبل الاستدمار الفرنسي الذي أحلَّ محلَّ اللُّغتين لغته، وبقي ذلك الأمر في بعض أبعاده إلى الآن، ولكن ما يُلفت الانتباه حقيقةً في المسألة اللُّغويَّة الجزائريَّة أنَّ هناك تهميش لغوي ظاهر للعيان للُّغة العربية واللُّغة الأمازيغيَّة، على الرُّغم من أنَّ المواطنة والوطنيَّة يقتضيان الاهتمام بهاتين اللُّغتين معًا، ولا ينبغي أن تنافسهما في ذلك أيَّ لغة أجنيَّة أخرى كما هو حاصل بالنسبة للُّغة الفرنسيَّة، ومثل هذا الضيم والغبن له خلفياته التَّاريخيَّة.

ولكي يتحقَّق ما نصبو إليه فإنَّه ينبغي أن يسود بين أفراد المجتمع الجزائري حوارٌ ثقافيٌ صحيح، حوارٌ يدعِّم مسيرة البلاد في مواجهة الكثير من التَّحديات وعلى رأسها تحدِّي العولمة في شقِّها الاقتصادي والثقافي والإعلامي، وبقدر ما يحصل الحوار ستترسم المعالم الهويَّاتيَّة وتتقوى وتضاف إليها الأشياء الجديَّة، وإنَّ هذه المعالم في وسطنا العام ترسَّخت عبر بوابة التَّاريخ الإسلامي العربي الأمازيغي، وعبر علمائنا الذين عمَّقوا مفاهيم الهويَّة، وأضافُوا لها أشياء، حتى أصبح من الصعب الحديث عن ثقافة أمازيغيَّة خاصة، أو ثقافة عربية تتماز عن الأمازيغيَّة، فقد تداخلت العناصر والمكوِّنات المختلفة، وتمازجت تكاملت فيما بينها[37].

صفوة القول ومحصول الكلام: تعد المواطنة إطارًا يستوعب الجميع دون استثناء، وعن طريقها يُحافظ على حقوق الأقليات والأكثريات على حد سواء، ولا تعني المواطنة بتاتًا تجاهل حقائق التَّركيبة الثقافيَّة، والاجتماعيَّة والسياسيَّة للأفراد والجماعات في الوطن، وبمعنى آخر تقوم المواطنة على التَّوافق المجتمعي، ومن خلال المواطنة اللُّغويَّة يُمكن للفرد الجزائري أن يعتزَّ بمكوِّنات الهويَّة الوطنيَّة الجزائريَّة، ويقدِّرها ويحترم رموزها، وكذلك ينمِّي قيمه الخلقيَّة والدِّينيَّة والمدنيَّة المستمدَّة من مكوِّنات الهويَّة ويُحافظ على الرُموز الوطنيَّة على اختلافها. كما تعمل المواطنة اللُّغويَّة على ترسيخ ثقافة التَّعايش السلمي بين اللُّغات الوطنية في الجزائر.

الهوامش والإحالات:

[1]– ينظر: رشيد بلحبيب، التَّعدُّد اللُّغوي وسؤال الهويَّة، بحث مقدَّم لمؤتمر الهويَّة واللُّغة في الوطن العربي، نظَّمه المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، بيروت، لبنان، 2012م، ص15. هذا ومن المؤكّد أن يكون سؤال الهويات من الأسئلة الأكثر إثارة، وإلحاحًا حالاً ومُستقبَلاً. فالعولمة وطمس المسافات واختفاء الحُدود وتحركات الشعوب، وتلاحمها، وتحكم مؤسسَّات المجتمع المدني وظهور الأقلِّيات، وصحوتِها، وتقوية المبادرات التِّجاريَّة والتِّقنيَّة، وتطوُّر المؤسسَّات والشركات العابرة للقارات[...] كل ذلك أخرج الأفراد والمجتمعات إلى الواجهة، وجعلهم عُرضةً لرياح التَّغيير في خِضمِّ هذا الزلزال برزت المخاطر الكبرى التي تستهدف الهويَّات، ويفرض فيها الأقوياء على الضعفاء طرق تفكيرهم، وتصرفاتِهم، ونمط حياتهم، وإحساسهم ولغتهم، وغير ذلك من الأمور؛ بغية الانتفاع من عائدات هذه الفوضى العالميَّة المدمِّرة للخصوصيات الثَّقافيَّة والهواتية. ينظر: حسن بيشو، حاجة العلوم الإسلاميَّة إلى اللُّغة العربية، دراسة تأصيليَّة تطبيقيَّة، إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميَّة ط1، قطر، 1434هـ/2013م، ص66.

[2]– ينظر: عبد السلام المسدِّي، التخطيط اللُّغوي والأمن اللُّغوي، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللُّغة العربية،ط1، الرِّياض، المملكة العربية السعودية، 1436هـ/2015م ص17–18.

[3]– إلياس بلكا ومحمد خزار، إشكالية الهويَّة والتَّعدُّد اللُّغوي في المغرب العربي، المغرب نموذجًا مركز الإمارات للدِّراسات والبحوث الاستراتيجيَّة، ط1، أبو ظبي، الإمارات العربية المتَّحدة، 2014م ص23.

[4]– يقصد بالهويَّة:" الكيفيَّة التي يعرف النَّاس بها ذواتهم أو أمَّتهم، وتتَّخذ اللُّغة والعرف والثقافة والدِّين أشكالاً لها، فهي تتأتَّى بطبعها عن الأحادية والصَّفاء، وتنحو منحًى تعدُّديًّا تكامليًّا إذا أُحسِن تدبيرُها ومنحًى صداميًّا إذا أُهملت وأُسيء فهمها، تستطيع أن تكون عامل توحيد وتنمية، كما يُمكن أن تتحوَّل إلى عامل تفكيك وتمزيق للنَّسيج الاجتماعي الذي تؤسِّسه عادةً اللُّغة الواحدة". ينظر: رشيد بلحبيب الهويَّات اللُّغويَّة في المغرب من التَّعايُش إلى التَّصادم، ضمن كتاب: اللُّغة والهويَّة في الوطن العربي إشكاليات تاريخيَّة وثقافيَّة وسياسيَّة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، بيروت، لبنان يناير2013م، ص247.

[5]– عبد السلام المسدِّي، الهويَّة العربية والأمن اللُّغوي، دراسة وتوثيق، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، بيروت، لبنان، يوليو2014م، ص229–230.

[6]– ينظر: هاني إسماعيل محمد، نحو سياسة لغويَّة في تعليم اللُّغة العربية للنَّاطقين بغيرها، ضمن مؤلَّف: السياسات اللُّغويَّة في العالم العربي: الرُّؤى والبدائل، تنسيق: زكريا السرتي ومحمَّد الغازي

مختبر القيم والمجتمع والتنمية بشراكة مع شبكة ضياء والدِّراسات، (د، ط)، الرِّبـــاط، المغـــرب،(د ت)، ص222.

(7)– ينظر: بلال دربال، السياسة اللُّغويَّة، المفهوم، والآليَّة، مجلة مخبر في اللُّغـــة والأدب الجزائـــري جامعة بسكرة، الجزائر، ع10، 2014م، ص 328 وما بعدها.

(8)– يقصد بالوضع اللُّغوي:" الصورة الحقيقيَّة للاستخدام اللُّغوي في زمان ومكـــان محـــدَّدين، ومـــن المتحدثين بكلِّ واحدة منها، ومجالات تداولها وانتشارها، وتوزيعها الجغرافي، والتِّجاهـــات الشـــعوريَّة والمعتقدات المتكوِّنة لدى متحدِّثي هذه اللُّغات". ينظر: رشيد بلحبيب، الهويَّات اللُّغويَّة في المغرب مـــن التَّعايُش إلى التَّصادم، ص255.

(9)– يُعرِّف معجم "اللِّسانيات والصَّوتيات" التَّعدُّديَّة اللُّغويَّة بأنَّها:" مصطلح يُســـتخدم فـــي علـــم اللُّغـــة الاجتماعي للإشارة إلى المجتمع اللُّغوي الذي يستخدم لغتين أو أكثر، كما يشير إلى الشَّخص الذي يكون لديه هذه القدرة، وهو بهذا يُقابِل مصطلح أُحادي اللُّغة، وبهذا المعنى فإنَّه يندرج تحته مصطلح الثنائيَّـــة اللُّغويَّـــة". ينظـــر: David Crystal, Adictionary of Linguistices and phonetices Blakwell, Gthed,2008, p318.

ويبدو أنَّ التَّعدُّد اللُّغوي لم يعد يشكِّل أيَّ خطر أو تهديد على اللُّغات؛ ذلك أنَّ النَّظرة القوميَّـــة المنغلقـــة على نفسها قد تغيَّرت بحيث صار التَّعدُّد اللُّغوي يسهم بشكل كبير في التَّنمية البشريَّة خاصة، ولم يعـــد مفهوم التَّنمية الاقتصادية يأخذ في عين الإعتبار نمو الإنتاج في البلدان، وزيادة الدخل القومي. ويُعـــرِّف الدكتور" عبد الرحمن الحاج صالح" "الثنائيَّة اللُّغويَّة" التي تندرج تحت مصطلح "التَّعدُّد اللُّغوي" بأنَّهـــا:" اصطلاح حديث العهد، يُطلق على ظاهرة لغوية اجتماعيَّة، وهي استعمال لغتين: اللُّغة الأصليَّة، ولغـــة ثانية[...] ولهذه الظاهرة ارتباط وثيق بهوية الفئات من الناس الذين يوصفون بذلك، وبتاريخ الدولة التي ينتمون إليها وعلاقاتها بغيرها من الدول الاستعمارية، وقد تكاثر في عصرنا الذين يلجؤون إلى استعمال لغة أخرى غير لغتهم الأصلية في الكثير من حاجاتهم". ينظر: عبد الرحمن الحـــاج صـــالح، الثنائيـــة اللغوية بالنسبة للغة العربية وأوصافها الحقيقية: الإيجابية منها والسلبية، مجلة المجمع الجزائـــري للغـــة العربية، ع15، الجزائر، 2012م، ص9.

(10)– ميشال زكريا، قضايا لسانية تطبيقيَّة، دار العلـــم للملايـــين،(د، ط)، بيـــروت، لبنـــان،(د، ت) ص16.

(11)– عبد القادر الفاسي الفهري، السياسة اللُّغويَّة والتَّخطيط، مسار ونماذج، مركز الملك عبـــد الله بـــن عبـــد العزيـــز الـــدَّولي لخدمـــة اللُّغـــة العربيـــة، ط1، الرِّيـــاض، المملكـــة العربيـــة الســـعودية 1435هـــ/2014م، ص12.

(12)– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[13]– عبد السلام المسدِّي، التخطيط اللُّغوي والأمن اللُّغوي، ص25–26.

[14]– ينظر: عبد القادر الفاسي الفهري، الديمقراطية اللُّغويَّة المأمولة في المغرب، هسبيرس، (د، ط) 2011م، ص2. وينظر: رشيد بلحبيب، الهويَّات اللُّغويَّة في المغرب من التَّعايُش إلى التَّصادم ص254.

[15]– عبد الرزاق عيد، الثقافة الوطنية، الحداثة وإشكاليات الهوية، سلسلة دراسات فكرية، دار الصداقة،(د، ط)، حلب، سوريا، 1996م، ص17.

[16]– نادية عيشور، سلوك المواطنة في المجتمع الجزائري بين آليات التنشئة الثقافية وقواعد اللُّغة السياسية، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، دورية علمية محكمة، كلية الآداب، جامعة سطيف الجزائر، ع6 ،2007م، ص193.

[17]– عبد الرزاق عيد، الثقافة الوطنية، الحداثة وإشكاليات الهوية، ص21.

[18]– ينظر: ثائر رحيم كاظم، العولمة والمواطنة والهويَّة، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التَّربويَّة العراق ع1، مج8، 2009م، ص266.

[19]– صالح بلعيد، في المواطنة اللُّغويَّة وأشياء أخري، دار هومة للنشر والتوزيع، (د، ط)، الجزائر 2008م، ص19.

[20]– محمد الصافوط، المواطنة والوطنية، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء، المغرب 2007م، ص71.

[21]– ينظر: صالح بلعيد، المواطنة وأخواتها، مجلة الممارسات اللُّغويَّة، تيزي وزو، الجزائر، ع9 ص189.

[22]– يقصد بالازدواجية اللُّغويَّة:" حالة لسانية مستقرَّة نسبيًّا يتواجد فيها مستويان للكلام من نفس اللُّغة (كالعاميَّة والفصحى) أو من لغتين مختلفتين(كالعربية والفرنسية) وهذان المستويان يستخدمان بطريقة متكاملة واحدة ماله موقع اجتماعي ثقافي مرموق نسبيًا على الآخر عند المجموعة اللُّغوية الناطقة بهذه اللُّغة، وتعتبر مشكلة الازدواجية في اللغة العربية من أهم المشكلات اللغوية التي تُواجه الوطن العربي وبخاصة من النواحي الاجتماعية والنفسية والتَّربويَّة، ولطبيعة هذا الموضوع الحسَّاس من النَّاحيتين القوميَّة والسياسية من جهة والدِّينيَّة من جهة أُخرى، فإنَّه لم يلق عناية موضوعيَّة كافية، أو بحثًا مستفيضًا في ضوء الدِّراسات اللُّغويَّة المعاصرة، خاصَة التَّطوُّريَّة والمقارنة منها". ينظر: زيد المال نصيرة، اللغة العربية وتحديات الازدواجية اللُّغويَّة، الواقع والحلول، ضمن أعمال الملتقى الوطني: اللغة العربية والترجمة، المكتبة الوطنية الجزائرية، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، 24–25 ديسمبر 2017م، ص446–447.

[23]– ينظر: صالح بلعيد، المواطنة وأخواتها، ص184.

[24]– ينظر: عز الدِّين المناصرة، الهويَّات والتَّعدُّديَّة اللُّغويَّة، قراءة في ضوء النقد الثقافي المقارن، دار الصايل للنشر والتوزيع،(د، ط)، عمان، الأردن، 2013م، ص260.

[25]– علي غربي، الثقافة الوطنية وتحديات العولمة، في العولمة والهوية الثقافية، مخبر علم إجتماع الإتصال للبحث والترجمة، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2010م، ص25.

[26]– يقصد باللُّغة الوطنيَّة:" اللُّغة التي تعتبر اللُّغة الرَّئيسيَّة للدولة، كما تعني إحدى اللَّهجات الوطنية لجماعة من البشر كبيرة أو صغيرة تعيش داخل الدولة أو المجتمع اللُّغوي، ولا يشترط لهذه اللُّغة أن تكون لغة أغلبية السكان، وإنَّما يشترط أن تنال اعتراف الدولة بها وتأييد الحكومة لها". حنا سامي عياد وآخرون معجم اللِّسانيات الحديثة، إنجليزي– عربي، مكتبة لبنان،(د، ط)، بيروت، لبنان، 1997م، ص92.

[27]– ينظر: صالح بلعيد، المواطنة وأخواتها، ص198.

[28]– بشير خليفي، التَّعدُّد اللُّغوي والوعي الحضاري بين الرغبة في المعرفة وهاجس الاستيلاب، مجلة العلوم الاجتماعية، ع24، سطيف،2017م، ص71.

[29]– ينظر: صالح بلعيد، المواطنة وأخواتها، ص197.

[30]– ذلك أنَّ اللُّغة الوطنية تعتبر أهم مكوِّن من مكوِّنات الأمَّة كونها:" عامل أساسي في بناء الأوطان وفي توحيد الأفراد وفي التزام المجموعات بالوطن، تقوِّي الشعور بالانتماء إلى الوكن، وتنمِّي الحاجة إلى التَّعاون بين المواطنين، وتربط الفرد بجدوده وبتراثه وبتقاليده، وتساعده في تطوير النِّظام التعليمي بحيث تتاح للجميع فرص التَّعلم". ميشال زكريا، قضايا لسانية تطبيقيَّة، ص14.

[31]– ينظر: صالح بلعيد، اللُّغة الأم والواقع اللُّغوي في الجزائر، مجلة اللُّغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2003م، ص140.

[32]–عزمي بشارة، تحويل الصراع على اللُّغة إلى صراع إلى الهويَّة، لندن، جريدة الحياة اللُّندنيَّة ع16162، تموز2007م، ص5.

[33]– ينظر: نورة قنيفة، الإشكال الهويَّاتي اللُّغوي الجزائري، أو إشكاليَّة أزمة الإنتماء، مجلَّة الآداب والعلوم الاجتماعيَّة، جامعة سطيف2، ع16، 2012م، ص282.

[34]– ينظر: صالح بلعيد، المواطنة وأخواتها، ص198–199.

[35]– بشير خليفي، التَّعدُّد اللُّغوي والوعي الحضاري بين الرغبة في المعرفة وهاجس الاستيلاب ص71.

[36]– كمال بشر، اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم، دار غريب،(د، ط)، القاهرة، مصر 1999م ص128.

[37]– ينظر: صالح بلعيد، في المواطنة اللُّغويَّة وأشياء أخري، ص64–65. وينظر: المواطنة وأخواتها، ص198–199.

مبادئ المُواطَنة اللّغويّة في الدستور الجزائري

د/عمر بن عيشوش أستاذ بحث قسم ب

مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة –الأغواط-(crsic)

ملخص المداخلة باللغة العربية: الدستور هو أعلى وثيقة في الهرم القانوني تعتمدها الدول كإطار لكل القوانين والتشريعات التي تسنها من أجل حماية الحقوق والحريات الفردية والجماعية والمصالح العليا للبلاد، ومن ملامح وحدة الشعب الجزائري المواطنة اللغوية؛ باعتبار اللغة هويةً وتراثاً وتاريخاً وبُعداً حضارياً بالإضافة إلى أنّ وظيفتها في المنظومة الاجتماعية بحيث تعمل على توفير كافة الأدوات والوسائل التي تكفل الوعي الاجتماعي إلى منظومة مفاهيم قيمة؛ تخدم تنمية النشاط وتطوّره بصورة تضمن تأثيره على تواصلية العلاقة مع الأشياء لأداء وظيفة الأمن الثقافي اللغوي؛ لذا سأسلط الضوء في هذه الورقة البحثية على مبادئ المُواطَنة اللّغويّة في الدستور الجزائري.

الكمات الدالة: مبادئ / المُواطَنة / اللّغويّة/ الدستور/ الجزائري

Summary in English: The Constitution is the highest document in the legal pyramid, adopted by States as a framework for all laws and legislations enacted to protect individual and collective rights and freedoms and the supreme interests of the country. The features of the unity of the Algerian people are linguistic citizenship; the language is an identity, a heritage, a history and an urban dimension. Is to work to provide all the tools and means to ensure social awareness to the system of valuable concepts; serves the development and development of activity in a way that ensures its impact on the continuity of the relationship with things to perform the function of cultural linguistic

security; I will highlight this Paper Seatahan principles of linguistic citizenship in the Algerian Constitution.

Keywords: principles / citizenship / linguistic / constitution / Algerian.

– **أهمية الموضوع:** تنبع أهمية الورقة البحثية من كونها تناولت موضوعا من الأهمية بمكان؛ لكونه يحظى باهتمام متزايد من قبل الباحثين في اللغة العربية وعلم الاجتماع والقانونعلى المستوى الوطني.

– منهج الدراسة:أتبع المنهج الوصفي، وذلك من خلال تجميع المادة العلمية والبيانات المتعلقة بـ:مبادئ المُواطَنة اللّغويّة في الدستور الجزائري؛ من مصادرها المختلفة، ثم أقوم بحليلها التحليل المناسب واستخلاص النتائج منها.

–**الإشكالية المطروحة:**أن الإشكالية الرئيسية: كيف تعامل المؤسس الدستوري الجزائري مع مبادئ المُواطَنة اللّغويّة ؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية أتبع الخطة التالية:

مقدمة

المطلب الأول: مفهوم الدستور

المطلب الثاني:اللغة العربية هي اللغة الرسمية

المطلب الثالث: اللغة الأمازيغية لغة وطنية ورسمية

خاتمة:أضمنها أهم النتائج والتوصيات

نص المداخلة كاملا:

المطلب الأول: مفهوم الدستور:توجهت كل دول العالم لدسترة أنظمة الحكم فيها وكان الغرض من ذلك إثبات سيادتها الداخلية واستقلا ليتها وذلك بواسطة تنظيم الحياة السياسية بوضع دستور يبين السلطات وعلاقاتها في الدولة وعلاقاتها بالمحكومين والدول الأخرى، وفي هذا السياق بقول الفقيه الدستوري جلنيك:"...الدولة لا ترقى إلى الحياة القانونية إلا من اللحظة التي يصبح لها دستور"[1]. ومن خلال هذا المطلب نتطرق إلى: تعريف الدستور، أنواع الدساتير كرونولوجيا الدساتير الجزائرية.

أولاً: تعريف الدستور:

لغةً:الدستور كلمة الدستور ليست عربية الأصل ولم تذكر القواميس العربية القديمة هذه الكلمة ولهذا فإن البعض يرجح أنها كلمة فارسية الأصل تعني الدفتر الذي يكتب فيه أسماء الجند، والذي تجمع فيه قوانين الملك، وتطلق أيضا على الوزير، وهي مركبة من كلمتين: "دست" بمعنى قاعدة، وكلمة "ور" فيصبح المعنى الكامل " صاحب القاعدة "، وانتقلت إلى اللغة العربية من اللغة التركية، بمعنى " قانون " ثم تطور استعمالها حتى أصبحت تطلق على القانون الأساسي في الدولة(Constitution)[2].

اصطلاحاً:هناك عدة تعريفات للدستور، وفيما يلي استعراض لأهمها:

-" الوثيقة القانونية التي تصدر عن هيئة معينة طبقاً لإجراءات خاصة تتضمن القواعد المتعلقة بنظام الحكم في دولة معينة في وقت معين"[3].

-" مجموع القواعد المكتوبة أو العرفية المتعلقة بممارسة السلطة السياسية في مجتمع معين، وتضاف إلى هذه القواعد عادة الحقوق والحريات المضمونة للأفراد "[4].

-"هومجموعة القواعد القانونية مكتوبة أوعرفية تنظم النظام السياسي في الدولة وتحدد شكلها وشكل الحكم فيها وشكل النظام السياسي كما تحدد توزيع الاختصاصات بين السلط وطرق الوصول إلى الحكم"[5].

-"مجموع القواعد المتعلقة بتنظيم السلط العمومية وبالحريات الأساسية"[6].

من خلال جملة التعريفات السابقة يمكن القول أن الدستور هو:أعلى وثيقة قانونية في الدولة تتضمن أهم المبادئ والأسس والقواعد سواء أكانت مكتوبة أو غير مكتوبة والتي من شأنها تنظيم الحكم والفصل بين السلطات، وضمان الحقوق والحريات لمواطني الدولة.

ثانياً: أنواع الدساتير: تقسمالدساتير لاعتبارين أساسين هما: كونهامدونة أوغيرمدونة، وطريقة واجراءات تعديلها.

1-باعتبار تدوينها أوعدم تدوينها: تقسم الدساتير بهذا الأساس إلى: دساتيرمدونةوغيرمدونة[7]:

أ-الدساتيرالمدونة : يعتبرالدستورمدونا اومكتوبا إذا كانت غالبية قواعده مكتوبة في وثيقة أوعدة وثائق رسمية، ولا يقصد بالتدوين مجرد تسجيل للقواعد الدستورية في وثيقة مكتوبة بل تسجيلها في وثيقة رسمية صدرت من المشرع الدستوري أي من السلطة المختصة بسنها وباتباع اجراءات معينة

ب-الدساتيرغيرالمدونة : وهي عبارة ع قواعد عرفية استمر العمل بها لسنوات طويلة حتى أصبحت بمثابة القانون الملزم وتسمى أحيانا الدساتيرالعرفية، نظرا لأن العرف يعتبرالمصدرالرئيسي لقواعدها، ويعتبر الدستور الإنجليزي مثالا لأبرز الدساتيرغيرالمدونة لأنه يأخذغالبية أحكامه من العرف، وبعضهامن القضاء، وان وجدت بعض الأحكام الدستوريةالمكتوبة مثل قانون سنة 1958 الذي سمح للنساء بأن يكن عضوات في مجلس اللوردات.

2-**باعتبارها طريقة واجراءات تعديلها:** تقسم الدساتير بهذا الأساس إلى:دساتير مرنة و دساتيرجامدة[8]:

أ- **الدساتيرالمرنة** : هي التي يمكن تعديلها بنفس الإجراءات التي يتم بها تعديل القوانين العادية أي بواسطة السلطة التشريعية وأبرز مثال لهاهوالدستورالإنجليزي.

2-**الدساتيرالجامدة** : هي التي يستلزم تعديلها إجراءات أشد من تلك التي تم بها تعديل القوانين العادية، ومثال ذلك دستورأستراليا الفيدرالي, الذى يتطلب موافقة

أغلبية مواطني أغلبية الولايات, بالإضافة إلى أغلبيـــة الأصـــوات علـــى المســـتوى الفيدرالي.

ومرونة الدستورأوجموده هي مسالة لاتتعلق بطريقة وضع الدستور ولا بأحكـــام الدستورالموضوعية وانما تتعلق أساسا بطريقة تعديل الدستور، الدساتير الجامدة هـــي التي يقتضي تعديلها إجراءات وأشكالا أشد وأقسي مما يتطلبه تعديل القوانين العادية.

ثالثاً: كرونولوجيا الدساتير الجزائرية:الجزائر عبر تاريخها الحديث عرفت عـــدة تجارب دستورية–سبعة دساتير إلى غاية يومنا هذا– كل دستور أو تعديل دســـتوري جاء لمواكبة مرحلة معينة وظروف سياسية واقتصادية واجتماعية معينة؛ وفيما يلي بيان لتاريخ صدور الدساتير الجزائرية.

جدول توضيحي لتاريخ صدور الدساتير الجزائرية[9]:

الرقم	الدستور	تاريخ صدروه في الجريرة الرسمية	عدد الجريدة الرسمية
01	1963	1963/9/8	عدد 64
02	1976	1976/11/24	عدد94
03	1989	1989/03/1	عدد09
04	1996	1996/12/88	عدد**76**
05	2002	2002/04/14	عدد25
06	2008	2008/11/16	عدد63
07	2016	2016/03/07	عدد14

من خلال الجدول السابق نلاحظ كثرة التعديلات الدستورية، فنجد مثلا في فتـــرة رئيس الجمهورية المنتهية ولايته عبد العزيز بوتفليقة مـــن ســـنة1999إلـــى غايـــة 2019، وخلال فترة: (2002إلى 2016) ما يقارب 14 أربع عشرة سنة قام بثلاث تعديلات دستورية، وهذا ما جعل فقهاء القانون الدستوري في حيرة من أمـــرهم فـــي مسألة تصنيف الدستور الجزائري باعتباره دستور جامد أو مرن.

المطلب الثاني: اللغة العربية هي اللغــة الرســمية(المبدأ الأول):أقــرت جميــع الدساتير الجزائرية اللغة العربية لغة رســمية فــي الجزائــر، وكــرس المؤســس الدستوري الحماية القانونية للغة العربية باعتبارها من المكونات الأساسية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية ضمن "المبادئ العامة التي تحكم المجتمع الجزائــري" وفيما يلي استعراض للمواد التي أقرتها:

-دستور1963: "اللغة العربية هي اللغة القومية والرسمية للدولة "[10].

-دستور1976: "اللغة العربية هي اللغة الوطنيةالوطنيةو الرسمية.

تعمل الدولة على تعميم استعمال اللغة الوطنية في المجال الرسمي"[11].

- دستور1989:" اللغة العربية هي اللغة الوطنية والرسمية"[12].

-دستور1996:" اللغة العربية هي اللغة الوطنية والرسمية "[3]

-دستور2016: " اللغة العربية هي اللغة الوطنية والرسمية

تظل العربية اللغة الرسمية للدولة

يحدث لدى رئيس الجمهورية مجلس أعلى للغة العربية.

يكلف المجلس الأعلى للغة العربية على الخصوص بالعمل على ازدهــار اللغــة العربية وتعميم استعمالها في الميادين العلمية والتكنولوجية والتشجيع علــى الترجمــة إليها لهذه الغاية "[13].

من خلال جملة النصوص القانونية السابقة يتبين أن المؤسس الدســتوري يــولي اهتمام كبير باللغة العربية ؛ لكون اللغة العربيّة مقــوّم مــن مقوّمــات الشخصــيّة الوطنيّة، كما نص المشرع الجزائري:"اللغة العربية مقوم من مقومــات الشخصــية الوطنية الراسخة، وثابت من ثوابت الأمة يجسد العمل بهــا مظهــرا مــن مظــاهر السيادة، واستعمالها من النظام العام"[14].

"يجب على كل المؤسسات أن تعمل لترقية اللغة العربية، وحمايتها والســهر علــى سلامتها وحسن استعمالها.

تمنع كتابة اللغة العربية بغير حروفها"[15].

وأقر المشرع الجزائري إنشاء المجلس الأعلى للغة العربية الذي يعد: هيئة وطنية استشارية تابعة لرئاسة الجمهورية، تتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي[16].

للمجلس الأعلى للغة العربية جملة من الصلاحيات والمهام أبرزها[17]:

-يتابع تطبيق أحكام القانون91-05المعدل والمتمم المتعلق بـ: تعميم استعمال اللغة العربية وحمايتها وترقيتها وتطويرها.

-يقدم آراء واقتراحات فيما يخص التدابير التشريعية والتنظيمية التي تدخل ضمن صلاحياته.

-ينسق بين مختلف الهيئات المشرفة على عملية تعميم استعمال اللغة العربية وترقيتها وتطويرها.

-يقيم أعمال الهيئات المكلفةبتعميم استعمال اللغة العربية وحمايتها وترقيتها وتطويرها.

-ينظر في ملاءمة الآجال المتعلقة ببعض التخصصات في التعليم العالي.

- يسهم في إعداد واقتراح العناصر العملية التي تشكل قاعدة وضع برامج وطنية في إطار السياسة العامة لبرامج تعميم اللغة العربية.

-يدعم التنفيذ الفعلي للبرامج الوطنية أو البرامج القطاعية المتعلقة بتعميم استعمال اللغة العربية.

-يرقي استعمال اللغة العربية ويحميها في الإدارات والمرافق العمومية ويحرص على سلامتها.

-يبدي المجلس ملاحظاته إذا لاحظ تأخر في تطبيق البرامج المحددة.

-يقدم تقريرا سنويا لرئيس الجمهورية حول عملية تعميم استعمال اللغة العربية.

المطلب الثالث: اللغة الأمازيغية لغة وطنية(المبدأ الثاني):أقر المؤسس الدستوري اللغة الأمازيغية لغة وطنية في التعديل الدستوري لسنة 2002، حيث نصت المادة الأولى منه على أنه:" المادة الأولى: تضاف مادة 3مكرر، تصاغ كما يأتي:

المادة03مكرر: تمازيغت هي كذلك لغة وطنية.

تعمل الدولة لترقيتها وتطويرها بكل تنوعاتها اللسانية المستعملة عبر التراب الوطني"[18].

ثم قام المؤسس الدستوري بترقية اللغة الأمازيغيةإلى لغة وطنية ورسمية في التعديل الدستوري لسنة 2016، حيث نصت المادة الرابعة منه على أنه:"تمازيغت هي كذلك لغة وطنية ورسمية

تعمل الدولة على ترقيتها وتطويرها بكل تنوعاتها اللسانية المستعملة عبر التراب الوطني.

يحدث مجمع جزائري للغة الأمازيغية يوضع لدى رئيس الجمهورية.

يستند المجمع إلى أشغال الخبراء، ويكلف بتوفير الشروط اللازمة لترقية تمازيغت قصد تجسيد وضعها كلغة رسمية فيما بعد.

تحدد كيفيات تطبيق هذه المادة بموجب قانون عضوي"[19].

من خلال المادتين السابقتين يتبين أن المؤسس الدستوري يولي اهتمام كبير باللغة الأمازيغية، وذلك بدسترة اللغة الأمازيغية كلغة وطنية ورسمية، وأقر إنشاء المجمع الجزائري للغة الأمازيغية كهيئة استشارية تابعة لرئاسة الجمهورية كما هو الحال مع الأعلى للغة العربية، بالإضافة للمفوضيةالساميةللغةالأمازيغية.

وعرف المشرع الجزائري المجمع بقوله: "يعد المجمع الجزائري للغة الأمازيغية المحدث بموجب المادة4من الدستور، هيئة وطنية ذات طابع علمي ويدعى في صلب النص-المجمع-

يتمتع المجمع بالشخصية المعنوية والاستقلالية المالية"[20]

و للمجمع الجزائري للغة الأمازيغية عدة مهام يمكن إجمالها فيما يلي[21]:

-جمع المدونة اللغوية الوطنية للأمازيغية بمختلف تنوعاتها اللسانية على مستوى التراب الوطني.

-إعداد التهيئة اللغوية للأمازيغية على كل المستويات الوصف والتحليل اللغوي.

-إعداد قوائم للمفردات والمعاجم المتخصصة مع تفضيل توافقها.

-القيام بأشغال البحث في اللغة الأمازيغية والمشاركة في إنجاز البرنامج الـــوطني للبحث في مجال اختصاصه.

-ضمان دقة تفسير وترجمة المصطلحات والمفاهيم في الميادين المتخصصة.

-إعداد المعجم المرجعي للغة الامازيغية وإصداره.

-الإسهام في المحافظة على التراب اللامادي للأمازيغية، لاسيما رقمنته.

-تشجيع كل أنواع البحوث والترجمة في اللغة الأمازيغيةقصد الإثـــراء والحفـــاظ على التراث المرتبط بالذاكرة الوطنية.

-إصدار نتائج أعمال المجمع في مجلات ونشريات دورية.

وفي الختام تجدر الإشارة إلى عمل يعد من أجل الأعمال باللغة الأمازيغية : مـــا قام به الشيخ سي حاج محند الطيّب، بحيث ترجم معاني القرآن الكريم إلـــى اللغـــة الأمازيغية، واستغرق هذا العمل الجبار مدة سبعة سنوات انكبّ خلالها على ترجمـــة معاني كتاب الله إلى القبائلية، دون مقابل مادي، ويقول إنّ سعادته تكمن في مساهمته لإيصال معاني القرآن الكريم إلى الّذين لا يعرفون لغة غير اللغة الأمازيغية.

خاتمة: بعون الله وتوفيقه أتممت هذه المداخلة الموسومة بـــ: مبـــادئ المُواطَنـــة اللّغويّة في الدستور الجزائري ؛ وفيما يلي بيان لأهم النتائج والتوصيات التي انتهـــت إليها هذه الدراسة:

أولاً: النتائج:

1-أقرت جميع الدساتير الجزائرية اللغة العربية لغة رسمية في الجزائر، وكرس المؤسس الدستوري الحماية القانونية للغة العربية باعتبارها من المكونات الأساســـية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.

2- أقر المؤسس الدستوري اللغة الأمازيغية لغة وطنية في التعـــديل الدســـتوري لسنة 2002.

3- قام المؤسس الدستوري بترقية اللغة الأمازيغية إلى لغة وطنية ورسمية في التعديل الدستوري لسنة 2016.

4-تم إنشاء المجلس الأعلى للغة العربية والمجمع الجزائـري للغـة الأمازيغيـة كهيئتين استشاريتين لدي رئاسة الجمهورية، يعملان على ترقيـة اللغتـين العربيـة والأمازيغية في شتى المجالات.

5-تمسك أفراد المجتمع الجزائري بمبادئ المُواطَنة اللّغويّة جعلة لحمـة واحـدة رغم عدة محاولات لزعزعته وزرع الخلاف والشقاق بين العرب والأمازيغ.

6--يعتبر تضامن وتلاحم أفراد المجتمع الجزائري عبر ربوع الـوطن وبشـتى اللغات واللهجات؛ قوة دافعة على المستوي الداخلي والخارجي لأنه يرفع من درجـة الاعتزاز والفخر لدى الأفراد والشعوب بالهوية الثقافية والحضارية.

7- الثلاثية:الإسلام واللغة العربية واللغة الأمازيغية هو سـر وحـدة المجتمـع الجزائري.

ثانياً: التوصيات:

- العمل أكثر على تقوية مبادئ المُواطَنة اللّغويّة في المجتمع الجزائري، لاسيما في هذه الظروف الاستثنائية التي تمر بها البلاد، من حراك شعبي منـاهض للفسـاد والمطالب برحيل النظام وانتخاب رئيس جمهورية يختاره الشعب بكـل ديمقراطيـة وشفافية والعمل نحو تأسيس جمهورية ثانية.

- غرس مبادئ المواطنة اللغوية لدي الشباب عبر مختلف المنـابر الإعلاميـة ومواقع التواصل الاجتماعي.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: الكتب باللغة العربية:

1-أحمد عطية الله المعجم السياسي، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، الطبعة الثالثة، 1968.

2-حسن مصطفى البحري، القانون الدستوري النظرية العامة، د دن، الطبعة الأولى 2009، دمشق، سوريا.

3-سعد عصفور، القانون الدستوري والنظم السياسية، منشأة المعارف، الاسكندرية مصر، د ت ن .

4- السيد آدي شير، معجم الألفاظ الفارسية المعربة، مكتبة لبنان، 1970.

5-مطيع المختار. القانون العام مفاهيم ومؤسسات، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الأولى، 2007، الرباط، المغرب، ص66.

ثانياً: النصوص القانونية:

6-دستور1963، المؤرخ في:1963/9/8، الصادر بالجريدة الرسمية عدد64.

7- دستور1976، الأمر رقم76-97المؤرخ في 30ذي القعدة 1396هـ الموافق لـ:1976/11/22، الصادر بالجريدة الرسمية بتاريخ: 1976/11/24، عدد94.

8- من دستور1996، المؤرخ في26رجب1417هـ الموافق لـ:1996/12/07 الصادر بموجب مرسوم رئاسي96-438المتضمن التعديل الدستوري الموافق عليه في استفتاء 1996/11//28 بالجريدة الرسمية بتاريخ: 8ديسمبر1996، عدد76.

9- دستور2016، المؤرخ في26جمادى الأولى1437هـ الموافق لـ::2016/03/06، الصادر بموجب القانون16-01المتضمن التعديل الدستوري، الصادر بالجريدة الرسمية بتاريخ:2016/03/07، عدد14.

10-القانون رقم02-03المؤرخ في 27محرم1423هـ الموافق لـ:2002/04/10 المتضمن تعديل الدستور، الصادر بالجريدة الرسمية بتاريخ:2002/04/14، عدد25.

11- القانون رقم91-05، المؤرخ في: 30جمادى الثانية1411هـ الموافق لـ:1991/01/16، يتضمن تعميم استعمال اللغة العربية، المعدل والمتمم، الصادر بالجريدة الرسمية بتاريخ:1991/01/16، عدد03..

12-المرسوم الرئاسي رقم98-226، المؤرخ في: 17ربيع الأول1419هـ الموافق لـ:1998/6/11، المتضمن:صلاحيات المجلس الأعلى للغة العربية وتنظيمه وعمله الصادر بالجريدة الرسمية بتاريخ:1998/06/12، عدد50.

13-القانون العضوي رقم18-17المؤرخ في22ذي الحجة1439هـ الموافق لـ:2018/09/2، يتعلق بالمجمع الجزائري للغة الأمازيغية، الصادر بالجريدة الرسمية بتاريخ:2018/09/05، عدد15.

الكتب والرسائل باللغة الفرنسية:

14-Hubert Gourdon, La Conception du Pouvoir et du Gouvernement chez Duguit,Thèse de Doctorat en Sciences Politiques ,Université Bordeaux,1970.

15-Mokhantar (Joél):Droit Politique et Constitutionnel, Édition ESCA ,Paris,1997.

16 -Bastid (Paul):L'idée de Constitution Economica1985 Série Politique et Constitution, nelle ,Paris,1997.

الهوامش

1 -Hubert Gourdon, La Conception du Pouvoir et du Gouvernement chez Duguit,Thèse de Doctorat en Sciences Politiques ,Université Bordeaux,1970,p119et s.

2- انظر:السيد آدي شير، معجم الألفاظ الفارسية المعربة، مكتبة لبنان، 1970، ص63.وانظر أيضاً:أحمد عطية الله المعجم السياسي، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، الطبعة الثالثة 1968، ص251.

3- حسن مصطفى البحري، القانون الدستوري النظرية العامة، د دن، الطبعة الأولى، 2009 دمشق، سوريا، ص60

4 -Mokhantar (Joél):Droit Politique et Constitutionnel, dition ESCA Paris,1997,p117.

5- مطيع المختار. القانون العام مفاهيم ومؤسسات، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2007، الرباط، المغرب، ص66.

6 -Bastid (Paul):L'idée de Constitution Economica1985 Série Politique et Constitution, nelle ,Paris,1997,p18.

7-انظر:سعد عصفور، القانون الدستوري والنظم السياسية، منشأة المعارف، الاسكندرية، مصر د ت ن، ص74.

8-انظر:سعد عصفور، مرجع سابق، ص74.

9-من إنجاز الباحث، استنادً للنصوص القانونية.

10-المادة 05، من دستور1963، المؤرخ في:1963/9/8، الصادر بالجريدة الرسمية عدد64.

11-المادة 03، من دستور1976، الأمر رقم76-97المؤرخ في 30ذي القعدة 1396هـ الموافق لـ:1976/11/22، الصادر بالجريدة الرسمية بتاريخ: 1976/11/24، عدد94.

12-المادة 03، من دستور1996، المؤرخ في26رجب1417هـ الموافق لـ:1996/12/07، الصادر بموجب مرسوم رئاسي96-438المتضمن التعديل الدستوري الموافق عليه في استفتاء 1996//11/28 بالجريدة الرسمية بتاريخ: 8ديسمبر1996، عدد**76**.

13-المادة 03، من دستور2016، المؤرخ في26جمادى الأولى1437هـ الموافق لـ:2016/03/06، الصادر بموجب القانون16-01المتضمن التعديل الدستوري، الصادر بالجريدة الرسمية بتاريخ:2016/03/07، عدد14.

14 -المادة 02، من القانون رقم91-05، المؤرخ في: 30جمادى الثانية1411هـ الموافق لـ:1991/01/16، يتضمن تعميم استعمال اللغة العربية، المعدل والمتمم، الصادر بالجريدة الرسمية بتاريخ:1991/01/16، عدد03.

15 - انظر المادة03، المرجع نفسه.

16-انظر المادة 02، المرسوم الرئاسي رقم98-226، المؤرخ في: 17ربيع الأول1419هـ الموافق لـ:1998/6/11، المتضمن:صلاحيات المجلس الأعلى للغة العربية وتنظيمه وعمله الصادر بالجريدة الرسمية بتاريخ:1998/06/12، عدد50.

17 - انظر المادة04، المرجع نفسه.

18-المادة 01، القانون رقم02-03المؤرخ في 27محرم1423هـ الموافق لـ:2002/04/10، المتضمن تعديل الدستور، الصادر بالجريدة الرسمية بتاريخ:2002/04/14، عدد25.

19-المادة 04، من دستور2016، مرجع سابق.

20-المادة02، القانون العضوي رقم18-17المؤرخ في22ذي الحجة1439هـ الموافق لـ:2018/09/2، يتعلق بالمجمع الجزائري للغة الأمازيغية، الصادر بالجريدة الرسمية بتاريخ:2018/09/05، عدد15.

21-انظر، المادة06، المرجع نفسه.

فعاليّة المدرسة الجزائريّة

في تنميّة قيم المواطنة اللّغوية لدى المتعلّمين.

أ. إيمان بلحداد

ج. الحاج لخضر- باتنة

ملخص: تهدف هذه الدراسة إلى تقصي دور المدرسة الجزائرية في ترسيخ وتنمية قيم المواطنة اللغوية لدى فئة المتعلمين، انطلاقا من أن المعلّم يشكّل العنصر الفعّال في تغيير سلوك متعلّميه، وذلك من خلال دروس ودورات لنشر الوعي التربوي والحس بهذه القيم، إذ المناهج اليوم بحاجة ماسة لإعادة النظر في موضوعاتها وطريقة أدائها، بإدماج دروس تعبر عن قيمة المواطنة اللغوية في الجزائر في تحقيق التعايش السلمي الوطني، في مختلف المراحل التعليمية، مع التركيز على مرحلة التعليم الابتدائي، بعدّها المرحلة الحساسة والخطيرة التي يؤثر فيها الأستاذ في توجيه التلاميذ بحسب الأهداف المنشودة. ومن ثمة فإن الإشكال الذي تطرحه هذه الورقة البحثية: إلى أيّ مدى تسهم المدارس الجزائرية في تثبيت وتنمية قيم المواطنة اللغوية العربية لدى المتعلمين؟ ويتفرع عن هذا السؤال الرئيسي الأسئلة الفرعية الآتية:

-ما مفهوم قيم المواطنة اللغوية؟

-بين المدرسة والمواطنة أية علاقة؟

- كيف هو الوضع اللغوي في الجزائر؟

-ما واقع المواطنة اللغوية في المدارس الجزائرية؟

-ما تجليات المواطنة اللغوية في المناهج التعليمية في الجزائر؟ وبعبارة أخرى كيف عالجت المنظومة التربوية قضية" المواطنة اللغوية" في الجزائر؟

الكلمات المفتاحية: المدارس الجزائرية – المواطنة اللغوية – قيم المواطنة اللغوية – المتعلم

مقدمة: تسعى المدارس الجزئرية لتربية أبنائها على المبادئ والقيم الأخلاقية وفي ظل الوضع اللغوي في الجزائر أصبحت الحاجة ماسة لتنبيه المتعلمين على دعائم الهوية الوطنية التي تتجلى في: العربية والأمازيغية والإسلام.

وفي خضم الاختلاف في الأصول في الجزائر بين العربي والأمازيغي، الذي تسبب في ظهور فروقات طبقية واضحة بين الشرق والغرب، والشمال والجنوب.لإقناع المتعلمين بقيمة الهوية العربية والأمازيغية، وتوحيدهم تحت راية واحدة لابد من إدماج دروس تعليمية هادفة لتوحيد شملهم، بجعل التربية على المواطنة اللغوية هو الهدف المحوري للتربية في جلّ المستويات التعليمية، من خلال بناء الوعي بقيم المواطنة اللغوية، وترجمته إلى أسلوب عملي، وممارسات يومية، وهذه مسؤولية كافة مؤسسات التربية والتعليم، بحيث تتطلب تكاملا بين الأسرة والمدرسة لتحقيق الأهداف المنشودة.والتركيز على مرحلة التعليم الابتدائي لأنها جوهر المراحل التعليمية، ففيها نبني فردا صالحا، يحبّ لغته ويعتزّ بها ويدافع عنها في جميع الظروف.

مشكلة البحث وتساؤلاته: يتمثل السؤال الرئيسي للدراسة في: إلى أيّ مدى تسهم المدارس الجزائرية في تثبيت وتنمية قيم المواطنة اللغوية العربية لدى المتعلمين؟ ويتفرع عن السؤال الرئيس الأسئلة الفرعية الآتية:

-ما مفهوم قيم المواطنة اللغوية ؟

-بين المدرسة والمواطنة اللغوية أية علاقة ؟

- كيف هو الوضع اللغوي في الجزائر؟

-ما واقع المواطنة اللغوية في المدارس الجزائرية؟

-ما تجليات المواطنة اللغوية في المناهج التعليمية في الجزائر؟

أهداف البحث: يهدف البحث إلى تحقيق ما يأتي:

-التأصيل النظري لمفهوم المواطنة اللغوية وقيم المواطنة اللغوية.

-تحديد الواقع اللغوي في الجزائر.

-وصف واقع المنظومة التربوية في المدارس الجزائرية.

-إبراز تجليات "المواطنة اللغوية" في المناهج التربوية في الجزائر ومدى كفاءتها في تنمية قيم المواطنة اللغوية لدى المتعلمين.

أهمية البحث: تنبع أهمية هذا البحث من:

-العمل على تثبيث دعائم الهوية الوطنية في ذهن المتعلمين.

-تنمية قيم المواطنة اللغوية وزيادة شعوره بالمسؤولية تجاه اللغات الوطنية في الجزائر.

منهج البحث: يستخدم البحث الحالي المنهج الوصفي بهدف تجميع الحقائق والمعلومات التي تتطلبها خطوات البحث، ووصف ما هو كائن حتى يمكن رصد الواقع اللغوي في الجزائر، وواقع المواطنة اللغوية في المدارس الجزائرية، وقراءة في المنهج التربوي لمادة اللغة العربية لمستوى الثالثة ابتدائي لمعرفة كيفية معالجة المنظومة التربوية موضوع المواطنة اللغوية.

هيكل البحث: وقد جاءت هذه الدراسة في خمسة تساؤلات تشكل عناصر البحث تسبقها مقدّمة، وهي على النحو التالي:

أولا-ما مفهوم قيم المواطنة اللغوية ؟

ثانيا-بين المدرسة والمواطنة أية علاقة ؟

ثالثا- كيف هو الوضع اللغوي في الجزائر؟

رابعا-ما واقع المواطنة اللغوية في المدارس الجزائرية؟

خامسا-كيف عالجت المنظومة التربوية قضية" المواطنة اللغوية" في الجزائر؟

وقد ختمت الدراسة بعرض أهم النتائج والتوصيات، ومن ثمّ عرض المصادر والمراجع، وملحق يمثّل صورا من درس "لغتي العربية ولغتي الأمازيغية" من الكتاب المدرسي للتربية المدنية للسنة الثالثة ابتدائي.

أولا-ما مفهوم قيم المواطنة اللغوية ؟

1-تعريف المواطنة اللغوية:

المواطنة لغة: المواطنة مأخوذة في العربية من الوطن: المنزل تقيم به وهو" موطن الإنسان ومحله، وطن يطن وطنا: أقام به، وطن البلد: اتخذه وطنا، توطن البلد: أتخذه وطنا، وجمع الوطن أوطان: منزل إقامة الإنسان ولد فيه أم لم يولد[1] ومواطنة: مصدر الفعل واطن بمعنى شارك في المكان إقامة ومولدا لأن الفعل على وزن فاعل.[2]

المواطنة اصطلاحا: أما في الاصطلاح فالمواطنة بأبسط معانيها: " هي التزامات متبادلة بين الأشخاص والدولة، فالشخص يحصل على حقوقه المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، نتيجة انتمائه لمجتمع معين، وعليه في الوقت ذاته واجبات يتحتم عليه آداؤها.[3]

وفي الموسوعة العربية العالمية: تعرّف المواطنة بأنها: " اصطلاح يشير إلى الانتماء إلى أمة أو وطن".[4]

وتعرّف دائرة المعارف البريطانية المواطنة بأنها: " علاقة بين فرد ودولة كما يحددها قانون تلك الدولة، وبما تتضمنه تلك العلاقة من حقوق وواجبات في تلك الدولة".[5]

وعرّفها إبراهيم ناصر بأنها: " تمثل الانتماء إلى تراب الوطن الذي يتحدد بحدود جغرافية ويصبح ينتمي إلى هذا التراب مواطنا، له من الحقوق، وما يترتب على هذه المواطنة، وعليه من الواجبات ما تمليه عليه ضرورات الالتزام بمعطيات هذه المواطنة".[6]

أما عن تعريف صابر أحمد عبد الباقي: " فالمواطنة كلمة تدل على طبيعة العلاقة العضوية التي تربط ما بين الفرد والوطن الذي يكتسب جنسيته، وما تفرضه هذه العلاقة أو الجنسية من حقوق، وما يترتب عليها من واجبات، تنص عليها القوانين والأعراف، وتتحقق بها مقاصد حياة يتقاسم خيراتها الجميع".[7]

ومنه فالمواطنة تعني انتماء الفرد إلى رقعة جغرافيـــة معيّنـــة، ويتمتّـــع فيهـــا المواطن بحقوق، وما عليه من واجبات يقوم بها اتجاه وطنه.

المواطنة اللغويةla citoyenneté linguistique: "مفهـــوم يتـــداول فـــي اللسانيات الاجتماعية ووضعيات تماس اللغات، يدلّ على انتماء جامعة لخصوصية ثقافية وإيديولوجية، ولعلّ –اليوم– من العوامل المثيرة لهذا المفهوم –على المستوى الدولي– تلك العواطف اللغوية أو الهيمنة اللغوية لـــبعض اللغـــات ذوات الســـطوة العالمية، وعلى رأسها الإنجليزية، فقد أضحت قطب جذب تتجه الثقافات والهويات إليه فتتصهر فيه نظرا لتمكنها من أسباب العلم والتكنولوجيا والمال".[8]

وعرّفها محمد الصافوط على أنها: " استعمال اللسان الوطني في كل المؤسسات والأماكن العامة، وقضاء المصالح الإدارية. وإن المواطنة اللغوية فضـــاء لغـــوي ممتد، تأخذ فيه اللغة الرسمية النصيب الأوفى، انطلاقا مـــن أن تربيـــة المواطنـــة تحصل أولا باللغة الرسمية، وعدم احتقار الوطنية، وتعزيز الثقافة الوطنيـــة بنقـــل المفاهيم الوطنية للطفل، وبثّ الوعي بتاريخ الوطن وإنجازاته، والاهتمام بمختلـــف الأنشطة الثقافية، وخاصة الثقافية التي تنسج فـــي الغالـــب علاقـــة مميـــزة بـــين المواطنين، بتحسيسهم أنّه جزء من ذواتهم " فالعلاقة بين مفهوم المواطنة ومفهـــوم الثقافة الوطنية هي علاقة مشاركة إبداعية في خلق فضاء وطنـــي جديـــد متجـــدّد يتجنّب العزلة والانكفاء، ويحارب التّعصّب والشوفينية، ويؤسّس للاندماج والوحـــدة على قاعدة الديمقراطية، واحترام التعدد وصيانة حقوق الإنسان".[9]

وتركيبا لما سبق يمكن أن نقول أنّ المواطنة اللغوية من آليات تحقيـــق الأمـــن اللغوي في البلاد، من خلال شعور الفرد بسؤوليته تجاه لغته الرسمية واحترامهـــا والعمل على تنميتها وتطورها ببحوث ودراسات تتماشـــى والثـــورة المعلوماتيـــة– التقنية.

2–قيم المواطنة اللغوية: قيم المواطنة: "هـــي مجموعـــة مـــن الموجهـــات السلوكية المؤثرة في شخصية الطالب، فتجعله إيجابيا ملتزما أخلاقيا في انتمائه إلى وطنه بوعي سياسي، وبحرية ومسؤولية وقدرة على قبول الآخر، والحـــوار معـــه

وبمشاركة فعالة جماعية تطوعية، لتحقيق الأمن الداخلي والسلام الاجتماعي والعدالة والمساواة، والأحكام التي يصدرها الفرد عن الموضوعات والأشياء في ضوء تقديره لها، وتقاس بالمقياس المعدّ لذلك".[10]

ويمكن أن نعرّف قيم المواطنة اللغوية على أنها: جملة المبادئ والثوابث التي تميّز كل دولة، وتظهر في الاعتزاز باللغات الوطنية، والدفاع عنها، والعمل على ترقيتها، وعلى الدولة تثبيت دعائم الهوية الوطنية والمتجلية في العربية، الأمازيغية والإسلام.

ثانيا-بين المدرسة والمواطنة اللغوية أية علاقة ؟

تشكل المدرسة المؤسسة الرسمية التي أنشأتها الدولة لتقوم بدور التعليم والتربية، ولهذا أطلق عليها قطاع التربية والتعليم؛ إذ تقوم بتربية النشء على مبادئ الأخلاق والقيم السليمة، وذلك من خلال البرامج والمناهج التربوية المسطّرة من قبل وزارة التربية والتعليم، حتى يكونوا أفرادا صالحين ومواطنين يسهمون في خدمة أنفسهم ومجتمعهم ووطنهم.

كما تعمل على تنمية شخصية المتمدرس الإدراكية والانفعالية والوجدانية والجسمانية، وكذا ترسيخ قيم المجتمع وعاداته ورموزه في نفوس الناشئة، وتكوين اتجاهات إيجابية اتجاهها، كما أنها تسهم في نقل التراث الثقافي وتجديده، وكذا تعزيز الانتماء إلى الأمة والوطن والإنسانية؛ وحيث أن المواطنة هي جزء أساسي من النسق القيمي للمجتمع[11]، ولن يتأتى ذلك لولا إدماج الدروس المتعلقة بالأخلاق والقيم والمحافظة على الثوابث والهوية الوطنية، ونجد ذلك جليّا خاصة في برامج مادتي التربية المدنية والتربية الإسلامية بالنسبة لطور التعليم المتوسط.

ونجاح تربية المواطن والمتعلمين على الخلق والتربية والمبادئ السامية إنما هي ممارسة في الحياة اليومية، ولهذا على المعلم والأسرة تفعيل دورهما في تنشئة أبنائها على مثل هذه الثوابت.

ثالثا-كيف هو الوضع اللغوي في الجزائر؟

1-الثنائية اللغوية في الجزائر: لقد عرّف (فرجسون) مصطلح الثنائية اللغوية من خلال مقاله المشهور في مجلة (وردword) 1959 بأنّها: " وضع لغوي مستقّر نسبيا يوجد فيه إلى جانب لهجات أساسية للغات ما"[12]، ويمثّل وضع غير دائم يمكن أن يتغيّر في أيّ وقت.

إنّ تطبيق مفهوم ثنائية (فرجسون) في الجزائر يظهر في حالة واحدة وهي (العربية الفصحى/ العربية العامية)؛ أي "هي تلك العلاقة القائمة بين نظامين لغويين بديلين ينتميان لأصل واحد أحدهما رفيع والآخر وضيع"[13]. ويمثّل الوضع الرفيع اللغة العربية الفصحى، والتي تستعمل في المواقف الرسمية، أما الوضيع فيظهر في اللهجة المحلية.

2-الإزدواجية اللغوية: يتسّم المجتمع الجزائري بأنه مزودج اللغة، لوجود لغتين مختلفين وهما: العربية والفرنسية[14]، وتستعملان في حياتهم العامة والخاصة. ومن التعريفات التي وضعها الباحثون للإزدواجية اللغوية نذكر تعريف الباحث اللساني (أندري مارتيني): "هو الاستعمال المتناوب للغتين من قبل الفرد أو الجماعة الواحدة"[15]؛ ويدل هذا على أن الفرد أو الجماعة متقن للغتين بنفس الدرجة.

3-التعدّدية اللغوية: إن الوضع اللغوي في الجزائر معقّد ومركّب لكونه يستعمل مجموعة من اللغات واللهجات، وتتمثّل فيما يلي:

***اللغة العربية:** هي اللغة الرسمية في الجزائر، وتمثّل من دعائم الشخصية الوطنية، وتتميّز بوجود مستويين هما: المستوى الفصيح وهي اللغة العربية الفصحى، والمستوى العامي وهي العربية العامية أو اللغة الدارجة.

***اللغة الأمازيغية:** وهي لغة وطنية في الجزائر، وبعد الاعتراف بها في الدستور الجزائري أصبحت لغة مكتوبة تدرّس في المدراس الجزائرية وجامعاتها وقد حدّدت خولة طالب الإبراهيمي هذه اللهجات ومناطقها الجغرافية كما يلي: [16]

-**قبائلية:** في منطقة القبائل الكبرى والصغرى (تيزي وزو، بجاية، البويرة بومرداس).

-**الشاوية:** في الأوراس، باتنة، خنشلة، أم البواقي، وسوق أهراس.

-**الميزابية:** في منطقة بني يزقان بغرداية (واد ميزاب).

-**الترقية:** في الصحراء، توارق والهقار.

***اللغة الفرنسية:** تعتبر اللغة الفرنسية اللغة الأجنبية الموروثة في الجزائر بحكم الاستعمار الفرنسي، إذ تستخدم في التواصل والتعليم وخاصة التخصصات العلمية في جامعاتنا، وكذا في الإدارة والصحافة.

رابعا-ما واقع المواطنة اللغوية في المدارس الجزائرية؟

يشوب المجتمع الجزائري تنوّع لغويّ وتعدّد واضح في لغاتها الأم، بين العربية والأمازيغية كلغتين رسميتين في قطاع التربية والتعليم، إلا أن اللغة الأمازيغية التي أدرجت كلغة رسمية في الآونة الأخيرة، لم تكن لغة إجبارية كمثيلتها العربية وإنما هي لغة اختيارية بالنسبة للمتعلمين في مختلف الأطوار التعليمية، وهذا ما جعل الوضع اللغوي بحاجة إلى إعادة النظر في لغاته، بإعطاء الأمازيغية رسميتها في أن تصبح لغة رسمية إجبارية لكل التلاميذ في كل الأطوار التعليمية، هذا فضلا عن أن اللغة العربية هي الأخرى تعاني من تهميش أبنائها في الجزائر وفي الجامعات خاصة؛ إذ نجد أن معظم التخصصات العلمية تدرّس باللغة الفرنسية بعدّها اللغة المواكبة للتطور وتكنولوجيا العلوم، وملائمة للتجارب العلمية والعالمية لكن هذا الوضع يبقى محل نقد، بل ويمثل أزمة لغوية واعتزالا عن الهوية الوطنية التي تستدعي على كل مواطن جزائري التشبث باللغة العربية الفصيحة في مختلف المواقف التعليمية وفي جل التخصصات، وهذا ما يجب أن يكون.

فالشعور بالمسؤولية تجاه اللغات الوطنية إنما هي من قبيل المبادئ التي تميّز المواطنة اللغوية، ولذلك ونظرا لقلة المراجع باللغة الأمازيغية، بل وندرتها على الجهات المختصة بالتعريب وواضعي المناهج التعليمية العمل على تثبيت دعائم الهوية الوطنية المتمثلة في العربية والأمازيغية والإسلام، فإن تمكنوا من فرض

الثوابت الثلاثة في بلدهم، استطاعوا جعل اللغة العربية في المكانة التي كانت عليها، فاللغة تكون مهيمنة بشجاعة ناطقيها وأهلها من يقدّر لها مكانتها بين اللغات وقد أكد الأستاذ صالح بلعيد أن العلاقة بين العربية والأمازيغية تكاملية وليست قائمة على الصراع.

والحديث عن اللغة الأمازيغية وكتابتها بالحرف اللاتيني هو تلذّذ بالتبعية، ويعني احتواء الأمازيغية من قبل فرنسا، ويعني كذلك انتصار الفرانكفونية، ولا يعني التكامل المازيغي العربي، بل يعمل على الابتعاد بها عن الثوابت، ومداتها للعربية ونشوب صراع وطني قادم.[17]

وإن البربر منذ تواجدهم لم يستعملوا لغة واحدة وبحروف معروفة؛ فقد تعايشوا مع قرطاجنة واستعملوا حروفها، ثم حروف اللاتنية القديمة، ثمّ حروف النوميدية ولم يثبت التاريخ كذلك أنّهم وظفوا أبجدية التيفيناغ في دولة من دولهم، فبعد دخوال الإسلام أصبحوا يكتبون بالعربية، ويتكلمون البربرية، ولم يثبت التاريخ أن القرآن الكريم ترجم إلى المازيغية باعتبار فهمه بالعربية أقوى... والعربية لها وجود قوي في اللسان المازيغي في صرفه ونحوه...وأن خير منظومة خطاطية تستوعب الأصوات المازيغية بعد التيفيناغ هي منظومة الخط العربي".[18]

وقد شهدت وزارة التعليم العالي من خلال ملتقياتها وندواتها إلى تكريس المواطنة اللغوية باستخدام اللغة العربية، وهذا ما أكّده رئيس المجلس الأعلى للغة العربية" صالح بلعيد" أن هيئته ترمي إلى "تكريس المواطنة اللغوية" بالتنسيق مع مختلف القطاعات، خاصة في مجالات البحث العلمي والتربية والإعلام.[19]

خامسا: كيف عالجت المنظومة التربوية قضية" المواطنة اللغوية" في الجزائر؟ : لقد اخترنا كتاب التربية المدنية للسنة الثالثة ابتدائي كمدونة للدراسة بكون التعليم الابتدائي يعدّ من أهم المراحل، ولأنها المرحلة التي تكسب التلميذ المبادئ الأولى التي يمكن أن تجعله مواطنا صالحا محبّا للخير وللغته العربية.ومن هنا نطرح السؤال التالي: ما تجليات المواطنة اللغوية في المناهج التعليمية في الجزائر؟

1-وصف كتاب التربية المدنية للسنة الثالثة ابتدائي:

أ-المظهر الخارجي: جاء الكتاب بعنوان " التربية المدنية 3 ابتدائي" بالبند العريض وباللون الأبيض، وفي جزء واحد، وب39 صفحة، وتميّز الغلاف الخارجي بوجود غلافين داخلي وخارجي؛ فالغلاف الخارجي الأمامي جاء بخلفية خضراء يحتوي أشكال شبيهة بالمعينات وبها صور معبّرة، وعددها أربعة؛ ففي الشكل الأول مقام الشهيد الواقع بالجزائر العاصمة وأمامه مجموعة من النخيل والشكل الثاني صورة المجلس الشعبي ويعلوه علم الجزائر، أما الصورة الثالثة فتمثّل شجرة بجانبها ثلاثة أطفال وهم يمسكون بأيدي بعضهم دلالة على التعاون في التشجير والمحافظة على الثروة الغابية، والرابع صورة شخص يحاول وضع ورقة الانتخاب في العلبة، في حين تميّز الغلاف الأمامي الداخلي بخلفية بنفسجية فاتحة بها تسمية اسم الكتاب بخط "التربية المدنية" بخط غليظ باللون الأحمر وتحته" السنة الثالثة من التعليم الابتدائي بحجم أقل منه باللون الأسود، وبه معلومات لجنة التأليف ودار النشر وهي:

-لجنة التأليف: إشراف وتنسيق: بن الصّيد بورني سراب، وهي مفتشة التعليم الابتدائي، وتأليف: الزهرة قراش، وهي مفتشة التعليم المتوسط.

دار النشر: الديوان الوطني للمطبوعات المدرسيةonps، بتاريخ النشر: 2017-2018.

وفي الصفحة الموالية جاءت بخلفية ملونة بالبنفسجي فاتح تضمّن الفريق التقني ويظهر كالآتي:

التصميم والتركيب: فوزية مليك

الرسومات: زهية يونسي- شموا

معالجة الصّور: عبد المنعم موزاي

التنسيق: شريف عزواوي- زهرة بودالي.

أما الغلاف الخلفي فجاء بخلفية خضراء بها بأشكال شبيهة بالمعينات ملونة بألوان منها: أصفر وبرتقالي وبني وأخضر وأزرق، وفي الأسفل الصفحة دار النشر وتاريخ النشر كما سبق وأن ذكرناهما، وكذا سعر البيع للكتاب: 70 دج.

ب- محتوى الكتاب: بعد كلمة المؤلفين نجد "**برنامج التربية المدنية للسنة الثالثة ابتدائي**" كما هو موضح في الصورة الآتية:

برنامج التّربية المدنيّة للسّنة الثّالثة ابتدائي

7 1. القواعد الصّحيّة في التّغذية
9 2. آداب الأكل
11 1. صحّتي في غذائي
12 2. صحّتي في نظافتي
13 1. خطر الأغذية المتكربة والدسمة
14 2. أحافظ على سلامتي
16 أقوّم تعلّماتي
18 1. التنوّع الثقافي في وطني.
20 2. العادات والتقاليد في وطني
22 3. لغتي العربية ولغتي الأمازيغية
24 1. لا أميّز بين الذّكور و الإناث.
26 1. أتعايش مع الآخر وأتقبله.
28 أقوم تعلّماتي
30 1. الحياة في القسم
32 2. آداب الكلام.
34 1. أتفاوض مع زملائي
35 2. انتخاب مندوب القسم
37 1. مسؤوليتي في القسم.
39 أقوم تعلّماتي

وبعدها "تقديم الكتاب": بداية بعرض الوضعية المشكلة الأم، ثم مدخل الوضعية التعلّمية، ويليه بناء التعلمات وتوظيف التعلّمات، وأخيرا الوضعية الإدماجية. كما هو موضّح في الصورة التالية:

2-قراءة تحليلية لموضوع " لغتي العربية ولغتي الأمازيغية": وما يهمنا هو التركيز على المواضيع التي تدور حول المواطنة اللغوية ضمن موضوع بحثنا، من الملاحظ أن المنهاج لمادة التربية المدنية تناول العديد من المواضيع، وقد اخترنا الدرس المعنون ب: " لغتي العربية ولغتي الأمازيغية" بكونه الأقرب في مضمونه إلى عنوان مداخلتنا " المواطنة اللغوية".

-من حيث المحتوى التعليمي: يظهر من خلال درس" لغتي العربية ولغتي الأمازيغية" أنه جاء في شكل عناصر وهي أفعال بصيغة المتكلّم المفرد(أنا) وفي زمن الحاضر؛ وفيها دلالة على أنها موجهة للمتعلّم، ويمكن أن نذكرها بالترتيب على النحو الآتي:

*أتذكّر/ أقرأ وألاحظ/ أفهم/ أتعلّم /أنجز/ أدمج تعلّماتي.

الملاحظ أن عنصر " **أتذكر**" يمثّل وضعية انطلاق للدرس، وجاءت في طلب الأستاذ من التلاميذ في محاولة ترجمة كلمات من الأمازيغية إلى العربية، وكلمات أخرى من العربية إلى الأمازيغية. لينتقل إلى أقرأ وألاحظ، وقد تضمّن هذا العنوان فقرة بجانبها صورة معبّرة عن الموقف؛ إذ القراءة للفقرة والملاحظة للصورة ونجد هنا توافقا واضحا بين الهدف والعنوان.وكذا وثيقتين؛ الأولى تمثّل مقومات المجتمع الجزائري، والثانية توضّح دلالة الاختلاف اللغوي.

فالفقرة تكشف عن الهدف، من خلال عبارة: "اكتشف أنّ لغاتنا مختلفة وجميلة وأراد أن يتعلمها"، وهذا يدلّ على وجود لغتين في وطننا الجزائر.

وتلي مرحلة القراءة والملاحظة، مرحلة الفهم في عنوان: " **أفهم**"، وقد ورد في شكل أسئلة عن مضمون الوثيقتين السابقتين؛ وقد كانت الأسئلة متدرّجة إلى حد ما وبأسلوب مباشر.

ثم " **أتعلّم**" أن كلا من اللغة العربية واللغة الأمازيغية لغتان رسميتان في الوطن، وأن اعتزاز المتعلم بهما لأنهما جزء من هويتنا. فالمضمون مختصر وهادف.

وبعدها يأتي تطبيق ما سبق تعلّمه في عنصر"**أنجز**"، وقد جاء في شكل سؤال أجيب بنعم أو لا ثم أصحّح الخطأ إن وجد، لأربع جمل مفيدة.

وأخيرا، "**أدمج معرفتي**" وهي بمثابة وضعية إدماجية، وتعني إنتاج التلميذ فقرة يعبّر فيها عن مكتساباته القبلية وما يعيشه في الواقع، وذلك تثمينا لما اكتسبه من الدرس.

-من حيث الأهداف التعلمية: لقد انتقينا مذكرة تربوية للأستاذ "حسين بوعافية" [20] كنموذج تطبيقي لدرس "لغتي العربية ولغتي الأمازيغية"، التابع لابتدائية الشهيد حنطاش قادة-أولاد الخامسة الجديدة، مقاطعة تغنيف 03، التابعة لولاية معسكر كما هي موضّحة في الصورة الآتية:

انطلاقا من المذكرة التربوية رقم 13، من المقطع التعلّمي الثاني، في ميدان الحياة المدنية، لقد قام الأستاذ بتحديد الكفاءة الختامية للدرس، وتتجلى في انطلاق التلميذ من أمثلة واقعية للتعبير عن تقبّله للتعايش مع الآخرين باحترام الاختلاف وفي مركبة الكفاءة يستخلص مفهوم التنوع الثقافي من السندات المعطاة، أمّا في مؤشرات الكفاءة فتظهر في: أن يتعرّف التلميذ على مختلف اللغات واللهجات السائدة في وطنه ويعتبرها أحد مقوماته، ويدرك دور الاختلاف اللغوي في أصالة مجتمعه وامتداده التاريخي.

وبإسقاط الموضوع "لغتي العربية ولغتي الأمازيغية" على الأهداف المسطّرة يظهر لنا عدم التوافق بين الهدف والموضوع، لأن الكفاءة الختامية تسعى للتأكيد على حقيقة احترام الاختلاف، ولم يوضّح طبيعة الاختلاف، كما لا نستطيع أن نحكم بين العربية والأمازيغية وجود اختلاف أو تنوّع ثقافي، إنما التنوع الثقافي في

العادات والتقاليد وطريقة العيش والأعياد والديانات، وخاصة في نفس الرقعة الجغرافية لا تمثّل تنوعا ثقافيا.

وكما أن تلميذ المرحلة الابتدائية لا يمكنه أن يستخلص مفهوم التنوع الثقافي وبالأخص التناقض الواضح بين الوثيقتين، فالأولى أقرّت أنه من "مقوّمات المجتمع الجزائري الثقافة المشتركة"، والثانية "يدلّ الاختلاف اللغوي على ...تنوّعه الثقافي"، فما محل التنوع الثقافي في الجزائر؟ هل بين العربية والأمازيغية؟ أم أنهما ضمن ثقافة مشتركة؟

وفي مؤشرات الكفاءة ذكر الأستاذ أنه من مؤشرات الكفاءة تعرّف التلميذ على مختلف اللغات واللهجات السائدة في وطنه، فهل الجزائر تتسم بالإزدواجية اللغوية؟ للجزائر لغة وطنية وحيدة وهي اللغة العربية، بينما الأمازيغية لهجة، وقد أدمجت في التعليم في الآونة الأخيرة، وأدرجت من قبل الرئيس السابق عبد العزيز بوتفليقة كلغة رسمية.

-من حيث مراحل تقديم الدرس: تميّزت المذكرة بوجود ثلاث مراحل تعليمية فالأولى مرحلة الانطلاق اعتمد فيها الأستاذ سياقا سندا وتعليمية، ونوع التقويم في هذه المرحلة هوتقويم تشخيصي وفيها يتناقش الأستاذ مع التلميذ حول الأسئلة التي طرحها الأستاذ، لكن الأسئلة تظهر غير منطقية، فكيف لجزائريين يتكلمون نفس اللغة لا يفهمون كلام بعضهم؟

وبهذا فالأستاذ لم يوفّق في تحقيق الأهداف في المرحلة الأولى لاعتماده وضعية عبّرت عن التقاء شخصين من ولايتين مختلفين، ولو قال مغترب زار الجزائر واستفسر عن مكان ما أو ولاية وقد تكلّم بلغة أجنبية، لدلّ هذا على اختلاف لغوي وصدقنا وقتها إذا اعتبرنا الجزائري لم يفهم ماذا طلب منه الشخص الأجنبي.ثم في التمهيد للدرس الذي اعتمده الأستاذ نفسه-ترجمة كلمات بالأمازيغية إلى العربية أو العكس-الموجودة في الكتاب المدرسي.

وفي المرحلة الثانية وهي مرحلة بناء التعلمات، تتم ملاحظة الصورة وقراءة النص المرافق للسند، والمناقشة بين المعلّم والتلاميذ، فالأستاذ يطرح أسئلة والتلميذ

يجيب انطلاقا من السندات الموجودة في الكتاب المدرسي، ويمثّل هذا الأخير تقويما بنائيا، ليستخلص ويتعلّم من خلال الوثيقتين أنّ:

*الأسس والثوابت التي يقوم عليها المجتمع الجزائري والتي منها اللغة العربية والأمازيغية.

*أهمية الاختلاف اللغوي في تماسك مجتمعه يعتبره عامل قوّة.

أما المرحلة الثالثة الموسومة ب: " **مرحلة الاستثمار**" وفيها ينجز أو يدمج تعلّماته، ليتحقق الأستاذ من فهم تلاميذته للدرس من خلال إنتاج تعبيرا يعبّر فيه عن مراسيم الاحتفال بالعادات والتقاليد حسب المنطقة التي ينتمي إليها.ويمثّل التقويم هنا تقويما تحصيليا أو ختاميا.

الخاتمة:

وخلاصة القول أن المدارس الجزائرية تسعى لجعل المتعلم يبني معارفه بنفسه ليصل إلى مرحلة إنتاجه وإدماجه للمعارف التي اكتسبها بالمعارف القبلية، ليصل إلى تحقيق الكفاءة الختامية من الدرس، وهذا الجانب الإيجابي، ولكن تبقى عملية التصحيح والتنقيح للمحتويات التعليمية وتقويم للمناهج الدراسية محل النقاش الدائم من قبل المختصين والأساتذة حتى أولياء الأمور، وخاصة في مناهج الجيل الثاني في مرحلة التعليم الابتدائي بكونه أهم المراحل التعليمية، ففيها يكوّن المتعلّم وينمو على المبادئ التي تعلّمها وتلقاها من معلّمه ويتأثر به أكثر من والديه.

النتائج والتوصيات:

-للمدرسة الجزائرية دورها الواضح في تثبيت مبادئ ومقوّمات المجتمع الجزئري والهوية الوطنية المتمثلة في العربية والأمازيغية والإسلام.وخاصة من خلال مادة التربية المدنية لمرحلة التعليم الابتدائي.

-نجاح المعلّم في تحقيق الأهداف التعلمية تتوقف على حسن اختيار المحتوى التعلمي الهادف والخالي من الأخطاء اللغوية والمعرفية.

-على الأستاذ تعزيز مبادئ المواطنة اللغوية في ذهن متعلميه من خلال الاعتزاز باللغة العربية، والدفاع عنها والعمل على ترقيتها في مختلف المواقف التعليمية.

-إدراج دروس في مختلف المواد تخصّ المواطنة اللغوية داعما الهوية الوطنية، باختيار الأستاذ لسندات ووثائق هادفة وواضحة، وتوافق مستواهم الفكري.

-استهدافه مثلا لوضعيات تمثل الصراع بين العربية واللغات الأجنبية الأخرى، لجعل المتعلم يدافع عن لغته. وموافقة للمستوى الفكري للتلاميذ.

-على أساتذة اللغة العربية في مختلف الأطوار التعليمية تحفيز طلبتهم على التكلّم باللغة العربية الفصيحة في الفصل التعليمي وحتى خارجه.

-وفي الجامعات العمل على الارتقاء بمستوى الخطاب بالنسبة للطلبة في مختلف الجامعات الجزائرية.

-نشر اللغة العربية الفصيحة وتعريب مناهجنا في الجامعات في جلّ التخصصات الجامعية، بدل اللغة الفرنسية المنتهجة في التخصصات العلمية.

-تشجيع البحث العلمي العربي والترجمة إلى اللغات الأخرى لإثراء المحتوى العربي الرقمي، وفرض الهوية الجزائرية في الساحة العلمية العالمية.

-محاولة تصحيح الكتب المدرسية من الأخطاء الشائعة والأخطاء اللغوية، من قبل المختصين في اللغة العربية، من باب الشعور بالمسؤولية تجاه اللغات الوطنية في الجزائر.

الهوامش:

[1].انظر: ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2 1413ه/1993م ج15، ص338 [1]0

[2]. محمد العدناني، معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة، مكتبة لبنان، بيروت، طبعة عام 1404ه/1984م، ص725، وانظر: الجرجاني، التعريفات، ص327، والكفوي، الكليات ج5 ص42.

[3].انظر: ميشل مان، موسوعة العلوم الاجتماعية، تعريب عادل الهواري، سعد مصلوح مكتبة الفلاح، الكويت، طبعة عم1404ه/1984م، ص.110

[4].الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، طبعة 1996 ص311.

[5].سعيد عبد الحافظ، المواطنة حقوق وواجبات، مركز ماعت للدراسات الحقوقية والدستوية القاهرة، ط 2007، ص10.

[6].إبراهيم ناصر، المواطنة، دار مكتبة الرائد العلمية، ط1، 2003، ص45

[7].صابر أحد عبد الباقي، المواطنة...حقوق وواجبات، نشرت في 26 مايو 2009، موقع: http: //kenanaonline.com/users/drsaber/posts/88497

[8] DUBOIS.J et autres,¨dictionnaire de linguistique rt des sciences du langage, 1994,paris, p284

[9].محمد الصافوط، المواطنة والوطنية، ط1، المغرب، 2007، مطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء، ص5

[10].هناء عبد الله محمود، واقع قيم المواطنة في مناهج التربية الوطنية وأداء معلميها بالمرحلة الثانوية، المؤتمر العلمي الرابع(الدولي الأول) بعنوان: التعليم وتحديات المستقبل، المجلد الأول كلية التربية، جامعة سوهاج، 25-26 أبريل2009، ص577.

[11].قصير مهدي، مفهوم المواطنة في المدرسة الجزائرية -بين التصور والممارسة- دراسة سوسيولوجية تحليلية بمفاهيم علم الاجتماع السياسي، رسالة دكتوراه، جامعة وهران2، كلية العلوم الاجتماعية، 2015-2016، ص 51

[12].خولة طالب الإبراهيمي، الجزائريون والمسألة اللغوية، تر: محمد يحياتن، دط، دار الحكمة 2007، ص37

[13].المرجع نفسه، ص39

[14].خولة طالب الإبراهيمي، الجزائريون والمسألة اللغوية، ص45

[15].المرجع نفسه، ص44

[16].ينظر: المرجع نفسه، ص25

[17].صالح بلعيد، المواطنة وأخواتها...، جامعة تيزي وزو، ص201

[18].المرجع نفسه، ص202

[19].تكريس المواطنة اللغوية باستخدام اللغة العربية، نشر بتاريخ 24 تشرين/1أكتوبر2017، على الرابط: http: //sudhorizons.dz

[20].فريق عمل مدنة التعليم في الجزائر: www.ta3lim-dz.com

ملحق: صور (درس "لغتي العربية ولغتي الأمازيغية" من الكتاب المدرسي ص22 و23)

أتعلّـم

اللّغة العربيّة هي اللّغة الرّسميّة الأولى .
اللّغة الأمازيغيّة هي اللّغة الرّسميّة الثّانية في وطني .
أنا أعتزّ بلغتي العربيّة والأمازيغيّة وأفتخر بهما لأنّهما جزء من هويّتي .

أنجـز

□ أجيب بنعم أو لا ثمّ أصحّح الخطأ إن وجد :
• هويّة المجتمع الجزائريّ الإسلام والعروبة والأمازيغيّة . • أفتخر بأصلي الأمازيغي .
• أتكلّم مع زملائي في القسم باللّغة الفرنسيّة فقط . • أخجل من لغتي العربيّة أمام الأجانب .

أدمج تعلّماتي

• اختر واحدة من العادات والتّقاليد الّتي تميّز منطقتك وبيّن كيف يتمّ الاحتفال بها .

3 – لُغتي العَربيّةُ و لُغتي الأمازيغيّة

أتـذكّـر

• حاول مع زملائك ترجمة كلمات من الأمازيغيّة إلى العربيّة وكلمات أخرى من العربيّة إلى الأمازيغيّة .

أقـرأ وألاحـظ

في المخيّم الصّيفي التقى عصام الّذي يسكن بمدينة سطيف بمجموعة من الأطفال من كلّ أنحاء الوطن من الشّمال والغرب والجنوب . ومن خلال الحديث معهم اكتشف أنّ لغاتنا مختلفة وجميلة وأراد أن يتعلّمها .

أفهـم

• ما هي المناطق الّتي أتى منها أطفال المخيّم الصّيفي ؟
• إلى أيّ منطقة من الوطن ينتمي عصام ؟
• ماذا اكتشف عصام ؟ وماذا قرّر ؟
• من خلال الوثيقة 1 ما هي مقوّمات المجتمع الجزائري ؟ استخرج منها لغات وطننا .
• اقرأ الوثيقة 2 ثمّ بيّن على ماذا يدلّ الاختلاف اللّغوي في وطننا .

مقوّمات المجتمع الجزائري هي الأركان والأسس الّتي يقوم عليها وهي : الإسلام ، العروبة ، الأمازيغيّة ، الوطن الواحد ، الثّقافة المشتركة ، التاريخ الطّويل .

يدلّ الاختلاف اللّغوي على أصالة المجتمع وامتداده التاريخي وتنوّعه الثّقافي والتعايش السّلمي بين أفراده

تعلم وتعليم اللّغات الأجنبيّة وثقافاتهم في الجزائر، الإنجليزيّة مثالا، محنة أم منحة؟

Enseignement / apprentissage des langues étrangères et de leurs cultures en Algérie, l'anglais comme étude de cas. Bénédiction ou malédiction ?

أ. بوضرسة حمزة

المدرسة العليا للأساتذة جامعة قسنطينة 3 قسم اللغة الإنجليزية

الملخص: إن المواطنة اللغوية في الجزائر هي جزء لا يتجزأ من الهوية والشخصية الوطنيتين والمراد تحقيقها وتأكيدها من خلال تفعيل كل المناهج التعليمية ابتداء من المدرسة وصولا للجامعة.

تتمحور **إشكالية البحث** المطروح هنا حول سؤالين: سؤال المفكر الناقد (كيف؟) وسؤال الفيلسوف (لماذا؟)

-كيف نستخدم تفكيرنا الناقد لنحقق مواطنتنا اللغوية في الجزائر رغم اكراهات الحداثة وما بعد الحداثة وكذا تحديات العولمة ومزالقها؟

-كيف نستخدم عقلنا الواعي في تعليم وتعلم اللغات الأجنبية لتحقيق التعايش لا التصادم؟

ولماذا ندرس اللغات الأجنبية [المستهدفة: انجليزية مثالا] بالطريقة الحالية والمناهج الراهنة؟

تهدف هذه الورقة البحثية إلى ايضاح بعض النقاط الغامضة المتمحورة أساسا حول المواطنة اللغوية في الجزائر، تعايش الجزائري مع اللغات الأجنبية المستهدفة في الجزائر وكذا توضيح اشكالية تعليم اللغات وتعلمها في العصر الراهن.

إن تدريس اللغات الأجنبية في الجزائر، لا يمكن، أن يكون في أي حال من الأحوال، إلا منحة (عامل قوة) للطالب الجزائري ليتفتح على ثقافات أخرى مختلفة.

فالمنحة هي فرصة لهذا المواطن المستقبلي لتوسيع مداركه، اثراء ثقافته ولسانه اللغوي (بالطبع) من غير "هجانة" أو "تناقض وجداني ".

في هذا السياق يجب أن ينطلق تعليم اللغات من " أرضية صلبة" ترتكز في جوهرها على المواطنة اللغوية حيث يهدف التعليم من خلالها على تقوية الذات الجزائرية وتأكيدها لا على انشطارها وإلغائها.

يعمل التعليم كذلك على تكوين مواطن مستقبلي متعايش مع ذاته أولا ومع الآخر ثانيا ولاحقا: مواطن جزائري " ثمرة" و"نتاج" لتكوين "مستمر"، " متجدد" و"متعدد" السبل والأبعاد " دراسي" "ثقافي" "أكاديمي" ثري، صلب، وعميق، ومنه يكون هذا المواطن ذو نظرة ثاقبة مستشرفة للمستقبل واعية بذاتها متعايشة مع المختلف من غير ذوبان" **فالمنفعة** "من تعلم اللغات هي تقوية تعزيز الذات و"**المضرة**" لا تكون إلا في الانشطار والذوبان في الآخر المختلف ومنه "تدمير" الذات بوعي أو بدون وعي.

وكتوصية ذات صلة وكمدرس للغة الإنجليزية وثقافاتها (بريطانية، امريكية) بالجامعة الجزائرية لا يمكن إلا أن أحث على استخدام التفكير الناقد والعقل الواعي في تعليم اللغات وتعليمها.

فقابلية المتعلم للتعلم وكيفية تعلم اللغات وتعليمها يجب أن تمحص دوريا وتجدد سنويا بتفعيل طرق ومناهج فعالة مراعية "للمواطنة" اللغوية الجزائرية محترمة للذات الجزائرية ولكن **بهدف أسمى وهو "الانفتاح" على الآخر من غير ذوبان لا "الانغلاق" على الذات بتعصب.**

الكلمات المفتاحية: تعليم، اللغات، الأجنبية، منحة، محنة

Résumé

La citoyenneté linguistique algérienne est un élément essentiel de la personnalité et de l'identité algérienne qui doivent être renforcées et responsabilisées à l'école et à l'université algérienne.

La question de recherche, à cet égard, tourne autour d'une question de critique intellectuelle et de penseur (**Comment** ?) Et d'une autre de philosophe (**Pourquoi** ?)

Comment nous utilisons notre pensée critique pour répondre à notre citoyenneté algérienne linguistique en surmontant les divers défis et problèmes du modernisme et du postmodernisme avec les pièges de la mondialisation ? **Comment** utilisons-nous notre conscience pour enseigner / apprendre des langues étrangères afin de coexister plutôt que d'entrer en collision avec l'autre ? **Pourquoi** nous enseignons des langues étrangères ciblent (l'anglais par exemple) de ces manières et approches actuelles ?

Cet article **vise** à clarifier certains points relatifs à la citoyenneté algérienne, à la coexistence du citoyen algérien avec des langues étrangères. En plus de cela, le document vise à aborder le problème de l'enseignement / apprentissage de la (des) langue (s) et de la (des) culture (s) en Algérie à l'époque contemporaine. L'enseignement des langues étrangères et de leurs cultures en Algérie ne peut être qu'une **bénédiction** «un facteur de force» pour l'étudiant algérien (future citoyen) lui permettant de s'ouvrir à d'autres cultures. Une bénédiction car les langues et les cultures étrangères offrent la possibilité au futur citoyen adulte d'élargir ses connaissances, d'enrichir sa culture et sa langue, bien entendu, sans hybridité négative ni ambivalence. À cet égard, l'enseignement / l'apprentissage des langues devrait être essentiellement basé sur la citoyenneté

linguistique afin de renforcer et de responsabiliser l'entité algérienne plutôt que de la dissocier ou de la nier.

L'enseignement permet de former le futur citoyen algérien en harmonie avec lui-même d'abord et avec l'autre après ; citoyen algérien fruit d'une formation continue avec des parcours multidimensionnels ainsi que de 'profondes' du caractère 'académique', 'culturelle' et 'intellectuelle'. Une formation 'académique', 'pédagogique', 'culturelle' et 'intellectuelle' qui forme un citoyen aisé avec une vision consciente en harmonie avec soi-même et en le responsabilisant. Un citoyen en coexistence avec l'autre sans s'absorber jusqu'à sa destruction. Comme **recommandation** pertinente et en tant que professeur d'anglais, langue étrangère à l'Ecole Normale Supérieur de Constantine, j'insiste souvent d'apprendre le(s) langues et le(s) culture(s) étrangère(s), partant d'une plateforme solide basée sur la pensée critique et l'esprit alerte et conscient. La «facilité à enseigner» et la «facilité d'apprentissage» de la langue et de la culture étrangères avec la manière «comment?» de les enseigner / apprendre devraient être fréquemment interrogées et recyclées chaque année pour permettre des approches efficaces, compte tenu de la citoyenneté algérienne linguistique et de l'entité algérienne ayant un objectif haut : **ouvert sur l'autre sans y être absorbé ni isolement sur soi avec étroitesse** !

Mots-clés : enseignement / apprentissage, étranger, langues, cultures, bénédiction, malédicti

"... أتحدث جميع اللغات ولكن باللغة العربية"

عبد الفتاح كيليتو

« Je parle toutes les langues mais en arabe »

Abdelfattah Kilito

"I speak all languages, but in Arabic"

Abdelfattah Kilito

المقدمة: في العالم الغربي (خاصة أوروبا) **اليـــوم**، تكاد تكون اغلب الدول في اتجاه الاعتراف بتعدد اللغات والألسن وبحق الجميع في تداول اللغة التـــي يشـــاء والاعتراف الرسمي باللغات حسب المجموعات اللســـانية واللغويـــة الســـائدة فـــي الدول.في هذا السياق، وجب توضيح بعض المفاهيم ذات العلاقة بورقتنـــا البحثيـــة **فاللغة الرسمية**" هي اللغة التي تستعملها الأفراد، الحكومات والدول فـــي الإطـــار الرسمي، والتي عادةً ما تكون جميع الخدمات الحكومية الرسمية متاحة بها بموجب القانون. ... «. أما **اللغة الوطنية** فتشير عموما إلى أي لغة لهـــا مكانـــة رئيســـية وخاصة داخل الوطن. **يمكن أن تكون اللغات الوطنية لغات رسمية أيضًـــا**. فيمـــا يخص **اللغة الأم** فهي مصطلح تقليدي للغة الأم للفرد، أي اللغة التي تم تعلمها منـــذ الولادة. يُطلق عليها أيضًا اللغة الأولى واللغة السائدة واللغة الرئيسية واللغـــة الأم (على الرغم من أن هذه المصطلحات ليست مرادفًا بالضرورة، فاللغة الفرنسية إبان الاستعمار الفرنسي فرضت كلغة رسمية وطنية ولغة أم ولم تكـــن لا أم، لا ســـائدة ولا مقبولة عند عموم الجزائريين). وكمثال في هذا المقام، لا توجد تقنيـــا لغـــة رسمية بالولايات المتحدة الأمريكية على المستوى الوطني، لكن اللغـــة الانجليزيـــة هي الأكثر شيوعا وتعتبر رسمية على المستوى الفدرالي ببعض الولايات مع اللغة الاسبانية في ولايات أخرى. في سويسرا كمثال آخر توجد أربـــع لغـــات رســـمية الألمانية، الفرنسية، الايطالية والرومنشية. وفي حالة الجزائر، توجد لغتان رسميتان (العربية لغة رسمية منذ 1963 والامازيغية بقرار دستوري منـــذ عـــام 2016). رسمت الامازيغية كلغة وطنية بتعديل دستوري سنة 2002.

نتعامل من خلال **الورقة البحثية** مع اللغة على أنها حاملة للقيم الاجتماعية والثقافية للأمة وليست وسيلة مجردة وفقط للتواصل الاجتماعي، ومنه فاللغة هي أساس **الهوية الفردية، الجماعية والاجتماعية(أثنية، وطنية، قومية)** ورمز من رموز الإبداع، التراث الإنساني للأمة وحاملة للفكر والمعرفة مع اعتبارها وسيلة للتنشئة الاجتماعية.نشير أيضا إلى تعريف أخر لعبد الرحمان بودرع حيث يقول : "علاقة الهوية باللغة علاقة جدلية تفاعلية إذ ليست اللغة أداة للتعبير فحسب ولا وسيلة للتواصل بين الأفراد، ولا شانا من شؤون العلم، الثقافة والتدريس، لكنها شان من شؤون الهوية والأمن القومي والسيادة الوطنية والاستقرار الاجتماعي والنفسي، حيث اللغة مؤلف رئيس من مؤلفات الهوية ...فاللغة هي الناطق الرسمي بلسان الهوية ووسيلة إدراك العالم وتصنيف المجتمعات[1]"

ومنه يجب القول إن تحقيق وتأكيد المواطنة اللغوية بالجزائر من تحقيق الهوية اللغوية وكلاهما لا يمكن إلا أن يكون متمحورا حول احترام اللغات الوطنية الرسمية والأم وكذا للتاريخ من حيث انه معبر للتعايش والتناغم لا التصادم والتشرذم بين اللغات والحضارات المختلفة العابرة للجزائر مع الرفض القاطع لهيمنة الثقافات الاستعمارية الدخيلة.

1.الاستلاب اللغوي، الفكري والثقافي في الجزائر: في البداية يجب الإشارة إلى أن المفهوم الدلالي للاستلاب[2] متعدد[3] وملتبس باعتبار الرؤية الغربية[4] للمفهوم تختلف عن النظرة العربية الإسلامية. نركز، في هذا البحث، على المفهوم العربي الإسلامي للاستلاب من حيث انه هاجس للوعي باعتباره نتاج اهتزاز نفسي وحضاري مؤدي للتقليد والتبعية ويهدا وجبت التوعية لاتقاء أخطاره والتخلص منه.

يرجع الكثير من علماء النفس والمفكرين من بينهم فرانتز فانون الملم بالحالة الجزائرية في المرحلة مابعد الكولونيالية أن الاستلاب اللغوي للمستعمر(بفتح الميم) والمنتج للتبعية الفكرية والثقافية للمستعمر(بكسر الميم) هو في الأساس نتاج عقدة الدونية المغروسة عمدا في الإنسان المستعمر.يعزز ليوبولد الثاني ملك بلجيكا

ومستعمر(بكسر الميم) الكونغو هذه الفكرة بمقولته المشهورة "**لا يمكن استعمار شعب ما لم تغرس عقدة الدونية للمستعمر**[بكسر الميم] **فيه**". تغرس ثقافة المستعمر (بكسر الميم) في عقل ونفسية المستعمر(بفتح الميم) عن طريق التعليم والمنهاج المدرس لتلاميذ المستعمرات. فتدرس ثقافة المركز الأوروبية الاستعمارية على أنها ثقافة تحضر وتقدم والعكس بالنسبة لثقافة المستعمرات فتعتبر ثقافة هامش ويتعامل معها من هذا المنطلق. فالمهمة الاستعمارية هي **تكليف وواجب على الإنسان الأبيض الأوروبي المتحضر لتحضير الإنسان الأسود الإفريقي المتخلف**[5].

تتمحور الفكرة الاستعمارية، في هذا الإطار، على الكثير من الأفكار العنصرية المتمركزة حول عقدة تفوق الإنسان المستعمر الأوروبي ذو البشرة البيضاء على الإنسان الإفريقي ومنه البقاء له من حيث انه الأقوى والأصلح لسيادة الكون[6].

فالاستلاب هو نتاج الفكرة الاستعمارية والتسليم بها من طرف المستعمر(بفتح الميم) من حيث يشعر أو لا يشعر.فلاستلاب حينها يؤثر على العقل المستعمر فيتبنى هذا الأخير النموذج الغربي ويستلب من منبته فلا هو يستوعب لغة وفكر الغرب ولا هو يعتز بلغته، بفكره الأصلي وبذاته، فيبقى عالقا متشدقا ومولعا بكل ما يأتي من الآخر باعتباره مثالا ونموذجا. وفي نفس السياق **يبدو ضعف أشكال التعبير عن الهوية اللغوية جليا عند المستعمر في مواقفه اللغوية الضعيفة واستعماله الركيك، السيئ والمسيء للغته، قلة اهتمامه باكتسابها وتطويرها مع ضعف الإرادة السياسية لتوظيفها في المجالات الحيوية.**

و آخرا وليس أخيرا لا يمكن إلا الاستناد والاستدلال بمقولة العلامة ابن خلدون "**[ما يظن نفسه]** مغلوب والمغلوب**[فعلا]** مولع بتقليد غالبه" وكتوصية في نفس الإطار يجب إيجاد حل لهذا الإرث التاريخي الاستعماري السلبي والهشاشة اللغوية، الثقافية والفكرية لإنسان ما بعد الاستعمار[في حالة الجزائر] **التي جعلته زبونا تابعا وفيا ومستهلكا سخيا للحضارة الغربية ومنه وجب الأمر وحان الوقت** لتحصين العقل والنفس وتأمينهما من الفرنسة، الأمركة، الحداثة ومابعدها والعولمة بكل اكراهاتها ومزالقها بتأسيس مدرسة أصيلة معززة للمواطنة الغوية الجزائرية

مطورة للغات الوطنية الرسمية وكذلك العمل على تطوير الجامعة والتعامل معها على أنها مؤسسات سيادية منتجة لفكر جزائري رفيع نابع من اللغات الوطنية الجزائرية المؤسسة والمكونة للهوية الجزائرية بكل أبعادها ومتعايش من دون صدام مع كل اللغات وحضاراتها.

2. الأمن اللغوي، الفكري والثقافي في الجزائر: إن إصلاح المنظومتين التربوية والجامعية من إصلاح المناهج الدراسية والجامعية بالعمل على تفعيل الإرادات السياسية، التربوية والأكاديمية لجعل اللغات الوطنية لغات متطورة، فاعلة ومنتجة للفكر، المعرفة، للتقنية وللتكنولوجية.فاللغة لا تستطيع لا أن تحصن ولا أن تطور بمناهج بالية، غير صالحة ولا قادرة لا على الإنتاج، لا على الفعالية ولا على التجدد. فالغير قادر على التجدد قابل للتبلد مقبل على التبدد.

بلغة الإحصائيات نجد إن الدول المنتجة للتقنية متطورة آليا لغويا فالمنتج للتقنية منتج لمصطلحات ومسميات تقنية جديدة ومنه مزود للغة بألفاظ جديدة ومثرية للغة. فالدول المنتجة للمعرفة منتجة للتقنية وتطور لغاتها يكون سريعا مقارنة بالدول المستهلكة للتقنية والمستوردة للمعرفة. فيسهم العالم العربي ب **400 مليون** مواطن مثلا بما يقارب **3 أو 4 بالمائة** من المحتوى الرقمي بشبكة الانترنت بالمقارنة بالسويد ب **20 مليون مواطن تسهم ب 20 بالمائة** وهنا الفرق رهيب وواضح. فرغم مرونة اللغة العربية وغزارة ألفاظها ومفردتها ب **12.3 مليون** كلمة مقابل **1 مليون كلمة انجليزية و130 ألف كلمة فرنسية**[7] **إلا أن إنتاج** اللغة العربية وإسهاماتها في عالم التكنولوجيا يبقى ضعيف مقارنة باللغة الانجليزية الاسبانية والصينية المسيطرين على التكنولوجية والعالم ألعنكبوتي. **وفي عالم النشر نجد أن العالم العربي مجتمعا لا ينشر أدبيا وفكريا باللغة العربية إلا القليل مقارنة بما ينشر في أوروبا، الصين والولايات المتحدة** [8] ومنه لا **يزال النشر باللغة العربية من حيث انه خادم لها بعيد كل البعد عن دوره المنوط.**

وفي مجمل القول، لا يمكن إلا أن نشير مع التأكيد أن **الأمن الفكري من الأمن اللغوي وكلاهما** يقتضي التطوير المستمر للغات الوطنية[9] مع **التحصين الواعي**

للهوية الجزائرية من غير انغلاق الذي بدوره يتطلب **التحصيل الفكري مع الإنتاج والتحديث التقني والمثري للغة باستعمالها في المجالات الحيوية الحديثة** وكذلك التعزيز المكثف **للوعي الحضاري للشعوب والإرادة مع الحكمة السياسية للحكومات في تفعيل وتثمين دور المدارس والجامعات في البناء الحضاري عن طريق اللغات الوطنية.**

3.**دور المدرسة والجامعة الجزائرية في تحقيق المواطنة اللغوية والبناء الحضاري:**

"المدرسة هي المعبد الذي يتلقى فيه الضمير وحي القيم التي تؤسس التراث الإنسان "مالك بن نبي

المدرسة عموما وأساسا هي المكان الطبيعي لطلب العلم وتحصيله، ومنه لا يجب بخسها دورها الحضاري في تثقيف الفرد وتعزيز روح التفكير فيه. **يقول العلامة الجزائري البشير الإبراهيمي "الأمة التي لاتبني المدارس تبنى لها السجون" ويقول الأديب الفرنسي فيكتورهيغو"من يفتح مدرسة يغلق سجنا" وأؤكد بدوري** أن فتح مدرسة هو فتح باب للثقافة وغلق آخر للاثقافة، للجهل والظلام.إذا كانت المدرسة وسيلة جوهرية لتنوير العقل وطريقة لمنح السياسة بعدها التنويري القومي والعالمي، **فافترض** من خلال هذه الورقة البحثية **أن دورها الحضاري في تثقيف الفرد غائب ومغيب.** فدور المدرسة لايمكن أبدا حصره في تعليميات الدرس والمدرس اوبيداغوجيات القسم، الكراسي والطاولات، لان الدور المنوط **بالمدرسة يعبر يتجاوز التعليميات، الشعارات، الرومانسيات التعليمية، البيداغوجيات المفرغة من معناها والأطر العلمية والأكاديمية** ليؤكد **البعد والعمق الحضاريين للفرد (المواطن المستقبلي) وإعادة صياغة العقل الفردي والجمعي بتعليمه وتثقيفه[10] لخدمة الأمة وتطويرها.** يجب أن ننوه (من خلال هذا البحث وكاستنتاج ذو صلة) أن دور المدرسة **التثقيفي** هو التأصيل الأولي والقاعدي للمواطنة اللغوية، الفكرية والثقافية من خلال توعية التلميذ بضرورة تعلم اللغة الأم واحترامها مع استيعاب عمقها الفكري والتاريخي واعتبارها جزءا لا يتجزأ من

تراث الأمة. دور المدرسة **التثقيفي الأخر هو** نشر الوعي الحقيقي والمغزى الأصيل من تعلم اللغات الأجنبية **ب"الانفتاح" على الآخر.**

أما **الجامعة** باعتبار تعاملها مع فئة عمرية أخرى فدورها المثالي لا يكمن في التثقيف وفقط بل في تحقيق الإقلاع الثقافي والنهضوي بتجسيد الدساتير الأربعة الجامعة : **الدستور الخلقي**[11]**، الدستور الجمالي، المنطق العملي، الصناعة**[12] .دور الجامعة كذلك يتمحور حول الحقائق الثلاث: **المقومات الإنسانية، العلم، العمل والأخلاق، لا للتقليد في الثقافة**[13]. **التقليد هو** نتاج وهن، بؤس وكسل وجب تجنبه بتأسيس فكر حر نابع من العمق الحضاري للأمة. بعد دور المدرسة **التأسيسي ألتأصيلي والتوعوي.تؤكد الجامعة هذا الدور وتعززه** مع الحث على تجسيد المواطنة اللغوية، الفكرية والثقافية الجزائرية كلبنة أساس لأي مشروع نهضوي وحضاري.

4.**تدريس اللغات الأجنبية في الجزائر الانجليزية مثالا.تجربة شخصية: اللغة ذات وجهين قول وفكر** فالقول للاتصال والفكر لحمل ثقافة ومعاني اللغة الأم المستهدفة والأجنبية على حد **تعبير نغوغي واثيونغو، الأديب والمفكر الكيني**.من هذا المنطلق يجب الأخذ بعين الاعتبار في تعلم وتعليم اللغة الأجنبية فكر هذه اللغة وتأثيره على المتعلم.يحمل تعليم اللغات الأجنبية (الإنجليزية مثالا) معه اكراهات اوبالاحرى إشكالات **(ندرس اثنين في هذا البحث)** وتحديات عدة للأستاذ والطالب.**إشكال أول** متعلق بالتأثير السلبي **للغة الأم (العربية)** خاصة في **كتابة** اللغة الإنجليزية (يسقط الطلبة غالبا في فخ استعمال تركيبات لغوية من العربية وتطبيقها خطا في **كتابة** اللغة الإنجليزية)، و**تأثير اللغة الأجنبية الأولى (الفرنسية)** خاصة **في نطق** الإنجليزية(يتأثر نطق الطالب للغة الانجليزية بالنطق الفرنسي للكلمات) على التحصيل السلس للغة الأجنبية من طرف الطالب وعدم انتباه من طرف الأستاذ لهذا الجانب.في نفس السياق و**إشكال ثاني** حيث يعاني بعض الطلبة من فهم المغزى الحقيقي لتعلم اللغات فتجد انغماس بعض الطلبة في قشورا للغة الإنجليزية وثقافاتها (بريطانية، أمريكية)، فيذوبون في فكرها وتصورتها فتستوعبهم اللغة الأجنبية

المستهدفة عوض أن يستوعبوها وهنا يتجلى دور الأستاذ في نشرا لوعي الحقيقي والمغزى الأصيل من تعلم اللغات الأجنبية.

وكخلاصة تجربة في البحث والتعليم بالإمكان القول أن عوامل ضعف الاعتزاز بالهوية اللغوية العربية يكمن في غلبة الازدواجية والتعدد اللغوي في الجزائر مع اضمحلال استعمال اللغة العربية كنتاج إرث استعماري. انكماش استعمال اللغة العربية أنتج كذلك هجانة سلبية وغير مبررة في الغالب للسان الجزائري مع غلبة التفرنس والاقتراض الغير إيجابي من اللغات الأخرى (الاقتراض شائع خاصة من اللغات الانجليزية في المجالات الحيوية الحديثة ذات صلة بالتطور التكنولوجي الحاصل في العالم)وكذلك بزوغ التناقض الوجداني عند الفرد الجزائري (كره الاستعمار وحب التكلم بلغته) الذي أدى بدوره إلى التشرذم والاضطراب اللغوي بالجزائر مع ضعف الإمكان الوظيفي للغة العربية ممّا سبق لا يمكن إلا إن نؤكد أن القلق ما زال متزايد من إمكانية غرق الجزائر في مسالة اللاأمن اللغوي والفكري رغم الاجتهادات المستمرة(رسمية ولا رسمية) للتركيز على دور اللغة العربية التاريخي كلغة الأصالة والإسلام وذات مكانة ديموغرافية، عالمية وإقليمية.

5.قبسات وتوصيات مستوحاة من مشروع مالك بن نبي ورؤيته لإشكالية المواطنة اللغوية وتعليم اللغات الأجنبية بالجزائر

1.في التثاقف: في كتابه **مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي (ص90)**، يرى مالك بن نبي إن طبيعة التثاقف بين المجتمعات المسلمة عموما والجزائر خصوصا مع الغرب إلإستعماري لم تكن صحية في مجملها خاصة أن آلية الاحتكاك الثقافي والاستيراد الفكري لم تكن واضحة المعالم بل عبرت عن هشاشة نفسية وفكرية أدت بنفسها إلى خلل في المنظومة اللغوية باهتزاز اعتزاز المواطن الجزائري في مرحلة ما بعد الاستعمار بلسانه اللغوي وضبابية معلنة في فهم المواطنة اللغوية الحقة للفرد الجزائري.

يشير بن نبي [14]إلى بعض الملاحظات الخاصة بازدواجية اللغة عند الفرد الجزائري الناتجة عن الاستعمار. أدى هذا الازدواج إلى ظهور طائفتين؛ طائفة تتكلم العربية وتحاول إحياء البعد والعمق الإسلاميين وأخرى تتكلم الفرنسية مع اعتمادها غالبا على مرجعيات فكرية غربية. الوضع في الجزائر إذن لم يقسم إلى **نخبتين وفقط** بل إلى **مجتمعين متراكبين** تناقضا فكريا ولغويا.فاعتبر المجتمع المعرب نفسه ممثلا للبلد التاريخي والتقليدي مع تغييب، وصف بالسياسي وألظرفي للبعد الأمازيغي، للهوية الجزائرية واعتبر المجتمع المتفرنس نفسه صانعا لميلاد مجتمع جديد ومتحضر.يرى بن نبي أن الأفكار المطبوعة للمجتمع الأول والموضوعة للمجتمع الثاني متناقضة ولا تستطيع التعايش في مجتمع ثقافي واحد.فوسائل الأعلام المعربة مثلا تروج لأفكارها المطبوعة المختلفة جوهريا عن الأفكار الموضوعة للنخبة المتفرنسة ومنه يأتي تناقض الرؤى بين المجتمعين.

فالتأصيل الفاعل والمتجدد عن طريق الترجمة الخالصة والمخلصة للمعاني الحقيقية لحركة **الأفكار الواردة والمستوردة باللغة الأجنبية** قد يكون الحل المثالي لفهم أفكار الأخر من دون ذوبان فيه ومنه فازدواج اللغة وتعدد اللغات كنتاج لتعليم سوي وأصيل قد يساعد في **التجدد مع البناء الحضاري** وقد يؤدي للخروج على الأصول الأساسية كما قد يسبب تناقض النخبتين وانشطار الذات الجزائرية ومنه خلق بوعي وبدونه **ضبابية في فهم العمق الحقيقي للمواطنة اللغوية وتحقيقها.**

2. **في الاستلاب:** يعتبر مالك بن نبي **الاستلاب** جزءًا لا يتجزأ من مجموعة ما اصطلح عليه الأفكار **السامة، المميتة أو القاتلة** .فالاستلاب حامل لنفايات فكرية للعقل الفردي والجمعي ونتاجه الانحطاط الاجتماعي والبؤس الحضاري. فبأخذ العناصر السطحية من الشرق أو الغرب والتهامها حصرا دون غيرها من الخيارات الحضارية الأخرى مع اعتبارها جوهر وأساس آي تطور. **فالاستلاب** يحمل معه جملة من **الأفكار السامة** من حيث أنه استيراد أفكار خارج إطارها الحضاري والتهامها من دون استيعاب أو تمحيص يؤدي بالفرد إلى خطر الانمحاق والاضمحلال، التناقض الفكري مع الهجانة والتهجين اللغويين وكذلك الذوبان في

الأخر والسلبية الحضارية. **مما سبق يمكن القول** إن إمكانية هشاشة الشخصية الجزائرية لا يمكن إلا أن تكون نتاجا حتميا للغلو في الأفكار الميتة والمزيفة السائدة في المجتمع المحلي واستيراد أخرى من ثقافة الآخر خارج إطارها الحضاري والمطبوعة فيه مع اعتمادها أساسا لأي سلوك اجتماعي.فالاستلاب والهشاشة النفسية لا يمكنهما بأي حال من الأحوال تحقيق المواطنة اللغوية الحقة الناتجة والمنتجة للحصانة الفكرية، الثقافية والحضارية.

الخاتمة: في ملخص هذا البحث يجب الإشارة أن تعليم اللغات يجب أن ينطلق من " أرضية صلبة" ترتكز في جوهرها على أن المواطنة اللغوية تتمحور أساسا حول اللغتين الوطنيتين والرسميتين (العربية والامازيغية) مع الفهم الواعي على أن الهدف الأساسي والرئيسي من تعليم للغات الأجنبية هو تقوية الذات الجزائرية وتأكيدها لا العمل على انشطارها وإلغائها.

يعمل التعليم الجاد كذلك على تكوين مواطن مستقبلي متعايش مع تاريخه وذاته أولا ومع مستقبله والآخر ثانيا ولاحقا : مواطن جزائري " ثمرة" و"نتاج" لتكوين " متجدد" و"متعدد" السبل والأبعاد " دراسي" "ثقافي" "أكاديمي" ثري، صلب، وعميق ومنه يكون هذا المواطن ذو نظرة ثاقبة واعية، بصيرة مستشرفة للمستقبل وذات متعايشة ومتناغمة مع المختلف من غير ذوبان" **فالمنفعة** "من تعلم اللغات هي تقوية تعزيز الهوية الوطنية و"**المضرة**" لا تكون إلا في الانشطار والذوبان في الآخر المختلف ومنه **هشاشة الكيان النفسي للمتعلم و"تدمير" لذاته بوعي أو بدون وعي.**

فقابلية المتعلم للتعلم وكيفية تعلم اللغات (المناهج) وتعليمها يجب أن تمحص دوريا وتجدد سنويا بتفعيل طرق واليات فعالة مراعية "للمواطنة" اللغوية الجزائرية محترمة للذات الجزائرية ولغاتها الوطنية الرسمية العربية والامازيغية ولكن **بأهداف سامية منها "الانفتاح" على الآخر من غير ذوبان ولا انسلاخ، لا "الانغلاق" على الذات بتعصب وكذلك التعايش مع الآخر المختلف لا التصادم معه.**

تعلم اللغات وتعليمها يجب إن يكون كذلك منطلقا للانبعاث الحضاري والتجديد الفكري لا للتناقض الوجداني والاضطراب اللغوي مع التثاقف السلبي والاستلاب الحضاري.

وكتوصية ذات صلة وكمدرس للغة الإنجليزية وثقافاتها (بريطانية، أمريكية) وباحث بالجامعة الجزائرية لا يمكن إلا أن **أحث على استخدام التفكير الناقد والعقل الواعي في تعليم اللغات الأجنبية وتعليمها مع التحصين المستمر والمتجدد للهوية الجزائرية.**

INTRODUCTION

Most countries in the Western world, mainly in Europe, are going to confirm free celebration of multilingualism according to the lingual regions existing in these countries. In this respect, we should clarify some notions pertinent to the paper at hand. **The Official Language** is the most common language between people(s) and governments at the official language. The latter may come into practice with the governmental services within the law and the constitution. The **National Language** stands for the language with a principal importance within the nation. National languages can be Official as well. Concerning the **mother language** called also the mother tongue, the most common overwhelming language, the first language (these notions are not always considered synonyms as the French colonizer considered the French language as mother tongue for all Algerians though it was never considered so by Algerians).As an example in this context, there is technically no official language in the United States though English is the most common and considered in some federal states with Spanish in other states. In Switzerland, there are **four official languages German, French, Italian and Romansh.** In the case of Algeria, there are two official languages (Arabic declared official in 1963 and Tamazight with a constitutional decision since 2016; Tamazight declared a national language with a constitutional amendment in 2002).

In this research paper, we consider language as a carrier of social and cultural values of the nation, not a simple mere tool of social communication. Language, in this respect, is a cornerstone of the individual, social and societal identity (ethnic, national and regional) and icon of creativity and human heritage of the nation carrying thoughts and knowledge .Accordingly, Abd El Rahmane BOUDRAA, says: "The relation of the identity with the language is a debatable and interactional as the language is not a mere way of saying things and a scientific, cultural and educational matter, but an identity matter with pertinence to the national sovereignty, social and psychological stability as language is a vital component of the identity…it is the official spokesman of identity and a way to recognize the world and classify societies[15]"

Therefore, it is worth noting that meeting the national lingual citizenship in Algeria is an integral part of the lingual identity and both revolve inevitably around respect to the national, official and mother languages with another respect to history of the nation as a platform of co-existence, harmony and convergence ,not of clash, division and divergence between transcultural languages and civilizations crossing Algeria. A reject should be there to face and fight not fear and flight any colonizer's intruding culture(s).

Lingual, Intellectual and Cultural Alienation: At first, we should refer to the meaning of Alienation as ambiguous and varying from the Western to the Arab-Islamic vision. The former focuses more on the variety of its genuine meaning and the latter emphasizes on it as a result of psychological and civilisational weakness resulted in miserability, blind mimicry and imitation of the vanquished to the vanquisher; hence, it is worth to be fought.

Many thinkers and psychologists, including Frantz Fanon, the Algerianist thinker, refer to this matter of alienation to as a legacy of the postcolonial period that resulted from the **inferiority complex** instilled by the colonizer. Leopold King of Belgium, colonizer of Congo, said, in this respect, "You cannot colonize people until you instill in them a sense of inferiority" .This sense is instilled via educational systems and programmes

filling minds of colonized pupils with, considering the white colonizing culture(s) and language(s) as centers of any civilizational advance; all what is apart and aside is savagery!

Rudyard Kipling's idea referred to in his poem the **White Man's Burden** is to civilize the uncivilized and educate the uneducated and that's called by the European: "**the Civilizing Mission" and defended by Darwin in his theory "Social Darwinism" as the "Survival is for the [White] Fittest"!**

The colonial idea, which revolves around white Eurocentrism and alienation, is awkwardly perceived and inappropriately received by the colonized. Therefore, the culture brought by the colonizer influenced clearly the colonized. Being fond of the colonizer brings an underestimation to the one's self, one's language, and then being and belonging. Hence, you find the colonized speaking an awkward national language with less individual use of his mother tongue and less interest and concern in promoting and empowering wide use of the national language(s) in vital matters by officials.

At least but not last, it is worth noting and inevitably referring to what Ibn Kheldoun said: "the [supposed] vanquished is fond of the vanquisher"; pertinently, we should work to find solutions to this destructive legacy, which influenced and still influencing the post-colonial man. The latter is negatively influenced in a way weakening rather than empowering its lingual, intellectual and cultural abilities. Being weak linguistically, intellectually and culturally leads unavoidably to be a passive consumer, swallower and absorber to all what come from the other. It is, then, a high time to empower mind immunity from a 'Francophilability' (borrowed from coloniability; a term used by Malek Bennabi), Americanization, modernism and post-modernism, globalization and its pitfalls. Empowering the role of the school and the university as sovereign institutions that should work intensively to enhance future citizens their pride of lingual, intellectual and cultural 'national' citizenship and belonging. Being proud of one is being and belonging should not prevent the Algerian citizen from being extrovert on other's languages, cultures and civilizations.

Lingual, Intellectual and Cultural Safety: Reform of the Algerian school and university is an integral part of reforming syllabi curriculums in both sectors. This reform had to be inspired from a political will that should work to empower evolution of national languages. These languages should be developed in a way to be effective and reliable source of production of thoughts, knowledge, techniques and technology. All the academic, political and intellectual attempts should work to let the languages in question immune; the best way to meet safety of these languages revolves around renewing syllabi and curriculums. Renewing methods, approaches and techniques for change and reform is the best ways to boost revival of national languages and prevent them from perish as 'not to publish lead to perish'!

Statistics say that nations producing knowledge, techniques and technology are automatically developed linguistically as new technical terms are enriching these languages compared to other languages of not-productive nations. For instance, all the Arab countries with about 400 million inhabitants contribute with only three (3) or four (4) percent of the WEB content. Sweden with 20 million, in turn, participates with 20 percent of the Internet content. The difference is so clear. Despite flexibility and richness of Arabic with 12.3 million word, English with 1 million word and French with 13000 words, its production in technology is not really considerable compared to Spanish, English and Chinese. Publishing literature and thoughts in Arabic is not as well widespread compared to publishing in English. Therefore, the will to serve Arabic through publishing with it is so mediocre.

In a nutshell, we should refer and confirm that immunity of thoughts has to do integrally with that of languages. Both can be met via developing consciously immunity of the identity which requires as well knowledge acquirements and technical modernization. Technology with its continuous modernization works at enriching the language with its use of new and modern technical words in vitals domains and sectors. The political will to value the true role of school and university to enhance

progressively awareness among people to use their national languages in building up their civilizations.

The Role of the Algerian School and University in Meeting Lingual Citizenship

"The School is the temple where consciousness receives the living values that establish the common human cultural heritage"Malek Bennabi

The school is principally the appropriate place to get knowledge and acquire science .In turn; the cultivating role of education should never ever be prevented from both the School and University.El Bashir El Ibrahimi says in this respect: "the nation that does not build schools will be overwhelmed by prisons". Victor Hugo, the French writer, he who opens a school, closes a prison". I confirm that opening school is a way to open a gate to culture and close another non-culture, backwardness, ignorance and darkness. The education role of the school is clear, but in this paper I hypothesize that the other cultivating role is absent and on purpose sometimes. The role of this school should, therefore, should not be limited to lessons, pedagogy, didactics, chairs and tables. This role should move beyond the academic and pedagogic frame to confirm the cultural and cultivating dimension of education via re-framing the Algerian individual and collective mind in relation to its civilisational essence.

The school should work to **instill** consciousness about their lingual and cultural identity among pupils and future citizens. Concerning the University, its role is to **enhance** the role of the school with wise openness on other cultures and civilizations. Both roles should be considered important and stepping stone of any civilisational upheaval. Malek Bennabi clarifies the role of the university as a genuine and true booster of four constitutions: the **moral constitution, the ethical constitution, the practical logic and productive work (Conditions of Renaissance 58)**.The University works as well to meet human values, science, work, and ethics with no imitation of other culture **(The Problem of Culture 118).**Imitation is seen as civilisational misery; a sign of weakness and laziness. Hence, an intensive

work should be promoted to meet effective objectives pertinent to a genuine renaissance.

Teaching Foreign Languages in Algeria. Personal Experience

According to Ngugi Wa Thiong'O, the Kenyan writer and thinker, language is not a mere means of communication, but a carrier of culture as well. In this context, teaching and learning foreign languages (English as a case study) carries some issues and matters. The **first issue** is the negative transfer of Arabic as mother tongue (through an inappropriate borrow some structures from Arabic; thinking in Arabic and writing in English) and its negative impact on **writing** English. The latter, being pronounced, is influenced as well by **French code of pronouncing**. The **second** issue is the destructive impact of learning foreign languages on some students. Some EFL (English as a Foreign Langauge) learners are absorbed fully by the EFL culture either American or British. The role of any EFL teacher is raise consciousness among students to learn English without being detached or absorbed by its cultures and to keep faithful and attached to one's roots and identity with all its dimensions.

In a brief, findings of my experience in teaching and research show that the weak belief and pride in national languages in Algeria resulted from the effects of bilingualism, multilingualism with the limited use of Arabic as a result of colonialism. The latter resulted in mimicry, hybridity, ambivalence and inappropriate borrow from languages of technology, including English. As a result from all fact mentioned above, immunity of the Algerian national languages is at stake despite the progressive (official and non-official) attempts to defend Arabic as a language of history, civilization , high demography and strategic geography regionally or universally.

Highlights and Recommendations Inspired from Malek Bennabi's Civilisational Project

1. **Interculturaliation** : In his book**, Problem of Ideas in the Islamic World (90),** Malek Bennabi views contact of the Islamic culture with other cultures and civilizations unhealthy as mechanisms of cultural contact is unbalanced, mainly and clearly

apparent in the weakness of the Muslims psyche which led to a blemish linguistic scene in the post-colonial period. The lingual identities within the cultural and intellectual one are not clear in the Algerian mind and here the problem! Malek Bennabi views that bilingualism in Algeria resulted from colonialism caused division not only of the elites (elite closure), but resulting in two divergent societies. One contradicts the other. The **Arabophone** society view itself as the representative of the historical and traditional society. The **Francophone** one views itself as the promoter of the new civilized and modern society. The **Printed ideas** of the former contradict the **acquired ideas** of the latter and here divergences of these visions emerge. Working to meet the affectivity and renewal of ideas through original and reliable translation, faithful to genuine values and meaning of the mother tongues, national and official languages with respect to the borrowed ideas in foreign languages (English in this case).Bilingualism and multilingualism resulted from a solid educational system should not be viewed only from **one angle**, but to be considered a **blessing and curse**. **Blessing** as it might bring richness to one's culture and **curse** as it might cause divergences among peoples and societies!

2. **Alienation:** Malek Bennabi preserved the intellectual task as a 'voice for the people' who urged and dreamed of a civilization based on a renewed-vision to Islam far from mere rituals and 'soulless' men. Malek Bennabi works served as a model for this study which depicts the total change of the Algerian intellect during the period extending from 1954 to 1962 using the following symbolic keywords: **coloniability, renaissance, Identity, inter-culture, shock, reaction, belonging, civilization, heaping up, deadly/dead/effective/misconceptions.** Malek Bennabi's singularly provides a realistic perspective based on a genuine socio-intellectual foundation with a valid comprehensive methodology, referring consciously to righteous/effective/ dead/deadly ideas and misconceptions. These misconceptions might cause civilisational failure, according to Bennabi.

Alienation resulted from what called by Bennabi '**coloniability**' will be analyzed in this respect. Bennabi's vision revolves around the issue of '**civilizational bankruptcy'** resulted from the **inner**

self of Muslim. The inner self should be filled with **virtue(s), meaning(s) and value(s).**The problem is that hat inner self is **alienated** as those virtue(s), meaning(s) and value(s) are replaced with **dead ideas** of one's community and by 'borrowed' fake and intruding ideas out of their civilizaional cycle or frame, called by Malek Bennabi **deadly or toxic ideas**. The issue then is that **dead and deadly ideas** can neither build a civilization nor enhance growing seeds of renaissance. Misconceptions will revenge, but effective ideas originated from genuine and righteous **virtue(s)** about one's lingual identity**, meaning(s)** of one's cultural identity **and value(s)** of one's intellectual identity **will do the task and promote civilisational upheaval.**

CONCLUSION: As a conclusion, the paper **confirms** that teaching **should work** to form a future Algerian citizen in harmony with himself first and with other next and later; an Algerian citizen fruit of a continuous training with a multidimensional paths as well as 'profound', 'academic', 'cultural' and 'intellectual' features. Effective teaching should provide as well an academic, pedagogic, cultural, cultivating, and intellectual training that form a well-to-do citizen with a conscious vision in harmony with self, empowering it; to form a citizen in co-existence with the other without being absorbed to destruction by it. As a **pertinent recommendation** and as a University teacher of English as a Foreign Language at the Higher College for Teacher Training at Constantine, **I** frequently insist on reaching foreign languages and cultures departing from a solid platform based on critical thinking and alert mind with high awareness. 'Teachability' and 'learnability' of the foreign language and culture with the way 'how?' to teach/learn them should frequently questioned and recycled yearly to empower effective approaches, considering the Algerian lingual citizenship and the Algerian entity with **high objective to be opened on the other without being absorbed by it or isolation on the self with narrowness!**

- **WORKS CITED (ENGLISH)**

Boussalah,Zahra.*MalekBennabi : An Analytical Study of his Theory of Civilization"*. AMSS 34 th*Annual* Conference on *Muslims and Islam in the Chaotic Modern World: Relations of Muslims among Themselves and with Others"*. September 30-October 2, 2005.

Johnston,David.FUZZY REFORMIST-ISLAMIST BORDERS: MALEK BENNABI AND RACHID GHANNOUCHI ON CIVILIZATION.*The Maghreb Review*,Vol.29,1-4,2004.

Kortright, Chris. *Colonization and Identity*. January 1 st , 2003.March10th, 2016. .

<http: //www.angelfire.com>

Lacheraf,M. Langue écrite et langue orale.*Revue de presse*,Algiers : April,1964.

¯.L'Algérie*, nation et société.* Société nationale d'édition et de diffusion, 1978.

McDougall,James. *History of Algeria*. Cambridge: Cambridge University Press, 2017. Print.

¯ .*History and the Culture of Algerian Nationalism in Algeria*. Cambridge: Cambridge University Press, 2007

Memmi, Albert. *The Colonizer and the Colonized*.Minneapolic, MN: University of Minnesota Press, 2004.

Mohammed Salah Ramadan.*The Association of the Algerian Muslim Scholars,its Ideologican and Social Role,*Ethakafa Review*,N83,1984.*

Mahmoud Kacem.*ImamAbdulhamidBenBadis.The Spiritual Leader of the Algerian revolution*, 2nd Edition.Daar El Maaref.Cairo,1979.

Naylor.PhilipC.The Formative Influence of French Colonialism on the Life and Thought of MalekBennabi (Malik Ben Nabi).*French Colonial History 7 (2006) 129_142*. Michigan State University Press,2006.

Rashid,Asma. *Iqbal and Malek Bennabi*.Hamdard Islamicus.Vol.1 No.2.

Saad, Muhammed.*In Search of Identity: Algerian Literature during and after Occupation*.Westminister, England.January2, 2014.

http: //www.westminster.ac.k/-data/assets/text-file/0003/247242/26saad.txt

Saadallah, AbouAlkacem.(Trans). *The Algerian National Movement*, Part 3,Dar-Al-Gharb El-Islami,Algeria.

Saadallah, AbouAlkacem. (Trans).*Gathering Ideas*.The National Foundation of the Book.Algeria,1988.

Saadallah, AbouAlkacem. (Trans). *Cultural History of Algeria*.1 vol. Beyrout: Dar Al- Gharb Al-Islami, 1998.

Saadallah, AbouAlkacem. (Trans). *Cultural History of Algeria*. 3 vols. Beyrout: Dar Al

Gharb Al-Islami, 1998. Print.

----.MalekBennabi's "*Democracy in Islam*": Islamic Thinking versus Islamism.

http: //www.binnabi.net/?p=292 16 th January 2008.

- **LA BIBLIOGRAPHIE (FRANÇAIS)**

Malek Bennabi. *La Lutte Idéologique* (traduit de l'arabe par Nour-Eddine Khendoudi).El Borhane, 2005.

Malek Bennabi.*Colonisabilité. Problème et civilisation*. Edition Benmerabet, 2016.

- **قائمة المصادر والمراجع بالعربية**

باتريك سافيدان، **الدولة والتعدد الثقافي** ترجمة المصطفى الحسوني.دار توبقال للنشر، المغرب 2019.

Patrick Savidon.**Le Multiculturalisme**.Editions (الكتـــاب الأصـــلي) P.U.F,2009

، فايز الصياغ وآخرون، **اللغة والهوية في الوطن العربي إشكاليات التعليم والترجمة والمصطلح** بسام البركة

رالف فاسولد، **علم اللغة الاجتماعي للمجتمع**.ترجمة الدكتور إبراهيم بن صالح محمد الفلاي. جامعة الملك سعود النشر العلمي والمطابع 1996.

Ralph Fasold.**The Sociolinguistics of Society**. (الكتـــاب الأصـــلي) Blackwell Publisher ltd.Oxford, 1996.

مالك بن نبي. مشكلة الثقافة. دار الفكر– دمشق سورية 1959

مالك بن نبي .الصراع الفكري في البلاد المستعمَرة. دار الفكر– دمشق سورية 1959

تأملات. دار الفكر– دمشق سورية.1961.مالك بن نبي

مالك بن نبي. في مهبِّ المعركة . دار الفكر– دمشق سورية 1962

مالك بن نبي.أفاق جزائرية دار الفكر– دمشق سورية 1964
مالك بن نبي. مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي. دار الفكر – دمشق سورية 1970
مالك بن نبي. دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين محاضرات. . دار الفكر – دمشق سورية .1972
مالك بن نبي. بين الرشاد والتيه . دار الفكر – دمشق سورية 1972
مالك بن نبي. شروط النهضة. دار الفكر – دمشق سورية 1979
مالك بن نبي. من أجل التغيير.دار الوعي.الجزائر 2013.
مالك بن نبي.ميلاد مجتمع. دار الوعي.الجزائر 2013
بوراس يوسف.الفكر السياسي عند مالك بن نبي.دار هومة، الجزائر2013
محمد البنعيادي.مالك بن نبي في ذاكرة عبد السلام الهراس.دارالشاطبية للنشروالتوزيع، الجزا ئر2012
محمد الصالح دمبري ,الفرانكفونية الأدبية والسياسة الاستعمارية ,مقال منشور بمجلة الثقافة العدد 108,1988,ص 70
محمد شاويش. مالك بن نبي والوضع الراهن. دار الفكر. دمشق 2007
محمد عاطف. معوقات النهضة ومقوماتها في فكر مالك بن نبي.دار قرطبة.الجزائر2009
عمرمسقاوي.العالمية ورسالة الحضارة والثقافة في فكر مالك بن نبي. . دار الفكر. دمشق 2005
حسين ايت عيسى .الفكرالتربوي عند مالك بن نبي. جسور النشر والتوزيع. الجزائر . 2017
هاجر طالب.ابستمولوجيا التجديد التربوي عند مالك بن نبي.دارطليطلة.الجزائر2015

الهوامش:

[1] فايز الصياغ وآخرون، اللغة والهوية في الوطن العربي إشكاليات التعليم والترجمة والمصـــطلح ص: 318، 317 بسام البركة

[2] Alienation باللغة الانجليزية والفرنسية

[3] يركز الفلاسفة الغربيين كثيرا على هدا التعدد باعتباره مشكلا في حد ذاته

[4] تختلف النظرة الغربية فيما بينها كذلك فنظرة هوبز مثلا ليست هي نظرة جون جاك روسو

[5] The White Man Burden of Rudyard Kipling / Civilizing Mission

[6] نظرية داروين الاجتماعية (social Darwinism)

[7] http: //www.arabiclanguageic.org/view_page.php?id=10716

[8] According to *Book Star* the British site specialized in Universal Literatures

[9] **الكتابة، التقبيس والتحديث (علم اللغة الاجتماعي للمجتمع**، رالف فاسولد ص 440) يرى فيرجسون(1968) أن تطور اللغة يتم عبر

[10] **يقول العلامة البشير الإبراهيمي الأمة التي لأتكرم شبابها بالتعليم والتثقيف مضيعة لـــرأس** مالها .

[11] **الأمة التي لا تجعل الأخلاق ملاكها تستعجل هلاكها** ، العلامة البشير الإبراهيمي

[12] مالك بن نبي. شروط النهضة . دار الفكر – دمشق سورية 1979 ص 58

[13] مالك بن نبي. مشكلة الثقافة. دار الفكر– دمشق سورية 1959 ص118

[14] **نفس المرجع (ص90)**

[15] Ralph Fasold.**The Sociolinguistics of Society**. Blackwell Publisher ltd.Oxford, 1996 p317,318

جهود الدّكتور صالح بلعيد والمجلس الأعلى للّغة العربيّة في ترسيخ مبادئ المواطنة اللّغوية في الجزائر

د. موسى كراد

المركز الجامعي _ ميلة

ملخص:

موضوع البحث والهدف منه:

إنّ الأمة في أبسط تعريف لها هي مجموعة من المواطنين تعيش مستقرة على بقعة من الأرض وتجمع بين أفرادها رغبة مشتركة في العيش بسلام معا، وفي تكوين وحدة سياسية واجتماعية صلبة، أي دولة، وتشكل وحدة اللغة والأصل والجنس والتاريخ المشترك أركان هذه الأمة التي تعمل وتساعد في تكوينها لبناء مستقبل ينعم فيه المواطنون كافة بالحرية والمساواة والحقوق المادية والمعنوية ومنها العدالة اللغوية (المواطنة اللغوية العادلة).

ولقد اتخذ موضوع المواطنة اللغوية أهمية مضاعفة في هذه المرحلة نظرا لتفاقم تهديديات الوحدة المجتمعية في عدد من الدول، نتيجة ما تطرحه العولمة من إشكالات كثيرة أخطرها انبعاث الحركات والنزعات التقسيمية بعناوين شتى.. فأصبحت المواطنة اللغوية انطلاقا من هذا الطرح موضوعا سياسيا واجتماعيا وذا أبعاد ثقافية وإنسانية.

انطلاقا مما سبق، تحاول هذه الورقة البحثية أن تعالج قضية المواطنة اللغوية في الجزائر متخذة من جهود الدكتور صالح بلعيد والمجلس الأعلى للغة العربية في ترسيخ مبادئ المواطنة اللغوية، ودورها في سبيل تعزيز التعايش السلمي بين اللغات الوطنية وتحقيق الانسجام الجمعي الثقافي والفكري في الجزائر.

فقد انصبت أبحاث الدكتور صالح بلعيد والمجلس الأعلى للغة العربية في الشأن اللغوي ووعيا منهم بدوره في استقرار الدول ونمائها أو تفككها بفعل الصراعات

الإثنية ذات البعد اللغوي، وذلك عبر آليات إجرائية تسمح بإعادة صوغ مفهوم المواطنة اللغوية في الجزائر.

- **علاقة البحث بمحاور الملتقى:**

البحث له علاقة بمجمل محاور الملتقى خاصة المحور الذي يهتم بإبراز:

✓ دور المدرسة والمؤسسات اللغوية والإعلامية والاقتصادية في تعزيز مبادئ المواطنة اللغوية

- **عناصر البحث:**

✓ المواطنة اللغوية من منظور صالح بلعيد.
✓ الوعي اللغوي، وسيلة النهوض الحضاري
✓ رسمية اللغة العربية ومضايقاتها أو الغربة اللغوية الوطنية
✓ مسألة الدارجة وحضورها الودي في المواطنة اللغوية
✓ الهوية الجزائرية والمواطنة اللغوية
✓ مواطنة اللغة المازيغية.
✓ الوصفة العلاجية.
✓ مشاريع المجلس الأعلى للغة العربية ودورها في تعزيز المواطنة اللغوية.

تمهيد:

تعيش الجزائر في الآونة الأخيرة تحديات كبرى مست البناء الوطني للدولة من ناحية التنمية الاقتصادية والسياسية والثقافية، ولعل القضايا اللغويةوالثّقافية الّتي تحدد اللغة والهوية والانتماء من أبرز المسائل الّتي شغلت المجتمع الجزائري، ومازالت تسيل الحبر والجدال الفكري المفيد أحيانا والعقيم أحيانا أخرى وتجدر الإشارة إلى أن الجزائر تضم لغتين وطنيتين رسميتين (اللّغة العربية واللّغة الأمازيغية) والعديد من اللهجات العامية، إلى جانب اللّغة الفرنسية بوصفها لغة أجنبية ذات حضور قوي بالإضافة إلى كونها تتسع لمجموعة كبيرة من الثقافات المحلية، الّتي تختلف من منطقة لأخرى.

ولا ننسى ما مرت به الجزائر من استعمار مدمر لكيانها الاجتماعي والاقتصادي والثقافي واللغوي، قدّم الشعب الجزائري التضحيات الجسام في سبيل استعادة سيادته السياسية وهويته الوطنية، بالإضافة إلى أن الجزائر عانت منذ بداية التسعينيات من ويلات أزمة سياسية وأمنية خطيرة مست أركان الدولة الجزائرية وكادت أن تقضي عليها..، وتواجه الجزائر حاليا خطر ونتائج الربيع العربي الذي هدد و يهدد انسجام وتماسك الدول الوطنية حيث تسعى القوى العظمى من وراء هذا الحراك السياسي إلى إعادة رسم الخرائط الجغرافية والسياسية للعالم العربي، مع ما تشكله العولمة المتوحشة من أخطار على المجتمعات المحلية تسعى إلى تشظي الهويات والأوطان..[1]، منها تفتيت للغاتها وجعلها في حالة تناحر وصراع.

كل هذه الأحداث والوقائع والتحولات السياسية تفرض علينا مناقشة عميقة وجادة فعالة لما يجري في هذا العالم الذي ننتمي إليه، خاصة ما تعلق منه بالجانب الهوياتي والوعي اللغوي ووجوب التحصين العلمي والفكري والحضاري للغاتنا ومنطلقاتنا المعرفية والفكرية.

ولقد اتخذ موضوع المواطنة اللغوية أهمية مضاعفة في هذه المرحلة نظرا لتفاقم تهديدات الوحدة المجتمعية في عدد من الدول، نتيجة ما تطرحه العولمة من إشكالات كثيرة أخطرها انبعاث الحركات والنزعات التقسيمية بعناوين شتى.. فأصبحت المواطنة اللغوية انطلاقا من هذا الطرح موضوعا سياسيا واجتماعيا وذا أبعاد ثقافية وإنسانية.

– فما محل المواطنة اللغوية من الحضور والوجود في الجزائر؟ وهل فعلا لدينا مواطنة لغوية ديموقراطية حقيقية في الجزائر؟

– وفيم تمثلت جهود الدكتور صالح بلعيد من أجل ترسيخ المواطنة اللغوية في الجزائر؟

– وما دور المجلس الأعلى للغة العربية في تحقيق مبادئ المواطنة اللغوية باعتباره مؤسسة دستورية؟

أولا/ المواطنة اللغوية من منظور صالح بلعيد:

تعرف المواطنة اللغوية عند صالح بلعيد بأنها "استعمال اللسان الوطني في كل المؤسسات والأماكن العامة، وقضاء المصالح الإدارية.." [2] وهي فضاء لغوي ممتد تأخذ فيه اللغة الرسمية النصيب الأوفى.." انطلاقا من أن تربية المواطنة تحصل أولا باللغة الرسمية وعدم احتقار الوطنية، وتعزيز الثقافة الوطنية، وبث الوعي بتاريخ الوطن وانجازاته والاهتمام بمختلف الأنشطة الثقافية..."[3]

وهناك علاقة بين مفهوم المواطنة ومفهوم الثقافة الوطنية " وهي علاقة مشاركة إبداعية في خلق فضاء وطني جديد متجدد يتجنب العزلة والانكفاء، ويحارب التعصب والشوفينية، ويؤسس للاندماج والوحدة على قاعدة الديمقراطية واحترام التعدد وصيانة حقوق الإنسان"[4]

ثانيا/ الوعي اللغوي ودوره الحضاري:

يبدأ صالح بلعيد كلامه عن المواطنة اللغوية بإبراز دور الوعي اللغوي في استنهاض الهمم ومعرفة الأمم للغاتها وفكرها وحضاراتها " فالوعي اللغوي هي القيمة العليا للتاريخ الإنساني باعتباره ليس هو الحضارة المادية كمكان، وإنما هو الحضارة الروحية في كل زمان ومكان فهو الذي يحررنا من أوهام عالقة في مخزون ذاكرتنا الجمعية ويعمل على إثبات أن الوجود حقيقة جمالية ثابتة، وأن الأشياء لها وقعها وان اللغة لم تكن عبثا..."[5]

فالنهوض العقلاني كما يقول صالح بلعيد " يتطلب وعيا لغويا منفتحا على حقائق ذاتية مستترة، أو مسكوت عنها، فبقدر ما ينمو الوعي اللغوي باللغة الوطنية تكبر الحضارة ونكبر فيها وبها... وكانت معظم الشعوب تتخذ من الوعي اللغوي أبرز مقومات وجودها الروحي والمادي.."[6].

والوعي الذي يتحدث عنه صالح بلعيد يتعلق بأهمية اللغة الوطنية فهو الذي يضمن الأمن اللغوي في مرحلة التطور العلمي والمعلوماتي وتعدد وسائل الاتصال.

والحوار الذي لا يحصل به الإلغاء إلا بوعي الذات لخصائصها التراثية والمستقبلية " حوار ينبني على الوعي بالذات والوعي بالآخر لفهمه والاقتراب منه

ويتحلى بالموضوعية وحسن النية، هو وحده الكفيل بتدعيم هذه المسيرة من التحديات وهو الوحيد الذي يشهد المتقبل بمصداقيته وجدواه.."[7]

وانّ الوعي اللغوي حسب صالح بلعيد " يمكننا من فهم العالم وتملكه معرفيا والوعي لا يحصل إلا بمعرفة ما يمكن أن تحققه اللغة الرسمية / الوطنية من تطور حضاري، وكيف تجعل المجتمع منتجا وليس مستهلكا فقط.."[8].

ويذكر صالح بلعيد أهمية الوعي اللغوي قبل أي تخطيط لغوي ولا مقاربة لغوية فينبه متألما موجها خطابه لقومه وأمته قائلا: " ويا ليت أقوامنا يعلمون ما في العربية من حماية لكل أشكال الثقافة الوطنية وهي أساس كل نضال وبعد لغوي ووطني ومن ليس له بعد لغوي ووطني ليس له بعد معرفي وبالتالي ليس له بعد ذاتي وليس له استقلالية..."[9]

وبفضل الوعي اللغوي تتم الحاجة إلى " تحصيننا من الاختراقات الخارجية في عالم يحطم الحدود وينمط الحياة ويحول كل شيئ إلى سلعة تباع وتشترى.... ويجب العمل على إثبات قدرة اللغة العربية للتصدي لكافة أشكال التحديات العلمية والعربية في هذه المواقف المعاصرة أمام متهالكي أصحابها بين كشف ومكشوف.... فهي في موقف لغوي يظل على الدوام ذاتا متوترة مندفعة تحت ضغط قوة جوانية متحفزة وانخراط قسري يعج بالرؤى وبالاحتقار الداخلي "[10]... فهل يمكن للغة أن تعزّ إذا لم يعزها قومها...

وتزداد الحاجة لوعي لغوي لأننا " في نظام عولمي ينتج تغيرا للمفاهيم باستمرار ويعمل على تبدل المناهج ويضع الخصوصيات في أزمة خيارات بين الانعزال عن الحداثة أو الاستلاب بنظام مهيمن، نظام لغوي يسوق الشعوب إلى حافة التبعية لنظام لغوي وثقافي تطبيقي يفقد المجتمعات هويتها..."[11]، ولكن من يفلح أمام هذه التغيرات هو من يعتز بلغته ويعمل على ارتقائها .. نفهم من هذا أن التحدي القادم يكمن في الوعي اللغوي في إطار التحصين والانفتاح على الآخر.

ثالثا/ رسمية اللغة العربية ومضايقاتها أو الغربة اللغوية الوطنية:

تعرف اللغة الرسمية بأنها لغة الدستور، ولغة قوانين الدولة في جميع البلاد، ولا يعني وجود اللغة الرسمية منع اللغات الوطنية من التواجد، أو منع الاستعمال التربوي والعلمي للغات الأجنبية، " بل اللغة الرسمية يقصد بها لغة الإدارة والخطاب السياسي، ولغة الإجماع، باعتبارها من مقومات شخصية الأمة واستقلالها وسيادتها..."[12] وتتحقق رسمية اللغة بأن تحصل اللغة العربية على أعلى مكانة " بتعميمها وملازمة القرار الإلزامي ملازمة صارمة للمؤسسات التي تعمل على تعليمها والعمل بها"[13]، وهذا طبعا ضمن النصوص الوطنية الضامنة للحقوق اللغوية للغة الرسمية في أي بلد كان... فهي من الحقوق الشخصية المتعلقة بحق الإنسان في :" استعمال اللغة الأم في حياته الخاصة، وممارساته الثقافية والدينية ونقلها إلى ذريته، وبحقه في تعلم اللغة الرسمية للبلاد اذا كانت مخالفة للغة الأم..."[14]

ويتفق صالح بلعيد مع جميع الباحثين في أن السلطة السياسية هي التي تحافظ على حسن التطبيق وحسن ارتقاء اللغة الرسمية بوصفها لصيقة بمجتمعها، فالمواطن يعشق لغته إذا شاهد مؤسسات الدولة تعلي من شأنها ولا تشكك فيها كما يقول صالح بلعيد.

إنّ سؤال اللغة الرسمية في راهنها وفي مستقبلها بالنسبة لصالح بلعيد " يعود إلى تأكيد القول بأن أية لغة ليست وسيلة اتصال فقط، بل هي تواصل فكري وعاطفي بين الناس، ولها وجود قومي وحضاري لا يقتصر على نشاط الإنسان في الماضي، بل يتجاوز ذلك إلى الحاضر والمستقبل.."[15] فالعربية أداة من أدوات المستقبل وهي اللغة الجامعة ولغة البناء المعاصر. حيث يقول المختصون بأن للغة عدة وظائف " منها التبليغ والتعبير والايعاز والتواصل... وأهم وظيفة هي وظيفة التنمية الاقتصادية والتنمية الاجتماعية (مجتمع معرفة) على اعتبار أنها الوجه الأخر لعملة الثقافة فهي التي تدون بها ثمار العقول وتحفظ تراث الأمة وتنقله للأجيال..."[16]، والذي يهم في هذا المجال أن تكون اللغة الرسمية ذات معايير مثلى من حيث[17]:

- **لغة دستور- لغة الأغلبية**
- **لغة الوطنية المشتركة - لغة المواطنة اللغوية**
- **لغة موحدة لمختلف المكونات المجتمعية**
- **لغة انفتاح جهوي وعالمي**

بالإضافة للمعايير الواجب توفرها في اللغة الرسمية تملك أيضا حقوقا أقـرّ بهـا المختصون استنادا واعتمادا على عوامل الهوية والمسـاواة والتـاريخ المشـترك... وحُدِدت هذه الحقوق في[18]:

- **حق اللغة الرسمية في الوجود والاستعمال العفوي؛**
- **حق اللغة الرسمية في التعميم؛**
- **حق اللغة الرسمية في الحماية؛**
- **حق اللغة الرسمية في استعمالها في التعليم؛**
- **حق اللغة الرسمية في استعمالها في الإعلام؛**
- **حق اللغة الرسمية في استعمالها في الإدارة.**

انطلاقا من هنا يتوجب علينا كما يقول صالح بلعيد " معرفة ما للغة مـن أهميـة جمالية ونفعية من حيث شكلها ومضمونها وامتيازها عن باقي اللغـات فـي كثافـة مفرداتها وتعدد صياغاتها وعمق دلالاتها وغزارة رموزها والمرونة في اسـتخدامها وقابليتها للتطور.. ولا ينبغي فراقها مهما حالت الحوائل، كما ينبغي عـدم التشـكيك فيها أو احتقارها؛ لأن ذلك هو باب التشكيك في الهوية.."[19]، وهذا مما جعلها عرضة **لمضايقات** من بني جلدتها وأبنائها وأهلها " الفاشلين الـذين لا يبـذلون جهـدا فـي تطويرها، فهم يستهلكون الجاهز مما تنتجه اللغات الأخـرى، فلـم يقـدموا الحلـول النوعية لعقم مناهج تدريسها ولا يستعملون الفصحى إلا في مقامات ضـيقة خاصـة إضافة إلى المشكلات الديداكتيكية.."[20] المختلفة، بالإضافة لصعوبات أخرى منها[21]:

غياب الشكل/ نقص في الترجمة والتأليف/ نقص في كتـب قواعـد معاصـرة/ اضطراب في المصطلح/ ضعف ادارة المسألة اللغوية/ افتقارها إلى سياسـة لغويـة كافية/ العداء الداخلي والخارجي/ ضعف الارادة السياسية.

لكن هذه المضايقات والصعوبات يمكن أن تحلّ في نظر صالح بلعيد " إذا وقع الاهتمام بها وتجسدت لغة مركزية بتأهيل متكلميها إبلاغا وثقافة ومعرفة؛ بهدف تعزيز الهوية والوعي بأن العربية في تنوعها ومستوياتها هي كُلّ يمثل الهوية اللغوية للمواطن"[22]. وتمثل أيضا هويته الفكرية والحضارية.

رابعا/ مسألة الدارجة وحضورها الودي في المواطنة اللغوية:

الدارجة أو اللهجة أو العامية: وهي التي تستخدم في الشؤون العادية، فهي عبارة عن " مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة"[23]، أو هي " نمط من الاستخدام اللغوي داخل اللغة الواحدة يتميز عن غيره من الأنماط داخل نفس اللغة بجملة من الخصائص اللغوية الخاصة ويشترك معها في جملة من الخصائص العامة.."[24]، فالعلاقة إذن بين اللهجة واللغة هي علاقة عموم وخصوص، حيث تشمل اللغة الواحدة عدة لهجات متباينة في خصائصها اللغوية مع اشتراكها في صفات لغوية أخرى..[25]

يعتبر الدكتور صالح بلعيد اللهجات " واقعا ومستوى لغويا أدنى، واستعمالا وظيفيا تخفيفيا لا بد منه، ولا تعمل على التخلف اللغوي مطلقا.."[26]، ولا يجد الباحث صالح بلعيد أي مشكلة اجتماعية أدت إلى خراب المجتمع من وجود اللهجات، لكن في نظره " وُجِد الخراب الاجتماعي من غزو اللغات الأجنبية في المجتمعات الضعيفة.."[27]

تتمثل مقاربة صالح بلعيد لحضور الدارجة (العامية أو اللهجات) في هذا الجدال اللغوي، ومكانتها ودورها في ترسيخ وتحقيق المواطنة اللغوية في الجزائر، فيما يلي[28]:

_ أولا يعتبر أن أطروحة وجود اللهجة يعمل على إضعاف اللغة هي أكذوبة صدقناها، فالتحريات الميدانية أبانت عن عدم صدق تلك المقولات والأكذوبات فالعربية " لا تريد شرطة لغوية تمنع الناس من توظيف اللهجات أو استحداث ألفاظ جديدة..."[29]

_ ويحذر بأننا يجب التنبه إلى ضرورة الخروج من الأقوال الشاذة والأحكام الهلامية الخالية من التحديد..

_ العربية الدارجة بالنسبة لصالح بلعيد غنية بألفاظ القرآن الكريم وتراكيبه (باسم الله، ما شاء الله، يا رحمان يا رحيم)، ولا نجد أي مواطن لا تحضر هذه الألفاظ العربية الفصيحة في عاميته.

_ العامية من منظور صالح بلعيد **لا يمكن أن تُقصى**؛ " فهي **داعمة للعربية** عبر الوظائف الحياتية والوجدانية"[30].

_ الدارجة مكملة لمقامات أنسية تتطلب التخفيف.

_ هذا الإقرار بما للعامية من فضل يستوجب معه أيضا " الأخذ ببعض ألفاظها التي عدلت عن الفصحى، ومحاولة ترقيتها لتعود إلى فصاحتها.

_ تطهير اللغة من الألفاظ الأجنبية لا من الألفاظ العامية التي هي من اللغة الفصحى.

_ يعتبر أيضا أنه من العبث أن نعود مرة أخرى إلى ثنائية الفصحى والعامية، فلم تعد قضية تستحق الاهتمام والعناية.

خامسا/ الهوية الجزائرية والمواطنة اللغوية

يربط الدكتور صالح بلعيد لتحقيق وترسيخ المواطنة اللغوية بين الهوية الجزائرية بأبعادها المختلفة وأشكالها المتعددة، خاصة ما تعلق منها بالبعد اللغوي والحضاري والفكري، فقد احتضنت الجزائر وبلاد الشمال الإفريقي منذ القرون الأولى للفتوحات الإسلامية وما بعدها القرآن ولغة القرآن وجعلوها جزءا من هويتهم وشخصيتهم، " وصار استعمال اللسان العربي من شعائر الإسلام في بلاد المغرب والأندلس، وهذا بُعد عميق فهمه أجدادنا في إيمانهم فتخلوا عن أنانيتهم وعن الفهم الضيق لحدود الهوية المرتبطة بالدم والعرق والإقليم الجغرافي..."[31]، وانصهر المجتمع الأمازيغي مع العربي وعملا مع بعض على تكوين الهوية الوطنية بمختلف أبعادها؛ حيث " أسهموا جميعا في تطوير الفصحى، وإحلالها المكانة اللائقة، وتولّد عن هذا إشباع هوية ثنائية متجانسة أضحت واحدة، وأصبحت بعد ذلك اللغة العربية مكونا مهما

للشعب الجزائري، واستقرت في أذهانهم، وأعلوا من شأنها منذ أن دخل الإسلام هذه الديار.. فلا توجد دار أو قرية في وقت الاستعمار لا يدرس فيها القرآن الكريم.. كما كانت لغة التجارة والاكتتاب قبل دخول فرنسا مما أدى إلى انتشارها وتعميق جذورها في سائر أنحاء الجزائر.."[32]

رغم ما واجهته الهوية الجزائرية من التحديات والصعوبات والاختراقات التي تريد التشكيك فيها والنيل منها لكنها خرجت متماسكة وستضل متماسكة أمام التحديات المعاصرة، بل هي مصدر القوة في كل المعارك التي تفرض عليه من الداخل أو الخارج، فكانت اللغة الجامعة والموحدة العاملة على التماسك الاجتماعي وتساوي الفرص أمام الجميع.

ولكن ورغم ذلك يلزمنا – كما يقول الباحث صالح بلعيد – حوار ثقافي جاد ينبغي أن يسود بيننا، " حوار يدعم مسيرة البلاد في مواجهة تحدي العولمة في شقها الاقتصادي والثقافي والإعلامي، وبقدر ما يحصل الحوار ستترسم المعالم الهوياتية وتقوى وتضاف إليها الأشياء الجدية "[33]. في سبيل رؤية هوياتية موحدة جامعة تعطي وتسهم في ترسيخ مواطنة لغوية متماسكة.

ويُعَدد الدكتور صالح بلعيد أهم الإنجازات والجهود التي زادت من تمتين الهوية اللغوية للجزائر بمساهمة أو تحت لواء علمائنا (الأمازيغ) الذين عمّقوا مفاهيم الهوية وأضافوا لها أشياء، يقول: " ألم يحافظوا على الدين وينشروه داخليا وخارجيا، ألم يعلوا من قيمة العربية، ألم يضيفوا لها الأرقام العربية، والأجرومية والألفية، والمتون اللغوية، وتأسيس المدارس، وإنشاء الزوايا والطرائق الصوفية، ألم تكن دولة بني زيان ودولة المرابطين ودولة الحفصيين، ودولة بني عبد الواد، وكل الأسر الأمازيغية التي حكمت الشمال الإفريقي، هي التي أعلت من العربية، وأنتجت تصاهرا خليطا.."[34]، ولذا أصبح الآن الحديث صعبا عن ثقافة مازيغية خاصة، أو ثقافة عربية تتماز عن المازيغية، فقد تداخلت العناصر والمكونات المختلفة، وتكاملت فيما بينها وتمازجت، فلا فصام بينها.

سادسا/ مواطنة اللغة المازيغية:

تتمثل مقاربة الدكتور صالح بلعيد لمسألة مواطنة اللغة المازيغية في النقاط الآتية:

_ اللغة المازيغية طرف من أطراف المعادلة اللغوية التي تشكل حضورا متميزا في القطر الجزائري –بالإضافة للغة العربية الرسمية واللغة الأجنبية–. لذلك وجب إيلاؤها الأهمية اللازمة والرعاية السياسية والاجتماعية المطلوبة.

_ إنّ **العربية ليست في موقع تنافس مع المازيغية**، بل هي " في موقف صراع مع الفرنسية لأنها احتلت مواقعهما، وخلقت ازدواجية مفروضة.."[35]

_ أولا يعتبر الدكتور صالح بلعيد الترسيم الدستوري لها كلغة وطنية مكسب وإنجاز للوطن:" البناء الدستوري والذي حصل بالفعل عن طريق الاعتراف بها كلغة وطنية، وهذا مكسب وإنجاز مهم للوطن؛ خاصة إدماجها في المدرسة؛ وهو اعتراف استراتيجي يعيد للجزائري قدراته على بناء الذات والتفاعل الايجابي مع المحيط التربوي على اعتبار أنها جزء أساس لمنظومة الحقوق الثقافية واللغوية "[36].

_ يعتبر أيضا أنّ الاعتراف بالمازيغية " زاد من متانة لحمة الشعب الجزائري ويدخل هذا في إطار الحق القانوني للغة الأم "[37]

_ يوضح أن هذا الاعتراف والترسيم لا يشكل خطرا على اللغة الرسمية، " بقدر ما يعلي من شأنها، لأن لكل لغة وظيفة اجتماعية وسياسية محددة، وما علينا إلا تمتين هذا الرباط الذي أقامه الإسلام منذ قرون"[38].

_ فليس هناك أي خطر في تدريس المازيغية، لكن الخطر في نظر الدكتور صالح بلعيد " يكمن في التعصب والإلغاء وفرض الرأي الآحاد..."[39] .

_ يعتبر كذلك أنّ اللغة العربية كلغة رسمية والمازيغية كلغة وطنية لا تتناقض بينهما، ومن خلال هذا الإدماج " يمكن تحقيق جملة من الاعتبارات المهمة على درب المصالحة الوطنية، وتتمثل هذه الاعتبارات في استتباب الأمن اللغوي والسلم الثقافي، وفي توسيع دائرة المشاركة السياسية، وفي ترسيخ المواطنة الثقافية واللغوية وكذلك تقوية الوحدة الوطنية."[40]

_ يجعل الدكتور صالح بلعيد حقيقة هذا الإدماج الفعلي والودي بين اللغة الرسمية والوطنية بالرهان اللغوي الذي "إذا استطاعت المدرسة الجزائرية استيعابه فسوف تحصل انطلاقة ثقافية وعلمية نوعية، وهو التوفيق بين اللغة الرسمية واللغة الوطنية في إطار أن تأخذ كل واحدة حقها، وفي إطار التكامل المعرفي والتنوع الثقافي."[41]

_ ويضيف أننا إذا أردناها مصالحة عميقة جادة بينهما " فلا يجب النظر للمازيغية من منظور الجهة/ الجهوية، بل من منظور المسألة الحضارية والوطنية على اعتبار أنها مسألة الجميع، ومن هنا فنحن مطالبون بالاهتمام بها جميعا كجزائريين وفي كل ولايات الوطن"[42]

_ محاولة إرساء إستراتيجية للتعامل اللغوي بين لغة رسمية ولغة وطنية.

_ إنّ التصاهر والانسجام الوطني خلق وشائج القربى على تلك الروح الطيبة الجزائرية من السلم والوئام والتلاحم والتعايش والتكامل التي دامت بدوام الإسلام عبر فترة تزيد على أربعة عشر قرنا.

_ ويستغرب الدكتور صالح بلعيد في توقيت طرح قضية الهوية الجزائرية وبأنها مجزأة إلى عرب وأمازيغ والمسألة وما فيها عنده " هي إثارة النعرات التي تغذيها الفرانكفونية باعتماد التعريب الذي حلّ محل المازيغية، ولم تظهر الحقيقة التي هي من أسباب اللغة الفرنسية التي أخذت كل شيء، وهل نالت العربية مواقعها الحقيقية لا الورقية..."[43]

_ ويحاول الدكتور تصحيح مسار هذه القضية فيقول:" أليس من الأجدى للمازيغية أن تقف في خندق واحد مع العربية لمواجهة إخطبوط الفرانكوفونية الذي سوف يقضي عليها إذا لم يتحدا، وتحويل المعركة الخارجية إلى معركة داخلية، وتحويل أوهام إلى حقائق..."[44]

_ والأخطر في ذلك يوضح الدكتور صالح بلعيد أن مسألة اللغة المازيغية لا يجب أن تطرح " بصيغة الحقوق اللغوية للأقليات بل بصيغة الحقوق اللغوية للشعب الجزائري عامة؛ لأنه لا توجد أقليات في المجتمع الجزائري"[45]، فلا تمييز لغويا في مجتمعنا.

سابعا/ الوصفة العلاجية:

بعد الحديث عن المواطنة وأخواتها كما يسميها الدكتور صالح بلعيد، عن مضايقاتها معوقاتها سبل ترقيتها والنهوض بها، وجب إعطاء البديل ووصف الدواء والعلاج، في ذلك يقترح صالح بلعيد وصفة علاجية مفادها:

_ ضمان رسمية اللغة العربية على أساس " خطط وسياسيات محكمة للقضاء على الميز العنصري"[46]؛

_ وجوب تفعيل التعريب وجعله فاعلا على أساس رسمية اللغة العربية؛

_ وجوب حماية اللغة العربية – تحت كل الظروف – دون إدعاء أي صعوبات تقنية وتربوية؛

_ المناداة بالخصوصية اللغوية دون انعزال لغوي وثقافي.

_ يقول الباحث صالح بلعيد: " **ما أحوجنا اليوم إلى الاهتمام باللغة الرسمية (العربية) كأداة تواصل وتفكير وانفتاح على التقانات المعاصرة، وما أحوجنا إلى مراجعة الذات للقضاء على عقدة التخلف، واحترام قانون التنوع الثقافي اللساني التراتبي، ما أحوجنا في هذه المرحلة إلى الانخراط بسلاح الهوية القائمة على ثوابت الدين واللغة والتراث ومواكبة الجديد والانخراط في حركة الحداثة، وتشجيع البحث اللساني والتربوي.. وتجنيد المجتمع المدني لحماية المكتسبات اللغوية العربية..**"[47]، لقد لخص الدكتور صالح بلعيد من خلال هذا الاقتباس الداء والدواء المشكل وحله، وأعلى الحلول اللازمة والتي لو التزمت بها السلطة السياسية صاحبة القرار لخرجنا من هذا الوضع اللغوي المتأزم، فقد قدّم حلولا علاجا لمعظم المشكلات التي تقف عقبة كئود في سبيل تعايش لغوي سليم في الجزائر، من أجل تحقيق وترسيخ مواطنة ديمقراطية لغوية متسامحة ومتصالحة مع الجميع.

وقد جعل الدكتور صالح بلعيد هذه الوصفة وفق هذا السلم التراتبي العلمي، وفق مقتضيات ما تتطلبه كل لغة[48]:

اللغة الرسمية = العربية ⇩

اللغة الوطنية المازيغيات ⇩

اللغات الأجنبية (بصيغة الجمع)

فأطراف هذه الوصفة العلاجية ثلاثة هي:

1- اللغة العربية: وجب تعميمها والعمل بها في مختلف المرافق، وتكون لغة التعليم في مختلف المراحل التعليمية، ولغة الإدارة، ولغة الإعلام، ويتم العمل على ترقيتها داخليا وخارجيا كما يقول صالح بلعيد.

2- المازيغيات: " تعليمها خارج الزمن المحدد للغة الرسمية في مناطقها، كل منطقة تتعلم أداءها وثقافتها وتراثها، وفي وطننا هناك ستّة آداءات وهي: قبائلية. شاوية. ميزابية. ترقية. شنوية. شلحية. ولا يجب ان تكون هذه اللغات إجبارية خارج مناطقها وتعمل الدولة على حماية المازيغيات وثقافاتها"[49].

3- اللغات الأجنبية: العمل باللغات التي لها تقدم علمي، وأن يتأخر تعليمها إلى ما بعد الرابعة ابتدائي، ويكون لولي التلميذ الخيار في اللغة التي يرغب أن يتعلمها ابنه.. ولا يجب أن نقع فريسة للغة واحدة، بل أن نعمل بسياسة النفعية اللغوية "[50] فحيث وجدت مصلحتُنا في لغة انتفعنا بها وعملنا بها.

<u>ثامنا/ مشاريع المجلس الأعلى للغة العربية ودورها في تعزيز المواطنة اللغوية:</u>

من خلال هذا الجزء من البحث سنحاول الحديث عن أهم النشاطات الثقافية والفكرية واللغوية[51] التي لها علاقة بالمواطنة اللغوية في الجزائر..

يؤكد رئيس المجلس الأعلى للغة العربية، صالح بلعيد في كل مناسبة ولقاء أن هيئته ترمي إلى "تكريس المواطنة اللغوية" بالتنسيق مع مختلف القطاعات، خاصة في مجالات البحث العلمي و التربية و الإعلام."[52]

وأوضح السيد بلعيد أن المجلس الأعلى للغة العربية الذي يترأسه منذ نحو سنة والذي أضحى هيئة دستورية يرمي إلى تجسيد ثلاثة أهداف رئيسية تتمثل في "العمل

على ازدهار اللغة العربية، وتعميم استعمالها في العلوم والتكنولوجيا، فضلا عن تفعيل الترجمة من اللغات الأجنبية الى العربية"[53].

وكما نلاحظ فكلها نشاطات تثبت اهتمام المجلس الأعلى باللغة العربية وازدهارها وضرورة مواكبتها للتطور العلمي والتكنولوجي، مما يمكن من تحقيق الانسجام والتكامل اللغوي والعلمي والمعرفي بين اللغة كأداة للتواصل والتعبير واللغة بما تقدمه من خدمات علمية ومعرفية.

غير أن غايته الأسمى تبقى " تكريس المواطنة اللغوية " وذلك بالتنسيق مع مختلف القطاعات، وبوجه أخص البحث العلمي والتربية والإعلام.

مهام المجلس كما جاءت في الموقع الالكتروني[54]:

تأسيس اللّجان:

تم تنصيب لجان عمل أساسية تِباعاً؛ ابتداءً من 2016/09/26 :

- لجنة تعميم استعمال العربية في العلوم والتكنولوجيا؛ وهدفها: اقتراح مقاربة لتعميم العربية في العلوم والتكنولوجيا؛
- لجنة التّرجمة، وهدفها: وضع مقاربة لاستراتيجيّة التّرجمة إلى العربيّة في الجزائر؛
- لجنة ازدهار اللّغة العربيّة، وهدفها: وضع مقاربة علميّة لازدهار اللّغة العربيّة.

اللّجان الفرعية:

- لجنة السياحة؛
- لجنة الفلاحة؛
- لجنة تطوير برمجيّات اللّغة العربية مع cerist ؛
- لجنة المدوّنين؛
- لجنة الأخطاء اللغوية في وثائق الحالة المدنية.

سنستعرض في هذه المحطة **أهم النشاطات المتعلقة بتكريس وترسيخ قيم المواطنة اللغوية:**

1. <u>ملتقى وطني حول اللغة العربية والتقانات الجديدة:</u> <u>03 أفريل 2018</u>

وانعقد هذا الملتقى بمناسبة إحياء الذكرى العشرين (20) لتأسيس المجلس الأعلى للغة العربية أقام المجلس الأعلى للغة العربية ملتقى يستهدف منه السماع ومناقشة الأفكار التي تأتي من المختصّين، كما عرض المجلس تجارب ناجحة في المعالجة الآلية للغة العربية، ويقدّم دراسات، حول واقع ومستقبل اللغة العربية في الوسائط الحديثة، وكيف نستغلّ هذه التكنولوجيات لترقية استعمال اللغة العربية؛ بغرض الوصول إلى الرفع من القيمة المضافة لعِلْمِيَة العربية.

ومن <u>محاوره</u> كما يلي:

- التكنولوجيات الحديثة ودورها في تعليم اللغة العربية؛
- المحلّل الصّرفي+ والنّحوي بالعربية؛
- التخزين المعلوماتي بالبرمجيات في العربية؛
- الطفرات التقنية في اللغات العالمية، ومدى الاستفادة منها في العربية؛
- الواقع والمأمول للغة العربية في شبكات التّواصل الاجتماعيّ؛
- المعالجة الآلية للغة العربية؛
- اللغة العربية الفصحى واللهجات العربية في الشّابكة؛
- علمية العربية؛
- اقتراح أفكار في رفع تحدّي المضايقات التقنية في اللغة العربية.

هي كلها محاور تسهم في معرفة وضع اللغة العربية مع التقانات الحديثة، مما يكشف استفادة اللغة العربية من هذه التقانات التكنولوجية الحديثة ودورها في تطوير اللغة العربية علميا وتعليميا وتواصليا.

2. <u>الملتقى الدولي الأول حول: اللغة العربية في وسائل الإعـلام والمـدونات الإلكترونية عقبات وحلول-</u>

والذي نظمته جامعة البويرة بمساهمة المجلس الأعلى للغة العربية يومي 13و14 مارس 2018 بمقر جامعة البويرة.

حيث يحكي عنوان الملتقى الدولي عن وضعية اللغة العربية واقعها وراهنها مـع وسائل الإعلام والمدونات الإلكترونية، باحثا في العقبات والحلول التي تسهم بشكل أو بآخر في الاهتمام باللغة العربية في وسائل الإعلام الورقية والالكترونية.

3. <u>الندوة: دور المكتبات الرّقميّة في النّهوض بالمحتوى الرّقميّ باللّغة العربيّة</u>

وذلك يوم 15 جويلية 2018 (الجزائر العاصمة).

وتهدف الندوة عبر محاورها، تقييم التجارب الناجحة للمكتبـات الرقميـة باللغـة العربية على الشّابكة وتجارب استعمالها في مجالات التّربية والتّعليم بجميع أطـواره كما تهدف إلى إلقاء الضّوء على دور هذه المكتبات في النّهوض بـالعلوم الإنسـانية التي ما فتئت تلقى صعوبات مختلفة في مواكبة الركب التكنولوجيّ.

محاور النّدوة:

-المكتبات الرّقمية باللغة العربية: تجارب ناجحة؛

-دور المكتبات الرّقمية باللغة العربية في البحث في مجالات العلوم الإنسانية؛

-دور المكتبات الرقمية في التّربية والتّعليم في الجزائر؛

-عوائق استعمال المكتبات الرقمية باللغة العربية.

حيث حملت المداخلات المقدمة خلال الملتقى العلمي تنوعا وثـراءً، خـدم فـي مجمله موضوع الملتقى والذي يهدف إبراز فضل التوثيق الرقمي للمكتبات في إثراء ودعم المحتوى المعرفي الرقمي باللغة العربية، من أهم المداخلات وجدنا:

_ الحمولة المعرفية والعلمية للمكتبات الجامعية الرقمية للأستاذة جميلة روقاب

_ المكتبات الرقمية في الجزائر ودورها في دعم ونشر الإنتـاج العلمـي باللغـة العربية (المكتبة الرقمية لديوان المطبوعات الجامعية نموذجـا) للأسـتاذين: محمـد بوقاسم وحسين حني.

4. ملتقى: التّعايش اللّغويّ في الجزائر بين العربيّة والمازيغيّة في ظلّ التّعديل الدّستوريّ الجديد 27-28 نوفمبر 2018

لقد سارت الدّولة الجزائريّة خطوات جادّة في سبيل تحقيق التّعايش اللّغويّ بين اللّغات الوطنيّة المتعايشة على أرض الوطن، في إعادة رسم سياستها اللّغويّة من خلال التّعديل الدّستوري الجديد المؤرّخ في 06 مارس 2016م، والقاضي في مادّته الرّابعة بأنّ "تمازيغت هي كذلك لغة وطنيّة ورسميّة" والذي تمّ من خلاله للمازيغيّة اعتلاء منزلة الرّسمية جنبا إلى جنب مع العربيّة. وإنّه آن الأوان أنْ ننظر إلى هذا القرار بمنطق العقل، والعلم، والحكمة، بحيث نجعل من هذا التّعدد والتّنوع أساسا لبناء مجتمع متطوّر علميّا وحضاريّا. ويعالج بهذا موضوع هذا الملتقى موضوعا إنسانيا، وحضاريّا، وأساسيا في حياة المجتمعات المتعدّدة اللّغات، من خلال البحث في سبل تحقيق التّعايش اللّغويّ الدّائم بين العربيّة والمازيغيّة واستثمار هاتين اللّغتين الرّسميتين في التّطوير في مختلف مجالات الحياة، وهذا بعلمنا أنّ إحداهما يمكن أن تكمّل الأخرى، فكما يمكن للّغات الأجنبيّة أن تعوض العربيّة عمّا ينقصها من مصطلحات في مختلف مجالات العلوم، بالشّكل الذي يجعلها وظيفيّة في مختلف مجالات الحياة، يمكن كذلك للعربيّة أن تعوِّض ما ينقص اللّغة المازيغيّة من هذه المصطلحات في مختلف المجالات، والعكس صحيح.

من أهداف الملتقى:

-التّعريف بجهود الدّولة الجزائريّة في تحقيق التّعايش اللّغويّ؛

-استشراف مستقبل اللّغتين الرّسميّتين العربيّة والمازيغيّة في ظلّ التّعديل الدّستوريّ الجديد؛

-وضع تخطيط تربويّ مُحْكَم لتعليم اللّغتين العربيّة والمازيغيّة، يتماشى وإمكانات الدّولة الجزائريّة؛

-وضع مخطّط عمليّ لحركة التّرجمة من اللّغات الأجنبيّة إلى اللّغتين العربيّة والمازيغيّة من جهة، وبين العربيّة والمازيغيّة من جهة أخرى.

-الاستفادة من خبرات الدّول في وضع المُخطَّطات التّربويّة لتعليم اللّغات الوطنيّة؛

-وضع خطّة مُوحَّدة تضبط المؤسَّسات اللّغويّة الجزائريّة الّتي تَسْهَرُ على ترقية اللّغات الوطنيّة، لتطوير اللّغات.

محاور الملتقى: يتناول هذا الملتقى جملة من المحاور المُتعلِّقة بموضوع التّعايش اللّغويّ، هي:

-تحديد مفاهيم المصطلحات الخاصّة بموضوع التّعايش اللّغويّ: التّعايش اللّغويّ، الصّراع اللّغويّ، حرب اللّغات، التّدخل اللّغويّ، التّهيئة اللّغويّة، التّخطيط اللّغويّ، السّياسة اللّغويّة.

-التّجربة الجزائريّة نموذجا للتّعايش اللّغويّ؛

-جهود الدّولة الجزائريّة في حماية الحقوق اللّغويّة لمواطنيها؛

-توطين المعرفة باللّغتين العربيّة والمازيغيّة: الأسس والآليات؛

-تحدّيات اللّغتين الوطنيتين العربيّة والمازيغيّة في ظلّ التّقنيّات المعاصرة؛

-التّرجمة بين العربيّة والمازيغيّة؛

-دور المؤسّسات اللّغويّة الجزائريّة في النّهوض باللّغتين العربيّة والمازيغيّة؛

-اللّغات الوطنيّة والاقتصاد: الاستثمار في اللّغات الوطنيّة، التّعدّد اللغويّ وتأثيره على دخل الفرد، اللّغة والصّناعة، اللّغة والأسواق التّجاريّة المحليّة والعالميّة.

5. الملتقى الوطني حول: ملامح وحدة المجتمع الجزائري من خلال الواقع اللّغوي الأنوماستكي الطوبونيمي في مجتمع المعرفة.

يومي 05/04 نوفمبر 2018 م.

حيث جاء هذا الملتقى استجابة لتحيّين مقوماتنا الدّينيّة والاجتماعيّة واللّغويّة والحضاريّة يستدعى البحث في علم التّسمية الإنسانية والمكانية في الجزائر لمواجهة تمظهرات العولمة التي تسّم مجتمع المعرفة الذي نعيش إرهاصاته.

تكتسي الدراسات في البحث عن دواعي تسمية أعلام الأشخاص وأعلام الأماكن أهمية كبيرة في مجال التّأصيل اللّغوي لأسماء الأشخاص / الأماكن، وعلاقتها

الوثيقة بالضمير الجمعي للمجتمع الجزائري، وفي سياق الدعوة الجماعيـــة للمجتمـــع الجزائري لتلحيم نسيجه بإسمنت ملامح وحدته المنبثقة أساسا مـــن تســـمية الأفـــراد وعلاقة تلك التّسمية بالمكان المعبّر عنهما في الدراسات الأكاديميّـــة عـــن الأولـــى بالأنوماستيك/ الطوبونيمية/ الأماكنيّة/ الموقعيّة فمن المسترعي للنظـــر هـــو مـــدى ارتباط الفرد الجزائريّ بمجتمعه، وارتباطه بالمكان، منذ وجوده..

6. **ملخص لكتب وأعمال الندوات والملتقيات الدولية والوطنية**

الدولية:

التعدد اللساني الجزء الأول

مكانة العربية في الوطنية الجزائرية

الفصحى وعاميتها

مساهمة اللغة العربية في التضامن والتواصل بين أقطار المغرب العربي

اللغة العربية في تكنولوجيا المعلوميات

الطريق إلى مجتمع المعرفة

الوطنية:

إزدهار اللغة العربية– الآليات والتحديات

البرمجيات التطبيقية

أهمية الترجمة وشروط إحيائها

جهود ترجمة معاني القرآن الكريم

مستقبل اللغة العربية في سوق اللغات.

مظاهر وحدة المجتمع الجزائري من خلال فنون القول الشعبية

اليوم العربي للغة الضاد الجلفة

اللغة العربية وتحديات الإدارة الإلكترونية

اللغة العربية في قطاع الفلاحة

اللغة العربية في الصحافة

دور جمعية العلماء المسلمين في الحفاظ على الهوية الجزائرية الجزء 1

دور جمعية العلماء المسلمين في في الحفاظ على العربية الجزء الثاني
اللغة العربية في تكنولوجيا المعلوميات
كتاب فهرسة المخطوطات في الجزائر
ازدهاراللغة العربية بين الماضي والحاضر الجزء 1
ازدهاراللغة العربية بين الماضي والحاضر الجزء 2
ازدهار اللغة العربية بين الماضي والحاضر الجزء 3
اللغة العربية والترجمة
دور المكتبات الرقمية
اللغة العربية والتقانات الجديدة ج.1
اللغة العربية والتقانات الجديدة ج.2
الاستمرارية المتجدّدة
الجهود اللغوية للدكتور الحاج صالح
الأدب الأمازيغي ج.1
الأدب الأمازيغي ج.2
الأدب الأمازيغي ج.3
الانغماس اللغوي
الامن الثقافي
التكنولوجيا الجديدة
كتاب الطوبونوميا
الجامعة والانفتاح الجزء الأول
الجامعة والانفتاح الجزء الثاني
الجامعة والانفتاح الجزء الثالث

الأيام الدراسية

مظاهر التعدد اللغوي وانعكاساته في تعليمية اللغة العربية
دور وسائل الاعلام

أهمية العمل الجواري في ترقية اللغة العربية

المجتمع المدني وترقية استعمال اللغة العربية

القاموس واللغة المعاصرة

الأداء اللغوي في برامج التلفزة

الاحتفاء باليوم العربي للغة الضّاد –قسنطينة

الاحتفاء باليوم العربي للغة الضّاد –الحامة

الاحتفاء باليوم العالمي للغة العربية

الاحتفاء باليوم العالمي للغة الأم

7. مجلات المجلس الأعلى للغة العربية:

وهي مجلات تهدف إلى الاهتمام باللغة العربية وعلومها المختلفة، وتحقيق الأهداف التي من أجلها أنشء المجلس الأعلى للغة العربية منه هدفه الأسمى ترسيخ مبادئ المواطنة اللغوية.

أ.مجلة معالم للترجمة

مجلّة نصف سنوية محكّمة تعنى بترجمة مستجدات الفكر العالمي ودراسات حول الترجمة

تصدر عن المجلس الأعلى للغة العربية

مسؤول النشر: أ.د. صالح بلعيد، رئيس المجلس.

رئيس التحرير: أ.د. محمد داود.

ب. مجلة " اللغة العربية "

مجلّة فصلية مُحكّمة تعنى بقضايا اللّغة العربية ومجالاتها تصدر عن المجلس الأعلى للغة العربية

المدير المسؤول: أ.د. صالح بلعيد

رئيس المجلس الأعلى للّغة العربية

رئيس التحرير: أ.د. عبد الله العشي.

مجلة العلوم والتكنولوجيا قيد التحضير برئاسة د. اسماعيل روينة.

خاتمة:

إذا ومن خلال المحطات التي وقفنا عندها والمتعلقة بالمواطنة اللغوية وأخواتها كما يسميها صالح بلعيد، ومساهمة المجلس الأعلى للغة العربية في الجزائر في ترسيخ مبادئ المواطنة اللغوية، فإننا نستنتج ما يلي:

_ حاول الدكتور صالح بلعيد أن يقدم الوصفة العلاجية في سبيل ترسيخ مبادئ المواطنة اللغوية.

_ وحسبه فإن الوضع يستدعي تكوين جبهة داخلية متماسكة، نسعى فيها للاستخدام الراقي للغة العربية؛ المبني على الخلق والعلم، وتحصيل التقدم عبر بوابة اللغة العربية الفصحى، وولوج مرحلة الابداع بها.

_ كما يجب الخروج من خطر المزايدة والمناقشة في مسألة اللغات في الجزائر، وإعادة الاعتبار للغة العربية على أنها اللغة الرسمية الوحيدة وجعلها أكثر وظيفية.

_ الخروج من المزايدة القائلة بأن المازيغية لغة التجزئة، والعربية لغة الوحدة الوطنية، وأنّ المازيغية عندنا لغة الأقلية.. على أن التاريخ والواقع يثبت عكس ذلك فهم الذين حافظوا على الوحدة الوطنية، ونشروا الدين الاسلامي خارج الجزائر واحتضنوا العربية وعملوا على ترقيتها وأنتجوا بها ولم ينتجوا بالمازيغية.

المصادر والمراجع: (الاحالات):

[1] محمد داود، الهوية والتعدد اللّغوي والثقافي في الجزائر: واقع ورهانات، أعمال اليوم الدراسي: الأمن الثقافي واللغوي والانسجام الجمعي، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية السداسي الثاني 2018، ص: 25-26.

[2] صالح بلعيد، المواطنة وأخواتها...، مجلة الممارسات اللغوية، العدد 11، 2011، ص: 188.

[3] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4] المصدر نفسه، ص: 188-189.

[5] المصدر نفسه، ص: 189.

[6] المصدر نفسه، ص: 189.

[7] عبد العلي الودغيري، اللغة والدين والهوية،

[8] صالح بلعيد، المواطنة وأخواتها...، ص: 189-190.

[9] المصدر نفسه، ص: 190

[10] المصدر نفسه، ص: 190

[11] المصدر نفسه، ص: 191

[12] المصدر نفسه، ص: 191-192.

[13] المصدر نفسه، ص: 192.

[14] عبد الهادي بوطالب، حق اللغة، مجلة معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الرباط، ج1، ص: 24.

[15] صالح بلعيد، المواطنة وأخواتها...، ص: 192.

[16] صالح بلعيد، حقوق اللغة الرسمية، أعمال الندوة الدولية: التعدد اللساني واللغة الجامعة المجلس الأعلى للغة العربية الجزء الأول 2014، ص: 203.

[17] المصدر نفسه، ص: 202.

[18] المصدر نفسه، ص: 203-204.

[19] صالح بلعيد، المواطنة وأخواتها...، ص: 193.

[20] المصدر نفسه، ص: 193.

[21] صالح بلعيد، حقوق اللغة الرسمية، ص: 208.

[22] المصدر نفسه، ص: 208.

[23] إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مطبعة أبناء وهبة حسان، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، 2003، ص: 15.

[24] محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2001، ص: 64.

[25] المرجع نفسه، ص: 66.

[26] صالح بلعيد، المواطنة وأخواتها...، ص: 194.

[27] المصدر نفسه، ص: 194.

[28] المصدر نفسه، ص: 194.195-

[29] المصدر نفسه، ص: 195.

[30] المصدر نفسه، ص: 195.

[31] المصدر نفسه، ص: 196.

[32] المصدر نفسه، ص: 197

[33] المصدر نفسه، ص: 197.

[34] المصدر نفسه، ص: 197

[35] المصدر نفسه، ص: 04.

[36] المصدر نفسه، ص: 198.

[37] المصدر نفسه، ص: 198.

[38] المصدر نفسه، ص: 198.

[39] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[40] المصدر نفسه، الصفحة نفسها

[41] المصدر نفسه، ص: 198-199.

[42] المصدر نفسه، ص: 199.

[43] المصدر نفسه، ص: 203.

[44] المصدر نفسه، ص: 203

[45] المصدر نفسه، ص: 203

[46] صالح بلعيد، رسمية اللغة العربية، ص: 210.

[47] المصدر نفسه، ص: 211.

[48] صالح بلعيد، رسمية اللغة العربية، ص: 211-212.

[49] المصدر نفسه، ص: 212.

[50] المصدر نفسه، ص: 212.

[51] المصدر الذي استقينا منه مادة هذا الجزء من البحث في مجمله من موقع الالكتروني للمجلس الأعلى للغة العربية على شبكة النت.

[52] صالح بلعيد، موقع وكالة الأنباء الجزائرية ،http://www.aps.dz/ar/culture/48827-2017-10-23-12-34-48: ، تاريخ الزيارة: 2019/06/07.

[53] المرجع نفسه.

[54] المجلس الأعلى للغة العربية، الموقع الرسمي، تاريخ الزيارة: 2019/06/01.

إسهام المؤسّسات الإعلاميّة في تحقيق المواطنة اللّغوية
ـ إذاعة الجزائر من الشلف نموذجا ـ

د. محمد حاج هني
جامعة حسيبة بن بوعلي- الشلف

أ. عبد العزيز بوكفوسة
مدير إذاعة الشلف الجهوية

مقدمة: يحاول هذا البحث إبراز إسهامات المؤسسات الإعلامية الجزائرية في تحقيق المواطنة اللغوية؛ من خلال بيان دور إذاعة الجزائر من الشلف في ضمان التعايش اللغوي في هذه الرقعة الجغرافية التي يتلاغى فيها السكان بلغتين تتعايشان معا جنبا لجنب منذ عدة قرون: اللغة العربية التي يتكلّمها جل قاطني حوض الشلف، على غرار أغلب المناطق الجزائرية، واللغة الأمازيغية المتداولة في شمال الولاية حتى حدود مدينة شرشال شرقا، ومراعاة لهذا التنوع اللغوي لمستمعي المنطقة خصصت إذاعة الشلف برنامجا باللغتين مراعاة لخصوصية المنطقة وتلبية لأغراض قاطنيها؛ وهذا ما نلمسه في الشبكة البرامجية المتنوعة التي تبث يوميا باللغتين، والتي تمس مختلف الشرائح الاجتماعية، دون تمييز أو إقصاء سواء في شكل حصص مباشرة تفاعلية، أم على هيئة روبورتاجات ميدانية، أو عبر تسجيلات وثائقية، أو ما يُبث من أخبار في النشرات اليومية، والتي تعالج الواقع المحلي لمواطني الشلف تحديدا.

وفي هذا السياق يندرج هذا البحث الذي نروم من خلاله تعريف القارئ بدور هذه القناة الجهوية في تحقيق التماسك الاجتماعي، وضمان المواطنة اللغوية في هذه الرقعة الجغرافية المترامية الأطراف، من خلال القيام بدراسة ميدانية في استوديوهاتها، ومع طاقمها الإداري والصحفي؛ قصد رصد أهم الحصص التي

تصبو إلى تحقيق هذا الغرض، مع بيان مضامينها الإعلامية، وكشف انعكاساتها اللغوية، والتنموية على الفرد والمجتمع.

ومن أبرز الإشكاليات التي يسعى البحث إلى الإجابة عنها، نذكر:

- ما مدى تحقيق المواطنة اللغوية في برامج إذاعة الشلف؟

- كيف تحقق البرامج الإذاعية باللغتين العربية والأمازيغية التلاحم الاجتماعي، والتماسك اللغوي لمستمعي هذه المنطقة؟

- ما هي أهم البرامج الإذاعية التي تسهم في تحقيق اللغة الجامعة في هذه الرقعة الجغرافية؟

- ما مدى تجاوب المستمعين باللغتين- العربية والأمازيغية- لبرامج هذه الإذاعة الجهوية؟ وفيم يتجلى انعكاس ذلك على رقي هاتين اللغتين الوطنيتين؟

1- التعريف بإذاعة الشلف:

إذاعة الجزائر من الشلف[1]، أو إذاعة الشلف الجهوية[2] حسب تسميتها القديمة فرع من فروع المؤسسة العمومية للإذاعة الجزائرية، وهي مؤسسة اتصال عمومية ذات طابع صناعي تجاري[3]، أنشئت في سياق تعميم تجربة الإعلام الجواري الذي دأبت عليه الإذاعة الجزائرية منذ التسعينيات، انطلق بثها التجريبي يوم 4 جانفي 2004م، وتم تدشينها رسميا من طرف رئيس الجمهورية عبد العزيز بوتفليقة بتاريخ 26 جانفي 2004م[4]، يتم التقاط برامجها على الموجة الرئيسية (87.7FM)[5]، كما يمكن الاستماع إليها أيضا عبر الموقع الإلكتروني للإذاعة الجزائرية[6]، أو من خلال باقة الإذاعات الجهوية الجزائرية عبر القمر الصناعي (NILESAT AB3)[7]، أو عبر شبكات التواصل الاجتماعية المختلفة[8].

تبث إذاعة الشلف برامجها باللغتين الوطنيتين؛ اللغة العربية منذ انطلاقتها الفعلية، واللغة الأمازيغية (الشنوية) ابتداءً من جوان 2006م، وهذا استجابة لرغبات السكان المحليين الناطقين بالأمازيغية، لاسيما في الجهة الشمالية من الولاية؛ ولقد تطور الحجم الساعي للبث الإذاعي اليومي لهذه القناة من أربع ساعات في بدايتها إلى ثلاث عشرة ساعة حاليا.

أحرزت هذه الإذاعة الناشئة جائزة الميكرفون الذهبي مرتين في موسمين متعاقبين هما:

- الميكرفون الذهبي لسنة 2008 عن تسجيل نادر للشيخ البشير الإبراهيمي.
- الميكرفون الذهبي لسنة 2009 عن تمثيلية مسرحية حول المخدرات ومخاطرها[9].

2- **الشبكات البرامجية لإذاعة الشلف:** تضم الشبكة البرامجية العادية لإذاعة الشلف[10] عدة برامج متنوعة تعالج عدة مجالات تمس شتى شرائح المجتمع، نساء ورجالا، أطفالا وشبابا وكهولا.

وبالإضافة لهذه الشبكة المتنوعة البرامج طيلة تسعة أشهر، هناك شبكتان مؤقتتان؛ إحداهما صيفية تواكب العطلة الصيفية، وتتميز برامجها غالبا بطابع الترفيه والتسلية، استجابة لأذواق المستمعين خلال هذه الفترة، أما الشبكة الثانية فهي رمضانية، تدخل حيز البث تزامنا مع شهر رمضان المعظم، ويتسم محتوى برامجها بالصبغة الدينية تماشيا مع خصوصية المناسبة، مع إذاعة برامج الطبخ وشتى الإرشادات في الصحة والتغذية، دون إغفال إضفاء بعض اللمسات الترفيهية مجسّدة في برامج التسلية والترفيه.

3- برامج إذاعة الشلف الجهوية مدونة للبحث العلمي:

لقد حظيت برامج الإذاعة الجهوية بالشلف نصيبها من الدراسة والتحليل والنقد لدى طلبة الماستر والليسانس في شعبة علوم الإعلام والاتصال بقسم العلوم الإنسانية لكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة الشلف، وفي بحوث منشورة في المجلات، ولقد تنوعت رؤى الدارسين في معالجة كل ما يتصل بهذه الإذاعة من حيث ما تبثه من رسالة إعلامية، وما تتناوله من قضايا محلية، وما تؤديه من خدمات جوارية؛ ومن جملة ما تم إنجازه من دراسات حول هذه القناة المحلية العناوين الآتية:

-دور إذاعة الشلف المحلية في تعزيز قيم المواطنة لدى الطالب الجامعي- دراسة ميدانية على عينة من طلبة جامعة الشلف[11].

-التحرير الصحفي للمضامين الإعلامية الناطقة باللغة الأمازيغية- دراسة وصفية وتحليلية لنشرات أخبار إذاعة الشلف (من 1 جانفي إلى 30 مارس 2015)[12].

-استعمال اللهجة المحلية في الإذاعة- إذاعة الشلف نموذجا[13].

-التعاون بين المؤسسات الإعلامية والسلطات المحلية ودوره في تفعيل التنمية المحلية- دراسة وصفية في العلاقات الاتصالية بين إذاعة الشلف والولاية[14].

-أثر العلاقات العامة على المؤسسة الإعلامية- دراسة حالة "مؤسسة إذاعة الشلف الجهوية"[15].

-دور الإذاعة المحلية في التوعية من حوادث المرور- دراسة حالة إذاعة الشلف[16].

-دور الإعلام المسموع في تقديم الوعي الصحي للطالب الجامعي- إذاعة الشلف نموذجا[17].

4- لغات برامج إذاعة الشلف:

تبث إذاعة الشلف برامجها باللغتين الوطنيتين معا؛ العربية والأمازيغية، ويغطي بثها تراب الولاية، وبعض الولايات المجاورة عبر الموجات القصيرة، وتصل تغطيتها إلى شتى بقاع العالم عبر القمر الصناعي، وفيما يلي توضح ذلك:

أ- **اللغة العربية:** وتمثل برامجها ما يفوق نسبة (88%) من حجم البث اليومي، وتغطي كل بلديات الولاية، وحتى الولايات المجاورة، كغليزان، عين الدفلى، تيسمسيلت، تيبازة، وتتعلق مضامينها بشتى المجالات، ويمكن توضيح البرامج المذاعة باللغة في هذا الجدول[18]:

المجال	الحصص	نوعها
إخباري	3	نشرات ومواجيز إخبارية باللغة العربية؛ نشرة اللغة الأمازيغية، تحقيق الأسبوع
ديني	3	دين ودنيا، نقل صلاة الجمعة، اسألوا أهل الذكر
الشأن المحلي	4	من عمق الشلف، منتدى الإذاعة، الواقع في أحيائنا، روبورتاج
رياضي	3	نتائج وتعاليق رياضية، مباشرة من الملاعب، ملفات رياضية.
تربوي	3	مرآة الجامعة، آفاق تربوية، مملكة الأطفال
ثقافي	7	ضيف الأثير، من ذاكرة التاريخ، حديث ومغزى، فسحة شاعرية، أخبار ثقافية، حديث ومغزى، جسور
اقتصادي	4	فضاء المستهلك، عالم الفلاحة، رهانات اقتصادية، فرصة
اجتماعي	5	الحياة أمل، وتعاونوا، نافذة على المجتمع، موضوع وحوار، جيل وجيل
صحي	3	صيدلية الأعشاب، بيئتنا تهمنا، أناقة وجمال
ترفيهي	4	ألعاب إذاعية، تحايا وأنغام على الشلف fm، مغنى ومعنى، ساعة مع سليم.
قانوني	1	إضاءات قانونية
خدماتي	2	عدسة الطريق، خدمة عمومية

مما سلف نستخلص أنّ البرامج الثقافية تحتل الصدارة من حيث ساعات البث الأسبوعي، تليها الحصص الاجتماعية، والترفيهية على التوالي، أما قضايا القانون فتبث مرة واحدة أسبوعيا فقط، وتبقى هذه الإذاعة المحلية تسخر كل طاقمها الإذاعي، وإمكانياتها التقنية لخدمة المستمع، ومتابعة يومياته، والسعي إلى تلبية أذواقه وتطلعاته في شتى مجالات الحياة.

ب- **اللغة الأمازيغية:** وتقدر نسبة برامجها (12%) من حجم البث اليومي وهي موجّهة بالدرجة الأولى إلى الناطقين باللغة الأمازيغية في الولاية؛ وتحديدا في مناطق بني حواء، وادي قوسين، بريرة، الزبوجة، بل وحتى مستمعي الولايات المجاورة كعين الدفلى، وتيبازة، وقد يصل مداها إلى شتى المناطق الأمازيغية في الجزائر، بل وحتى خارجها أيضا في ضوء التطور التكنولوجي، وشيوع البث الرقمي، واستعمال مختلف شبكات التواصل الاجتماعية، ويمكن تحديد رزنامة البرامج الأمازيغية، ومضامينها الإعلامية فيما يلي:

اليوم	عنوان الحصة		مضمونها
	بالأمازيغية	بالعربية	
الأحد	أملاقا اسقبايليث	لقاء بالأمازيغية	حصة تتناول مختلف المواضيع الخاصة بالأمازيغية، من أحداث ونشاطات في مختلف المناسبات مع التركيز على عادات وتقاليد أمازيغ المنطقة.
الإثنين	العش نتسكورث	عش طائر الحجل	هذا العنوان مستوحى من طائر الحجل الدائم الترحال والحال نفسه في هذه الحصة التي تنتجها القناة الثانية بالإذاعة الوطنية، ويتم بثها عبر أمواج إذاعة الشلف، والتي تسعى إلى إعادة الاعتبار للتراث الأمازيغي عبر مختلف ولايات الوطن من خلال البحث عن العادات والتقاليد الآيلة للزوال.

الثلاثاء	ثامسلايث انغ	لغتنا	وهي حصة تهتم بقضايا اللغة الأمازيغية، ومختلف لهجاتها
الأربعاء	بث مشترك مع القناة الإذاعية الثانية الناطقة بالأمازيغية		حصة متنوعة من إعداد محطة إذاعة الشلف، يتم تكييفها حسب المناسبات، وهي موجّهة لكل الناطقين بالأمازيغية عبر ربوع الوطن.
الخميس	اذلس انغ	ثقافتنا	حصة ثقافية تتناول مختلف الأحداث والنشاطات الثقافية المحلية، مع التعريف بالأعلام والفرق والتظاهرات الفنية والثقافية الأمازيغية بالمنطقة.
الجمعة	فاوث نالإسلام	نور الإسلام	حصة دينية بالأمازيغية.
السبت	سي قول نالشلف	من عمق الشلف	حصة تنموية تهتم بانشغالات المواطنين؛ وهي همزة وصل بين المسؤول المحلي والمواطن

نستنتج مما سبق أن جلّ الحصص المدرجة في الفضاء الأمازيغي تتعلق بالشأن الثقافي، فهي تتناول كل ما يتصل بالعادات والتقاليد المحلية، مع التركيز أكثر على ترقية اللغة الأمازيغية (الشنوية) محليا ووطنيا؛ من خلال تخصيص برنامج يعالج المسائل اللسانية لهذه اللغة الوطنية، دون أن ننسى التعاون المثمر لهذه المحطة مع القناة الإذاعية الثانية في خدمة اللغة الأمازيغية في إطار تبادل البرامج.

5- المستويات اللغوية في برامج إذاعة الشلف:

إنّ المتتبع لبرامج إذاعة الشلف يمكنه التمييز بين ثلاثة مستويات لغوية متباينة تبعا لنمط الحصة من جهة، ولنوعية الفئة المستهدفة من جهة أخرى، وهذا توضيح ذلك:

أ- **اللغة العربية الفصحى:** وهي اللغة الموظّفة في كل النشرات والمواجيز الإخبارية، وشتى الحصص الدينية والتربوية، ومختلف البرامج الرياضية، وفي جل الحوارات التي تُجرى مع الإطارات والمسؤولين المحليين، وحتى لدى الأكاديميين المختصين في شتى البرامج الموضوعاتية المتخصصة، كالإدارة، والخدمات والاقتصاد، وغيرها.

ت- **اللغة الأمازيغية:** وتُذاع بها حصص الفضاء الأمازيغي الأسبوعية والنشرات الأمازيغية اليومية، في مختلف الموضوعات الثقافية والتربوية، محليا وإقليميا، ولاشك أن توظيف اللغة الأمازيغية في برامج إذاعة الشلف يصطدم بعدة عقبات؛ منها ما يتعلق بخصوصية هذه اللغة في حد ذاتها من جهة، ومنها ما يرتبط بالصحفي والمذيع من جهة أخرى، وبغية الارتقاء بالأداء الصحفي لهذه اللغة الوطنية يجب تكوين الصحفيين في هذه اللغة، وتنظيم دورات تدريبية لتحسين مستواهم، وإنشاء دليل مشترك بين الإعلاميين والأكاديميين المختصين حول فنيات التحرير والإنتاج الإذاعي، والحرص على توفير مدقق لغوي بالإذاعة لضمان السلامة اللغة الأمازيغية في البرامج المذاعة.[19]

ج- اللغة العامية: وهي اللغة التي لا تخضع لقواعد العربية الفصحى، ويتم تداولها في شتى البرامج التفاعلية، والحصص المباشرة طيلة أيام الأسبوع سواء من طرف الصحفيين والمذيعين، أم من قبل الجمهور العريض، من ولاية الشلف وخارجها؛ ومن بين الحصص التي تتسم بهذه اللغة نذكر على سبيل المثال لا الحصر برنامج "عدسة الطريق" الموجه خصيصا لكل مرتادي الطرقات من مشاة وسائقين، وأسلاك الأمن، وكذا برنامج "عالم الفلاحة" لاهتمامه بتقديم نصائح وتوجيهات للمشتغلين في حقل الزراعة، وما يرتبط بها من قضايا.

وعلى الرغم من أنّ العامية لا تحتكم على قواعد معيارية مضبوطة، إلا أنّ الدراسات اللسانية تؤكد أنّ هذه اللهجة- على بساطتها- قد حافظت على ثروة لغوية فصيحة هائلة، قد تكون مهملة عند الأدباء والكتاب والشعراء، ممن يتعاطون صناعة الكلام، ولعل هذا ما ينطبق على لهجة الشلف؛ فهي بذلك تقترب من

العربية الفصحى، ويخلو خطاب مستعمليها غالبا من المفردات الأعجمية الدخيلة التي تسبب التلوث اللغوي، ومما لاشك فيه أنّ توظيف هذه اللهجة في الخطاب الإعلامي، وبثها أثيريا على أوسع نطاق عبر البرامج المتنوعة، سواء عن طريق أمواج (FM) محليا، أو عبر القمر الصناعي، ووسائل التواصل الاجتماعي وطنيا وإقليميا، وحتى دوليا، هو خدمة للعربية الفصحى من جانبين هامين هما:

– تزويد متكلمي اللغة العربية في الجزائر، وخارجها بالمعجم اللغوي العامي القريب من الفصحى، والذي هجره الاستعمال في عصرنا، فغدا في نظر الأجيال الحالية غريبا، وهكذا يكون لهذه القناة الإذاعية إسهام بارز في نشر هذا الرصيد اللغوي المغيّب من مخاطباتنا اليومية في شتى مجالات الحياة.

– تقريب لهجة الشلف المحلية من اللغة الفصحى؛ قصد خلق اللغة الجامعة في وطننا، لأنّ عملية التواصل الجيدة تتطلب استخدام لغة وظيفية وسيطة يتلاغى بها السواد الأعظم من الناطقين بلغة الضاد في شتى أرجاء الجزائر، ولعل هذا ما تجسده إذاعة الشلف؛ من خلال حصصها المباشرة، والتي تكون مفتوحة أمام جميع المستمعين من مدينة الشلف، وحتى من خارجها؛ وبذلك تكرس هذه الإذاعة هذا الاستعمال اللغوي من خلال تأثيرها على المستمعين؛ لما للسمع من أهمية في اكتساب المهارات اللغوية الأخرى.

6- نموذج لحصة باللغة العربية:

برنامج "منتدى الإذاعة" برنامج تفاعلي يُذاع كل خميس على الساعة 11 صباحا، يستضيف فيه معدّ البرنامج القائمين على مختلف المجالات الحيوية في الولاية، ويتيح الفرصة للمستمعين لطرح انشغالاتهم اليومية على مسؤولي تلك القطاعات؛ قصد إيجاد حلول لمختلف المشاكل المطروحة، وتتنوع اللغات الموظفة في الحوار بين الصحفي والمسؤولين والمستمعين بين عربية فصحى وعامية؛ قصد تبليغ الرسالة الإعلامية.

ويرتبط هذا البرنامج ارتباطا بليغا بقضايا التنمية المحلية، وما ينجر عنها من ترقية لشؤون المواطن في شتى الميادين، ولاشك أن اللغة الإعلامية هي قطب

الرحى في إيصال الفكرة، وتوضيح المقصود، وهكذا ترتفع مصداقية هذه الإذاعة ويمتد صداها الإعلامي محليا ووطنيا؛ من خلال هذا الفضاء الحواري الذي يتلاغى فيه المسؤول والإعلامي والمستمع البسيط للتداول حول قضية تنموية فتُحدّد الإشكالات، وتُقترح الحلول، وكل ذلك يسهم- بلا شك- في تعزيز روح الوطنية بكل مقوماتها؛ وهنا تصبح اللغة مفتاحا فعالا لحل الإشكالات التنموية العويصة عبر منبر الإذاعة، هذا الفضاء الأثيري التفاعلي الذي تيح لها الشيوع والانتشار لأبعد نقطة يصلها البث.

وما ينطبق على هذا البرنامج ينسحب على كل البرامج الإذاعية؛ والتي تتخذ من اللغة العربية- بكل أداءاتها المختلفة- سبيلا لولوج عوالم المستمعين المتباينة ترصد واقعهم، وتحلل وضعياتهم، كل ذلك بلغة إعلامية عربية هادفة، تلبي مطالب المستمعين، وتقنع المسؤولين في شتى القطاعات والإدارات، لخلق هذا التواشج الاجتماعي في هذه الولاية.

7- نموذج لحصة باللغة الأمازيغية:

برنامج "تامسلايث انغ" بمعنى "لغتنا"، يبث أسبوعيا كل يوم ثلاثاء بدءا من الساعة الثانية والربع زوالا بعد النشرة الإخبارية الأمازيغية، يهدف بالدرجة الأولى إلى تعليم اللغة الأمازيغية وإبراز التكامل والتمازج الموجود بين اللغة الأمازيغية ومختلف لهجاتها في ربوع الوطن، وبين اللغة العربية أيضا؛ إذ يتطرق إلى التباين الموجود بين اللغة الأمازيغية ومختلف لهجاتها، في شتى مستوياتها: صوتيا وصرفيا، ونحويا، ومعجميا، ودلاليا؛ وذلك من خلال التعريف بالكلمات، وطريقة نطقها بكل اللهجات، وحتى باللغة العربية.

تستضيف الحصة أسبوعيا أساتذة وباحثين مختصين في اللغة الأمازيغية يتناولون قضايا متصلة بهذه اللغة؛ إذ يخصص كل عدد لموضوع معين؛ كالحروف الأمازيغية، وكيفية نطق المفردات، والأسماء وجمعها، والأفعال وتصريفها والبحث في المفردات ومعانيها، والمصطلحات العلمية الأمازيغية، ورصد الألفاظ الأمازيغية التي كانت مستعملة ولم تعد متداولة حاليا، وتحديد أوجه الاختلاف

والتشابه الموجودة في قاموس مختلف لهجات الأمازيغية، والتعريف بالأرقام والأعداد الأمازيغية؛ بهدف الحفاظ على هذه اللغة، وتوسيع تداولها بين المستمعين داخل ولاية الشلف وخارجها.

كما تعرّف الحصة المستمعين- محليا وحتى وطنيا ودوليا- بمختلف مفردات الحقول الدلالية للغة الأمازيغية؛ كأسماء الحيوانات، وأسماء الأماكن، وأنواع النباتات، ومختلف الأدوات المستعملة من طرف سكان المناطق الأمازيغية في حياتهم اليومية، مع التركيز دائما على ذكر التشابه والاختلاف بين اللهجات في نطق هذه الأسماء بالإضافة إلى تعريبها؛ حتى يتمكن من لا يجيد هذه اللغة من تعلمها، وإتقانها على أكمل وجه.[20]

8- تجليات التعايش اللغوي في برامج إذاعة الشلف:

تبرز إذاعة الشلف التعايش اللغوي بين اللغتين العربية والأمازيغية في هذه الرقعة الجغرافية من خلال ما تبثه من حصص متنوعة تهم الشأن المحلي والوطني، ولعل هذا ما تجسده هذه المظاهر:

-**الخدمة الإعلامية العمومية:** انطلاقا من طرح الانشغالات اليومية للمواطنين باللغتين؛ مثلما يتضح في برنامجي "منتدى الإذاعة"، و"من عمق الشلف" باللغة العربية، وحصة "سي قول نالشلف" باللغة الأمازيغية.

-**الحفاظ على الموروث الثقافي المحلي:** من خلال تعريف المستمعين بأوجه النشاط الثقافي المتنوعة للمنطقة؛ مثلما تجسده العادات، والتقاليد، ومختلف أشكال التراث المادي وغير المادي، ويظهر هذا جليا في برامج "اذلس انغ"، و"العش نتسكورث"، و"أملاقا اسقبايليث" باللغة الأمازيغية، وحصص أخبار ثقافية، وجسور باللغة العربية.

-**اعتماد الصحافي المتعدد اللغات:** إذ تزخر إذاعة الشلف- بالإضافة إلى طاقم صحفي عربي- بصحفيين مؤهلين يتقنون اللغتين العربية والأمازيغية معا؛ فإلى جانب تقديمهم للحصص والنشرات الإخبارية باللغة العربية طيلة فترات البث اليومي، نجدهم أيضا يسهرون على إعداد وتقديم النشرة الإخبارية والفضاء

الأمازيغي بمختلف فقراته وأركانه أسبوعيا، وتجدر الإشارة إلى أنّ إذاعة الشلف تتفوق في هذا الجانب على إذاعتي عين الدفلى وتيبازة، بضمها لثلاثة صحفيين دائمين في القسم الأمازيغي[21]، ناهيك عن المراسلين من البلديات الناطقة باللغة الأمازيغية.

-**التكامل اللغوي بين الصحفيين:** ويتجلى في مظاهر التعاون في إنجاز ومضات إشهارية باللغة الأمازيغية؛ وذلك بإشراك الصحفيين المعربين في تقديم مواد إذاعية بالأمازيغية؛ وفي ذلك خلق للتلاحم اللغوي بين الطاقم الإذاعي من جهة، والعمل على التأثير في المستمع بتعزيز سلوكات التعايش اللغوي في الجزائر من جهة أخرى.

- **خلق فضاءات إذاعية تفاعلية:** ببث حصص مباشرة لسكان المنطقة هدفها خلق الانسجام، والتلاحم الاجتماعي؛ نحو ما تبرزه مناسبة يناير من كل سنة في مناطق الشمال الشلفي، والتي تبثها الإذاعة عبر أمواجها، فيعرف جميع ساكنة الولايات العادات التقاليد المتوارثة أبا عن جد، مما يزيد من أواصر التقارب ويرفع من درجات الانصهار الاجتماعي في بوتقة الوطن الواحد.

- **إنجاز التقارير الإذاعية:** وفي ذلك تجسيد للحق في الإعلام الجواري المُلبي لاهتمامات المجتمع برمته، أفرادا ومؤسسات، (الشباب، المرأة، الطفل الجامعة، المدرسة، الصحة، الرياضة، الثقافة، وغيرها)، من خلال تقريب الإدارة من الوطن، وخلق فضاءات الحوار، وتحويل الأقوال إلى أفعال؛ لأنّ الإذاعة ما هي إلا همزة وصل بين المواطن والمسؤول؛ فلا تبقى الانشغالات المطروحة أثيريا مجرد كلام تلوكه الألسن، وتتداوله المواجيز والنشرات اليومية، بل تسعى القناة أن تجعل مشاكل عويصة تتحول إلى حلول واقعية واضحة للعيان، وهكذا تصير وقائع مجسدة ميدانيا، وفي ذلك تحقيق لمبادئ التداولية، وتجسيد لأفعال الكلام؛ بأن يعني القول الفعل.

9- أشكال ترقية اللغات الوطنية في برامج إذاعة الشلف:

تسهم إذاعة الشلف- على غرار القنوات الإذاعية في الجزائر- إسهاما بالغا في خدمة اللغات الوطنية؛ من خلال نشرها، والعمل على ترقيتها بطريقة غير مباشرة لأنّ من وظائف الإذاعة عموما الآنية في نقل الأحداث، ومتابعة اهتمامات المواطنين، ولتحقيق هذا الغرض تعتمد اللغتان- العربية والأمازيغية- لإيصال الرسالة الإعلامية بوضوح ومصداقية، وبأداء لغوي يشفي غليل المستمع ويستجيب لتطلعاته، ويتناسب مع مستواه الفكري والثقافي، ولذلك لا نغالي إن قلنا إنّ الإذاعة تؤدي خدمات إعلامية مغلفة بأدوات لغوية، وبالتالي لا يمكن فصل فحوى الخبر عن اللغة الحاملة له، وعلى هذا الأساس كانت الإذاعة، ولا تزال وسيلة اتصال غايتها إبلاغ المستمع بشتى الوسائل اللغوية الممكنة، وهنا يحتاج الصحفي إلى امتلاك الصوت القوي المعبّر، وانتقاء الكلمات بعناية، ومع الاهتمام بسبك العبارات، والحرص على ائتلاف أجزائها، مع إيجاز الجمل ووضوحها وكلما اتسمت لغة الصحفي بهذه المزايا مكنته من التأثير القوي على المتلقين وقادته إلى استمالة أسماعهم، من ثمار ذلك يعجبون ببرامجه شكلا ومضمونا ويتذوقون لغته أداء وممارسة.

ولعل من مظاهر إسهام الإذاعة المحلية بالشلف في تجسيد المواطنة اللغوية وتحقيق التنمية اللغوية بالموازاة مع تفعيل عجلة التنمية في شتى مناحي الحياة، ما تبرزه هذه الأعمال الإذاعية، وما ينجر عن من آثار إيجابية على الفرد والمجتمع:

- **توظيف اللغتين الوطنيتين:** البث باللغتين الوطنيتين على أوسع نطاق ولمتابعة شتى القضايا المحلية والوطنية.

- **تعزيز روح المواطنة:** من خلال ما يبث من برامج على غرار:دين ودنيا" وتاريخ بلادي، وجسور، وهمزة وصل، وغيرها، وهنا يتجلى دور الإذاعة المحلية في متابعة هموم المواطن، ومعايشة قضايا الوطن، وكل ذلك له إسهام في تعزيز حب الوطن، وتمجيد رموزه ومقدساته.

- **حماية دعائم الهوية الوطنية:** تسهم الإذاعة ببرامجها المتنوعة في تعزيز ثوابت الهوية الوطنية (الإسلام، العروبة، الأمازيغية)؛ وما البرامج الدينية والحصص التربوية التعليمية، وأركان الفضاء الأمازيغي إلا خير دليل على ذلك.

- **السعي إلى تحقيق اللغة الجامعة:** من خلال بث لغة إعلامية وسيطة بين المتلقين، يفهمها الأكاديمي، كما يستوعبها المثقف والإنسان العادي بنفس الدرجة فتتوحد المفردات والمصطلحات، وتتفق المعاني والمفاهيم محليا وحتى وطنيا ولاسيما مع الحصص التي تبث بالاشتراك مع القناة الثانية الأمازيغية، والتي ستخدم– لا محالة– اللغة الأمازيغية بكل لهجاتها في ربوع الجزائر، وتخلق نوعا من الانسجام بين اللغتين الوطنيتين؛ نتيجة ظاهرة الاقتراض اللغوي، التي تقرب من هاتين اللغتين، وتكشف عن علاقات التأثير والتأثر بينهما قديما وحديثا.

- **توظيف المصطلحات الدالة على التفاعل اللغوي:** وهذا ما يتضح جليا في عناوين بعض الحصص الإذاعية في الشبكة البرامجية العادية؛ على غرار:موضوع وحوار، اسألوا أهل الذكر، منتدى الإذاعة، وتعاونوا، وغيرها.

- **تكوين النشء:** تسعى إذاعة الشلف جاهدة ببرامجها التربوية والتعليمية إلى ترقية الجوانب اللغوية والثقافية للمستمع باللغتين معا، نحو ما تقوم به برامج: مملكة الأطفال، آفاق تربوية، مرآة الجامعة، ثامسلايث انغ".

- **تحقيق التماسك الاجتماعي:** تحرص هذه القناة على لم الشمل، وتجسيد التلاحم الاجتماعي، ووسيلتها في ذلك اللغة الإعلامية الهادفة، التي توحّد الصفوف وتشحذ الهمم من خلال العديد من البرامج الاجتماعية المقترحة.

- **تقريب المؤسسات من المستمع:** إذ تعد القناة همزة وصل بين المواطن وشتى المؤسسات والهيئات، في قطاعات التربية والتعليم العالي، والثقافة، والشؤون الدينية، والصحة، وغيرها، ولاشك أن هذا الدور الحيوي يساعد كثيرا على تحسين الأداء المؤسساتي، مما ينعكس إيجابا على المواطن والوطن.

خاتمة:

من خلال ما تم عرضه يمكن استخلاص الدور البارز لإذاعة الجزائر من الشلف في خدمة المواطنة اللغوية، وترقية استعمال اللغتين الوطنية، العربية والأمازيغية، من خلال ما يتم بثه ضمن الشبكات البرامجية المتنوعة، والتي تتخذ هاتين اللغتين وسيلتين هامتين في سبيل إيصال الخبر، وتبليغ المعلومة لطالبيها عبر أمواج الأثير محليا، ووطنيا، وحتى إقليميا، ولاشك أن هذه الخدمة الإعلامية العمومية تنعكس إيجابا على الممارسة اللغوية في ولاية الشلف، وخارجها، وبغية تطويرها أكثر لابد من الارتقاء باللغة الإعلامية في هذه القناة، من خلال الاستعانة بمختصين في التدقيق اللغوي في كلتا اللغتين؛ واستضافة الباحثين اللسانيين في البرامج المخصصة لهذا المجال؛ خدمةً للغتين الوطنيتين من جهة، وسعيا لتكريس لغة إعلامية صافية من جهة ثانية، مما ينعكس إيجابا على النشء؛ لأنّ الإعلام المسموع يعضد المدرسة والجامعة في مهامهما التربوية والتثقيفية، نتيجة ما يمتلكه هذا الجهاز الإعلامي الحسّاس من قوة تأثير، واتساع انتشار، وسهولة استعمال وعليه وجب تسخير الإذاعات المحلية لخدمة اللغتين الوطنية، وترقية استعمالهما في شتى المجالات.

الهوامش:

[1]– التسمية التي قررت المديرية العامة للإذاعة إطلاقها على جميع الإذاعات الجهوية؛ من خلال وضع التسمية "إذاعة الجزائر من مضافا إليها اسم (الولاية)،

[2]– التسمية الأولى التي أطلقت عليها منذ نشأتها.

[3]– يقع مبنى الإذاعة في حي المقراني (لاسيا سابقا) شرق ولاية الشلف، على الطريق الوطني رقم 4، تتألف من مجموعة من الأقسام هي: (الأخبار، الإنتاج، التقني، الإداري، الاستقبال) يشرف عليها طاقم إداري وإذاعي مكوّن من مدير المحطة، وتسعة وأربعين (49) موظفا (صحافيين، مخرجين، تقنيين، مهندسين، إداريين، وغيرهم).

[4]– معلومات مستقاة من وثائق تحصلت عليها من إدارة إذاعة الجزائر من الشلف.

[5]– وهناك موجات(F M) أخرى عاملة تخص مناطق معينة من تراب الولاية، مثل: (89.9 منطقة لالة عودة والحسنية، 100.6 بني حواء، 98.0 بريرة والمرسى، 98.2 وادي قوسين 92.4 تنس)، المصدر نفسه.

[6]- http://www.radioalgerie.dz/player/ar/live/02-Chlef

[7]– المصدر نفسه.

[8]– الفايسبوك: https://www.facebook.com/radioalgerie.ar

[9]– معلومات مستقاة من مدير الإذاعة السيد عبد العزيز بوكفوسة في لقاء جرى بمبنى الإذاعة يوم الخميس 23 ماي 2019.

[10]– يمتد بث هذه الشبكة خلال الفترة الممتدة من الفاتح سبتمبر حتى 21 جوان من كل سنة.

[11]– حنادر عبد الله، جامعة الجزائر3، مجلة آفاق العلوم، جامعة الجلفة، العدد5، 2016 ص:60-74.

[12]– مذكرة ماستر للطالب ماموني بوجمعة، إشراف: بوهلة شهيرة، موسم: 2014-2015.

[13]– مذكرة ليسانس للطالبتين كريمة حاجي وحياة بن عودة، إشراف: كريمة منواري، موسم 2012-2013.

[14]– مذكرة ماستر للطالب أسماء فردو، إشراف: د. فضيلة سلطاني، موسم 2016-2017.

[15]– مذكرة ليسانس للطالبتين: قويدري ليلى ومداحي أميرة، إشراف: عبدلي حنان، موسم 2013-2014.

[16]– مذكرة ليسانس للطالبة حورية زنتر، إشراف: شهيرة بوهلة، ، موسم: 2012–2013.

[17]– مذكرة ماستر للطالبة مليكة زيدان، إشراف: عمر بشير الشريف، موسم: 2013–2014.

[18]– تم تصميم هذا الجدول بناء على وثائق تحصلت عليها من إدارة إذاعة الشلف يوم الخميس 23 ماي 2019م.

[19]– التحرير الصحفي للمضامين الإعلامية الناطقة باللغة الأمازيغية– دراسة وصفية تحليلية لنشرات أخبار إذاعة الجزائر من الشلف، مذكرة ماستر للطالب ماموني بوجمعة، إشراف: بوهلة شهيرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الشلف موسم: 2014–2015، ص: 106–107.

[20]– معلومات مستقاة من مقابلة مع الصحفي إسماعيل خضراوي بمقر إذاعة الجزائر من الشلف يوم الأربعاء 29 ماي 2019م.

[21]– حسب شهادة مدير إذاعة الشلف السيد عبد العزيز بوكفوسة في لقاء جمعني به بمقر الإذاعة يوم الأربعاء 29 ماي 2019م.

الاعتراف - أفقاً لإدارة الاختلاف اللّغوي في الجزائر

أ. بوسحابة رحمة

ج. معسكر، الجزائر

﴿ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴾ المائدة 48.

ملخّص: تمتدُّ الجزائر على مساحة شاسعة بتضاريس متنوعة، يرافقها تباين ثقافي ولغوي جليّ، إذ تتواشج في ربوعها ثلاث لغات على الأقل هي العربية والفرنسية والأمازيغية بمتغيراتها من قبائلية وشاوية وشلحة وتارقية وغيرها. غير أن هذا التنوّع اللغوي، وبدل أن يكون مصدر ثراء وتنمية للثقافة الوطنيّة، تحوّل إلى مسألة خلافيّة، تُنذر ببروز صراعات واصطدامات بين مكوِّنات المجتمع تتعلّق بشكل أساسي بقضيّة الهويّة، باعتبار أن اللغة هي المتحدث باسم هذه الهوية والحامل الأبرز لتراثها الرمزي.

وقد ظلَّ هذا الاختلاف اللغوي من القضايا المسكوت عنها بل ومن الطابوهات لفترات طويلة في تاريخ الجزائر بسبب السِّياسات المُتعاقبة منذ الاستقلال، والتي همّشت مسألة الاختلاف هذه لصالح الأحادية اللغوية والثقافية، والتي كانت نتيجة طبيعية للأحادية السياسية التي تميّز بها نظام الحكم طيلة هذه الفترة، وما نتج عنه من إقصاء لبعض مكونات الهوية الجزائريّة في مرحلة ما، والذي تحوّل في فترات لاحقة إلى هجوم معاكس على بقيّة المكوّنات، نشهد بعض مظاهره بين الفينة والأخرى

مع التغيرات الجيوسياسية الحاصلة في المنطقة من حيث التشظّي الدراماتيكي لعدد من دول المنطقة على أسس إثنية ومذهبية وطائفية وغيرها، أصبح امتداد هذا الخطر إلى الجزائر ماثلا ما لم تحاول النخب الفاعلة المسؤولة إدارته بشكل راشد

وعقلاني وواقعي، بالبحث في سبل تحقيق العيش المشترك المُؤسّس، المبني على ثقافة الاعتراف والتواصل واحترام الآخر الشريك في الأرض والتاريخ والمصير.

وستحاول هذه الورقة البحث في واحد من هذه الأساليب الممكنة لتحقيق هذا الهدف، وهو باكورة ما أنتجته المدرسة النقدية الألمانية في طبعتها الثالثة ممثّلا في "برادايم الاعترافLa "reconnaissance" لأكسيل هونيث، وهو مفهوم يمكّننا من التحليل النقدي لآليات الهيمنة وطرق التهميش التي يتعرّض- أو تعرّض- لها مكوّن واحد أو عدَّة مكوّنات في المجتمع الجزائري داخل الفضاء العمومي من جهة اللغة، سواء تعلّق الأمر باللغة العربيّة أو الأمازيغية أم حتى الفرنسيّة باعتبارها لغة استعمال يومي لعدد لا يستهان به من الأفراد.

سؤال التعدد اللغوي في الجزائر: نعيش في عالم متعدد الهويات والأعراق والألسن والثقافات والديانات وغيرها، وفي ذلك حكمة وفطرة انسانية، لكون التعدد يستجلب التواصل والتدافع لأجل حسن الاستخلاف على هذه الأرض، ومن هنا نشأت أهميّة الخصوصيات واثرائها والاعتداد بها على أن يكون ذلك في حدود العيش المشترك والصالح العام عبر حسن تدبير هذا التعدد حتى لا يتحوّل إلى عامل توتّر وخلاف بين المتعدّين. ولعلّ التعدّد اللغوي واحدٌ من أبرز ميادين السجال في الراهن العالمي اليوم، لما تكتسبه اللغة من أهميّة بالغة في الفكر العالمي المعاصر، بعد أن كان يُنظر إليها كمجرّد أداة تواصل، تعبّر عن هويّة ما إلى اعتبارها مسكن الكائن البشري ومأواه كما وصفها الفيلسوف الألماني مارتن هايدجر، بتأكيده أن "الإنسان ليس كائنا حيّا يمتلك، بالإضافة إلى قدراته الأخرى قدرة اللغة، بل إنّ اللغة هي بيته الذي يسكن فيه ويحقّق داخله كينونته.. إن اللغة هي بيت الوجود .. هي مسكن الكينونة، هي مسكن كينونتي وسكني انا ، هي موطني وموئلي، هي حدود عالمي الحميم ومعالمه وتضاريسه، ومن نوافذها ... أنظر الى بقية أرجاء الكون الفسيح"[1] ، وبهذا تكون اللغة هي المأوى الحقيقي للانسان، وفيها يخزّن أفكاره ورموزه ومعارفه ويثريها عبر تبادلها مع غيره من

المجموعات التي تتحدث لغات أخرى، ومن هنا تبرز أهميّة إدارة التعـــدد اللغـــوي وتوجيهه لهذه الغاية حصرا بدل تحويله إلى دافع للصراع.

2-1 ماهية التعدد اللغوي: ليس التعدد اللغوي حالة خاصّة عند أمة من الأمم بل هو ظاهرة تعيشها كثير من الدول، ففي الصين أكثر من 50 لغة أما في الهنـــد فهي تعد بالآلاف، ويدرج لويس جان كالفي في كتابه "حرب اللغات" التعدد اللغوي ضمن مفهوم الازدواجية اللغوية بناء على فصل اللساني الامريكي جوشوا فيشمان JoshuaFishman عام 1967 بينها وبين الثنائية اللغوية اي قدرة الفرد علـــى استخدام عدد من اللغات، في حين جعل الازدواجية اللغوية هي استخدام مجموعـــة من اللغات في مجتمع ما.[2]، كما جعل الثنائية تنتمي لدائرة اللسانيات النفسية ، امـــا الازدواجية فتدرس ضمن اللســـانيات الاجتماعيـــة، أي انطلاقـــا مـــن العلاقـــات الاجتماعية وليس من اللغات نفسها[3].

2-1- **الواقع اللساني في الجزائر:** بحسب تصنيف كالفي فـــإن ســـمة التعـــدد اللغوي في الجزائر هي تلك التي يسميها بـــ" التعددية اللغوية ذات اللغات الأقليـــة الغالبة" ويعرفها "بتعدد اللغات الغالبة وعدم تمثيل انظمة التواصل والتعبير الشـــعبي في بنية الدولة من جهة أخرى"[4] وهي تشمل بحسبه اللهجات أيضا، ذلك أن الواقـــع السوسيولساني الجزائري يشتمل على مجموعة من اللغات، منها لغتـــان وطنيتـــان رسميتان هما اللغة العربية واللغة الأمازيغية بمتغيراتها، وعـــدد مـــن اللهجـــات العامية، إلى جانب اللغة الفرنسية بوصفها لغة أجنبية لها حضـــورها القـــوي فـــي المجتمع الجزائري منذ الاستعمار الى يومنا هذا. كما يتميز هذا الواقع بتباين فـــي لغة الحوار ما بين فئة اجتماعية وأخرى، وسماتها خاصة علـــى مســـتوى الكتابـــة والمشافهة، إذ أن هناك لغات مكتوبة ومنطوقة، وأخرى مكتوبة أو منطوقة فقط[5].

وقد بلورت الباحثة صونية بكال الواجهة اللغوية للمجتمع الجزائري ضمن ستة أزواج لغوية هي:[6]

1- عربية فصحى/عربية دّارجة، وتختلف ميادين استعمال كل لغة...

2- أمازيغية/عربية دّارجة... أقلية من المتحدثين بالأمازيغية يتقنون الدّارجة...

3- أمازيغية/فرنسية نسبة الأمازيغية تصل إلى 30%.

4- فرنسية/عربية دارجة نسبة المتكلمين بالعربية كبيرة.

5.فرنسية/عربية فصحى بنسبة كبيرة.

6.عربية فصحى/أمازيغية المتحدثون بالأمازيغية بعضهم يتقن العربية الفصحى"والبعض لا يتقنها.

وقد تعايشت هذه اللغات ضمن الواقع الاجتماعي في الجزائر لفترات طويلة قبل الاستقلال، حتى في حضور اللغة الفرنسية التي بدأت لغة مُعتدية لتتحوّل مع تقدم الزمن والظروف إلى أمر واقع، ذلك أن فرنسا باحتلالها الجزائر جعلت منها ملحقة استيطانية، وقررت "أن العربية لغة اجنبية وجعلت الفرنسية لغة رسمية للأقلية وفرضت استعمالها منفردة في الادارة والتعليم والاعلام واستبعدت الفصحى من التداول"[7] ، وهو ما لم يتم لها بفضل جهد الزوايا والكتاتيب ثم الحركة الوطنية التي شهدت هي الأخرى أزمة في اتجاه آخر في إطار ما سمي بالأزمة البربرية في شقها اللغوي تحديدا.

وقد نشبت هذه الأزمة في الأربعينيات من القرن 20، بعدما نشب صراع عام 1949 بين أعضاء من القبائل في حزب الشعب الجزائري/ حركة انتصار الحريات الديمقراطية وزعيمه مصالي الحاج، الذي كرّس لعروبة الجزائر واسلاميتها في أدبيات الحركة الوطنية، ومعارضة فكرة التعددية الجهوية والهوياتية واللغوية وغيرها للشعب الجزائري، لما تحمله من بذور الانقسام وتهديد الوحدة الوطنية، وهو التوجه الذي عارضه هؤلاء باعتباره تجاهلا للتاريخ الجزائري الممتد الى ما قبل مجيئ الاسلام، منادين بضرورة ادراج البعد الأمازيغي في تنظيم الدولة المستقلة المستقبلية.

وقد استطاعت الثورة الجزائرية تجنّب هذا الخلاف لصالح النضال من أجل التحرير، غير أنه سرعان ما عاد إلى واجهة الأحداث في ثمانينات القرن الماضي

في هيئة صراع سوسيو–ثقافي قاده بعض الأمازيغ من أجل إعادة الاعتبار للغة والثقافة الأمازيغية التي همشت بدورها مباشرة بعد الاستقلال بتكريس الأحادية اللغوية لصالح العربيّة، وتطبيق سياسة التعريب التي استهدفت تعريب الادارة والقضاء والتعليم والمؤسسات الاقتصادية.

غير أنه بالرغم من الجهد المبذول فإن اللغة التي بقيت مهيمنة– للمفارقة– هي الفرنسية، وليست الأمازيغية ولا العربية، إذ بقيت الفرنسية في الوسط الاجتماعي اكثر استعمالا بين البرجوزاية الناشئة، ولازالت توفر الى اليوم لمتحدثيها الحضوة والمكانة الاجتماعية والسياسية التي يصْبون اليها.

ومع التحولات في المناخ السياسي والفكري العالمي والانفتاح على التعدد استطاعت الجزائر –نسبيا– التخلص من قيود النظام الأحادي، في محاولة الى الوصول إلى واقع مركب يؤمن بالتعدد والاختلاف. وبلوغ هذه الغاية محكوم بتحديات عدة، ذلك أن التعدد اللغوي يولد مشكلة في التواصل، فـ"في كل مرة تتعايش فيها لغتان أو أكثر في جماعة بشرية يتوجب على افراد الجماعة أن يبحثوا عن سبيل لإدارة الاختلاف اللغوي في علاقاتهم"[8]، كما أن جذور حرب اللغات كما يرى كالفي " نابتة في التعدد اللغوي وفي طريقة تحليل الثقافات الانسانية له" ومرد ذلك بحسبه، أن الناس قد أعطوا تفسيرا ايديولوجيا لهذا التعدد قبل ان يحددوا طريقة لادارته[9].

وتكمن هذه الايديولوجيات بشكل غالب في المنحى التفوقي المتعالي على الآخر ذلك أن "البشر في تعاملهم مع الاختلاف اللغوي عادة ما يميلون الى السخرية من اللغات الأخرى واحتقارها، واعتبار لغتهم هي الأجمل والأدق"[10]، وهو أمر شهدناه منذ الاغريق الذين كانوا يعتبرون كل من لا يتحدث لغتهم بربريا متوحشا وورث عنهم الرومان ذلك، ثم الفرنسيون والايطاليون وغيرهم.

ومكمن الخطر الحقيقي في حال سوء تسيير التعدد اللغوي هو نشوب النزاعات الاثنية على أسس لغوية قد تنتهي بتقسيم الدول كما حدث مع دول البلقان والاتحاد السوفياتي سابقا وبعض دول اوروبا الشرقية ، ذلك أن "العمل على

الادماج القسري للمجموعات اللغوية ورفض الوحدة في اطار التنوع ، يؤدي الى انبعاث الهويات القومية، وتنامي النزعة الانفصالية"[11]، ومن هنا تظهر ضرورة ارساء سياسة وتخطيط لغويين راشدين، لأجل تحقيق العدالة اللغوية في المجتمعات المتعددة، ونقصد بالتخطيط اللغوي "البحث عن الوسائل الضرورية لتطبيق سياسة لغوية وعن وضع هذه الوسائل موضع التنفيذ"[12]، ويفترض بالسياسة اللغوية أن تنظم العلاقات بين اللغات في حال تعددها، واختيار اللغة الوطنية والرسمية ولغات التعليم والاعلام وغيرها[13].

غير أنه وعلى الرغم من أهمية السياسة والتخطيط اللغويين في ضبط الواقع اللساني لأي أمة من الأمم بالتدخل المباشر للسلطة السياسية في التهيئة اللغوية، إلا أنها تبقى مجرّد حلول ومقاربات نظرية مختبرية، تفتقر إلى رؤية اجتماعية رصينة، تأخذ العلاقات بين متكلمي المجموعات اللغوية داخل النسيج الاجتماعي بعين الاعتبار، وبناءَ عليه فإن ظاهرة التعدد اللغوي لابد أن تدرس انطلاقا من العلاقات الاجتماعية في المجتمع المتعدد، وتدار في هذا الإطار من أجل الوصول إلى العدالة اللغوية بما توفره من مناخ ايجابي للتلاقح والتنمية للمجتمع. نحو آفاق جديدة لإدارة التعدد اللغوي تؤدي العدالة اللغوية التي تتمثل في جوهرها في المساواة بين اللغات داخل المجتمع الواحد، بعيدا عن تراتبية المركز والهامش، إلى إدارة راشدة للشأن اللغوي المتعدد، وذلك عبر الاعتراف بالآخر "بما يمثله من مغايرة واختلاف من أجل اجتثاث بؤر التوتر من جذورها، وهو ما سيؤدي الى شيوع الاستقرار في المجتمع وبالتالي تحقيق التنمية. الثراء والتنوع الايجابيات بتلاقح العبقريات والتجارب الاثنية المختلفة التي تتكون منها الدولة– الامة "[14]

وبناء على ذلك سيصبح حريّا بنا، باعتبارنا مجتمعا متعددا على عدة مستويات، أن نتوسّل بهذا المفهوم أي الاعتراف، وفقا لصياغاته الفكرية والنظرية المعاصرة التي يشتغل عليها المفكرون وعلماء الاجتماع والسياسة والاخلاق حديثا، وعلى رأسهم أكسيل هونيث.

الاعتراف سبيلا لادارة الاختلاف من منظور أكسيل هونيث: يعد الألماني أكسل هونيث (1949) أحد أهم المنظرين لمفهوم «الاعتراف» في الفلسفة الغربية المعاصرة، ويلقب بـ «فيلسوف الاعتراف»، ولد في مدينة "ايس" بالمانيا عام 1949 درس الفلسفة وعلم الاجتماع في بون، ثم واصل دراسته الاكاديمية في جامعة برلين، التحق بعدها بمعهد ماكس بلانك واستقر في الاخير بجامعة غوتة في فرانكفورت لتدريس الفلسفة الاجتماعية، وقد استطاع اكتساب شهرة عالمية واسعة في البلدان الاوروبية والعالم الانجلوسكسوني خاصة بفضل تأسيسه لبرادايم الاعتراف[15].

وينتمي هونيث إلى الجيل الثالث من «مدرسة فرانكفورت» النقدية التي كان من أبرز أعلامها في الجيل الأول تيودور أدورنو، وماكس هوركهايمر وهربرت ماركوز، ثم الجيل الثاني الذي يعد يورغن هابرماس أهم أقطابه، والذي انطلق هونيث من نقد مقارباته في تأسيسه لبرادايم الاعتراف، وهو أي هابرماس الذي أعاد الاعتبار لأهمية الحقل الاجتماعي، مبلورا مجموعة من المفاهيم والمقولات وفي الكفيلة بتحقيق التفاهم المتبادل بين أفراد المجتمع، وهو التفاهم الذي يتحقق من خلال التواصل اللغوي، ذلك أن: "الغرض من استعمال اللغة من وجهة نظره هو تحقيق التفاعل الاجتماعي بين المتخاطبين وفق متطلبات معيارية تضمن التفاهم والتوافق المتبادل الذي يتم بين الذوات دال العالم الاجتماعي"[16] .

وجاء هونيث لينقد نظرية هابرماس وخاصة براديغم التواصل اللغوي عنده باعتباره غير كاف لتحقيق علاقات اجتماعية سوية، لكونه قد تجاهل ما يسمى التجارب الاخلاقية للظلم الاجتماعي، ضمن هذا السياق يرى هونيث أن ديناميات الاحتجاج لا يمكن تفسيرها بالتجربة المتعلقة بقواعد التفاهم اللغوي كما زعم هابرماس وانما باشكال الاهانة او الاساءة الاخلاقية المرتبطة بانتهاك مبادئ العدالة الاجتماعية[17].

وقد استند هونيث في بناء نظريته الاجتماعية بداية الى فلسفة هيغل الشاب le jeune hegel، باعتباره اول فيلسوف قام بدراسة العلاقات الاجتماعية بوصفها

علاقات بين أفراد يسعون إلى تحقيق الاعتراف المتبادل، ناسفا بذلك التقليد الفلسفي الغربي الذي كان سائدا آنذاك في المجال السياسي والأخلاقي وخاصة لدى ميكيافيلي وطوماس هوبز، والذي يقوم على فكرة الصراع المستميت بين البشر من اجل البقاء[18] ، وهو الصراع الذي حاول هيجل أخلقته بناءً على نظريته التي جوهرها أن " تكوين الانا العملي يفترض الاعتراف المتبادل بين الافراد"[19].

غير أن هونيث عاب على طرح هيجل باعتباره ظلّ يحتكم إلى افتراضات التقليد الميتافيزيقي، ومن هنا حاول تخليصها من هذا التقليد بالاستفادة والانفتاح على مكتسبات العلوم الاجتماعية وخاصّة على أعمال عالم الاجتماع الأمريكي البراغماتي جورج هربرت ميدGH Mead ، الذي ربط إدراك الذات بإدراك الآخر بل ومنح لهذا الأخير الأولوية والسبق، ويقول في ذلك: "الهوية المعترف بها في جماعة ما، هي تلك الهوية القادرة على التماسك والبقاء في الحالة نفسها، وهذا بقدر ما تعترف فيه بالاخرين ايضا "[20]، وهي الفكرة نفسها التي يتبناها هونيث باقراره بمبدأ "أنّ تحقيق الذات امر مشروط بالاعتراف المتبادل بين الافراد والجماعات، لان صورة الفرد عن ذاته تتكون من خلال تفاعله مع الغير" [21].

وحتى تحقق الذات وجودها وهويتها داخل الشبكات الاجتماعية والانسانية عموما، يقدم هونيث ثلاثة أشكال معيارية للاعتراف هي التي تسهم في وضع حد للصراعات الاجتماعية التي تنشأ نتيجة السيطرة والظلم الاجتماعي وغيرها.

أشكال الاعتراف: وتتمثل هذه الاشكال في كل من الحب والحق والتضامن:

1- **الحب** ويعرفه هونيث بانه "مجموعة العلاقات الاولية الايروسية والاسرية وعلاقات الصداقة الموجودة بين الموجودة بين الناس"[22] ، ذلك أن شعور الفرد بقيمته ومكانته يعزز ثقته بنفسه، هذه الثقة بدورها تمكنه من المشاركة في الحياة العامة بشكل مستقل.

2- **الحق:** ويقصد به الحق القانوني، ذلك أن "الاعتراف القانوني هو الذي يضمن حرية الافراد واستقلالهم الذاتي"[23]، ويرى هونيث أنه لا يمكن للأفراد في

أي مجتمع أن يكونوا ذوي حقوق إلا اذا أدركوا في الوقت ذاته حقوق الآخرين ذلك أن "حصول الفرد على حقوقه المشروعة يجعله يشعر باحترام ذاته لأنه جدير باحترام الذوات الأخرى"[24]، واذا كان القرن الثامن عشر قد عرف ما يسمى بالحقوق المدنية، وماتلاه اي القرن التاسع عشر شهد تبلور الحقوق السياسية فأن القرن العشرين عرف ظهور الحقوق الاجتماعية التي يحاول هونيث وغيره من فلاسفة الاعتراف تقنينها وبلورتها بشكل موضوعي.

3.التضامن: ويقصد به التضامن الاجتماعي، ويعني به تلك "العلاقة التفاعلية التي تهتم فيها الذوات بالمسار الشخصي للاخرين المشاركين لهم في التفاعل، لانهم اقاموا معهم روابط التقدير الاجتماعي"[25] ، ذلك أن الذوات الانسانية لا تحتاج الى التجربة القانونية فقط لتحقيق ذاتها وانا هي ايضا وانما هم ايضا في حاجة الى التقدير الاجتماعي الذي يسمح لهم بتحقيق انسجامهم الايجابي مع صفاتهم وخصائصهم النوعية وامكانياتهم، وذلك في وجود قيم مشتركة بين الذوات المعنية.

وبتحقق هذه الأشكال الثلاثة للاعتراف تتم أخلقة أي صراع واختلاف في المجتمع، ومن هنا كان الاعتراف الاجتماعي مفهوما مركزيا لتفادي الأزمات والعنف والتوتر والحروب بين أطياف المجتمع وبين الأمم في كل حين، وذلك لكونه يمكننا من القيام بتحليل نقدي لآليات التهميش الاجتماعي والاخلاقي والسياسي التي قد يتعرض لها الافراد أو الجماعات[26].

وبالنظر لواقع المجتمع الجزائري اليوم، والذي يعد التعدد اللغوي لاعبا فاعلا في راهنه، فإن براديغم الاعتراف كما ورد بأسسه وأشكاله لدى هونيث، قد يكون واحدا من أنجع السبل والمقاربات الكفيلة بترشيد هذا التعدد وتفادي التوسل به لتكريس الصراع بين الأفراد والجماعات اللغوية، ولنا ان نتمثل ذلك بالنموذج السويسري الذي يعد مجسدا للاعتراف والتعايش بين أربع مجموعات لغوية في رقعة جغرافية صغيرة في وئام كامل، أو بالنموذج الأمريكي الذي تعترف كل مكوناته بغيرها، ولا تتدخل الدولة في الشأن اللغوي إلى درجة أن الدستور

الأمريكي نفسه لا يذكر أي لغة من اللغات على أنها وطنية أو رسمية، بل الأمر متروك للعلاقات الاجتماعية السوية.

مراجع البحث:

-أحمد عزوز ومحمد خاين، العدالة اللغوية في المجتمع المغاربي بين شرعية المطلب ومخاوف التوظيف السياساوي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات قطر، ط1 ، يناير 2014م

-حسني هنية ، دراسة تحليلية نقدية للنظام التربوي الجزائري، أطروحة دكتوراه علوم في علم الاجتماع، تخصص : علم اجتماع التربية، إشراف الأستاذ أوذاينية عمر، جامعة محمد خيضر- بسكرة -كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم العلوم الاجتماعية

-رائد جميل عكاشة وآخرون الفلسفة في الفك الاسلامي، قراءة منهجية ومعرفية، المعهد العالمي للفكر الاسلامي فرجينيا الولايات المتحدة الامريكية الطبعة الاولى 2012

- كمال بومنير، أكسل هونيث فيلسوف الاعتراف، مندى المعارف، بيروت لبنان الطبعة الاولى 2015م

-لويس جان كالفي، حرب اللغات والسياسات اللغوية، ترجمة حسن حمزة المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى 2008م، بيروت لبنان.

الهوامش:

[1]– من كتاب:Heidegger Mertin, the Nauture of ALnguage ورد في رائد جميل عكاشة وآخرون الفلسفة في الفك الاسلامي، قراءة منهجية ومعرفية، المعهد العالمي للفكر الاسلامي فرجينيا الولايات المتحدة الامريكية الطبعة الاولى 2012 ص 166

[2]– ينظر لويس جان كالفي، حرب اللغات والسياسات اللغوية، ترجمة حسن حمزة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى 2008م ، ص 79

[3]– ينظر م ن ، ص 83

[4]– لويس جان كالفي، م س، ص 91/90

[5]– ينظر حسني هنيّة ، دراسة تحليلية نقدية للنظام التربوي الجزائري، أطروحة دكتوراه علوم في علم الاجتماع، تخصص: علم اجتماع التربية، جامعة محمد خيضر– بسكرة –السنة الجامعية 2017/2016م ، ص 108.

[6] – ورد في م ن ، ص 118–119

[7]– ينظر أحمد عزوز ومحمد خاين، العدالة اللغوية في المجتمع المغاربي بين شرعية المطلب ومخاوف التوظيف السياساوي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات قطر، ط1 ، يناير 2014م ، بدون أرقام صفحات.

[8]– لويس كالفي ، م س، ص 178

[9]– ينظر م ن، ص 100

[10]– م ن، ص 101

[11]– أحمد عزوز ومحمد خاين، م س ، بدون صفحات.

[12]– لويس كالفي، م س، ص 221

[13]– ينظر م ن ، ص 226

[14]– أحمد عزوز ومحمد خاين، م س، بدون صفحات.

[15] ينظر كمال بومنير، أكسل هونيث فيلسوف الاعتراف، مندى المعارف، بيروت لبنان الطبعة الاولى 2015م ، ص ومحمد خاين، م س، بدون صفحات.

[15] ينظر كمال بومنير، أكسل هونيث فيلسوف الاعتراف، مندى المعارف، بيروت لبنان الطبعة الاولى 15

[16] م ن ، ص 37

[17] ينظر كمال بومنير ، م ن ، ص 38

[18]– م ن ، ص 44

[19] م ن ، ص 46

[20] GH Mead le soi et l’esprit, le soi et la société ورد في الكتاب ص 50

[21] م ن ، ص 77

[22] ينظر كمال بومنير، م س، ص 117

[23] م ن، ص55

[24] م ن ، ص58

[25] م ن ، ص 61

اللّسانيّات الجغرافيّة والمواطنة اللّغويّة إقرار وحدة التعدّد اللّغويّ بين اللّغات الوطنيّة في الجزائر-دراسة استقرائيّة-

د. صلاح الدّين يحي

أ. لامية قداش

ج. أمحمّد بوقرة بومرداس

ملخّص: تبحثُ اللّسانيّات الجغرافيّة اللّغة-الأطالس اللّغويّة والأقاليم اللّغويّة- باعتبار وجودها الجغرافيّ والاجتماعيّ، ولا يمكن فصلها عن وجودها الثّقافيّ وبهذا تختصُّ بدراسة التّوزيع الجغرافيّ للّغات والتّعدّد اللّغويّ في البلد الواحد وتحيط بالظُّروف الاجتماعيّة والثّقافيّة بخصائص ومقاييس المواطنة اللّغويّة للشّعوب، وتشتغل اللّسانيّات الجغرافيّة على اللّغات المختلفة، والمواقع المتّعدّدة من أطر الأقاليم الجغرافيّة الّتي تُحيِّنُ هذه اللّغات واللّهجات.

وتبحثُ في عرق أجناس النّاطقين بكلّ لغة وعددِّهم ومستوياتِهم الاجتماعيّة والثّقافيّة، وتُعنى بالتّفوق اللّغويّ للّغات على بعضها البعض، وتسعى لمعرفة مكانة اللّغات اجتماعيًا داخل شعوبها وخارجها وتهدف لتّحقيق اللّغة الرسميّة، واللّغة الأم واللّهجة المحليّة واللّهجة الدخيلة... وهدفها من ذلك التّكامل بين اللّغات لا التّصادم من حيث بناء الأوطان، مُتجاوزة حدود التّواصل اللّغويّ كما يقول سمير شريف: "يدرس علم اللّسانيّات الجغرافيّة اللّغة باعتبار وجودها الجغرافي والحديث عن الوجود الجغرافي لأيَّة لُغَةٍ مِن اللُّغاتِ، لا يُمكنُ فَصلُهُ عن وجودها الاجتماعي .... أمّا اللّسانيّات الجغرافيّة؛ فإنّها تتناول اللّسانيّات الجُغرافيّة اللّغة باعتبارها جزءًا من الوُجود الجغرافيّ للمجتمع."[1]ويكمن الفرق بين اللّسانيّات الجغرافيّة واللّسانيّات الاجتماعيّة في بيانات الدّراسة المُتخصّصة لكلّ منهما فاللّسانيّات الاجتماعيّة كما ورد في (معجم اللّغويّات الاجتماعيّة): "يعدّ علم اللُّغة الاجتماعي Sociolinguistiques واحداً من المجالات المعرفيَّة في حقل علم اللّغة الاجتماعيّ أو

السّوسيو لسانيّSociolinguistiques... ، لقد اهتمَّ علم اللُّغة الاجتماعيّ Sociolinguistiques منذ بدايته بمعنى تطبيقي بالغ؛ بالوظائف Fonctions الّتي تقوم بها اللُّغة في المؤسّسات الاجتماعيّة، وفي تنظيم المجتمع، وركَّزَ على دور اللُّغة في بناء الأوطان، وذلك انطلاقا من التّوجه الجديد الّذي يشير إلى أنّ اللّغة مصدر من مصادر الدَّخل، وعمادُ الدّولة، وأُلِّفت كتبٌ في مجال دور اللّغات في بناء الأوطان سواءً كانت دوّلاً متقدِّمة أم ناميّة، ولم تعدِ اللُّغات عائقاً؛ بل حقًا يُمارسُ من قبل العموم والأقلّيّات."[2]فإنّ أبحاث اللّسانيّات الاجتماعيّة واللّسانيّات الجغرافيّة تتقارب أكثر ممّا تتباعد، ويفصلُها التّخصّص العلمي، ولأنّ مصطلح اللّسانيّات الاجتماعية Sociolinguistiques ومصطلح السّوسيولسانيّ Sociolinguistiques يمثّلان دلالتين مختلفتين في المصطلح، وهو "المصطلح الشّائع في بلاد المشرق العربيّ، أو علم السّوسيولسانيّ في بلاد المغرب العربيّ نجد أنّها مجالات تبيّن التّرابط بين اللّغة والمجتمع؛ لأنّ اللّغة هي مرآة المجتمع كما يعكس المجتمع أيضًا الوضعَ والبناء اللّغويّ."[3]يجمعهما موضوع واحد، وهو دراسة اللّغة وعلاقتها بالمجتمع؛ حيث تمثّل اللّغة المجتمع، ويمثِّلُ المجتمع اللّغة فلا وجود للُّغة دون مجتمع ولا وجود للمجتمع دون لغة والتأثير بينهما متبادل كلّ منهما يؤثر في الآخر[4]،"والسوسيو-ألسنية ميدان بحث ألسني موسّع يتطرق لقضايا اللّغة في إطار المجتمع، ويدرس خصائص اللّغات واللّهجات، وخصائص استعمالها، وخصائص متكلّميها داخل المجتمع اللّغويّ الواحد، وفي ما بين المجتمعات اللّغويّة المختلفة."[5]ويُمثِّل كلّ منها حقل النّظريّة العامّة للمواطنة اللّغويّة فقد اقتضت ضرورات التّعامل اللّغويّ أن تكون اللّغة مصدرا لبناء هذه المواطنة في الدّولة، وفق شرعية المجتمع،وألاّ تكون هناك دولة تكتفي دائما بلغة واحدة فإنّما هناك دولة بلغات متعدّدة تحتاج إليها دائما وأبدا لا لغيرها فيتعينُ أن تجرى العلاقات بين اللّغات في الدّولة على سُنن معينة تتجسدُ في طائفة من قواعد القانون الّتي ترتفع إلى مرتبة مبدأ الحقوق والواجبات الوطنيّة والالزام الوطني للمواطن.

وتشتغل مجالات اللّسانيّات الاجتماعيّة Sociolinguistiques كما جاء بالتّفصيل في كتاب (دليل السّوسيولسانيّات) والّذي اشتمل على[6]:

-تطوُّر نظريّة سوسيولسانيّة اللُّغة؛

-ديمقراطيّة اللّغة؛

-الأنواع اللّغويّة والتّنوّع اللّغويّ Language Variation؛

-التحوُّل اللّغويّ ShiftLanguageفي تقدّم التّغيّر كما يقع؛

-العوامل الاجتماعيّة في التّغيّر اللّغويّ Language Change؛

-السّوسيوصوات/علم الصّوتيّات الاجتماعيّ Sciophonetics؛

-اللّهجة Dialect في المجتمع؛

-النّوع الاجتماعيّ Gender بوصفه متغيّراً سوسيولسانيًّا؛ آفاق جديدة في دراسة التّنوُّع؛

-العُمر Age كمتغيّر سوسيولسانيّ؛

-اللُّغة المنطوقة والمكتوبة؛

-سوسيولسانيّات وسائل الإعلام التّواصليّة؛

-الازدواجيّة اللّغويّة Diglossis بوصفها حالة سوسيولسانيّة؛

-التّغيّر الشّفويّ؛

-اتّصال اللُّغة ContactLanguage وتوليدها Pidgins &Creoles؛

-اتّصال اللُّغات وانحطاطها؛

-اتّصال اللُّغة وازاحتها؛

-الصّراع اللُّغويّ؛

-التّعدّديّة اللّغويّة Polyglossia؛

-اللُّغة والهويّة Language and Identity.

-اللُّغة الإثنيّةEthnicLanguage الرّؤية من الدّاخل؛

-سوسيولسانيّات النّطاق الشّامل؛

-اللُّغة وتوسُّط التّجربة: التّمثيل اللُّغويّ والتّكيُّف المعرفيّ؛

-آداب السُّلوك اللّسانيّ؛
-السّوسيولسانيّات والتّربيّة؛
-التّربيّة ثنائيّة اللّغة؛
-السّوسيولسانيّات والقانون؛
-التّخطيط اللُّغويّ والإصلاح اللُّغويّ Language Maintenance.

أوّلا اللّسانيّات الجغرافيّة والمواطنة اللّغويّة: تبحث اللّسانيّات الجغرافيّة باعتبارها علما يسعى إلى تحقيق الأنماط اللّغويّة، وتحديد مختلف مظاهرها وفروقها على مستوى اللّغة الواحدة أو اللّغات المتعدّدة وربطها بأقاليمها وأطاليسهاالجغرافيّة وبما أنّ اللّسانيّات الجغرافيّة تبحث في الأقاليم الجغرافيّة للّغات؛ ولأنّه لا يمكن تحديد لغة ما، ما لم نحدّد الإقليم الجغرافي لها، يتبيّن من هذا التحديد الدقيق للّسانيّات الجغرافيّة مدى عناية الأولين من اللّغويين والنّحويين العرب بالأقاليم الجغرافيّة للّغات كدراستهم للقبائل العربيّة، وتحديد كلّ لغة بإقليمها الجغرافي، وهذا في إطار عنايتهم باللّغة العربيّة ولهجاتها كلهجة قيس الّتي تحدّدها قبيلة قيس وهكذا قبيلة تميم وأسد وكنانة وبعض طي وبعض هذيل، على اختلاف مستويات الفصاحة الجغرافيّة لهذه اللّهجات العربيّة، ومن هنا يمكن تعريف اللّسانيّات الجغرافيّة بأنّها: "العلم الّذي يدرس العلاقة بين الظاهرة اللّغويّة ومجال انتشارها، وهي دراسة اختلاف اللّهجات عند الأفراد والجماعات اللّغويّة المُنْتَمِيَّةِ إلى مناطق جغرافيّة مختلفة."[7]وهي دراسة مواقع اللّغات الفصيحة والعاميّة واللّهجات من حيث انتشارها وانحصارها أو انتشار التخيل بين ألفاظها أو تبدل أصواتها بسبب اندماجها بغيرها أو اكتشاف شعوبها دينا جديدا أو بسبب الغزو."[8]ويعرفها رمضان عبد التواب: "علم الجغرافيا؛ فقد اقتبس علم اللّغة، منذ أكثر من نصف قرن مضى طرق علم الجغرافيا ليضع حدودا لغويّة للهجات المختلفة في خرائط تبين معالم كلّ لهجة وتفرق بين كلّ لهجة وأخرى، ولا تختلف هذه الخرائط عن خرائط الجغرافيا إلاّ في أنّ يُدَوَّنَ عليها ظواهر لغويّة تُطْلِعُ القارئ على أَدَقِ الفروق في الأصوات والمفردات، بين اللّغات المختلفة، واللّهجات

المُتباينة."[9]ويذكر محمّد داود: "علم اللّغة الجغرافي يدرس اللّغة من زاوية المكان دون اعتبار لعنصري الزّمن والعائلة اللّغويّة، وإنّما يربط هذا العلم (علم اللّغة الجغرافي) الدّراسة الّتي تختص بالتوزيع اللّغويّ في المكان (الأطالس اللّغويّة) بالظروف الاجتماعية والثّقافية."[10]وقد أصبح اليوم علم اللّسانيّات الجغرافيّة La linguistique géographiqueيحتل المكانة الكبيرة في وصف اللّغة بالخرائط الجغرافية؛ هذه الخرائط تصف بدقة متناهية المصطلحات والمفردات اللّغويّة للأقاليم وتميِّزُ بين إقليم وآخر وبين لغة وأخرى ولهجة وأخرى مرة ثانية، وباتت تعرف بالأطالس اللّغويّة؛ "حيث يسجل الواقع اللّغويّ على خرائط يسجلها أطلس عام، وقد تختص كلّ خريطة بكلمة أو باستعمال أداة مع تسجيل الاختلافات الحاصلة بين المناطق، وتساعد الخرائط على معرفة مدى انتشار الأصوات والمترادفات والصيغ في المنطقة اللّغويّة الّتي يتناولها البحث."[11] ومن أهم قضايا اللّسانيّات الجغرافيّة الّتي تقوم على الخرائط اللّغويّة لخريطة الإقليم الّذي يتحدّد من خلاله معالم المدن والأماكن الجغرافيّة "وتطلعنا هذه الخرائط على الاختلافات الصّوتيّة، بين المناطق المختلفة؛ فقوم يُجْهِرُونَ أصواتا وقوم يَهْمِسُونَهَا، وطائفة تنطق الفتحة صريحة، وأخرى تنطقها ممالة ولهجة تنبر الكلمة في مقطعها الأوّل وأخرى تنبر المقطع الأخير منها... وهكذا، كما يبرز في هذه الخرائط الدرس الواسع للمفردات؛ من حيث البنية والمترادفات المختلفة للمعنى الواحد واختلاف الألفاظ باختلاف المناطق اللّغويّة، ومقدار انتشار الكلمات في الأقطار والأقاليم وغير ذلك ممّا يتيح لنا معرفة الواقع اللّغويّ للُّغةٍ مِن اللّغاتِ سواءً أكانت لغات فصحى أم مشتركة أم خاصّة أم لهجات اجتماعيّة، أم إقليميّة، أم عاميّات خاصّة."[12]أو اللّغة القوميّة أو الرسمية ."[13]ومن هنا حقّ لنا تحديد المواطنة اللّغويّة في إطارها العلميّ ضمن أبحاث اللّسانيّات الجغرافيّة أو الأطالس اللّسانيّة والّتي تكون فيها اللّغات الوطنيّة والمواطنة اللّغويّة ضابطاً ينظم أنماط السُّلوك ومانعاً يحول دون اتباع مُطلق الهوى، وبين المجتمع ونظامه القانونيّ–وشيجة لا تنقطع خيوطها–غير أنّه لما كانت بعض اللّغات في هذا المجتمع لدى أشخاص منها لا

تتمتع أصلا بالسّيادة على أقاليمها، وبالاستقلال في مواجهة غيرها من الجموع الإنسانيّة الأخرى، وكان من خصائص اللّغة أنّها تفرض حكمها على المتخاطبين بها، فقد يبدو التّعارض والتّرجيح-في النّطاق اللّغويّ الجزائري-بين أمرين هامين: العربيّة والأمازيغيّة أولهما: سلطان المجتمع الواحد ونظامه القانونيّ الواحد المشترك، وثانيهما: سلطان إرادة الدّولة بأحكام اللّغات الوطنيّة-العربيّة ولهجاتها المازيغيّة ولهجاتها-في كنف الحياة الاجتماعيّة،ولا شكّ في أن غلبة الأمر الأوّل تعني وجود قانون الدّولة، ويتضمن بقاءه منتجا فعالا، في حين أنّ الأمر الثّانيّ: يعني قيام دولة حضاريّة متقدّمة تؤمن بإرادة نظامها الدّاخلي بكلّ مقوماته اللّغويّة الموجودة والمفروضة على أرض الواقع، وتفعيل حريتها في التعاقد والتعاضد بحريّة مطلقة لا تنفرد من قيود القانون الواقعي للدّولة والقانون الواقعي المفروض للّغتين العربيّة والمازيغيّة، فرضا بالقواعد القانونيّة على المجتمع وعلى المجتمع الامتثال للقواعد القانونيّة للدوّلة من أجل بناء دولة حضاريّة متقدّمة حضاريا لا تعاني مزلق مشكّل اللّغات وترتفع إلى مقام القاعدة العلميّة الّتي تثبت الاتلاف اللّغويّ بين العربيّة والأمازيغيّة، ومن هنا جاء هذا البحث ليجيب عن إشكالات التّعدّد اللّغويّ في الجزائر، علام يمكن الاستناد في علم اللّسانيّات الجغرافيّة للإجابة على التّعدّد والتّعايش اللّغويّ في الجزائر بين اللّغتين الأمازيغيّة والعربيّة؟ هل أثبتت الحياة الاجتماعيّة والمجتمع الواحد في الجزائر وحدة لغتين جامعتين منذ أزل قديم؟ هل يمكن للّسانيّات الجغرافيّة إقرار مبدأ وحدة التّعدّد اللّغويّ بين اللّغات الوطنيّة في الجزائر؟أهو اختلاف المجتمع وتعصبه أهو اختلاف اللّغات؟ هل يمكن جمع اللّهجات الوطنيّةالأمازيغيّة لتكون لغة واحدة؟ هل وَحَدت اللّغة العربيّة في الجزائر كلّ اللّهجات الأمازيغيّة؟أم يمكن لهذه اللّهجات أن ترقى لمستوى اللّغات كما ارتقت اللّهجة الايطاليّة والفرنسيّة والإسبانيّة والبرتغاليّة والرومانيّة إلى لغات فقد كانت في الأصل لهجات مختلفة للّغة اللاّتينيّة؟ هل هو التّوزيع والفصل بين التوزيع الجغرافيّ للّغات في الجزائر؟ هل ترسيم اللّغة الأمازيغيّة في الجزائر سابق لوقته؟ باعتبار مسلمة كتابة اللّغة الأمازيغيّة بالخط العربيّ تمّ إقراره اجتماعيًا

وقانونيًا لدى الدّولة؟ هل تمَّ الفصل بين اللّهجات الأمازيغيّة الإقليميّة في الجزائر وجمعها تحت راية اللّغة الواحدة؟ اللّغة في الجزائر بين الوّحدة والتّعدّد؟ وأمّا التّعدّد اللّغويّ في الجزائر فإنّه أمر لا محالة منه، بين اللّغة العربيّة واختلاف لهجاتها واللّغة الأمازيغيّة واختلاف لهجاتها، وهذا ما تحدّده الأطالس اللّسانيّة أو جغرافيّة اللّغة في الجزائر، ويأتي الحديث عن التعدّد اللّغويّ في ضوء الدّراسة اللّسانيّات الجغرافيّة؛ إذ تبيِّنُ " هذه الدّراسة الجغرافيّة اللّغويّة الّتي تعدُّ من أحدث وسائل البحث في علم اللّغة، ولها وظيفة ذات أثر بالغ في الدّراسات اللّغويّة في العصر الحديث لأنّها تسجل الواقع اللّغويّ للغات أو للهجات، على خرائط يجمعها آخر الأمر أطلس لغويّ عام وتختص كلّ خريطة بكلمة، أو بظاهرة صوتيّة معينة، يبدو فيها الاتفاق، أو الاختلاف بين المناطق اللّغويّة المتعدّدة، ومما لا شكّ فيه أنّ هناك تشابها بين لهجة إقليمية وأخرى، أو بين لهجتين اجتماعيتين أو بين عاميّات خاصّة، مادامت هذه جميعا ترجع إلى أصل لغويّ واحد."[14]ومن هنا بات من الضروري بمكان العمل على إنجاز مشروع أطلس لغويّ للجزائر يضع الأطالس اللّغويّة الأساس للنموذج الأمثل للدراسة الوصفيّة العلميّة في مجال البحث اللّغويّ والتوزيع الجغرافي للّغات في الجزائر.

ولا يمكن اعتبار مشروع اللّسانيّات الجغرافيّة أو التوزيع الجغرافي للغات مشروع الجزائر فقط؛ إذ غدا مشروع التوزيع الجغرافي للغات العالم، وقد "تباينت تقديرات العلماء تباينا كبيرا في تحديد عدد اللّغات المستعملة في العالم الآن، فقد ذهب بعضهم إلى أنّه يتجاوز الألفين وخمسمائة لغة والتحديد الدقيق للّغات مستحيل؛ فكثيرا ما يكون عدم الوضوح في اللّغة حائلا دون تقدير ما إذا كانت هذه لغة مستقلة أم لهجة من لهجات لغة أخرى، وذهب بعضهم إلى أنّها لا تتجاوز في حدها الأقصى أربعة آلاف لغة، وغالى بعضهم فقال إنّ لغات العالم المستعملة اليوم هي نحو عشرة آلاف لغة، وليس من شك في أن التقدير الأخير قائم على اعتبار على عدّد غير قليل، من التنوعات اللّهجيّة لغات مستقلة."[15] يُبيِّنُ الإحصاء العالميّ للغات تحت علم اللّسانيّات الجغرافيّة الدّقة المتناهيّة والمتباينة للّغات وتمركزها

ومدى انتشارها في ربوع العالم، أنّ العربيّة أكثر اللّغات انتشارا في مختلف مناطق العالم؛ لتميّزها عن كلّ لغات العالم أنّها لغة تتعايش مع جميع اللّغات، ولا تقصي هذه اللّغات من أطلسها اللّغويّ، فالعربيّة في الجزائر حافظت على اللّغة الأمازيغية منذ القديم؛ حيث كتبت مخطوطات ثقافة اللّغة الأمازيغيّة بالحرف العربيّ، وارتقى وجودها الجغرافي أطالس لغويّة لم تعدها الأمازيغيّة قبل ذلك بفعل ما تركه الأجداد من مخطوطات حول ثقافة الأمازيغ بالخط العربيّ، "فإنّ اللّغة وعاء الثّقافة لأنّها تشتمل على تاريخ الأمّة وعلى ثقافتها، وعلى أدبها من نثر وشعر، وعلى تراثها الفكري من علوم ومعارف، ولذلك فأنّ الكيان الثّقافي للأمّة مرتبط بلغتها ارتباطاً وثيقاً."[16]فإنّ التلاحم المكاني في الجزائر والتوّحد اللّغويّ بصفتهما حقيقتين ثابتتين واقعيا ودائمتين تاريخيا للغة العربيّة واللّغة الأمازيغيّة.

وأما عن تتبع الأطالس الجغرافيّة للّغة الأمازيغيّة فهي فصيلة اللّغات الجزيرة الأفريقية[17]: يعنينا من لغات هذه الفصيلة ما هو مستعمل من لغاتها، ولذلك لن نأتي على ذكر ما اندثر منها، فذلك له موضعه... تتضمن هذه الفصيلة الأسر الآتية:

... ثالثا: الأسرة البربرية ومنها اللّغتان الآتيتان:

1-التشاوية Chawi وتنتشر في نيجيريا، ويتكلّم عشرة آلاف. وبعض الأقاليم الوسطى والشرقية من الجزائر.

2-الأمازيغية Tamasheq وتنتشر في منطقة القبائل في الجزائر والمملكة المغربيّة، ولها وجود في مالي والنيجر، والناطقون بها يتجاوزون مليوني نسمة."[18]ومن غير الممكن أن تكون اللّغة الأمازيغية بكلّ فروعها ولهجاتها محدودة في الجزائر؛ فهي لغة منتشرة في أطالس لغويّة مختلفة يتكلّم بها مليوني نسمة من سكان العالم، وعرفت هذا الانتشار بفضل اللّغة العربيّة الّذي آمن به الأجداد القدماء الأمازيغ بفضل التلاحم المكاني، والتوّحد اللّغويّ العربيّ الأمازيغي.

ثانيا: اللّسانيّات الجغرافيّة التّعريب والمواطنة اللّغويّة العربيّة:

إنّ من المواضيع الّتي تشغلنا وتشغل موضوع بحث اللّسانيّات الجغرافيّة والمواطنة اللّغويّة بين اللّغتين الوطنيتين في الجزائر، هو موضوع التّعريب الّذي

طُرح قديما وما زال يُطرح اليوم وغدا لدى كلّ الباحثين؛ وهذه المُسلمة الّتي أقرها الأجداد الأمازيغ باعتناقهما الإسلام ونطقهم اللّغة العربيّة لا ريب فيها حتّى ظهرت حقيقة النزاع الّتي خلقها الاستعمار الفرنسي العدو اللّدود لهذا التلاحم المكاني والتّوحد اللّغويّ، كما يقول نازلي معوض أحمد: و"تفاوت النّجاح النسبي للمستعمر الفرنسي في تطبيق سياساته المذكورة بين أقطار المغرب العربيّ الثلاثة: مراكش (المغرب)/تونس/الجزائر، حسب الظروف الخاصّة بكلّ قطر منها على الاستعمار الاستيطاني بمعناه المباشر يعني انتقال عناصر أجنبيّة وهجرتها إلى أرض خارجية والإقامة الدائمة الكاملة عليها مع العناصر الوطنية الأصيلة صاحبة تلك الأراضي الأجنبية."[19] هذا ومن زاوية نظر أخرى نرى أنّ موضوع التّعريب في الجزائر دون البلاد المغاربيّة الأخرى-تونس والمملكة المغربيّة العربيّة (المغرب)-تيسر الأمر في هذا النزاع، ولم يكن من العسير الاختلاف فيه؛ لأنّ الاستعمار الفرنسي لم يمكث الفترة الزمنيّة الكبيرة الّتي مكثها في الجزائر (1830-1962)؛ ولهذا كان من اليسير على تونس والمغرب وجود الحلول بدون اختلاف أو تنازع فكري حول التّعريب، وقبل الأمر وأغلق باب الاجتهاد، وأغلق باب اختلاف اللّغات بين العربيّة والأمازيغيّة، وأقروا بقرار الأجداد الأولين التلاحم المكاني، والتوحد اللّغويّ العربي الأمازيغي.

1-البربريّة العربيّة في الثّقافة المغربيّة الجزائر/تونس/المغرب/الصحراء الغربيّة: لم تكن بلاد المغرب مستهدفة عرقيا ودينيا وثقافيا واجتماعيا وتاريخيا مع كلّ أنواع الاستعمارات الأولى من الرومان والإسبان والبيزنطيين والأتراك... مثل الاستعمار الفرنسي العدو اللدود للهويات والثّقافات في العالم، ويقول نازلي معوض أحمد: "لجأ الاستعمار الفرنسي إلى سياسة التفرقة العنصرية ما بين البربر فحاول تقسيم الجزائر في العشرينات على أساس عرقي، كما سعى إلى تنفيذ ذلك المخطط نفسه في المغرب بقانون الظهير البربري الصادر 16 أيار/مايو 1930 مستهدفا الفصل بين المناطق الّتي يسكنها العرب والمناطق الّتي يسكنها البربر، بتقسيمات إدارية على أساس اللّغة، والحكم والقضاء بها فيها الأحوال الشخصية، وبمعنى آخر

أراد المستعمر الفرنسي تقسيم المغرب إلى شق عربيّ يخضع للتشريع الإسلامي وشق بربري يخضع للأعراف والعادات والتقاليد القديمة لمجموعات البربر في شمال إفريقيا وتمنع فيه اللّغة العربيّة، وتسود اللّهجات الأمازيغيّة البربريّة."[20] ومن الواضح جدا أنّ الاستعمار الفرنسي العدو اللدود لشعوب المغرب العربيّ، لم يجد الحلول للسيطرة إلاّ في خلق الفتنة الكبرى في اللّغة في المغرب العربيّ عموما وفي الجزائر خصوصا، ولم يجد غير اللّغة لزرع الفتنة، فقد أنتجت ثمارها هذه الخطط على بعض الأقاليم، وفندها بعض الأقاليم الأخرى الّتي حافظت على التلاحم المكاني والتوحد اللّغويّ العربيّ الأمازيغي.

ومن الخطّط الّتي أرادها الاستعمار الفرنسي على دول المغرب العربيّ، ولم تنجح ولم تنتج ثمارها مثل فتنة اللّغة، فقد "حاول الاستعمار الفرنسي نشر المسيحية في المناطق الّتي تسكنها أغلبية من البربر وصبغ التّعليم فيها بصبغة خاصّة غير عربيّة في لغته وفي مواده الدراسية، وكانت هذه الحملات مدعومة بكتابات فرنسية وابحاث ذات مظهر علمي خارجي، تركّز على انفصال البربر عرقياً ولغوياً وفنياً ودينياً وتاريخياً عن العرب."[21]لم تلق هذه الفتنة الدّينية واللّغويّة والفنيّة والعرقيّة والتاريخيّة ثمارها على البربر الأمازيغ؛ لأنّه ترك أجدادهم مخطوطات كتبت باللّغة العربيّة–خاصّة في الزوايا والكتاتيب–ما يثبت ذلك وينفي نار الفتنة الّتي أراد الاستعمار الفرنسي نشرها، وبقاءه مستعمرا للمغرب العربيّ، والجزائر خصوصا.

وما يجهله اليوم العديد من النّاس العامّة عن علم أو دون علم، والباحثين المتخصصين اللّغويّين والأنثروبولوجيّين هو طبيعة الخلاف لم تكن بين اللّغة العربيّة واللّغة الأمازيغيّة؛ بل كانت في عهد الاستعمار بين اللّغة الفرنسية والتلاحم المكاني والتوّحد اللّغويّ بين اللّغة العربيّة واللّغة الأمازيغيّةوالاستدمار الفرنسي للموروث الثقافي اللّغويّ العربي الأمازيغي؛ حيث حدث اصطدام عنيف للاستعمار الفرنسي، أمام عجزه عن السيطرة الفكريّة المتنوّعة لبلاد المغرب؛ لأنّه اصطدام لغوي بين الفرنسية والأمازيغية من جهة وبين العربيّة البربريةوالفرنسية من جهة أخرى، هذا الّذي أرق الفرنسيين وعجزوا أمامهم.

ففي فتنة المسيحيين في الجزائر، وخاصّة سفير البابا الكاثوليكي في الرباط (المغرب) الّذي استخلصت حاشيته من تمسك سكان الجبال في المغرب بالتقاليد البربرية أنّه يمكن بسهولة تحويلهم إلى مسيحيين، وذلك كما جاء في كتاب الأب أزوج كولير بعنوان: (بحث في فكر البربر المغربي)، كما كانت هذه الفكرة موضوع كتابات عديدة في نشرة المغرب الكاثوليكي، لسان النيابة الرسولية.

والملاحظ أنّه على رغم صدور الظهير البربري بشأن المغرب، فقد تولدت عنه نتائج سياسية واجتماعيّة هامّة داخل الجزائر؛ إذ قام رجال الإصلاح الدّيني في الجزائر بحملة شعواء ضد هذا القانون بينما أيدته بعض العناصر الجزائريّة المتجنسة بالجنسية الفرنسية، والّتي نظمت حركتها في عدة جمعيات في الجزائر تخدم خط الفَرْنَسَة مثل «جمعية معلمي الجزائر من أصل أهلي» ومثل «رابطة المواطنين الفرنسيين من أصل مسلم» ومثل «الاتحاد الكاثوليكي»وكان لهذه الجمعيات منابر صحفية عديدة مثل صحيفة صوت البسطاءla voix des humbles والصّوت الأهليla voix indigène وكانت هذه العناصر تعبر عن أفكار متطرفة قوامها مستقبل فرنسا في الجزائر يدور حول المحور البربري أو الدعوة إلى المساواة المطلقة مع الفرنسيين واستفادة كلّ الجزائريين المتعلمين من (إيجابيات) الفَرْنَسَة."[22]خلقت هذه الفتنة الفرنسية بين التوحد اللّغويّ والتلاحم المكاني العربي الأمازيغي دعوة الأمازيغ للمساواة بين الأمازيغ والفرنسيين الّذين يقيمون بالجزائر ويتمتعون بكلّ الحقوق، ومنعتهم من حقوقهم اللّغويّة والثّقافيّة الأمازيغيّة، وليست اللّغة العربيّة الّتي حجبتهم منها، يقول صالح بلعيد: "إنّني لست مع أولئك الجزائريين الّذين يريدون رمي العربيّة في البحر؛ بدعوى أنّها حجبت مواطنة الأمازيغ، ولست من أولئك الّذين يريدون التحكّم في الفرنسية فقط؛ على اعتبار أنّها اللّغة الوحيدة الّتي تنقلها إلى برّ الأمان، ومفتاح العلم والمنال وهي المكسب الحربيّ الّذي ليس مثله في ما أنتجه الأنام، ولذا أنا فمن أجل لغة غير مقصية، لغة الأجداد والدّين لغة لم يسجل عليها التاريخ؛ أنّها عرفت مواجهة لَسَنية مع الأمازيغيّة مُطلقاً رغم ما عرفه الفتح العربيّ من حروب دامت سبعة عقود كما لم نقرأ أنّ تمييزا

اجتماعيا أحدثته الأمازيغيّة أو العربيّة، فالتمييز الاجتماعي أحدثته الفرنسية الّتي خلقت بعضا من النخبة الوطنية، والّتي أضحت تتعدى على الثوابت، ولا تراعي هويات شعوبها فيما هو ثابت، كما لا تفرق بين المتحوّل الّذي لا يستقر، والثابت المستقر."[23]فإنّ الّذين تجنسوا بالجنسية الفرنسية، وسيطرت اللّغة الفرنسية على أذهانهم ليسوا من الأمازيغ، وليسوا من العرب، ولا يرحب بهم في اللّغة الفرنسية بل مسعى الفرنسيين من هذا محو ثقافتهم الأمازيغية ولغتهم الأمازيغية والعربيّة ومسعاهم الكبير في ذلك مواجهة التلاحم المكاني والتوحد اللّغويّ العربيّ الأمازيغي.

إنّ العربيّة ليست في موقع تنافس مع الأمازيغيّة، فهي في موقف صراع مع الفرنسية لأنّها احتلت مواقعهما، وخلقت ازدواجية مفروضة Un bilinguisme imposé ونحن لسنا عضواً في الأسرة الفرانكفونية، وهذا ما أدّى إلى تدهور العربيّة لما للمزايا الّتي تحظى بها الفرنسية من فرص العمل واكتساحها مجالات الاقتصاد، ولم تعط للأمازيغية صورة الظهور بتاتا لا في العهد القديم ولا في العهد المعاصر."[24]ولم يكن من العجيب المستحيل أن تتغلب اللّغة الفرنسية والثّقافة الفرنسية على البلاد المغاربيّة عموماً والجزائر خصوصاً؛ إذ بدرجة أولى بسلطة السّلاح، "تغلبت اللّغة الفرنسية على اللّغة العربيّة في بلاد المغرب إبّان سنوات الاستعمار الطويلة بسبب سلاح السلطة الاستعماريّة من جهة أولى ثمّ بمستويات ممتازة فنيا من الخبرات، المتخصّصة الفرنسية في تطبيق الغزو الفكري والسحق الثّقافي لحضارة المستعمر الأصيلة، تربويا ونفسيا من جهة ثانية، وأخيراً بسبب اعتبار التوظيف أو إيجاد فرص العمل بعد التخرج من المرحلة التعليمية والمتوسطة في غالب الأحيان... بصفة عامّة؛ حيث كانت فرص التوظيف في الأعمال الإدارية أو في الأعمال الحرة التجارية وغيرها قاصرا على خريجي المدارس الفرنسية دون غيرها."[25]فلكلّ هذه الأسباب القويّة والحقائق التاريخية للّغة الفرنسية في البلاد المغاربيّة حقّ لها فرض نفسها على البربرية العربيّة؛ الّتي عاش بها الأجداد الأمازيغ يوم الفتح الإسلامي العربيّ ونصرت الإسلام؛ فقد كانت

شمال إفريقيا تحت وطأة الاستعمار الإسباني والروماني والبيزنطي فجاء نصر الإسلام والمسلمين ونصر العربيّة لبلاد المغرب العربيّ محررين من هذا الاستعمار بالفتوحات الإسلامية، واعتنق البربر الإسلام؛ لأنّهم كانوا فاتحين لا مستغلين الثروات، ولا يريدون محو الثّقافة الأمازيغيّة ولا اللّغة الأمازيغيّة فالأجداد بحريتهم المطلقة آمنوا بتلاحم المكاني والتوحد اللّغويّ، "ولم يسجّل لنا التاريخ كذلك أنّه حدث نزاع حول الامتياز الّذي حظيت به العربيّة في الشمال الإفريقي عامّة وفي الجزائر خاصّة ولذا يمكن قطع الطريق أمام حرشة الصراعات، ومثيري النعرات بالنّظر إلى المسألة اللّغويّة، وتوزيع مختلف الأدوار والوظائف بين اللّغتين: العربيّة والأمازيغية بالشكّل الّذي يناسب كلّ منهما، والبعد كلّ البعد عن التبعية اللّغويّة الأجنبيّة."[26] لأنّ شمال إفريقيا قبل الإسلام بكثير قد عرف عدة استعمارات لا يمكن وصفها الوصف الدقيق لها من الاستعمار الإسباني وأثاره والروماني وأثاره والبيزنطي وأثاره ... ولم يحافظ الأجداد البربر على لغات هؤلاء المستعمرين؛ إلاّ ما خلدوه لنا من البربرية العربيّة،يقول صالح بلعيد: "لا يقاس ماضي أجدادنا بعظمته فقط، وإنّما بما خلفه من عظائم، وهكذا فعّل الأجداد فما كانوا أتباعا، ولا تعصّبوا لمتبوع، فكانت لهم الصّفة التمييزية الّتي جعلتهم أمّة فوق الأمم، فلقد اختاروا فأحسنوا الاختيار وما اختاروه في الماضي هو الصلاح لمستقبلنا الّذي هو الخلاص لو اتّعظنا وبقينا نثمّن جهودهم، ونعمل على ترقيتها... عن مكانة اللّغة العربيّة الّتي جعلتُ لها الصدارة، كما قد تكون بعض الآراء مصدر قلق لمن لا يؤمن بأنّ المستقبل الزاهر في بلادنا لا يحصل بغير العربيّة."[27]وهذا هو الرأي الصواب الّذي أقره الأجداد، (قدنختلف في ظاهر اللّغة ونتفق في المعاني الجوهرية) هذه عبارة البربرية العربيّة الإسلامية تراث الأجداد في البلاد المغاربيّة العربيّة، "ففي عام 1830 واجه الفرنسيون المحتلّون الأوائل ثقافة ولغة عربيّة في الجزائر استقرت منذ قرون طويلة في أنحاء البلاد ومع أنّها كانت فقيرة وقتذاك من حيث المؤلفات والعلوم الحديثة إلاّ أنّها كانت ثقافة وطنيّة أصيلة..."[28]عمل الفرنسيون على اسقاطها بكلّ الطرق والوسائل كما جاء ذلك، "في تقرير رسمي

عن السلطة الفرنسية في الجزائر عام 1849 ما يلي: إنّ لغتنا هي اللّغة الحاكمة فإنّ قضاءنا المدني الجزائي والعقابي يصدر أحكامه على العرب الّذين يقفون في ساحته بهذه اللّغة، وبهذه اللّغة يجب أن تصدر، بأعظم ما يمكن من السرعة جميع البلاغات الرسمية، وبها يجب أن تكتب جميع العقود، وليس لنا أن نتنازل عن حقوق لغتنا فإنّ أهمّ الأمور الّتي يجب أن يعتنى بها قبل كلّ شيء هو المسعى وراء جعل اللّغة الفرنسية دارجة وعامّة بين الجزائريين الّذين عقدنا العزم على استمالتهم إلينا وتمثلهم بنا وإدماجهم فينا وجعلهم فرنسيين."[29] فمن عديد الاستعمارات على شمال إفريقيا وعلى الجزائر خصوصا، لم نر مثل الاستعمار الفرنسي الوقح الساذج ومن السذاجة بمكان، والوقاحة الفاضحة ذلك التصريح بتقرير رسمي لمسح الهوية البربرية العربيّة، والّتي مست مسا عظيماً الشّعب الجزائريّ،ومنها استشاط غضبا للتضحية من أجل الوطن واللّغة والهوية، ويقول صالح بلعيد: "خطر اللّغة الأجنبيّة الوحيد: إنّ اللّغة العربيّة هي خلاصة التوّحد بين كلّ الجزائريين؛ فالمجتمع الجزائري له عينان: عين العربيّة، وعين الأمازيغيّة فبدون العربيّة أعمى، وبدون الأمازيغية أعور، وما يأتي خارج هاتين اللّغتين فهو خطر، وخاصّة اللّغة الفرنسيّة الّتي نالت مكانة لم تنلها اللّغتان."[30]

وإنّنا نستنكر التطرف في التشيع للتعريب، او التطرف في التشيع للتدريس باللّغات الأجنبية؛ لأنّ التطرف في الناحيتين أمر ممقوت، ويجب أن تسير الأمور بما يحقّق المواءمة بين التعريب والمصطلحات العالمية المتعارف عليها في العلوم."[31]

ثالثا: المواطنة اللّغويّة في الجزائر وتعاضد اللّغات بين دعاة البربريّة العربيّة ودعاة العربيّة العاميّة ودعاة الفرنسيّة:إنّ الجزائر بلد غني بالثروات الطبيعية والمعنويّة، وعلى رأس هذه الثروات المعنوية الّتي تغذي الثروات الطبيعية والروحية الفكريّة للشّعب الجزائريّ توّحد لغاته البربريّة القبائلية والشاوية والترقية والميزابيةوالشلحية... مع اللّغة العربيّة،لكن مع هذه الحقائق الثّقافيّة والاجتماعيّة الجغرافية اللّغويّة والفنيّة والعلميّة والدّينيّة والسياسية التاريخية، يثير العديد من

الأفراد شبهات لا يمكن التسليم بها هم دعاة العاميّة العربيّة، ودعاة البربرية، ودعاة الفرنسيّة.

أ-أوّلا دعاة حَلٌّ العاميّة محلّ اللّغة العربيّة: إنّ اللّغة العربيّة في الجزائر لغة أصيلة ذات مصدر من مصادر الروح الإنسانيّة القديمة للشّعب الجزائري، الّذي عاش بها منذ أزل قديم، مع أجدادنا الأوّلين،ولا ينكرها أحد، ومن المعروف قديما جداً أنّ اللّغة العربيّة تتمتع بلهجات عاميّة يتداولونها وتعيش في أذهانهم يتوارثونها ابن عن أب وأب عن جد، فهذه الطائفة تنادي وبصوت عالٍ إلى استعمال هذه العاميّة العربيّة في أطاليس مختلفة من الجزائر، وحتّى في أطاليس جغرافيّة للغات البربرية، وفي أطاليس جغرافيّة أخرى من دعاة البربرية العربيّة، ومن أطاليس دعاة الفرنسيّة، كم هي المسألة معقدة لديهم، فيذكر محمّد عبد الكريم الجزائري: "إنّ اللّعة العربيّة صعبة جداً، وإنّ تعلّمها يستغرق وقتًا طويلاً وجزءًا كبيراً من عمر الإنسان فيجب علينا أن نحلَّ محل الفصحى اللّغة العاميّة، الّتي هي لغة الأمّ والأب ولغة المجتمع الشّعبي وهي الّتي يتعلّمها الطفل-في أوّل نشأته-تعلّماً تلقائيًا، لا إكراه عليه، مثلما يتعلّم القعود والحبو والوقوف والمشي، والأكل والشرب، وبذلك يكون قد وفر جزءاً كبيراً من الوقت، يتعلّم أثناءه مختلف العلوم والفنون."[32] وحقيقة هؤلاء ضعفهم النّفسي والعلميّ على استدراك هذه اللّغة العربيّة، ليس إلاّ؛ لأنّ حقيقة العاميّة في اللّغة العربيّة حقيقة قديمة جداً، تعود أصولها إلى العصر الجاهلي والعصر الإسلامي والأموي والعباسي-عصور الفصاحة-لوجود قبائل عربيّة مختلفة وعديدة تتنوع فيها اللّغة العربيّة بين الفصيح والأفصح والفصحى، أمّا عن الاشكال المطروح في الجزائر فليس على مستوى اللّغة العربيّة الفصحى بل على مستوى اللّهجة أو اللّهجات العاميّة؛ لأنّ معظم الأطالس الجغرافيّة تختلف في عامياتها العربيّة لا في فصحتها.

ويقول صالح بلعيد: "مسألة الدارجة: إنّ اللّهجات واقع ومستوى لغويّ أدنى واستعمال وظيفي تخفيفي لا بدّمنه، ولا تعمل على التخلف اللّغويّ مطلقا، ولم نجد مشكلة اجتماعية أدّت إلى خراب المجتمع من وجود اللّهجات، لكن وجد الخراب

الاجتماعي من غزو اللّغات الأجنبيّة في المجتمعات الضعيفة، كما أنّ هذا المستوى موجود في كلّ اللّغات فهي المستوى المستخفّ من اللّغة... ولا ندري أنّ التركيز على محاربة الدوارج خطاب استعماري غرضه التشتّت اللّغويّ، لترك الباب أمام اللّغة الأجنبيّة. فهي من أطروحات القرن الماضي، أخذت أكثر ممّا تستحق، وإن وجود اللّهجة لا يعمل على إضعاف اللّغة، فهي أكذوبة كنّا صدقناها."[33] ويقف إلى جانب هذا الموقف مفكّرون آخرون ويرون أنّ اللّهجات هي حيلة ضعف أمام تعلم اللّغة العربيّة، فهل يمكن تعلم اللّغة العربيّة الفصحى بالعاميّة، ويسددون أسباب هذه العوامل الّتي لا تعود إلى أمور يسيرة، يقول محمّد عبد الكريم الجزائري: "لم تكن الدعوة إلى العاميّة حديثة عهد بلادنا، أو بنت ساعتها في مجتمعنا؛ بل جذورها قديمة جداً في صفوفنا، وقد امتدت إلينا أطنابها من الغرب ومن الشرق أيضا، فأمّا أصحاب هذه الفكرة في الغرب فهم المستشرقون والمبشرون الّذين قد اتخذوا إحلال العاميّة محلَّ العربيّة وسيلة لثلاثة أغراض أساسية:

الغرض الأوّل: القضاء على الدّين الإسلامي، الّذي نزل به القرآن، النّاطق بلسان العرب المكتوب بلغته، المحفوظ بإرادة الله...ولا يمكن قراءة القرآن وتعلم مبادئه دون اللّغة الفصحى.

الغرض الثّانيّ: التوصل إلى فهم عادات الشّعوب المستعمَرة (بفتح الميم) والاطلاع على أخلاقهم واتجاهاتهم الفكريّة والشعوريّة؛ عن طريق مدلولات العاميّة؛ حتّى يتسنى لسلطات الاستعمار تشتيت صفوف هذه الشعوب، والاستعلاء على أفكارهم وأوطانهم بكلّ سهولة؛ لأنّ اللّغة العاميّة أسهل لدى الافرنج من اللّغة الفصحى؛ سواء من حيث النطق أم الفهم. والدّليل على ذلك أنّنا نجد كثيراً من المبشرين والمعمرين يتكلّمون اللّهجات العاميّة، بطلاقة في جميع مستعمراتهم العربيّة؛ بخلاف اللّغة الفصحى؛ فإنّنا قلما نجد منهم من يتكلّمها بدون رطانة في نقطة، ولُكنة في لسانه، وهذه الحقيقة لا ينبغي أن ينكرها أحد.

ويبدو ذلك جليا في المحاضرات الّتي يحاول بعض المستشرقين، أن يلقوها باللّغة الفصحى في مدرجات الجامعة، وقاعات المحاضرات.

الغرض الثّالث: الوجهة السياسية،الّتي يستهدف بها هؤلاء المستشرقون والمبشرون تشتيت الأمّة العربيّة، وتمزيق الوحدة الإسلاميّة، ومن أجل هذا الغرض لقيت هذه الدعوة الخطيرة صدراً رحباً من الافرنج فراحوا يجدون في البحث عن اللّهجات العاميّة، وينشطون لتدوينها واستخراج قواعد لها، وكتابة البحوث والرسائل والأطروحات الجامعيّة عنها، ثمّ الدعوة إلى الاهتمام بها وإحلالها محل التبجيل والتكريم والتحريض على التّخصص في لهجاتها وحروفها المستعارة من اللاتينية."[34]ونجد معظم هذه الأثار عند المشارقة وبعض المغاربة وخصوصا منهم البعثات العلميّة لأخذ العلوم الغربيّة في بدايات العصر الحديث من مصر خصوصا. ونزول المستشرقين بها، وتأثر هؤلاء من البعثات وغيرهم ممن ليسوا من البعثات.

ويرى صالح بلعيد أنّ هذه المعضلات العاميّة أيسر وأرحم من معضلات اللّغة الفرنسية المشينة القبيحة بالمجتمعات الأخرى، يقول: "وصحيح هي لا تسمو إلى منزلة ومستوى اللّغة العربيّة الفصحى الّتي تظل لغة المضامين العالية، وتبقى الدارجة مكمّلة لمقامات أنسيّة تتطلّب الاختلاس والتخفيف، ومع ذلك فإنّه يمكن مهما تكن المسافة بين العربيّة ولهجاتها فهي قليلة قياساً بين من يتكلّم بالعربيّة ويكتب الفرنسية."[35]قد تتحوّل العاميّة إلى لغة، كما أنّ اللّغة الفرنسية والإيطالية والألمانيّة والانجليزية... قد أصبحت لغات بعدما كانت لهجات فرعية للّغة اللاتينية، ومن المعلوم أيضا أن تكون العاميّة خادمة للّغة الفصحى.

ويتكلّم محمّد بن عبد الكريم الجزائري عن أولئك المغاربة والمشارقة: "وقد دفع بهؤلاء المغاربة وأولئك المشارقة إلى اعتناق هذه الفكرة المتطرفة ثلاثة دوافع: انتفاعية ووهمية أيضاً.

الدافع الأوّل: الجهل بقواعد اللّغة العربيّة وبأسرارها السرمدية، وتوهم صعوبة تعلمها، والنفوس ميالة-بالطبع-إلى ما هو أسهل، ونفارة ممّا هو أصعب، «من جهل شيئا عاداه».

الدافع الثّاني: التودد والتزلف من هؤلاء المشارقة وأولئك المغاربة إلى أسيادهم المستشرقين والمبشرين والسياسيين من الافرنج، الّذين نادوا بهذه الفكرة–أوّلا– وعملوا على نشرها في أقطار العالم العربيّ–ثانيا–ثمّ إلى الفرنجيين من العرب على وجه العموم، ومن السياسيين والوجهاء منهم على وجه الخصوص.

الدافع الثّالث: بروز كوامن العنصرية والعرقية، الّتي طالما اختزن اوارها في نفوس العنصريين والعرقيين: من سكان المشرق والمغرب، الذّين يريدون–بصفة مباشرة–أن محو معالم العرب، ويقوضوا صروح الإسلام."[36]ويتبيّن من هؤلاء زرع فتنة عجزهم اللّغويّ للعربيّة وأسررها وقواعدها وعلومها وفنونها–الشعريّة والنثرية–المعيارية من علم النّحو وعلوم البلاغة والصّرف والدّلالة خاصّة.

ب–ثانيا:دعاة البربريّة الخالصة دون العربيّة في الجزائر:لفظة البربر في الاصطلاح العام لدى العامّة والمتخصصين من اللّغويين تطلق على مجموعة من الناس يسكنون في مناطق وأطالس لغويّة مختلفة، من شمال إفريقيا وغيرها من مناطق العالم، ويعرفون باسم أو لقب(القبائل) أو (الأمازيغ)«ثمازيغن»الّذين يتكلّمون اللّغة الأمازيغيّة في بلاد الزواوة[37]و"تشير المصادر بأنّ شمال إفريقيا قبل الفتح الإسلامي كان (بربريا) بحتاً، وأنّ اللّغة الوظيفيّة المستعملة في بلاد (تامزغا) هي المازيغيّة بكثير من لهجاتها، وأمّا في الخطاب الرسمي فتتوّعت فيها اللّغات الأجنبيّة من نوميدية إلى رومانية وإلى فينيقية ولم يثبت التاريخ أنّ ملوك البربر قد استعملوا المازيغية في الخطاب الرسمي استعمالا توسّعيا، ولا في الإدارة أو في مصالحهم العسكرية، فكانت لغتهم الرسمية بين النوميدية أو الرومانية أو الفينيقية فقد وقع تهميش المازيغية منذ غزو الرومان والوندال إلى شمال إفريقيا، ولم تعط لها القيمة الوطنية إلاّ مع دخول العرب هذه البلاد، ولكن المازيغيين تعاملوا مع العربيّة دون إهمال لغتهم وكانوا يستعملونها في معاملاتهم الوظيفية، وتُكتب بالحرف العربيّ، وأهملت مع الفتوحات المتوالية، ومع المدّ الزاخر الّذي كانت تحمله اللّغة العربيّة بالحمولة الدّينية في المقام الأوّل."[38]ويقول محمّد عبد الكريم الجزائري: "إنّ اللّغة البربرية هي لغة الشعوب إفريقية الشمالية بالأصالة والوراثة

وما دون ذلك من سائر اللّغات الأخرى فهو طارئ ودخيل يجب أن يزول ويمحى وعلى هذا الأساس فكلّ من العرق والأرومة يجبرنا على لغتنا البربرية والاجتهاد في البحث عن رموزها وحروفها القديمة، فنستعملها وسيلة للقراءة والكتابة؛ مثلما كان يستعملها أجدادنا قديماً، وإذا لم تف هذه الرموز بمقتضى حياة العصر الحديث اخترعنا لها-حينئذ-رموزا إضافية مكملة لنقصها مبنى ومعنى ولعلّ كتابة اللّغة البربرية بالحروف اللاتينية أنسب شكلاً، وأفضل نطقاً."[39]وما يثيره هذا الاتجاه الثّاني من اشكال قد قر نزاعه عند الأجداد لا نزاع ولا خلاف بين العربيّة والأمازيغية بفضل التلاحم المكاني والتوّحد اللّغوي بينهما؛ لأنّ المازيغية وجدت لغة مشافهة، ولم توضع لها حروف كاملة في بداياتها وتزاوجت باللّغة العربيّة قبل اللّغة اللاتينيّة، فأقر الأجداد كتابتها بالحرف العربيّ؛ لأنّها لم تكتب بحرف التيفيناغ كاملة، بل كانت عبارة عن رموز وحروف معدودة غير مكتملةيشير صالح بلعيد إلى هذه المسألة العويصة، ويتحرى الموضوعيّة والعلميّة، فيقول: "تعدُّ الكتابة الفينيقية الّتي جاءت رموزا تمهيداً لظهور حرف التيفيناغ؛ بإضافة بعض الحروف والصّوائت لتصبح 23 حرفاً من الأصل الأوّل الّذي لا يتعدّى ثمانية عشر (18) حرفاً، ثمّ تطوّرت الكتابة حتّى أصبحت اليوم 42 حرفاً حسب سالم شاكر وغيره ولكن ما يذكره المؤرخون فإنّ خط التيفيناغ لم يكن أبجدية بقدر ما كان يتواجد في بعض الرسوم وفي المنحوتات."[40]فإنّ الأنسب لكتابة الأمازيغيّة بعد حرف التيفيناغ هو الحرف العربيّ، وهذا الّذي حدث وكتبت به الأمازيغيّة بعد الفتوحات الإسلاميّة والكثير من المخطوطات بخط الامازيغ تشهد على ذلك في الزوايا والكتاتيب وتقدّمت الباحثة حورية بن سالم بكتاب بعنوان (مدونة أثر اللّغة العربيّة في تكوين الأدب الشّفوي الأمازيغي منطقتا القبائل وبجاية أنموذجا) وكان هذا العمل من عمل كبار الجهابذة في اللّغة ويجب الإقرار به؛ لأنّه كتاب عظيم وبحث عميق في أسرار مدونة تكوين الأدب الشفوي الأمازيغي الشعبيّ-حكايات وأشعار ترانيم ووإزلان أمثال وألغاز-من خلال منهج علمي إيستيمولوجي أنثروبولوجي (الأنثروبولوجية الحلقية) حديث ومعاصر، "تتّسم هذه المدونة بتراثها؛ حيث قدّمت فيها الباحثة

نصوص الفنون القولية الشّعبيّة في لغتها الأصلية، مصحوبة بترجمة كاملة للنّصوص تعتمد الكتابة بحروف عربيّة مكيّفة بالنطق الأمازيغي وهو المتبع حاليا تعميما للفائدة، وتأتي هذه المدونة لتسد ثغرة، وتربط بين ذاكرتين شعبيتين متعاقبتين عبر التّاريخ، هما الذّاكرة البربريّة الأمازيغيّة والذّاكرة العربيّة... كما تمثل مرجعا غنيّا وأصيلا عن سوسيولوجيّة خاصّة، فهو مجتمع قائم على نظام قبلي قائم على العرف تتقاسمه مجموعة من الكونفدراليات المتحدة حينا، والمتنافرة أحيانا أخرى... واتضح من خلال ما تتضمنه هذه المدونة سعة استغلال القبائلية للألفاظ العربيّة عن قضايا وموضوعات،... كانت الكتابة العربيّة أوّل نظام أجنبي في كتابة الأمازيغية، ولم تسلم بعض الأصوات، كالحرف الصّفير، المجهور والمفخّم، من زيادة فعلى أية حال، فالمؤلفون الّذين يكتبون اليوم الأمازيغية بالحروف العربيّة مجبرون على خلق وإدخال تكييفات، وحتّى إضافة رموز على شكل حركة، شكلة، توضع فوق الحرف أو تحته ضبطا للّفظة... لقد وُظف الخطّ العربيّ في الماضي، في كتابة البربرية على الرّغم من كونه غير شامل لكلّ الأصوات، وهي طريقة منتشرة انتشارا واسعا في العالم الإسلامي... وتشير إلى حركة التّغيّر الصّوتي في الأمازيغيّة بالأطلس اللّغويّ لتيزي وزّو والأطلس اللّغويّ لبجاية وتتحوّل العين إلى همزة قطع في لهجة (آثزمنزر) مثلا عامييناًمَيْنْ وتصير الطاء الخفيفة عند البجاويين ظاءً ثقيلة عند سكّان تيزي وزّو مثلا: أَطَرْأَظَرْ..."[41]ويفسّر صاحب (المعجم العربيّ الأمازيغي) الفرق بين المصطلحين «البربري» و«الامازيغي» يقول: "وأخيرا أرى من واجبي أن أوضّح نقطةً بسيطةً لها أهميّتها؛ ذلك أنّ للقارئ العربيّ غير المتمرس بالقضايا الثّقافيّة المغربيّة أن يتساءل: لمَ عُنْوِنَ هذا الكتاب بـ«المعجم العربيّ الامازيغي»بدلاً من«المعجم العربي البربري»؟ والجواب هو أنّ المغاربة يسمّون أنفسهم «ثمازيغن»–واحدهم أمازيغ–ويستنكفون عادة من أن يسمّوا بـ«البربر» أو «الشلوح»."[42]والأكثر شيوعا هي كلمة (الأمازيغ) وأمّا كلمة البربر فهي أقل شيوعا، هذا ممّا يثبت صحة ما ذهب إليه مؤلف (المعجم العربيّ الأمازيغي).

ويذهب صالح بلعيد إلى رأي آخر فيقول: إنّ البربر إشارة إلى شعب استوطن شمال إفريقيا منذ غابر الزّمان.... ، ولم نجد من يرفضها، وحتّى ملوك البربر أنفسهم ما كانوا يتحرّجون منها، وألفت كتب تحمل هذه التسمية مثل: مفاخر البربر، ولم تكن مسبّة بتاتا... وأطلقها عليهم الرومان والإغريق؛ لأنّهم رفضوا باستمرار الخضوع لهم ولحضارتهم،... وهكذا فإنّ كلمة البربر استخدمت منذ آلاف السنين وهي ليست شتيمة في مدلولها العربيّ، إلاّ في المدلول اللاتيني Berbérismeالّتي تعني التخلّف وقد أطلقها الرومان على كلّ الشّعوب الّتي ظلّت غريبة عن لغتهم ورفضوا سلطة الإمبراطورية المسيحية. وقد تكلّم صالح بلعيد عن الأمازيغ وأصولها العربيّة البرانس مازيغ بن كنعان كما أثبت ذلك ابن خلدون في كتاب العبر، الجزء السادس، الصفحة 117، ويقول صالح بلعيد: كلمة الأمازيغ: لغة من فعل إزيغ أو يوزاغ بمعنى غزا أو أغار، واصطلاحا: تعني الأحرار وتشير إلى الرتبة الاجتماعية، وينعت بها كلّ من يحتّل الرتبة الاجتماعية الوسطى بين الفئة العليا المكوّنة من الشرفاء والمرابطين والفئة الدنيا في المجتمع..."[43]

يبدو أنّ لفظة «بربر»–عند العرب–مشتقة من لفظة «بربرة» الّتي هي في لسانهم تدلّ على الصياح والثرثرة والهذيان، والتخليط في الكلام مع غضب ونفور جاء في لسان العرب: "والبربرة كثرة الكلام، والجلبة باللّسان، وقيل الصياح ورجل بربار."[44]إلى غير ذلك من المعاني الّتي اتفقت المعاجم اللّغويّة في تحديد دلالتها دون اختلاف بينها، ولا زيادة في التفصيل ولا نقصان بما دلّت عليه.

وما يذكره محمّد بن عبد الكريم الجزائري اللافت للانتباه من سند تاريخي ومصدر يوافق بعض الأدلّة المتنوعة ويتفق مع الأوجه الواردة في الروايات عن سكان شمال إفريقيا، فيقول: "إنّ علماء التّاريخ لم يثبتوا لنا أنّ لغة البربر هي أو لغة تكلّم بها سكان الشّمال الإفريقي، وإنّما أقصى ما أثبتوه لنا أنّ هذه المنطقة قد سكنتها عدّة أجناس بشريّة، ومن بين هذه الأجناس قبائل البربر، الّذين تقدّمهم العنصر الزنجي، النازح من وسط الصحراء؛ كما أشار إلى ذلك المؤرخ اليوناني الكبير المعروف بـ«هيرودوتس» وقد أنهى أحد الباحثين الفرنسيين هذه الأجناس–

الّتي مرت بالشّمال الإفريقي قديما وحديثا–إلى اثنين وعشرين جنساً..."[45] ويذكر محمّد بن عبد الكريم الجزائري مرّة أخرى بالأدلّة والبراهين والحجّة الدامغة والداحضة لعروبة سكان الشّمال الإفريقي، فيقول: "وفي إمكاننا أن نأتي ببعض البراهين، لعلّها تكون خير مرشد لمن ضل السبيل في بحثه عن عروبة سكان الشّمال الإفريقي لغة وجنساً:

البرهان الأوّل: ثلث مفردات اللّغة البربرية عربي النزعة.

البرهان الثّاني: عدم وجود ما يقابل المفردات العربيّة إن أريد حذفها وتعويضها باللّغة البربريّة وبهذه المناسبة أسوق قصة طريفة ومقنعة في آن واحد.

كنت يوماً جالساً في دكان أحد الأصدقاء، وكان بصحبتي رجلان جزائريا المولد والمنشأ، وكان أحدهما متعصب للبربرية، والآخر للعربيّة، فقال الأوّل: إنّ اللّغة البربريّة هي لغة سكان الجزائر بالأصالة إذن فلماذا لا تكون البربرية هي لغتنا الرسمية بدل العربيّة الطارئة علينا؟ فأجابه صاحب العربيّة: إنّ البربريّة–يا أخي!–لضيقة الصدر جداً، وإنّها لعاجزة عن أداء المعاني وتصوّرات الأفكار، فرد صاحب البربرية–بحماس–لا لا، هذا غير صحيح، أليست لغة البربر مثل لغات سائر الأجناس والشّعوب؟! فأجابه معاكسه–بهدوء–هوّن عليك، يا أخي! إنّي سائلك عن شيء بسيط جداً، افتُجِيبُنِي عنه بصراحة؟ فقال المسئول: هات سؤالك! هيا! عجل به! فقال السائل، أرجوك–يا سيدي–أن تسرد علينا أيام الأسبوع بالبربرية فبهت المسئول، ولم يجد جوابا يرد به؛ لأنّ أيام الأسبوع في اللّغة البربرية عربيّة في مبناها ومعناها، ثمّ سكت السائل هنيهة، وطلب من معاكسه–مرّة أخرى–أن يسرد عليه أسماء الأعداد فأخذ في سردها بقوله: (يوّن (1)، سين (2)، ثمّ توقف لأنّ ما فوق ذلك من سائر الأعداد–في اللّغة البربرية–كلّه باللّغة العربيّة مينى ومعنى، وليس لهذه ولا لتلك ما يقابلها من الألفاظ في اللّغة البربرية، وهذا إن دلَّ على شيء فإنّما يدلُّ على عروبة البربر بالأصالة، إذ لا يمكن لأي جنس من البشر أن يستبدل لغة أجنبية بلغته الأصلية دون أن يبقى ما يقابل المستبدل في المستبدل به لفظاً ومعنى، وذلك سنّة جارية في جميع اللّغات الحية الحديثة، المتفرعة عن

اللّغتين اللاتينية، واليونانية القديمتين، فإنّهما ما زالتا محتفظتين بأصل الاشتقاق ومعناه... الخ.

البرهان الثّالث: وجد حروف في اللّغة البربريّة، لا وجود لها سوى في اللّغة العربيّة، ثمّ لا نكاد نجد حرفا في هذه يعسر النطق به في تلك، مثل حرف (الضاد) و(العين) و(والغين) و(الطاء) وجميع الحروف الّتي تفردت بها (لغة الضاد) وبالإضافة إلى الواقع الملموس في اتحاد كلتا اللّغتين في بعض الجمل والمفردات فإنّنا نودّ أن نطلع القراء على رأي الشيخ أبي القاسم الّذي أثبته الزاهري في مجلة (المقتطف) حيث قال: ... ولو أنّ ابن خلدون نظر إلى اللّغة البربريّة لكان له رأي آخر في أصل البربر، وإذن، لوجد فيها ما يدلّ على عروبة البربر، أو ما يدلّه–في الأقل–على أصلهم السامي، فهذه اللّغة البربرية هي عربيّة لا في ألفاظها ومفرداتها فقط، (بل)–أيضا–من حيث تراكيبها وحروف المعاني فيها، ولا تزال تلازمها بعض خصائص اللّغة السامية الأولى، فضمير الغائب فيها–مثلا–هو حرف (السين) فهم يقولون: (كتابس)؛ أي كتابه، أو كتابها، ويقولون: (معس)؛ أي معه، أو معها نحو ذلك وحرف العين، لا يوجد في كلمة بربرية، وكلّ كلمة فيها عين فهي عربيّة مبربرة، ... الخ.

البرهان الرّابع: سرعة انتشار اللّغة العربيّة في البربر بمجرد امتزاجهم بالعرب الفاتحين لبلادهم، وقد نبغ منهم في أوّل الفتح رجال، قد ضربوا بسهم وافر في ميدان البلاغة والفصاحة، ومن بين هؤلاء الرجال القائد العظيم طارق بن زياد البربري، الّذي ما زالت خطبته مضرب الأمثال في حسن السّبك، ومتانة الأسلوب وشدة الوقع، ... ولعلّ أكبر دليل يدلّ على عروبة البربر بالأصالة أنّهم لم يتأثروا بأية لغة من لغات الأجناس الكثيرة، الّتي مرت ببلادهم، مثلما تأثروا باللّغة العربيّة الّتي أصبحت عنوان شرفهم وشعار عروبتهم... الخ.

البرهان الخامس: وجود التشابه الخَلْقِي والخُلُقي المشترك فيهما العرب والبربر قديما وحديثا...الخ

البرهان السّادس: وجود أسماء وألقاب عربيّة، تسمّى وتلقب بها البربر قبل الفتح الإسلامي بكثير ... فلو لم يكونوا عرباً ما اسموا أبناءهم بأسماء عربيّة صريحة؛ مثل: صالح هذا، وزياد والد طارق الفاتح لبلاد الأندلس.

البرهان السّابع: استنكاف سكان الشّمال الإفريقي من تلقيبهم بـ «البربر»، وتبرؤهم من هذا اللّقب؛ بل كانوا ولا يزالون-ينتمون إلى العرب-ويعتزون بالانتساب إليهم.

فلا نكاد نجد أحداً منهم لا ينتسب إلى أصل عربيّ، بل قد يذهب بنسبه إلى قبيلة قريش، أو إلى سلالة الرسول ﷺ حتّى أنّ بعضهم قد صنع مأدبة، وأطعم النّاس عندما ثبت أنّه عربيّ الأرومة، وليس-هو- من جنس البربر... الخ."[46] ويثبت إبراهيم حركات أنّ لهجة البربر تعود في أصلها إلى لهجة واحدة، فقد ذكر في مبحث له بعنوان (اللّهجات البربريّة): "أصبح من المؤكد لدَى العلماء أنّ اللّهجات البربريّة، تعود في أصلها إلى لهجة واحدة، كما أثبت علماء أصول اللّغات الصلة الوثيقة بين البربريّة واللّغات الساميّة والحاميّة، ومن المعلوم أنّه يوجد تشابه كبير بين الساميّة والحاميّة؛ من حيث الشّكل وحركات الإعراب، فمهما حاول بعض علماء الأجناس والمؤرخين الأجانب أن يربطوا البربر بأصل أوروبي، فهم لا يستطيعون أن ينكروا الصلات اللّغويّة بين البربريّة واللّغات المذكورة-الساميّة والحاميّة-حتّى إنّ لغة الطوارق الّتي عدّها بعضهم أقل اللّهجات البربريّة تأثراً بالعربيّة؛ وجدت بها أصول عربيّة ترجع إلى 200 سنة ق. م؛ أي قبل دخول العرب إلى المغرب بثمانمائة سنة، فالكتابة البربرية المنقوشة على يد الطوارق في هذا العهد تماثل ما وجد منقوشا على الأحجار في حدود الصحراء العربيّة."[47] ويقدّم عثمان سعدي في العديد من مؤلفاته الضّخمة المشروع الكبير لإعادة الاعتبار للبربر في مؤلفاته الّتي من بينهما ما نذكره على سبيل الاختصار كتابه بعنوان: (عروبة الجزائر عبر التاريخ) الّذي صدر بالجزائر في طبعتين سنة 1982، وسنة 1985، ثمّ كتاب (الأمازيغ [البربر] عرب عاربة) طبع بالجزائر سنة 1996 والمعجم المجلد الكبير الضخم والعظيم(معجم الجذور العربيّة للكلمات الأمازيغيّة)

منشورات مجمع اللّغة العربيّة–طرابلس–طبعته دار الأمّة الجزائر سنة 2007 يحتوي على سبعين وثلاثمائة صفحة، يقول في المقدّمة: "النقاش الّذي دار سنة 1976 في المجتمع الجزائري حول تحرير الميثاق الوطني، أثار فيه عناصر النزعة البربرية أي البربريون مسألة هوية الشّعب الجزائري وشككوا في عروبتها وينبغي التفريق بين البربرية Berbérité والنزعة البربرية Berbérisme الأولى عنصر من عناصر تاريخ الجزائر والمغرب العربي بل والعروبة، والثّانيّة خلقها الاستعمار الفرنسي الجديد من خلال الأكاديمية البربرية بفرنسا الّتي أسسها سنة 1967 مباشرة بعد استقلال الجزائر، من أجل إلغاء عروبة المغرب العربي واستبدالها ببربرية المغرب، وذلك لصالح الفرانكفونية، ولصالح استمرار هيمنة اللّغة الفرنسية على إدارات دول المغرب الأربع: تونس، الجزائر المغرب الأقصى وموريتانيا... قلت منذ 1976 استفزني البربريون وأنا سفير بسورية، فحررت دراسة أرسلتها للرئيس هواري بومدين بينت فيها خطورة البربريين على الحقائق العلمية التاريخية وعلى الشّعب الجزائري."[48] والآن يتضّحُ التلاحم العربي البربري والتوحد اللّغويّ فيوضّح المعجم كما يذكر عثمان سعدي: "والمعجم يؤكد هذه الحقائق، فتسعون في المائة من الكلمات الأمازيغية البربرية عربيّة عاربة أو مستعربة، ونحو البربرية متوافق مع نحو العربيّة، فمثلا العمود الفقري للغة البربرية هو وزن أفعول: مثل أغروم أكسوم، والعمود الفقري للغة الحميرية باليمن هو وزن أفعول كما ذكر الباحث اليمني القاضي إسماعيل بن علي الأكوع في بحث عنوانه [الأفعول وما جاء على وزنه في اليمن]... وقد استخرجت من المعجم الّذي يضم آلاف الكلمات الأمازيغية، مئات الكلمات الأمازيغية الّتي تؤكد عمق الأصالة العربيّة في اللّغة البربرية."[49] وقد ألف الأشقاء من المغرب العربي وأقصد بذات المملكة المغربيّة العربيّة معاجم ضخمة لا يستهان بها لحمولتها الكبيرة، ومادتها الغزيرة العلميّة الموروثة من الثّقافة البربرية العربيّة الّتي لا يمكن إنكارها أو إجحافها مهما تعصبنا أو أخذتنا النزعة الذاتية، فألف (محمّد شفيق) عضو أكاديمية المملكة المغربيّة، مؤلفات ضخمة باسم (المعجم العربيّ الأمازيغيّ) في ثلاثة مجلّدات من سلسلة معاجم، أثبتت تحري علمي دقيق من

معطيات علم اللّسانيّات الجغرافيّة للُّغة الأمازيغيّة، ولقد دام هذا البحث أكثر من أربعين سنة (40)، يقوم على ضبط المفاهيم وتحديدها بربط المقارنة بين اللّهجات المحليّة، من جهة، وباستنباط المعاني ممّا هو أصيل في اللّغتين الأمازيغية والعربيّة من جهة أخرى.[50]فيقول المؤلف: "لو كان يعلم ذلك لاستوعب ذهنه بالحدس كثيرا من معطيات الجغرافيا الطبيعيّة لبلده ولبلدان المغرب الكبير، ولو كان يعلمُ مدى تأثير «البربريّة»في تراكيب اللّغة«العربيّة»الّتي يتخاطب بها النّاس في حياتهم العادية الّتي لا تكلُّف فيها، وفي النّطق بتلك اللّغة (وبالفصحى أيضا حين يتفصّحون) لأدركَ أنّه يرتضّحُ؛ من حيث لا يشعُرُ لُكْنَةً هي أبسط مميّزاته الثقافيّة المستمدَّة من الأرضيّة الّتي شُيِّدَت عليها الحضارة الإسلاميّة، ولَتَنَبَّهَ إلى ضرورة البحث عن مميّزاته الأخرى الأكثر تأصُّلاً في نفسه وذاته... ولاشكّ أنّ أوّل حصيلة سيحصّلها كلّ مهتّم بتحليل العوامل الّتي صاغت ثقافتنا–في المفهوم الأوسع للثّقافة–هي إدراك ما بين العربيّة المغربيّة «العاميّة» وبين «البربريّة» من صلة متينة بل من تداخل وتمازج والحصيلة الثّانيّة هي التأكد من أنّ البيئة هي الّتي تفرض نمط العيش وتكيّف اللّغة وتوّجه نموّها وتجعلها تخلق للفكر قوالبه، وتوحي إليه بتصوّرات تنطلق من واقع الحياة... يشكّل هذا المعجم أوّل محاولة لربط الصّلة بكيفية شموليّة بين اللّغتين العربيّة الفصحى و«البربريّة»؛ لأنّ المحاولات السابقة لن تتعدّ قطّ أن تكون قوائم جدّ محدودة بين المفردات المتقابلة كتبت في حقب متباعدة من تاريخ المغرب الكبير والأندلس الإسلاميّة، ومن أجل ذلك أعتقد أنّ هذا المؤلَّف سيسدّ ثغرة في بنية الصّرح الثّقافي المغربيّ، ثغرةً طالما دعا إلى سدّها مؤرخون وجغرافيون وعلماء اجتماع من مواطنينا الواعين لدور «الترسّب الثّقافيّ» في صوغ ضمائر الشّعوب."[51]ويشير صاحب هذا المعجم الكبير بين اللّغة الأمازيغية والعربيّة على مدى التأثير المباشر والمتبادل بين اللّغتين في المنهج البنيوي لهما أي في تراكيب بنيّة اللّغة الأمازيغيّة، وفي تراكيب بنيّة اللّغة العربيّة، هي من أبسط مميّزات الثّقافة البربريّة العربيّة، ولا يحدث هذا قطّ على مستوى اللّغة العربيّة الفصحى بل وحتّى على مستوى العاميّة والبربريّة في بنية تراكيب مشتركّة ذات تداخل وتمازج، تبيِّنُ

بنيّة الصرح الثّقافيّ المغاربيّ البربريّ العربيّ، ويعتبر هذا العمل–المعجم–الفريد من نوعه وأصالته من الأعمال الّتي لا يمكن الخروج عنها كونه ألمَّ كاملا بكلّ مختلف اللّهجات الأمازيغيّة، وجميعها من كلّ المدن والأقاليم الجغرافيّة للّغة الأمازيغيّة، ولم تكن عبارة عن نتف أو كلمات أو عبارات مشهورة بل احتوى الجلي والخفي منها "فإنّ المعجم عبارة عن عملية استقراء للُّغة الأمازيغية من مختلف لهجاتها المنتشرة في شمالي أفريقيا من أقصاه إلى أقصاه وفي الصحراء الكبرى؛ وهي عملية لم يسبقها ما يماثلها في قرن اللّغة العربيّة باللّغة«البربريّة» ولم يسبقها ما يماثلها في المعاجم المزدوجة الفرنسية الأمازيغيّة لأنّ المعجميّين الفرنسيين «المتمزغّين» كانوا يحصرون حقول أبحاثهم في اللّهجات المحلية أو القبلية، وكانوا يستقصون التنقيب عن خاصيات كلّ لهجة، ويحرصون على إظهار الفوارق على حساب الجوامع بغية الوصول إلى إقامة البرهان على أنّ القبائل متمايزة ثقافيا، وأنّ بعضها عدو للبعض الآخر ما دام يختلف عنه في النطق أو الجرس أو النبرة، إلاّ أنّ الّذين انكبّوا منهم على دراسة النّحو والصّرف الأمازيغيين في العمق، لم يجدوا بدا من الاعتراف بما بين اللّهجات من وحدة بنيوية، على الرغم من التباعد الجغرافي الفاصل بين الجهات والقبائل."[52] وهذه حقيقة ثانية في وجه الفرانكفونية الأمازيغيّة وصفة نقدية لا يمكن أيضا إلاّ الاعتراف بها؛ لأنّهم أرادوا استمرار فرنسا وضم اللّغة الأمازيغيّة والأمازيغ باللّغة الفرنسية والثّقافة الأمازيغيّة بالثّقافة الفرنسيّة... الخ إلى غير ذلك من الأسباب والدوافع، ويذهب في ذات الاتجاه يسلي مقران فيقول: "هل للسياسة الفرنسية الاستعماريّة دخل في تسليط الأضواء على المنطقة حيث استعملت «سياسة الجزرة والعصا»فضربت أهلها بيد من حديد أوّلا ثمّ أخذت في تقريبهم كأنّهم جزائريون «متميزون»أو «ممتازون»؟أسئلة كثيرة وأجوبة قليلة..."[53] وأمّا عن رأي صالح بلعيد فيبدو واضحا للعيان في مؤلفاته العديدة والمتنوعة الّتي لا يعدّها الحاصون ولا يصلها إلاّ العلماءُ الباحثون المتخصّصون، ومن بينها على سبيل التمثيل لا الحصر كتاب «المازيغيات»يقول فيه: "والّذي يهمُّ في هذا الموضوع مراعاة الموروث الثّقافيّ المازيغي في شتّى جوانبه (المادي والمعنوي) ومراعاة مقام

اللّغتين؛ كلّ لغة حسب مقامها الّذي أنزلها الاستعمال العفوي للمجتمع الجزائري لغة عالمة=العربيّة، وهي اللّغة الجامعة الّتي لا تنفي وجود اللّغات الوطنيّة (المازيغيات) عبر التّراب الوطني بما تحمله من أداءات مختلفة، وهذه اللّغات وظيفية محلية تستعمل في مناطقها بصورة طبيعية ولم تشكّل قضية ذات يوم، بل إنّا من روافد العربيّة، كما لم تشهد صراعاً مع العربيّة بتاتا، ولكنّها الآن هي لغات محلية ضيّقة تحتاج إلى الترقية."[54] ولا ترقى هذه اللّغات واللّهجات إلاّ بالعربيّة لأنّها من أصل عربيّ. ونقف عند مؤلف ضخم الحجم والقيمة والمكانة العلمية الرصينة كتاب «الاهتمام باللّغة الأمّ–العبرة من الفرنسيين–»أعطى النموذج الأكبر للاعتبار وردّ الاعتبار، وردع الأوهام العالقة في أذهان أولئك عن الحقائق المقرّرة الثابتة بالأصول والفروع، فيقول: "إنّ هذا الكتاب يأتي ضمن سلسلة المؤلفات الّتي أنتجناها، وقد تخصّصت في تناول موضوعات المواطنة اللّغويّة La citoyenneté linguistique وكان قصدنا منها أن تكون مصدرا ومرجعاً للباحث الجزائري والعربيّ، أو للباحث عن ترقية لغة الأمّة/اللّغة الأمّ/اللّغة الرسميّة/اللّغة الوطنيّة: والّتي لا يحصل الأمن والانسجام الجمْعي بدونها والمسألة اللّغويّة تدخل في باب (الأمن اللّغويّ=الأمن العام)... وفي هذا الكتاب–الّذي بين أيديك أيها الباحث–وقع الاحتجاج كثيرا بدولة (الجزائر)؛ وهي لا تنتمي إلى قُطب الفرانكفونيّة، ولكنّ الفرنسيّة تشتعل فيها وتتقدّم وتشير الدّراسات الحديثة بأنّ (الجزائر)تأتي في الرُّتب الأولى من حيث استعمال الفرنسية في العالم، فماذا يعني هذا في بلد غير فرنكفوني؟ قد يعني أن دولةَ (الجزائر) تتسامح في لغة الأمّة/اللّغة الرّسميّة، أو هي طريق التّراجع أو أنّ (لغة الأمّة) تعاني بعض التراخي في هذا البلد، وأنّ مصيرها مجهول... "[55]هذا ما تعاني منه أقاليم كبيرة جدا من أقاليم الجزائر؛ بحيث أصبح معظم أفراد هؤلاء الأقاليم يتقنون العامية الفرنسية، ويتداولونها في استعمالاتهم اليومية على حساب لغتهم الأمّ الأصيلة، ولم يكن هذا التأثير واقعا على اللّسان، بل على مقوّمات الهوية والثّقافة.

الخاتمة: يمكن لنا في ختام هذا البحث المُثير للجدل، والتفكير الكبير،والبحث العميق من بسط الأفكار بين مُتعصِّب لمطلق الهوى، ومُتعصِّب بالأدلّة والبراهين

والحجج الدامغة، والبراهين القاطعة والأسانيد الثابتة، والرواية المثبتة، والدرايّة الحقيقية باليقين، والدرجة القاطعة، وقبل الخوض في صلب نتائج هذا الموضوع العظيم الّذي يكون فيه أخو الدرايةِ والنباهة مُتعب، والعُيش عيش الجاهل المجهولِ.

وفر لنا علم اللّسانيّات الجغرافيّة ما لا يمكن ستره من خبايا تظهر للعيان في دراسة الأقاليم الجغرافيّة الجزائريّة، وفي تحديد لغاتها ولهجاتها؛ وخاصّة من حيث الفوارق الدقيقة بين لغة وأخرى، ولهجة وأخرى؛ إذ أصبح هذا العلم–اللّسانيّات الجغرافيّة–تبنى عليه مفردات المعاجم، وتحديدها بدقة متناهية ومعرفة معناها الدقيق من خلال تحديد أقاليمها ونضرب المثال بعلم اللّسانيّات الجغرافية بأحد العلوم المعاصرة على أجهزة الهواتف الذكيّة؛ وهو جهاز يُعرف بتحديد الأماكن (جيبياس الجزائر)؛ حيث إذا أراد شخص ما الذهاب إلى مدينة ما، ولا يعرف الطريق إلى ذلك المكان يستغل هذا النظام–نظام تحديد الأماكن،–الموجود على الهاتف الّذي يعمل بالإنترنت؛ أمّا نظام اللّسانيّات الجغرافيّة الّذي يخدم المعاجم في معرفة مصدر المفردات والكلمات وزمانها ومكانها ومصدرها، ولا يقف عند هذا الحدّ فقط بل يحدّد بشكلّ رئيسي اللّغة أو اللّهجات والفروق بين اللّهجات، وعند تحديد دلالتها عند إقليم وإقليم آخر يتضح الاختلاف فيها بين المعاني والمباني. ويختص نظام (جي بي اس الجزائر) في الهواتف الذكيّة بتحديد الأماكن فقط، وأما اللّسانيّات الجغرافيّة فيشتغل نظامها على التحديد اللّغويّ والمكاني وكلّ ما يدور حولهما، كمعرفة تحديد دقيق للّهجة ما الّتي تعود إلى قرية ما في بلدية ما من ولاية كبرى ما، ومعرفة أكثر التفاصيل عنها.

ويثبت أيضا أنّ هذا العلم–اللّسانيّات الجغرافيّة–دُرس قديما عند العرب الأولين وخاصّة في تحديدهم لشروط المدونة اللّسانيّة الفصيحة، كشروط الزّمانيّة والمكانيّة الّتي اختصت بها ستة قبائل وحقيقة إذا اطلعنا بعمق أيضا لوجدنا انّ ابن خلدون في كتابه «المقدّمة» وكتابه «ديوان العبر» لوجدناه تكلّم بنوع من التفاصيل حول الأقاليم الجغرافيّة الزمكانيّة، وبالخصوص عندما أنشأ علم الاجتماع، وتكلّم فيه عن

شروطه ومبادئه وقواعده وحضره وريفه وبدواته، وغيرها الكثير ممّا تعلق باللّغات أو اللّهجات أو الأجناس البشريّة وعرقها.

– يعترف العديد من سكان الشّمال الإفريقي–الأمازيغ من الجزائر/تونس/المغرب/الصحراء الغربيّة–بالتلاحم المكاني والتوحد اللّغويّ والانصهار والتصاهر بين اللّغة الأمازيغيّة والعربيّة؛ حيث بينت ذلك العديد من المصادر والمراجع التاريخيّة بالأدلّة القاطعة والحجّة الداحضة، والبراهين الشافيّة أنّ بدايات التصاهر والانصهار اللّغويّ بدأ منذ نشأة اللّغات الساميّة والحاميّة؛ إذ يمكن القول إنّ اللّغة الأمازيغيّة ولِّدت من رحم اللّغة العربيّة، ولعنا نضرب المثال بالمصادر الأمهات وبكتب المؤرخين في التّاريخ الأوّلين الّذين أثبتوا هذا، وهم رأيهم أرجح ومطرد على رأي أولئك الّذين ينظرون عكس هذا، وقد أثبت العديد من الباحثين أنّ معظم الشّمال الإفريقي بالأصالة لم يكونوا بربًا أو الأمازيغ البربر ولا اللّغة البربريّة الأمازيغيّة، بل تعود إلى أجناس وأعراق وسط صحراء الجزائر –العنصر الزنجي–كما يتضح لنا أنّ اللّغة البربريّة ليست هي أوّل لغة تكلّم بها سكان الشّمال الإفريقي؛ وإنّما هي لغة من بين شتّى اللّغات الّتي مرّت بهذه المنطقة... وإنّما أقصى ما أثبتوه لنا أنّ هذه المنطقة قد سكنتها عدة أجناس بشريّة ومن بين هذه الأجناس قبائل البربر، وقد ذكر محققو المؤرخين أنّ البربر أناس شاميون من أصل كنعاني، يعرفون في كتب التّاريخ بـ «الضاعنين» نزحوا حوالي سنة مائتين قبل الميلاد إلى الديار المصرية، فاستولوا على مصر السفلى وبرزخها وفي أثناء مكوثهم هناك فرت طائفة منهم–بسب ظلم أحد الفراعنة–وانتشرت في سواحل إفريقية الشّماليّة (بما فيها سواحل القطر الجزائري) وذلك حوالي سنة ثلاثمائة وألف قبل الميلاد، وعرفت هذه الطائفة في كتب التّاريخ–باسم «أمازيغ»– وقد لقبها «بطليموس» قديما بـ «مازيغ»، وأوّل من لقبها بـ «البربر» اليونان ومعنى ذلك عندهم «صوت الألثغ» ثمّ أطلقوا هذه الكلمة على كلّ من لم يتكلّم لغتهم، أو ليس هو من جنسهم، أو هو خارج على طاعتهم وسلطانهم، وقد سار على دربهم الرومان من حيث مدلول هذا اللّقب، عندما استولوا على منطقة الشّمال

الإفريقي وغيرها من مناطق العالم..."[56]فمن خلال هذا حقّ لنا أن نبين الرأي الأرجح وما اتفقت عليه المصادر، وما اتفق عليه علماء التّاريخ والمؤرخون حول الشّمال الإفريقي.

وأمّا المسألة الثّانيّة في هذا البحث أنّ اللّغة الفرنسيّة-لغة المستِعمر-الّتي دامت فترة زمنية لم يمكث مثلها استعمار آخر في الجزائر مثلها، فزرعت بين أبناء الجزائر، وعجز الفرنسيون على زرعها مكانة اللّغة العربيّة وهذه مواجهة أولى وعجز كذلك الفرنسيون على زرعها مكانة اللّغة الامازيغيّة فعجزوا وهذه مواجهة ثانية في تاريخ الجزائر، واتحد الشّعب واتحدت اللّغتان في تلاحم مكاني وتوّحد لغويّ، فلم يبق للفرنسين إلاّ إضعاف هذا التوحد فعملت على تفريقه وزرع نار الفتنة بين الأمازيغ والعرب، من خلال اللّغة، ووجدت الأمازيغ يؤمنون باللّغة العربيّة فقد أصبحت لغتهم بالفطرة، فحاول المستعمر أن يزرع الفتنة، فقال اللّغة العربيّة ليست لغة العلم، ولا لغة الصناعة، وليست لغة الحضارة وليست لغة العلوم والفنون، وبالرّد على دعاة الفرنسيّة والمتفرنسينالظانين أنّها لغة العلم-اللّغة الفرنسية-لا توجد لغة في العالم للعلم، وأخرى ليست لغة للعلم، كما يقول محمّد بن عبد الكريم: "إنّ العلوم والصناعات والحضارات والثقافات ليست هي اختراع اللّغات؛ إذ لا يجوز لنا أن ننسب اختراع أي شيء كان إلى أية لغات من لغة البشر؛ سواء كانت شرقيّة أم غربيّة؛ لأنّ جميع اللّغات البشرية ما هي سوى أداة للتعبير عن أفكار الأممّ وشواعرهم رقياً وانحطاطاً؛ بل إنّ اللّغة نفسها ما هي سوى صناعة لفظية، مثل سائر الصناعات المكتسبة عن طريق التّعليم وبواسطة المران والتكرار، إذ لو كانت اللّغة الفرنسية سبباً في الرقي والتقدم والاختراع-حسب زعم هذا المعترض-لما وجدنا كثيراً من الشعوب المتفرنسين لغة وخلقا يعيشون في اتياه الفوضى ويتخبطون في دياجير الجهل."[57]فإذا ارتقى المجتمع ارتقت لغته وعظمته وعظمتها، وجمعت العلوم والفنون والحضارات بلغته. وهذا ما حدث يوم ارتقى المجتمع العربيّ بعلوم الثقافات الأخرى كالفارسية واليونانية والرومانية والهندية.

الإحالات والهوامش:

[1]– سمير شريف استيتية، اللّسانيّات ، المجال، والوظيفة، والمنهج، عالم الكتب الحديث، ط1 عمان، 1429ه–2008مص617.

[2]– ينظر: جون سوان، آنا ديوميرت، تيريزا ليليس، راجندمسرثي، معجم اللّغويات الاجتماعيّة تر: فوّاز محمّد العبد الحقّ عبد الرّحمن حسني أحمد أبومحلم، دار وجوه للنشر والتوزيع، ط1 المملكة العربيّة السعودية، 1440ه–2019م، ص11.

[3]– ينظر: المرجع نفسه، ص13

[4]– ينظر: المرجع نفسه، ص13.

[5]– ميشال زكريا، قضايا ألسنيّة تطبيقية دراسات لغويّة اجتماعيّة نفسيّة مع مقارنة تراثيّة، دار العلم للملايين، ط1، بيروت لبنان، 1993م، ص9.

[6]– ينظر: المرجع نفسه، ص11–12.

[7]– جون دي بوا وآخرون، قاموس اللّسانيّات وعلوم اللّغة، تر: محمّد العيد، لخلف نوال،عزوقلي زينب، نصرالدّين بن زروق، دار الكتب الحديثة، 2008م، ص221.

[8]– محمّد التونجي، راجي الأسمر، المعجم المفصل في علوم اللّغات (الألسنيات)، دار الكتب العلميّة، ط1، بيروت 2001م، ص226.

[9]– رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللّغة، مكتبة الخانجي القاهرة، ط2، مصر، 1405ه–1985م، ص147.

[1010]– محمّد محمّد داود، العربيّة وعلم اللّغة الحديث، دار غريب، القاهرة، 2001م، ص93.

[11]– هيام كريدية، أضواء على الألسنية، مكتبة نرجس، الجامعة اللبنانية، بيروت، لبنان، 1429ه–2008م، ص123–126.

[12]– رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللّغة، ص147

[13]– أوزوالد ديكرو وجان ماري سشايفر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللّسان، تر: منذر عياشي، المركز الثّقافي العربيّ، (د. ت)، ص127.

[14]– رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللّغة، ص148.

[15]– سمير شريف استيتية، اللّسانيات المجال، والوظيفة، والمنهج، ص618.

[16]– نازلي معوض أحمد، التعريب والقومية العربيّة في المغرب العربيّ، مركز دراسات الوحدة العربيّة، ط1، بيروت، لبنان 2001م، ص25.

[17]– المرجع نفسه، ص620.

[18]– المرجع نفسه، ص623.

[19]– المرجع نفسهّ، ص 55–56.

[20]– المرجع نفسه، ص60.

[21]– المرجع نفسه، ص60.

[22]– المرجع نفسه، ص61.

[23]– صالح بلعيد، في المواطنة اللّغويّة وأشياء أخرى... ،دار هومة، بوزريعة، الجزائر، 2008م ص13–14.

[24]– المرجع نفسه، ص14.

[25]– نازلي معوض أحمد، التعريب والقومية العربيّة في المغرب العربيّ، ص 61–62.

[26]– صالح بلعيد، في المواطنة اللّغويّة وأشياء أخرى... ، ص15.

[27]– المرجع نفسه، ص15.

[28]– نازلي معوض أحمد، التعريب والقومية العربيّة في المغرب العربيّ، ص63.

[29]– المرجع نفسه، ص63.

[30]– صالح بلعيد، في المواطنة اللّغويّة وأشياء أخرى... ، ص15.

[31]– محمود فوزى المناوى، في التعريب والتغريب، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، القاهرة 2013م، ص20.

[32]– محمّد بن عبد الكريم الجزائري، لغة كلّ أمّة روح ثقافتها، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، (د. ت)، ص20.

[33]– صالح بلعيد، في المواطنة اللّغويّة وأشياء أخرى... ، ص25.

[34]– محمّد بن عبد الكريم الجزائري، لغة كلّ أمّة روح ثقافتها، ص21–22.

[35]– صالح بلعيد، في المواطنة اللّغويّة وأشياء أخرى... ، ص26.

[36]– محمّد بن عبد الكريم الجزائري، لغة كلّ أمّة روح ثقافتها، ص23–24.

[37]– زواوة أو بربر أو الأمازيغ (الكانكوجانسيان) وجبال فيرموسأوزناتة لدى المؤرخين عموما ومنهم من أطلق تعبير (زواوة) على قبيلة نفوسة بليبيا... ينظر: أحمد ساحي، الزواوة من القرن السادس عشر حتّى الثامن عشر عهد إمارة كوكو 1512م–1767م، دار الأمل للطباعة والنشر تيزي وزّو، الجزائر، 2015م، الفصل الأوّل: التعريف بالزواوة.

[38]– صالح بلعيد، المازيغية في خطر، منشورات مخبر الممارسات اللّغويّة في الجزائر، تيزي وزّو، الجزائر، 2011م ص160.

[39]– محمّد بن عبد الكريم الجزائري، لغة كلّ أمّة روح ثقافتها، ص44.

[40]– صالح بلعيد، هل تشتعل حرب الحروف، منشورات مخبر الممارسات اللّغويّة في الجزائر تيزي وزّو، الجزائر، 2016م ص48.

[41]– حورية بن سالم، مدونة أثر اللّغة العربيّة في تكوين الأدب الشّفوي الأمازيغي (منطقتا القبائل وبجاية أنموذجاً)، دار الأمل للطباعة والنشر تيزي وزّو، الجزائر، 2015م، ص3–8.

[42]– محمّد شفيق، المعجم العربيّ الامازيغيّ، أكاديمية المملكة المغربيّة، الرباط، المغرب 1408–1987م، ج1 ص14.

[43]– صالح بلعيد، في المواطنة اللّغويّة وأشياء أخرى...، ص30–31.

[44]– محمّد بن عبد الكريم الجزائري، لغة كلّ أمّة روح ثقافتها، ص46.

[45]– المرجع نفسه، ص45–49.

[46]– المرجع نفسه، ص 49–68.

[47]– إبراهيم حركات، المغرب عبر التّاريخ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1420ه–2000م، ج1، ص21.

[48]– عثمان سعدي، معجم الجذور العربيّة للكلمات الأمازيغية البربريّة، منشورات مجمع اللّغة العربيّة، ط1، طرابلس، ليبيا 2007م، ص أ.

[49]– المرجع نفسه، ص ج.

[50]– ينظر: المعجم العربي الأمازيغي، ص15.

[51]– ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص6–7.

[52]– المرجع نفسه، ج1، ص7.

[53]– يسلي مقران، الحركة الدّينية والإصلاحية في منطقة القبائل 1920–1945، دار الأمل للطباعة والنشر، ط2، تيزي وزّو، الجزائر، 2012م، ص5.

[54]– صالح بلعيد، المازيغيات، منشورات مخبر الممارسات اللّغويّة في الجزائر، تيزي وزّو الجزائر، 2012م، ص4.

[55]– صالح بلعيد، الاهتمام بلغة الأمّة–العبرة من الفرنسيين–، منشورات مخبر الممارسات في الجزائر، تيزي وزّو، الجزائر 2016م، ص7–10. ولمراجعة أكثر التفاصيل ينظر: ص269–309.

[56]– ينظر: محمّد بن عبد الكريم الجزائري، لغة كلّ أمّة روح ثقافتها، ص44–49.

[57]– محمّد بن عبد الكريم الجزائري، لغة كلّ أمّة روح ثقافتها، ص74.

توطين البحث العلميّ باللّغة الوطنيّة بين الاستعداد الفطريّ والاستلاب الفكريّ

د.لبصير نورالدين

أستاذ محاضر أ

جامعة امحمد بوقرة بومرداس

المقدمة: نشعر أنّ اللغة العربية التي شكلّت باستمرار لغة العلم، والمعرفة منذ قرون من الزمان تعرضت، وتتعرض إلى مؤامرة كبرى، ليس فقط من طرف السياسات الغربية المعادية لهذه اللغة، والتي تسعى إلى تركيز لغاتها بقوة السلاح والعلم، والمال، والتكنولوجيات، والاقتصاد خارج حدودها من أجلّ مواصلة هيمنتها الاقتصادية، والثقافية، والحضارية، واللغوية، ولكن أيضاً من طرف السياسات المحلية، التي أصبحت عاجزة عن حماية لغتها، وهويتها، أو الدفاع عنها، بسبب الانهزام النفسي، والضعف، والتخاذل، وانعدام الشعور بالمسؤولية.

لا شك أن توطين البحث العلمي باللغة الوطنية هو مشروع حضاري؛ فبناء المشروع الحضاري لأمة من الأمم في اعتقادنا يكون ببناء كل أركانه، ومن بين أهم أركانه اللغة، لقد أدركت الأمم أنّ انهيار ركن من الأركان، والحالة هنا اللغة مؤدٍّ بالضرورة إلى انهيار كل الأركان، وأستحضر هنا ما كان يقوله الأستاذ الدكتور صالح بلعيد: ليس في وسع أمة أن تعيش عيشة محترمة، وتصون كرامتها ما لم تضطلع بالعلم اعتماداً على لغتها في المقام الأول.

ولا أعرف أمة تكالبت على احتقار لغتها، وهدم ركن من أركان حضارتها كالأمة العربية، وهل هناك شعب ينتقص من قدر لغته، وحضارته قدر الشعب العربي؟ لقد أدركت الأمم دور اللغة الوطنية في الحفاظ على لغاتها انظر مثلاً للتجربتين الكورية، والصينية، فهذه الشعوب تحترم لغتها الأم؛ تعيد لها الاعتبار لتحافظ على لغاتها وهويتها، وكيانها، وتكتسب احترام العالم، واليابان مثلاً، ورغم

تفوّقها التقني، لم تعمل على رفع مستوى اللغة الأجنبية في بلدها، على حساب لغتها الأم؛ بل حافظت على لغتها، وأتاحت لقلة من مواطنيها إتقان اللغة الأجنبية، حتى تنقل التقدم التكنولوجي إلى اللغة اليابانية، ضمن إستراتيجية مدروسة جيداً، ومن هنا تسعى كل الأمم إلى استعمال لغاتها القومية؛ من أجل التواصل الحقيقي بين المعلم والمتعلم؛ حيث دلت الدراسات التربوية على أنّ أصلح لغة للتعليم هي اللغة التي يفكر بها الطالب كلما كان ذلك ممكناً، كي لا يفكر بلغة، ويعبر بلغة أخرى.

وتكمن الضرورة كذلك في سهولة الاتصال بين المعلم، وطلابه، وتوفير جو النقاش العلمي الخالي من الحرج ، والتكلف الذي تسببه الترجمة أحيانا.

من أجل ذلك نروم من خلال هذه الورقة البحثية الموسومة ب توطين البحث العلمي باللغة الوطنية بين الاستعداد الفطري والاستلاب الفكري لتعزيز اللغة الوطنية المشتركة من أجل تحقيق الاندماج الاجتماعي، والمحافظة على الهوية الوطنية، وفي الوقت نفسه تحقيق الانفتاح بعقلنية على ما يسمى بـــ (مجتمع المعلومات) للاندماج في عالم الاقتصاد، لئلا تتعرض البلاد للإقصاء من (القرية الكونية) التكنولوجية، والاقتصادية.

وفي اعتقادنا تشكّل اللغة الركيزة الأساس في بناء المجتمعات، وليست هناك لغة خارج المجتمع، ولا مجتمع من غير لغة، وهي أضخم عملية حضارية تنشئ الحضارة، وتتمثّلها، وتعبّر عنها، وهي ذات رصيد حضاري لا حدود له، والانتماء إلى اللغة هو انتماء إلى وجود معيّن، فموقع اللغة هو الحياة نفسها، ولا وعي من غير لغة، و من ثمّ العمل علىإعادة الاعتبار إلى لغتنا الوطنية، والكفّ عن التباهي بإجادة أولادنا أكثر من لغة أجنبية، مقابل عدم اكتراثنا بضعفهم في اللغة الوطنية.

و نعتقد أنّ اللغة الوسيلة الوحيدة التي يستطيع بها الإنسان إدراك هويته، فإذا فقدت الأمة لغتها فقدت هويتها.

ولا يفهم أننّا ندعو لغلق الباب أمام اللغات الأجنبية، فمن حق الشعوب تعلم اللغات الأجنبية من غير استلاب فكري، وانتكاس معرفي لأّه يؤثر على اللغة الوطنية، وينعكس سلبا علي اللغة، والهوية، والثقافة؛ لأنّ عصر الذي نعيشه عصر

المعرفة، والمعلومات يتطلب معرفة بمختلف اللغات مع ضرورة الاحتراس الهزيمة النفسية، والاستلاب، والاستعداد الفطري للاندماج في ثقافة الغرب.

أهمية الدراسة: تتجلى أهمية هذه الدراسة:

– ضرورة ارتباط نهضتنا الفكرية بنهضة لغوية تعبر عن هذا الفكر.

– تهيئة الأرضية العلمية باللغة الوطنية للمجتمع لدخول عصر المعرفة والمعلومات بقوة.

– إعداد جيل حصانته العربية، وهويته الإسلام تجعله يرتبط بالجذور والثوابت.

–تشجيع البحوث، والدراسات باللغة العربية التي تخدم التنمية.

–في ظلّ التحديات الكثيرة، والمتعددة التي تواجه اللغة العربية، والتي تفرض علينا صياغة المناعة لدى الفرد، والمجتمع، وهذا هو التحدي الأكبر للغة الأمم والشعوب في ظلّ عدم الاستعداد الفطري ، وتفاقم الاستلاب الفكري .

– العودة لاستخدام اللغة الوطنية كلغة علم ، ومعرفة ، وبحث لأنه أحد مؤشرات الخروج من الضياع ، والتيه، والانسلاخ الذي نعيشه اليوم.

–تأتي أهمية هذه الدراسة من ضعف الارتباط باللغة الوطنية، والشعور بالانهزامية أمام اللغات، والثقافات الوافدة من البلاد المتحضرة في هذا العصر.

–وفي خضم الشتات الفكري، والاستلاب الفكري، وعدم الاستعداد الفطري كلّ ذلك يفرض علينا العمل على توطين المعرفة بلغاتها الوطنية.

أهداف الدراسة: نهدف من خلال هذه الورقة العلمية لتحقيق جملة من الأهداف:

–إمكان بناء إستراتيجية للبحث العلمي باللغة الوطنية على مستوى الجامعات والكليات.

– تشجيع البحث العلمي باللغة الوطنية في الأوساط العلمية الجامعية.

– توطين العلم والمعرفة باللغة الوطنية بخلق البيئة المناسبة، وتشجيع البحث العلمي .

- التدريس في المدارس، والجامعات باللغة العربية .

- الوقوف على أهم المعوقات التي تحول دون تحقيق المؤسسات التربوية رسالتها العلمية بلغاتها القومية.

- السعي نحو بناء مجتمع معرفة باللغة الوطنية.

- إنّ مشروع الشرق الأوسط الكبير الذي رسمت معالمه الولايات المتحدة الأمريكية، والدول الكبرى يسعى لإعادة تشكيل خريطة المنطقة، وتفكيك الروابط والوشائج التاريخية، والثقافية، واللغوية بين الدول العربية، وعدّ التدريس، والتعليم باللغة الوطنية عقبة في تحقيقه؛ لذا يجب العمل على استبداله بلغة أجنبية، ما يعين على تحقيق أهداف المشروع ، ممّا يسهل الانتكاسة، والاستلاب، والذوبان.

إشكالية الدراسة:لذلك تنقدح أمام هذه الورقة العلمية جملة من الإشكاليات:جاء هذا البحث ليطرح جملة من الأسئلة المنهجيَّة والمعرفية، تتمَحور حول دور الجامعة وأهمية البحث العلمي، والتدريس باللغة العربية، ومدى مساهماتها في التنمية، وهل التدريس باللغة الوطنية يزيد من إمكانية استيعاب العلوم، والتميز فيها؟ ماهو دور كل من الباحثين، والمؤسسات العلمية في مجال

ترقية وتطوير البحث العلمي باللغة الوطنية؟ والتفاعل مع متطلبات العصر، و هل يلعب دوراً في تشكيل الوعي الجماعي للأمة؟، أم أنّه يزيده إيغالاً في التخلف.؟

اللغة بين التدافع الحضاري و الصراع الأيديولوجي: لم تكن اللغة يوماً نافلة في مجال التدافع الحضاري، وساحة الصراع الأيديولوجي إلا عند من لا يفقه سنن المغالبة بين الأمم والشعوب؛ بل كانت ولا تزال من أهم مواقع الصراع الفكري ومن أخطر أسلحة الاحتواء الاستراتيجي لثقافات الشعوب وتمييعها؛ لإخراجها عن طبيعتها وصبغتها؛ ولولا ذلك لما كانت الفرنكوفونية اليوم تجري في تنافس محموم مع الأنجلوسكسونية لاحتلال مواقع التأثير الثقافي في العالم.

لا ينبغي علينا قراءة توطين البحث العلمي بلغة من اللغات على أنّها مجرد نسق لغوي، أو مجرد شيء من.[1] الأشياء؛ بل هو صراع من أجل الحصول على السلطة كما يرى فوكو.

توطين البحث العلمي باللغة الوطنية: إنّ توطين البحث العلمي باللغة الوطنية يؤصّل الانتماء للأمّة ويعزز المواطنة، ويجعل نتائج بحثها في دائرة المشاركة العربية في مواكبة الحضارة الإنسانية، أما بحوث العلماء العرب بلغات أخرى فهي ملك حضاري لتلك اللغات، و بالتالي حرمان للغة الوطنية من التطور، والمشاركة في النهضة العلمية، وحرمان لها من توطين البحث العلمي والتقني بها، وهذا الوعي الحقيقي بالتحدي التي تواجهها اللغة الوطنية اليوم في المؤسسات التعليمية والجامعة ، في نظر العديد من الباحثين .

سنظلّ ندعو لتوطين البحوث العلمية باللغة العربية، وتشجيعها، ودعمها حتى يكتب للغة العربية التمكين في الجامعات، وتصبح اللغة العربية لغة العلم، والبحث العلمي، وحتى يكون التعليم في الجامعات العربية باللغة العربية في جميع العلوم من أجل إيجاد مجتمع المعرفة الذي نحقق من خلاله التنمية الحقيقية، وتضع الجامعات العربية لنفسها مكانة في البحث العلمي وتشارك في التنمية.

توطين البحث العلمي باللغة الوطنية بين الانغلاق المطبق والانفتاح المذموم: إننا بحاجة إلى توطين البحث العلمي باللغة الوطنية ليكن وسطاً بين الانغلاق المطبق الذي يؤول إلى الانعزال تماماً عن الآخر، والعالم بأسره، و بين الانصهار في لغة الآخر دون ضوابط .

ويبقى بين الاستعداد الفطري لبيان خصوبة اللغة العربية، وغناها، وقدرتها غير المحدودة على استيعاب كل مصطلحات العلم الحديث، ربما أكثر من لغات أخرى كثيرة على الرّغم من وجود بعض النقائص، أو عن طريق الاشتقاق، أو نحت ألفاظ جديدة، وهناك محاولات علمية ناجحة سواء التي بُذلت بواسطة أفراد أو جماعات أو هيئات(مثل مجامع اللغة العربية)، والتى تمّ فيها نقل مصطلحات العلم الحديث والحضارة المعاصرة إلى اللغة العربية.وأثبتت هذه المحاولات بالفعل–قدرة اللغة العربية ــ على استيعاب كل مصطلحات الحضارة الحديثة، و اللغة العربية تستوعب العلوم المختلفة، وتمتلك من الغنى والخصوبة والتجدد ما يجعلها قادرة على التعبير والتأثير، سواء فى العلوم التى نشأت فى ظلّ الحضارة العربية

والإسلامية، أو التى نقلت إليها عن طريق الترجمة ، و بين الاستلاب الفكري التي تعاني منه بعض النخب التي مسخت بالاستغراب، والاستلاب الفكري في الأوساط الأكاديمية تردد فرية أنّ العربية لا تصلح لتدريس العلوم التقنية، وأنّها عاجزة عن استيعاب التقدم العلمى، والمصطلحات العلمية، والحضارية التى نشأت فى لغات أخرى ، وتحاول إقناع نفسها بهذه الكذبة ، وتعمل جاهدة لإجهاض أيّ عمل للنهوض باللغة العربية في مجال البحث العلمي.

وهي الفرية والمغالطة التي رددها و مازال يرددها كثير ممن أصيب بالاستلاب أعتقد أنّ الإشكالية التي يطرحونها، وطبيعة النقاشات المرتبطة بها، لم تتمّ حتى الآن معالجتها بالشجاعة المطلوبة، وبالديمقراطية التي تعتمد الحوار البناء الحوار العلمي البعيد عن التبعية والأحكام المسبقة.

يذهب الأستاذ حسن البشير:إن الباحث عندما يكتب بحثه بالعربية فهو يؤصّل انتماء بحثه لأمّتنا، ويجعل نتائج بحثه في دائرة المشاركة العربية في مواكبة الحضارة الإنسانية، ويضيف قائلا:أما بحوث العلماء العرب بلغات أخرى فهي ملك حضاري لتلك اللغات، وحرمان اللغة العربية من التطور، والمشاركة في النهضة العلمية، وحرمان لها من توطين البحث العلمي والتقني بها.[2]

وهذا الوعي الحقيقي بالتحدي التي تواجهها اللغة العربية اليوم في الجامعة، في نظر العديد من الباحثين .

اللغة الوطنية بين التغريب والتذويب: الذين نادوا بالتغريب لم يجدوا في مناهج التعليم لديهم ما يحقق الرضا الثقافي، ويبني الحصانة الذاتية ضد التلاشي والاستلاب، والذين آثروا التقوقع وغمرهم طوفان الانطفاء، والتبلّد لم يجدوا في ما تلقوا من معارف منهجاً رشيداً يتجافى الرتابة والتكرار، ويزرع الشغف بالمعرفة والبحث عن الحكمة الضالة، فكان القصور الذاتي سمة لكلا الفريقين عجز عن اكتشاف الذات ، وخوف من الآخر؛ كلّ ذلك ولّد مركب النقص عند الأنا، ومركب العظمة عند الآخر... ، نقول ذلك ونقرّره حين يكون مثقفو الأمة، ومفكروها وأدباؤها واقفين عند حدود الانبهار بلغات الآخرين، فماذا يكون الحال حين

يتجاوزون الانبهار إلى عداءٍ مَرَضي للغاتهم الوطنية، ودعوة إلى تدميرها ومحاربتها، والعمل على إقصائها، والإلقاء بها في البحر؟إنّ هذه الحالة المَرَضية سوف تُسلم إلى موت محقق، تماماً كحال مريض بالانفصام أو الاكتئاب، أسلمه المرض إلى الانتحار أو الموت البطيء .

ولعل ذلك ما يعطي للباحث مشروعية البحث، والتماس الأسباب الكامنة وراء تخلي الجامعات، وكثير من المؤسسات العلمية في البلدان العربية الاهتمام والتدريس باللغة العربية بشكل لافت، لأنّها لم تقتصر على بلد واحد؛ بل تكاد تكون هذه الظاهرة عامة لا يخلو منها بلد من البلدان العربية، ممّا يدفع للبحث والتعمق في دراسة هذه الظاهرة من مختلف الجوانب.

اللغات والبحث العلمي:ولمّا كانت اللغة مرآة أهلها ووعاء فكرها فإنّ واقع اللغة العربية الفصحى في المجتمعات العربية تعكس حالة التردي الفكري واللغوي وربما الاجتماعي التي وصلت إليه تلك المجتمعات العربية في مطلع القرن الحادي والعشرين.

لقد تحولت المجتمعات العربية إلى مجتمعات مستهلكة للغات، والثقافات الأجنبية، وقد أدى ذلك لضعف الهوية، واللغة.

والحضارة لا تنعكس في شيء مثل انعكاسها في الكلام واللغة، وكل قصور أو نقص في اللغة دليل قاطع على تخلف ذلك المجتمع عن ركب الحضارة ، والتطور .[3]

السياسات اللغوية وتوطين البحث العلمي باللغة الوطنية:إنَّ السياسات اللغوية الغربية تربط لغتها بالبحث العلمي وتسعى بكلّ ما أتيت من قوة لاستعمال اللغة القومية، و لذلك تلقى كلّ الدعم المادي لإنجاز الأبحاث العلمية، ولا يكتفي بذلك بل يمضي لأبعد حد ممكن في إذابة ونسف اللغات والهويات الذاتية عن طريق ضرب أركانهما من الداخل.

أندنوسيا تصنف الدولة الأكثر تطوراً من الناحية الاقتصادية في العالم الإسلامي، وبها صناعات جد متطورة كل ذلك يتمّ بلغاتها القومية، ولعل هذا ما دفع

ديتوس سميث يقرر أن هناك ثلاث عوامل ساهمت في تطور أندنوسيا: اللغة الدين، حب الاستقلال.

والأمثلة كثيرة لكن يمكن أن أسوق هنا اللغة الهولندية، فالهولنديون يعرفون أنّ لغتهم ليست هامة حيث لا يتكلم بها أكثر من خمسة عشر مليونا، ولذلك لا يوجد شاب هولندى لا يعرف بجانب اللغة الأم لغتين أو ثلاثا من اللغات الحية، ولكن أحداً لا يناقش أن التعليم فى جميع مراحله يجب أن يكون باللغة الهولندية، فما بالك باللغة العربية وهى لغة أهم بكثير من اللغة الهولندية باعتبار عدد الناطقين بها وباعتبار تاريخها، وتراثها، وحتى باعتبار اعتراف العالم بها. [4]

ولذلك لا غرابة أن تجد معظم دول أوربا لا تعلّم في المرحلة الأولى إلا لغة الطفل القومية. [5]

وهكذا بقيت اللغات الأجنبية، خاصة الإنجليزية هي المسيطرة على كلّ مناحي الحياة، إذ تعّد لسان الكونية الصريح ، والوحيد المسموح له ثقافياً، ولغوياً ومعرفياً فك المجالات التقنية، والمعرفية كلّ ذلك أثر على بناء مجتمع المعرفة العربي، و لذلك تسعى العولمة إلى تهميش اللغات الوطنية لصالح الانجليزية بوصفها لغة عمل، وتواصل في شتى حقول المعرفة، بدء بالنشر العلمي وتبادل الخيرات الثقافية، مروراً بالتعليم العالي، والتجارة، والصناعة، والإعلام والثقافةKوهذا يعني انحسار اللغة العربية، وتضييق ساحة استعمالها، وضمورها وحصرها في مجالات تقليدية محددة.[6]

تكذيب فرية العربية لا تصلح للعلوم والتقنية:ظلّت النخب التي مسخت بالاستغراب، والاستلاب في الأوساط الأكاديمية تردد فرية أنّ العربية لا تصلح لتدريس العلوم التقنية، وأنّها عاجزة عن استيعاب التقدم العلمي والمصطلحات العلمية والحضارية التى نشأت فى لغات أخرى ، وتحاول إقناع نفسها بهذه الكذبة وتعمل جاهدة لإجهاض أيّ عمل للنهوض باللغة العربية في مجال البحث العلمي.

وهي الفرية والمغالطة التي رددها ومازال يرددها كثير من الباحثين، هؤلاء يعلمون خصوبة اللغة العربية وغناها وقدرتها غير المحدودة على استيعاب كل

مصطلحات العلم الحديث، ربما أكثر من لغات أخرى كثيرة على الرّغم من وجود بعض النقائص، أوعن طريق الاشتقاق، أو نحت ألفاظ جديدة، وهم يدركون المحاولات العلمية الناجحة سواء التي بُذلت بواسطة أفراد، أو جماعات أو هيئات(مثل مجامع اللغة العربية)، والتى تمّ فيها نقل مصطلحات العلم الحديث والحضارة المعاصرة إلى اللغة العربية.وأثبتت هذه المحاولات بالفعل ــ ــ قدرة اللغة العربية ــ ــ على استيعاب كل مصطلحات الحضارة الحديثة، وهم يعلمون أكثر من غيرهم حال اللغة العربية فى عصور الحضارة العربية الإسلامية وازدهار العلوم، وكيف كانت اللغة العربية تستوعب العلوم المختلفة ، وتمتلك من الغنى، والخصوبة، والتجدد ما يجعلها قادرة على التعبير والتأثير، سواء فى العلوم التى نشأت فى ظلّ الحضارة العربية، والإسلامية، أو التى نقلت إليها عن طريق الترجمة، أعتقد أنّ الإشكالية التي يطرحونها، وطبيعة النقاشات المرتبطة بها، لم تتمّ حتى الآن معالجتها بالشجاعة المطلوبة، وبالديمقراطية التي تعتمد الحوار البناء الحوار العلمي البعيد عن التبعية والأحكام المسبقة.

إنّ التكذيب الحقيقي لهذه الفرية، والرد على هذه المغالطة ما نشهده من دولة اليابان، والصين ، وألمانيا، واليونان، وكوريا الجنوبية، وأندنوسيا، وغيرها من الدول التي تدرس العلوم بلغاتها المحلية ، ولم تنعزل هذه الدول عن التقدم العلمي الذي يجري في العالم، خاصة وأن أسس، وقواعد العلوم الأساسية والرياضيات ثابتة لا تتغير.

وتؤكد محيا زيتون على ضرورة استعادة دور اللغة العربية كعامل محفز على التعاون العربي، كما تدعو لوضع خطط للتعليم في البلدان العربية كأولوية تعمل على تمكين إجادة اللغة العربية، ...وتتبنى فكرة أن تكون اللغة العربية هي الوسيط الرئيس للتدريس في المدارس، ومؤسسات التعليم العالي.[7]

ويقول محمد الغزالي:والتفسير الوحيد الذى نستطيع أن نقدمه لهذا التناقض هو أنّ الدول التى سادت فيها لغات غير لغتها القومية قد أتيحت لها الفرصة لأن تلاحظ أكثر الأثر الهدام لإهمال اللغة الأم، وأن تؤمن أكثر باستحالة تحقيق الوحدة

الثقافية والاستمرارية التاريخية وربط الأجيال الجديدة بواقعه، ممّا أدى إلى تخبط وفشل عمليات التنمية المتكاملة، فى حالة الاستمرار فى تجاهل اللغة القومية.[8]

إنّ اللغة العربية ليست أداة للتخاطب فقط؛ بل هي وعاء ثقافي وهوية إسلامية فهي لغة القرآن الكريم، والحفاظ عليها هو حفاظ على هذه الهوية وعلى هذه الثقافة، فهي فكر وذات وعنوان ولغة تفكير وتعبير، ويشكل امتلاكنا للمعارف والتكنولوجيا بهذه اللغة الطريق لتمثل هذه التكنولوجيا وإنتاجها.[9]

إنّ منابع التشويش على إمكانية البحث العلمي باللغة العربية، والترويج لمقولات أيديولوجية ثابتة أنّ اللغة العربية عاجزة عن مواكبة التطور العلمي قد أثر ذلك على كثير من أفراد الأمة، وهذا ما كنا نجده عند كثير من النخب المثقفة، أو حتى عامة الناس، وقد هيأت نفسها للدفاع عن تلك الأطروحات الأيديولوجية وأعدّت لها العدة، وعمدت لإبعاد أية أطروحات أخرى عبر الاستثمار الأقصى للتكنولوجيا سواء أكانت حقائق، أم أوهام، وأكاذيب، وهكذا يتمّ توظيف الأيديولوجية بآليات متعددة بكلّ ما يخدم أهدافها، وتتحول اللغة من وسيلة للتواصل إلى وسيلة تعيق للتواصل.[10]

ولذلك لم تتوان العولمة في ظلّ تراكم نتائجها في إيقاع متسارع، في ترك آثارها على اللغات الوطنية، والقومية، فتغزوها التراكيب، والمفردات القادمة من اللغة السائدة التي تتجسد فيه مقولات العولمة، وثقافتها ، والتي تسعى لفرض نموذج ثقافي مهيمن ..والنتيجة اتساع الغزو اللغوي من اللغة الصاعدة عولمياً ...[11]

وجميع الدول التي حققت تنميتها البشرية في النصف الثاني من القرن العشرين واحتلّت أعلى المراتب في سلم التنمية البشرية، مثل كوريا وفنلندة، تستعمل لغتها الوطنية الفصيحة المشتركة في التعليم، والإعلام ، والحياة العامّة، فالسياسات اللغوية، والتعليمية، والإعلامية هي من السياسات التي تشارك في إيجاد التنمية البشرية، وتعزيزها. [12]

فإنّ الاستعمار في العالم العربي، والإسلامي سعى بكل الوسائل إلى تغيير بنية التعليم، والتربية كجزء من مخطط واسع للفصل بين الإنسان، ومقوماته الحضارية بهذه الدول.[13]

تحديد معالم إستراتيجية البحث العلمي باللغة القومية:وقد أجمعت الدراسات العلمية اللغوية الجادة، على أنّه بات من الواجب تحديد معالم إستراتيجية لغوية على مستوى الوطن العربي، وأن تكون اللغة العربية الفصيحة على وفق مقاييسها الحديثة في الفصاحة، والسلامة، هي اللغة التي يتعامل بها المواطن العربي مع العلوم، والتقنيات الحديثة.

وأن معالجة اللغة العربية تشكل نقطة الانطلاق الأساسية للمدخل الثقافي لصياغة العلوم بلغاتها القومية.

إنّ اللغة العربية ليست مادة دراسية فحسب كباقي المواد الأخرى؛ بل هي وسيلة لدراسة المواد الأخرى، وإذا كان الانفصال بين المواد مقبولا إلى حد ما فلا ينبغي أن تكون العربية منفصلة عن بقية المواد[14] ، وهي النتيجة التي وصل إليها الباحث الجزائري الدكتور علي تعوينات أنّ هناك تأثيراً للمستوى في اللغة العربية على المستوى في المواد الدراسية الأخرى مثل التربية الرياضية (الحساب) وغيرها .[15]

آثار توطين العلوم بغير لغاتها الوطنية:إنّ توطين العلوم بغير لغاتها العربية يمكن أن تكون له نتائج ، وآثار على حياة المجتمعات العربية، والإسلامية وعلاقتها بتراثها الحضاري إلى حد القطيعة المعرفية، والانتكاسة

1- تشكيك المجتمعات العربية، والإسلامية في تراثها اللغوي، والثقافي والحضاري، ممّا قد يعوق مسيرتها نحو نهضة منشودة راشدة تضعها من جديد على درب التاريخ.

2 - التشويش على اللغة العربية حتى لا تعبر عن ارتباط نهضتنا العلمية والثقافية، و الفكرية بتلك اللغة، إنّ مرور جميع مكونات التربية، والتعليم عبر قناة

اللغة الوطنية يقوي المعارف، ويوسع الفكر، ويرسخ القيم الروحية، والتمسك بالمبادئ الخلقية، والثوابت الوطنية.

3- **تفتيت الشخصية الوطنية:** من آثاره السلبية تفتيت الشخصية الوطنية ولذلك ضرورة عدّ اللغة الوطنية الوجه الخارجي للشخصية الوطنية؛ فالذين يدعون لتعويض اللغة العربية بأي لغة أخرى أو جعل هذه اللغة، أو تلك في مستوى واحد مع اللغة العربية بحجة أو بأخرى يعملون من حيث يشعرون أولا يشعرون على تفتيت الشخصية الوطنية، والتنكر لتاريخها.

ولذلك وقف محمد بن رحال أمام مجلس الوفود المالية الفرنسي ونادى بضرورة تعليم اللغة العربية في المرحلة الابتدائية، وهي اللغة الأم لملايين الأطفال المسلمين، وتساءل ابن رحال: كيف يعبر شعب بدون لغة عن أفكاره أو يتصور أفكار الآخرين، أو يثقف نفسه، ويصلح أخلاقه وسلوكه. [16]

4- **محاولة طمس المرجعية:** تبقى المرجعية هي الحصن المنيع التي تمنع انهدام بناء المجتمع، وتمنحه الزاد الفكري، والعقلي، والمعرفي، والثقافي، وهي القادرة على تشكيل الحصانة، والمناعة، والقوة، والبقاء، والعطاء للمجتمع، لهذا فإنّا بأمس الحاجة اليوم للحديث عن المرجعية اللغوية التي حكمت النتاج الحضاري والثقافي، والفكري للجزائر عبر عصورها المختلفة.

ويكتسي اليوم موضوع المرجعية أهمية كبيرة خاصة في مرحلة أصبحت العولمة تعمل على ذوبان الهويات الثقافية، واللغوية، وإلغاء الخصوصيات الهوياتية اللغوية، والثقافية، لتصطنع هوية لغوية كونية لا جذور لها، لذلك النظام العالمي الجديد يركز في أهدافه على هدم خصوصيات الآخرين على خطين متوازنين اللغة، والهوية إذ يرى فيهما عنصرين مركزيين لأية ثقافة، أو حضارة.

إنّ وضوح المرجعية اللغوية تمكّننا من المثاقفة العلمية العادلة بين الأنا والآخر، ولا توقعنا في عملية الانصهار، والذوبان، ولا تؤدي إلى هيمنة الآخر على الأنا هيمنة ثقافية، ولغوية تسلبه كلّ معالمه التكوينية، وتطمس ملامح هويته ولغته الحضارية التي تشكلت مدة قرون من العطاء، ومن ثمّ نستطيع تجاوز تلك

الإشكالية التي يعاني منها المنهزم الذي قد يتخلى عن مرجعيته اللغوية بسهولة ليلتحق بمرجعية الآخر، وحتى نصل إلى حصانة لغوية لا بد لنا من بناء المرجعية اللغوية الخاصة، والتي لا تكون إلاّ باللغة الوطنية خاصة في زمان تتهاوى فيه الخصوصيات، وفي اعتقادي لا معنى للحديث عن المرجعية اللغوي مبتورة عن ماضي الإنتاج المعرفي، والفكري، والثقافي الذي أنتجها باعتبار التاريخ يشتغل على مبدأ الاستمرارية، ولا معنى أيضاً لمفهوم الذوبان مع اللغات الأخرى التي أسهمت فيها ظروف ميّزها ضعف الانتماء للغات الوطنية في عالم يتميز بسيطرة المركزية الغربية.

إنّ المرجعية اللغوية تبقى جزءاً لا يتجزأ مِن هويتنا، وثقافتنا، فإذا كانوا يتحدثون اليوم عمَّا يُسمَّى اليوم سيطرة اللغة سيطرة على منابع التكنولوجيا ، فإنَّه من الضروريّ أن نمحور نحن السؤال عن المرجعية اللغوية التي يمكن اعتمادها عبر مشروع حضاري يعمل على إحياء التراث الفكري، و المعرفي الذي شكّل مرجعية للأمة الجزائرية، وبعثه، وإحياؤه عبر ربط الماضي، بالحاضر لأنّه في اعتقادي الدراسات التي لا تؤسس ذاتها ضمن تاريخ، وحضارة ، وسياقات تميزّه عن غيره في الحقيقة تؤسسه على تاريخ زائف، على تاريخ آخر لا صلة له بهوية وثقافة، ولغة، و مرجعية تلك الأمة.

وهي المرجعية التي صحبت الجزائر، فهذا الإبراهيمي عندما كان في السجن بفرنسا كتب إلى رئيس الاتحاد عندئذ، وهو مسعود آية شعلال مستغربا كيف لم يتعرض المؤتمر إلى انتساب الجزائر للعروبة ، والإسلام بينما صرح بذلك كريم بلقاسم أصالة عن الحكومة المؤقتة، وأضاف أنه ليس من حق الاتحاد السكوت على مثل هذه القضية لأن الثقافة هي مجال الاتحاد ، ولا مفر من أن يكون لعروبتنا محتوى ثقافي في جوهره.[17]

هذه النصوص كلها تؤكد على انتماء الجزائر الحضاري العربي الإسلامي والإيمان بالوحدة العربية والمصير المشترك، وبأن الجزائر جزء من الأمة العربية الإسلامية، إنها نصوص صيغت في معظمها أيام الكفاح عندما لم يكن هناك مجال

للمراوغة والتفلسف البيزنطي، ومع ذلك جاء من يتساءل اليوم عن هوية الجزائر ويثير الشك حول مسألة المواطنة.

5- **استبعاد الشخصية اللغوية عن المكانة التي يجب أن تكون عليها:** تحتل اللغة أو الشخصية اللغوية المكانة المرموقة بين عدة عوامل سياسية، واقتصادية وثقافية، واجتماعية، وقومية.. ساهمت في تطوير البحث العلمي ، ويحتفظ لنا التاريخ الأوروبي الحديث أنّ نهضات الأمم الغربية الحديثة قامت على أسس بعض من هذه الأسس بلا شك، ولكن تبقى الشخصية اللغوية تحتل المكانة الأبرز بين هذه العوامل كلّها فكل نهضة علمية، أو فكرية ننشدها خارج نهضة لغوية بغير لغاتها القومية لن يكتب لها النجاح.

6- استبعاد تشكيل وعي الجماعة وسلوك أفرادها: فاللغة باعتبارها نصوصاً واصفة؛ تقوم بدور "تشكيل وعي الجماعة وسلوك أفرادها، أي علاقة اللغة بالثقافة كأداة؛ لتوحيد الجماعات في مجتمع خاص بهم".[18]

بناء على ذلك يجب الاعتراف أن أخلاقنا وتفكيرنا ما هو إلاّ انعكاس للغة الأجنبية التي نتحدث، ونفكر، وندرس بها.

7-تحولات القيم بين التفاعل والذوبان: إنّ الحديث عن إشكالية تحول القيم اليوم، لا يعدّ ترفا فكرياً، ولا مضيعة للوقت؛ بل هو واحد من المواضيع الأكثر حضورًا في الملتقيات، والندوات، والمؤتمرات العالمية، والإقليمية،

والمحلية، وذلك بالنظر لحجم التحولات التي جرت في السنوات الأخيرة، والتي فاجأت، وأدهشت الجميع، سواء أكاديميين، أو باحثين، أو مهتمين، أو صحفيين، أو صناع القرار، أو أسر، وغيرهم؛ ولعلنا لا نبالغ إذا ما أكدنا على خلاصة أساسية وهي أنّ الصراع الجاري اليوم في العالم تجاوز ما هو مادي، واقتصادي وعسكري، وتقني إلى ما هو قيمي، ومعرفي بالدرجة الأولى، وقد أكد كثير من الباحثين أنّ مستقبل الصراع في العالم سيكون في منظومات القيم.

وقد تم هذا الاختيار لأنّ عدداً هائلاً من مستخدمين اللغات الأجنبية، يسهمون في الفوضى الأخلاقية، ويدسون على كلّ القيم، والتقاليد، والأعراف، وفي كل

الاتجاهات، وبأعداد هائلة، ومتزايدة ينتجون ويتبادلون المعلومات بمختلف أصنافها، ويسهمون في التأثير في البناء الاجتماعي للسلوك.[19]

فإجراءات التفكيك، وإكراهات التذويب الممارس على المجتمعات قد وصل إلى كلّ شئ، فتراهم يلغون الأسرة التقليدية، ويستبدلونه بالمثلية الجنسية، والميل الجنسي، وفوضى العلاقات الجنسية، وعندما تصبح القيم – التي كانت فضيلة خلقية واجتماعية وتاجاً على رؤوس الأمم تحرص المجتمعات عليها، وتشدد في شأنها وتعطيها تلك الأهمية البالغة – موضعاً للسخرية، والاستهزاء، والتهور، وتطاول مرضى النفوس، ودعوة لانحلال الأخلاق ، وخدش العفة، وعندما يختفي الحياء الذي كان يضفى على الجمال جمالا، يصبح من الضروري الحديث عن القيم والتأصيل لأخلاقيات إيمانية أكثر من ضرورة، كيف التعامل مع الدعوات الشيطانية التي ما فتئت تدعو للتخلي عن القيم بكل الوسائل والمثيرات والمغريات حتى غدا دماراً اجتماعياً يقوض أسس الشرف ويردم منابع العفاف ويصبح الحديث عن القيم في زمان الحريات الشخصية أًمراً ملحاً، وفي اعتقادي أنّ الحياة البعيدة عن الدين والأخلاق، وفضائل الدين وشعائره انطلاق حيوانى محض.كما لا يجوز أن ينخدع العقلاء بمظاهر الارتقاء المادي التى تلوح أحياناً بين أقوام متحللين من شعب الإيمان ، وتعاليم الدين ، والبعد عن الأخلاق .

وما أكثر المعارك المفتوحة اليوم على المجتمعات العربية نتيجة للثورات الحاصلة في تقنيات التواصل، والتي لم نَتَمَكَّن بعد من بلورة قوانينها، ولا بناء القواعد القيمية التي تنظم علاقتنا بها .

إنّ موجات التعولم الصانعة لقيم المجتمعات الأمر الذي يؤكد أنّ مبدأ إعلان الوصاية على القيم والتاريخ، لن يوقف الحركية القائمة في مجال تلوين القيم بمتطلبات لم نعدها مع عالم جديد، عالم يدعونا بحركات، وأصوات، ومواقف إلى ضرورة التحرر من القيم الموروثة، والتفاعل مع مقتضياته، والمساهمة في بناء قيمه لذلك يدعون إلى إعادة النظر في منظومات القيم الموروثة، أوالسائدة والتفكير في بدائلها في ضوء ما يجري في العالم من تحوُّلات.[20]

وفي خضم الطفرة التقنية، وانفلات المعرفة، وتحول المبادئ، والقيم التي كانت سائدة، يجعل نمحور السؤال هل المجتمعات العربية بأمس الحاجة إلى إعادة النظر في منظومات القيم خاصة المطروحة للنقاش ، ودورها في تفكُّك المـــوروث مـــن القيم، واهتزازه، فقد حصل بفعل ما عرفه العالم من تحوُّلات تكنولوجية متســـارعة وما تَرَتَّب ويترتَّب عليها من توتُّرات، ومعتقدات جديدة، وسلوكيات أدخلـــت القـــيم بمختلف صورها في أنظمة مختلطة يصعُب الركون فيها إلـــى نمـــاذج، ومبـــادئ بعينها، في ظلّ التغيرات العالمية نقلة نوعية في العلاقات، والتفاعلات الاجتماعيـــة وفي التأثير على النســـيج الاجتماعي، والثقافي للمجتمع بشكل عام، والنسق القيمي بشكل خاص .

فهي تعتمد على قيم مستوردة، وتعمل على ترسيخ بعض القيم التي لا تتناســـب مع متطلبات المجتمع، وتطلعاته، وأهدافه، وقيمه خاصة في ظلّ غيـــاب القـــوانين والضوابط التي تحكم إيقاع هذه الظاهرة، ممّا انعكس بالســـلب علـــى المنظومـــة القيمية التي يحملها الشباب، واتجاهاتهم ، وميولهم تجاه بعض القضايا، والمواقـــف العقدية، والأخلاقية، والاجتماعية، والأسرية.

وقد صدق تكهن نبيل علي عندما تحدث عـــن العـــوارات الاجتماعيـــة التـــي سنكتشفها في نهاية الألفية الثانية، والوقوف على الخلل الحاصل بحيث يتعذر معها التستر مهما بلغت قوة وسائل الإعلام الجديدة. [21]

8-**إحلال لغة المستعمِر** :محل اللغة الوطنية أو معها؛ لتزاحمها، وتُبعد الأنظار عنها عن طريق الإغراء بمساعدات وحسن العلاقات، أو عن طريق الترهيب بمنع الإعانات، وحتى بتهديد النظام.

إنّ الدعوة لإحلال لغة المستعمِر محلّ اللغة الوطنية في الحقيقة هـــو مقدّمـــة لمحو أبرز معالم شخصيّة الأمّة، وقطع حاضرها عن ماضيها، وجعلها جسداً واهناً لا طاقة له على الصمود ، أو البقاء تمهيداً للإجهاز عليها.

وجميع الدول التي حققت تنميتها البشرية في النصـــف الثـــاني مـــن القـــرن العشرين واحتلّت أعلى المراتب في سلم التنمية البشرية، مثـــل كوريـــا، وفنلنـــدة

تستعمل لغتها الوطنية الفصيحة المشتركة في التعليم، والإعلام ، والحياة العامّة فالسياسات اللغوية، والتعليمية، والإعلامية هي من السياسات التي تشارك في إيجاد التنمية البشرية ، وتعزيزها. [22]

فإنّ الاستعمار في العالم العربي، والإسلامي سعى بكل الوسائل إلى تغيير بنية التعليم، والتربية كجزء من مخطط واسع للفصل بين الإنسان، ومقوماته الحضارية بهذه الدول.[23]

9- **العجز عن اكتشاف الذات و الخوف من الآخر** :مثاقفة الأنا مع الأخر لا يدّل على خطورة المثاقفة من حيث هي آلية من الآليات البحث عن المعرفة بقدر ما يدل على ضعف الأنا في الارتماء في أحضان الآخر ، والانكفاء على الذات وجهان لقصور في الوسائل ، والغايات لدى أجهزة بناء المعرفة .

10- الاستغراب، والاستلاب:إنّ من مظاهر استبعاد اللغة الوطنية من التدريس، والبحث العلمي قد انعكس بالسلب في ظلّ الضعف الذي نعاني منه حيث أصابنا المسخ بالاستغراب، والاستلاب في الأوساط الأكاديمية التي لا تملّ وهي تردد فرية أنّ العربية لا تصلح لتدريس العلوم التقنية، وأنّها عاجزة عن استيعاب التقدم العلمى ، والمصطلحات العلمية، والحضارية التى نشأت فى لغات أخرى ، وتحاول إقناع نفسها بهذه الكذبة ، وتعمل جاهدة لإجهاض أيّ عمل للنهوض باللغة الوطنية في مجال البحث العلمي.

إنّ الحاجة ماسّة إلى التذكير بقضيّة الاستلاب الحضاري، لاسيما في هذا العصرِ الذي تعدَّدت فيه أسباب التحديات، وتنوعت وسائلُ الهجوم على اللغة الوطنية، ممّا يمثل منعَطفاً خطيراً يحتِّم المسؤوليةَ العظمى على جميع شرائحِ المجتمع، وأطيافِ الأمّة في الحفاظِ على اللغة الوطنية.

يجب أن نرفض الاستعداد الفطري للاستلاب الفكري، والتغريب اللغوي لأنّه من أخطر جراثيم الافتراس حيث تسويغ الاستلاب الثقافي، والديني عن طريق الهجوم الشرس على اللغة الوطنية، وزعزعتها في حياة الأمة، وإحلال اللغة الأجنبية بمسوّغات بالية.

11- بين لغة المعبد اللغة الوطنية، ولغة للمعهد العلمي وهي الإنجليزية أو الفرنسية:ما أكثر ما يجري العدوان على هذا اللسان الذي وَسِع الدين، والقرآن ولعلّ سبب إعلان الحروب على اللغة العربية الفصحى هي كون تلك اللغة لغة القرآن الكريم، ولغة الحديث النبوي الشريف، ولغة حضارة ، وتراث الأمة .

إنّهم يريدون أن تكون هناك لغة للمعبد وهى العربية، ولغة للمعهد العلمي وهي الإنجليزية أو الفرنسية، أو ما إلى ذلك.. وهذه قضية خطيرة جداً.. وشيئاً فشيئاً سوف تنفصل العربية عن الحياة..، وسوف يكون انقطاع عن التواصل اللغوي وإدراك الميراث الثقافي، والتفاهم مع القرآن بالنسبة للأجيال القادمة..فالقضية ذات أبعاد متعددة وخطيرة.. اتفق علماؤنا على أنّ النظم العربي جزء من النص القرآني.. جزء من الوحي..، ولا يمكن أن يسمّى وحياً أبداً لو ترجم القرآن إلى لغة أخرى، مهما كانت الترجمة .

12- اللغة الوطنية و السياسة اللغوية بين فاعلية التطوير وآليات التدمير:معظم السياسات اللغوية في العالم بأسره تسعى، وتهدف أن تكون لغتها الوطنية المشتركة لغة العلم، والمعرفة، ومن ثمّ تسعى لتعميمها، وتنميتها وتطويرها، وتيسر استعمالها لتكون اللغة الرسمية المكرسة بقوة الدستور عبر الإجراءات القانونية، والمؤسساتية كالمجامع اللغوية، والمعاهد، ومراكز البحوث والإجراءات الثقافية، والإعلامية ، والمؤسسات التربوية التي تجعل من اللغة الوطنية التعليم، والتدريس ، وتجعل التمسك بها من أهم مظاهر وجودها؛ لذا لا ينبغي الاختلاف حول جوهر بناء سياسة لغوية تعزز مكانة اللغة الوطنية التي تزيد من وحدة الثقافة، ووحدة الوطن، ووحدة التاريخ، ووحدة المصير،؛ فاللغة العربية لا تقترب بهوية ضيقة فهي الجامعة، فهي ليست مرتبطة بهوية ابتلاعية، ولا هوية اقصائية، [24]

ونأمل أن يتخذ السياسيون العرب بكل توجهاتهم توحيد السياسة اللغوية ، والحرص عليها فهي الهوية الباقية للرب مع عقيدتهم، وقرآنهم.[25]

من ايجابيات توطين العلوم باللغة الوطنية: إنّ النهوض باللغة الوطنية وترقيتها في مجال البحث العلمي تعدّ واحدة من الإشكالات التي نعاني منها، والتي فتحت نقاشات بين الباحثين حول أهميتها، و دورها في تنمية المجتمع ، أعتقد أنّ هذا الموضوع يعدّ واحداً من أهم الموضوعات التي ينبغي الاهتمام به، لأنّ أية محاولة للنهوض باللغة العربية ينبغي أن يبدأ من المؤسسات العلمية، لما لها من دور عظيم في النهوض باللغة العربية، ولا يمرّ ذلك إلاّ ضمن إستراتيجية واضحة المعالم تشتغل على توطينها لا تهميشها.

1- لا شك في أن ّالنتيجة الأولى التي تظهر واضحة هي ضرورة ارتباط نهضتنا الفكرية بنهضة لغوية تعبر عن هذا الفكر.

2- اعتبار اللغة الوجه الخارجي للشخصية الوطنية؛ إنّ وحدة اللغة هى أهم وأمتن الروابط التى تربط الأفراد بعضهم ببعض، وهى أفضل العوامل التى تؤثر فى تكوين شخصيات الأمم. [26]

3- ترسيخ مفهوم أنّ اللغات لا تتفاضل بحد ذاتها لذلك لابد من العمل على الارتقاء باللغة القومية لأنّ مهمتها الأساسية هي التواصل، وكلما تحقق هذا التواصل في البحث العلمي كانت اللغة القومية في مستوى كلّ اللغات الأخرى.

4-لا شك أنّ توطين البحث العلمي باللغة الوطنية يزيد في انتشار الحضارات والثقافات بلغاتها الوطنية على اعتبار أنّ كثير من الباحثين يعتقدون أنّ اللغات متطابقة مع الحضارات، والثقافات، فما كان منها محدوداً بلغته ، ومتخلفاً لا تواكب مسيرة البحث العلمي، ولا تعمل على توطينه كانت لغاته في مستواه.

5- إن التطلع للمستقبل، ومواكبة التطورات الحاصلة في عصر الرقمنة تجعلنا نرتقي باللغة العربية في المحتوى الرقمي حتى تنتج المعرفة، ويكون لها فعل حضاري، ومعرفي، وإلا سنكتشف أننّا مجتمعات نامية يتطلب الارتقاء باللغة الوطنية والنفاذ إلى حقائق الأشياء، وإحكام المنطق، وتقصي كل الجزئيات لا محالة التي يعبر بها الفرد؛ لذا هي بأمس الحاجة إلى التقانة حتى تستجيب لمتطلبات عالم يحكمه التغيير المطرد، حتى تكون لغته متطابقة مع مداركه

وعمقه، وشموله وإحكام منطقه. فكيف يجوز الادعاء بأن اللغات لا تتفاضل، وهي لغات أمم وشعوب منها ما بلغ في الحضارة شأواً بعيداً، ومنها ما ظل تبعا لغيره في هذه الحضارة ، ومنها ما ظلّ متخلفاً أو بدائياً.

6- **تثبيت الهوية والانتماء:** إنّ جوهر الصراع اليوم كان محوره قضيتي"الهوية، والانتماء" إذ تركزت جهود التغريب، والحداثة على محاولة فصل الأمة عن ثوابتها..؛ إذ يرى محمد بنيس أنّ همّ الحداثة هو هدم المقدس والثابت[27]؛ ولذلك تراهم يدعون لإعادة رسم خريطة المقدسات[28]؛ يقول عبد المجيد الشرفي:"لا يغرنّك ما يقال، ويكتب من ضرورة المحافظة على الأصالة والهوية، والوفاء، والقيم الذاتية ...العامل على نحت مصيره نحتاً.. "[29]، ومن بينها إلغاء اللغة الوطنية، ، وبالمقابل ينبغي أن تركز جهود المخلصين من أبناء الأمة على تحصين ثوابت الهوية، وإبراز مقوماتها.

ولما كان هدم المقدس لا يكون إلا باللغة الحاملة لهذا المقدس كثرت مطالبهم بالتخلي، والطعن، والتشكيك، والتجديد، والطعن، والنقد..في هذه اللغة؛ يقول أدونيس: وإذا تذكرنا صلتها في الوعي العربي الأصلي بالمقدس، وتحديداً القرآن أفلا نرى في جهلها، أو الدعوة إلى تغير بنائها إحلال العاميات محلها نوعاً من القول بوعي آخر، وهوية مغايرة.[30]

ومن العجيب الدعوة إلى التخلي، و الانقطاع عن اللغة الوطنية، وبالمقابل يمجدون لغة الغرب، ، ويعملون جاهدين دون كلل، أو ملل لانتقاد لغتهم جملةً وتفصيلاً لتبرير إتباع لغة غيرهم، فالحداثة من جملة ما تعنيه عندهم الانقطاع عن الماضي إذا كان هذا الماضي هو ماضي الذات العربية نفسها، أما إذا كان ماضي الغرب فهي اتصال واستمرار وثيقين.[31]

7- **تساعد على الوحدة:** إنّ القضاء على اللغة العربية الفصحى ، هو قضاء على أكبر مقومات الوحدة الإسلامية، والتضامن العربي[32]؛ حيث كان شوقي ضيف يرى أنّ العامية تقطع الروابط، والصلات بين العرب؛ لأنّه لغة محلية لا يفهمها سوى أفراد شعبها.[33]

كما أكّد محب الدين الخطيب في كثير من مقالاته أنّ هذه اللّغة هي لغة العلم ولغة الحضارة، وهي الجامعة الّتي تربط العرب، والمسلمين في كلّ بقاع الأرض فالفرق الحقيقي بين العاميّة والفصحى في أمّة الضّاد، هو أنّ للفصحى امتداداً جغرافياً إلى بلاد الجامعة العربيّة، يجعل منها في الثّقافة والأدب، على الأقلّ, وطناً واحداً.[34]

إنّ أفراد أي مجتمع من المجتمعات البشرية حين يتحدث أفراده لغة واحدة لا شك أنّ ذلك عاملاً من عوامل توحيد أفكارهم، ومشاعرهم، وثقافتهم، وأخلاقهم وسياستهم..؛ لأنّهم يشتركون في أمور كثيرة تعمل على توحيدهم أكثر من تشتتهم وتمزقهم، واختلافهم...[35]

فالهولنديون يعرفون أن لغتهم ليست هامة حيث لا يتكلم بها أكثر من خمسة عشر مليونا ، ولذلك لا يوجد شاب هولندى لا يعرف بجانب اللغة الأم لغتين ، أو ثلاثا من اللغات الحية، ولكن أحدا لا يناقش بالمرة فى أن التعليم فى جميع مراحله يجب أن يكون باللغة الهولندية ، فما بالك باللغة العربية ، وهى لغة أهم بكثير من اللغة الهولندية باعتبار عدد الناطقين بها ، وباعتبار تاريخها وتراثها ، وحتى باعتبار اعتراف العالم بها.[36]

ولا يمكن أن يتم الاتحاد والإخاء بين الناس، وصيرورة الشعوب الكثيرة أمة واحدة إلا بوحدة اللغة؛ إذ مازال الحكماء الباحثون في مصالح البشر العامة يتمنون لو يكون لهم لغة واحدة مشتركة، يتعاونون بها على التعارف، والتآلف ومناهج التعليم، والآداب، والاشتراك في العلوم، والفنون، والمعاملات الدنيوية، ولا شك أنّ هذه الأمنية قد حققها لنا الإسلام بجعل اللغة العربية لغة القرآن، و الدين والتشريع، والحكم لغة لجميع المؤمنين به، والخاضعين لشريعته، إذ يكون المؤمنون مسوقين باعتقادهم ووجدانهم إلى معرفة لغة كتاب الله، وسنة رسوله لفهمهما، والتعبد بهما والاتحاد بإخوتهم فيهما، وهما مناط سيادتهم، وسعادتهم في الدنيا والآخرة، وبذلك كرر في القرآن بيان كونه كتابا عربيا وحكما عربيا، وكرر الأمر بتدبره، والتفقه فيه والاتعاظ، والتأدب به.[37]

8- تحصين الذات:استعير ما قاله إدوارد سعيد عن الثقافة لإسقاطه على اللغة فإنّنا سوف نقتنع ولا بد بأنّ جدلية تحصين الذات، وتوكيد الذات التي تحقق من خلالها اللغة الوطنية حين تهيمن على تفكير، ومشاعر المجتمع، والدول، وهي جدلية تعتمد على تلك الممارسة الدائمة التي تمارسها الدعوات المشبوهة للتخلي عن لغاتها الوطنية لعزلها عن ذاتها، وماضيها، وتراثها، وحضارتها، وعن كل ما تتصوره بحيث لا يمت بصلة إلى ذاتها هي؛ وأما الأسلوب الذي يتمّ به هذا العزل فهو على الدوام وضع العاميات، واللهجات، واللغات الأخرى المدعومة فوق اللغة الوطنية.[38]

إنّ الأسبقية التي تحظى بها اللغات الأجنبية في الجزائر، والوطن العربي عموماً في مجال التعليم، وغيرها من المجالات الحياتية أثرت سلباً في استيعاب اللغة القومية لأنّ إهمالها، والاقتصار على تعلّم لغة ثانية جعل الفرد يفكر ويتقمص هوية، وثقافة ، وقيم، ومبادئ الآخر، وبالتالي فقد لغته، وهويته، وقيمه، ومبادئه لأنّ زاوية النظر تكون مبنية على ثقافة مغايرة جعلته أسيراً لها.

ولأنّ اللغة ليست وسيله للتعبير عن الأفكار فحسب؛ بل هي نفسها التي تشكل تلك الأفكار.[39]

9- تحديد العلاقة التي تجمع بين الأنا والأخر :فالعلاقة هي " مستكبر/ مستضعف" وكلاهما يوجدان فوق سطح تاريخي مشترك، فالأنا حين يتخلى عن لغته يبقى في حالة من الاستلاب، ليستمر المستكبر الأخر مهيمناً عليه من خلال لغاته التي تسيطر على المعرفة، وعندئذ يكون الأنا ضحية، وعاجز عن فهم ذاته وجاهل بغيرها.

ويصبح ثمة فاعل مطلق وقابل مطلق؟.. وهنا يكمن الخطر: فالقابل الأنا لابد أن يتحول إلى الفعل، وفعله يبدأ بالعودة إلى أصوله، ولغته، وتراثه، وحضارته والفاعل الأخر سيتحول حينئذ إلى قابل...

10- التخلص من الاستلاب النفسي: ولعل من أهم فوائد توطين البحث العلمي، والتدريس باللغة الوطنية أنّها تخلص أفرادها من الاستلاب النفسي، الذي

يحدث عند بعض الدارسين والمفكرين عندما يقارنون بين واقع البحث العلمي في العالم المتطور الذي تسيطر عليه اللغات الأجنبية، ومن ثمّ يتحول هذا الإعجاب بالغرب وعلومه ولغته، إلى تقليد أعمى، واستلاب، وازدواجية نفسية، وانفصام الشخصية التي يعاني منها الكثير اليوم .

وكلما كان شعب ما عصيًّا على الذوبان في غيره ومعتزًّا بثقافته، ولغته كان أكثر تأثيرًا في غيره.

11- **التخلص من صعوبات لغتنا الأم،** إنّ طلابنا ، و حتى بعد الأساتذة يعانون ضعفاً مزرياً في لغتهم الأم، وقد ظهر ذلك واضحا في مواقع التواصل اللغوي ، فخريجو الجامعات ضعاف في اللغة الوطنية، لا فرق في ذلك بين خريجي أقسام اللغة العربية ومعاهدها، وبين غيرهم، والأغلاط اللغوية في الكتب والصحف ، ومواقع التواصل الاجتماعي متفشية. وهذا الضعف ليس في أساسيات اللغة الوطنية ومهاراتها ــ فقط ، بل يمتد إلى معارفها وثقافاتها المتصلة بها. فكيف نضيف إلى ضعفنا في لغتنا الأم ضعفاً في سائر اللغات؟؛ ولذلك يقرر الباحثون أنّه كلّما ازداد أساس اللغة الأم رسوخاً، واستمرت في تطورها ازدادت القدرة على اللغة الثانية.[40]

12- التخلص من الانبهار بالآخر :من أسباب التخلي عن اللغة الوطنية لدى الشباب الانبهار بلغة الآخر، و التملق له، و مدحه، وإعطاء لغتها مكانة أكثر تستحق من حجمه، و كذلك الشعور بالتصاغر أمام لغته، كلّ ذلك أعاق انتشار اللغة الوطنية، وفي اعتقادي أنّ المفتاح لمعالجة أزمة الذات عدم الانبهار بلغة الآخر، هذه الذات التي فقدت مناعتها، وبوصلتها نتيجة لتضافرعوامل داخلية وأخرى خارجية فباتت تعرف كل شيء إلا اتجاهها في الحياة، وهو أعظم خطر يتهدد لغتنا، وجودنا، ورسالتنا، وهويتنا...

13- **التخلص من التقليد والتخلي عن اللغة الوطنية:**لا شك أن التخلي الإرادي أخطر بكثير من التخلي القهري الإجباري ويرجع بعضهم إلى التقليد الذي يمارسه شبابنا بوعي ، أم بغير وعي.

فالحرب على اللغة الأم من قبل اللغات الأخرى في ساحة المعركة قائم؛ كما يقول جان كفالي: من الأسرة

إلى السوق إلى الدروب المختلفة التي سلكتها اللغات المنتشرة في تطويرها.[41]

14- كسر الحاجز النفسي : إنّ الهزيمة النفسية التي تجتاح العالم العربي، قد اكتسحت جميع المجالات الاقتصادية، والعسكرية، والسياسية، والثقافية..، ولأنّ المغلوب مولع دائماً بتقليد الغالب- كما ذكر ابن خلدون- فإنّ أموراً كثيرة قد تغيرت في حياة العرب، والمسلمين من جراء هذه الهزيمة، وكانت لغتهم من بين ما لحقه التغيير، فقد شبابنا الثقة في لغته لتخلف الدول العربية، وضعفها، ممّا تولدّ الشعور عندهم أنّها لغة متخلفة لا قيمة لها .

وفي هذا المقام يجدر بنا العمل على كسر الحاجز النفسي الذي يحتقر اللغة العربية؛ لأنّ الذي يفرط في لغته يفرط في تراثه، وأصالته، وسيكون مصيره الذوبان في الأخر، والتلاشي...[42]

ولاشك أن الهزيمة النفسية هي من أخطر أعداء الأوطان، والأمم، فهي أخطر من الهزائم العسكرية، والتخلف التكنولوجي، والفقر، هذه الهزيمة النفسية هي التي جعلت المهزوم يطعن في لغته، وهذا ما فعله كلّ من رفاعة الطهطاوي، وأحمد لطفي السيد، وسلامة موسى، وطه حسين، ومحمود عزمي، وعلي عبد الرازق ومنصور فهمي، وشبلي شميل، وفرح أنطون، وإلياس أبي شبكة... ، حيث قدم لنا هؤلاء المثقفون العرب الثقافة الغربية نموذجاً مثالياً يجب أن يحتذي به، ولا سبيل أن نحيد عنه، وقد ارتبط مفهوم الانهزام لدى هؤلاء المفكرين بالعداء لكلّ انتماء عربي، وإسلامي، وشرقي، و تاريخي، أو ديني، أو أدبي، ووصل بهم الانبهار بفتنة المنتصر الولاء له، فالتقدم عند هؤلاء على اختلاف مجالات طروحاتهم مرهون باستنساخ الثقافة الغربية، والتماهي معها، وكانت النتيجة من هذه التبعية المقيتة، والذليلة اتساع الهوة الفاصلة بيننا، وبين الغرب بدلاً من تجسير الفجوات وبناء القناطر، وهذه واحدة من الأسباب التي ساهمت التخلي عن اللغة الوطنية .

الخاتمة: تشكّل اللغة الركيزة الأساس في بناء المجتمعات، وليست هنـــاك لغـــة خارج المجتمع، ولا مجتمع من غير لغة، وهي أضخم عمليـــة حضـــارية تنشـــئ الحضارة، وتتمثّلها، وتعبّر عنها، وهي ذات رصيد حضاري لا حدود له، والانتماء إلى اللغة هو انتماء إلى وجود معيّن، فموقع اللغة هو الحياة نفسها، ولا وعي مـــن غير لغة.

إذ لا نعرف أمة تكالبت على لغتها كتكالب أهل الحداثة العربية على عـــربيتهم ولا نعرف دعوة خبيثة، وأثيمة أبعد من الحق، وأوغل في الباطل، وأجلب للخطـــر والضرر على البلاد العربية، من الدعوة إلى الإلحاد اللغوي، والمروق من حـــدود الفصحى، والعبث بمقدساتها.

وفي اعتقادي هذا الشعور حتمي نتيجة الاستلاب، والتلاشـــي، حيـــث تعمـــدوا إغراق الإنسان المعاصر اليوم في الكتابة، والبحث العلمي باللغـــة الأجنبيـــة دون أهداف، ، وغايات واضحة ، ودون وعي حقيقي بالمخاطر، وخطورة التخلي عـــن اللغة الوطنية التي يستخدمها دون أن تلبي حاجاته، وطموحاته في حقيقة الأمر مـــا هي إلا طريقة جديدة تستخدمها القوى المهيمنة لتزيد من إحكام قبضتها على العـــالم بعد أن حوَّلتْ المعلومات إلى "سلعة"من السلع التي ترمي بها إلى مستهلكين لا يحقُّ لهم التصرف بها إلا وفق رغبات المنتِج نفسه، وذلك بغية ضمان عدم اســـتخدامها في أيِّ مشروع طموح يغير واقع الأمة، وينهض بها، ويمكن له أن يعمـــل علـــى تحرير الشعوب، والأفراد، كلّ ذلك يدعونا للوقوف على هذه التحديات.

ضرورة ممارسة لغاتهم الوطني في المجال العلمي بصورة صحيحة، وواعيـــة ونزع العقد النفسية التي تنظر إلى أن مستعمل اللغة الوطنية غارق فـــي التخلـــف ورجعي جاهل ، وغير مواكب لثورة الاتصالات، والتكنولوجيا التي كلّ يوم تظهر على الساحة بشيء جديد مرتق، وأنّ مستعمل اللغات الأجنبية مساهم فـــي الرقـــي الحضاري.

فهل هذا الاستلاب، والقهر، والعذاب المأساوي يحمل في داخله بـــذور الـــوعي والانبعاث والتجدد، تتفتح ثم تنضج في عقول الناس أهمية اللغة الوطنية ولاشـــك

أنّ الهزيمة النفسية هي من أخطر أعداء الأوطان، والأمم، فهي أخطر من الهـزائم العسكرية، والتخلف التكنولوجي، والفقر هذه الهزيمة النفسية هـي التـي جعلـت المهزوم يطعن في لغته الوطنية، ويحتقر أصوله الثقافية، واللغوية، ويعدّ لغته لغـة ميتة لا علاقة لها بالعصر الحاضر، ولا تفي بحاجات التطور العلمي.

إن التحديات المتعددة، والمتنوعة المفروضة على اللغات الوطنيـة فـي ظـلّ التحولات الجذرية التي يعرف العالم اليوم ، ومع المتراكمة التي صحبها هذا التغير مس البنية الاجتماعية، والثقافية، واللغوية بنسب متفاوتة ومتباينة كل ذلك لا شـك يدفعنا لإعادة النظر في كيفية تعاملنا مع اللغة الوطنية من زوايـا متعـددة وفـق إستراتيجية طموحة تهدف ــ، وتعمل إلى نقل التكنولوجيا واستيفائها في الـوطن العربي ، وتوطنيها، و تأصيلها بلغتها ليمهد للابتكار وليس عن طريق تقليد سطحي ، ومجرد نسخ يؤدي إلى الاستلاب والمسخ، وبذلك يصبح استعمال اللغة الوطنيـة استعمالا مبدعا في التعليم، والإعلام، و المخابر، والجامعات، ومراكـز البحـوث فتكون قادرة على محاورة

اللغات الأجنبية، وليس العمل على إضعافها.

النتائج: توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج:

-تشجيع البحوث العلمية التي تنجز باللغة الوطنية .

-تنمية الوعي بأهمية اللغة الوطنية كمورد يمكن أن يسهم في توطين العلـوم وصناعة المعرفة.

- التصدي للروح الانهزامية ، وفقدان الثقة في اللغة الوطنية .

-العمل الجاد للرقي باللغة الوطنية تنظيراً، وتعليماً، واستخداماً لإحداث نهضـة علمية باعتبارها من أهم مقومات تكنولوجيا المعلومات، وصناعة الثقافة، والمعرفة.

-العمل على تعريب العلوم.

-لقد أصبح التدريس، وتوطين العلوم، و مناهج التعليم باللغة الوطنية مطلبـاً لا مناص منه .

- نعتقد أنّ الأزمة أزمة الإنسان لا أزمة اللسان.

– اللغة الوطنية تربط الفرد بوطنه، وقيمه الروحية، وتاريخ بلاده؛ ممّا يغرس في قلبه محبته، والدفاع عنه؛ ولهذا فإن المرحلة التي يمكن الاطمئنان فيها على الطفل الذي نريد أن نعلمه لغة أجنبية هي المرحلة التي تأتي بعد أن يرسخ في معرفة لغة وطنه، ويكتسب فيها ملكته، ويعرف عقيدته الدينية، ومن ثم يصبح محصَّناً من كل تيار أجنبي.

– ونودّ أن نقرر أننا لا نعارض قط مبدأ تعلم اللغات الأجنبية، ولا نؤيد قط مبدأ الاقتصار على لغتنا الأم، سواء في عصرنا أو في عصرٍ سبق أو عصر لاحق لكن الانفتاح بعقلانية، لكن نعارض من يطالب بتعميم لغة العالم المتقدم لتكون اللغة الأم التي تحمل العلوم، والمعارف، والتكنولوجيا لا تستطيع اللغة الوطنية التعبير عنها، وصياغة مصطلحاتها، ومعانيها، ومفرداتها، ويتهمونها بالعجز، والعقم وعدم القدرة على الاستجابة للمستجدات العصرية في مختلف العلوم، والفنون وكأنهم يرددون تنفيذ الخطط الاستعمارية القديمة، و والحديث على حد سواء الذي يسعى بكامل طاقته إلى إضعاف اللغات الوطنية.

التوصيات: توصي الدراسة:

–نزع فتيل الخصومة المفتعلة بين العربية والعلوم ، ومن ثمّ تأصيل العلوم لا يكون إلا بلغة الأمة.

ترسيخ التوجه لتوطين العلوم بلغاتنا الوطنية.–

–الدعوة لإعادة النظر في السياسة اللغوية لإصلاح أوضاع اللغة الوطنية.

– العمل على ترقية وتطوير اللغة الوطنية لتكون أداة تعليمية فاعلة في جميع مستويات التعليم وفق إستراتيجية واضحة تضمن الهوية الوطنية.

المصادر والمراجع:

- الإدارة التربوية والسلوك التنظيمي:د. هاني عبد الرحمن صالح الطويـــل، ط 3. 2001م، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان الأردن.

- أضواء لى الدراسات اللغوية المعاصرة:نايف خرما 1978، عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون

والآداب، الكويت.

-الإعلام الجديد النظام الفوضى: عبد الله الزين الحيدري، المجلة العربية للاتصـــال والإعلام، تونس ، 2010 ، عـــدد: 6.

-إنقاذ اللغة إنقاذ الهوية: أحمد درويش، ط.1، 2006، نهضة مصر للطباعة، والنشر والتوزيع.

- الأيديويوجيا نحو نظرة تكاملية :سبيلا، محمد، 1992 المركـــز الثقـــافي العربـــي بيروت.

-تاريخ الجزائر الثقافي: أبو القاسم سعد الله، . ط. خاصة 2007 م . دار البصـــائر للنشر والتوزيع، الجزائر.

- التجارة بالتعليم في الوطن العربي:الإشكاليات والمخاطر والرؤية المستقبلية:زيتون محيا، مركز دراسات الوحدة العربية 2013 ، بيروت، لبنان.

- تدريس فنون اللغة العربية:مدكور علي أحمد2000، دار الفكر العربـــي القـــاهرة مصر.

- التعدد اللغوي واللغة الجامعة:حسن بشير، ضمن التعدد اللساني واللغـــة الجامعـــة منشورات المجلس الأعلى للغة العربية2014.

-التعدد اللساني واللغة الجامعة: عثمان سعدي، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية الجزائر 2014.

- التعريب والتنمية البشرية في كتاب العربية: الراهن والمأمول:علي القاسمي، 2009 المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر.

- تفسير المنار: محمد رشيد بن علي رضا 1990 م، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- تيسيرات لغوية:شوقي ضيف1990، دار المعارف، مصر.

– الثقافة العربية وعصر المعلومات رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي:د.نبيل علي، ط..الثانية 2012 ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة.

–حداثة السؤال بخصوص الحداثة العربية في الشعر والثقافة:محمد بنيس، ط.2 1988المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.

– حصوننا مهددة من الداخل:محمد محمد حسين، ط.الخامسة1398، المكتب الإسلامي، بيروت.

–السياسة اللغوية في البلاد العربية بحثا عن بيئة طبيعية عادلة وديمقراطية وناجعة: عبد القادر الفهري، ط.الأولى2013، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان.

–سيكولوجية اللغة والمرض العقلي :جمعة سيد يوسف1990 ، عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون

والآداب، الكويت.

– الشجرة التعليمية رؤية متكاملة للمنظومة التربوية:مدكور، علي أحمد، 2000، دار الفكر العربي، القاهرة، .

. الشعرية العربية: أدونيس ط1. 1985 ، دار الآداب ، بيروت–

–صعوبات تعلم اللغة العربية لدى تلاميذ الطور الثاني من التعليم الأساسي في المناطق الناطقة بالبربرية والمناطق الناطقة بالعربي دراسة ميدانية مقارنة مجلة جامعة أم القرى.

–العرب وعصر المعلومات:نبيل علي، عالم المعرفة، عدد184، ، 1994المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

–العربية والأمن اللغوي:زهير غازي زاهد، 2000مؤسسو الوراق، عمان ، الأردن.

علم الاجتماع اللغوي:لويس كفالي، رجمة:حسن حمزة، ط1. 2008، مركز دراسات الوحدة العربية –

–علم الإعلام اللغوي:عبد العزيز شرف، ط2000.1، مكتبة لبنان.

– العالم والنص والناقد :إدوارد سعيد ، ت: عبد الكريم محفوض2000 من منشورات اتحاد الكتاب العرب.

– الطفل العربي واللغات الأجنبية:د. نادية أحمد طوبا 1993م (سلسلة عالم العربية الرياض)، دار النشر الدولي بالرياض .

-لبنات في المنهج وتطبيقه:د. عبد المجيد الشرفي، ط2. ، 2005، دار الجنوب للنشر، تونس.

- اللغة العربية القيمة والهوية: بسام بركة ، مجلة العربي، العدد 528، نوفمبر 2002.

-اللغة العربية وتحديات العصر: د. محمود احمد السيد، 2008م دمشق.

-لغة القرآن فقدت مرونة التّطوّر: محب الدّين الخطيب، جريد في الفتح, 850 (ذو الحجة, 1366),.

- لغة الهوية والتعلم بين السياسة والاقتصاد نموذج تماسكي تنوعي وتعددي:عبد القادر الفاسي الفهري، عدد1، مجلد1، سنة2016، تبيين للدراسات الفكرية والثقافية.

- اللغة والاقتصاد:فلوريان كولماس، ترجمة:د.أحمد عوض، مراجعة:عبد السلام رضوان، 2009سلسلة المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت نوفمبر.

-اللغة والاقتصاد: فلوريان كولماس، تر: د أحمد عوض م راجعة عبد السلام رضوان، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت سنة 2001 م.

- اللغة والسياسة في عالم ما بعد 11 سبتمبر:محمد محمد داود2003، دار غريب القاهرة،

-اللغة والهوية: إشكاليات المفاهيم وجدل العلاقات: فيصل الحفيان، مجلة التسامح العدد الحامس1425ه- 2004.

- مع الله دراسات في الدعوة والدعاة محمد الغزالي، ط. الأولي ، دار نهضة، مصر

-مرايا الهوية: الأدب المسكون بالفلسفة ، جان فرانسوا ماركييه، ترجمة أ. كميل داغر، مراجعة لطيف الزيتوني، دار الدعوة، بدعم من مؤسسة الفكر العربي، الطبعة الأولى، 2005دار المنظمة العربية للترجمة.

-مشكلات في طريق الحياة الإسلامية: محمد الغزالي ، ط.الأولي، دار نهضة مصر.

- من النص إلى النص المترابط، مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي:سعيد يقطين ط1. ، 2005، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب.

– ندوة مواقف الإسلام والحداثة:مجموعة حداثيين ، ط1. ، 1990، دار الساقي لندن.

– نحو مثقافة مغايرة :جابر عصفور، ط.الأولى1428–2008، الدار المصرية اللبنانية.

–النخبة و الأيديولوجيا والحداثة :د. سعيد شبار، ط. الأولى 1422ه ــ2005، م. دار الهادي بيروت.

نظام الخطاب:ميشال فوكو، ترجمة محمد سبيلا، ط.2، 2007، دار التنوير بيروت.–

– واقع العالم الإسلامي بين تغريب التعليم وكشف تخريب المتآمرين ، لسعيد عبد الكريم زيد ، مكتبة وهبة بمصر 1997م .

الهوامش:

[1]انظر نظام الخطاب:ميشال فوكو، ترجمة محمد سبيلا، ط.2، 2007، دار التنوير، بيروت ص:49.

[2]التعدد اللغوي واللغة الجامعة:حسن بشير، ضمن التعدد اللساني واللغة الجامعة، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية 2014، 97/1.

[3]انظر:علم الإعلام اللغوي:عبد العزيز شرف، ط1، 2000، مكتبة لبنان، ص:32.

[4]مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، ص:69.

[5]أسس التربية وعلم النفس : أحمد يوسف ، ص:36 .

[6]انظر:اللغة العربية وتحديات العصر: د. محمود احمد السيد، 2008م دمشق، ص:83.

[7]انظر التجارة بالتعليم في الوطن العربي:الإشكاليات والمخاطر والرؤية المستقبلية:زيتون، محيا مركز دراسات الوحدة العربية، 2013 ، بيروت، لبنان ص: 288.

[8]انظر مشكلات في طريق الحياة الإسلامية: محمد ، ط.الأولي، دار نهضة مصر، ص:67.

[9]الشجرة التعليمية رؤية متكاملة للمنظومة التربوية:مدكور، علي أحمد، 2000، دار الفكر العربي، القاهرة، ص: 28.

[10] انظر الأيديويوجيا نحو نظرة تكاملية :سبيلا، محمد، 1992 المركز الثقافي العربي، بيروت ص:16

[11]انظر: نحو ثقافة مغايرة:جابر عصفور، ص:242.

[12]التعريب والتنمية البشرية في كتاب العربية: الراهن والمأمول:علي القاسمي ، 2009المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر ، ص: 146.

[13]انظر واقع العالم الإسلامي بين تغريب التعليم وكشف تخريب المتآمرين ، لسعيد عبد الكريم زيد مكتبة وهبة بمصر 1997م، و انظر واقع العالم الإسلامي بين تغريب التعليم وكشف تخريب المتآمرين ، لسعيد عبد الكريم زيد ، مكتبة وهبة بمصر 1997م .

[14]تدريس فنون اللغة العربية:مدكور علي أحمد2000، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر ص:312.

[15]صعوبات تعلم اللغة العربية لدى تلاميذ الطور الثاني من التعليم الأساسي في المناطق الناطقة بالبربرية والمناطق الناطقة مجلة جامعة أم القرى ، دراسة ميدانية مقارنة5 / 106.

[16] تاريخ الجزائر الثقافي 8/ 22.

[17]المرجع نفسه 10/ 109.

[18]العرب وعصر المعلومات:د. نبيل علي، 1994، ص:293.

[19]الإعلام الجديد النظام الفوضى: عبد الله الزين الحيدري، المجلة العربية للاتصال والإعـــلام، تونس ، 2010 عـــدد 6، ص: 40.

[20]انظر المرجع نفسه ، ص:45.

[21]انظر العرب وعصر المعلومات:نبيل علي، عالم المعرفة، عدد184، 1994، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ص:254.

[22] التعريب والتنمية البشرية في كتاب العربية: الراهن والمأمول:علي القاسمي ، 2009المجلـــس الأعلى للغة العربية، الجزائر ، ص: 146 .

[23]انظر واقع العالم الإسلامي بين تغريب التعليم وكشف تخريب المتآمرين ، لسعيد عبد الكريم زيد مكتبة وهبة بمصر 1997م .

[24]السياسة اللغوية في البلاد العربية بحثا عن بيئة طبيعية عادلة وديمقراطية وناجعة:عبد القـــادر الفهري، ط.الأولى2013، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ص:41.

[25]العربية والأمن اللغوي:زهير غازي زاهد، 2000مؤسسة الوراق، عمان ، الأردن، ص:73.

[26]مع الله دراسات في الدعوة والدعاة محمد الغزالي، ط. الأولي ، دار نهضة، مصر، ص:37.

[27]حداثة السؤال بخصوص الحداثة العربية في الشعر والثقافة:محمد بنيس، ط.2، 1988، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ص:32.

[28] ندوة مواقف الإسلام والحداثة:مجموعة حداثيين ، ط.1، ، 1990دار الساقي، لندن ، ص401.

[29]لبنات في المنهج وتطبيقه:د. عبد المجيد الشرفي، ط2. ، 2005، دار الجنوب للنشر، تـــونس ص:13.

[30] الشعرية العربية: أدونيس ط1.– 1985 ، دار الآداب ، بيروت، ص:79

[31]انظر النخبة و الأيديولوجيا والحداثة :د. ســـعيد شـــبار، ط. الأولـــى 1422ه ــ2005، م.دار الهادي بيروت، ص:98.

[32] من سقوط الخلافة إلى مولد الصحوة:أنور الجندي، ص:196.

[33] تيسيرات لغوية:شوقي ضيف1990، دار المعارف، مصر، ص:106.

[34] لغة القرآن فقدت مرونة التّطوّر: محب الدّين الخطيب، جريد فـــي الفـــتح, 850 (ذو الحجـــة 1366), 886.

[35]انظر: أضواء لى الدراسات اللغوية المعاصرة:نايف خرما 1978، عـــالم المعرفـــة المجلـــس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص:221.

[36] انظر: سيكولوجية اللغة والمرض العقلي :جمعة سيد يوسف1990 ، عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص:156.

[37]انظر: تفسير المنار: محمد رشيد بن علي رضا 1990 م، الهيئة المصرية العامة للكتاب212/11.

[38] العالم والنص والناقد :إدوارد سعيد ، ت: عبد الكريم محفوض2000 من منشورات اتحاد الكتاب العرب، ص:23/1.

[39]مشكلات في طريق الحياة الإسلامية:محمد الغزالي، ط.الأولى ، دار النهضة، مصر، ص: 60.

[40] انظر: الطفل العربي واللغات الأجنبية:د. نادية أحمد طوبا 1993م (سلسلة عالم العربية الرياض)، دار النشر الدولي بالرياض ص 39.

[41] علم الاجتماع اللغوي:لويس كفالي، رجمة:حسن حمزة، ط1. 2008، مركز دراسات الوحدة العربية، ص:389.

[42] انظر اللغة والسياسة في عالم ما بعد 11 سبتمبر:محمد محمد داود2003، دار غريب، القاهرة، ص:48.

تعميم تعليم المازيغيّة تحقيق للانسجام الجمعيّ ومدّ لجسور التواصل

أ.وسام بداني
جامعة مولود معمري –تيزي- وزو

مقدّمة: اللّغة عنصر أساس في جوهر الهوية الوطنية، عن طريقها يعي المواطن تراث آبائه، وهي العنصر الذي يجعل جماعة ما ذات خصائص وتتميز عن غيرها بعاداتها وثقافتها وطقوسها، فالتلاحم بين اللّغة والهوية بوصف اللّغة المكوّن والوعاء في آن واحد يصون مكونات الهوية، فاللّغة أمن اجتماعي وتربوي وهي الحامي والحافظ لكيان الأمة، إضافة لقيمتها الرمزية في تكوين النخب الاجتماعية وفي تثبيت الهوية، فجوهر الإنسان لغة وهوية؛فاللّغة فكره ولسانه وهي انتماؤه وحقيقته، "فالإنسان صورة مصغرة عن هوية الأمّة يحمل ملامحها، لا في حاضرها فحسب بل في تاريخها وحضارتها وثقافتها ودينها وعاداتها ومشاعرها"[1].ويقال أنّ المجتمع تحدّده ثقافته، وانطلاقا من مبدأ التنوع فإن لكلّ مجتمع ثقافته، واللّغة هي الناطق عن الثقافة، إذ أنّ كل مجتمع يتعارف على نظام خاص للاتصال بين أفراده، والثقافة لا تكون ثقافة إلّا بوسائلها الاتصالية، ولم يعرف الإنسان حتى الآن وسيلة للاتصال أهم ولا أشمل من اللّغة.

وبالنظر إلى مكونات المجتمعات وبنيتها المختلفة من حيث الانتماء أو الإثنية فيصعب العثور على مجتمع يتصف بالأحادية المطلقة، " فالتعدد الإثن–ثقافي من المعطيات القديمة لتاريخ البشرية. ونجد عبر التاريخ، ساكنة تنتقل، ومجموعات تختلط، وأراضي تمّ ضمها أو التخلي عنها وعمليات تبادل تجاري سبق إقامتها...وحدود جرى تغييرها.وأسهمت كلّ هذه الظواهر في التنوع الإثن–ثقافي وتتجه في الواقع إلى تطويع ما يسميه إرنيست جلنير Gellner Ernest" مبدأ الوطنية"[2].فالتنوع الثقافي يجد سندا له في الواقع، فمعظم المجتمعات متعدّدة لغويا

وثقافيا وذلك بالعودة للتكوين الحركي للشعوب، واتصال الثقافات نتيجة وجودها على أرض واحدة أو نتيجة التقائها بفعل الهجرة لذلك من الصعب أن نجد دولة أو مجتمعا يتحدث بلغة واحدة، ذلك أنّ التعدّد اللّغوي أمر واقع، وسمة من سمات جميع المجتمعات، فالتعدّد اللّغوي هو القاعدة أما الأحادية فهي الاستثناء.

والمجتمع الحديث والديمقراطي هو الذي تطورت داخله تجربة جديدة للآخر تقوم على تمثّل عميق لفكر الإنسان عبر تجريد الاختلافات، وليس من العدالة في شيء أن تنعزل الأطراف المتجاورة، وتغلق باب التواصل بينها، فالحياة تفرض على الإنسان بوصفه كائنا اجتماعيا أن يتكيف ويتعايش مع كلّ ما هو جديد.

وفي الجزائر تتجاور اللّغة العربية والمازيغية من قديم الزمان، واللغة المازيغية لغة ضاربة في التاريخ ولها جذورها، وهي تشكل مع العربية مكسبا مهما للجزائر

فهما أساس ثقافتها، ومنهما تستمدّ مقوماتها وهويتها، هوية انبثقت من لغتين شكلتا وحدة ترابية بعيدا عن الإقصاء الثقافي واللّغوي، فقد عمل كلّ من العرب والمازيغ على تكوين الهوية الوطنية بمختلف أبعادها، وصار من الصعب أن نتحدث عن ثقافة عربية خاصة أو عربية خاصة، فقد تداخلت العناصر وتلاحمت مكونات الثقافة وتكاملت، فحدث تفاعل إيجابي بين العربية والمازيغية

وأخذت كل منهما وظيفتها الطبيعية، لذا يجب النظر إلى المسألة اللّغوية في الجزائر في إطار الاحترام اللّغوي، فمعظم النزاعات نابعة من عدم الاعتراف بالآخر، فتقبّلنا للآخر واختلافه فرصة للتفاهم والتفاعل .والتكامل العربي-المازيغي لم يشكل في أي وقت من الأوقات صراعا بل كان تصاهرا في المتون وفي المفهوم، فالحوار الذي يجب أن يسود المسألة اللّغوية في الجزائر هو الحوار الذي تكون مرجعيته الثوابت الوطنية والأبعاد الكبرى للتراث والحضارة الجزائرية في إطار مواطنة لغوية، وتعايش سلمي يحفظ للامة الجزائرية وحدتها وانسجامها الجمعي.

وباعتبار أنّ المدرسة لسيت وسطا للمعرفة فقط بل وسيلة مثلى يتعلم من خلالها الفرد معنى المواطنة، وأشكال آدائها، وبوتقة ينصهر فيها احترام التراث بمختلف

أشكاله:التاريخية، الجغرافية، والدينية واللّغوية والثقافية في مجموعة من الرموز تعبّر عنها مثل اللغة.

لذا كان ترسيم المازيغية كلغة رسمية للشعب الجزائري في دستور 2016 إلى جانب اللّغة العربية، وتعميم تعليمها عبر التراب الوطني، وإدخال تراثها الثقافي في مناهج التعليم، قد عبّر عن إرادة تكريس المكانة اللائقة لهذا الرافد الأساسي للشخصية الجزائرية بعد إهمالها لفترة معتبرة، فهذه القرارات (الترسيم وتعميم تعليمها)جعلها ملكا لكل الجزائريين، وليست حكرا على الناطقين بها فقط، فقد ذكر الدكتور صالح بلعيد أن "الاعتراف بالمازيغية هو تغيير في الذهنيات لأنها ليست مجرد لغة بل هي ثقافة تتميز بنزعتها الإنسانية وميلها للحرية والمساواة والكرامة"[3].

فإدراج اللّغة المازيغية في منظومتنا التربوية يتجاوز مجرد تعليم لغة، لكن الأمر يتعلق بتراث مشترك بين كلّ الجزائريين، لذلك يجب أن يكون هذا عاملا يضاف لتثبيت أركان الأمة الجزائرية وتحقيق انسجامها، انسجام يقوم على التعدد اللّغوي والتنوع الثقافي، فالذات الجزائرية والهوية الوطنية بنيتا بلبنتي العربية والمازيغية وكان إسمنتهما الدين والاخوة ووحدة الوطن.

وانطلاقا من هذا سنحاول من خلال البحث أن نبيّن كيف تسهم المواطنة اللّغوية في تحقيق الانسجام الجمعي في المجتمع الجزائري؟

وكيف يمكن للتعدّد اللساني أن يصبح عامل توحيد لأفراد الوطن الواحد؟

وما الدور الذي لعبه قرار ترسيم وتعميم المازيغية في تحقيق التعايش اللّغوي في الجزائر بين العربية والمازيغية؟

إنّ أيّ لغة لا تعدّ وسيلة اتصال فقط، بل هي تواصل فكري وعاطفي بين الأفراد ووجودها القومي والحضاري لا يقتصر على نشاط الإنسان في الماضي فقط، بل يتجاوز ذلك إلى الحاضر والمستقبل، واللّغات يحدث بينها ما يحدث بين بني الإنسان فهي تحتك وتتصارع في سبيل البقاء، هذا الاحتكاك أدى إلى تداخل إحداها بالأخرى، وهذا الاحتكاك نتيجة حتمية لاحتكاك المجتمعات وتعايش هذه

اللغات مع بعضها نتيجة حتمية لتعايش المجتمعات وقبول الآخر والمواطنون شركاء وجيران في أوطانهم، يحكمهم عقد اجتماعي يحتكم إليه ويتنازل الفرد عن طريقه للجماعة، ويعتبر التعدّد اللّغوي ثروة ينبغي استثمارها في ترقية مختلف الجوانب المعرفية والثقافية للمجتمعات، فهو عامل إيجابي لإثراء الرصيد الثقافي والحضاري، بل وهناك من يعتبر التنوع اللّغوي جزء من التنوع البيولوجي ويجب حمايته، فأن يمتلك الإنسان أكثر من لغة فإن هذا لمن باب الكرم الإلهي، وعندما نقول لغة فإننا نعني رصيدا حضاريا وثقافيا وفكريا، لذلك من الجيد أن يكون الإنسان متعددا لغويا"لكن الأجمل أن يحافظ على الموروث الطبيعي وعلى فعل الأجداد، ويبحث على تطوير هذا التعدّد بما يخدم الجميع ويحافظ على التماسك والتعايش ويسمح بالتواصل الجمعي"[4]، واللّغة العربية والمازيغية يشهد لهما التاريخ بالحضور والتفاعل في تشكيل هوية المجتمع الجزائري، فالانتماء إلى الجزائر هو شبكة التضامنات التاريخية والشعور بالانتماء لأمة واحدة وشعب واحد، هو شعور يركز على التراث التاريخي والحضاري والثقافي.

مفهوم التعايش:"التعايش منطوق لغوي مفاده المزج والاختلاط فهو كالتعامل والتفاعل، والتعايش هو للأفكار المعبر عنها باللّسان، وإذا كانت الأفكار تتعايش مع بعضها كانت مفرداتها كذلك"[5]، والتمازج والتعايش ظل بين العرب والمازيغ على مر التاريخ فالمجتمع الجزائري عبر عصور التلاقي والتصاهر العربي–المازيغي بقي متسما بخصائص التعايش والتكامل، فقد حكم الجزائر أمازيغ، نشروا العربية وجعلوها لغة مشتركة ولم يعانوا أي عقدة منها، بل إن معظم العلماء الذين خدموا العربية كانوا أمازيغ أمثال ابن معطي الزواوي صاحب الألفية، وابن آجروم الصنهاجي صاحب الأجرومية في النحو، وابن منظور صاحب لسان العرب وغيرهم كثير ممن خدم العربية ونبغ فيها، فالتعايش والتكامل ممتدّ الجذور في التاريخ، ولن يشك في هذا إلا من يريد زرع بذور الشقاق.والتعايش بين الأفراد يكون في ظل مواطنة تجعل الفرد منخرطا في جماعة يعي هويتها ويحمي رموزها.

فالمواطنة من المفاهيم التي تقوم عليها الدول في العصر الحديث، باعتبارها أساس المساواة في الحقوق والواجبات بين أبناء الوطن الواحد، فالمواطنة الواعية هي التي تدفع إلى التعايش والانسجام والاندماج بين مختلف مكونات المجتمع، وأنّ ذلك لا يلغي الاختلاف والتنوع والتعدّد في المجتمع الواحد، ففي الجزائر لا توجد حرب لغات بين المازيغية والعربية بل هناك تكامل، ولا توجد لغة أخذت مواطنة لغة أخرى، فالمازيغية ليست في موقع تنافس مع العربية، فهما مكونا المشهد اللغوي في الجزائر ورمزا الهوية، فبالعربية نرقى وبالمازيغية نبقى.

فالجزائري يفتخر أولا" بأنّه جزائري:الجزأرة القطرية، ثم بالإسلام ثم بالأمازيغية أو العروبة ثم يكون متوسطيا أفريقيا هذه هي الصورة في الواقع، لذلك لم يعترض الأمازيغ على(الجزأرة والمغاربية) ولا على الإسلام ولا على العروبة الأخوية الشعبية القطرية "[6].

مفهوم المواطنة اللّغوية:إن أولى خطوات التنمية هي امتلاك الأفراد لإرادة التعايش فيما بينهم واحترام الآخر والاعتراف بوجوده ودوره، بدلا من التفكير في إلغائه أو تهميشه.

والمواطنة المعاصرة تقتضي الاعتراف بجميع المواطنين وتنوع ثقافاتهم ولغاتهم، " فالتوزيع الثقافي واللّغوي لأفراد المجتمع على قاعدة الاعتراف بالمساواة في الحقوق والواجبات، وعلى أساس تعاقد ثقافي لغوي بين الدولة والمواطن"[7] وهو أساس المواطنة اللّغوية، التي هي استعمال للغة الوطنية في كل المؤسسات والأماكن فالمواطنة اللّغوية هي " فضاء لغوي ممتدّ تأخذ فيه اللّغة الرسمية النصيب الأوفر انطلاقا من أن تربية المواطنة تحصل أولا باللّغة الرسمية...وتعزيز الثقافة الوطنية بنقل المفاهيم الوطنية للطفل وبثّ الوعي بتاريخ الوطن وإنجازاته"[8].

والمواطنة اللّغوية الحقة تحتاج إلى أن تجسدّ في حق التلميذ في تعلم لغته وفي استعمالها وإدخالها إلى منظومة اللّغات الحية، فاللّغات الوطنية هي وعاء الهوية ولسان المواطنة وحاملة الموروث، لأنه أصبح من الضروري أن نعتمد المدرسة وسيلة للتغيير، وأن نجعل الاهتمام بالتاريخ والقيم الحضارية للأمة الجزائرية أساس

المواطنة، وهذه وظيفة المدرسة، المدرسة التي تعتبر مشتلة الدولة الديمقراطية والمسهم الأكبر في غرس روح التعدّدية عند التلميذ وتنمية نزعة تقبّل الآخر.

والمواطنة التامّة أساسها وقوامها العدالة الممثلة في الحرية والمساواة وما يتولد عنهما من حفظ للحقوق اللّغوية لمختلف أفراد الدولة الواحدة، لتحقيق العدالة الاجتماعية وتجسيد العدالة اللّغوية التي تعدّ من" أدوات إشاعة العدل بين الأفراد ومن الآليات التي يتحقق بها العدل بين اللّغات، انطلاقا من تبني سياسة لغوية تعدّدية تعترف بحق كل جماعة لغوية في التعامل بلغتها على امتداد وجود الناطقين بها على أساس المواطنة اللّغوية."[9]، لذلك فإنه عند الاعتراف بالآخر واعتماد حقوقه اللّغوية يجب عدم التعامل مع الأمر بأنه تسوية مؤقتة لمشاكل معينة بل يجب النظر إليها على أنها التزامات وحقوق أساسية، تحقيقا للعدالة، فالمسألة اللّغوية مسألة أمن ثقافي وانسجام جمعي.

إنّ "الاهتمام بتراثنا المازيغي شيء ضروري؛... وهو مكوّن رمزي ومركزي في الذات والوجدان الجزائري، وما يزال يسهم في تقوية روابط الهوية والإخاء والتواصل بين الأفراد والجماعات."[10].

ويعتبر التعليم باللّغات الوطنية الخطوة الأولى نحو عملية الإصلاح، فهو رهان التحدي وأساس عمليات النهوض والرقي، لذا على المدرسة أن تسهم في تقديم صورة الجزائر باعتبارها بلدا مسلما عربيا مازيغيا، ترتبط ارتباطا وثيقا بمرتكزاتها التاريخية والحضارية وترقية المركبات الأساسية للهوية الوطنية وهي الإسلام والعروبة والمازيغية.

رسمية اللّغة: " في العادة ترسم اللّغة الوطنية والتي ينصّ عليها الدستور أو المواثيق الوطنية، ويمكن أن يكون في البلد أكثر من لغة واحدة رسمية، وصفة رسمية تأخذ جوهر الأولية وإقامة المؤسسات العاملة على ترقيتها...وتختار الدولة رسمية اللّغة من مواثيقها ومراجعها الحضارية أو التاريخية...ويكون لها صفة الاحترام والتقديس وتعمل الدولة على النفقة من اجل ترقيتها والدفع بها لتكون لغة المعاملات الدائمة"[11].

فالدستور الجزائري منح المازيغية حق الوجود في مؤسسات الدولة الرسمية مثل الإعلام والتعليم وقد جاء هذا القرار متدرجا وعبر سنوات، فقد تم إدراج اللّغة المازيغية كلغة وطنية في الدستور المعدّل سنة 2002الذي نصّ في مادته الرابعة على أنّ:" تمازيغت هي كذلك لغة وطنية تعمل الدولة على ترقيتها وتطويرها بكلّ تنوعاته اللّسانية المستعملة عبر التراب الوطني"[12].

ثم تم إدراجها كلغة رسمية في دستور 2016، الذي تم التأكيد في ديباجته على أن العربية والمازيغية من المكونات الأساسية للهوية، وتعمل الدولة دوما لترقية وتطوير كل واحدة منها.

و ورد في المادة الرابعة من دستور2016" تمازيغت هي كذلك لغة وطنية ورسمية تعمل الدولة لترقيتها وتطويرها بكل تنوعاتها اللّسانية عبر التراب الوطني"[13].

وكنتيجة لقرار الترسيم تم استحداث المجمع الجزائري للغة المازيغية، وهو هيئة وطنية ذات طابع علمي تابع لرئاسة الجمهورية، ويعتبر سلطة مرجعية في المسائل المرتبطة باللّغة المازيغية يقوم على[14]:

-جمع المدونة اللّغوية الوطنية للأمازيغية بمختلف تنوعاتها اللّسانية؛

-إعداد التهيئة اللّغوية للأمازيغية على كل المستويات، الوصف والتحليل اللّغوي؛

-إعداد المعجم المرجعي للغة الأمازيغية وإصداره؛

-الإسهام في المحافظة على التراث اللامدي للامازيغية لاسيما من خلال رقمنته.

كما ركزت المنظومة التربوية على مواطنة المازيغية واعتبارها جزءا مهما في بناء هيكلها، وفق القيم التراثية والحضارية للأمة الجزائرية وذلك من خلال مختلف القوانين والوثائق التربوية، فقد جاء في القانون التوجيهي للتربية أن"الأمازيغية كلغة وكثقافة وكتراث :هي جزء لا يتجزأ من مركبات الشخصية الوطنية التاريخية، وعليه يتعيّن أن تستفيد هذه اللّغة بكامل الاهتمام وتكون محلا للترقية والإثراء في إطار تثمين الثقافة الوطنية"[15].

فالمازيغية تمثل لغة الأم وهي تعتبر واقعا لسانيا وطنيا هاما ينبغي التكفل به من خلال تعميم تعليمها، ودعمها بتوفير الوسائل التعليمية والبيداغوجية، وكذا وسائل البحث التي تمكن من إيجاد حلول للمشاكل التي يطرحها تعليمها مثل نمط الخط.

ومن خلال ما سبق وبالنظر إلى الوضع اللّغوي للمازيغية في الجزائر فلا يختلف اثنان في كونها مكونا ورمزا ضروريا في بناء جزائر الغد لكن "الواقع اللّغوي في الجزائر لا يحتاج إلى وصف بقدر ما يحتاج إلى ضبط أطر الاستعمال اللغوي ومدى أهمية ترقية اللّغات الوطنية بالتعليم الذي يعد استثمارا بالفعل والقوة "[16].

فأساس العلاقة بين اللّغة وجماعتها هو كون اللّغة مسؤولية أهلها فلا تجدي المراسيم ولا القرارات المتخذة، في الرقي بها ما لم تقم الجماعة اللّغوية بدورها اتجاه لغتها.

الترجمة بين العربية والمازيغية ودورها في تعزيز الثقافة الوطنية:تعدّ الترجمة عاملا مهما وسبيلا متميزا لمدّ جسور التواصل بين اللّغات وهي فرصة للتواصل والحوار وتقريب وجهات النظر، تجعل الإنسان يتمثل ويفهم الأنساق الثقافية للمجتمعات الأخرى من خلال لغاتها.

وفي الجزائر تعتبر الترجمة عاملا مهما في مدّ جسور التواصل بين المكوّنين اللّغويين في الجزائر (العربية والمازيغية)، وبالإضافة الى مدّ جسور التواصل فإنها تعمل على التعريف بالقواسم المشتركة بين الجزائريين وبخصوصيات كل واحد منهم فهي تسهم في تحقيق الانسجام والاندماج الوطني من خلال الحوار بين اللّغتين فالترجمة تعمل على التعريف بخبايا الثقافة المازيغية[17] بغية تحقيق التواصل الحضاري وتقوية الانسجام الجمعي ونبذ التفرق البيني .فالثقافتان العربية والمازيغية قد شكلتا ما يمكن أن نصفه برباط رمزي صهره الدّين والتاريخ وزادت من لحمته وحدة المصير والأهداف، وهو رباط يجب ألّا ينقطع ويجب صيانته.

خاتمة: إنَ الجزائر بحاجة لتعليم المازيغية، وذلك لعدة اعتبارات دينية وحضارية وثقافية، وقرار ترسيمها وتعميم تعليمها يعدّ مكسبا وإنجازا هاما، فهذا اعتراف استراتيجي يمكن الجزائر من بناء ذاتها، وعاملا زاد من متانة لحمة الشعب الجزائري، لذا ينبغي العمل على إبراز فكرة الهوية الجزائرية عن طريق النظرة المستقبلية، التي تحمل همّ وطن مزدهر، فالثقافة العربية والمازيغية كونتا عبر التاريخ مزيجا ثقافيا، وبعدا هوياتيا، اسمه الجزائر، لذا من الحري أن يسود مسألة السياسة اللّغوية الحوار الذي تكون مرجعيته الثوابت الوطنية ومقومات الهوية الجزائرية، مع الأخذ في الحسبان المعطى اللغوي المتعدّد والعمل عليه واحتواءه، من خلال سياسة لغوية متوازنة مبنية على الحقائق والمعارف الميدانية وبعيدة عن الانطباعات والعواطف، والعمل على تهيئة المازيغية بالمازيغية حسب المبدأ السوسيري أي في ذاتها ولذاتها انطلاقا من خصوصيتها ومكوناتها وجعلها ملكا لكل الجزائريين هذا الذي يسهم في تحقيق الانسجام الجمعي وتقوية اللحمة الوطنية وبذلك وكما قال الدكتور صالح بلعيد فلن يحتاج الجزائري أن يصطحب معه مترجما وهو يتواجد في تيزي–وزو أو تبسة أو تيارت أو تلمسان.

الهوامش والإحالات:

[1] صفاء جاهين أحمد دسوقي، "دور اللّغة العربية في الحفاظ على الهوية الوطنية"، المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية، المجلس الدولي للغة العربية، ط1، الإمارات العربية المتحدّة، 2015ص 535.

[2] باتريك سافيدان، الدولة والتعدد الثقافي، تر:المصطفى حسوني، دار توبقال للنشر، ط1 المغرب، 2011، ص 9.

[3] صالح بلعيد الإصلاح التربوي والتردي اللغوي https://aljadeedmagazine.com تمت الزيارة:20 ماي 2019 الساعة 17:00.

[4]ينظر صالح بلعيد، "ترسيم المازيغية حل أم عقد؟ "مجلة التخطيط والسياسة اللّغوية، مركز التخطيط والسياسة اللغوية، ع1، الرياض، السعودية، أكتوبر 2015، ص 26.

[5] سميرة رفاس، "إشكالية التعايش اللّغوي في المجتمع الجزائري"، مخبر الممارسات اللّغوية في الجزائر، مجلة الممارسات اللغوية، ع24، الجزائر، جوان 2014، ص12.

[6] عز الدين المناصرة، المسألة الأمازيغية في الجزائر والمغرب، إشكالية التعدّدية اللغوية، دار الشروق للنشر والتوزيع، 1999، ص 23.

[7] أحمد عزوز، محمد خاين، العدالة اللّغوية في المجتمع المغاربي بين شرعية المطالب ومخاوف التوظيف السياسوي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، بيروت، لبنلن، 2014 ص 41.

[8] صالح بلعيد، في المواطنة اللّغوية وأشياء أخرى، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2008 ص 10.

[9] ينظر أحمد عزوز، محمد خاين، العدالة اللّغوية في المجتمع المغاربي بين شرعية المطالب ومخاوف التوظيف السياسوي' ص 15/14.

[10] صالح بلعيد، المازيغية في خطر، مخبر الممارسات اللّغوية في الجزائر، الجزائر، 2011، ص 23.

[11] صالح بلعيد، " ترسيم المازيغية حل أم عقد؟ ص 25.

[12] القانون رقم 02-03المؤرخ في 10 افريل 2002، الجريدة الرسمية، ع 25، 14أفريل 2002.

[13] القانون رقم 16-1 المؤرخ في 6 مارس 2016يتضمن التعديل الدستوري، الجريدة الرسمية ع14، 7مارس 2016، ص6.

[14] الجريدة الرسمية، المادة 6، الفصل 2، العدد54، 5سبتمبر 2018.

[15] القانون التوجيهي للتربية رقم 08-04 المؤرخ في 23 جانفي 2008، ص13.

[16]صالح بلعيد، ترسيم المازيغية حل أم عقد؟، ص 33.

[17] ينظر فرحات بلولي، ترجمة النص المكتوب من اللّغة الأمازيغية إلى اللّغة العربية، جامعة البويرة، ص3.

المُواطنة اللُّغويَّة وسُبُل توطيد قيّم الهويّة الثقافيّة وتعزيز الأمن اللّغويّ في زمن العولمة ـأضواء وملاحظاتـ

الدكتور محمد سيف الإسلام بوفلاقة
أستاذ محاضر في قسم اللغة العربية وآدابها كلية الآداب بجامعة عنابة
saifalislamsaad@yahoo.fr

توطئة:

يجتهد هذا البحث في رصد قضايا متعددة، ومتداخلة، وتكتسي أهمية بالغة في زمننا الراهن، فهو يدرس قضايا المُواطنة اللغوية، ويبحث عن سُبُل توطيد قيّم الهويّة الثّقافيّة، وتعزيز الأمن اللّغويّ في زمن العولمة، وذلك من وجهات نظر متعددة، لعل أبرزها رؤى اللّسانيات الاجتماعية، أو علم الاجتماع اللّغوي، الذي ينهض على أساس مستخلصات العلوم اللّسانية، واللغوية من جانب، ويقوم على بعض أسس العلوم الاجتماعية من جانب آخر، والتي هي الدراسة العلمية للبنية الاجتماعية، التي تتكون من المؤسسات الاجتماعية، والجماعات، وهو يُعول على الالتقاء بينهما فاللسانيات الاجتماعية تنطلق من التأكيد على أن المشكلات اللغوية تتصل اتصالاً وثيقا بالمشكلات الاجتماعية، ولذلك هناك من يضم علم اللغة إلى العلوم الاجتماعية فوجود اللغة من وجود المجتمع، فهي مؤسسة اجتماعيّة، وتأسيسها يرجع إلى المجتمع، والإنسان، ووظيفة اللغة التخاطب، والتواصل، وإقامة الصلات مع الجهات الاجتماعية، فهناك تداخل بين اللسانيات، وعلم الاجتماع، لذلك تركز اللّسانيات الاجتماعية على تأثيرات اللّغة في المجتمع، وتأثيرات المجتمع في اللّغة من خلال جملة من القضايا، وثمة دراسات كثيرة تندرج في إطار علم اللغة الاجتماعي، وتسلّط الضوء على الخصائص الكلية للاتصال الإنساني، ومن ذلك:بنية الحديث، والمحادثة ودور اللغة في المجتمع الذي لم يعد يقتصر على علماء اللغة، وعلماء الاجتماع فقط بل تناوله كذلك علماء النفس، وقد أعطى علماء اللغة اللسانيات الاجتماعية الدور

الأكبر لاكتشاف جملة من القوانين الاجتماعية، التي تنهض على تحديد سلوك المجموعات اللغوية التي تستعمل لُغة محددة[1].

أولاً: المواطنة اللُّغوية والهويّة-مُحاولة لتحديد المفاهيم-:

لقد أُريد للمُوطنة اللغوية أن تكون صورة ناصعة من صور التّجانس الاجتماعي والانسجام الجمعي، والتّماهي، مع مُكونات الهُوية الثّقافية للمجتمع، والتّماسك من أجل تعزيز المُساهمة الفاعلة، والفعّالة في مختلف جوانب التّنمية، حيث إن اللغة بوصفها حدثاً تواصلياً تؤسّس النشاط الإنساني الاجتماعي، وتتوسّطه، وتُعرّف المواطنة بأنها مساواة، ولقاء بين شتى الأشخاص من مختلف الأعراق، فهم ليسوا مجرد أجزاء من مجموعات معينة، مهما ركزوا على قضايا انتمائهم إليها، ومن قوته، ومشروعيته، فاللقاء بين المواطنين الأشخاص(الأفراد)، هو الذي يبعث من جديد العيش المشترك، ويُعزز التعايش، فالعيش المشترك -كما يرى طارق متري- بوصفه لقاء بين مواطنين يقوم على إحياء الرغبة في البقاء معاً، ويفترض اختلاطاً وتبادلاً، وتفاعُلاً في الاقتصاد، والاجتماع، والثقافة، ويقتضي أيضاً شراكة في القيّم فممارسة الديمقراطية-مثلاً-تُعزز المواطنة، والعيش المشترك، لا لأنها تحترم قواعد التمثيل السياسي فحسب، بل لأنها تتجاوب مع النزعة الإنسانية إلى المساواة والعدالة، والنزعة هذه تجعلها ممكنة [2]. في حين أن اللُغة تُعرف بأنها حلقة في سلسلة النشاط الإنساني المنتظم، وهي جزء من السلوك الإنساني، كما أن هدفها هو تكريس مجموعة من الأدوار المهمة في ترسيخ الهويّة القومية، والإبداع، والانتماء كونها تمثل الحضارة الإنسانية على وجه الأرض، وهي وسيلة المجتمع الأولى لصبغ أعضائه بالصبغة الاجتماعية، وتلعب اللغة دوراً مهماً في اندماج الفرد مع مجتمعه[3]. ولا يُمكن البحث في واقع اللغة دون التطرق إلى صلة اللغة بالهوية وعلاقتها بها، فاللغة تعد عنصراً مُهماً، وجوهرياً، كما تشكل مرتكزاً رئيساً من مرتكزاتها، حيث إن الهوية تنصرف في دلالاتها إلى حقيقة الشيء، وصفاته، التي يتميز بها عن غيره، وتتجلى بها شخصيته، فهي(الهويّة)تقوم على السمات التي تتميز بها كل أمة عن غيرها من الأمم، كدينها، ولغتها، وتراثها، ويشير مفهوم الهويّة إلى

الصفة التي يكون عليها الشيء، أي من حيث تشخيصه، وتحققه في ذاته، فضلاً عن أنها تتوجه في أبعادها نحو وعي الذات، وإدراك المصير التاريخي الواحد والعلامات المشتركة، التي تطبع جماعة معينة من الناس، وتعتز بها، فهي مجموع المفاهيم العقائدية، والتراثية، وتشكل رابطة روحية، وضميرية بين الأفراد، وهي تقتضي اعتزاز الفرد برموز أمته، وإجلالها، واحترامها، والولاء لها، ومن المعروف أنها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً باللغة، من حيث إنها لا تقتصر على كونها وسيلة للتواصل، والتفاهم بين المجموعات البشرية فحسب، بل تمتد للتعبير عن القيم والثقافة، والانتماء، وكلما كانت اللغة أوثق اتصالاً بثقافة الشعوب، كانت أقدر على تشكيل هويّة الأمة، وحمايتها[4].فلغة أي مجتمع من المجتمعات تمثل الوعاء اللغوي لثقافة ذلك المجتمع، ومما لا يخامره أدنى شك أن اللغة تعد أقدم تجليات الهويّة، وذلك على اعتبار أن اللغة المشتركة من شأنها أن تجعل من كلّ فئة من الناس(جماعة) واحدة، ذات هويّة تتسم بالاستقلالية، ويزداد الاهتمام باللغة، والهويّة في الآن ذاته عندما يشيع الحديث عنهما، في المفاصل التاريخيّة في حياة الجماعات، وفي الغالب يتمُّ الربط بينهما، إذ يتماهيان إلى درجة أنهما يكادان يصبحان شيئاً واحداً[5] ويصعب أن نتعرف على ثقافة أمة، أو تقدمها الفكري من غير التعرّف على لغتها، كما أنه من الصعب جداً سبر لغة ما، من غير أن نتصل بثقافتها، فهي من أهم عوامل الرُقي الحضاري، لذلك، فإن علاقتها بالفكر، وعلاقة الفكر بها يوضح بعض الجوانب من أهميتها الحضارية، فالمظهر الحضاري يتجلى من خلال اللغة، التي هي صورة من صور النشاط العقلي في الأمة، ولذلك فلم توجد اللغة دفعة واحدة عند الناطقين بها وإنما أوجدت الأمة ألفاظاً على قدر حاجتها، والغزو اللغوي، إنما هو في حقيقته غزو حضاري يحيط بمختلف جوانب النشاط العقلي، والمعرفي، والتصوري، ويسعى إلى تدميره، أو تغريبه[6]، ويكاد يقع الإجماع على أن الهويّة هي حقيقة الجزئي، أي ما كان من الجزئي مقوماً لذاته، بمعنى أنه لولاه لارتفعت حقيقته، أو تغيرت، ولما كانت الهوية حقيقة الجزئي، كان تمايز الأشخاص في الوجود الخارجي بهوياتها، وقد ينصرف مفهوم الهوية إلى شيء مساو لجوهر نفسها، أ وما تكون طبيعته كذلك، فلا

يكتمل مدلول الهوية إلا في جوهر اللغة، واللغة العربية هي عنوان الأمة العربية ورمز سلطتها الرمزية التي تكتسبها عن طريق ممارستها للشعائر الدينية، وكما نبه بيير بورديو فاللغة هي رأسمال رمزي، وامتياز، وعنوان سيادة، وبما أنها أداة المعرفة، والتواصل، والوجود، فهي تُمارس سلطتها بصفتها بنية تقيم نظاماً معرفياً بالواقع، وتتميز اللغة بخصوصية تتجلى في كونها محمولاً، وحاملاً في الآن نفسه فهي منتوج ثقافي من جهة، ولكنها من جانب آخر تصنع الثقافة، فاللغة بالمعنى الثاني تصنع الهويّة، وتُشكلها[7]، وسيظل سؤال الهوية يفرض نفسه بقوة عندما تدخل الشعوب في أزمة عميقة لا تلوح لها مخارج قريبة تتبدى في الأفق، فتسأل من أنا؟ وما خصوصيتي، وأين هويتي؟ وأين أنا من الآخر؟ وأين هو مني؟.ولا ريب في أن ما حمله عصرنا من تطورات، وتغيرات، وتعقيدات في شتى المجالات الفكرية والعلمية، والمعرفية، جعل من إشكالية الهوية موضوعاً تتقاسمه مجموعة من العلوم وتُسهم في قضاياه عدة ثقافات، ولعل ما كتبه(كلود ليفي ستراوس) من أنها(الهويّة) تقع اليوم على أكثر من مفترق الطرق، له جملة من الدلالات، كونه يُعبر عن أزمة عميقة في الهوية، وإذا كان الفكر الغربي، بالرغم من قدراته، وإمكاناته، قد طرح سؤال الهوية، فإن هذا السؤال يغدو مكتسياً أهمية استثنائية بالنسبة للمجتمعات العربية، فالإنسان إذا كان هو بالضرورة إنسان ثقافة معينة، فإن هويته تتحدد بانتمائه إلى تلك الثقافة التي يُمكن تسميتها بالثقافة القاعدية، وهناك ضرورة لربط الهوية بالعقل، والنقد، وبالبعدين الخاص، والعام، حيث تكون الهوية تعبيراً عن الثبات مع الذات التي تتحول، وتنمو، وتتطور، انطلاقاً من أحداث مؤسسة، أو من مرحلة جديدة، وهي في اتصال مع العالم، والمحيط، وأنماط الحياة، ووفقاً لهذه الرؤى، فإن الهوية لا تؤدي إلى الانطواء، والتقوقع على الذات، وإنما ينتج عنها التنشيط الدائم للذات، مع الأخذ بعين الاعتبار التغيرات الحاصلة في المحيط، لأن الإنسان يتسم بكونه لا يحيا في الماضي، والحاضر فقط، بل هو كائن مستقبلي[8].والحق أن الوصف الدقيق للهويّة هي أنها وعي الإنسان لذاته، وإحساسه بانتمائه إلى مجتمع، أو أمة، أو جماعة في إطار الانتماء الإنساني العام، وهذا ما تؤكد عليه أغلب القرارات

الرسمية العربية، في إطار سعيها لتحديد ماهيّة الهويّة، كما جاء في خطة العمل حول دور الثقافة في الحفاظ على الهويّة العربية:فلسطين نموذجاً، على سبيل المثال والتي اعتمدتها الدورة(14) لمؤتمر الوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية في الوطن العربي بصنعاء(الجمهورية اليمنية)، سنة:2004م، والتي أكدت على أن الأمة العربية هي بالأساس وحدة لغوية، وأن اللغة مكوّن أساسي للهويّة، ويجب أن يؤخذ بالاعتبار أن الهويّة يشكلها إدراك الجماعة للمصير الواحد، والمصالح المشتركة التي تُحدد توجهات الناس، وأهدافهم، وتدفعهم للعمل معا لإثبات وجودهم، وصون إنجازاتهم، وتحسين مواقعهم، واعترفت الخطة عينها بأن الهويّة ليست مثالاً ثابتاً تكوّن، واكتمل في ماضٍ ما، بل هو في حالة دائمة من التشكّل، والتحوّل، والتطوّر والتأثر، والتأثير، وقد تبنت الخطة المذكورة مجموعة من المبادئ نبهت فيها إلى أن تعزيز اللغة العربية، بما هي رمز للذات الحضارية، والثقافية للأمة، يحميان الهويّة ويصونان الذات، ويرسمان صورة أكثر إشراقاً للمستقبل، فالتمسّك بالهويّة ليس قضية عاطفية، بل عملية منهجية تُشارك فيها جملة من المؤسسات الاجتماعية، تشمل الأسرة، والمدرسة، والإعلام، وتحكمها البيئة السياسية، والاقتصادية، إذ إن الهويّة الثقافية هي ما يمنح الإنسان مشاعر الأمن، والانتماء، والاندماج بالجماعة، ويزودهم بالقيّم، والمبادئ، والمعايير التي تُمكنهم من التواصل، وتحقيق الطموحات المشتركة كما أنها(الهويّة)ليست جوهراً ثابتاً، بل هي كينونة متغيّرة، حيث يعيد المجتمع الفاعل بالتاريخ، والمنفعل به، تحديد هويّته، ويمنحها أبعاداً جديدة، ولا يعني تعريف الهويّة بالمتغير، والمتحوّل انفصالاً عن ماض، أو عن أصل، وتاريخ، بل إن المجتمع وهو فاعل بالتاريخ–بالضرورة– ومنفعل به، يعيد تحديد هويّته المتوارثة المتجددة عبر الزمن، ويمنحها أبعاداً جديدة تشكّلها المرحلة التاريخية، فحماية الهويّة لا تكون بالانغلاق على الذات، أو التقوقع في الماضي، ورفض التجديد[9]، والهوية مصطلح لا يخلو من غموض، رغم كثرة استعماله، وتوظيفه بكثافة في شتى العلوم الإنسانية فهو مفهوم فلسفي مهم عند المثاليين، والوجوديين، وهي التي تميز الأمم، لذلك ففكرة الهوية الكونية الواحدة تعد ضرباً من الخيال، إذ يطمح إليها الداعون للعولمة، والذين

يتفاعلون بها، بيد أنها ستظل حُلماً أقرب إلى الوهم، إذ تتحدد الهويّة بما تنطوي عليه من سمات، وخصائص، أي أنها تتحدد بالإيجاب، وبالسلب، وهي السمات الفارقة التي تُميزها في ذاتها، وتميز غيرها عنها، وتتعدد، وتتنوع مصادر هذا الاختلاف في تركيب، وتداخل، يعزّ معهما الفصل بين مختلف المصادر على حدة، فالهوية تتكون من العرقي، والعقدي، والمهني، والاجتماعي، وحين يتم الحديث عن هوية أمة من الأمم، فهذا يعني أن هذه الأمة، قد توفر لها أمران:الأول جماعة متجانسة، أو شبه متجانسة، تؤمن بما تظنه عن نفسها، وتتشبث بحقيقتها التاريخية، وانتمائها لها كما أن لها رموزها الخاصة، وأعرافها الدالة، والثاني:أن هذه الأمة تعيش ضمن مساحة جغرافية مُحددة، وترتبط فيها بأنساق من الروابط الاجتماعية، والثقافية، التي تُشكل السياق المعرفي، والذي بفضله يتحقق وجودها، ويتغذى به بقاؤها، وتطورها حيث إن الهوية تمنح كل أمة اختصاصها الذي به تتميز عن سواها، وهذا يُفهم على أن أية هوية تنهض على الاختلاف، وعلى الوجود في التاريخ، ومن جهة أخرى فالهوية تتماهى مع التاريخ، فهي تراكم معرفي، وثقافي ممتد في التاريخ(10).

ومن نافل القول إن المُواطنة اللغوية تنهض بشكل رئيس على تعزيز الشراكة وتجديد العيش المشترك، من خلال تعزيز قيّم الهويّة الثقافية، التي تستدعي الاعتزاز باللغات الوطنية، والعمل على تطويرها، وحمايتها، ففكرة المُواطنة اللغوية، وتعزيز الهُوية الثقافية، لم تبن من فراغ، ولم تكن أبداً–ولن تكون–ضرباً من الاعتباط الفكري، والإغراءات الانفعالية، وإنما هي نتيجة حتمية، ومباشرة لجملة من العوامل الموضوعية التي اعتملت فيها، فالثقافة لا يُمكن أن نتصورها بصفتها وسيلة معرفية فحسب، تستهدف تنمية الفكر، وترقية الحس النقدي، وتكوين الحس الجمالي وإرهاف الذوق، والاستمساك بالقيم، وغرس الحس الأخلاقي، فهي في حقيقتها، وفي أدنى مستوياتها هي مجموع الاستجابات، والمواقف التي يواجه بها شعب من الشعوب – بحسب عبقريته – ضرورات وجوده الطبيعي من مأكل، وملبس وتناسل، كما يذهب ثلة من المفكرين، ومن أهم سمات الثقافة، خصائصها الرمزية أي استخدام الرموز التي تعد من أهم ما يُميز البشر، وهي ذات أهمية بالغة في انتقال

الأفكار، والمعلومات دون الحاجة إلى الوجود المباشر للأشياء المنتقلة ذاتها، وتعد اللغة أهم مثال للرمزية، ومن خصائصها التكامل الذي يعني التلاحم الوظيفي بين الظواهر، والنظم، ومن بين عناصرها المكونات الاجتماعية، التي تتصرف إلى البناء الاجتماعي، الذي يتشكل من هيكل المجموعة الاجتماعية المستمرة في الوجود من الناس لمرحلة معينة من الزمن، وترتبط بالثقافة في أنساقها المتنوعة بالمجتمع الذي له مجموعة من العادات، والتقاليد، والمقاييس، والقيّم، والأحكام الاجتماعية والأهداف المشتركة المتبادلة التي تقوم أسسها على الدين، واللغة، والتاريخ، والعنصر[11]. ومن بين الأمثلة التي كثيراً ما تُضرب فيما يتصل بالمُواطنة اللغوية، هذا المثال الذي تسوقه الباحثة ليلى خلف السبعان: « حين نُسافر، شرقاً وغرباً، وبالتحديد إلى بلد تكون اللغة العربية غريبة عن أهلها، بعيدة عن لسانهم، فإن كثيرين منا تخفق قلوبهم طرباً حين يُطالعون لافتة كُتبت حروفها باللغة العربية، أو يبتهجون عندما تصافح عيونهم مجلة تحمل عنواناً عربياً، وكأنهم وجدوا في هذه الحروف الساكنة بالأماكن النائية وطناً، وهذا حق، فاللغة وطن ثقافتنا، واستخدامها، والتجويد فيها هو جزء من مواطنتنا، والقرب منها، أو الابتعاد عنها يحدد موقفنا من هويتنا الثقافية»[12]. إن من يتأمل مفهوم المُواطنة في أبعاده العميقة، يُدرك أن مفهومها يقترب بشكل كبير من(الوطنية)، التي لها أصداء قوية جداً في الفكر السياسي والاجتماعي، وقد ظل هذا المفهوم صفوة اجتهادات مستمرة التراكم وموضوعها(المواطنة) النظر في طبيعة العلاقة التي تربط الفرد بوطنه، وبسائر من ينتمي إليه، والمتعلقين بما يتجسد فيه وهي تقترب من معاني السيادة، والعزة، والهويّة، ووعي الحاجة في الانضمام إلى العام، والارتقاء بكل ما هو إنساني، والتعالي عن الفروق السياسية، والاجتماعية والحضارية، فتواتر استعمال هذا المفهوم(المُواطنة)، لهو لافت بحق، في دراسات عدد غير قليل من المتخصصين في الفكر السياسي، ويظل الوطن في الأوجز والأسرع من التعريفات، هو ذلك الكيان الجغرافي–السياسي، والذي يقوم تميزه على تكامل الأبعاد السياسية، والاجتماعية، والثقافية، والحضارية، ولا يعادل حرصه المشروع على صون مقومات فرادته، وتجلياتها، غير سعيه الواجب إلى المضي به

قُدُماً، ونحت المستقبل الأفضل المبتغى الذي يكون فيه أقدر على تلبية حاجاته وتحقيق تطلعاته، وتعزيز إشعاعه، إذ أن تميز الكيان الوطني، إنما يكمن في طرافته التي يبرز فيها متفرداً بخصوصيات شكلتها تجاربه التاريخية المؤسسة على ثوابته[13]. والوطن في اللغة هو المنزل تقيم فيه، وهو موطن الإنسان، ومحله ويظهر التباين في تحديد معنى(المُواطنة)، و(الوطنية) عند الباحثين، باختلاف المناهج الفكرية عند كل فريق، فمنهم من عدها عقيدة يُوالي عليها، ويُعادي، ومنهم من جعلها تعبيراً عاطفياً وجدانياً يتعلق بالهوى، والحُب، ويندرج تحت لواء العقيدة الإسلامية، ومن هذه التعريفات، تقديس الوطن، بحيث يُصبح الحب فيه، والبغض لأجله، والقتال في سبيله، فهي تعبير عن واجب الإنسان نحو وطنه، كما أنها تعبير قومي ينصرف إلى حب الشخص، وإخلاصه لوطنه، وقيامه بحقوق وطنه المشروعة في الإسلام[14]. وفي الفكر الغربي برز مفهوم المواطنة سنة: (1783م)، في أوج نضج فلسفة الأنوار، وعاشه الناس فعلياً أيام الثورة الفرنسية، إذ ألغت ألقاب عصر الإقطاع، وقلصت من قوة الكهنوت الكنسي، فأصبح الناس يُخاطبون بمواطن، أو مواطنة، ثم تطور المفهوم على مراحل متعددة، وعبر ثورات مختلفة، وذلك في خضم الصراع السياسي، والاجتماعي الذي عاشه القرن التاسع عشر، والنصف الأول من القرن العشرين، حيث أسهم في تطور المفهوم تيارات سياسية، واجتماعية ظهرت بشكل قوي على السطح، ولاسيما منها التيار الليبرالي، والتيار الماركسي ومما لا يشوبه أدنى ريب أنه لا يُمكن فهم هذا التطور، إلا من خلال البحث عن صلته بالدعائم الصلبة التي قامت عليها حداثة عصر الأنوار في القرن الثامن عشر ويُمكن تلخيص تلك الرؤى، والقيّم في أربع مقولات رئيسة: لا سُلطان على العقل إلا العقل نفسه، ودمج العقل في ثالوث يقوم على العقلانية، والحرية، والعدل السياسي والاجتماعي، وتحرير التاريخ، والإنسان من أسطورة الحتمية، وتتعلق بشرعية السلطة، ولا بد من التأكيد على أن المواطنة مرتبطة بحب الوطن، والذود عنه، ولا يتم ذلك إلا إذا شعر المواطن أنه يتمتع بحقوقه، التي هي متلازمة مع الواجبات ولمفهوم المُواطنة علاقة متينة بمفاهيم ثلاثة:التمدن، والحقوق السياسية، والمدنية

ومرتبطة بشكل كبير مع الحرية، فلا مواطنة بدون حرية، وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أن المُواطنة مرتبطة بالقدوة، والنموذج كذلك، ووثيقة الصلة بالتضامن فلا مواطنة حقيقية دون وجود روح تضامنية قوية[15].

ثانياً: اللغة العربية والعولمة وقضايا الأمن اللغوي:

يبدو أن الحديث عن العولمة سيظل يزداد، ويتعدد، ويتنوع، ويتعمق يوماً بعد يوم، وكأن لا حدود له، ولا نهايات، فقد ملأت العولمة الدنيا، وشغلت الناس خلال العقد الأخير من القرن العشرين، كما أثارت جملة من الإشكالات، والأسئلة، عن مفاهيمها، وآثارها، وانعكاساتها الإيجابية، والسلبية، وهذا ما أدى إلى تعدد الرؤى والأفكار، وتباينها، وحتى تصادمها، فقد كثر الحديث عن العولمة هذه الأيام حتى أصبح مبتذلاً، أو كاد، فالعولمة هو ذلك الاصطلاح الذي شاع في العالم، وانتشر انتشار النار في الهشيم، إثر انتهاء الحرب الباردة، واختفاء الاتحاد السوفييتي، ومعه معظم دول الكتلة الشرقية، وتتبدى لنا العولمة كما لو أنها هي الوريث للحرب الباردة، والصراع الأيديولوجي بين الغرب، والشرق، وكأنما أسباب التطور التلقائي وتوسيع الأسواق قد ولدت فجأة في نهاية الثمانينيات، وهناك اتجاه ينظر إلى العولمة من زاوية أخرى، على أساس أنها ظاهرة اقتصادية متعلقة بعولمة الأسواق، وهي نظرة جزئية، ذلك أن العولمة تجاور مفهوم الاقتصاد، وقد لاقت العولمة اهتماماً بالغاً من قبل الفكر العالمي، حيث إنها أسالت حبراً كثيراً، وأُلفت من أجلها الأسفار الجمة والمجلدات الضخمة، ولا تزال إلى يومنا هذا تُقدم حولها الأبحاث، والدراسات والمناقشات، وتعقد من أجلها المؤتمرات، والملتقيات، والندوات، وتُطرح الأفكار والرؤى[16]، ويذهب دعاة العولمة إلى أنها تُتيح فرصاً كثيرة لملايين البشر في شتى أنحاء العالم على أساس أنها تسمح بتزايد معدلات التجارة، وتبادل التكنولوجيا الجديدة، وتوثيق الارتباط بين الشعوب عبر الأنترنيت، فالعولمة من هذا المنظور لا تعرف حواجز، أو قيوداً وتجتاح كل الحدود الجغرافية، والوطنية، وأحياناً الأخلاقية وينبغي أن نعي جيداً مدلول هذا التعريف للعولمة، ونفهم مضامينه بعمق، بغض النظر عن موقفنا المبدئي، والأخلاقي، والوطني منه، ولقد تعددت الشروح، وتنوعت

التفسيرات، التي حاول بها علماء العصر من المشتغلين بالفكر السياسي في اتجاهاته الثقافية والاجتماعية، فهم العولمة وتفسيرها، ومع ذلك فإن أجمع شرح للعولمة وأعمق تفسير لدلالاتها، ومضامينها، لا يخرجان عن اعتبار العولمة-في دلالتها اللغوية- هي جعل الشيء عالمياً، بما يعني ذلك من جعل العالم كلِّه، وكأنه في منظومة واحدة متكاملة، وهذا هو المعنى الذي حدّده المفكرون باللغات الأوروبية للعولمة (GLOBALIZATION) في الإنجليزية، والألمانية، وعبروا عن ذلك في الفرنسية بمصطلح (MONDIALISATION)، ووضعت كلمة (العولمة) في اللغة العربية مقابلاً حديثاً للدلالة على هذا المفهوم الجديد، ومهما تعدّدت السياقات التي ترد فيها(العولمة)، فإن المفهوم الذي يُعبّر عنه الجميع، في جميع اللغات، هو الاتجاه نحو السيطرة على العالم، وجعله في نسق واحد، ومن هنا جاء قرار مجمع اللغة العربية بالقاهرة بإجازة استعمال العولمة، بمعنى جعل الشيء عالمياً، وعرّف المعجم العالمي الشهير(ويبسترز WEBSTER'S)، العولمة(GLOBALIZATION) بأنها إكساب الشيء طابع العالمية، وبخاصة جعل نطاق الشيء، أو تطبيقه عالمياً، لكن هذا المعنى شديد البراءة بالغُ الحيدة، لا ينسجم في عمقه مع دلالة اللفظ، ومفهوم المصطلح، كما يُشاع، ويتردد في العالم اليوم، ولذلك فإن المفهوم السياسي، والثقافي والاقتصادي للعولمة، لا يتحدّد بالقدر اللازم، إلا إذا نظرنا إليه من خلال رؤية عامة تدخل في نطاقها جميع المتغيرات السياسية، والثقافية، والاقتصادية، التي يعيشها العالم منذ مطلع تسعينيات القرن العشرين، ولعل أبرز ملامح العولمة هي ما يتبدَّى لنا من خلال التطورات المدهشة التي تعرفها مجالات الاتصال، والتواصل عبر الأقمار الصناعية، والحاسوب والشابكة[17]، وهذا ما خلق عدة إشكاليات، من بينها العلاقة بين الأمن اللغوي، والثقافي، والعولمة التي تهجم هجماتها الشرسة على الساحة الثقافية، والفكرية، وتحاول طمس الخصوصيات الثقافية، ومحو التراث الحضاري والسمات الذاتية، والخاصة، التي يتميز بها أدب، وفن كل حضارة من الحضارات وتحاول أن تدجنها في إطار واحد، وتدرجها في زاوية محددة، متصدية بذلك لجماليات التنوع، والاختلاف الثقافي بين شعوب، وأمم المعمورة، وهذا ما يُلقي على

الباحثين مسؤولية تعزيز الأمن الثقافي، واللغوي، فهنالك صراعات كثيرة بين أطروحات الخطابات الثقافية لدى كل مجتمع يمتلك خصوصية ثقافية أصيلة فالأصيل المُحافظ، هو ذلك الذي يحمي لغته، ويُحصنها، ففي زمننا المعاصر تتبدى وتلوح في الأفق رغبة شرسة في غزو، واجتياح مواقع اللغات الوطنية، وهذا ما يجعلنا نتوجس خيفة من هذا الاجتياح الجارف على أمن وجود لغاتنا الوطنية، لذلك انبرت عدة منظمات تُحصن كيانها تحت مُسمى: (الأمن اللغوي)، والذي لا يُمكن أن يتجسد بالوعي اللغوي فحسب، بل لابد من جهود جبارة تتصدى لهذه الحملات الشعواء، فتحصين اللغات الوطنية، وحمايتها، أضحت ضرورة حضارية لصد الاختراقات، وحاجة مدنية، ومصيرية، تندرج في إطار حفظ الكرامة، وصون السيادة، والهوية، والمعتقد، فالاستلاب اللغوي لا يتمايز في أي جانب من جوانبه عن الاستلاب الروحي، والنفسي، والجسدي، والثقافي، والاقتصادي، فنحن الآن أحوج ما نكون للدفاع عن لغاتنا الوطنية، فاللغة هي تعبير عن المعنى الواقعي، والحقيقي لوجود الإنسان، والجدير بالإشارة أن كل لغة من اللغات لديها إمكانية تحصين نفسها وتحقيق أمنها، فاللغة-كما يرى الباحث منير الحافظ- تحصّن نفسها من كل الاقتحامات، والخروق، كونها تحمل في تلافيف نسيجها البنائي مناعات قادرة على دحر الدخيل المُنافي لطبيعة تكوينها، ولديها قدرة ردع، وقوة ارتدادية، وملكة احتواء، وميزة صهر، فلا تتماهى اللغة مع الذات، وإنما الذات تتماهى في اللغة ونحن الآن أحوج ما نكون إلى تأصيل لغتنا، كما أننا أكثر انفتاحاً على لغة الآخر في خضم التعددية اللغوية التي كثيراً ما طرحتها النظريات الحداثية، وفق ما تقتضيه ضرورات التطور من أجل الإثراء الفكري، والمعرفي، والثقافي، والفني، بيد أن الشرط الرئيس هو عدم الاندماج، والذوبان، وإلغاء اللغة الأم، فلا شك أن التلاقح والتثاقف، وتنوع ملكة الوعي اللغوي بين الأمم، سيدفع نحو زيادة تألق الذاتية وتحصنها اللغوي، كما تلتقي دلالات لغة التخاطب في واحدية المعنى، رغم تنوع وتعدد البنى الإبداعية، والمعرفية، وتكشف عن مختلف القيم الجمالية التي تؤدي إلى فهم حقيقة الكونية، والدفاع المحموم إزاء محاولات إلغاء اللغة، وصهرها، وتغريبها

أضحى ضرورة قصوى تمليها حاجات البقاء، ورفضاً لتقاليد التبعية اللغوية والثقافية، والأيديولوجية، ومن جانب آخر، فهي عامل تحصين، وتأصيل، وحماية للتراث، والتاريخ، إذ تكشف النقاب عن حقيقة وجود الأمة، لذلك فاللغة تغدو أهم فعل مقاوم يتوجب الاهتمام به، كونها الرمز الأكثر استهدافاً ضمن مشاريع التحصن القومي، التي تمثل الإرادة الحرة له، وهي لا تختلف عن الوجدان، والذاكرة، والعقيدة المكونة لهذه الإرادة[18]، إن مُحاولة تفكيك أبعاد، ودلالات(الأمن اللغوي)في ضوء المُتغيرات العالمية، وعن طريق المقاربات التاريخية، والثقافية، والسياسية يجب أن تبدأ من كون اللغة هي أهم، وأبرز عنصر، وهي« العنصر الأكثر ارتباطاً بالفرد والمجتمع، والأمة، وبالتاريخ، والمصير، فإذا كانت قناعة الأفراد كبيرة في أن مظاهر الاستقرار في المجتمعات تتجلى في الأمن بمختلف أنواعه، الاجتماعي والسياسي، والاقتصادي، والعسكري، فلا يكون الاجتهاد كبيراً بإضافة الأمن اللغوي لهذه الأنواع، غير أن الاهتمام بهذا الأمن لا يظهر إلا إذا تعرض مجتمع ما إلى هزات عنيفة، تكون من أسبابها أسئلة الهوية، والذات الجمعية، ويرتفع النقاش حولها إلى مستويات تصل إلى حد التصادم، واستخدام القوة في فرض الرأي، وهو ما أطلق عليه(الهُويات القاتلة)» [19].والحل لمُواجهة العولمة يكمن في تعزيز الهوية الثقافية والأمن اللغوي، الذي بدونه لا يُمكن تحقيق تنمية ثقافية شاملة، وحماية اللغات الوطنية، والدفاع عنها مما يُهددها، وكما يذهب المفكر الجزائري الفذ الدكتور عبد المجيد مزيان–عليه رحمة الله– فإن كل مفهوم للأمن « يقتضي شعوراً بالخطر واستفساراً، ودفاعاً، وهُجُوماً، ويقتضي كذلك تصنيفاً للأعداء، ومعرفة لمخططاتهم وأهدافهم، وإحصاءً لأسلحتهم المُختلفة، وليس الكلام عن الأمن الثقافي العربي في ظروفنا الحالية بأقل أهمية من الأمن العسكري، ولعل المعركة في الثقافة أكثر عمقاً وامتداداً في الأزمنة، والميادين من كل المعارك الأخرى»[20]. ومن بين المصطلحات التي راجت بكثرة سعياً إلى تعزيز الأمن اللغوي، مصطلح(العوربة)، الذي جاء مُضاداً للعولمة، وهدفه تعزيز الأمن اللغوي في زمن العولمة، فعلى سبيل المثال أن الناقد، والمفكر المعروف الدكتور عبد الملك مرتاض، يشير إلى أنه كثيراً ما يتكئ

الغربيون في تحديد العولمة على أنها تنهض على ثلاث دعائم هي: التعددية والديمقراطية، وحقوق الإنسان، ونحن(عبد الملك مرتاض)، يُمكننا أن نحدد أيضاً دعائم للعوربة، من بينها التمسك بالأصالة، وتحقيق المقدار الأدنى من الديمقراطية والحق في الكرامة، كالحق في الحياة، فالأصالة تعني التمسك بالقيّم الدينية، والتعلق بالهوية الوطنية، والتشبث بالثقافة القومية، فالمتسلح بهذه القيم الحضارية الكبرى، لا يخشى الذوبان في الآخر، فالأصالة معنى جامع يتجلى في شبكة من القيم الدينية والوطنية، والحضارية، التي تجعل المرء يتميز بسلوك معين يُحافظ له على كيانه الأصلي[21]. ويجب التأكد من أنه لا يُمكن مقابلة أي غزو لغوي، أو ثقافي، بمجرد إغلاق الأبواب عليه، ولا بالتقلص الثقافي الذي يستمر في مضغ التراث دون انفتاح كما عبر عن هذا الأمر المفكر عبد المجيد مزيان، على الرغم من أن أسئلة الأمن اللغوي كثيراً ما ترتبط بتهديد الكيان الفردي، أو الجماعي، كون الجانب الأمني يتصل دائماً بغريزة البقاء، وإن اتسعت رُقعتها من الحفاظ على الحياة، إلى المحافظة على القيم المتعلقة بالتضامن بين الجماعات، فاللغة تُشكل رابطاً رئيساً من الروابط الضامنة لتماسك الجماعة، والفرد، إذ تمثل اللغة في الزمن الراهن شرعية للنضال السياسي، إما بالانفصال عن جماعة سياسية، كما تجلى هذا الأمر في بعض مطالب الأكراد، أو للوحدة، كما تجلى هذا الأمر في المشروع القومي العربي، الذي تأسس على الرابطة اللغوية العربية، بصفتها مشروعاً يُواجه المشروعية الدينية، التي كانت تُركز عليها السلطة العثمانية، لتبرير حُكمها للشعوب العربية، وتعاني اللغة العربية في هذا الصدد من عدة مهددات، فهي إما أنها تُستخدم بصورة أداة في الآلة الحربية الغربية لاختراق الجسم العربي، أو أنها تُواجه تنامي اللغات العامية، بتشجيع من الدول القطرية التي تُبرر بقاءها خارج الدولة العربية، بسبب خُصوصية لهجاتها ويؤكد جملة من المفكرين في ميدان علم الاجتماعي اللغوي، والمهتمين بقضايا السياسات اللغوية على أن اللغة ستكون رهاناً مفصلياً في الحروب القادمة، إذا لم يقع التخطيط الدقيق لتعزيز الأمن اللغوي[22].وقد تعرضت لغتنا العربية في عصور متتالية إلى هجمات كثيرة، ووقفت أمام جُملة من التحديات الكبيرة، وخاضت معارك

طاحنة، بصفتها جزءاً من شخصية الأمة العربية، فكلما واجهت اللغة العربية معركة الإلغاء، تعرضت الذات العربية إلى الخطر، ولعل آخر المعارك التي تخوضها لغتنا الجميلة الخالدة، تلك الادعاءات الزائفة، والقائلة بقصورها عن معطيات العلم في زمن الانفجار المعرفي، والتقني، والتكنولوجي، فهناك من يتهمها بعدم مجاراة ثورة التقنيات، والمعرفة، التي تشهدها البشرية الآن، والوقوف في وجه هذه الهجمات العاتية، لهو مسؤولية مشتركة تحتاج إلى إرادة اجتماعية، وجدية مؤسساتية، وفعالية وفعل ثقافي، وقرار سياسي داعم، على أن المرحلة الأولى تكون انطلاقتها من الدرجة التعليمية الدنيا، صعوداً إلى المباحث، والدراسات الأكاديمية العليا، وهذه الجهود تستوجب توفير مستلزمات نهوضها، ونجاحها، ومن ذلك:التخطيط اللغوي العميق، والدقيق، والمنهج، والمختبر اللغوي، ثم المؤسسة العربية الموحدة، وعملها الإشراف، والتنفيذ، مع استغلال، واستثمار التقنيات الحديثة، فاللغة-إذن-عامل توحيد، وأداة ترقيع لمختلف الخروقات التي تعاني منها الشخصية العربية المعاصرة كما إنها حلقة تواصل، ووصل روحية بين الماضي التليد، والحاضر الراهن والمستقبل الآتي[23].ويرى الباحث أحمد فليح أن لغتنا العربية هي الحصن القوي للثقافة، والهوية، فالعربية الفصحى تعد الملاذ الأخير، وثقافتنا هي الخط الدفاعي الأخير الذي انسحبنا إليه، ولا محيص عنه، ولا تراجع إلا إلى السقوط، والاندثار لغتنا الفصحى هي العباءة العربية التي بها نُعرف، ونمتاز، وهي الخيمة الوارفة والواقية من التشظي، والتشرذم، وهي الأم الحنون التي نغفو في حضنها فراراً من الأذى، واستتامة إلى غد واعد...، فهمُ العولمة هو تهميش دورنا الحضاري، وتغييبنا عن ساحة القيادة [24]. ولذلك فهو يقترح مجموعة من الآليات التي من شأنها أن تُعزز الهوية العربية، وتُقوي لغتنا من الداخل، وتُسهم في حفظ الهوية اللغوية والثقافية، ومن أبرز هذه الآليات: العمل على تقوية اللغة، والحرص على تغلغلها في نفوس الأبناء، وذلك بتحول الأمة تحولاً قاصداً إلى العربية الفصحى، ويتساءل:هل يُمكننا أن نجعل العربية لغة الخطاب الشفوي، والمشافهة؟ويدعو إلى التخفف من الإقبال على اللغات الأجنبية، والانبهار بالآخر، وهذا ما يُسعف في تقوية الناس

بإتقانها، فالحفاظ على اللغة الفصحى والثقافة، والهوية، في مواجهة العولمة، ليس حكراً على النُخب فحسب، أو المنابر الجامعية فقط، أو القنوات الإعلامية، بل هو واجب ملقى على عواتق أفراد المجتمع من نخب، ورموز، ومسؤولين، فكل واحد يُدافع، ويعمل من موقعه، ويجب تسخير الإعلام العربي، والفضائيات، والقنوات الإعلامية لحفظ اللغة[25].حيث إننا كثيراً ما نسمع في عصرنا الراهن أن لغتنا العربية غير قادرة على استيعاب الثقافات المعاصرة، وقاصرة عن مواكبة التطورات التقنية، والتكنولوجية في عصر الانفجار العلمي، فكيف أن العربية التي ظلت لغة الحضارة، والتكنولوجيا طوال القرون الوُسطى تعجز عن استيعاب الثقافات في هذا العصر، ولماذا لم نجد أحداً من العلماء العرب القُدامى يشتكي من عجز اللغة العربية، فصدر العربية فسيح يتسع كل يوم لمصطلحات العلم، ومقتضيات الحضارة كما يؤكد على هذا الأمر العلاّمة مختار الأحمدي نويوات، فقد أثبتت اللغة العربية على مرّ العصور، وبما لا يقبل الشكّ أنها قادرة على استيعاب ألفاظ الحضارة والمصطلحات العلمية والفنية«لقد كانت آخر العهد الأموي، وفي أوائل العصر العباسي وجها لوجه مع العلوم الإغريقية، والأدب الفارسي، والحكمة الهندية فما لبث العلماء برعاية الخلفاء والوزراء، وكلّ غيور على دينه، ولغته أن نقلوا هذه الثقافات إلى العربية، وأثروا بها تراثهم اللغوي، والفكري، وجعلوا من حركتهم مثلاً يُحتذى ومن آثارهم الإبداعية أساساً للنهضة الغربية التي نُباهى بها اليوم.ولم تعترض سبيلهم العربية بل كانت خير عون لهم بما أوتيت من مرونة، ومن ثراء يُضرب به المثل»[26]. ويعتقد الباحث عبد الله الجسمي أن محاولة حصر الإشكالية الثقافية[27] العربية في مسألة اللغة، تأتي محاولة للالتفاف على المشكلات الحقيقية، التي أدت إلى تراجعنا الثقافي، والفكري على مدى الفترة الماضية، وهو في الحقيقة جزء من عملية الالتفاف الرسمية على الكثير من القضايا، والمشكلات، فمسألة إنقاذ اللغة تعني التعامل مع النتائج، وليس الأسباب، أي أن تراجع اللغة العربية هو نتيجة، وليس السبب الفعلي لأوضاعنا الثقافية الحالية، حيث إن اللغة بذاتها ليست السبب الفعلي الذي يقود إلى تقدم الأمم، وتأخرها–كما يرى عبد الله الجسمي– ولذلك فهو يتساءل:

هل إذا حافظنا على اللغة العربية بمضامينها المختلفة سنكون في مصاف الدول التي تقود العالم؟وهل إذا تعلمت شعوب أخرى لغتنا ستتقدم؟ وهل إذا ألغينا لغتنا العربية وتحدثنا اللغة الإنجليزية، أكثر اللغات انتشاراً في عالم اليوم، سنتقدم تلقائياً؟وهل لغة أي أمة من الأمم جامدة، ولا تتطور؟ وهل المطلوب العودة باللغة العربية إلى لغة المعلقات، واللغة التي سادت صدر الإسلام، وما بعده...؟ وهناك أسئلة أخرى في هذا الإطار تُفيد بأن اللغة دون شك ليست السبب وراء تقدم، أو تأخر أمة ما، بل هي نتيجة لأوضاعها القائمة، وبالمقارنة مع الأمم الأخرى، فاللغة هي تعبير عما تتضمنه أية ثقافة من الثقافات من إمكانات، وقدرات معيشية، وإبداعية، وإنتاجية، فقوة اللغة أو ضعفها يرجع إلى المضمون الذي تقدمه، بمعنى الثراء بالمفردات اللغوية وقواعدها، التي تعبر عن تنوع حياة، وواقع المجتمع، وقدرته على الاستمرار والتطور، أو محدودية هذا الواقع، وتراجعه، ويعود السبب الجوهري لتراجع اللغة العربية إلى صلة اللغة بالعلم، أو التطور العلمي للمجتمع، فلو عدنا إلى الحضارة[28] العربية الإسلامية التي كانت تتسيد العصور الوسطى[29].سنجد أن «اللغة العربية كانت في أوج ازدهارها لسببين رئيسيين. الأول كونها لغة القرآن، وتتضمن التعاليم الإسلامية، فانتشرت بين جميع القوميات التي دخلت الإسلام، ويعود السبب الثاني لكونها لغة العلم في العصر الوسيط، فبعد ترجمة العلوم اليونانية للغة العربية شهد العالم الإسلامي تطوراً لافتاً في العديد من العلوم المعروفة في تلك الفترة، واستطاع المسلمون أخذ زمام المبادرة في العلم لفترة امتدت بضعة قرون، وكانت اللغة العربية هي لغة العلم، مما أعطاها قوة، ودفعة جديدة، كمفردات اصطلاحية، واستخدامات سياقية نتيجة للاكتشافات، والتطورات في مختلف أوجه العلوم آنذاك»[30]. ولذلك يذهب بعض العلماء إلى أن علاقة اللغة بالعولمة، لا تعدو أن تكون انعكاساً لعلاقة أهلها بالعالم، فاللغة العربية واحدة من أكبر لغات العالم القديم، والحديث، ولكنها مهددة في بعض جوانبها بالانكماش في ظل العولمة التي ستكون السيطرة فيها للغة المال، والأعمال، والتقانة، ولما تفرزه من تكنولوجيات، وهذا التهديد لا يجيء من الخارج فقط، وإنما ينبع من الداخل بشكل كبير، وهذا ما نبه إليه العلاّمة ناصر الدين

الأسد، الذي يذهب إلى أن الضعف الداخلي أخطر بكثير من الهجوم الخارجي، فأبناء اللغة العربية لا يحرصون على تعلمها، ولا على استخدامها بشكل صحيح، أو جميل والأكثر من هذا يحرصون على تعليم أبنائهم منذ الصغر لغة، أو لغات أجنبية يكون لها تأثير سلبي على اللغة الأم، وفي الحقيقة أن حرص هؤلاء يعود إلى شعورهم بأن اللغات الأجنبية التي يعلمونها لأبنائهم هي لغة العصر، ولغة العولمة، التي يستطيعون من خلالها فهم ما يجري في العالم من حولهم[31]، والسؤال المطروح هو: كيف تستطيع اللغة العربية أن تتجنب أضرار العولمة؟وما هي الوسائل والطرائق الواجب العمل بها للاستفادة من العولمة؟

يرى الباحث الربعي بن سلامة أنه يُمكن الاستفادة من بعض تجارب الدول الأخرى لحماية اللغة العربية، ويشير إلى التجربة الفرنسية التي فيها ما يُمكن الاستفادة منه في استغلال منجزات العولمة، من أجل تطوير لغتنا، ففرنسا تحاول أن تتصدى لزحف اللغة الأنجلو أمريكية بطرائق مختلفة، من أهمها:العمل على إشعار الأوروبيين وتنبيههم إلى الأخطار المُحدقة، والتي تُهدد لغاتهم، وثقافاتهم، إن هم لم يتصدوا للثقافة الأنجلو أمريكية، وفي هذه الخانة يندرج تشجيع فرنسا للميثاق الأوروبي للغات الجهوية، ولغات الأقليات، فهي تشجعه خارج أراضيها، ولا تحرص على تطبيقه في أراضيها، وعلى لغاتها المحلية، لأنها ترى فيه مساساً بواحد من أهم المبادئ الجمهورية، وهو وحدة لغة الأمة، كما عملت فرنسا على استغلال منظمة الفرنكوفونية لتقوية مكانة اللغة الفرنسية، وذلك بالعمل على توسيع مجال استعمالها ومن خلال إغراء مستعمراتها القديمة بوجوب إعطاء المكانة الأولى للفرنسية، والقيام بمجهودات متواصلة لضمان حضور اللغة الفرنسية في كل الأمكنة، ولاسيما على مستوى البرامج، والتجهيزات التقنية، والمعلوماتية، واللغة العربية لديها كل الإمكانات لكي تتطور، وتحتل مكانة أكبر مما هي عليه الآن، لو تم استغلال ما توفره العولمة من إمكانات لانتشارها، وتعزيز مكانتها، وترقية حضورها، وتوسيعه، وبما أن اللغة العربية مستخدمة من قبل المسلمين، يُمكن أن تستفيد اللغة العربية من دعم منظمة المؤتمر الإسلامي، والتعاون الإسلامي، عن طريق الإسهام في توسيع مجالات

استخدامها بين المسلمين، والإفادة من عبقرية أبناء الأمة الإسلامية من غير العرب وهم في الغالب، لديهم الاستعداد لخدمة اللغة العربية تطوعاً، فقد أثبت التاريخ أن عدداً غير قليل ممن خدموا اللغة العربية هم من غير العرب[32].

إن جميع القرائن تؤكد على أن النهوض بلغتنا العربية في هذا العصر الذي عرفت فيه بعض التراجع أمر ممكن، و«انتشار اللغة العربية ليست مهمة صعبة إذا توافر لانتشارها الجهد اللازم، واللائق خاصة أن هناك العديد من الدول الإسلامية من الدول غير الناطقة بالعربية في كل من إفريقيا، وآسيا، إضافة إلى دول الاتحاد السوفييتي السابقة، والمناطق الإسلامية في الصين وتركيا ودول البلقان المسلمة مثل البوسنة وألبانيا وكوسوفو، والعديد من دول أوروبا وأمريكا حيث تنتشر الجاليات الإسلامية، فسوف يُقبل كل هؤلاء على تعلم اللغة العربية كونها لغة القرآن الكريم والدين الإسلامي، الذي يحرصون على الالتزام به، ويفضلون أن يعرفوه عن اللغة الأصلية بالإضافة إلى رغبتهم في فهم القرآن الكريم، والسيرة، والحديث النبوي وكل ما يتعلق بالفقه الإسلامي. وهذا الرابط الأساسي بين الدين الإسلامي، واللغة العربية يجعل من نشرها في العالم أمراً مُيسراً، ويؤسس كياناً لغوياً تتبعه مصالح اقتصادية، وقوة سياسية، تتحول بها الدول العربية إلى كيان عالمي يأخذ مكانته بين الأمم، والتكتلات الكبرى في العالم اليوم»[33]. والحقيقة أن وضع اللغة العربية في العالم وضع لا يُمكن الاستهانة به، إذ أنها تعد أكبر لغات المجموعة السامية، من حيث عدد المتحدثين، وهذا ما يقتضي تبني مشروعات تخدمها، وتهتم بنشر اللغة العربية كخطوة رئيسة لنشر الثقافة العربية القديمة، والمعاصرة في أرجاء العالم، من باب التأكيد على الجوانب المُشرقة في هذه الحضارة من جانب، ولدعم الموقف العربي في سباق التطور العالمي من جهة أخرى، وللنهوض بتأسيس دور عربي يتسم بالقوة في المجتمع العالمي ويؤكد قدرته على التحاور مع العالم، والدخول في زمن العولمة من موقع قوة، وندية تؤسس على اللغة، والإحساس بمتانة الهوية باعتبارها ترتكز على تراث ثقافي وفكري، وفلسفي، لا يُمكن الاستهانة به، ومن بين الأهداف التي تُحقق إذا تم تبني مشروع عربي مُوحد، يُشبه المشروع الذي تبنته منظمة(الفرنكوفونية)، يُمكن أن يتحقق

من انتشار اللغة العربية، وقوتها استعادة الشباب العرب للإحساس بمدى قوة الثقافة التي ينتمون إليها، وبذلك ينحسر توظيف اللغات الأخرى الأجنبية في لغة الحوار كنوع من الوجاهة الثقافية، ويضاف إلى هذا الأمر استعادتها في العديد من أوجه استخدام الإعلانات الدعائية، والشعارات الإشهارية، والحق أن هذا الانتشار لا يُمكن أن يتحقق إلا بالتخطيط الجيد، وتوفير عدة مؤسسات تكون داعمة للجهود من هذا النوع، ولا ريب في أن المؤسسات العربية العاملة في مجال تكنولوجيات الاتصالات والكثير من المستثمرين العرب يقع عليهم عبء إنجاز برامج تقنية، تتوفر فيها اللغة العربية، وتيسر استخدامها لغير الناطقين بها، وللمستخدمين العرب[34]. ومن بين سُبل تحقيق الأمن الثقافي، واللغوي والحفاظ على الهوية، أن يتم توفير الآليات، والوسائل التي تكفل امتلاك الثقافة من قبل مختلف فئات المجتمع، وتخصيص موارد الثقافة في خدمة التطور التقني والتكنولوجي، وتأسيس الذاكرة الجماعية، التي تمثل بوتقة لصهر المجتمع بكافة اختلافاته الفكرية، والاجتماعية، وضرورة الحفاظ على التراث، والقيم الروحية والأخلاقية لتحصين الشباب، فضلاً عن دعم الإنتاج الثقافي، والإبداعي وتعزيز حضور العلماء، والمثقفين، وتمكين المواطنين من الحصول على مصادر الثقافة والإبداع، لتعزيز الوعي اللغوي، إضافة إلى التنسيق مع المنظمات الدولية والإقليمية الثقافية، واللغوية، والدخول معها في حوارات مثمرة للاستفادة من برامجها الثقافية[35]، ورؤيتها في سبيل إعادة تأهيل المدرسين الجامعيين للتعرف على آخر التطورات في شتى الميادين.

فذلكة: إن للعولمة، أو الكوننة مؤثرات كبيرة في الوعي اللغوي(العولمة اللغوية) فهي مفاهيم تطول الثقافة، والتربية، والإعلام، وما يُلاحظ خلال هذه المرحلة الراهنة وفي زحمة التحولات التقنية، والتكنولوجية، والثورة المعرفية، والدراسات المعرفية والاتصالات المعلوماتية، أنها تتخذ من اللغة مصطلحات ذات دلالات لها معاينة خاصة، يتداولها سادة القوى العالمية، الذين يمتلكون القرارات، وهذا ما صرح به مجموعة كبيرة من أهل الفكر، حيث نبه(صاموئيل هانتنغتون)عدة مرات إلى أن الأساس الذي تتوجه نحوه الحرب الحضارية هي القيم الثقافية، والرمزية، فهي التي

تُشكّل الحدود القتالية، لذلك فلا ريب في أن تحصين اللغة لصد الاختراقات الخارجية أصبح حاجة حضارية، ومدنية، ومصيرية، تتصل بحفظ الكرامة والسيادة، والهوية والمعتقد[36]، وبهذا يجب التأكيد على مواطنة اللغة، داخلياً وخارجياً، في دعم تعليمية اللغة العربية، وتسهيل استخدامها، وهو أمر سيسهم على المدى القصير، والأمد البعيد في إعادة إحيائها ، بصفتها مقوماً رئيساً من مقومات الهوية، وأداة تكتسي أهمية استثنائية، من حيث إنها مستودع ثقافتنا العربية، فترقية المُواطنة اللغوية أمر يوجب علينا العناية به، مثلما نهتم بمختلف شؤون حياتنا، سواء بتنمية الثقافة العربية، أم العناية بمستقبل اللغة العربية للأجيال القادمة، ولعل أولى أدوات ذلك الترقي كله مراجعة مختلف سلوكياتنا اللغوية المعاصرة في زمن العولمة ولن يتحقق هذا الأمر إلا بإعادة التأمل، والتبصر في مناهجنا، التي يتوجب أن تغذي المواطنة بثقافة اللغة العربية وأدواتها المتمكنة[37]، و إنه في ظل التحديات التي تجابهها الأمم، وفي ظل وجود شعوب مستهدفة، يجب التحلي بالوعي لفهم الأهداف الكونية المعاصرة، لإمكان تأمين الأمن اللغوي، والحفاظ على الوجود الفاعل وينبغي الرجوع إلى مكونات الذات والعودة إلى الأصالة، والتراث، والتاريخ وإعادة التأمل في مختلف الرؤى بمنظور عميق، يتسم بالعقلانية، فأسس المواطنة اللغوية تفرض استخدام اللسان الوطني، مع الإقرار بوجود التعدد اللساني في شتى الفضاءات، والأماكن، ولابد من تعزيز قيم الهوية الثقافية، وترسيخ الثقافة الوطنية وتركيز الاهتمام على قضايا الحكامة اللغوية الجيدة، ووضع مخططات لغوية وطنية تتعامل بدقة، وبمنهجية سليمة مع الأوضاع وتُقاربها من منظور مستقبلي يُواكب العصر، وينسجم مع المُستجدات، فاللغة لها عدة أدوار جوهرية تتصل بتحصين الهوية الوطنية، وتتعلق بتجسيد قيم الانتماء الوطني وتعزيز التماسك الاجتماعي وفي هذا الصدد نستحضر قول ابن خلدون: « إن قوة اللغة في أُمة ما تعني استمرارية هذه الأمة بأخذ دورها بين بقية الأمم، لأن غلبة اللغة بغلبة أهلها، ومنزلتها بين اللغات صورة لمنزلة دولتها بين الأمم».

الهوامش والمراجع:

[1] د.صادق يوسف الدباس: دراسات في علم اللغة الحديث، منشورات دار أسامة للنشر والتوزيع عمّان، الأردن، ط:01، 2012م، ص:157-158. ود.غازي مختار طليمات:في علم اللغة منشورات مكتبة دار طلاس، دمشق، سوريا، 1997م، ص: 23 .

[2] د.طارق متري: عن المواطنة في لبنان، مجلة العربي، مجلة ثقافية شهرية تصدرها وزارة الإعلام بدولة الكويت، العدد:631، جمادى الآخرة1432هـ/يونيو(حزيران)، 2011م ص:120.

[3] د.حنان سعدات عبد المجيد عودة: اللغة العربية بين الأصالة والحداثة، دراسة منشورة ضمن كتاب:الأنساق اللغوية والسياقات الثقافية في تعليم اللغة العربية، أعمال المؤتمر الدولي الأول لتعليم العربية بالجامعة الأردنية:22-2014/4/24م، مج:01، منشورات دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، ومركز اللغات بالجامعة الأردنية، عمّان، الأردن، 2014م، ص:226.

[4] د.فيروز مامي زرارقة وحكيمة عدال: الاغتراب اللغوي في الوطن العربي بين المرجعية الدينية وعصر المعلوماتية، دراسة منشورة ضمن كتاب:الأنساق اللغوية والسياقات الثقافية في تعليم اللغة العربية، أعمال المؤتمر الدولي الأول لتعليم العربية بالجامعة الأردنية:22-2014/4/24م، مج:02، منشورات دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، ومركز اللغات بالجامعة الأردنية، عمّان، الأردن، 2014م، ص:718.

[5] د.سليمان إبراهيم العسكري:لغتنا وتحديات الثقافة المعاصرة، مجلة العربي، مجلة ثقافية شهرية تصدرها وزارة الإعلام بدولة الكويت، العدد:656، شعبان1443هـ/يوليو2013م، ص:12.

[6] نذير حمدان:بحوث في الغزو الفكري :المجالات-المواقف(اللغة العربية)، منشورات دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، المملكة العربية السعودية، ومؤسسة علوم القرآن، بيروت، لبنان، ط:01 1410هـ/1990م، ص:9 وما بعدها.

[7] د.حسن بدوح:هوية اللغة...لغة الهوية-في الخلفيات الثقافية للغة العربية-، مجلة الرافد، مجلة شهرية ثقافية جامعة تصدر عن دائرة الثقافة والإعلام بالشارقة، الإمارات العربية المتحدة العدد:224، جمادى الآخر/رجب1437هـ، ابريل2016م، ص:12 وما بعدها.

[8] د.الزواوي بغورة: الهوية والعنف في الخطاب الثقافي الجزائري، مجلة العربي، مجلة ثقافية شهرية تصدرها وزارة الإعلام بدولة الكويت، العدد:599، شوال1429هـ/أكتوبر2008م ص:24 وما بعدها.

[9] ينظر :خطة عمل حول دور الثقافة في الحفاظ على الهويّة العربية:فلسطين نموذجاً، والتي اعتمدتها الدورة(14) لمؤتمر الوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية في الوطن العربي

بصنعاء(الجمهورية اليمنية)، سنة:2004م، منشورة في المجلة العربية للثقافة، مجلة تصدر عن المنظمة العربية للتربية، والثقافة والعلوم(إدارة الثقافة)، تونس، العدد:54، مارس2009م ص:149 وما بعدها.

(10) د.محمد عبد الباسط عيد: الثقافة..التراث والهوية-مقاربة ظاهراتية-، مجلة الرافد، مجلة شهرية ثقافية تصدر عن دائرة الثقافة والإعلام بالشارقة، الإمارات العربية المتحدة، العدد:216 شوال1436هـ/أغسطس2015م، ص:16.

(11) د.صلاح الدين شروخ :علم الاجتماع التربوي، منشورات دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة الجزائر، 2004م، ص:183 و191.

(12) د.ليلى خلف السبعان: المواطنة اللغوية، مجلة العربي، مجلة ثقافية شهرية تصدرها وزارة الإعلام بدولة الكويت، العدد:663، ربيع الآخر1435هـ/فبراير2014م، ص:10.

(13) أبو القاسم العليوي: في ثقافة المواطنة:الأبعاد والواجبات، مجلة الحياة الثقافية، مجلة شهرية تُعنى بالفكر والإبداع تصدر عن وزارة الثقافة والمحافظة على التراث بتونس، العدد:211 مارس2011م، ص:25.

(14) د. طارق بن محمد الخويطر: الوطنية وحُب الوطن، مجلة الحرس الوطني، مجلة عسكرية ثقافية شهرية تصدر عن وزارة الحرس الوطني السعودي بالرياض في المملكة العربية السعودية العدد:336، السنة:38، المحرم1438هـ/أكتوبر2016م، ص:106.

(15) د. الحبيب الجنحاني: المواطنة والحرية، مجلة العربي، مجلة ثقافية شهرية تصدرها وزارة الإعلام بدولة الكويت، العدد:636، ذو القعدة1432هـ/نوفمبر2011م، ص:30 وما بعدها.

(16) د.عبد العزيز بن عثمان التويجري:العولمة وحوار الحضارات:رؤية من خلال الإسيسكو دراسة منشورة ضمن أعمال المؤتمر الدولي السادس، التراث، والمعاصرة وحوار الثقافات المنعقد ببيروت، أيام:8-9-10كانون الأول-ديسمبر، 2003م، من تنظيم جمعية بيروت التراث ص:29 .

(17) د.عبد العزيز بن عثمان التويجري:العولمة وحوار الحضارات:رؤية من خلال الإسيسكو المرجع نفسه، ص:29-30.

(18) منير الحافظ: الأمن اللغوي وتحديات الحداثة، مجلة الموقف الأدبي، مجلة أدبية شهرية يصدرها اتحاد الكتاب العرب في سورية، السنة:36، العدد:433، أيار2007م، ص:52 وما بعدها.

[19] عز الدين ميهوبي:في سؤال الأمن اللغوي، مجلة اللغة العربية، مجلة نصف سنوية مُحكمة تعنى بالقضايا الثقافية والعلمية للغة العربية تصدر عن المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر العدد: 31، 2014م، ص:16.

[20] د.عبد المجيد مزيان:مفهوم الأمن الثقافي العربي بين الواقع والتصور، مجلة الثقافة، مجلة تصدر ها وزارة الثقافة بالجزائر، العدد:76، رمضان-شوال1403هـ/يوليو-أغسطس1983م، ص:12.

[21] د.عبد الملك مرتاض:العولمة وتدمير الهوية الوطنية، مجلة بونة للبحوث والدراسات، مجلة دورية مُحكمة تعنى بالبحوث والدراسات التراثية والأدبية واللغوية، العدد:03، جمادى الأولى1426هـ/حزيران(يونيو)2005م، ص:39.

[22] عز الدين ميهوبي:في سؤال الأمن اللغوي، المرجع السابق، ص:13 وما بعدها.

[23] د.وليد مشوّح:اللغة العربية والعولمة، مجلة الموقف الأدبي، مجلة شهرية يصدرها اتحاد الكتاب العرب بدمشق، سوريا، السنة:31، العدد:367، تشرين الثاني2001م، ص:5 وما بعدها.

[24] د.أحمد فليح:الحفاظ على الهوية اللغوية والثقافية في عصر العولمة، مجلة اللسانيات واللغة العربية، مجلة نصف سنوية محكمة تعنى بقضايا اللسانيات واللغة العربية والتراث تصدرها جامعة باجي مختار بعنابة، الجزائر، العدد:06، جوان2009م، ص:158.

[25] د.أحمد فليح:الحفاظ على الهوية اللغوية والثقافية في عصر العولمة، المرجع السابق ص:159 وما بعدها.

[26] ينظر :د.مختار نويوات:اللغة العربية واستيعاب الثقافات، مجلة اللغة العربية، مجلة نصف سنوية محكمة تصدر عن المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر، العدد:06، 2002م، ص:39.

[27] الثقافة من « الثَّقْفِ »، الذي له عشرة معانٍ في لغة العرب، حسبما هو مدّون في القواميس والمعاجم الموثوق بها عند علماء اللغة' ومن أهمها: تسوية الشيء، وتقويم اعوجاجه، تقول : ثقفتَ الرُّمح، أو القوس، أو أي شيء معوج، إذا قوّمتَه، وسويته من اعوجاجه، فيغدو مثقّفًا مُقوّمًا وعلى هذا الأساس استعيرت لفظة: « مثقف » إلى كُلّ ما هو مستقيمٌ صَلْبٌ، وكذلك فهي الحِذْقُ والمهارة في إتقان الشيء، قال ابن منظور : « ثقف الشيء ثقفًا، وثقافًا، وثقوفه، حذقه، ورجلٌ ثَقْفٌ، وثِقِفٌ، وثَقَفٌ، وثَقِفَ الرّجلُ ثقافة، أي : صار حاذقا فطنا، فهو ثَقِفٌ، وثُقُفٌ، مثل : حَذِرَ وحَذُر...، »، وقد ورد هذا المعنى نفسه في بعض عبارات المتقدّمين، مثل : عبارة أبي حيان التوحيدي في « المقابسات »' وعبارة ابن خلدون في « المقدمة».و الثقافة في أدنى مستوياتها هي مجموع الاستجابات، والمواقف التي يواجه بها شعب من الشعوب – بحسب عبقريته – ضرورات

وجوده الطبيعي من مأكل، وملبس، وتناسل، أمَّا على المستوى الأرفع فإنَّ للثقافة أوجهًا ثلاثة هي :تنمية الفكر، وترقية الحس النقدي، وتكوين الحس الجمالي، وإرهاف الذوق، والاستمساك بالقيم وغرس الحس الأخلاقي. وقد اعتمدتُ في صياغة هذه التعريفات من عدة مراجع: د.محمد بن عبد الكريم الجزائري : الثقافة ومآسي رجالها، شركة الشهاب للنشر والتوزيع، الجزائر (د.ت)، ص : 9 وما بعدها.و ابن منظور : لسان العرب، مادة : ثقف.و التوحيدي : المقابسات، مطبعة الرحمانية، القاهرة، 1929 م، ص:375.و ابن خلدون : المقدمة، منشورات مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، 1967 م، ص: 448.

(28) يذكر في هذا الصدد الباحث سيد غدريس هاني أن الحضارات هي هويات ثقافية في التقليد الأنثروبولوجي الأمريكي، وهم نادراً ما يُفرقون بين الثقافة والحضارة، وقد اعتادوا في الترجمات ذات الأصول الأمريكية أن يترجموا الثقافة بالحضارة، والحضارة واحدة والثقافات متعددة ففي«عصر ثورة الاتصالات هناك حضارة واحدة، في الماضي سمعنا عن وجود حضارات، وهذا إنما يرجع إلى أزمة التواصل ومشكلة العزلة، إن الحضارة ليست هي مطلق الحضور، كما ينحو الجميع، فمالك بن نبي مثلاً وهو الرأي التقليدي السائد، بالنسبة إليه الحضارة هي أخص من الحضور، إنها حضور أمثل وأقوى، والحضارة هي القوة، والثقافة هي أمر ملازم لكل أشكال الحضور، الثقافة هي إفراز وجودي لكل الكيانات الاجتماعية، لكن الثقافة ليست بالضرورة حضارية، فالثقافة تمثل من الحضارة مرحلة القوة، والحضارة تمثل من الثقافة مرحلة الفعل والحضارة أخص من الثقافة، فالقوة واجبة في حق الحضارة، ممكنة في حق الثقافة، ما يعني أن كل ثقافة تملك إمكانية التحضر، ولا يجب لها التحضر حتى تصبح قادرة على إنتاج القوة»

الحضارة : – عند اللغويين – « خلاف البداوة »، وهي عند ابن خلدون : « تفنُّن في التّرف وإحكام الصنائع ». أمَّا في نظر الدكتور محمد بن عبد الكريم، فهي : « ظاهرة اجتماعية، تتبلور في نظم محكمة، وآثار ماثلة ». فقولنا : « ظاهرة اجتماعية »، احترازا من الظاهرة الفردية التي مبعثها الثقافة. ونعني بـ « النظم المحكمة » كل ما يقتضيه النظام والإحكام في تسيير شؤون الإنسان المتحضر : مثل : النظم السياسية، والاقتصادية، والإدارية والقضائية، والحربية والثقافية، والزراعية، والتجارية، والأسرية، وهلمَّ جرًّا... ونعني بـ « الآثار الماثلة » فن العمارة بجميع أنواعها : مثل : تخطيط المُدن، وتمصير الأمصار، وتشييد البنيان، ثم النحت، والرسم والتصوير، والزخرفة، وجميع الفنون الجميلة..، وهناك فرق بين « الثقافة » وبين « الحضارة » من عدة وجوه. أولاً : إذا كان مفهوم الثقافة ينزع إلى الخصوصية، فإنَّ الحضارة تنزع إلى العمومية، فالثقافة هي الحضارة الخاصة بأمة من الأمم، لا يشاركها في شأنها أحدٌ، تحمل صيغة هذه الأمة، وتتّسم بسماتها، ووراء كل حضارة دينٌ، وقد تصبُّ عدة ثقافات في نهر حضارة

واحدة. فالثقافة العربية التي ننتمي إليها هي في أدنى مستوياتها مجموع تقاليدنا وعاداتنا، أمَّا على مستواها الأعلى فهي النهج الذي نهجه الغزالي في الجانب الروحي، وابن رشد في الجانب الفكري، وابن حزم في الجانب الأخلاقي، وابن خلدون في الجانب الاجتماعي، ونشكل – نحن العرب – بثقافتنا مع ثقافات أخرى – الفارسية والتركية – نشكل الحضارة الإسلامية التي ساهمنا جميعا في إنشائها وإثرائها.

ثانياً : أنَّ الثقافة تصور وإرادة، وأنَّ الحضارة أثر ونتيجة لهما.

ثالثاً : أنَّ الثقافة وصف عام للفرد والأمة، وأنَّ الحضارة وصف خاص بالأمة، أي : مثلها مثل « العلم ». يقال : « حضارة الأمة الفلانية »، ولا يقال : « حضارة الشخص الفلاني» بخلاف « الثقافة »، فتصدق على الشخص والأمة.

رابعاً : أنَّ الحضارة تتجسم في النظم السياسية، وفي العلوم، والصنائع، والاختراعات على وجه العموم، وأنَّ الثقافة تتمثل في اللغات، والآداب، والتواريخ، والفلسفات، وجميع العلوم الإنسانية، أي : إنَّ الثقافة تقدّمٌ من الوجهة الخُلُقية والفكرية، والحضارة تقدّمٌ من الوجهة الاجتماعية على وجه العموم.

خامساً : كل أمّة مثقفة يصدق عليها أن تكون متحضرة، وليس العكس، لأن هناك الكثير من الآثار الحضارية القديمة التي مازالت قائمة ومرئية حتى الآن، بَيْدَ أنّ إيجادها لم يكن بدافع ثقافي : مثل أهرام مصر، ومختلف الأسلحة المحفوظة في المتاحف الدولية، فتلك شُيّدت بدافع وهمي – على أحد الأقوال في سبب بنائها – وهذه صُنعت من أجل الدفاع عن النفس تارة، وسفك الدماء بها تارة أخرى. وما قيل في ذلك يقال في القنابل الذرية والأسلحة الفتاكة، المصنوعة في العصر الحاضر فإنَّ صنعها لم يكن بدافع ثقافي، وإنَّما كان بدافع الترهيب، وحُبّ التسلط على البشرية، وسفك دمائهم، وهذا منافٍ للثقافة، التي تهدفُ إلى تهذيب الأخلاق، وتقويم السلوك، وحب الخير وإصلاح المجتمعات. وعلى هذا الاعتبار فالثقافة أعلى من الحضارة، وأرقى منها في سلم الحياة. وهي على وجه العموم، روحية في الجوهر... أمَّا الحضارة فمادية في جوهرها ومحسوسة، والثقافة سابقة على الحضارة في الوجود... وليس في الإمكان ضبط الحد الفاصل بين الثقافة والحضارة بوجه دقيق. ويرى بعض الدارسين أن مفهوم الحضارة لم يلق إجماعاً على دلالته بين مختلف الحضارات الإنسانية التي عرفها التاريخ، على الرغم من اشتراك هذه الحضارات في الكثير من القيم الإنسانية التي تشكل جوهرها، فمن يرغب في المضي في مسار حوار الحضارات عليه أن يتفق على حدود دنيا لمفهوم(الحضارات الإنسانية)، ولتصنيفاتها التي تتفاوت نظراً لاختلاف المعايير، وهناك«أمر آخر، وهو أننا ننسب الحضارات الإنسانية في محاولتنا تصنيفها إلى القارة حيناً(فنقول الحضارة الغربية)، وإلى اللغة أو الأمة حيناً ثالثاً(فنقول الحضارة العربية

أو الحضارة الصينية، أو الحضارة اليابانية)، وإلى العقيدة حيناً رابعاً(فنقول الحضارة الإسلامية) وإلى الإقليم أو النهر أو الوادي خامساً(فنقول حضارة بلاد الرافدين)وإلى العصر سادساً(فنقول الحضارات القديمة، أو الحضارة الحديثة)، وإلى غير ذلك مما يقع المرء عليه في قراءاته لتاريخ الحضارات الإنسانية، ولكننا نادراً ما نسأل أنفسنا هل ثمة حضارة صرف نقية لا تشوبها شائبة من حضارة أو حضارات أخرى؟ونمضي أحياناً في نزعة التمركز حول الذات فنتحدث عن(عبقرية الحضارة)التي نتماهى معها، وننتسب إليها، أو نرغب في الانتساب إليها». وقد اعتمدنا في صياغة هذه الفوارق من عدة مراجع متنوعة منها: أحمد مسجد جامعي:كلمة افتتاحية لكتاب محاضرات في حوار الحضارات، منشورات المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق، 1421هـ/2001م، ص:9.و د.محمد بن عبد الكريم : الثقافة ومآسي رجالها، ص : 38. ود.سعد بوفلاقة:حوار الثقافات في الغرب الإسلامي، مجلة دراسات، مجلة دورية محكمة تصدر عن جامعة الأغواط، الجزائر، العدد:02، جوان2005م، ص:114-115.و د.عبد النبي اصطيف:حوار الحضارات في عصر العولمة، بحث منشور في كتاب محاضرات في حوار الحضارات، ج:01، ص:323 وما بعدها.

(29) د.عبد الله الجسمي:الثقافة العربية...هل تطورها اللغة؟، مجلة العربي، مجلة ثقافية شهرية تصدرها وزارة الإعلام بدولة الكويت، العدد: 634، رمضان1432هـ/سبتمبر(آب)، 2011م ص:63.

(30) د.عبد الله الجسمي:الثقافة العربية...هل تطورها اللغة؟، المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(31) د.الربعي بن سلامة:اللغات القومية والعولمة، مجلة الآداب، مجلة علمية متخصصة ومحكمة تصدر عن قسم اللغة العربية وآدابها بقسنطينة، الجزائر، العدد: 07، 1425هـ/2004م ص:16.

(32) د.الربعي بن سلامة:اللغات القومية والعولمة، المرجع نفسه، ص:17 وما بعدها.

(33) د.سليمان إبراهيم العسكري:العربفونية في زمن العولمة، مجلة العربي، العدد:613 محرم1431هـ-ديسمبر2009م، ص:11 وما بعدها

(34) د.سليمان إبراهيم العسكري:العربفونية في زمن العولمة، المرجع نفسه، ص:12 وما بعدها.

(35) د.أمينة سالم: الثقافة والتنمية جدل خلاّق بين الهوية والحداثة، مجلة الرافد، مجلة شهرية ثقافية تصدر عن دائرة الثقافة والإعلام بالشارقة، الإمارات العربية المتحدة، العدد:247، جمادى الآخرة1439هـ/مارس2018م، ص:11.

(36) منير الحافظ: الأمن اللغوي وتحديات الحداثة، المرجع السابق، ص:53.

(37) د.ليلى خلف السبعان: المواطنة اللغوية، المرجع السابق، ص:15.

المدرسة ودورها في ترسيخ وتعزيز قيم المواطنة عند المتعلّمين.

د. حبار العالية

ج. أبوبكر بلقايد - تلمسان-

مقدمة: تعد المواطنة المفهوم الأساسي الذي تنهض عليه الدولة الحديثة، كونها الأساس الدستوري للمساواة في الحقوق والواجبات بين أبناء الدولة الواحدة، وهي أيضا أداة لبناء مواطن قادر على العيش بسلام وتسامح مع غيره. على أساس المساواة وتكافؤ الفرص، والعمل قصد الإسهام في بناء تنمية الوطن والحفاظ على العيش المشترك فيه، فضلا عن أنها تشكل موروثا مشتركا من المبادئ والقيم والعادات والسلوكيات التي تسهم في تشكيل شخصية المواطن، وفي هذه المداخلة سوف نحاول إلقاء الضوء على دور المدرسة والأسرة في ترسيخ وتعزيز قيم المواطنة عند المتعلمين.

وبصفة عامة تسعى الورقة للإجابة عن الأسئلة التالية:

- ما مفهوم المواطنة ؟
- ما هي أبعادها وجذورها التاريخية في ترسيخ وتعزيز قيم المواطنة عند المتعلمين ؟

المواطنة لغة: المواطنة مأخوذة في العربية من الوطن: المنزل تقيم به وهو" موطن الإنسان ومحله" وطنا. يطن: أقام به، وطن البلد: اتخذه وطناً، توطن البلد: أتخذه وطناً، وجمع الوطن أوطان: منزل إقامة الإنسان ولد فيه أم لم يولد)[1]، (ومواطنة: مصدر الفعل واطن بمعنى شارك في المكان إقامة ومولداً لأن الفعل على وزن: فاعل[2].

المواطنة اصطالحاً: أما في الاصطالح فالمواطنة بأبسط معانيها: هي التزامات متبادلة بين الاشخاص والدولة، فالشخص يحصل على حقوقه المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية نتيجة انتمائه لمجتمع[3] معين، وعليه في الوقت ذاته

واجبات يتحتم عليه أداؤها. وذهب البعض إلى أن المواطنة مصطلح مستحدث في اللغة العربية للتعبير عن كلمة Citizenshipالانجليزية[4] .

وفي الموسوعة العربية العالمية: أنها تعرف المواطنة بأنها(اصطلاح يشير إلى الانتماء إلى أمة أووطن) وتعرف دائرة المعارف البريطانية Britannica (Encyclopedia) المواطنة بأنها: عالقة بين فرد ودولة كما يحددها قانون تلك الدولة، وبما تتضمنه تلك العالقة من حقوق وواجبات في تلك (الدولة)[5]

أبعاد المواطنة: يتجلى البعد السياسي للمواطنة في مدى إحساس الفرد بانتمائه إلى الوطن كجسم سياسي يتمثل في مؤسسات الدولة والاحزاب والنقابات والجمعيات وأفكار حول الشأن العام والمجال العمومي والافكار التي تتبلور لدى الفرد حول هذا الجسم ومدى سعي الفرد للتأثير فيه عن طريق الولاء أو المعارضة للنظام او الخوف منه والابتعاد عنه أو الثورة عليه. ويهتم البعد الثقافي بما يوفره الوطن من إحساس بالانتماء إلى جماعة تمثل في الهوية وتتجسد هذه الهوية المشتركة فيما يجمع الفرد مع غيره من ممارسات الحياة اليومية من عادات الاكل واللباس والموسيقى وطقوس الاعياد والحفلات، كما انها تتجسد في الرموز المشتركة لما يمثل الهوية الوطنية أو الهويات الجماعية المتعايشة في ظل الوطن الواحد .

والبدء هنا للاشارة إلى نقطة في غاية الاهمية: هناك أبعاد ثقافية للمواطنة، لعل أهمها على الاطلاق الدفع بحجة الخصوصية الثقافية للهروب من تطبيق القواعد العالمية لحقوق الانسان، كما تفعل ذلك بعض الدول ذات النظم السياسية الشمولية أو التسلطية. غير أن هذا ال يمنع أن قد تتعارض أحياناً المجتمعات المعاصرة لها خصوصيتها الثقافية التى مع بعض القواعد التى يطلق عليها أحياناً تعسفاً قواعد عالمية. وهذا قد يؤدى فى التطبيق إلى أن تكون معانى ودلالات المواطنة تختلف من بلد لآخر .وفى هذا المجال يمكن الاشارة إلى الجدل الدائر فى بعض البلدان الاسلامية حول حقوق الانسان بين العالمية والخصوصية. وجوهر الجدل هنا، هو أن للاسلام نظرية خاصة فى حقوق الانسان وهى وإن كانت تتفق عموماً مع المواثيق العالمية، الى أنها تتميز عنها وقد تختلف عنها فى بعض المواضع، ونفس

الجدل يدور فى بعض الدول الاسيوية، حيث يدور الحديث عن القيم الاسيوية التى تركز على روابط الاسرة والقرابة أكثر من تركيزها على القوانين والتشريعات.

غير أنه فى كلتا الحالتين الاسلامية والاسيوية، يخشى أن يكون التركيز على الخصوصية أيا كان طابعها، محاولة متعمدة من قبل أنظمة شمولية أو سلطوية من تطبيق مواثيق حقوق الانسان العالمية[6].

وتتمثل فكرة الوطنية على المستوى الاقتصادي فيما يوفره الوطن مما تسميه الكتابات الحقوقيه: شروط الحياة الكريمة والتي تعني سوسيولوجياً ظروف التقاء الاجتماعي[7].

جذورها التاريخية: إن مفهوم المواطنة الذي استقر في الفكر السياسي المعاصر مفهوم تاريخي شامل ومعقد، ان السياسي إنما ينتج انطلاقاً من الفكر من حراك اجتماعي معقد تتحكم فيه السيرورة التاريخية، لذا من خلال الدولة؛ تتخذ إنتاجاته القانونية والثقافية، كما أن ترجمة الإنتاج الحضاري عملٌ أبعادا عقائدً متشابكة يصعب معها نفي حضور مجموع القيم المشكلة لتلك الحضارة، بما فيها[8] والمتغيرات السوسيوثقافية، والمتغيرات العالمية من خلال التجربة السياسية الغربية يمكن رصد ثلاث تحولات «متداخلة ومتكاملة»، شهدتها الاوضاع السياسية لهذه التجربة، استطاعت لقوتها أن تحِّول بعض مرتكزات بناء الدولة، وأن تزرع أسسا سياسية أرست مبدأ المواطنة: التحول الاول: جاء مع نهاية الحروب الدينية بإقرار معاهدة وستفلايا 4113م .التحول الثاني: فقد تجسد في إقرار المشاركة السياسية، وما شاهده بدوره من تطور وتوسع .صاحبه تداول للسلطة أما التحول الثالث: فيتجلى في سموالقانون عن غيره، وشموله لسائر المواطنين وما أنتجه الفكر السياسي الغربي من مؤسسات، أوما أطلق عليه مأسسة السلطة السياسية في ظل الدولة القومية [9]الحديثة. المطلب الثاني: مقومات المواطنة وصورها الجديدة.

أولا: مقومات المواطنة :من خلال ما تقدم يتبين أن (المواطنة) ليست وضعية جاهزة يمكن تجليها بصورة آلية عندما نما هي سيرورة تاريخية، وديناميية مستمرة، وسلوك يكتسب عندما تتهيأ وتتحقق الرغبة في ذلك، اوله الظروف

الملائمة، وهي ممارسة في ظل مجموعة من المبادئ والقواعد، وفي إطار مؤسسات واذا كان من الطبيعي أن تختلف نسبيا وآليات تضمن ترجمة مفهوم المواطنة على أرض الواقع؛ هذه المتطلبات من دولة إلى أخرى، ومن زمن إلى آخر بسبب اختلاف الثقافات والحضارات، والعقائد والقيم، ومستوى النضج السياسي، فإنه لا بدّ من توفر مجموعة من المقومات الاساسية المشتركة، ووجود حد أدنى من الشروط التي يتجلى من خلالها مفهوم المواطنة في الحياة اليومية للمواطنين، وفي علاقاتهم بغيرهم، وبمحيطهم السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي .

ومن أهم المقومات والشروط التي لا مجال للحديث عن المواطنة في غيابها : المساواة وتكافؤ الفرص :لا تتحقق المواطنة إلا بتساوي جميع المواطنين والمواطنات في الحقوق والواجبات، وتتاح أمام الجميع نفس الفرص، ويعني ذلك التساوي أمام القانون الذي هوالمرجع الوحيد في تحديد تلك ذا كان التساكن والتعايش والشراكة والتعاون من العناصر الاساسية في الحقوق والواجبات يفترض توفرها بين المشتركين في الانتماء لنفس الوطن، فإنها تهتز وتختل في حالة عدم احترام مبدأ المساواة، مما يؤدي إلى تهديد الاستقرار، لدى كل من يشعر بالحيف، أوالحرمان دون حق مما يتاح لغيره، وتنغلق في وجهه أبواب الانصاف يصبح متمردا على قيم المواطنة، ويكون [10] بمثابة قنبلة موقوتة قابلة الانفجار بشكل من الاشكال. والوطن الذي تتعدد أصول مواطنيه العرقية، وعقائدهم الدينية وانتماءاتهم الثقافية والسياسية، لا يمكن ضمان وحدته واستقراره إلا على أساس مبدأ المواطنة الذي يرتكز على منظومة قانونية وسياسية واجتماعية وأخلاقية متكاملة، والمساواة كمقوم رئيسي للمواطنة، تعني أنه لا مجال للتمييز بين المواطنين على أساس الجنس، أواللون، أوالاصل العرقي، أوالمعتقد الديني أو[11]القناعات الفكرية، أوالانتماء والنشاط السياسي والنقابي والجمعوي. واختلاف الفئات وصفاتها وانتماءاتها التي يجعل أيا منها أكثر حظا من غيرها في الحصول على المكاسب والامتيازات، كما لا يكون سببا في انتقاص الحقوق، أومبررا

الاقصاء والتهميش، وحسن تدبير الاختلاف والتعدد لا يتم إلا في إطار المواطنة التي تضمن حقوق الجميع، وتتيح لكل المواطنين والمواطنات القيام بواجباتهم وتحمل المسؤوليات في وطنهم على أسس متكافئة، إرساء مبدأ المواطنة في منظومة الروابط والعالقات التي تجمع بين أبناء الوطن الواحد وبينهم أووبين مؤسسات الدولة، لا يمكن أن يقوم على إلغاء الصفات والانتماءات والمعتقدات وغيرها من اتاحة أمامها فرص كما يقوم على احترامها، اوخصوصيات بعض الفئات، او المشاركة في إغناء الوطن وتنمية رصيده الثقافي والحضاري .ولحماية مبدأ المساواة بين جميع المواطنين والمواطنات داخل المجتمع الذي تتناقض فيه المصالح والاغراض، فإنه لابدّ من وجود ضمانات قانونية وقضاء مستقل وعادل يتم اللجوء إليه [12]من قبل كل من تعرضت حقوقه للمس أوالانتهاك.

المشاركة في الحياة العامة:ولا يكفي ضمان المساواة والتكافؤ في القوانين المسطرة، والانظمة المتبعة، وفي الممارسة، وكذلك من المشاركة الفعلية للمواطنين والمواطنات في الحياة يتجلى مبدأ المواطنة، والعامة، الامر الذي يتطلب توفر استعدادات حقيقية لدى كل المشتركين في الانتماء للوطن، وهذه الاستعدادات لا تتوفر إلا في حدود ضيقة في ظروف قمع الحريات، ومصادرة الفكر المتحرر من التبعية والخنوع، وفي ظل الانظمة التي تناهض العمل السياسي الذي يحمل رؤية انتقادية، أوموقفا معارضا للحكام وللسياسات المتبعة؛ ففي مثل هذه الظروف التي تعرفها المجتمعات المتخلفة عموما، ومنها البلاد العربية والاسلامية، يلاحظ انزواء كثير من الكفاءات، وبروز الفردانية، والابتعاد عن المشاركة في الحياة العامة والنفور من العمل السياسي، وغير ذلك من الظواهر المناقضة للمواطنة، فالانظمة القمعية، ولواختفت وراء ديموقراطيات شكلية، مسؤولة عن تقليص فرص المشاركة، ومدمرة لقيم المواطنة؛ ولا يتأتى نمواستعداد المواطنين والمواطنات للمشاركة في الحياة العامة إلا في ظل حرية الفكر والتعبير، وحرية الانتماء والنشاط السياسي، وفي إطار الديموقراطية التي يكون فيها الشعب هوصاحب السيادة [13]والنقابي والجمعوي ومصدرا لجميع السلطات .والمشاركة في الحياة

العامة تعني أن إمكانية ولوج جميع المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية متاحة أمام الجميع دون أي ميز، بدءا من استفادة الاطفال من الحق في التعليم والتكوين والتربية على المواطنة وحقوق الانسان، واستفادة عموم المواطنات والمواطنين من الخدمات العامة، ومرورا بحرية المبادرة الاقتصادية، وحرية الابداع الفكري والفني، وحرية النشاط الثقافي والاجتماعي، وانتهاء بحق المشاركة في تدبير الشأن العام بشكل مباشر كتولي المناصب العامة وولوج مواقع القرار أوبكيفية غير مباشرة الانخراط في الاحزاب السياسية، اوالرأي حول السياسات المتبعة، والمشاركة في انتخاب أعضاء المؤسسات التمثيلية على المستوى المحلي والوطني والمهني .وعندما تتاح الفرص المتكافئة للمشاركة أمام كل الكفاءات والطاقات يكون المجال مفتوحا للتنافس النوعي الذي يضمن فعالية النخب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ويضفي الحيوية على المشهد الوطني، مما يسهم في خلق واقع ينشد التطور المتواصل والارتقاء المستمر .والمشاركة بالمفهوم الواسع المبين أعلاه، تعني توفر فرص الانخراط التلقائي في مختلف مجالات الحياة العامة وحقولها، ولذلك فهي تختلف عن الاشراك الذي ينطوي على مفهوم المنح من سلطة عليا تحكم بأمرها، لرعايا تابعين خاضعين لنفوذها، إن الاشراك بهذا المعنى يتناقض مع مفهوم المواطنة ويتعارض مع مقوماتها.

الولاء للوطن :ويعني الولاء للوطن أن الرابطة التي تجمع المواطن بوطنه تسموعن العالقات القبلية والعشائرية والحزبية، ولا خضوع فيها إلا لسيادة القانون وأن هذه الرابطة لا تنحصر في مجرد الشعور إنما تتجلى إلى جانب الارتباط الوجداني، في إدراك بالانتماء وما يطبع ذلك من عواطف، اوواعتقاد المواطن بأن هناك التزامات وواجبات نحوالوطن ال تتحقق المواطنة دون التقيد الطوعي [14] بها. ولا تتبلور في الواقع صفة المواطن كفرد له حقوق وعليه واجبات، بمجرد توفر ترسانة من القوانين والمؤسسات، التي تتيح للمواطن التمتع بحقوقه والدفاع عنها في مواجهة أي انتهاك، إنما كذلك بتشبّعها واستردادها إذا سلبت منه، اوذا المواطن بقيم المواطنة وثقافة القانون، التي تعني أن الاحتكام إلى مقتضياته هوالوسيلة

الوحيدة للتمتع بالحقوق وحمايتها من الخرق، وبالتالي لا مجال لاستعمال العالقات الخاصة مع ذوي النفوذ، أوالاحتماء بمركز الفرد في القبيلة أوالعشيرة، وهي ظواهر ما زالت حاضرة في الكثير من العقليات والسلوكيات داخل مجتمعنا المغربي والمجتمعات المتخلفة عموما .ويعني الولاء للوطن شعور كل مواطن بأنه معني بخدمة الوطن، والعمل على تنميته والرفع من شأنه، وحماية مقوماته الدينية واللغوية والثقافية والحضارية، والشعور بالمسؤولية عن المشاركة في تحقيق النفع العام، والالتزام باحترام حقوق وحريات الآخرين، واحترام القوانين التي تنظم علاقات المواطنين فيما بينهم، وعلاقاتهم بمؤسسات الدولة والمجتمع، والمساهمة في حماية جمالية ونظافة المدينة أوالقرية التي يقيم بها، وحماية البيئة فيها والمشاركة في النفقات الجماعية، والانخراط في الدفاع عن القضايا الوطنية والتضامن مع باقي المواطنين والهيئات والمؤسسات الوطنية في مواجهة الطوارئ والاخطار التي قد تهدد الوطن في أي وقت، والاستعداد للتضحية من أجل حماية استقلال الوطن، والذود عن حياضه، وضمان وحدته الترابية، والارتكاز ُ في ذلك على مبدأ عام يفترض أن يربط بين مختلف فئات المواطنين وهواعتبار المصالح العليا للوطن فوق كل اعتبار، وأسمى من كل المصالح الذاتية الخاصة والاغراض الفئوية الضيقة[15]. إنما يبقى الولاء للوطن لا ينحصر في المواطنين المقيمين داخل حدود التراب الوطني، او وجدان وضمير وسلوك المواطنين الذين تضطرهم الظروف للإقامة في الخارج، ولا مغادرة الوطن إلا لسبب من الاسباب، التي تعني التحلل من الالتزامات والمسؤوليات التي تفرضها المواطنة، وتبقى لصيقة بالمواطن تجاه وطنه الاصلي حتى ولواكتسب الجنسية في دولة أخرى .

ثانياً: الصور الجديدة للمواطنة: إضافة للمفهوم العام الذي سبق ذكره للمواطنة، اجتهد بعض علماء الاجتماع في حصر صور المواطنة الجديدة التي أبرزتها التطورات العالمية الراهنة، ومن أبرزهم جون يوري أستاذ علم الاجتماع في جامعة لانكستر في بريطانيا. وله دراسة مهمة منشورة عن العولمة والمواطنة ذكر فيها أن هناك صورا جديدة ابتدعت للمواطنة هي بإيجاز:

• المواطنة الايكولوجية أوالبيئية وهي تتعلق بحقوق والتزامات مواطن الارض .

•مواطنة الاقلية وهي تتضمن حقوق الدخول في مجتمع ما والبقاء في هذا المجتمع .

•المواطنة الكوزموبوليتانية وهي تعني كيف ينمي الناس اتجاها إزاء المواطنين الاخرين والمجتمعات والثقافات الاخري عبر الكوكب.

• المواطنة المتحركة: وهي تعني بالحقوق والمسئوليات للزوار إلى أماكن أخري ولثقافات أخري.

أهمية المواطنة في الحياة الانسانية: بما أن المواطنة تتناول المواطن بالدرجة الاولى باعتباره الهدف الاسمى من عملية الاصلاح وأن استقرار الوطن وتنميته لا يتحقق إلا من خلال إصلاح أولى لبنة من لبنات تحقيق الوحدة الوطنية ألا وهوالفرد ومن هنا تأتي أهمية المواطنة في الحياة الانسانية. والمواطنة كمبدأ اجتماعي وقانوني وسياسي أسهم في تطور المجتمع الانساني بشكل كبير إضافة إلى الارتقاء بالدولة إلى المساواة والعدل اوالى الديمقارطية والشفافية، والانصاف والشراكة الحقيقية وضمان الحقوق والواجبات. وعليه؛ فهي ذات أهمية بمكان منها:

•تعمل على رفع الخلافات ومظاهر الاختلافات الواقعة بين مكونات المجتمع في سياق التدافع الحضاري، وتذهب إلى تدبيرها في إطار الحوار بما يسهم في تقوية لحمة المجتمع .

•تحفظ للمواطن حقوقه، وتوجب عليه واجبات تجاه غيره من المواطنين وتجاه دولته، بمعنى أنها تحفظ للدولة حقوقها تجاه المواطنين. وتؤدي إلى رفع الثقة بين المواطن والدولة كل منهما تجاه الاخر.

• تضمن المساواة والعدل والانصاف بين المواطنين أمام القانون، وأمام الوظائف العامة والمناصب في الدولة، وأمام المشاركة في المسؤوليات على قدم المساواة، وأمام توزيع الثروات العامة، وكذلك أمام الواجبات.

تعترف بالتنوع والتعدد العقائدي والعرقي واللغوي والديني والسياسي والثقافي والطائفي والاقتصادي والاجتماعي...الخ وترتفع عنه في العالقة بين المواطن والدولة .

•تمِّكن المواطن من تدبير الشأن العام من خلال النظام الانتخابي ناخبا ومنتخبا للمؤسسات المنتخبة التي تعبر عن دولة القانون والمؤسسات. ومن خلال العضوية في منظمات وهيآت المجتمع المدني .

•تحدد منظومة القيم والسلوك لاكتساب المواطنة والتربية عليها .

•تضمن حقوق الانسان في المجتمع والوطن والدولة؛ لكونها تنتقل بالحق الانساني إلى حق المواطنة عبر تشريعه وتقنينه .كما أن الاهتمام بقضية المواطنة يفرضه تزايد المشكلات العرقية والدينية المنتشرة على رقعة. والمتتبع لتاريخ المواطنة سيجد أنها [16] واسعة من أقطار العالم وتفجر العنف والابادة الدموية كانت نتيجة لثالثة تحولات متداخلة ومتكاملة مرت بها التغيرات السياسية وهي:

•إرساء حكم القانون واقامة دولة المؤسسات.

• المشاركة السياسية وتداول السلطة سلمياً.

•تكوين الدولة القومية. والمواطنة إنجاز بشري وبغض النظر عن تاريخه العميق إلا أن تنمية المواطنة بمفهومها السابق إنما هوانتاج بشري خاضع لأمرين في غاية الاهمية لا يكتب للمواطنة النجاح بدونهما :

الاول: المشاركة في الحكم من خلال عملية ديمقراطية تقوم على أساس مشاركة الفرد في ممارسة حقه العام في التر شيح والتصويت.

الثاني: المساواة بين جميع أبناء الوطن في ضمان الحقوق وأداء الواجبات.

مما سبق يتبين لنا أن تحقيق مبدأ المواطنة يسهم في رفع مستوى الاستقرار في الدول حتى تعرف باسم(دولة المواطنة) وتعني: الدولة القائمة على أساس مدني ومصدرها يستند على الشرعية وأليات ممارسة السلطة فيها آليات ديمقراطية تستند على عقد اجتماعي (دستور مدني) تراعي المساواة والحريات العامة، وتنظم

الحقوق والواجبات وتستند في بقائها واستمراريتها على المشاركة والمشاورة الواسعة للمواطنين .[17]

وهكذا كلما ارتبط مفهوم المواطنة بمصلحة الانسان وتحقيقه لمقاصده العامة ظهرت أهميته في الحياة الانسانية أكثر كيفما المجتمع الذي تنسج فيها المواطنة خيوط تأثيرها على البشر.

أ- دور المدرسة والاسرة في ترسيخ وتعزيز قيم المواطنة عند المتعلمين: مما لا شك فيه أن الحديث عن دور المدرسة في المجتمع أمر لا ينفيه أي كان وان اختلفت الرؤى، فالمدرسة كمؤسسة تقوم على ترسيخ مجموعة من القيم الانسانية والأخلاقية بالأساس من خلال برامجها ومناهجها التربوية والتعليمية.

- إن المجتمع الذي يرغب في تعميم قيمه على كافة الفعاليات هو كذلك التي تتحول فيه المدرسة إلى مجتمع حقيقي مصغر يتدرب فيه التلاميذ على ممارسة حياة اجتماعية حقيقية تقوم على مسؤولية الفعل والكلمة، في جو مفعم بالديمقراطية والتضامن بشكل يجد فيه الطالب ما يشجعه على هذه الممارسة حتى يألفها ويتعودها وليس ذلك وحسب، بل يجب أن تكون البيئة المدرسية امتداد للبيئة الأسرية فيها يتم تعزيز مبادئ السلوك القويم وربط الفرد بمجتمعه ورفع شعوره بالولاء والانتماء إليه، وفيها يحصل تعلم النظام وحقوق الفرد وحقوق الآخرين، وعليه فإن بقاء المجتمع واستمراريته مرهونان بمدى تفاعله مع المؤسسة التعليمية لما تقوم به دور في توفير المعارف الأساسية للمتعلم، تلك المعارف التي تمكنه من إدراك مكانة دولته وعلاقتها بالعالم الخارجي، ووعيه بالمشكلات الرئيسية التي تواجه المجتمع، أما بخصوص أساليب وطرائق تدريس المواطنة، يمكن للمدرسة أن تعزز تربية المواطنة بتعزيز القيم والواجبات المدنية، وقد يتحقق ذلك من خلال [18]:

1-تعزيز الدروس حول القيم الوطنية من خلال صياغة الأدوار وفتح الحوار للقضايا العامة والأحداث الجارية.

2-تنظيم زيارات ولقاءات يتعرف من خلالها التلاميذ على واقع الوطن.

3-تنظيم برامج أعمال تطوعية واجتماعية مختلفة لخدمة الوطن والمواطن.

4-تحدي الواجبات التي تتطلب مشاركة التلاميذ في النشاطات السياسية والاقتصادية والاجتماعية خارج الصف الدراسي.

5-وضع مخطط زمني سنوي للاحتفال وتخليد المناسبات والأعياد الوطنية وحتى العالمية المرتبطة بقيم المواطنة والحقوق، وجعل المتعلم مؤطرا ومديرا لها.

ب- دور المدرسة

1- قيمة الإنتماء: يعتبر الانتماء شحنة وجدانية كامنة بداخل الفرد في المواقف ذات العلاقة بالوطن على مستويات ومجالات مختلفة، يمكن الاستدلال عليها من خلال مجموعة من الظواهر السلوكية الصادرة عن الفرد [19].

قيمة الولاء: يمثل الولاء للوطن قيمة جوهرية تدفع الفرد إلى تمثل هذه القيمة بشكل فعلي وتجعله يدافع عن هذا الولاء ضد أي خطر يهدده، وهذا ما يقع على عاتق ومسؤولية أسرة تعليمه لأبنائها ليصبحوا بإمكانهم أن يكونوا محبين لوطنهم ويدافعون عنه [20].

قيمة حرية التعبير واحترام الرأي الآخر: الحرية هي القدرة على اختيار ما نريد وعدمه فالشخص الحر هو الذي لا يقيده عائق إزاء ما يريد عمله، فتتاح له الفرص لتحقيق هدف معين واحترام الرأي الآخر.

ومن هنا يتضح دور الأسرة في غرس هذه القيمة لدى أبنائها لا سيما في الفترات المبكرة حتى تترسخ ويعمل بها في حياته اليومية أثناء مواجهته للآخرين في الحياة العامة [21].

قيمة المساواة: المساواة من اشهر المفاهيم الأخلاقية ومطلب الفرد في المجتمع، حيث أنها شكلت المحور الأهم والأساسي للعديد من النظريات الفلسفية قديما وحديثا.

والمساواة لا تعني أن يتساوى الناس في القدرات والاستعدادات والامكانيات لأن المخلوقات البشرية تختلف بتحصيلها واستيعابها وتقديم الواجبات الملقاة عليها لكنهم يتساوون بالحقوق المعطاة لهم كبشر وكمخلوقات انسانية، أما جوهرها أن يكون الناس متساوين في الأحكام والواجبات [22].

خاتمة: من خلال ما سبق نجد أن المواطنة تلعب دورا فعالا في تحقيق مفاهيم التنمية داخل المجتمع، في كل الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

ومن هذا فقد تم في هذه الدراسة تسليط الضوء على دور المدرسة والأسرة في غرس قيم الاعتزاز برموز السيادة الوطنية والافتخار بالانتماء الحضاري والثقافي والمحافظة على القوانين، والالتزام والتمسك بالعادات والتقاليد والقيم مع حب الوطن والتضحية من أجله.

المراجع:

- الديمقراطية والمساواة، ايريك كيسالسي، ص 53، ترجمة جهيدة الونـــد، الطبعـــة الاولى، عام 6002، معهد 12 الدراسات الاستراتيجية، بغداد.
- العدالة مفهومها ومنطلقاتها، ص 35، أبوبكر على محمد امين، طبعة عـــام 6040 دار الزمان، دمشق
- https://glolo.wordepress.com
- ابراهيم ناصر، المواطنة، دار المكتبة الرائد العلمية، ط1. 2003. ص 45.
- إشكالية المواطنة في الفكر السياسي المعاصر، د. ئوميد، ص 11
- اشكالية المواطنة في الفكر السياسي المعاصر، د. ئوميد ص 12.
- بتـــــــاريخ http://acpss.ahram.org.eg/ahram/2001/1/1/RARB46.HTM: الرابط على والاستراتيجية
- بيان من أجل الديمقراطية، برهان غليون، ص 41، الطبعة الخامســـة عـــام 6002 المركز الثقافي العربي، بيروت
- الديمقراطية والمساواة، ايريك كيسالسي، ص 13، مرجع سابق.
- على عبد الواحد وافي. الحرية في الاسلام، دار المعارف. القـــاهرة. ط3. 1986. ص 91.
- لسان العرب – ابن منظور – دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة الثانيـــة – 1413هـــ 1993 – ج 41 ص.113
- م21/42/2441
- محمد منير حجاب، المعجم الإعلامي، دار الفجر للنشر، ط1. القـــاهرة. 2004. ص 93. 94.
- معجم اللغات اللغوية المعاصرة – محمد العدناني – مكتبة لبنان – بيروت – طبعـــة عام 4141هـــ 4931م – ص 521، وانظر :التعريفات للجرجاني ص 125، والكليـــات للكفوي ج1 ص: 12.
- مغاربة العالم، الانتماءات والمشاركة: رهان المواطنة، مداخلة عبد الحـــي المـــودن المجلس الاستشاري لحقوق الانسان، الرباط 2 –1 يونيو2445 ص: 2.
- مفهوم المواطنة في الدولة القومية – على الكواري – مجلة المســـتقبل العربـــي – مركز دراسات الوحدة العربية – السنة 2001 .-ص123–العدد264

-مفهوم المواطنة في الدولة القومية – على الكواري – مجلة المستقبل العربي – مركز دراسات الوحدة العربية – السنة2001 . العدد.264. ص113

- المواطنة حقوق وواجبات، سعيد عبد الحافظ، مركز ماعت للدراسات الحقوقية والدستورية، القاهرة ص. 2445 طبعة 44.

- المواطنة والتحديات المعاصرة، د. عبد الله محمد الفوزان، صحيفة عكاظ بتاريخ 1 مارس 2443 العدد: 2111 على الرابط:

- http://www.okaz.com.sa/okaz/osf/20080306/Con20080306178035.htm

- المواطنة والعولمة، السيد يسين، التقرير الاستراتيجي العربي، موقع مركز الاهرام للدراسات السياسية

- الموسوعة العربية العالمية –مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع – الرياض – طبعة 1996 –ص 311.

-موسوعة العلوم الاجتماعية – ميشل مان – تعريب عادل الهواري – سعد مصلوح – مكتبة الفالح – الكويت – طبعة عام 1404ه 1984 – ص 110.

الولاء والانتماء والمواطنة، د. حسن الموسوي، جريدة القبس تم النشر بتاريخ: -
2012/06/22http://www.alqabas.com.kw/node/85497

الهوامش:

[1] أنظر: لسان العرب – ابن منظور – دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة الثانيــة – 1413هـ 1993 – ج 41 ص.113

[2] معجم ألغالط اللغوية المعاصرة – محمد العدناني – مكتبة لبنــان – بيــروت – طبعــة عــام 4141هـ 4931م – ص 521، وانظر :التعريفات للجرجاني ص 125، والكليات للكفــوي ج1 ص: 12.

[3] انظر: موسوعة العلوم الاجتماعية – ميشل مان – تعريب عادل الهواري – سعد مصــلوح – مكتبة الفالح – الكويت – طبعة عام 1404ه 1984 – ص 110.

[4] -الموسوعة العربية العالمية –مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع – الريــاض – طبعــة 1996 –ص 311.

[5] المواطنة حقوق وواجبات، سعيد عبد الحافظ، مركز ماعت للدراسات الحقوقيــة والدســتورية القاهرة ص. 2445 طبعة 44.

[6] نظر: المواطنة والعولمة، السيد يسين، التقرير اإلستراتيجي العربي، موقــع مركــز اإلهــرام للدراسات السياسية

بتاريخ http://acpss.ahram.org.eg/ahram/2001/1/1/RARB46.HTM: الرابط على واالستراتيجية

م21/42/2441

[7] أنظر: مغاربة العالم، االنتماءات والمشاركة: رهان المواطنة، مداخلة عبــد الحــي المــودن المجلس الاستشاري لحقوق االنسان، الرباط 2 –1 يونيو2445 ص: 2.

[8] مفهوم المواطنة في الدولة القومية – على الكواري – مجلة المستقبل العربي – مركز دراســات الوحدة العربية – السنة 2001 .ص123–العدد264

[9] مفهوم المواطنة في الدولة القومية – على الكواري – مجلة المستقبل العربي – مركز دراســات الوحدة العربية – السنة2001 . العدد.264. ص113

[10] بيان من أجل الديمقراطية، برهان غليون، ص 41، الطبعة الخامســة عــام 6002، المركــز الثقافي العربي، بيروت

[11] -العدالة مفهومها ومنطلقاتها، ص 35، أبوبكر على محمد امــين، طبعــة عــام 6040، دار الزمان، دمشق

[12] -الديمقراطية والمساواة، ايريك كيسالسي، ص 53، ترجمة جهيدة الوند، الطبعة الاولى، عام 6002، معهد 12 الدراسات الاستراتيجية، بغداد.

[13] الديمقراطية والمساواة، ايريك كيسالسي، ص 13، مرجع سابق.

[14] إشكالية المواطنة في الفكر السياسي المعاصر، د. ئوميد، ص 11

[15] -أنظر: الوالء واالنتماء والمواطنة، د. حسن الموسوي، جريدة القبس تم النشر بتاريخ: 2012/06/22 :http://www.alqabas.com.kw/node/85497الرابط عل

[16] المواطنة والتحديات المعاصرة، د. عبد الله محمد الفوزان، صحيفة عكاظ بتاريخ 1 مارس 2443 العدد: 2111 على الرابط:
http://www.okaz.com.sa/okaz/osf/20080306/Con20080306178035.htm

[17] اشكالية المواطنة في الفكر السياسي المعاصر، د. ئوميد ص 12.

[18] https://glolo.wordepress.com

[19] محمد منير حجاب، المعجم الإعلامي، دار الفجر للنشر، ط1. القاهرة. 2004. ص 93. 94.

[20] ابراهيم ناصر، المواطنة، دار المكتبة الرائد العلمية، ط1. 2003. ص 45.

[21] على عبد الواحد وافي. الحرية في الاسلام، دار المعارف. القاهرة. ط3. 1986. ص 91.

[22] علي عبد الواحد وافي، مرجع سابق، ص 99.

المواطنة اللغوية في المجتمع الجزائريّ من خلال فن الجداريّة
دراسة وصفيّة لكتابات جداريّة بالجزائر العاصمة

أ/ فاتح قدور - جامعة الجزائر2

أ/ دليلة قدور -جامعة الجزائر3

مقدمة:

ارتبطت المواطنة في المجتمعات المعاصرة بالعلاقة التعاقدية التشاركية بين الفرد ودولته وبما تتضمنه من واجبات وحقوق وهذا في إطار مناخ ديمقراطي يعزز مهارات الاتصال والتواصل مع الآخرين على المستوى العالمي.

إلا أن حق المواطنة اليوم واقع أمام تحد جديد في غمرة الثورة المعلوماتية عرف بتيارات العولمة من خلال سعي الدول الكبرى لتحقيق الغزو الثقافي الفكري وفرض ثقافاتها على ثقافة الدول النامية، ومنها الدول العربية التي تواجه العديد من مظاهر الاضطراب والتوتر في استهداف هويتها الثقافية بما فيها اللغوية باعتبارها مكونا أساسا للهوية العربية.

من هنا، تبرز أهمية تنمية ثقافة المواطنة وعدم التهاون في معالجة مخاطر العولمة والتخفيف من ظواهرها السلبية خاصة فيما تعلق بإلغاء سيادة اللغات الوطنية.

نأمل أن يساهم هذا الملتقى الوطني في موضوع المواطنة اللغوية ودورها في تعزيز سبل التعايش السلمي بين اللغات الوطنية في الجزائر في تقديم رؤى جديدة من أجل تجسيد فعلي لمواطنة لغوية تساعد على تحقيق التنمية المستدامة.

لعل الوقوف عند كيفية تجسيد المجتمع الجزائري لمفهوم المواطنة اللغوية من خلال نماذج جدارية أنجزت على هامش الحراك السلمي الشعبي بالجزائر في الفترة الممتدة من شهر فيفري إلى شهر أفريل الماضيين، سيفيدنا في التعرف على تمثلات مفهوم المواطنة اللغوية لدى الفرد الجزائري بشكل عام، ومن ثم تشخيص واقعها في الحالة الجزائرية للخروج بمقترحات تسهم في الحفاظ على مكتسبات

أمتنا وهويتنا الوطنية في عصر أصبح الشباب بفضل التكنولوجيات الحديثة أكثر وعيا وأكثر جرأة في التعبير عن مطالبهم من أجل تفعيل المواطنة.

مشكلة البحث:

إن طبيعة الفضاء اللغوي الجزائري يتسم تارة بالتعقيد وبالتعدد تارة أخرى فضاء شكلته عوامل عدة تاريخية، سياسية، جغرافية، تكنولوجية..أبعد اللغة العربية الفصحى عن كونها لغة تواصل يومي، حيث نجد المتكلم يوظف ذخيرته اللغوية كاملة العامية والفصحى واللغة الأجنبية، إذ المهم عنده تحقيق حصافة في التبليغ ونجاح في التواصل.

ولأن المجتمع الجزائري، كغيره من المجتمعات العربية عامة، يتأرجح في علاقته باللغة العربية بين الإنجذاب والنفور، ومرد ذلك لطبيعة تكوينه، ثقافته المحيط الاجتماعي الذي ينتمي إليه والمواقف التي يتعرض لها، وأسباب أخرى يمكن التوصل إليها من خلال دراسة العلاقات الأسرية، الإجتماعية، المهنية التجارية ووسائل الإعلام، وهي مجالات تشكل كلها مجالا خصبا لدراسة واقع الممارسة اللغوية ومدى ارتباطها باللسان الوطني.

وإذا كان للمنطوق حظه من دراسات الباحثين، فالمكتوب هو الأخر يحتاج لبحوث معمقة خاصة فيما تعلق بالفن الجداري الذي يعد أحد الوسائل التي لها قدرة على تحقيق التفاعل الاجتماعي مع المحيط والتعبير عن ثقافة الشعوب، والمجتمع الجزائري هو أحد هاته المجتمعات المهتمة بالفن الجداري قصد توصيل حمولة ثقافية ما.

ومع ازدياد شيوع هذا الشكل من التعبير، لاحظنا مؤخرا في شوارع الجزائر تزامنا والحراك الشعبي السلمي استغلال الشباب للكثير من المساحات الجدارية للتعبير عن المطالب التي يطمح الشعب إلى تجسيدها، موظفين في ذلك لغات متعددة ولهجات وأحيانا هجينا لغويا.

والملاحظ أن الكتابة على الجدارن في بلادنا لم تنل حظها الكافي من الدراسات لاعتبارها لدى البعض ظاهرة دخيلة على المجتمعات العربية وتصنيفها ضمن

الاضطرابات السلوكية فهي لا تعدو كونها مجرد خربشات، حري بنا البحث عن المدلولات اللغوية لهاته الكتابات لاسيما المنجزة بطريقة حرة وغير رسمية.

وعليه نطرح السؤال الآتي: ما مدى استعمال اللغة العربية الفصحى في مجال الفن الجداري في ظل تجليات العولمة البارزة في مجال الصورة أكثر من مجال المكتوب، وماهية الوظائف التي حملتها هاته الكتابات الجدارية ؟

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة لتحقيق الآتي:

1. إبراز مفهوم المواطنة بشكل عام واللغوية بشكل خاص
2. التعرف على أهمية المواطنة من خلال الوقوف عند أبعادها
3. تأكيد دور الفن الجداري في قراءة الواقع اللغوي بالجزائر

أهمية الدراسة:

1. تكمن أهمية الدراسة في معالجتها موضوعا في غاية الأهمية يتعلق بممارسة المواطنة اللغوية في المجتمع الجزائري من خلال الفن الجداري حيث يعتبر من الموضوعات الجديرة بالاهتمام لكونه مرآة عاكسة لثقافة المجتمع.

2. تركز على الكتابات الجدارية التي تمخضت عن الحراك السلمي الشعبي في الجزائر؛ والذي يسوق البلاد إلى مرحلة جديدة تحمل متغيرات جديدة.

3. من المتوقع أن تقدم هذه الدراسة تغذية راجعة لأصحاب القرار عن الاستعمال اللغوي في الجزائر مما يساعدهم على الاستفادة وتكييف بعض المعطيات ليكون لها محل في المناهج التربوية، فضلا عن معرفة طموحات فئة الشباب على وجه خاص معول نهضة أمتنا.

حدود الدراسة: تنحصر حدود البحث في ما يأتي:

الحدود الموضوعية: تمثلت حدود الدراسة موضوعيا بأنها ركزت على مفهومي المواطنة والفن الجداري والعلاقة بينهما، والوظائف التي أدتها الكتابات الجدارية.

الحدود المكانية: اشتمل حيز الدراسة على بعض الكتابات الجدارية الواقعة بالجزائر العاصمة.

الحدود الزمانية: في الفترة الممتدة من شهر فيفري إلى شهر أفريل من العام 2019

منهجية الدراسة:

نوع الدراسة:

تندرج الدراسة ضمن الدراسات الوصفية:" التي تقدم معلومات وبيانات ذات قيمة علمية وسريعة الفائدة عن الظواهر والأحداث والأشياء، والتي من شأنها أن تؤيد ممارسات قائمة أو ترشد إلى سبل تغييرها نحو ما ينبغي أن تكون عليه."[1]

المنهج المطبق:

لقد اعتمد في الدراسة على المنهج الوصفي في بعده التحليلي، والذي يعني: "وصف ظاهرة معينة ماثلة في الموقف الراهن، فيقوم بتحليل خصائص تلك الظاهرة والعوامل المؤثرة فيها".[2]، وقد جاء استخدام المنهج الوصفي عند تعريف الجداريتين، أما البعد التحليلي فلقد وظفناه في تحليل طبيعة اللغة المستعملة في الكتابات الجدارية.

أدوات جمع البيانات:

فيما يخص أدوات جمع البيانات، فقد تم استخدام كل من: الملاحظة والمقابلة

الملاحظة العلمية: "تعتبر من أهم أدوات البحث العلمي، لكونها تتيح للباحث تفحص الجوانب المبحوثة

في الظاهرة عن قرب، في إطار ظروفها الطبيعية العادية غير المصطنعة بفعل أن عملية المشاهدة تجري في بعض الحالات دون أن يعلم المبحوثون أنهم محل فحص وأن تصرفاتهم موضوع مراقبة".[3]

وقد تم توظيف الملاحظة المباشرة التي تقوم على ملاحظة سلوك معين من خلال اتصال الباحث مباشرة بالأشخاص أو الأشياء التي يدرسها.[4] وقد تم استخدامنا لها في ملاحظة سلوكات الشباب خلال انجازهم لجداريات فنية.

المقابلة العلمية: اعتمدنا على المقابلة باعتبارها تقنية مباشرة للتقصي تستعمل من أجل مساءلة الأفراد بكيفية منعزلة بهدف أخذ معلومات كيفية[5].

و قد كان نوع المقابلات الذي اعتمدنا عليها المقابلة غير المقننة، وهي التي يستخدم فيها الباحث أسلوب الأسئلة الحرة غير الموجهة لجعل المبحوث يسترسل في الكلام، لإعطاء مزيد من المعلومات والبيانات.[6] وفي دراستنا وظفناها في تحليل مدلولات الكتابات الحائطية.

مجتمع الدراسة: تمثل مجتمع الدراسة في الجداريات المنجزة بالجزائر العاصمة على هامش الحراك السلمي الشعبي بالجزائر.

عينة الدراسة: تم أخذ عينة قصدية تمثلت في جداريتين على مستوى كل من شارع دزيري عبد الكريم وحمداشي محند ايدير الواقعين بوسط العاصمة الجزائرية، وقد تم اختيارهما من منطلق قربهما من ساحة البريد المركزي التي أصبحت معقلا للتظاهر السلمي من مختلف ولايات الوطن.

تحديد المصطلحات:

فن جداري: من الناحية الاصطلاحية

الفن الجداري: يعتبر من أقدم الفنون التي عرفتها البشرية، وهذا ما أكدت عليه الرسوم التي وجدت في الكهوف، حيث تعتبر هذه الرسوم الجدارية بمثابة وثائق تاريخية تزودنا بمعلومات قيمة عن تاريخ الفن والأديان والعبادات والطقوس فيما سبقنا من عصور وأزمنة. وهما نوعان [7]:

الجداريات الداخلية: تعرفها (قدح، 2006) بأنها تلك الجداريات التي تنفذ داخل المبنى المعماري وتحقق عضوية للمكان أيا كان: منزل أو فندق، مستشفى أو مؤسسة تعليمية وغيرها ويمكن أن تنفذ على الأسقف والجدارن.

أما الجداريات الخارجية: فهي الجداريات التي تنفذ في الأماكن الخارجية المفتوحة، فتشغل جدار المكان كله أو أحد الجدران سواء في الشوارع أو الحوائط الخارجية للمباني.

كما يمكن تعريفه: بأنه ثمرة من ثمرات الحضارات العريقة المنقرضة التي ابتدعها الإنسان منذ القدم، للتعبير عن حياته ونمط معيشته في تلك الحقبة الزمنية وصولا إلى العصر الحديث أين تطور هذا الأخير واتخذ شكلا جديدا له لغة خاصة ذي صبغة اجتماعية تواصلية تفاعلية[8].

فن جداري: من الناحية الإجرائية

نقصد به الجداريات الخارجية التي نفذت بطريقة غير رسمية على مستوى السلالم بالشوارع العامة.

مواطنة لغويا:

من المصدر واطن يواطن وفعله المجرد وَطَنَ يطن

جاء في المعجم الوسيط: واطن القوم عاش معهم في وقت واحد

المواطنة في اللغة العربية: منسوبة إلى الوطن، وهو المنزل الذي يقيم فيه الإنسان والجمع أوطان، ويقال وطن بالمكان وأوطن به أي أقام، وأوطنه اتخذه وطنا، وأوطن فلان أرض كذا، أي اتخذها محلا ومسكنا يقيم فيه. [9]

مواطنة اصطلاحا: المواطنة في الاصطلاح [10]:"هي صفة المواطن الذي له حقوق متساوية في المجال المدني والسياسي والإجتماعي والاقتصادي حق التعليم وحق الرعاية الصحية وحق الشغل وحق الجنسية وحق التنقل...و عليه واجبات تفرضها طبيعة انتمائه إلى وطن؛ واجب الولاء للوطن والدفاع عنه وواجب أداء العمل وإتقانه وواجب دفع الضرائب مع إمكانية المشاركة في السلطة والقرار والمراقبة."

وقد عرفها السويدي بأنها " صفة الفرد الذي يتمتع بالحقوق ويلتزم بالواجبات التي يفرضها عليه انتماؤه إلى مجتمع معين في مكان محدد، وأهمها واجب الخدمة العسكرية وواجب المشاركة المالية في موازنة الدولة، وهي شعور الفرد بحبه لمجتمعه ووطنه واعتزازه بالانتماء إليه، واستعداده للتضحية من أجله وإقباله طواعية على المشاركة في أنشطة وإجراءات وأعمال تستهدف المصلحة العامة"

أما بدوي فعرفها بأنها:" صفة المواطن التي تحدد حقوقه وواجباته، وتتميز المواطنة بنوع من الولاء للبلاد ووحدتها في أوقات السلم والحرب والتعاون مع المواطنين الآخرين في تحقيق الأهداف القومية".

و قدمها ماك دونال بأنها:" مجموعة من الممارسات الديناميكية التي تشمل الممارسات السياسية والمدنية والقانونية والثقافية والتربوية، والتي تكون مع مرور الوقت نتيجة للحركات الإجتماعية والسياسية والقوى الفكرية."

فللمواطنة تعاريف عديدة تناولها العلماء والباحثين كل حسب اتجاهه واختصاصه[11]: تعني حسب

أما "القباج محمد" يعرفها على أنها:" وصف سياسي لأفراد المجتمع المنضويين تحت دولة وطن تتبنى الاختيار الديمقراطي، فهي وضعية تسمو على الجنسية وتجعل العلاقة مع الدولة علاقة شراكة في الوطن، وعلاقة تشاركية غير تبعية كما كان الشأن في الأنظمة الاستبدادية والإقطاعية التي يعتبر فيها الأفراد رعايا لا مواطنين."

يرى " باكر مصطفى" أن المواطنة تصنف ضمن ثلاثة مستويات: مدنية وتشمل الحقوق والحريات العامة.

سياسية: وتتضمن مختلف أوجه المشاركة السياسية.

اجتماعية: وتحتوي على حق الفرد في الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية والأمن.

فيما أقرن "نجيب كمال" المواطنة بالثقافة قائلا :" القوة الحقيقية للمواطنة تكمن في ثقافة المجتمع، إذ أن قيم المواطنين وعلاقاتهم الاجتماعية ومفاهيمهم المتصلة بقضية المواطنة وحقوقها... تمثل الشرط الأساس لتأمين هذه الحقوق.

نستنتج أن تعاريف المواطنة ارتبطت بالفترة الزمنية لصاحبها وبخلفياته الثقافية والإيديولوجية، كما أن المفهوم توسع وتعقد ما جعله يتجاوز العلاقة بين الحقوق والواجبات، ليصبح ثقافة وممارسات يومية، بل أسلوب حياة.

مواطنة إجرائيا:

نقصد بالمواطنة من الناحية الإجرائية علاقة الفرد الجزائـــري بلغتـــه العربيـــة الفصحى من خلال الكتابات الجدارية.

الدراسات السابقة:

يضم هذا الجزء بعض الدراسات ذات الصلة بموضوع المواطنة والفن الجداري بشكل عام، وهذا قصد الاستفادة من التراكم المعرفي الناتج عنها وتوظيفـــه فـــي موضوع دراستنا.

الدراسة الأولى: درجة تمثل قيم المواطنة لدى عينة من طلاب التعليم الثانوي والجامعي للباحث زقاوة أحمد[12]

اهتمت الدراسة بموضوع المواطنة كنتاج لتمثلات اجتماعية ساهمت في بنائها المؤسسة التربوية ومختلف التحولات التي تحيط بالشباب، ولقد انحصرت الدراسة في التساؤلات الآتية:

ما درجة تمثلات عينة الدراسة من الشباب لقيم المواطنة وأبعادها؟

هل توجد فروق دالة احصائيا بين الجنسين (ذكور وإناث) في تمـــثلاتهم بقـــيم المواطنة؟

هل توجد فروق دالة إحصائيا بين عينة تلاميذ التعليم الثـــانوي وعينـــة طلبـــة الجامعة في تمثلاتهم لقيم المواطنة؟

ماهي تمثلات شباب عينة الدراسة لصفات المواطن الصالح والمـــواطن غيـــر الصالح؟

وقد تم اجراء هذه الدراسة في السداسي الثاني من الســـنة الدراســـية 2010 ــ 2011 واقتصرت على عينة من تلاميذ التعليم الثانوي بثانوية هـــواري بومـــدين وعينة من طلبة معهد العلوم الإجتماعية والإنسانية بـــالمركز الجـــامعي غليـــزان وشملت عينة مجموعها 150 طالبا وطالبة.

اعتمدت الدراسة على أداة الاستبيان لتحديد قيم المواطنة لدى عينة من التلاميـــذ الثانويين والطلبة الجامعيين.

ومن بين النتائج التي خلصت إليها نذكر منها: ضرورة العمل على صياغة منظومة قيم المواطنة تستوعب العناصر الرئيسة الفرد، الدولة، المجتمع، العالم.

تضمين البرامج التعليمية عناصر قيم المواطنة على رأسها قيمة الانتماء والولاء، القيام بدراسات استكشافية حول أثر متغير المنطقة الجغرافية والانتماء السياسي والديني على تمثلات المواطنة.

الدراسة الثانية: رؤية معاصرة لفن الجداريات في ضوء التقنية الرقمية[13]

ركزت الدراسة على تقديم مفهوم وأساليب واتجاهات الفن الجداري والرقمي مع تقديم رؤية معاصرة للفن الجداري الرقمي، مستمدة من مفردات التراث الشعبي السعودي وإعادة صياغتها للوصول إلى تصميمات شكلية مبتكرة للوحة الجدارية المعاصرة.

قامت الباحثة بإتباع المنهج الوصفي التحليلي والتجريبي، متوصلة إلى أن التطور العلمي والتقني في العصر المعاصر له الأثر الهام في تفسير الوسائط الشكلية المستخدمة في التعبير لإضافة معاني إنسانية يصعب على الوسائط التقليدية التعبير عنها بنفس الكفاءة والدقة، إمكانية تدعيم مفهوم الفنون الرقمية في اللوحة الجدارية والإفادة من ذلك في مجال دراسة الجداريات الرقمية المعاصرة.

الدراسة الثالثة: دلالات الكتابات الجدارية ــ دراسة سيميائية ــ شوارع بجاية أنموذجا[14]

تناولت الدراسة موضوع الكتابات الجدارية أو الغرافيتي باعتبارها ظاهرة اجتماعية من الظواهر التي لها علاقة وطيدة بالمجتمع من منطلق أنها تنتشر بين أحضانه، وتترجم كل قضاياه ومشاكله. أين طرحت اشكالية محورية توزعت عبر الأسئلة الآتية، ماذا نعني بظاهرة الكتابات الجدارية؟ وماهو تاريخها، أسبابها وأهم أشكالها؟ ما طبيعة الكتابة الجدارية؟ ماهي العوامل التي أدت إلى ظهورها وانتشارها؟ فيما تتمثل أهميتها؟ أنواعها ودلالاتها؟

اعتمدت الدراسة على المنهج السيميائي، وخلصت إلى أن ظاهرة الكتابة على الجدارن في عصرنا الحديث اتسمت بنوع من العنف الرمزي، في التعبير عن الرفض والاحتجاج والمعارضة.

إن عدد الكتابات المتواجدة على جدران الشوارع العامة والخاصة يدل على أن الفرد يفضل اللجوء إلى الجدران للتعبير عن انشغالاته ربما لما يمنحه هذا الفضاء من حرية تفوق الحرية التي تسمح بها شبكات التواصل الإجتماعي، أو ربما لأن فئة الكتاب على الجدران لا تملك وسائل التواصل العصرية في بيوتها لقلة إمكانياتها. أما من حيث دلالات العينة المدروسة من الكتابات الجدارية ومضمونها فهي ممارسة فردية حرة أكثر مما هي اجتماعية، وتمثل صوت من لا صوت له فيما يتعلق بالمسائل السياسية.

بعد استعراض بعض الدراسات السابقة التي لها صلة بموضوع دراستنا يمكن القول أنها زودتنا بمعلومات عن المواطنة بشكل عام، الفن الجداري والكتابات الحائطية، والتي ساهمت في تعزيز الجانب النظري لدراستنا على الرغم من اختلاف مقاربتها المنهجية المعتمدة وبيئات الدراسة.

من جهة أخرى، لم تقدم لنا الدراسات السابقة علاقة المواطنة باللغة واكتفت بقيم محددة دون أخرى، كذلك فيما يتعلق بدراسة الفن الجداري فلقد اهتمت بالجداريات الرقمية دون غيرها من الأنواع، فيما ركزت أخر الدراسات على المنهج السيميائي في تحديد السمات المعجمية وفي تصنيف الجمل والنصوص في حقول مفهومية.

1/ المواطنة اللغوية: مفهوم وأبعاد

إن مفهوم المواطنة من المفاهيم التي دار حولها الجدل والاختلاف، ومن ثم فمن الصعوبة إيجاد تعريف جامع مانع يشمل جميع التيارات والآراء، وهذا يرجع لزاوية التناول وثقافة وتخصص من يتحدث عنها.

و لأننا أشرنا سلفا لبعض التعريفات السابقة للمواطنة بشكل عام، سنتطرق في هذا المقام للمواطنة اللغوية التي يعرفها الدكتور "صالح بلعيد"[15]: على أنها استعمال

اللسان الوطني في كل المؤسسات والأماكن العامة، وفضاء المصالح الإدارية، كما أنها فضاء لغوي ممتد تأخذ فيه اللغة الرسمية النصيب الأوفى، انطلاقا من أن تربية المواطنة تحصل أولا باللغة الرسمية وتتعزز بنقل المفاهيم الوطنية للطفل وبث الوعي بتاريخ الوطن وإنجازاته، والا هتمام بمختلف الأنشطة الثقافية وخاصة تلك التي تسمح في الغالب بإرساء علاقة مميزة بين المواطنين وثقافتهم الوطنية في إطار فضاء وطني جديد متجدد يتجنب العزلة والانكفاء، ويحارب التعصب والشوفينية، ويؤسس للاندماج والوحدة على قاعدة الديمقراطية واحترام التعدد وصيانة حقوق الإنسان.

ومن ثم، فإن المواطنة اللغوية تحتاج إلى تجسيد فعلي في حق التلميذ في تعلم لغته، وحقه في استعمال لغته وإدخالها إلى منظومة اللغات الحية، وحقه في آن تدافع مؤسسات الدولة على نيل المرتبة التي تستحقها كلغة رسمية/ وطنية، وتسن القوانين العاملة على احترامها.

مما يلاحظ، أنه رغم سن القوانين والنصوص التشريعية القاضية بتعميم استعمال اللغة العربية إلا أنها لم تعزز بالإمكانيات الكفيلة برقيها إلى أداة للبحث العلمي التكنولوجي، وهنا نتساءل إذا كانت العربية تعد في السياق الجزائري كأحد مقومات الهوية، فلماذا تبقى في نظر البعض وتصورهم غير صالحة لرقي الفرد الإجتماعي؟

وإنه ليجوز لنا اليوم أن نذهب إلى القول بأن السياسة اللغوية للجزائر لم تبن على التفكير العلمي العقلاني للواقع اللغوي للبلاد وللأسف ظلت دوما موضوع جدال انفعالي جدا، الأمر الذي حال دون بلوغ رؤية حصيفة رصينة للواقع.[16]

أبعاد المواطنة : تتميز المواطنة بعدة أبعاد هي: [17]

البعد المعرفي ــ الثقافي: ونجد أن المعرفة هي الأساس والجوهر في نوعية المواطن الذي يسعى إليه المجتمع فهذه المعرفة هي الوسيلة الهامة التي من خلالها يمكن للمواطن أو الفرد بناء مهاراته وكفاءاته التي يحتاج إليها ويعتمد عليها في حياته اليومية.

البعد المهاراتي: والذي نقصد به كل من التفكير البنـــاء والهـــادف، التحليـــل والتشخيص وحل المشكلات المتعددة..إلخ، فلاشك أن هذه المهارات تمكن الفـــرد على العموم من التمييز بين مختلف المواقف والأمور وهذا ما يعطي طابع العقلانية والمنطق على مختلف أقواه وأفعاله وسلوكاته.

البعد الاجتماعي: هي الكفاءة الاجتماعية التي تعمل بشكل ناجع على التعـــايش بشكل فعال مع الأفراد الآخرين في المجتمع وخلق فرص التعاون والعمـــل علـــى إنجاز مختلف الأنشطة والأعمال المسندة بدون قسوة أو ملل.

البعد الانتمائي: والذي نقصد به البعد الوطني ويتمثل أساسا في عملية غـــرس انتماء الأفراد لمعتقداتهم، وثقافتهم لمجتمعهم وللوطن الذي ينتمون إليه.

البعد الديني: ويقصد به أيضا البعد القيمي والذي يتضمن على العموم كل مـــن المساواة والعدل والإحسان والتسامح والتعاون والتشاور.

البعد المكاني: والذي يقصد به ذلك الإطار المادي والإنساني الذي يعـــيش فيـــه الفرد وبمعنى أدق هو البيئة المحلية التي يتعلم فيها الفرد ويتعامـــل مـــع الأفـــراد الآخرين وطبعا يتوقف هذا الأمر على مجموعة المعارف والمواعظ التي يتلقاها.

2/ الفن الجداري وعلاقته بالمواطنة اللغوية

عرف الفن الجداري في الجزائر منذ ألاف السنين والدليل على ذلـــك كهـــوف الطاسيلي التي ترك عليها الإنسان تجاربه، ثم اختفى هـــذا الشـــكل مـــن التعبيـــر وظهر مع فترة الاستعمار لكن بحلة مغايرة تماما، حيث ظهرت كتابات ذات طابع رياضي تنافسي بين الأندية الرياضية، كما استخدم المجاهدون الجـــدار كوســـيلة لايقاظ وعي الجزائريين والكشف عن مؤامرات الفرنسيين، ثم ارتقى بعـــدها هـــذا الفن ليشمل حملات التوعية والمساندة الرياضية، لينتقل إلى الأوضاع الاجتماعيـــة العويصة التي اجتازتها الجزائر عقب الثورة وبعد الاستقلال.

وفي الآونة الأخيرة اتسم هذا الفن بإحاطته بكل مجالات الحياة وكافة نواحيهـــا الاجتماعية والنفسية وحتى العاطفية منها والجنسية، كما أضحى مشحونا بالدلالات الإيحائية بكلمات ترميزية أو جمل بسيطة معبرة.[18]

ومما تجدر الإشارة إليه، أن الفن الجداري يجسد بوضوح الواقع اللغوي الجزائري، لأننا نجد فئات من كافة الأعمار تتخذ من الجدار وسيلة للتعبير من خلال الاستعمال والممارسة اللغوية بمختلف الأنماط اللغوية السائدة في الاستعمال اليومي: العربية الفصحى، الدوارج، اللغات الأجنبية وكذا ما اصطلح عليه بالهجين اللغوي، والذي يشكل نوعا من الاغتراب الثقافي، المؤثر سلبا على توافق الفرد مع محيطه وثقافته ولغته، [19] ومن ثم على مواطنته بشكل عام.

وعليه، سنبرز من خلال الجانب التطبيقي لهاته الدراسة، مدى ارتباط الفرد الجزائري باللغة العربية الفصحى من خلال كتابات جدارية أنجزها في الأماكن العامة على هامش الحراك السلمي الشعبي الذي دحض الكثير من المسلمات الخاطئة عن شباب اليوم.

الجانب التطبيقي:

وصف المدونة وتحليلها:

هي عبارة عن عينة من الكتابات الجدارية تم التقاطها بواسطة الهاتف النقال على مستوى كل من شارع دزيري عبد الكريم وحمداشي محند ايدير بوسط الجزائر العاصمة، وقد تم جمع 200 كتابة من مختلف اللغات بغية معرفة مدى استعمال اللغة العربية الفصحى، واقتصرت على النصوص والجمل دون الكلمات الحروف والأرقام، وذلك لتسهيل استخراج المعنى والوظائف التي حملتها هاته الكتابات. ولقد اخترنا فئتي اللغة المستخدمة ووظائف الجمل والنصوص الواردة باللغة العربية الفصحى كوحدتين للتحليل حسب متطلبات الدراسة.

أولا: فكرة عامة عن الجدارية الأولى:

وهي الجدارية الواقعة على مستوى سلالم دزيري عبد الكريم والتي تم إنجازها في بداية شهر أفريل من قبل فريق من المتطوعين تم حشدهم عبر موقع الفايسبوك للقيام بحملة تنظيف وتزيين في نفس الوقت، متخطين كل الحواجز في محاولة لإحداث تغير مجتمعي دون انتظار دعم رسمي أو مقابل للجهد والوقت المبذولين ولقد انطلقت عملية الانجاز من مجرد اقتراح عرضته إحدى الطالبات لزميل لها

والذي بدوره رحب بالفكرة وتواصل مع جمع من أصدقائه عبر صفحة الفايسبوك فاستطاع ضم عشرة طلاب، إلى جانب مجموعة أخرى انخرطت مع الفريق أثناء ورشات العمل الميدانية، ليبلغ العدد الإجمالي للمنخرطين عشرين متطوعا بين طلبة وطالبات من مختلف الجامعات كجامعة الجزائر 1 و2 و3، باب الزوار والمدرسة العليا للأعمال، فضلا عن مشاركة بعض الشباب المتطوع من المارة.[20] الأمر الذي جعل الجدارية متناسقة من حيث الرسومات والكتابات، ومن ثم فمساهمتهم لم تكن اعتباطية وإنما تمت بالمشاورة والمحاورة أحيانا، بحيث لم يحد الواحد منهم عن المنحى الذي رسم في البداية دون أن يحد ذلك، فكانت الجدارية بمثابة تعليقات الفايسبوك وتغريدات التويتر.

عموما، انجاز الجدارية تم في جو سادت فيه معاني التضامن بين أصحاب المبادرة والجمهور العام، روح المسؤولية، الاحترام المتبادل بين المشاركين والمشاركات والحس الفني.

Avant
3 AVR. 2019

APRÈS
TO BE CONTINUED....

جدول رقم 1: يوضح طبيعة اللغة المستعملة في الجمل والنصوص الواردة بالجدارية الأولى:

العدد / الجمل والنصوص	التكرار	النسبة
باللغة العربية الفصحى	11	% 52,38
باللغة الإنجليزية	**2**	**%9,52**
باللغة الفرنسية	**7**	%33 ,33
باللغة المازيغية	1	%4,67
المجموع	**21**	**%100**

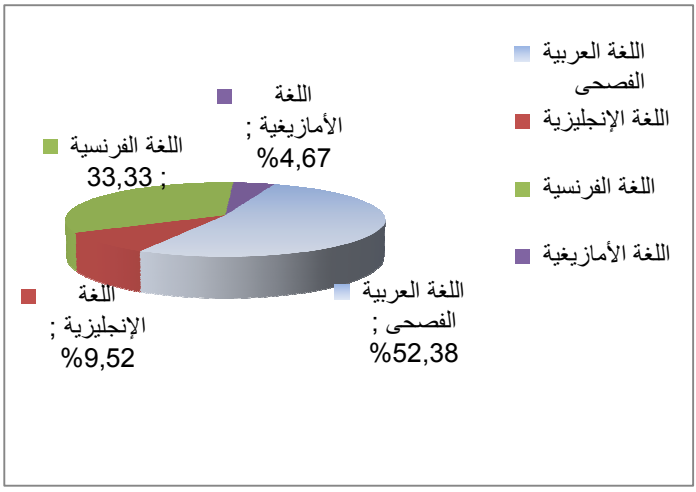

يتضح من القراءة الكمية لمعطيات الجدول رقم (1) أن نسبة الجمل والنصوص التي جاءت باللغة العربية بلغت نسبة أعلى قدرت ب 52,38%، تلتها اللغة الفرنسية بنسبة 33,33%، فاللغة الإنجليزية بنسبة 9,52%، واللغة المازيغية في أخر الترتيب بنسبة جد ضئيلة وهي 4,76%.

وبالقراءة التحليلية للمعطيات الإحصائية يمكننا إرجاع كتابة الجمل والنصوص باللغة العربية الفصحى إلى كونها مازالت محافظة على مكانتها في المجتمع الجزائري وتستعمل في مواقف خارجة عن النطاق التعلمي والتعليمي، وهذا يخالف الكثير من التوقعات ففي وقت مضى كانت الجداريات مجرد رموز، أو هجين وخربشات، أيضا حرص الشباب المجسد للجدارية على انتقاء اللغة التي تضفي الجانب الجمالي وتشعر كاتبها بالاستمرارية وأن كتابته لن تتلاشى ولو إلى حين، وهو ما عبر عنه أحد الشباب المتطوع "اثري أوبراهم" قائلا: إن الكتابة أبلغ من الصورة الرمزية.

كما نرد ارتفاع نسبة الجمل والنصوص الواردة باللغة العربية الفصحى لارتباط الطلبة بمقومات هويتهم، وهو ما أظهره الحراك السلمي بالجزائر الذي أحدث قطيعة بكل ما له ولاء غير مبرر لفرنسا.

و فيما يخص الجمل والنصوص التي جاءت باللغة الفرنسية فيمكن تفسير هاته النسبة إلى تمكن الطلبة من اللغة الفرنسية، فهي اللغة الأساسية لبعضهم في تكوينهم الجامعي، ويمكن أن نقول أن هذا التداول بين اللغتين العربية الفصحى والفرنسية مطرد في المدن الكبرى، لا سيما في العاصمة[21].

أما الكتابات التي جاءت باللغة الانجليزية، فمردها تفتح الطلبة على لغة التقنية والتكنولوجيا لما لها من مزايا معرفية وعملية تتجاوز الحدود الجغرافية، بينما ضآلة نسبة الكتابات التي جاءت باللغة المازيغية فربما تعلل بكونها لغة شفوية ولم يحسم بعد في مسألة الحرف الذي تكتب به، وقد تعكس النسبة البعد الضيق لمفهوم المازيغية لديهم كلغة محلية وانتفاء البعد الوطني للمسألة في تمثلاتهم.[22]

ثانيا: فكرة عامة عن الجدارية الثانية:

وهي الجدارية الواقعة على مستوى سلالم شارع حمداشي محند إيـــدير وســـط العاصمة، وهي الجدارية التي أنجزت شهر فيفري تزامنا والحراك السلمي الشعبي بالجزائر، بمشاركة سكان الأحياء المجاورة، ومـــن مختلـــف الفئـــات العمريـــة وجاءت كتاباتها غير متناسقة في الشكل ومتداخلة مع بعضها البعض على مساحتها الكبيرة مقارنة بالجدارية الأولى.

جدول رقم 2: يوضح طبيعة اللغة المستعملة في الجمل والنصوص الواردة بالجدارية الثانية:

العدد / الجمل والنصوص	التكرار	النسبة
باللغة العربية الفصحى	51	% 28,49
باللغة الإنجليزية	49	**%28,38**
باللغة الفرنسية	78	%43,57
باللغة المازيغية	1	%0,55
المجموع	**179**	**%100**

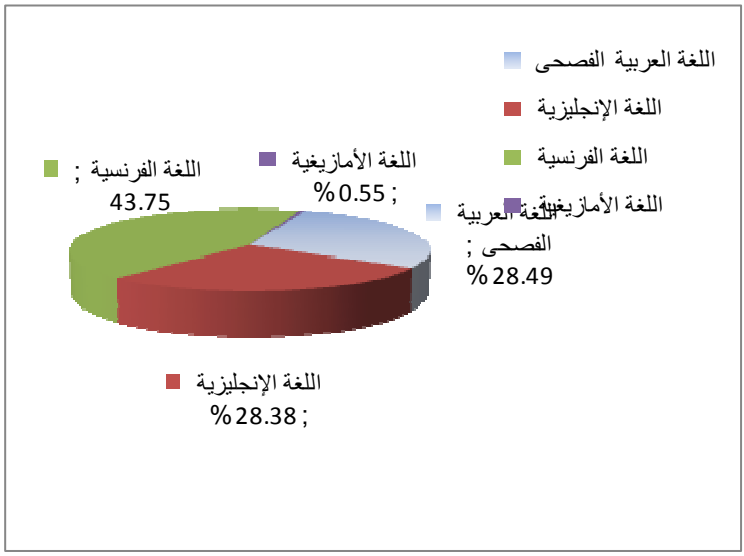

يتبين من القراءة الكمية لمعطيات الجدول رقم (2) أن نسبة الجمل والنصوص التي احتلت أعلى نسبة هي التي جاءت باللغة الفرنسية ب 43,57 % تلتها اللغة العربية بنسبة 28,49%، وهي نسبة متقاربة مع اللغة الإنجليزية بنسبة 28,38%، واللغة الأمازيغية جاءت في أخر الترتيب بنسبة 0,55%.

بالقراءة التحليلية للنسب الواردة، نرجع ارتفاع نسبة الجمل والنصوص التي جاءت باللغة الفرنسية لعدة عوامل منها: أن المشاركين في انجاز الجدارية هم من الميالين للثقافة الفرنسية الذين يجدون ضالتهم في تجسيد أفكارهم بهاته اللغة ولعلهم من سكان بعض الأحياء التي تعرف بذلك، وقد يكون من باب التمايز والسماح بإيصال رسالة أكثر إقناعا وأقل حمولة اجتماعيا[23]

أيضا، عامل تأثير جماعات الانتماء التي هي جماعات الحي بحيث تساعد على تنميط السلوك الاتصالي، هاته الجماعات التي تستند للاتصال المواجهي الذي يتميز بعدة خصائص منها:[24] زيادة ثقة الأفراد فيما بينهم ما يزيد من تحقيق التفاعل. وعلى الرغم من النسبة المرتفعة للجمل والنصوص التي جاءت باللغة الفرنسية إلا أن الملاحظ عدم تمكن المشاركين من قواعد هاته اللغة، نظرا للأخطاء الكثيرة الموجودة، يجعلنا نقول إن المدرسة الجزائرية لم تنجح نجاحا

كاملا في جعل اللغة الفرنسية لغة ثانية، ونحن نثمن فكرة جعل اللغة الإنجليزية لغة ثانية باعتبارها من لغة العصر، وهي فكرة قابلها البعض بالرفض لمصالح ضيقة.

وفيما يخص النسب المتقاربة التي جمعت اللغة العربية الفصحى واللغة الإنجليزية، فلعل ذلك يرجع لكون الجيل الحالي هو جيل الأنترنيت أو بالأحرى عصرنا اليوم هو عصر الإنسان الرقمي:[25] الذي من مميزاته استخدام الكمبيوتر والأنترنت بكفاءة عالية، وكذا التحلي بثقافة معلوماتية وهي ليست تقنية محضة بل ثقافة المجتمع الجديد.

أما ما تعلق باللغة المازيغية فنرجع غيابها لكونها مطبوعة في هويتنا ولعل الشباب لا يعطونها ذلك البعد السياسي الذي يوظفه البعض من أجل التفرقة لا على أنه تنوع ثقافي وهوية وطنية.

الجدول رقم (3): وظائف الجمل والنصوص الواردة على مستوى الجداريتين

العدد / وظائف الجمل والنصوص الواردة باللغة العربية الفصحى	التكرار	النسبة
الوظيفة السياسية منها : تواجهون جيلا يعرفكم جيدا وأنتم لا تعرفونه النصر أقرب من أعيننا تطبيق بيان 1 نوفمبر الاستقلال الجزائر امرأة عندها الحق تعاود حياتها	16	%25,80

فخامة الشعب ثورة الإبتسامة الشعب مربي والدولة خائنة ان أردتم دفننا فنحن بذور كتبنا فـــي حيط الشعب وفي بلادنا الحكم للشعب العهد الجديد الشعب هو السلطة		
الوظيفة الدينية القيمية منها: ثقافة نظافة فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا ابتسامتك هي الجنة بسم الحق العيش في سلام البر والإحسان الله أكبر اللهم صل وسلم على نبينا محمد وحدتنا هي قوتنا شعارنا السلم البر والاحسان العدالة الإلهية	16	%25,80
الوظيفة الجمالية الفنية منها:نتنفس حرية أزهر يا وطني أحلم بجزائر تحقق فيها الأحلام الجزائر حرة بأنغامها و لنا في الحياة خيال أيها المارون بين الكلمـــات لا تمـــروا بيننا كالحشرات الطائرة فلنا في أرضنا ما نعمل ولنا صوت الحياة الأول ولنـــا الماضي والحاضر والحاضر والمستقبل الحرية عيناك حلم الذي سيكون كبيرا	8	%12,90

كما يحلم المتعبون كبيرا كخير بـــلادي يداك تلوح للعائدين وتحمل خبزا إلـــى الجائعين أحب يديك وأكثر وأكثر.		
الوظيفة الإرشادية منها: لا تقطع يأس حرروا الصحافة نعم للشفافية الإعلامية كن أنت التغيير الذي تريد أن تراه لنعش سعداء نقي مخك لا تلمسي القصبة يا فرنسا اقبل بنصيبك لا بواقعك	10	%16,12
الوظيفة الوطنية الإجتماعية منها: شباب واعي شباب يبني الـــوطن مـــن الشعب إلى الشعب. تحيا الجزائر سلمية شبابية نحو الحرية جزائرنا حرة تحيا المرأة الجزائرية جزائر بلد الشهداء	12	%19,35
المجموع	62	%100

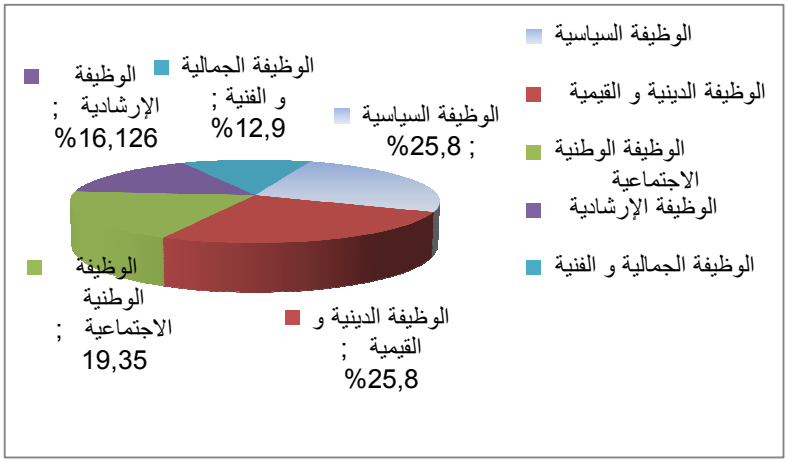

نلاحظ أن الكتابات الجدارية تحوي على شبكة من الرموز المتناسقة، جمعت بين الوظائف السياسية والدينية القيمية بنفس النسبة، تلتها الوظيفة الاجتماعية الوطنية، فالوظيفة الإرشادية وأخيرا الوظيفة الجمالية التي تساعد على إشباع الرغبات الجمالية والارتقاء بالذوق العام للمجتمع.

ومن ثم يمكن القول، إن النتائج المتوصل إليها من خلال هاتين الجدارتين تؤكد أهمية السياق السياسي الذي برزت فيه، وما نتج عنه من حراك شعبي ساهم بتعبير الدكتور ناصر جابي في إحدى محاضرته بالمركز الثقافي العربي بالجزائر العاصمة، في الانتقال من الشفوية إلى الكتابة ومن التحول السياسي إلى التحول الأخلاقي أيضا ومن الواحدية إلى التنوع في إطار الوحدة، فانتقل الفرد الجزائري من مجرد ساكن مستهلك إلى كائن سياسي. مع ذلك لا يمكن ربط الكتابات الجدارية بأنها استجابة آلية لمؤثر سياسي فقط لأنها أيضا ثمرة أبنية ذاتية حول النفس والآخرين والمتطلبات الاجتماعية للموقف، إلى جانب التفسيرات التي تقدمها وسائل الإعلام ومختلف مواقع التواصل الاجتماعي.

و في هذا السياق، أجمع ثلة من المتخصصين في علم النفس:[26] على أن مساهمة الشباب في إنجاز جداريات فنية له عدة جوانب إيجابية منها العمل على شحذ الهمم إرسال رسائل إيجابية للمجتمع من خلال الكلمات الطيبة، اكتشاف المواهب الخفية إضافة إلى تنمية الثقافة الذاتية لدى الناشئة بحيث تدفعهم للبحث عن تاريخهم وهويتهم

خاصة إذا كانت الجدارية تحمل أبعادا ثقافية. موضحين أن الرسم على الجدران هو أداة مهمة لفهم الأفراد لما لها من إسقاطات لمعاناتهم الداخلية أو المجتمعية والتي قد يكون وراءها من الإقصاء والتهميش، ومن ثم فعلى المختصين تحليل كتاباتهم ورسوماتهم للعمل على إيجاد سبل الإصلاح والمسارعة لفتح قنوات الحوار.

خلاصة: من خلال ما تم عرضه، يمكن القول في ختام مداخلتنا المتواضعة إن للفن الجداري أهمية كبرى في فهم تمثلات المجتمع الجزائري تجاه المواطنة اللغوية وهو ما حاولنا إبرازه من خلال الجداريات المختارة التي لم تكن ككل الجداريات لما فيها من الإبداع الجماعي فهي ليست لفرد تنسب إليه، ولم يبدع المشاركون فيها على وجل بل في النهار علنا؛ وقد خضعت هذه الجداريات لسياق سياسي وتميزت بالتعددية اللغوية فتارة بانتصار اللغة العربية الفصحى من خلال توليد المعاني واستطراد الأفكار عن طريق المجاز وتارة بتراجعها، رغم ذلك لا ننكر وجود البعد الانتمائي في الكتابات التي جاءت بغير اللغة الوطنية.

إن الإبداع الجداري فيه ما يسمى في علم النفس بالعصف الذهني باعتبار أن المشكلة هي الوضع الحساس الذي تمر به الجزائر والذي يبعث على التوجس الذي لا يمحو الأمل، فكان الجدار بمثابة مصب للأفكار والحلول والتصورات التي تطرح بكل عفوية، غير أن ذلك لا يعني أن هذه الجداريات ارتجالية بامتياز لأن فيها من التفكير المبيت، حيث إن الكاتب على الجدار قد يعدّ فكرة بناء على ما يجده من إسهامات المشاركين الآخرين في هذا الإبداع الجماعي، فيكون الجدار خاضعا لمفهوم نقدي أدبي وهو التناص، وذلك إذا اعتبرنا أن كل مشارك قدم نصا والنص غير مرتبط بمفهوم كمي.

فضلا عن ذلك، لا يمكن تجاهل الرموز والرسومات والألوان التي صاحبت الكتابات الجدارية من أجل تحليل سيميولوجي متكامل لما فيها من مدلولات عميقة.

وبشكل عام، يبقى ما توصلنا إليه يكتنفه النقص والمحدودية لتعقد الظاهرة اللغوية، ولكن حسبنا أن نفتح نوافذ لبحث مستقبلي نخوضه نحن أو يخوضه غيرنا.

و الحمد لله رب العالمين

المراجع

[1] جودت، عزت عطوي. أساليب البحث: مفاهيمه أدواته ــطرقه الإحصائية. الأردن: دار الثقافة 2009، ص 189.

[2] أحمد، بن مرسلي. مناهج البحث العلمي في علوم الإعلام والاتصال. ط4. الجزائــر: ديــوان المطبوعات الجامعية، 2010، ص:287

[3] أحمد، بن مرسلي, نفس المرجع السابق.ص 204

[4] جودت، عزت عطوي. نفس المرجع السابق. ص 123

[5] موريس، أنجرس. منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية: تدريبات علمية. ترجمــة بوزيــد صحراوي وأخرون. الجزائر: دار القصبة، 2004، ص 197.

[6] أحمد، بن مرسلي. نفس المرجع السابق. ص 216 (بتصرف)

[7] ندى بنت سعود، بن سعد الجريان. رؤية معاصرة لفن الجداريات في ضوء التقنيــة الرقميــة. ماجستير، جامعة أم القرى كلية التربية قسم التربية الفنية بالسعودية، 2013. ص ص 13 ــ34

[8] بوطغان، سهام. غنوشي كنزة. دلالات الكتابات الجدارية ــ دراسة سيميائية ــ شوارع بجاية أنموذجا. ماستر في اللغة العربية وآدابها. جامعة عبد الرحمان ميــرة بجايــة. 2016 ــ 2017 .ص 8 (بتصرف)

[9] غيات، بوفلجة. علي، لونيس, عبد الله، صحراوي وآخرون. إشكالية المواطنة في المدرسة الجزائرية. الجزائر: مخبر البحث في علم النفس وعلوم التربية، 2012، ص: 145

[10] المرجع نفسه، ص ص 56، 57

[11] غيات، بوفلجة. علي، لونيس, عبد الله، صحراوي وآخرون. نفس المرجع السابق، ص:11

[12] غيات، بوفلجة. علي، لونيس, عبد الله، صحراوي وأخرون. مرجع سبق ذكره

[13] ندى بنت سعود، بن سعد الجريان. نفس المرجع السابق

[14] بوطغان، سهام. غنوشي كنزة. نفس المرجع السابق

[15] بلعيد، صالح. في المواطنة اللغوية وأشياء أخرى. الجزائــر: دار هومــة، 2008. ص19 (بتصرف)

[16] خولة، طالب الإبراهيمي. الجزائريون والمسألة اللغوية: عناصر من أجل مقاربــة اجتماعيــة لغوية للمجتمع الجزائري. ط2. الجزائر: دار الحكمة، 2013، ص: 173 ــ 174 (بتصرف)

[17] غيات، بوفلجة. علي، لونيس, عبد الله، صحراوي وأخرون. مرجع سبق ذكره، ص ص: 24 ــ25 (بتصرف)

[18] بوطغان، سهام. غنوشي كنزة. نفس المرجع السابق، ص: 20

[19] بلعيد، صالح. في الأمـــن اللغـــوي. الجزائـــر: دارهومـــة. 2010. ص ص 219 ــ 228 (بتصرف)

[20] صابرين، راجف، صاحبة فكرة انجاز جدارية "دزيري عبد الكريم" طالبة بقسم الهندسة المدنية بجامعة الجزائر1. الجزائر(مقابلة) أفريل 2019

[21] خولة طالب الإبراهيمي. نفس المرجع السابق، ص 112.

[22] نور الدين، هرامي. خالد، مونة. ادريس، بن العربي وأخرون. الحركات الأمازيغية في شمال إفريقيا: النخب، أشكال التعبير والتحديات". الجزائر: منشورات الشهاب، 2019، ص 153.

[23] خولة طالب الإبراهيمي. نفس المرجع السابق. ص 111

[24] محمد، عبد الحميد.نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، ط2. مصر: عالم الكتب، 2000 ص 78

[25] محمد، لعقاب. المواطن الرقمي كيف ساعدت تكنولوجيا المعلومات الثـــورات العربيـــة. ط1 الجزائر: دار هومة. 2011، ص 29 (بتصرف)

[26] ناصر، الدين زبدي، دكتور من جامعة الجزائر2، عائشة. مبروك بايشي أستاذة من جامعـــة عمار ثليجي من الأغواط. نسيمة. أزرو، أستاذة محاضرة من جامعـــة الجزائـــر2. الجزائـــر (مقابلة) ديسمبر 2018.

الاقتراض اللّغويّ بين الأمازيغيّة والعربيّة من المثاقفة إلى الأمن اللّغويّ-محاولة للفهم

د/أبوبكر زروقي (أستاذ محاضر ب)

قسم الآداب واللغة العربية

ج. محمد خيضر- بسكرة

1. **إشكالية الدراسة:** تتحدد إشكالية الدراسة فيما يلي:

- كيف يتحدد مفهوم الاقتراض اللغوي في الوضع اللساني الجزائري؟.
- ما هي مظاهر هذا الاقتراض بين الأمازيغية والعربية؟.
- ما هي محددات الأمن اللغوي والسلم الثقافي في الحالة الجزائرية في ضوء هذا الاقتراض في الأفق اللغوي؟.

2. **فرضيات الدراسة:**

أ- **المحتوى:** محتوى هذه الدراسة هو "الاقتراض بين الأمازيغية والعربية وموجبات الأمن اللغوي".

ب-النماذج: تتحدّد نماذج الدراسة فيما يلي:

أولا- العلاقة بين الأمازيغية والعربية-إطلالة تاريخية.

ثانيا- مظاهر الاقتراض وبعض شواهده اللفظية ومخرجاته

ثالثا- ما يمكن أن نغنمه من ظاهرة الاقتراض من مثاقفة بين لغتين إلى انصهار متبادل يفضي إلى أمن لغوي

3. **أهداف الدراسة:** تتلخّص أهداف هذه الدراسة فيما يلي:

- معرفة القرائن التي من خلالها يتم الكشف عن حقيقة الاقتراض اللغوي وأسبابه العميقة وعوامله التاريخية والاجتماعية.

تمهيد: تتناول هذه المداخلة ظاهرة الاقتراض اللغوي بين الأمازيغية والعربية وذلك من الجوانب المعجمية اللفظية وكذا بعض القوالب التعبيرية والصيغ، باعتبار الظاهرة شكلا من أشكال المثاقفة بين اللغتين الوطنيتين والرسميتين للجزائر.

تطرح المداخلة إشكالية العوامل التاريخية والثقافية للتداخل بين اللغتين، وهل من الممكن أن يستحيل من مجرد مثاقفة إلى انصهار متبادل يفضي إلى الأمن اللغوي والسلم الثقافي المنشود.

أولا- العلاقة بين الأمازيغية والعربية-إطلالة تاريخية

عرفت اللغتان والثقافتان الأمازيغية والعربية مسارا تاريخيا في علاقة مثاقفة صلبة، وذلك منذ عهد الفتوحات الإسلامية ودخول العرب أفريقيا والمغرب الكبير وربما قبل ذلك إبان عهد الفينيقيين، ونظرا لكون العربية لغة الإسلام ومعدنه، فقد تفاعل البربر كثيرا مع الدين الجديد (الإسلام) واعتنقوه بحماس كبير رغم مقاومتهم له بادئ الأمر، حيث يذكر المؤرخون أن الفتوحات الإسلامية للمغرب استُكملت سنة 82هـ وبعدها بعشر سنين فقط، قاد البربر الحملة الإسلامية الكبرى لفتح الأندلس سنة 92هـ بقيادة طارق بن زياد بن ولغو بن ورفجوم النفزاوي البربري[1]، كما نجد بعد ذلك الكثير من الأحداث الحافلة الدالة على نصرتهم للدين؛ فهذا إسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأَوْرَبي البربري (ت 192هـ) الذي «ناصر إدريس الأول، وساعده على إقامة دولته في أُوليلي؛ مركز قبيلة أورْبَة البربرية»[2]، وغيرهم كثير.

كما تلقّوا اللغة العربية وعلومها وفنونها تلقيا حسنا، ولا أدلّ على ذلك من وجود كثير من علمائهم ومفكريهم ممن اشتغلوا بالعربية ونبغوا فيها وأجادوا، منهم ابن آجروم وابن مالك والمكودي وغيرهم، بل كان منهم الشعراء والأدباء منهم مثلا: أبو الطيب بن مَنَّ الله الهواري (ت473هـ) الذي كان أديبا وشاعرا وبليغا[3]، ومنهم من أجاد في علوم البلاغة العربية كعبد الله بن وَزَمَّر الصنهاجي (ت480هـ) صاحب كتاب "الحديقة في البديع"[4].

كما تفاعل العرب وثقافتهم ولغتهم بعد الفتوحات مع الأمازيغ تفاعلا إيجابيا من حيث ربط أواصر الصلة الاجتماعية والثقافية والسياسية، فربطوا صلاة القرابة والزواج والمصاهرة معهم؛ حتى إن المؤرخين قد أرّخوا لحين من الدهر وصفوا فيها حال الأمة بأنها اجتمعت تحت مُلك البربر، إبان حكم الخليفة العباسي الثاني أبو جعفر المنصور في الشرق، وحكم عبد الرحمان الداخل الأموي في الغرب وكلاهما من أمهات بربريات، ولم يتحقق للأمازيغ هذا الوصف من قبل ولا من بعد.

وقد نتج عما سبق ذكره انصهار ثقافي كبير بين الثقافتين أدى بالأمازيغ المرابطين والموحدين إلى إنزال العربية المرتبة الأولى أمام اللغة الأم[5]، وحسبنا أن الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين (ت500هـ) رفض لقب أمير المؤمنين ورضي بلقب أمير المسلمين احتراما واعترافا بالخليفة العباسي في بغداد.

كتابة الأمازيغ بالعربية وتكلّمهم بالبربرية:

منذ تواجد البربر لم يستعملوا لغة واحدة وبحروف معروفة، فقد تعايشوا مع قرطاجنة واستعملوا حروفها، ثم الحروف النوميدية، ولم يثبت التاريخ أنهم استعملوا حروف التيفيناغ في دولة من دولهم، إذ لم تكن لديهم لغة مشتركة وجامعة[6] موحدة الصفات اللغوية والخصائص الصوتية والصرفية والمعجمية..الخ، يقول المؤرخ الجزائري أبو القاسم سعد الله: «وكما لم يؤسس البربر دولة واحدة كذلك لم يستعملوا لغة واحدة بحروف معروفة رغم أن الدولة الأولى التي تعايشوا معها هي قرطاجة، مخترعة الأبجدية الأولى، وهي الدولة التي تربطهم بها صلة الرحم والموطن على فرض اعتماد الرأي القائل أن البربر كنعانيون كالفينيقيين. و"التيفينيغ" التي هي على الأغلب فينيقية الأصل، لم تكن رموزا للغة مشتركة بين كلّ البربر، وما يزال الباحثون لم يقرّروا بشأنها حكما نهائيا، وهي الرموز التي وُجدت في أقصى الجنوب دون الشمال، والتي تعبّر عن الصلة بالهيروغليفية المصرية أيضا»[7]. وعليه فإن أغلب الظن أن البربر لم تكن لهم كتابة جامعة يستعملونها لأغراض رسمية إلا بمجيء الفتوحات الإسلامية، بل إن رؤساءهم ومثقّفيهم كانوا يكتبون بلغة الدولة المتسلطة قبل الإسلام، فمن

المعروف أن القدّيس أغوستين ويوبا الثاني وغيرهما من المثقفين كانوا يكتبون بالإغريقية اللاّتينية، ومن ثمّة عُدّ أدبهم ونثرهم أدبا ونثرا أوروبيا[8].

لقد رفض البربر كل أشكال المسخ الثقافي Déculturation الذي يبعدهم عن سلالة واحدة (أمازيغ عرب)، كما يسجل التاريخ بأن مماليك المرابطين والموحدين كانوا شديدي الدفاع عن الإسلام والعربية، وهم الذين أخّروا سقوط الأندلس قرونا فقد «عرفت الجزائر سلسلة من الأُسَر التي انحدرت من أصول غير عربية مثل المرابطين والموحدين..، وهي من أقوى الدول التي يفتخر تاريخ المغرب العربي ويعتزّ بها، فلم يلجأ حكمها إلى التوغل في الوضع اللغوي بفرض سياسة لغوية مخالفة لما كان معروفا وسائدا في جلّ أقطار العالم الإسلامي»[9].

كما يسجل أيضا بأن ملوك البربر أخذوا الإسلام عن قناعة، وطبّقوه على الواقع؛ فهذا يوسف بن تاشفين كان أمير المسلمين في المغرب، وليس أمير العرب أو أمير الأمازيغ، فقد حكم شمال أفريقيا تقريبا بالإسلام، ونعرف أنه كان لا يتقن العربية ومع ذلك عمل على تعلّمها وتعليمها ونشرها وأقرّها لغة رسمية، كما أن يوسف يعقوب بن منصور الموحدي أمير الموحدين كان أمير المؤمنين، ولم يلقّب نفسه بأمير البربر وأمير العرب، وانطلق الأمازيغي المهدي بن تومرت من الإسلام ليؤسس امبراطورية كبيرة، ومن ذلك الدمج حصلت قوة كبرى في توطيد أركان الدول التي حكمت هذه البلاد، بل كانت لهم المآثر الكبرى في صنع المأثرة الفاطمية؛ إذ انتقلوا من القيروان إلى مصر، وأسسوا الفسفاط (القاهرة حاليا) والجامع الأزهر سنة 969م. كما أسسوا في بلدانهم مؤسسات لا تقلّ قيمة علمية عن بغداد والأزهر وحاضرة الحجاز، مثل: جامعة القيروان، جامع الزيتونة حاضرة بجاية، تلمسان، فاس، حوزات مختلفة في كلّ من المسيلة ووادي سوف...

ومهما يكن فإن التاريخ يثبت بأن الأمازيغ بعد الفتح الإسلامي تبنّوا الإسلام والعربية عن طواعية واقتناعا، وأثروهما أيما إثراء، رغم بعض الثورات والصدود التي أعلنوها ضد الظلم والاحتقار، والذود عن النفس؛ باعتبارهم نبلاء لا يقبلون الذل والضّيم.

فقد قبل الأمازيغ بسياسة اللّين التي انتهجها إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر[10]، وحكمة حسان بن النعمان، ولم ينظروا إلى تلك الأفعال المستثناة لبعض الأفراد، لأنهم وجدوا في الإسلام متنفسا ممّا عانوه مع الوندال والرومان.

ومما يدلّ على وثيق ارتباط البربر بالإسلام واستعمالهم للغته ما اتفق عليه المؤرّخون من أن البربر الذين تعرّبوا يعدّون أضعافا مضاعفة من الذين تلتّنوا (من اللاتينية)، وأن علماء البربر الذين ألّفوا وكتبوا بالعربية في مختلف العلوم لا يمكن أن نقارنهم كثرة بأجدادهم الذين ألّفوا باللغة الإغريقية أو اللاّتينية. وبعبارة أخرى فإن البربر لم يسجّلوا تاريخهم وتراثهم ومساهمتهم الحضارية إلا منذ فجر الإسلام[11].

ثانيا- مظاهر الاقتراض وبعض شواهده اللفظية ومخرجاته

يُعرَفُ الاقتراض اللغوي L'emprunt linguistique بأنه «نوع من التقليد مثله كمثل تقليد الطفل لغة أبويه أو الكبار حوله، غير أنه تقليد جزئي يقتصر على عناصر خاصة، في حين أن تقليد الطفل للغة أهله تقليد كليّ يتناول كلّ ما يسمع من الألفاظ »[12]. ومقتضى ذلك أن المتكلم حين استعماله لفظا أجنبيا يحاول تشكيله على نسيج لغته سواء من ناحية الصوت أم الصيغة، مما يؤدّي إلى شيوع اللفظ الأجنبي، فيصبح شيئا مألوفا ومتداولا بشكل واسع في الكلام، مثلما اقترضت اللغات الأوربية بعض المصطلحات العلمية من العربية، مثل: الكحول (Alkhool) الجبر (Algebra)، الصفر (Zero).

يحدث الاقتراض اللغوي على المستوى المعجمي (المفردات) اطّرادا لعدم وجود ذخيرة لغوية كافية في اللغة المستعيرة[13]، كاقتراض كلمة (قُرَانْ) في الأمازيغية من (القرآن) في العربية. وهذا يدل على أن الاقتراض «يأخذ شكل إدماج المأخوذ في قالب اللغة الآخذة ويصبح منها، وقد سمّاه العرب بالمعرّب»[14].

ومن شواهد الاقتراض بين العربية والأمازيغية نجد:

آغروم، أي: الخبز، وفي لغة أهل اليمن القدماء نجد: الغِرْم أي الخبز.

آكّر: أي قُم وقف، نجدها في العربية: وكَرَ الضبيُ: أي: وقَفَ.

آمقران: أي الكبير، نجدها في العربية: أقرنَ أي كَبر في السن.

هناك كلمة شهيرة في شمال أفريقيا هي (بَرْشَا): أي للدلالة على الكثرة ، نجد لها استعمالا في العربية الفصحى للمعنى نفسه، ومن ذلك وصفهم للسنة أو الأرض كثيرة العشب بأنها برشاءٌ، وجماعة الناس الكثر بأنهم برشاء.

-سعِيغْ إيذْرِيمَنْ: أي أملكُ نُقودًا، وهي من العربية الفصحى كلمة سعى يسعى أي: كسب وملَكَ، قال تعالى: ((وَأَن لَّيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا **سَعَى**)) أي ما كسَبَ. [النجم/39].

-عَلْمَغْ: أي علمتُ بالعربية.

-أسَهِيغْ فلاّسْ: أي نسيتُ أو غفلتُ عنه، وفي العربية قولهم: سَهَوْتُ أي نسيتُ، ومنها سجود السهو.

-أرويغُ سويَفكِي: أي شبعتُ من الحليب، وفي العربية: رويتُ. ففي الحديث قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه: ((فشربَ النبيُ حتى ارتويتُ)) [15].

-يَقَرْحِيًّا أوقرّوييوْ: أي يؤلمني رأسي، وأصلها في العربية: من القَرْح: أي الألم، قال تعالى: ((إِن يَّمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ القَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُه)) [آل عمران/ 60].

يُلحظُ أن أغلب الشواهد اللفظية من الأمازيغية نجد لها أصولها العربية من شواهد ودلالات أصل استعمالها من النصوص الدينية القرآنية والنبوية، وهذا مؤشر على تأثر المجتمع البربري المباشر بالمُعطى الديني الإسلامي، وحسبنا مثالا ارتباط التفكير اللغوي عند البربر بالألفاظ الموحية بالشعائر كالعزاء في قولهم: (آسْيَعْفُو رَبِّي) أي: عفا الله عنه ورحمه الله من كلمة العفو، وكذا الألفاظ المعبّرة عن طعام الجنائز في قول المثل البربري: (النَّعِي نآيث سي علي تشينت آيث سي علي)، أي: طعام الجنازة أكله أهل الجنازة، فلفظة (النَّعِي) مأخوذة من النّعْي، أي: العزاء وذكر خصال الميت.

كما لم يثبت التاريخ ترجمة القرآن الكريم إلى الأمازيغية باعتباره يفهم بالعربية أكثر، واعتبارا أن لغة القرآن أصبحت بعدا هوياتيا عند البربر، فليس من الضرورة أن يترجم إلى اللغة الأم[16]، فبالرغم من أن الترجمة من أهم عوامل

الانفتاح على المعارف والعلوم والنصوص ووسيلة تتيح لنا الاتصال بشعوب المعمورة، والاطلاع على ما أحرزوه من تقدم ورقي في كل الميادين، إلا أن لها ضررا على اللغات الوطنية، ولهذا فقد تنبه لها العرب والأمازيغ قديما، خصوصا ما تعلق بالقرآن والحديث، يقول الجاحظ (ت255هـ): «واللغتان إذا التقتا في اللسان الواحد أدخَلتْ كل واحدة منهما الضّيمَ على صاحبتها»[17]. لأن لكل لغة نظامها الخاص بها.

إن الوضع اللغوي في الجزائر برغم ثراء مكوناته وتناغم لغاته وتآلفها فيما بينها، إلا أن الناظر لسوق الكتاب في الجزائر –على سبيل المثال– يلحظ جليا ضعف الإنتاج الأدبي باللغتين العربية والأمازيغية ودخول آلاف المنشورات باللغة الأجنبية الفرنسية إلى جانب عدم استعمال المقابل العربي لمصطلحات العلوم والتقنيات الحديثة في جامعاتنا، وطغيان اللغة الفرنسية على لغاتنا الوطنية في عروض الأفلام والسينما، وهذا يشكل خطرا مباشرا على أمننا اللغوي، ولا ننسى اللافتات المعلقة على حواف الطرقات مكتوبة بالفرنسية والعامية، فالمشاهد أن الفرنسية بسطت نفوذها على كل مجالات اللغة على حساب اللغات الوطنية العربية والأمازيغية، لذلك لزاما علينا جميعا أن نؤسس لسياسة لغوية تحفظ ماء الوجه وتضمن تطوير لغاتنا الوطنية، لدرء ما ينجرّ عن تعقيدات العولمة الثقافية والغزو الفكري الجديد، وجعل اللغات الأجنبية جسورا لنقل المعارف والمكتسبات الحضارية النافعة فحسب، لا أن نجعل منها كينونة نفسية ملازمة لعقول أبنائنا ووجدانهم وعواطفهم ونمط عيشهم وتفكيرهم البسيط.

ومن شواهد الاقتراض من الأمازيغية إلى العربية نجد:

–كلمة أرفد بالعربية الجزائرية نجدها في الأمازيغية (أرفذ) بمعنى اِحملْ.

يشار هنا إلى أن التعمق في هذه الظاهرة ضرورة، حيث نجد للاقتراض أشكالا متعددة، فهناك اقتراض كامل تقترض فيه كلمة كما هي دون تعديل أو تغيير مثل كلمة (تلفون) في العربية المستعارة من الانجليزية، وهناك اقتراض معدّل، أي تعديل الكلمة المقترضة حسب الميزان الصرفي ومناسبته للغة المستقبلة، مثل كلمة

(رادار) التي اقترضتها اللغة العربية من (ريـدار Rader) الانجليزيـة، وتلفـاز المعدلة من (Television) الانجليزية[18]، وهناك اقتـراض هجـين[19] ، وفيـه تقترض الكلمة ويترجم جزء منها إلى اللغة المستقبلة ويبقى الجزء الآخر كما هـو عليه في اللغة المصدر، مثال ذلك (صَوْتِم) المأخوذ من (Phonème) و(صـريفم) المأخوذ من (Morphème) [20].

ثالثا- ما يمكن أن نغنمه من ظاهرة الاقتراض من مثاقفة بـين لغتـين إلـى انصهار متبادل يفضي إلى أمن لغوي

ما يمكن الخلاص إليه بعد هذا السرد أن الوضع اللغوي في المغرب الكبير عموما والجزائر خصوصا وبناء على الإطلالات التاريخية للعلاقة بـين العربيـة والأمازيغية ناهيك عن ظاهرة الاقتراض والتداخل الكبير الحاصل بينهما، لا نعتقد بتاتا أن ثمة أسبابا موضوعية تؤدي إلى الصدام بين هاتين اللغتين والثقافتين أو إلى قطيعة أو اللاأمن اللغوي (L'insécurité linguistique)، بل إن كـل الشـواهد السوسيولسانية والتاريخية والأركيولوجية تثبت أن ما يجمع هاتين اللغتين والثقافتين أكثر بكثير مما يفرّقهما وسبب الصدام بينهما، هذا الصدام لم يطرح إلا بعد دخـول فرنسا التي أقصت الأمازيغية والعربية من الاستعمال والتوظيـف بشـكل نهـائي وبقرار من الحاكم الفرنسي، وهذا منذ سنة 1899م، مع إغلاق الكتاتيب القرآنيـة وتدمير المساجد وتحويل الكثير منها إلى كنائس، بل وصل الأمر إلى منـع الحـج على اعتبار أن الحجاج يحتكّون بالعرب الذين يحملون اللغة العربية، أضـف إلـى ذلك ما تعرّضت له الصحف المعرّبة من غلق وملاحقة أصحابها، وهذا كله يـدخل في إطار الضمّ النهائي وتذويب الكيان الثقافي فـي الجزائـر فـي كيـان فرنسـا وإضعاف الشخصية العربية الإسلامية الجزائرية ومقوماتها الدينية.

إننا اليوم في بلدنا الجزائر على عتبة هامة من عتبات التاريخ نطل من خلالهـا على تعقيدات العولمة الثقافية والاستعمار الجديد، في ظـل الهيمنـة الاقتصـادية والسياسية والعلمية الهائلة، وإنه لتحدّ كبير أن نوقّع جميعا على "تصـالح لغـوي" وثقافي تاريخي يجنّبنا اختلال الانسجام الاجتماعي فـ«نجد العالمة اللسانية نيكـول

غوتييه Nicole Gueunier في بحث لها عن مظاهر التعدد اللغوي في المجتمعات الخليط، وبالذات في تجمعات المهاجرين في فرنسا، فرأت أن هذه التجمعات تشكل خطورة (اللاأمن اللغوي) في منظور التواصل والانسجام المجتمعي، وأن تفتيت المجتمعات من الداخل يأتي من التسامح اللغوي (غير المدروس) وهو المشكل التي ينخر الوطن العربي، ونحن نشاهد أنفسنا تتضاءل يوميا، ونفقد مواقعنا..، وبدعوى ضرورة الاهتمام باللغات الأجنبية»[21].

وبناء على ما سبق يمكن أن نخلص إلى توصيات نراها جادة للرقي بالوضع اللغوي الجزائري خصوصا والمغاربي عموما لضمان الأمن اللغوي المنشود، أهمها:

1. ضرورة الدفع أكثر نحو توسيع مداخل المشترك الثقافي والتاريخي والديني والفني بين اللغتين العربية والأمازيغية، مع تضييق مداخل الخلاف والقطيعة خاصة عبر وسائل الإعلام المختلفة.

2. انتهاج سياسة لغوية في حقول التربية والتعليم والإعلام والثقافة تروّج للذخيرة المعجمية من الكلمات ذات الصلة بالاقتراض بين اللغتين، على أن يعطى فيها المجال لذوي الخبرات والكفاءات في حقول التهيئة والتخطيط اللغوي.

3. التركيز في الترويج لهذه الذخيرة المعجمية على الكلمات ذات الإيحاء الديني والقِيَمي، لأن الدين يعتبر مشتركا في الضمير الجمعي.

4. اعتماد الكتابة بالحرف العربي للغة الأمازيغية لاعتبارات عدّة، أهمها: أن ما ألّفه البربر في تاريخهم بالحرف العربي أضعاف مضاعفة لما كتبوه بالحرف اللاّتيني، وكذلك لأجل تعميم الأمازيغية على المناطق العربية الخالصة بالحرف العربي، لكسب انفتاح المجتمع على ذاته وتجنب القطيعة المجتمعية، إضافة إلى أسباب تقنية صوتية وصرفية ونحوية لا سبيل إلى إيرادها في هذا المقام، عسانا نفصل فيها ضمن دراسة مستقلة.

هوامـــش:

[1]- ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، عبد الرحمان بن الجوزي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، دط–دت، جزء6، ص303.

[2]- القبائل الأمازيغية–أدوارها مواطنها أعيانها، بوزياني الدراجي، دار الكتاب العربـــي، القبـــة–الجزائر، دط–2007، الجزء2/ص15.

[3]- المرجع نفسه، ص19.

[4]- المرجع نفسه، ص70.

[5]- ينظر: المسألة الأمازيغية في الجزائر والمغرب إشكالية التعددية اللغوية، عز الدين المناصرة دار الشروق–عمان الأردن، ط1–1999م، ص09.

[6]- ينظر: في المواطنة اللغوية وأشياء أخرى، صالح بلعيد، دار هومـــة–الجزائـــر، دط–2008م ص33.

[7]- أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، أبو القاسم سعد الله، ط1– 1996م، دار الغرب الإســـلامي بيروت–لبنان، جزء4، ص205.

([8])- ينظر: المرجع نفسه، جزء4، ص206.

([9])- الهوية المغربية والمشكل اللغوي، عبد العلي الودغيري، مطبوعـــات الأكاديميـــة الملكيـــة، المغرب، 1998م، عدد خاص بندوة 1997 حول (مستقبل الهويـــة المغربيـــة أمـــام التحـــديات المعاصرة)، ص150.

[10]- هو حفيد الفاتح أبو المهاجر دينار، كان واليا على بلاد المغرب في فترة حكم الخليفة الأموي الثامن عمر بن عبد العزيز 99هـــ–101هـــ، ثم عزله الخليفة يزيد بن عبد الملك بعد ذلك. ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي، جزء 7، ص64.

[11]- ينظر: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، أبو القاسم سعد الله، جزء4، ص206.

[12]- من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، المكتبة الأنجلو مصرية، ط3– 1966م، ص102.

[13]- ينظر: الحياة مع لغتين، محمد علي الخولي، دار الفلاح للنشر–الأردن، 2002، ص35.

[14]- في الأمن اللغوي، صالح بلعيد، دار هومة–الجزائر، دط– 2010، ص223.

[15]- صحيح البخاري، حديث رقم 3615 ورد بلفظ (حتى رضيتُ).

[16]- ينظر: في المواطنة اللغوية وأشياء أخرى، صالح بلعيد، ص33.

[17]- البيان والتبيين، الجاحظ، دار الفكر– بيروت لبنان، دط–1968م، جزء1–ص386.

[18]- ينظر: الحياة مع لغتين، محمد علي الخولي، ص96.

[19]- الهجين اللغوي كلام خليط ينتج في العادة في مجتمعات خليط، أو في التجمعات التي تحصل في البلدان التي تفد إليها العمالة الأجنبية، ويحصرون في تجمّعات سكانية خاصة، وعن طريق احتكاكهم تظهر لغة مزيج/هجين مستوحاة من ألسن الساكنة، ويجمع بين تلك الكلمات النّغمة والترنيم، وهي مجرد قاموس محدود الألفاظ، لا يحتكم إلى قواعد واعية من منتوج لغة واحدة ومن بين مظاهره:

- كثرة اللافتات الأجنبية في بلد الهُجنة.
- هيمنة اللغة الأجنبية على خطاب بعض النخب.
- السلوك النمطي في تهجين الخطاب العاكس لدونية لغة بلد الهُجنة، وتجسيد بعض الأُسر لهذا الهجين في بيوتها، والعمل على التفاخر به.
- هجران تام للغات المحلية باعتبراها لغة الماضي لا الحداثة.
- الافتقاد التدريجي للمرجعية اللغوية في بلد الهُجنة.

ينظر: في الأمن اللغوي، ص224–230.

[20]- ينظر: الحياة مع لغتين، ص96.

[21]- ينظر: في الأمن اللغوي، ص43.

المواطنة في ضوء مناهج الجّيل الثاني

– مفارقات وتحدّيات–

Citizenship in light of the second generation approaches

– paradoxes and challenges –

أ. بن عزوزي إيمان

م. ج. أحمد زبانة -غليزان

الملخص: تواجه المنظومة التربويّة الجزائريّة في الوقت الراهن العديد من التحديات والتغيرات نتيجة الثورة المعلوماتيّة والتكنولوجيّة وما نتج عنها من غزو ثقافي وعجز في مواجهة التغيرات، كان من الضروري على القائمين على العمليّة التعليمية التعلمية من مواجهة هذه التحديات من خلال تضمين المناهج الدراسيّة لقيم المواطنة وتعزيزها بكل المقررات الدراسيّة حسب طبيعة كلّ محتوى .وذلك بالاعتماد على المتعلم كونه محور العملية التعليمية التعلمية والهدف والغاية الأساسيّة لها، ومع التحولات المتسارعة في شتى مناحي الحياة فقد طوّرت غايات التربية وأساليبها من كونها انحصرت على التلقين والتحصيل المعرفي إلى الارتقاء بالذات الإنسانيّة وذلك من خلال إقامة نظام تعليمي يدعم تربية مواطنين قادرين على العمل الجماعي التعاوني والتكيف لحل المشكلات .

فلهذا تم التوجه إلى الاهتمام والبحث عن الدور الرائد للمدرسة في تنمية قيم ومشاعر المواطنة لدى الأفراد كوجه من أوجه مواجهة المشكلات النفسيّة والاجتماعيّة التي يعرفها المجتمع الجزائريّ في الوضع الراهن، بغية توضيح السبل الكفيلة بتدعيم مفهوم المواطنة لدى المتعلمين من خلال المنهاج الدراسي كسبيل أمثل للمحافظة على الاستقرار الاجتماعي والهويّة الوطنيّة بمختلف أبعادها في ضوء المناهج المعاد صياغتها. وبهذا يروم موضوعي إلى الإجابة عن الإشكالية الرئيسة والمتمثلة في:

ما مفهوم المواطنة؟ وما هي أهم المرتكزات المنتهجة من قبل الوصاية في تفعيل وترسيخ قيم المواطنة لدى متعلمي الطور المتوسط؟ والتي تولدت عنه بعض الإشكالات الفرعيّة وهي:إلى أي حد يمكن أن تتوافق قيم المواطنة مع تحديات القرن الحادي والعشرين؟

لتكون بذلك المناهج المعاد صياغتها رحما يتكون داخلها ويولد منها جيلٌ ونشئٌ تربى على مبدأ المواطنة الفاعلة .

الكلمات المفتاحية: الوطنية- التعليم- مناهج الجيل الثاني- الإصلاحات – المتعلم.

Summary : The Algerian educational system is facing many challenges and changes as a result of the information and technological revolution and the resulting cultural invasion and inability to cope with the changes. It was necessary for the educational process to face these challenges by incorporating the curricula of citizenship values and enhancing them in all courses According to the nature of each content. Based on the learner being the focus of the learning process and the goal and the goal of the basic, and with the rapid changes in various aspects of life has developed the purposes of education and methods of being restricted On the indoctrination and cognitive achievement to improve the human self by establishing an educational system that supports the education of citizens who are able to work cooperatively and adapt to solve problems.

Therefore, attention has been paid to finding the leading role of the school in developing the values and feelings of citizenship in individuals as an aspect of confronting the psychological and social problems known to Algerian society in the current situation. Social and national

identity in all its dimensions in light of the reformulated curricula. In this way, I aim to answer the main problem :

What is the concept of citizenship? What are the most important pillars adopted by the tutelage in activating and consolidating the values of citizenship among middle-class learners? Which has given rise to some minor problems: to what extent can the values of citizenship correspond to the challenges of the twenty-first century؟

So that the re-formulated methods are compassionate and consist within them and generate a generation and young people raised on the principle of effective citizenship.

Keywords: National - Education - Second Generation Curricula - Reforms - Learner.

مقدمة: يعدّ التعليم من أهم المعايير التي تسهم بشكل كبير في تحديد مدى تقدم بلد ما، إذ أنه القطاع الذي يسهم في تكوين وتأطير النخب التي تحمل على عاتقها مهمة النهوض بالبلد على مختلف الأصعدة والمستويات. وعلى إثر هذا وجب التركيز على الفعل التعليمي باعتباره نواة العملية التعليمية التعلمية وجوهرها مهما اختلفت المقاربات البيداغوجية والمناهج التربوية المطبقة

واستجابة لما فرضه القرن العشرين من تحديات وتحوّلات في شتى مناحي الحياة سارعت جلّ الدول ومن بينها الجزائر إلى مراجعة نظمها وبرامجها التربويّة ليبدأ بذلك التخطيط لإصلاحات الجيل الثاني والتي تسعى من خلالها إلى إعطاء الأولوية للمعارف والتحكم في المساعي الفكرية التي تتجسد في السلوك والمواقف الفرديّة والجماعيّة ضمن استراتيجيات قائمة على أسس وقيم، بدءا بتبني لطرائق وأساليب متنوعة لتحقيق المواطنة المنشودة سعيا منها إلى تزويد المتعلمين بمجموعة من المعارف والمهارات والقيم من أجل المشاركة الفاعلة والمنتجة في وضعيات تعليميّة تعلمية مختلفة في ظل الدعوة إلى الإصلاح والاهتمام بالعنصر البشري.

قد أحدثت التحولات السياسيّة، الاقتصادية والاجتماعية التي شهدها العالم تأثيرا كبيرا على الأنظمة التربوية، فراحت تغير مناهجها وبرامجها، وطرائق أدائها وفق ما توصلت إليه آخر البحوث التربوية انطلاقا من حتمية التجديد لتحسين العمل التربوي وجعله أكثر فعالية .

إذا كان من الضروري عند مواجهة هذه الأفكار والتوجيهات – سعيا نحو تكوين وإعداد المواطن الصالح – في ظل الدعوة إلى الإصلاح والاهتمام بالعنصر البشري والتنمية الشاملة أن يظهر وبقوة مفهوم المواطنة الذي أصبح من القضايا الأساسية التي يهتم بها المشتغلون في المجال التربوي بصفة خاصة والتنمية البشريّة بصفة عامة.

حيث يعد اكتساب المتعلمين لقيم المواطنة وممارستها بشكل فعلي في الوقت الراهن من القضايا المهمة والملحة التي تفرض نفسها في ظل الاهتمام بقضايا الهوية الثقافية، وكذا الاهتمام بإصلاح منظومة التعليم في الجزائر، بما يؤدي إلى تقدم المجتمع في ظل الأزمات الأخلاقية التي يعاني منها، وغياب المواطنة عن مناهج التعليم بصورة لا تؤدي إلى ممارسة حقيقية لقيم المواطنة [1]

1- مفهوم المواطنة وأهميتها: مفهوم المواطنة من المفاهيم التي يدور حولها جدل كبير، لذا يصعب أن نجد لها تعريفا يرضي كل المختصين في هذا المجال – التعليم– وبالتالي يختلف مفهوم المواطنة تبعا للاتجاه الذي تتناولها منها وتبعا لما يراد بها.

– **لغة:** المواطنة في اللغة العربية منسوبة إلى الوطن "المنزل الذي تقيم به وهو موطن الإنسان ومحله، والجمع أوطان، وأوطنت الأرض ووطنتها توطينا واستوطنتها أي اتخذتها موطنا، وكذالك الإتطان وهو افتعال منه وغيره، وأما المَوطِن فكل مقام أقام به الإنسان لأمر فهو موطن له، والجمع أوطان، وأوطان الغنم والبقر، مرابضها وأماكنها التي تأوي إليها، وموطن مكة مواقفها وهو ذلك وطن بالمكان وأوطن أقام، وأوطنه اتخذه وطنا، يقال أوطن فلان أرض كذا وكذا أي اتخذها محلا وسكنا يقيم فيها"[2]

أما البستاني فلا يختلف كثيرا عن ابن منظور بقوله "وطن بالوطن وبالمكان يَطِنُ وطنا أقام به، وطن البلد توطينا اتخذه محلا ومسكنا يقيم به، ووطن نفسه على الأمر مهدها لفعله وذللها وسكنها وأقرها عليه، وواطنه على الأمر مواطنة موافقة"[3] وفي اللغة الإنجليزية تأتي المواطنة ترجمة لمصطلحCitizenship، ويقصد به غرس السلوك الاجتماعي المرغوب حسب قيم المجتمع، من أجل إيجاد المواطن الصالح[4]

اصطلاحا: فقد تعددت المفاهيم التي توضح ماهية المواطنة كل حسب الوجهة التي يتخذها كخلفية إيديولوجية، في حين يتفق معظم المنظرين على أن المواطنة" هي اكتساب جملة من الحقوق مقابل أداء جملة من الواجبات، تقوم بين شخص طبيعي وآخر معنوي ممثلا في الدولة بكل أركانها، بمعنى أنها الترجمة الواقعية لأحاسيس ومشاعر الولاء والانتماء وفهم المواطن لحقوقه وواجباته"[5] في حين أنها وردت في القاموس الشامل على أنها" مكانة أو علاقة اجتماعية بين شخص طبيعي، ومجتمع سياسي يقدم فيها الطرف الأول من خلال هذه العلاقة الولاء ويقدم الطرف الثاني الحماية ويحدد هذه العلاقة القانون، صفة المواطن الذي يحدد حقوقه وواجباته الوطنيّة التي يتم تلقينها له عن طريق التربية الوطنيّة"[6].

وتعرف أيضا على أنها "تمتع الشخص بحقوق وواجبات وممارستها في بقعة جغرافية معينة لها حدود محدودة تعرف في الوقت الراهن بالدولة القومية الحديثة التي تستند إلى حكم القانون"[7] ومن خلال ما تم ذكره بشأن مفهوم المواطنة كلها تتفق على أنها علاقة اجتماعية قانونية بين الفرد والدولة قائمة على مؤسسات وتوجهات عقلانية.

في حين أنه قد حظيت قضية المواطنة في التعليم باهتمام كبير في الآونة الأخيرة ولذا عقدت العديد من الندوات والمؤتمرات ومنها الألفية الثالثة "التعليم وتنمية المواطنة" الذي" أكد على دور المؤسسة التعليمية في دعم ثقافة المواطنة وتنميتها لدى المتعلمين بإثراء المناهج وتدعيمها بالأنشطة التي تصقل مواهب المتعلم وتدربه على التعبير عن الذات وممارسة السلوك الديمقراطي وتنمية قيم الولاء

والانتماء للمجتمع"[8] لما لها من دور محوري في بناء المواطن الصالح وإعداده للتفاعل بايجابية مع المجتمع، فالمتعلم لابد أن يكون لديه الإحساس بالانتماء للمجتمع مما يدفعه إلى معرفة حقوقه وواجباته، كما يدفعه إلى المشاركة الفعالة والعمل المنتج، وكما تدفعه أيضا إلى تقبل الآخر من أجل المحافظة على الآخرين الموجودين في المجتمع بما يضمن للجميع العيش بأمان وسلامة "[9]. أو هي " مجموعة القيم التي تعكس انتماء المتعلم لوطنه والوعي بالأمور السياسية والبيئية والصحية والاقتصادية وحقوق الإنسان، والانفتاح على الثقافات الأخرى وضرورة الاحتكام للقانون والإيمان بالوحدة الوطنية والتسامح مع الآخرين واتصافه بالقيم الأخلاقية الحميدة والمسؤولية الاجتماعية تجاه نفسه وأسرته ومجتمعه"[10] . في حين أن هناء عبد الله تعرفها على أنها " مجموعة من الموجهات السلوكية المؤثرة في شخصية المتعلم فتجعله إيجابيا ملتزما في انتمائه إلى وطنه بوعي سياسي وبحرية وقدرة على قبول الآخر والحوار معه وبمشاركة فعالة "[11] . وعليه فهي مجموعة القيم السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تعكس انتماء المتعلم لوطنه ومحافظته عليه ومدى وعيه بحقوقه وواجباته داخل مجتمعه، مما تمكنه من اكتساب مهارات وحل للمشكلات التي تواجههم بأسلوب علمي.

وتأتي أهمية المواطنة من حيث أنهاعملية متواصلة لتعميق الحس والشعور بالواجب اتجاه المجتمع وتنمية الشعور بالانتماء للوطن والاعتزاز به وغرس حب النظام والاتجاهات الوطنيّة، والأخوة والتفاهم والتعاون، فهذا كله لا يتحقق بمجرد تسطيرها وإدراجها في الوثائق الرسمية، بل أن تحقيق الأهداف يتطلب ترجمتها إلى إجراءات علمية عمليّة وتضمينها للمناهج والكتب المدرسية.

كما أن تنمية قيم المواطنة تؤدي إلى تقدير الشعور بالانتماء لمجتمعه ويتمثل ذلك في سلوكه ودفاعه عن قيم وطنه ومكتسباته، ولذا تتضمن التربية من أجل المواطنة تنمية شعور الفرد بمجتمعه وتفاعله إيجابيا مع أفرادها بشكل يسهم في تكوين مواطنين صالحين[12]

انطلاقا من كونها " شعور جمعي يربط بين أبناء الجماعة ويملأ قلوبهم بحب الوطن والجماعة والاستعداد لبذل الجهد في سبيل بنائها والاستعداد للموت دفاعا عنها، كما أنها عملية متواصلة لتعميق الشعور بالواجب والانتماء للوطن، وتتمثل أهميتها فيمايلي:[13]

– تنمي الديمقراطية ومعارف المدنية؛

– تسهم في الحفاظ على استقرار المجتمع؛

– تنمي مهارات اتخاذ القرار والحوار والتفاهم واحترام الحقوق والواجبات لدى الأفراد؛

– غرس حب النظام والاتجاهات الوطنية والتعليمات وتعريف المتعلمين بمؤسسات بلدهم ومنظماته المختلفة؛

– تنمي المواطنة لدى المتعلمين الثقة بالنفس والمهارات الأساسية لديهم، وكذا التفكير المستقل؛

– تقدم الفرص للبحث والاستكشاف؛

– أما بالنسبة للمؤسسات، فتتمثل في المساهمة في تعليم أفضل ودافعية وإنجاز أعلى.

ولذا فمن الضروري التركيز على أهمية تضمين المناهج الدراسية لقيم المواطنة لمواجهة التحديات والتغيرات التي يمر بها المجتمع، وهذا ما يجعل تعزيز قيم المواطنة مطلبا ضروريا في ظل إحساس الإنسان بالاغتراب داخل وطنه وعجزه عن محاولة العبث بقيم المجتمع، وعليه فهي من الموضوعات التي طرحت نفسها على الساحة المحلية بقوة في العقد الأخير.

2–التأصيل التاريخي والفكري لتطوّر مفهوم المواطنة: تضاربت آراء الباحثين حول الجذور التاريخية لمفهوم المواطنة، إذ ترى إحدى الدراسات " أن هذا المفهوم من إبداع الفكر السياسي العقلاني التجريبي، من دون تحديد مدة زمنية لظهور المصطلح أو الفكرة، في حين أنه هناك من يربطها بظهور الدولة القومية كنموذج شائع للنظام السياسي"[14]

إن مفهوم المواطنة نشأ في رحم المجتمع الغربي وترعرع بين أحضانه تغذى من فكر فلاسفته على امتداد التاريخ. فتشكيل مفهوم الدولة قديما كان يرتكز على القبيلة كأساس لتشكيل الدولة" باعتبارها هي أصل الدولة ونواتها، وتقوم على رابطة الدم بمعنى أن أفراد القبيلة ينتمون لصلب رجل واحد، وتشكل الأرض التي نشأ فيها "[15] ويترأس هذه القبيلة سيد، يشارك في مناقشة أمور الحرب والسلم وكل الشؤون المختلفة للقبيلة، وكل فرد يمثل فئة اجتماعية لها امتداد في القبيلة، ويتم انتقاء هذه الأطراف وفق معايير أخلاقية وسياسية واجتماعية في اختيار العضو.

ويعتبر المجتمع العربي في شبه الجزيرة العربية مجتمعا قبليا، حيث كانت القبيلة عند البدو هي الانتماء والوطن لتأخذ شكلا جديدا يقترب من مفهوم المواطنة عند ساكني الحضر" فالإسلام أبطل كل الفوارق التي تميز بين الناس في الجنس واللون، واللغة والنسب والأرض والطبقة، وربط هذه المساواة بشعائره اليومية ليتأكد للناس أنهم سواسية كأسنان المشط"[16]

كما أن الفكر الإسلامي تضمن قيم ومفاهيم تبني مفهوم المواطنة وتؤسس من خلال نصوص تشريعية، لقوله تعالى:"وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ "[17]

وقوله أيضا: "وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ "[18]

وفي موضع آخر قوله تعالى:"يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ "[19]

وفي كل موضع من هذه المواضع تأكيد لمفهوم المواطنة القائم على العدل والمساواة بين أفراد المجتمع الدالة على جملة المفاهيم والمبادئ ومنظومة العادات والمهارات والسلوكات اللازمة باعتبارها علاقة حقوقية بين الفرد والمجتمع والدولة.

وعليه فإن مفهوم المواطنة ليس محض صدفة بل يمتد في عمق التاريخ الإسلامي فقد تجسد هذا المفهوم قبل نشأة التجمعات البشريّة في صيغة الانتماء للقرابة البيولوجية ثم ظهرت في القبيلة والعشيرة وممارسة الفضائل الاجتماعية والأخلاقية في الثقافة التربوية[20]

إلا أن هذا المفهوم ارتبط بالفكر اليوناني القديم سواء أكان هذا الارتباط من ناحية إبداع المفهوم أم من ناحية الآثار المترتبة عليه، ويؤكد على ذلك فارس عقلان بقوله إن «مهد ظهور المواطنة في العصر اليوناني (الإغريقي) أو الحقبة اليونانية، رغبة في خلق مواطن مشارك في الحياة المجتمعية وفي حكم المجتمع والدفاع عنه، فمارست أثينا ما يعرف بالديمقراطية المباشرة لشريحة من المواطنين عبر مجالس في الساحات"[21]

وقد بدأ الإغريق في استعمال لفظ Citizen، والتي تحمل معنى المدني أو ساكن المدينة أو المواطن[22]

في حين أن أرسطو يرى في معنى المواطنة مرادفا للمشاركة الفعالة والإيجابية في الحياة السياسية"ترتبط المواطنة عند أرسطو بالمشاركة في الشؤون العامة فالمواطن الأصيل هو الذي يمارس وظيفة عامة سواء في الحكم أم القضاء أم مجالس الشعب، وهذه من أهم سمات المواطنة عند أرسطو"[23]

وعليه ترجع بداية الاهتمام بتعليم المواطنة إلى كل من أفلاطون وأرسطو، حيث تعد اليونان مهد التربية لإعداد مواطنين صالحين للمشاركة في حكم المجتمع والدفاع عنه، فالهدف من تعليمها خلق الروح القومية بين أفراد الشعب والتأكيد على الالتزام بالقيم الديمقراطية والعدالة القومية.

ومع بزوغ عصر العولمة وثورة المعلومات تكونت قناعة لدى التربويين أنه لايمكن للتربية المعاصرة أن تحقق أهدافها مالم يحظ النظام التعليمي إصلاحا وتغييرا، حيث يعد تطوير المناهج التربوية وتوفير مناخ محفز ومنفتح ديمقراطي داخل الفصل الدراسي يدعم ذلك على تربية مواطنين قادرين على العمل الجماعي

التعاوني والتكيف لحل المشكلات وممارسة حقهم في التفكير، لتكون بذلك المناهج رحما يتكون داخلها ويولد منها جيلٌ ونشأ تربى على مبدأ المواطنة الفاعلة.

ومنه فإن مفهوم المواطنة يمتد في عمق التاريخ الإنساني، وليس وليد العصر الحديث بل هو نتاج رحلة طويلة على كافة المستويات، حيث أصبحت التربية من أهم العوامل التي يمكنها أن تعزز هذا المفهوم وقيمته العالمية.

3-أسس المواطنة ومكوناتها: المواطنة ليست وضعية جاهزة يمكن تحليلها بصورة آلية عندما تتحقق الرغبة في ذلك، وإنما هي سيرورة تاريخية وديناميية مستمرة، وسلوك يكتسب عندما تتهيأ له الظروف الملائمة وهي ممارسة في ظل مجموعة من المبادئ والقواعد، ومن أهم المقومات والشروط التي لا مجال للحديث عن المواطنة في غيابها.

حيث أن أي محاولة لبناء المجتمع وتقدمه لا بد أن يكون له أسس وطنية سليمة يرتكز عليها، ولذا فإن المواطنة من الأمور الجوهرية في قيام المجتمع، فلا يمكن قيام أي مجتمع ديمقراطي بمعزل عن المواطنة وتعزيز دورها وتفعيله، وحتى تكون فعالة لا بد أن تتم من خلال تربية مقصودة تشرف عليها مؤسسات الدولة فيتعرف بذلك المتعلم على مفاهيم المواطنة وخصائصها مثل: النظام السياسي الحكومة، المجتمع، الحقوق والواجبات، الشورى...[24]

وإذا كان مفهوم المواطنة تعني الانتقال من مفهوم الشخص التابع إلى مفهوم الإنسان المشارك في صنع الحياة المجتمعية، وذلك على أساس أن المواطنة هي المشاركة في كل نواحي الحياة على أساس من العلم والحرية والمساواة وحقوق الإنسان، وعليه فإن للمواطنة أسس هي:[25]

- المشاركة الفعالة في كل مجالات الحياة، فالمشاركة في النواحي السياسية والاقتصادية والتعليمية والثقافية هي أساس المواطنة؛
- قبول مبدأ الاختلاف (ثقافات-ديانات ...)؛
- المساواة وتكافؤ الفرص بين جميع المواطنين؛.
- احترام الغير وحريته؛

– المشاركة في تشجيع السلام الدولي؛

– فهم اقتصاديات العالم، هذه هي مواصفات للمواطن في صورة مهارات تنميها مؤسسات المجتمع لتزيد فعالية الارتباط بين الأفراد على المستوى الشخصي والاجتماعي والمحلي والقومي والدولي؛

– تعزيز الشعور بالانتماء إلى الأمة الجزائرية؛

– تعزيز المقاربة الواقعية في معالجة القضايا المجتمعية؛

– التركيز على فكرة الهوية الوطنية بما في ذلك الاحتفال بالمناسبات الوطنية.

وهناك العديد من السمات التي ينبغي على المواطن التحلي بها في ظل أسس المواطنة وهي:[26]

– مشاعر الإقدام، بمعنى أن يتحلى المواطن بالشجاعة والجرأة؛

– مشاعر العدل والأنصاف، وهي تمكنه من معارفه حقوق الآخرين واحترامها؛

– مشاعر التحضر والتسامح وذلك في أقواله وأفعاله ومواقفه؛

– مشاعر التضامن والولاء، بمعنى الإحساس بالانتماء للوطن والتآخي والتآزر مع الآخرين؛

3-1-مكونات المواطنة: للمواطنة مكونات وعناصر أساسية هي:[27]

1-**الانتماء:** وهو شعور داخلي يجعل المواطن يعمل بحماس وإخلاص للارتقاء بوطنه والدفاع عنه يجعله يفتخر بالوطن ويحرص على الدفاع عليه.

2-**الحقوق:** يتضمن مفهوم المواطنة حقوقا يتمتع بها جميع المواطنين وهي في نفس الوقت واجبات على الدولة ومنها يحفظ له الدين، وحقوقه الخاصة، توفير التعليم، تقديم الرعاية الصحية وغيرها.

3-الواجبات: وتختلف حسب طبيعة كل مجتمع (احترام النظام، عدم خيانة الوطن الحفاظ على الممتلكات، الدفاع عن الوطن، المحافظة على المواقف العامة).

4-**المشاركة المجتمعية:** يجب أن يكون المواطن مشاركا في الأعمال المجتمعية.

5-**القيم العامة:** والتي يجب أن يتحلى بها المواطن مثل الأمانة، الإخلاص الصدق، الصبر

وعليه فالمواطنة تقوم على أسس ومكونات تعتبر بمثابة اللبنة الأساسية لغرس قيم المواطنة في المواطن الصالح، لهذا أولت الجزائر اهتماما أساسيا لمفهوم المواطنة كمحور لقياس التطور الاجتماعي والتنمية البشرية، وتجسد ذلك في الإصلاحات المدرجة في المنظومة التربوية من خلال اعتماد المواطنة في المناهج الدراسية عبر المراحل التعليمية المختلفة، ويبدو ذلك جليا في مناهج الجيل الثاني لكتاب اللغة العربية من التعليم المتوسط وهذا ما سنحاول الحديث عنه.

4- أبعاد التربية على المواطنة: إن التعليم كان ولا يزال الحصن المنيع الذي تلجأ إليه وتحتمي بأسواره الأمم عند مجابهة الأخطار والخطوب، وازدادت هذه الأهمية في ظل التحولات المتسارعة في بداية القرن الحالي على كافة الأصعدة ومع هذه التحولات والتغيرات في الأفق الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية، فقد تطورت غايات التربية وأهدافها وأساليبها من كونها انحصرت على التلقين والتحصيل المعرفي إلى الارتقاء بالذات الإنسانية وإرادتها الحثيثة في الإسهام الفاعل في إحداث التغيير المستدام، بما يضمن الحقوق والحريات العامة للإنسان.

فقد شهد النظام التعليمي على المستوى العالمي والإقليمي والمحلي تجارب وممارسات في تربية المواطنة، إذ سعت كل الدول إلى بناء مناهجها وفقا لمعايير تنسجم بالضرورة مع أولويات وفلسفة مجتمعاتها، حيث اجتمعت في غالبيتها على تنمية القيم والمبادئ الأساسية التي تقوم على قيم ومعايير ممثلة في مبادئ الديمقراطية والتنوع والشمولية، وتقبل الآخر والتعايش والتعاون...

للتربية أبعاد متعددة ومتنوعة، وأهم هذه الأبعاد: [28]

1-4- البعد المعرفي /الثقافي: حيث تشكل المعارف جانبا مهما في العملية التربوية، حيث تتشكل هذه المنظومة من المعارف الركيزة التي يستند عليها التلميذ في تنمية مختلف مهاراته المختلفة، فالقيم الاجتماعية التي يتشبع بها التلاميذ أثناء تكوينهم المدرسي فهي المرآة العاكسة للمنظومة الثقافية والاجتماعية المكونة للوحدة الوطنية بكل تجلياتها، والتي تسهم في تفعيل قيم الولاء وحب الوطن، لتكون جملة

المعارف صمام أمان ومنهل يتغذى منه التماسك الاجتماعي، فالتشبع بالمعرفة التي تنمي ثقافة المواطنة تتحول إلى سلوك يطبع حياة الفرد والجماعة، ويعبر عن نضج ثقافي وإدراك حقيقي

2-4-البعد المهاراتي: تعتبر المهارات وتنميتها من أهم الأهداف التربوية التي يسعى أي نظام تربوي لتحقيقها بحيث تتوقف نجاعة هذا النظام التربوي على قدرته على تحقيق هذه الأهداف والمهارات التي هي نتاج عمليات تدريب والمواطنة كمفهوم وقيمة تتطلب مهارة من التواصل الجيد ومعرفة الحقوق والواجبات.

3-4-البعد الاجتماعي: إن البعد الاجتماعي للتربية على المواطنة يهدف إلى تحقيق قدرا مقبولا من التفاعل الاجتماعي للفرد المواطن مع بيئته باستغلال معارفه في تنمية قدراته ومهاراته في التواصل الجيد مع بيئته الاجتماعية من خلال بث روح العمل الجماعي.

4-4-البعد الوجداني: المواطنة قبل أن تكون مكانة سياسية أو سلوكا فهي وجدان يزخر بالمشاعر القوية اتجاه موضوع المواطنة، فكلما عززنا هذا الشعور بحب الوطن كلما تحوّل هذا التلميذ من مستقبل إلى مشارك فعلي في الحياة.

فإن مؤسسات التربية والتعليم معنية بإكساب المتعلمين هذه الأبعاد من خلال مجموعة من التدريبات والأنشطة التطبيقية بما يضمن سلوكيات المواطنة الإيجابية وتعزيزها.

تهدف التربية على المواطنة إلى تكوين الفرد المواطن المتشبع بقيم المواطنة التي تحدد حقوقه المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية" فإن التربية على المواطنة تعني ببناء الإنسان الحر الديمقراطي الذي يمتلك القدرة على المشاركة في الحياة السياسية مشاركة فعالة وحيوية، وبالتالي فإن هذا الإنسان لا يولد في المصادفات التاريخية العابرة ولا يوجد في فراغ اجتماعي، بل هو الإنسان التي يتوجب على التربية أن تقوم بإعداده وتحضيره إنسانيا، للمشاركة الحرة في صنع المصير الاجتماعي للمجتمع الذي ينتمي إليه"[29]

كما تشير التربية من أجل المواطنة إلى تكوين الأفراد على أن يكونوا فاعلين واثقين من أنفسهم قادرين على الدفاع عن حقوقهم بشجاعة مشاركين في تطوير مجتمعهم بفضل عملية التعليم التي تساعدهم على" أن يكونوا واثقين في أنفسهم يواجهون التمييز والاستعباد بشجاعة، ويكون لهم صوت في تقرير شؤون مدارسهم والحي الذي يعيشون فيه والمجتمع بأسره، وأخيرا يكون لهم إسهام في تطوير جودة الحياة في المجتمع سواء بالرأي أم الخبرة بالعمل الإبداعي"[30]

ففي ظل التغيرات الحاصلة في المجتمع يفترض توجيه التعليم نحو خلق الشعور بالنظام والتنظيم له، وتحقيق ذلك كله يتطلب إحداث تغييرات جذرية في سلوك المتعلمين من خلال ممارسة أنشطة متنوعة ومبرمجة داخل المدرسة فالنشاط جزء من المنهج الدراسي" فهو يساعد في تكوين عادات ومهارات وقيم وأساليب تفكير لازمة لمواصلة التعليم"[31] فالهدف الأسمى من هذه التربية هي تزويد الناشئة بمهارات المشاركة المدنية التي تشتمل على التفاعل مع الآخرين، والمشاركة في الأحداث العامة واتخاذ القرارات، فقد أصبح ذلك ضرورة حضارية لازمة في بناء المجتمعات الديمقراطية في ظل كل التحولات الراهنة التي يشهدها العالم والمواطنة تقتضي الشعور بالمسؤولية في أداء الواجبات والمطالبة بالحقوق، وهذه السمة تكون متكافئة بين الفرد والدولة، مما يسهم في إعداد الناشئة على المواطنة بمعانيها ومضامينها الإنسانية كون أن " للعملية التربوية تأثيرا في عملية التنشئة المدنية والسياسية للمتعلمين في فضاء المدرسة التي بدورها لها أثر عملي في بناء الشخصية السياسية للمتعلم"[32]

فهي تسعى إلى ذلك من خلال جملة من المعارف والنشاطات لتنمية شخصية المتعلم القادر على تحمل المسؤولية والتفاعل بإيجابية مع كل قضايا وطنه في ظل المتغيرات المحلية والدولية، ولن يتحقق ذلك إلا من خلال مناهج دراسية تتضمن جملة الأهداف التي تتوخى أي منظومة تربوية تحقيقها ومن أهمها:

– إكساب التلميذ معارف حول الحقوق المدنية والسياسية والاجتماعية للمواطن وتنمية قيم الديمقراطية؛

– تنمية وتعزيز مجموعة القيم الوطنية المرتبطة بالجوانب الثقافية والاجتماعية لأي نظام تربوي؛

– الحرص على القيام بالواجبات كمقابل للحقوق المكتسبة تعبيرا عن المواطنة الفاعلة؛

– تعزيز الشعور بالانتماء والاعتزاز بالوطن والعمل على حمايته والدفاع عنه ضد كل خطر.

– احترام الرموز الوطنية وتمجيدها؛

– تعزيز المساواة كقيمة اجتماعية بين أفراد المجتمع الواحد مهما كانت اختلافاتهم؛

– تطوير مهارات المشاركة الفعالة في الحياة الاجتماعية والسياسية من خلال التفاعل مع الأحداث الوطنية؛

– الإسهام في تنمية الجوانب الروحية والأخلاقية وتعزيز الثقة في النفس من خلال معرفة الحقوق والواجبات؛

– غرس ثقافة الحوار والتسامح والقدرة على التفاعل الاجتماعي من خلال العلاقات في الوسط الاجتماعي والتربوي.

وعليه فإن الهدف من كل هذا هو الحفاظ على الروح الاجتماعية وتزويد الناشئة والشباب بالمعارف عن البناء الحكومي ووظيفته، والالتزام بالقيم الأخلاقية التي تم اختيارها مثل العمل الجاد، والأمانة، واحترام القانون وغيرها.

5-قيم المواطنة في ضوء مناهج الجيل الثاني: وفي ظل هذه النظرة الشمولية لدور الفرد في المجتمع ودور التربية في بناء المواطن الصالح، ظهرت التطورات والتغيرات السريعة في العالم، والتي انعكست بشكل مباشر وقوي في جميع الأمم والشعوب، مما فرض على الأمم إحداث التغيير المطلوب من أجل التكيف مع التحديات العالمية سواء أكانت على المستوى الثقافي، أم الاجتماعي، أم الاقتصادي [33]

مما استدعى ذلك إلى إعادة الجزائر النظر في "إعداد مناهجها الدراسية، وأن تطرح فكرة المواطنة خلالها طرح تلك المفاهيم بحيث تضمن مهارات حياتية

وسلوكية من خلال الجوانب الإيجابية في القيم والعادات والتقاليد والاهتمام بالقواسم المشتركة والاهتمام بالمستقبل بوصفه بوصلة التقدم"[34]

ويستوجب المبادرة والإصلاح باعتباره" منظومة من الإجراءات التربوية التي تسعى إلى إصلاح الخلل أو حالة عدم التوازن التي يشهدها النظام التربوي، نتيجة لجملة من المتغيرات، وقد يكون الإصلاح التربوي جزئيا، أو كليا حسب طبيعة كل نظام، كما أنه يتضمن معاني اجتماعية واقتصادية وسياسية"[35]

وذلك بتوفير المناخ الملائم " وفق بيداغوجية اجتماعية توافقية، في إطار مشروع تربوي مجتمعي تكاملي مؤسس على إرادة سياسية للتغيير والإصلاح وإعادة البناء"[36] بغية تكوين مواطن الغد، كما حدده القانون التوجيهي للتربية في مادته الثانية" مزود بمعالم وطنية أكيدة، شديد التعلق بقيم الشعب الجزائري، قادر على فهم العالم من حوله والتكيف معه والتأثير فيه، ومنفتح على الحضارة العالمية"[37]

وفي ضوء كل ماسبق شرعت الدولة الجزائرية في إدخال تغييرات جزئية على النظام التربوي، الذي وجد نفسه في مواجهة مفاهيم لم تكن موجودة من قبل الديمقراطية، الحرية، التعبير والاتصال، والمواطنة، حقوق الإنسان، والمجتمع المدني...كان لزاما على الجزائر أن تتكيف مع المستجدات " ولعل أهم ما يمليه عليها هذا التغيير الاجتماعي السريع، هو أن يعدّ أفرادا قادرين على سرعة التكيف، مالكين لروح المبادرة، قادرين دوما على تجاوز ذاتهم وعلى الإبقاء على جوهرها في آن واحد"[38]

ولن يتحقق ذلك دون وضع مناهج دراسية ملائمة للتغيرات المسجلة، فكان المنهاج التربوي في مركز اهتمام القائمين على عملية الإصلاح من أجل تجسيد هذه الغايات، بما يتضمنه من مفاهيم ومبادئ وقيم اجتماعية، فالمنهاج" هو مجموعة من المعلومات والحقائق والمفاهيم والمبادئ والقيم والنظريات، التي تقدم إلى المتعلمين في مرحلة تعليمية بعينها، وتحت إشراف المدرسة الرسمية وإدارتها، إلا أن المنهاج التربوي في الواقع قد يتجاوز هذا التعريف ويصبح مجموعة من النوايا التربوية الرسمية أو التدريبية أو كليهما"[39]

فمن خلال المناهج المستخدمة، وبما يتضمنه من مفاهيم المواطنة تعد ضرورة لتحقيق غاية من غايات الإصلاح التربوي في تكوين مواطن معتز بانتمائه الوطني منفتح على العالم الخارجي، يمارس وطنيته بكل أبعادها من انتماء وحقوق وواجبات ومشاركة مجتمعية فعالة، فإن تفعيل مفاهيم المواطنة بكل أبعادها وقيمها في واقع المنظومة التربوية هو طريق النهضة لأي تطوّر.

إن إصلاح المناهج التربوية يكتسي أهمية بالغة، من أجل تحسين جودة التعليم وتكوين الإنسان وفقا للفلسفة التربوية للمجتمع.

هناك اتجاهان نحو تعظيم التربية على المواطنة في ظل إصلاحات مناهج الجيل الثاني وهما:

- **الاتجاه الأوّل:** وهي ضرورة وجود مقرر دراسي مستقل بهذا الاسم، وهذا ماهو جار عليه في مناهجنا الدراسية تحت مسعى التربية الوطنية.
- **الاتجاه الثاني:** وهو أن تؤسس وتبني المناهج الدراسية على مفاهيم التربية الوطنية مع الاستعانة ببعض البرامج التدريبية الهادفة إلى تنمية قيم المواطنة لدى المتعلمين وتحقيق الممارسة الفعلية في الواقع المعاش.[40]

فالبرغم من كل هذه الجهود الحثيثة لترسيخ قيم المواطنة لدى المتعلمين إلا أنه هناك عناصر يفتقد إليها الجيل الثاني في التربية على المواطنة غير ما ركزت عليه البرامج التعليمية الدولية، حيث لا يعزز الخطاب السياسي في الفصول الدراسية أو المشاركة السياسية خارج المدرسة، فمناهج الجيل الثاني تركز على قيم حب الوطن أكثر من التركيز على تعزيز قيم الحرية لدى المتعلمين، مما أثر على تطوير التفكير النقدي والتحليل ومهارات حل المشكلات لديهم.

إضافة إلى أن محتوى الكتب المدرسية غير كاف بشأن المفاهيم والقيم ذات صلة بالمواطنة في مجتمع ديمقراطي، وهناك عدد قليل من الأنشطة المصاحبة للمناهج الدراسية والأنشطة اللاصفيّة رغم أهميتها الحاسمة في تطوير مهارات وقيم المواطنة.

وعند تسجيل هذه النقائص في مناهج الجيل الثاني استدعت الضرورة اقتراح بعض الوسائل لتنمية مفاهيم المواطنة في المناهج الدراسية منها:

– الأمثلة الواردة في الكتاب المدرسي والتي يفضل أن تكون مرتبطة بالبيئة المحلية للمتعلم، حتى يتمكن من ربطها مع واقعه المعيش ويتفاعل معها.

– الصور والرسوم والأشكال، وفيها يتم التركيز على مظاهر الحياة في المجتمع المحلي الجزائري؛

– أسلوب دراسة الحالة، وفيها يتم ربط المتعلم بقضايا مجتمعه ويتم مناقشتها من مختلف الجوانب مثل: الهجرة غير الشرعية، هجرة الأدمغة؛ ...

– التطبيقات العلمية، وهنا يتم التركيز على التطبيقات العلمية التي تتطلب التركيز فيها على المفاهيم والظواهر العلمية من البيئة؛

– الرحلات والزيارات الميدانية من الأساليب الهامة في غرس قيمة الوطنية ويتم ذلك من خلال القيام برحلات استكشافية أو رحلات للمواقع الأثرية.

وعليه هناك ثلاثة مسارات للتربية من أجل المواطنة في ظل المتغيرات العالمية والمحلية وهي:

* المعرفة والفهم اللازمان للمواطن المثقف؛

* تنمية مهارات البحث والاتصال؛

* تنمية مهارات المشاركة والعمل المسؤول.

فمن بين أهداف مناهج الجيل الثاني تسعى إلى تنمية قيم المواطنة لدى المتعلمين، فهي تربط ربطه بوطنه وتجعله يشعر بالاعتزاز للانتماء إليه، وذلك بهدف جعل المتعلمين مواطنين فعالين في المجتمع.

6– دور المناهج التعليميّة في تعزيز مفاهيم المواطنة : إن الحديث عن المقاربات البيداغوجية في ميادين التربية والتعليم والتكوين متصل من حيث الأسس والسبل والأهداف بالمنظومة التربوية عامة وبمكوناتها جميعا الأسرة والمدرسة والمجتمع، وبمكونات كل من العناصر المذكورة منفصلة ومتصلة، وهي عناصر متداخلة في الكيان والدور والأهداف، والمنظومة التربوية منذ الاستقلال إلى يومنا

هذا شهدت ثلاث مقاربات، المقاربة بتبليغ المحتويات وتقوم على التلقين والمقاربة بالأهداف والتي تقوم على منطق التعليم، والمقاربة بالكفاءات تقوم على منطق التكوين، إلا أن جلّ هذه المقاربات منها ما سعى لتفعيل الجانب الكميّ ومنها ما سعى لتفعيل الجانب النوعيّ.

فلا يمكن النظر إلى هذا الإصلاح من وجهة نظر ما يخدم المتعلم فقط، وإنما لا بد من تسليط الضوء على كفاءات المعلمين في ظل هذه الإصلاحات، فإن العديد من المعلمين يفتقرون إلى الحد الأدنى من المؤهلات الضرورية لتعزيز مبادئ الديمقراطية في قاعة الدرس، وهذا ما كان معمولا به في المقاربات البيداغوجية الكلاسيكية القديمة، والتي كانت تحصر دور المتعلم في الاستماع لا الإبداع.وعندما يتعلق الأمر بأساليب التدريس، يسود الأسلوب التعليمي الذي يوجهه المعلم، ويتم تدريب المتعلمين على حفظ حقائق ومعلومات عن ظهر قلب ولا تتاح لهم سوى فرصة ضئيلة للحوار المفتوح مع تغييب للتفكير النقدي في مختلف المواد، مما يغيّب الجانب العملي من التعليم المدني إلى حد كبير .

فلقد تم بذل جهود حثيثة في إكساب مناهج التربية على المواطنة في مختلف مراحل التعليم بالجزائر وذلك وفق تبني لطرائق وأساليب وأنشطة متنوعة لتحقيق المواطنة المنشودة والتي كانت تسعى إلى تزويد المتعلمين بمجموعة من المعارف والمهارات والقيم من أجل المشاركة المنتجة والفاعلة داخل المدرسة وخارجها، من خلال تغذية المتعلمين بعواطف الحب والاعتزاز بالوطن لتتعدى حاجز العواطف إلى ممارسة سلوكية واعية تعبر عن نضج ثقافي ورقي حضاري من خلال عملية تربوية مستمرة في مختلف المراحل التعليمية التعلمية.

ولتكريس هذا الهدف يقدم برنامج اللغة العربية لتلاميذ السنة الثانية من التعليم المتوسط مجموعة من النصوص المنطوقة والمكتوبة تضمنت في ثمانية مقاطع كل مقطع كان في صميمه يعزز ويقوي قيم المواطنة.

أتى المقطع الأول بعنوان" **الحياة العائلية** "والذي تضمن نصوصا تتحدث عن الواقع المعيش للعائلة الجزائرية في الفترة الاستعمارية من خلال تجسيد لدور

العائلة في توفير الأمن والسّعادة لأفرادها، مع تثمين للمواقف الفردية والجماعيّة التي تسعى إلى دعم الروابط الأسريّة، والحث على صلة الرحم، ومن بين هذه النصوص: عائلة عيني، رعاية الجدة، وجبة بلا خبز، في سبيل العائلات...

أما المقطع الثاني فأتى تحت عنوان "**حب الوطن**" والذي تضمن هو الآخر نصوصا تبرز معاني الاعتزاز بالانتماء إلى الوطن وضرورة احترام رموز الوطن، مع تبيان معاني الترابط والتكاتف بين أبناء الوطن في سبيل أن تكون لهم راية واحدة، مع ذكر لحتمية الاجتهاد في الدراسة من أجل الإسهام في النهوض بالوطن، ومن بين هذه النصوص:المطاردة، أرض الوطن، من أجل حياة أفضل تحية العلم الوطني، الوطن والوطنية.....

والمقطع الثالث كان معنونا ب"**عظماء الإنسانية**" والتي يكلف فيها المتعلم بمهمات يسعى لتحقيقها من مثل تقدير ما بذله العظماء من أعمال ويثمنها، ويدرك تميزهم عن غيرهم، مع التأسي بكفاح العظماء ونضالهم ضد العقبات، ومن أهم النصوص التي تناولها هذا المقطع: لا لة فاطمة نسومر، الأسير المهيب، صانع السلام، إنسانية الأمير...

في حين أن المقطع الرابع أتي تحت عنوان "**الأخلاق والمجتمع**"والذي تضمن مواقف وقيما تعزز روح المواطنة لدى المتعلم كالاعتزاز بلغته وتقدير مكونات الهوية الجزائرية، مع احترام قيم الوطن وأخلاق الأمة، وتثمين الصلة بالتراث الفكري واللغوي والأدبي للأمة الجزائرية، استخلاص قيم من تجارب غيره في بناء مستقبله، من بين هذه النصوص:المروءة، إيثار امرأة عربية، فضائل الأخلاق أخلاق صديق...

أما فيما يخص المقطع الخامس فكان تحت عنوان"**العلم والاكتشافات العلمية**" والذي يتبين من خلاله المتعلم قيمة العلم في عصرنا الراهن ويدرك قيمته في الرقي والتقدم، مع إدراك أن العلم بلا أخلاق سلاح فتاك، وتناول هو الآخر نصوصا عن ذلك من مثل: سبيل النجاح، فضل العلم، الطب أمنيتي...

والمقطع السادس أتي بعنوان" **الأعياد**" ومن خلال هذا المقطع يتمكن المتعلم من التعرف على الأعياد الدينية والوطنية والعالمية ومظاهرها، وتثمين لقيم الأعياد لاغتنام الفرصة لصلة الرحم والتكافل الاجتماعي مما يجعله مشاركا فعالا ومنتجا في المجتمع، ومن بين هذه النصوص:صباح العيد، عيد الأم، نشيد العيد، خاتم العيد...

يليه المقطع السابع تحت مسمى" **الطبيعة**" والذي يتم في الحث على ضرورة التأمل في جمال الكون مع الحفاظ على الممتلكات العامة والخاصة من خلال الانخراط في الجمعيات الخيرية لجعلها مصدر راحة واطمئنان مع تعزيز ذلك في المحيط المدرسي، تضمن نصوصا تعزز ذلك أهمها:يوم الربيع، غصن الورد الاستنبات، حقل تغزران...

وفي الختام المقطع الثامن تحت عنوان" **الصحة والرياضة**" والذي تضمن هو الآخر نصوصا تحث على حاجة الجسم للضرورات الحياة، وإعلامه بكيفية بناء الجسم السليم وفق نظام غذائي صحي، مع ضرورة ممارسة الرياضة والتي يتجسد من خلالها الدعوة إلى حماية القدرة الصحية والجسدية، ومن بين هذه النصوص: نظام الغذاء، مارس الرياضة تكتشف نفسك، صحة أطفالنا والعادات الخاطئة ملاعب الكرة...

ومما سبق ذكره والتفصيل فيه يتبن جليا الدور البارز والفعال لمناهج الجيل الثاني في كتاب اللغة العربية للسنة الثانية من التعليم المتوسط في ترسيخ قيم المواطنة والاعتزاز بالانتماء للوطن والعمل على جعله فردا مشاركا وفعالا في صنع القرار والاستقلال بفكره من خلال تضمين لعادات الأسرة والمجتمع الجزائري، والحث على التكافل والتضامن وتعزيز روح الهوية الوطنية من خلال معالجة رموز الأمة والتعرف على أهم المناسبات والأعياد التي تقوي وتثمن صلة الرحم، وفي الأخير حماية البيئة والصحة، مع تضمين لبعض التقنيات من بينها آداب الحوار وغيرها .

وعليه فتعد التربية على المواطنة هدفا مهما في المؤسسة التعليمية التربويّة التي تقوم بإعداد الأجيال حتى يصبحوا مدركين لواجبهم وحقوقهم الوطنية، فالمدرسة من خلال منهاج اللغة العربية للسنة الثانية متوسط تسعى إلى:

– ربط المتعلم بدينه وتنشئته على التمسك بالقيم الإسلامية والربط بينها وبين هويته الوطنية؛

– تهذيب سلوك وأخلاق المتعلم على حب الآخرين واحترامهم من خلال المواقف الحياتية؛

– نشر حب المناسبات الوطنية الهادفة والمشاركة فيها بفعالية.

فإن التربية الحقة على المواطنة لا تكتفي بحشو الذهن المتعلم وتلقينه معلومات حول الكرامة والحرية والمساواة والاختلاف وغير ذلك من الحقوق، بل إنها تقوم على أساس أن يمارس المتعلم تلك الحقوق وأن يؤمن بها وجدانيا لكونها تمثل الهوية التي تربطه بمحيطه الاجتماعي وتلقينه للمرجعيات الأساسية كالحوار والتسامح والتعاون المتبادل والتهذيب، والمحافظة على البيئة وغيرها.

ولتحقيق كل هذه المساعي لا بد من تكاتف الهيئات التربوية، من خلال العمل على تقديم برنامج يساعد المتعلمين على أن يكونوا مواطنين متطلعين وعميقي التفكير يتحلون بالمسؤولية، مع الحث على تطوير مهارات الاتصال والاستقصاء بما يضمن المشاركة والقيام بأنشطة إيجابية ومسؤولة تعزز فيهم نموهم الروحي والأخلاقي، والثقافي مما يشجعهم على لعب دور إيجابي في مدرستهم ومجتمعهم.

خاتمة: شهد العالم في السنوات الأخيرة حركة نشطة وديناميكية في مراجعة وتحديث المناهج في مختلف المراحل الدراسية، وقد كانت هذه الحركة حتمية نتيجة التغيرات التي مست مختلف نواحي حياة الإنسان، ناهيك عن التفجر المعرفي في مختلف مجالات الحياة.

وعليه فإن الدور المنوط بالمدرسة هو البناء النظري والتطبيقي للمواطنة كقيمة اجتماعية في نفوس المتمدرسين، فواجبها أن تعلمهم المواطنة فكرة ومفهوما سلوكا وممارسة، ولتحقيق هذا الغرض تتبنى التربية على المواطنة مقاربات متعددة

الأبعاد تقوم على مفاهيم وأساليب تطبق في العديد من المجالات على غرار التعليم من أجل التنمية المستدامة، والتعليم من أجل التفاهم العالمي.

ومن أهم التوصيات التي نخرج بها من هذا البحث:

- تعزيز لمفهوم المواطنة من خلال تطوير برامج تعليمية هادفة؛
- وضع خطط وبرامج توعوية سياسية واقتصادية؛
- تدعيم المقررات في جميع المواد بمظاهر المواطنة المجتمعية في مختلف المجالات، وعدم اقتصارها على المواد الاجتماعية؛
- أثر استخدام الرحلات المعرفية الاستكشافية، مما يسهم في تنمية قيم المواطنة؛
- فاعلية استخدام التعليم المدمج في تنمية قيم المواطنة الاجتماعية والاقتصادية.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

- أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت 1982
- أحمد فرطيس، دليل المعلم لمادة التربية المدنية للسنة الرابعة إبتدائي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، 2006.
- أحمد صالح مصلح، الشامل لقاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية، دار عالم للكتب والطباعة والنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1999.
- أماني غازي جرار، المواطنة العالمية، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن 2011
- إبراهيم فهد الحبيب، تربية المواطنة، الاتجاهات المعاصرة في تربية المواطنة جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية، 2005
- آلبالا بيرتراند، تر : راضية بوزيان، المواطنة والمؤسسة التعليمية في الجزائر دراسة سوسيولوجية لكتب المواد الاجتماعية نموذجا، مجلة إضافات العدد6، 2009
- بدران شبل، التربية المدنية، التعليم والمواطنة وحقوق الإنسان، تقديم: حامد عمار دار المصرية اللبنانية، ط1، 2009.
- بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت.

– تيسير محمد الخوالدة، دور عضو هيئة التدريس في الجامعة الأردنية في تنمية قيم المواطنة من وجهة نظر الطلبة، مجلة دراسات العلوم التربويّة، المجلد 40، ملحق 3 2013

– جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جامعة بغداد، ج5 1993 .

– حسن حسين البيلاوي، الإصلاح التربوي في العالم الثالث، عالم الكتب، القاهرة 1998 .

– زكي رمزي مرتجى، محمد محمود الرنتسيسي، تقييم محتوى التربية المدنية للصف السابع والثامن والتاسع الأساسي في ضوء قيم المواطنة، مجلة الجامعة الإسلامية غزة فلسطين، 2011 .

– زهو عفاف محمد، دور التعليم في تربية المواطنة لعصر العولمة، مجلة كلية التربية جامعة بنها، مصر، 2007.

– زياد بركات، ليلى أبو علي، مظاهر المواطنة الاجتماعية في المقررات الدراسية في العلوم الاجتماعية، ورقة بحث مقدمة إلى المؤتمر العلمي الرابع "التربية والمجتمع" جامعة جرش الأهلية، فلسطين يوليو، 2011.

– سامح فوزي، المواطنة، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، القاهرة، 2007.

– الشامي الأشهب يونس، سوسيولوجيا المواطنة أم علم التربية المواطنة؟ أنماط العلاقة بين النسق الاجتماعي والنسق التربوي ضمن خصوصية التربية على المواطنة المجلة العربية لعلم الاجتماع، العدد 23، 2013.

– عامر طارق عبد الرؤوف، االمواطنة والتربية على المواطنة، اتجاهات عربية وعالمية، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2012.

– عايدة أبو غريب، تطوير مناهج التعليم لتنمية المواطنة في الألفية الثالثة لدى طلاب المرحلة الثانوية، المؤتمر الأول للجمعية المصرية للدراسات الاجتماعية "تربية المواطنة ومناهج الدراسات الاجتماعية :، الجمعية المصرية للدراسات الاجتماعية، القاهرة، دار الضيافة، جامعة عين الشمس، 19–20يوليو، 2008.

– عبد الجليل أبو المجد، مفهوم المواطنة في الفكر العربي الإسلامي، إفريقيا الشرق المغرب، 2010.

– عبد الله الدائم وآخرون، التربية والتنوير في تنمية المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2005.
– عبد الله الدائم، نحو فلسفة تربوية عربية، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ط2 1991.
– علي أحمد مذكور، التعليم وتأسيس المواطنة لدى الإنسان العربي، مجلة العلوم التربوية، العدد 01، الجزء الأول، يناير، 2014.
– علي خليفة الكواري، مفهوم المواطنة في الدولة الديمقراطية في كتاب المواطنة في البلدان العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2011.
– فارس عقلان، التنشئة السياسية المفهوم والأهمية والنمط السائد في الجمهورية اليمنية مجلة المعهد الميثاق، العدد127، مارس2008.
– فرحاني الشربي، تربية المواطنة – الديمقراطية– العولمة أية علاقة؟، سلسلة دفاتر المخبر، جامعة بسكرة، العدد01، 2005.
– كلثوم محمد إبراهيم الكندري، مرنة سعد خالد العازمي، قيم المواطنة المتضمنة في كتاب التربية الإسلامية للمرحلة الثانوية في دولة الكويت دراسة تحليلية، مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربويّة والنفسية، المجلد 5، يناير، 2013 .
– ماجد بن ناصر خلفان المحروقي، دور المناهج الدراسية في تحقيق أهداف التربية المواطنة، 2008.
– محمد إبراهيم حسان، المواطنة وتطبيقاتها في المملكة العربية السعودية مطبعة دار الشبل، الرياض، 1416.
– محمد محمود الخوالدة، أسس بناء المناهج التربوية، دار المسيرة، عمان الأردن.
– محمد العربي ولد خليفة، المهام الحضارية للمدرسة والجامعة الجزائرية مساهمة في تحليل وتقييم نظام التربية والتكوين والبحث العلمي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر.
– أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت مج13.
– هاني عبد الستار فرج، التربية والمواطنة دراسة تحليلية، مجلة المستقبل التربية العربية، العدد35، الجزء10، 2004.

– هناء عبد الله محمد، واقع قيم المواطنة في مناهج التربية الوطنية وأداء معلميها بالمرحلة الثانوية داراسة تحليلية، المؤتمر العلمي الرابع الدولي "التعليم وتحديات المستقبل"، جامعة سوهاج، مصر، 25–25 أفريل، 2009.
– وزارة التربية الوطنية، القانون التوجيهي للتربية الوطنية رقم 08–04 المؤرخ في 23 جانفي 2008، المادة الثانية.
– يوسف القرضاوي، شريعة الإسلام صالحة للتطبيق في كل زمان للتطبيق دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1993.

الهوامش والإحالات:

1- عايدة أبو غريب، تطوير مناهج التعليم لتنمية المواطنة في الألفية الثالثة لدى طلاب المرحلة الثانوية، المؤتمر الأول للجمعية المصرية للدراسات الاجتماعية "تربية المواطنة ومناهج الدراسات الاجتماعية :، الجمعية المصرية للدراسات الاجتماعية القاهرة، دار الضيافة، جامعة عين الشمس 19-20يوليو 2008، ص 13

2- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت مج13 ص 451.

3- بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، ص 975.

4- أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان بيروت، 1982، ص 66.

5- أماني غازي جرار، المواطنة العالمية، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2011 ص 42.

6- أحمد صالح مصلح، الشامل لقاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية، دار عالم للكتب والطباعة والنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1999، ص 88.

7- سامح فوزي، المواطنة، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، 2007 ص 7.

8- زهو عفاف محمد، دور التعليم في تربية المواطنة لعصر العولمة، مجلة كلية التربية جامعة بنها، مصر، 2007، ص 40.

9- كلثوم محمد إبراهيم الكندري، مرنة سعد خالد العازمي، قيم المواطنة المتضمنة في كتاب التربية الإسلامية للمرحلة الثانوية في دولة الكويت دراسة تحليلية، مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربويّة والنفسية، المجلد 5، يناير، 2013 ص 312.

10- زكي رمزي مرتجى، محمد محمود الرنتسيسي، تقييم محتوى التربية المدنية للصف السابع والثامن والتاسع الأساسي في ضوء قيم المواطنة، مجلة الجامعة الإسلامية غزة، فلسطين 2011 ص 166.

11- هناء عبد الله محمد، واقع قيم المواطنة في مناهج التربية الوطنية وأداء معلميها بالمرحلة الثانوية داراسة تحليلية، المؤتمر العلمي الرابع الدولي "التعليم وتحديات المستقبل"، جامعة سوهاج مصر، 25-25 أفريل، 2009، ص 535.

12- تيسير محمد الخوالدة، دور عضو هيئة التدريس في الجامعة الأردنية في تنمية قيم المواطنة من وجهة نظر الطلبة، مجلة دراسات العلوم التربويّة، المجلد 40، ملحق 3، 2013 ص 1160.

13- ماجد بن ناصر خلفان المحروقي، دور المناهج الدراسية في تحقيق أهداف التربية المواطنة، 2008، ص 04.

14- علي خليفة الكواري، مفهوم المواطنة في الدولة الديمقراطية في كتاب المواطنة في البلـــدان العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2011، ص 24.
15- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جامعة بغداد، ج5 1993، ص 178.
16- يوسف القرضاوي، شريعة الإسلام صالحة للتطبيق في كل زمان للتطبيق، دار الصـــحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1993، ص25.
17- سورة البقرة، رواية ورش، الآية 126
18- سورة آل عمران، رواية ورش، الآية 103.
19- سورة الحجرات، رواية ورش، الآية 13.
20- فرحاني الشربي، تربية المواطنة – الديمقراطية- العولمة أية علاقـــة؟، سلســـلة دفـــاتر المخبر، جامعة بسكرة، العدد01، 2005، ص 46-47.
21- فارس عقلان، التنشئة السياسية المفهوم والأهمية والنمط السائد في الجمهورية اليمنية مجلة المعهد الميثاق، العدد127، مارس2008، ص31
22- محمد إبراهيم حسان، المواطنة وتطبيقاتها في المملكة العربية السعودية، مطبعة دار الشبل الرياض، 1416، ص36.
23- عبد الجليل أبو المجد، مفهوم المواطنة في الفكر العربي الإسلامي، إفريقيا الشرق المغرب 2010، ص 22.
24 – زياد بركات، ليلى أبو علي، مظاهر المواطنة الاجتماعية في المقـــررات الدراســـية فـــي العلوم الاجتماعية، ورقة بحث مقدمة إلى المؤتمر العلمي الرابع "التربية والمجتمع"، جامعة جرش الأهلية، فلسطين يوليو ن2011ن ص 25
25- علي أحمد مدكور، التعليم وتأسيس المواطنة لدى الإنسان العربي، مجلة العلـــوم التربويـــة العدد 01، الجزء الأول، يناير، 2014، ص6.
26- هاني عبد الستار فرج، التربية والمواطنة دراسة تحليلية، مجلة المستقبل التربيـــة العربيـــة العدد35، الجزء10، 2004، ص 13.
27- الشامي الأشهب يونس، سوسيولوجيا المواطنة أم علم التربية المواطنة؟ أنماط العلاقة بـــين النسق الاجتماعي والنسق التربوي ضمن خصوصية التربية على المواطنة، المجلة العربية لعلـــم الاجتماع، العدد 23، 2013، ص 111.
28-عامر طارق عبد الرؤوف، االمواطنة والتربية على المواطنة، اتجاهـــات عربيـــة وعالميـــة مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2012 ص 30.

[29]- هناء عبد الله محمد، واقع قيم المواطنة في مناهج التربية الوطنية وأداء معلميها بالمرحلة الثانوية داراسة تحليلية، المؤتمر العلمي الرابع الدولي "التعليم وتحديات المستقبل"، جامعة سوهاج مصر، 25-25 أفريل، 2009، ص 545

30- سامح فوزي، المواطنة، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، القاهرة، 2007، ص 23.

31- أحمد فرطيس، دليل المعلم لمادة التربية المدنية للسنة الرابعة إبتدائي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، 2006، ص159.

32- آلبالا بيرتراند، تر : راضية بوزيان، المواطنة والمؤسسة التعليمية في الجزائر، دراسة سوسيولوجية لكتب المواد الاجتماعية نموذجا، مجلة إضافات، العدد6، 2009، ص 102.

33- إبراهيم فهد الحبيب، تربية المواطنة، الاتجاهات المعاصرة في تربية المواطنة، جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية، 2005، ص 48

34- بدران شبل، التربية المدنية، التعليم والمواطنة وحقوق الإنسان، تقديم: حامد عمار، دار المصرية اللبنانية، ط1، 2009، ص11.

35- حسن حسين البيلاوي، الإصلاح التربوي في العالم الثالث، عالم الكتب، القاهرة، 1998 ص 32.

36- عبد الله الدائم وآخرون، التربية والتنوير في تنمية المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2005، ص39-40.

37- وزارة التربية الوطنية، القانون التوجيهي للتربية الوطنية رقم 08-04، المؤرخ في 23 جانفي 2008، المادة الثانية، ص11.

38- عبد الله الدائم، نحو فلسفة تربوية عربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2 1991، ص131.

39- محمد محمود الخوالدة، أسس بناء المناهج التربوية، دار المسيرة، عمان، الأردن، ص 18

40- محمد العربي ولد خليفة، المهام الحضارية للمدرسة والجامعة الجزائرية، مساهمة في تحليل وتقييم نظام التربية والتكوين والبحث العلمي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر ص 25.

ممارسة المواطنة اللغويّة من خلال الترجمة الثُنائيّة للنصوص الشّعريّة

"دراسة ميدانيّة للظّاهرة في مدينة غرداية (عيِّنات مختارة)"

الاسم واللقب: يوسف باعمارة

الدَّرجة العلمية: دكتوراه دراسات لغوية وأدبية.

المؤسسة: جامعة غرداية.

الملخَّص العام: تُشكِّل العربية والمازيغية ثنائية المجتمع الجزائري بشكل عام وفي ولاية غرداية بالجنوب الجزائري بشكل خاص؛ كون اللغتين لسان التخاطب اليومي والتواصل الأدبي والإعلامي والحضاري، وهذه الثنائية تعمل على تعزيز المواطنة اللغوية وتحقيقها داخل المؤسسات الاجتماعية والتربوية والدينية من خلال التعامل معهما –أي العربية والمازيغية– كعامل تحاور يتجلى في الترجمة من نص إلى نص ومن فكرة لأُخرى، إضافة إلى إبراز علاقات الاختلاف والائتلاف اللسانية واللغوية والإيقاعية لأجل التعلم والمثاقفة والقراءة.

و تسعى هذه الورقة البحثية إلى إبراز دور الترجمة في تعزيز المواطنة اللغوية من خلال القيم التي تحملها تلك النصوص اللغوية، وإسهامها في الأخير إلى التكامل والاتحاد لا إلى التنافر والتنازع؛ وستحمل مداخلتنا المباحث التالية:

–تعريف الترجمة وشروطها.

–ترجمة النصوص الشِّعرية بين العربية والمازيغية بولاية غرداية (نماذج وعينات)

–خصائص الترجمة اللغوية العربية والمازيغية.

–خاتمة وتوصيات.

1-**تعريف الترجمة وشروطها:** للترجمة مكانة عظيمة في حياة الشُّعوب عبر التاريخ؛ فبوساطتها نُقلت المعلومات التاريخية والفلسفية والاجتماعية والدينية والحضارية منذ العصر اليوناني إلى اليوم، ومن أدلَّة ذلك استفادة كثير من الدُّول النامية من العلوم المختلفة عن طريق الترجمة (Traduction) من لغة إلى أُخرى فنقلت التجارب والخبرات والتراكمات المعرفية، وسهَّلت الطريق لانتقال المعلومات من بلدان بعيدة إلى عُقر دارها، وقرَّبت المسافة لأجل التواصل اللغوي والمعرفي والحضاري.

وقد تعدَّدت التعريفات اللغوية للترجمة من قاموس لآخر، ففي لسان العَرب لابن منظور: الترجمانُ: المفسر للسان، والترجمان – بالضم والفتح– هو الذي يترجم الكلام، أي ينقله من لغة إلى أخرى، والجمع تراجم"[1] وجاء في قاموس المنجد في اللغة والأعلام: "ترجم الكلام: فسره بلسان آخر، فهو ترجمان والجمع تراجمة وتراجم، وترجم عنه: أوضح أمره، والتراجم: التَّفسير وترجم الرجل: ذكر سيرته والترجمة: ذكر سيرة شخص وأخلاقه ونسبه، وترجمة الكتاب: فاتحته"[2].

والترجمة –اصطلاحا– هي نقل الكلام بأنواعه المختلفة من لغة إلى أُخرى أو هو التعبير عن معناه بكلام آخر في لغة أُخرى مع الوفاء بجميع معانيه ومقاصده؛ كأنَّك نقلت الكلام نفسه من لغته الأولى إلى اللغة الثانية"[3] والترجمة فن تطبيقي تمثِّل الحرفة التي لا يمكن إتقانها إلا بالدُّربة والمِران والممارسة استنادًا إلى موهبة؛ بل ربما للترجمة جوانب جمالية وإبداعية. لذلك لا يمكن للمترجم أن يُخرِج نصًّا مقبولًا مترجمًا عن اللغة العربية واللغة الإنجليزية مهما كان حظُّه من العلم باللغتين إلا بالممارسة الطويلة للترجمة ولذلك يأخذنا هذا الحديث إلى الإدراك بأن ليس كل شخص مترجمًا وإنما هو من تتوفر لديه مجموعة من الصفات والخبرات الخاصة والمميزة لشخصه فالترجمة هي صياغة الأفكار في كلمات موجهة إلى القارئ من خلال تطويع اللغة التي تُصاغ منها الأفكار والترجمة أنواع منها الترجمة التعليمية والترجمة الإخبارية والترجمة التواصلية...إلخ[4]

وتتجلَّى شروطها في:

- إجادة المترجم لفنـــون الكتابـــة باللغـــة التي يكتـــب بها؛
- فهم الـــنصـــوص التي يتـــرجـــم فيهـــا؛
- الاستعـــانـــة بالقواميس والمعاجم اللغوية والنحوية؛
- الإلمام بعلوم العصر، والإحاطة العلمية بالعالَم الذي يعيش فيه وبمستجدَّاته؛
- الإحاطة بالألفاظ واشتقاقاتها اللغوية وتراكيبها الصَّرفية؛
- فهم دلالات الألفاظ واختلافاتها من سياق لآخر؛
- التوفيق في بناء الجملة وصياغتها بين اللغتين الأصلية والمترجمة وهذا تفاديا للإطناب والتفصيل الممل؛
- التقريب بين معاني الكلمات وتجنُّب الاختلاف الثقافي أو الحضـــاري الـــذي يكون وليد الترجمة اللغوية، وذلك لأن اللغة تحمل معها الكيان الاجتماعي والانتماء الايديولوجي، ومعنى هذا أن تكون الترجمة علمية خالصة من الأفكار والتوجُّهـــات الخارجة عن نطاق النَّص[5].

2- <u>ترجمة النصوص الشِّعرية بين العربية والمازيغية بولاية غرداية (نماذج وعينات)</u>

بما أن اللغة العربية والمازيغية تُشكِّلان ثنائية مقدَّسة في المجتمـــع الجزائـــري فإننا نلمس الترجمة متبادلة بينهما على حسب إنتاج النَّص الأصلي؛ فإذا وجدنا نصًّا رصينا أُنتج بالعربية تلقَّته الترجمة المازيغية للتوضيح والتبسيط والنَّشـــر، وعلـــى العكس من ذلك فقد أحصينا نصوصا قيِّمة أُنتجت باللسان المازيغي؛ فترجمت إلـــى اللغة العربية لتُعطي لها بُعدا وطنيا وإقليميا لمن لا يفهم اللسان المازيغي، إضـــافة إلى تعزيز قيم المواطنة اللغوية ونشرها وترسيخها في الـــذاكرة الجماعيـــة للأُمَّـــة الجزائرية، وقد لمسنا في بحثنا هذا -وعند القيام بعملية مسح شـــاملة للنصـــوص الأدبية- أنَّ الترجمة تتم على مستوى الشِّعر أكثر من النَّثر؛ بحكم الجانب الإيقاعي والتأثيري والقيمي التي يحظى بها الشِّعر؛ على أنَّه يمكن استدراك القول بأنَّ النثـــر

بدأ يأخذ حظا معتبرا في الآونة الأخيرة من خلال ترجمة النُّصوص السَّـردية ذات الطَّابع الحكائي الشائق، وإقامة علاقة تناصية بين الأثرين المترجمين.

أ- **الترجمة من العربية إلى المازيغية:**

هناك محاولات كثيرة للترجمة في هذا المضمار بولاية غرداية نظرًا للتركيبة السُّكانية المتنوعة من جهة، وخدمة الأدب الجزائري من جهة أُخرى، وكذا تعزيز قيم المواطنة اللغوية وإعطائها المكان اللائق بها لِتُسهم في التَّعايُش والسَّلام واحترام التنوع اللغوي والاثني، ولعلَّ العمل الأدبي البارز الذي جسَّد هذه المبادئ هو الإبداع الأدبي للشَّاعر يوسف بن قاسم لعساكر الذي قدَّم الكثير من المجهودات في اللغتين العربية والمازيغية، وأجلُّها هو ترجمته لنصوص عديدة من إلياذة الجزائر لمفدي زكريا، ولم يتوقف عند هذا الحد؛ بل قام بتسجيل ما أنتجه من نصوص مترجمة لمفدي صوتيا ونشرها في إذاعة غرداية ليتسنَّى للمستمعين والمستمعات متابعة الإبداع الأدبي المحلِّي عن كثب.

ومن النَّماذج التي نستشهد بها ترجمته لقصيدة "تقدَّس واديكِ" لمفدي التي يقول فيها:

تَقَـدَّسَ وَادِيـكِ مَنْبَـتَ عِـزِّي وَمَسْـقطَ رَأْسِـي وَإِلْهَـامَ حِسِّـي

وَرَبْـضَ أَبِـي وَمَرَابِـعَ أُمِّـي وَمَغْنَـى صِـبَايَ وَأَحْـلاَمَ عُرْسِـي

وَفَخْـرَ الْجَزَائِـرِ فِيـكِ تَنَاهَـتْ مَكَـارِمُ عُـرْبٍ وَأَمْجَـادُ فُـرْسِ

وَأَحْفَـادَ أَوَّلِ مَـنْ رَكَّـزُوا سِـيَادَةَ أَرْضِ الْجَزَائِـرِ أَمْـسِ

دِمَـاءُ ابْـنِ رُسْـتَمَ مِـلْءَ الْحَنَايَـا صَـوَارِخُ يُلْهِـبْنَ عِـزَّةَ نَفْسِـي

وَعِـرْقُ الأُصَـالَةِ طَهَّـرَ طَبْعِـي وَنُـورُ الْهِدَايَـةِ أَذْهَـبَ رِجْسِـي

وَكَرَّمْـتُ بِاسْـمِ الْمَفَـاخِرِ قَـوْمِي وَشَـرَّفْتُ بِاسْـمِ الْجَزَائِـرِ جِنْسِـي

إِذَا لِلْكَرِيهَـةِ نَـادَى الْمُنَـادِي بَـذَلْتُ حَيَـاتِي وَوَدَّعْـتُ أُنْسِـي

وَإِنْ لِلسَّـخَاءِ اسْـتَجَابَ كَـرِيمٌ فَفِـي الْجُـودِ لَقَّنْـتُ أَرْوَعَ دَرْسِ

وَإِنْ شَـيَّدُوا لِلْبَقَـا وَالْخُلُـودْ جَعَلْـتُ وَفَـائِي دِعَامَـةَ أُسِّـي[6]

وتقابلها الترجمة المازيغية باللغة المزابية المحلية؛ حيث يقول فيها الشَّاعر يوسف لعساكر:

أَي تَمَقْرَدْ سِ غَزْرَنَّمْ أَتَلاَ نْ وَغْلاَنْ أَتَمورْتْ سِ دْلُوغْ دِيسْ أَوْتَغْ إِزُورَانْ

جَارْ إِغَالَنْ نْ بَابَاكْ دِدْمَارَنْ نْ مَمَّاكْ دْوَتْاَعْ نْ مَزِّيكْ دُ وَرْجَ نِ سْلاَنْ

إِخَفْ نَ دْزَايَرْ أَسِّيجَمْ يُولِي دَلْفُرْسْ دْوَعْرَابَنْ دوَزْعِيمْ سِ زُورَانْ

أَتَّرْوَا إِمَزْوَارْ أَمَصْشِينْ تَامُورْتُو سِ بَكْرِي ادْنَتْنِينْ غْفَمْ دِيوَزْرَانْ

إِدَمَّنْ نَاتْ رُسْتُمْ نَطُّونْ دِي أُولِيكْ رَقَّنْ أَسْرَقَّانْ إِخْسَانْ ادْوَدَانْ

اجُومْ نَ تْزَعْمِي يَزْدَقْيِي تِشْلِيكْ ادْنِيرْ نَ تْغَدِّي يَسَّفَضْيِي إِنْجَانْ

سِ سَمْ نَ دْزَايَرْ بَدْرَغْ تَوَّاتِيكْ سِ سَمْ نَ دْزَايَرْ أَسِّيلِيغْ آتْ وَغْاَنْ

بَتَّ غَلْ تْمَتَّانْتْ إِعَيَّضْ وِي عَيْضَنْ أَدَجَّغْ إِضْسِيكْ أَدْلاَلْ سُ زْلاَنْ

أَنَّغْ يَلاَّ حَدْ يَبْزَرْ أَيَتْلِيسْ نَشِّي دَمَزْوَارْ ابْزَرْغَامْ إِيمَانْ

بَتَّ إِدُونِّيتْ مِدَّنْ أَلاَّنْ شَطِّينْ نَشِّي أَلِّيغْ شَطِّيغْ إِوَزْدَاغْ إِجَنْوَانْ[7]

إذا قارنا بين القصيدتين نجد أن كلتيهما تحتوي على عشرة (10) أبيات شِعرية فنفهم بأن المترجم الشَّاعر يوسف لعساكر لم يُخل بأفكار مفدي التي طرحها في نصِّه؛ فقد نَقل أفكاره بكلِّ أمانة علمية وصدق فني مع الإبداع في الطَّرح والنَّقل بعيدا عن طريقة الرَّتابة والتَّقليد الحرفي (copier, coller)، أمَّا من حيث الجانب الإيقاعي فقد اختار مفدي صوت السِّين المهموس رويًّا وألفاظا لينقل عواطفه ومشاعره الداخلية عن وطنه ومسقط رأسه (**تَقدَّسَ، مَسْطَ، رَأْسي، حِسِّي فُرْسِ سِيَادَةَ، رُسْتُمَ، رِجْسِي، السَّخَاءِ، اسْتَابَ، دَرْسِ**) وفي الترجمة المازيغية اختار الشَّاعر يوسف صوت النُّون رويًّا وألفاظًا لما فيه من غُنَّة عذبة وإيقاع رخيم لوصف مشاعر مفدي بلغته المحلية التي تتميَّز باستعمالها صوت النُّون بقوة فكان هذا التّماثل والتَّمازج موفَّقا: (**وَغْلاَنْ، إِزُورَانْ، إِدْمَارَنْ وَعْرَابَنْ، نَتْنِينْ إِدَمَّنْ، نَطُّونْ، رَقَّنْ، أَسْرَقَّانْ، إِخْسانْ، ادْوَدَانْ، مِدَّنْ إِجَنْوَانْ**) وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدلُّ على تمكُّن المترجم من استخدام الأدوات الإجرائية

المناسبة في محلِّها، ومن جهة أُخرى فإنَّ النَّص الشِّعري الأصلي لمفدي والمازيغي ليوسف يعملان بقوَّة على تجسيد المواطنة اللغوية وتكرسيها من حيث التنوُّع في الشَّكل أي اللغة، والتنوُّع في المضمون أي الموضوع؛ فقد وقع الاختيار على النَّص الذي يتحدَّث عن الدولة الرستمية التي تنوَّعت مذاهبها وأعرافها واختلفت تركيبة سكَّانها إلا أنَّهم عاشوا في سلام ووئام كبيرين كما يشهد بها قاطنوها ابتداءً ومؤرخوها انتهاءً، وهي رسالة شعرية قوية من مفدي إلى أنَّ الدُّول تتماسك وتقوى بالتعايش والسَّلام، وإلا فإنَّها تفنى بالحروب والقلاقل والفتن.

ومن القصائد التي ترجمها الشَّاعر يوسف لعساكر قصيدة "تَفسَّخ هَذا الشَّباب ومَاعَا" لمفدي زكرياء التي يقول فيها:

تَفَسَّخَ هَذَا الشَّبَابُ وَمَاعَا ... وَخَرَّبَ أَخْلَاقَهُ وَتَدَاعَى

فوَيْلُ الْجَزَائِرِ وَالْمُسْلِمِينَ ... إِذَا دَنَّسَ النَّشْءُ هَذِي الطِّبَاعَا

وَكَيْفَ يَسُوسُ الْبِلَادَ غَبِيٌّ ... بَلِيدٌ أَضَاعَ الضَّمِيرَ فَضَاعَا؟

وَمَنْ يَطْمَئِنُّ لأَقْدَارِ شَعْبٍ ... إِذَا اسْتَخْلَفَ الشَّعبُ فِيهِ الضِّبَاعَا؟

وَكَيفَ يَقُومُ بُنْيَانُهُ ... وَتَقْوِيمُ أَخْلَاقِهِ مَا اسْتَطَاعَا؟

وَكَيْفَ يَصُونُ الأَصَالَةَ نَشْءٌ ... وَقَدْ سَاوَمُوهُ عَلَيَا فَبَاعَا؟

وَكَيفَ يُنِيرُ الطَّرِيقَ شَبَابٌ ... وَقَدْ طَمِسَ الرِّجْسُ فِيهِ الشُّعَاعَا؟

وَكَيْفَ يُدَاوِي الْمَرِيضُ صَحِيحًا ... وَفِي قَلْبِهِ مَرَضُ السِّلِّ شَاعَا؟

وَكَيْفَ يُصَارِعُ مَوْجَ الْحَيَاةِ ... وَمَا اسْطَاعَ فِي أَصْغَرَيْهِ الصِّرَاعَا؟

هُوَ الخَطَرُ الْجَارِفُ الْمُسْتَطِيرُ ... فَإِنْ تُهْمِلُوهُ الْوَدَاعَ الْوَدَاعَا[8]

تقابلها القصيدة المترجمة بالمازيغية ليوسف لعساكر القائل فيها:

بـــــورَخْسْ نِ مَـــــارُو دِتْفُورِيـــــغْ أَغْبـــــانْ

تِشْلِنْسَـــــنْ تَلْمُـــــومِي آلْ تَفْسَـــــا أَنْ وَمَـــــانْ

تـــــالَقِّي نَ دْرَايـــــرْ تـــــالَقِّي نِ مْســـــلْمَنْ

تَـــالَقِّي نْ طَرْوَانْسَـــنْ سَـــا دَدْوَلَـــنْ دَاتْ وَمَـــانْ

مـــــــانَشْ أَدِسّـــــــجُورْ تَمـــــــدُّورْتَسْ وِلاَّنْ

يَتْشَـــــرْدْ دَبَرْهُـــــوشْ اسْـــــجُورَانْتْ دِيِيـــــدَانْ

مـــــــانَشْ أَنـــــدْهَاتَّتْ سِ تِيمـــــالْ نْ طَرْوَانـــــغْ

سَـــــادِيلِينْ دِفِيسَـــــنْ غَفْنَـــــغْ دِجَلْـــــدَانْ

مـــــــانَشْ أَدْيـــــالِي أَغـــــرْمْ دِتْمُورْتَنـــــغْ

دْنَشْـــــنِينْ أُوسْـــــنَدْجِي أَزَلْ إِيـــــوْمْزَّانْ

مـــــــانَشْ أَدَرَّنْ فْ وَغْلاَنـــــو طَرْوَنـــــغْ

سَادَوْضَـــــنْ غَـــــلْ تَرَضْـــــوِينْ أَنَّـــــنْكَضْ

إِزُورَانْ

مـــــــانَشْ أَدْيَخـــــزَرْ لْدَسّـــــاتَسْ أَمكـــــرُوسْ

دِتْفُورِيـــــغْ تِـــــيطَّسْ أُوسْـــــنُوفِي إِغَمْـــــدَانْ

ســـــمَانِي أَدْنـــــاوِي إِســـــفَارَنْ إِتَزْمـــــرْتْ

دُومْـــــلاَوِي إِيمَـــــانَسْ يَتْـــــوَاغْ سْ وَطَّـــــانْ

مـــــــانَشْ أَنَّرْنـــــي أَنَّســـــمُنْكَرْ أَنْ مـــــدَّنْ

دِلْسَـــــنَّغْ نْشْرَسْـــــتْ نَدْوَلـــــدْ دِعِقَّانْ

تـــــونِي تْوَاغِيـــــتْ تُوســـــدْ أَنُوســـــوفْ

بَـــتَّ أُوسْـــنَقِّيلْ يَـــزْوَا دِيـــسْ أَوَنْ وَغْلَـــانْ[9]

عند المقارنة بين القصيدتين نجد كلتيهما حوت عشرة (10) أبيات كاملة ترجم فيها الشَّاعر يوسف لعساكر بلغة مازيغية أبيات مفدي زكريـاء المنشـودة بلسـان عربي مبين، وقد حافظ على محتوى معانيها وتسلسل أفكارها مع اختلاف طفيـف في كيفية أداء المعنى، وهذا ما يوجد في الترجمة بين اللغات بشكل واضح، ومـن المفارقات العجيبة التي نلمسها في قصيدة مفدي تكرار كلمة (**كَيْـفَ**) سـتَّ (06) مرات، وهو المعنى نفسه والكلمة ذاتها التي كرَّرها يوسف في أبياته ستَّ مـرات كذلك وهي كلمة (**مَـانَشْ**)، ومن الجانب الإيقاعي اختار مفدي صوت العين رويًّـا وألفاظا في بعض المواضع وهو صوت مجهور يخرج من وسـط الحَلـق؛ وهـو الجزء الذي يقع أسفل اللهاة، وفيها تلتقي مؤخرة اللسان لتُلاقي جزءا من البلعـوم[10] ويظهر صوت العين داخل الألفاظ التاليـة: (**مَاعَـا، تَـدَاعَى، الطِّبَاعَـا، أَضَـاعَ ضَاعَـا، الشَّعْبُ، الضِّبَاعَا، اسْـتَـطَاعَا، بَاعَـا، الشُّعَـاعَا، شَـاعَا، اسْـطَاعَ الصِّـرَاعَـا، الْوَدَاعَ، الْـوَدَاعَا**) وقد حَملت هذه الكلمات الواردة دلالات من الرَّدع والزَّجر[11]؛ حيث يردع مفدي الشَّباب من التفسُّخ والضَّياع في مهاوي الفساد التـي ينجر عليها انعدام الأخلاق التي تُعتبر تاج الأُمم والشُّعوب، وبضياعها تغدُو الأمَّـة مريضة عليلة يُخرّب الفساد كيانها كما يُخرِّب مرض السُّل قلب العليل، وقد عبَّـر مفدي عن هذه المعاني بطرح أسئلة وتقديم استفهامات غرضها الاسـتنكار للفسـاد الأخلاقي والاجتماعي، وبالمقابل اختار الشَّاعر يوسف لعساكر صوت النُّون رويًّـا وألفاظا وهو صوت مجهور يخرج من طَرَف اللسان، مع ما يحاذيه من لثة الثَّنيَّتين العلويتين أسفل مخرج اللام قليلا، ويصاحبها صوت الغُنَّة التي تلازم النُّـون فـي جميع أحوالها سواء كانت مظهرة أم مدغمة أم مخفاة[12]، وبـرز حضـور صـوت النُّون في القصيدة من خلال الكلمات التالية: (**أَغْـبَانْ، وَمَانْ طَرْوَانْـسَنْ بِيـدَانْ أَنْدْهَانَّتْ، دِجلْدَانْ، مَانشْ نَـشْنِينْ، إِيـوْمْزَّانْ، سَادَوْضَـنْ تَـرَضْوِينْ، أَنَّـنْكَضْ إِزُورَانْ، إِغَـمْـدَانْ، وَطَّانْ، دِعَقَّـانْ**) وقد دلَّت على استنكار الفساد الأخلاقـي والاجتماعي في كيان الأمَّة الجزائرية بشكل عام، وفي شبابها بشكل خاص، وفـي

هذا الاستنكار نوع من الألم والأنين على هذا الوضع الفاسد، وقد جاء متناسقا لصوت النون الذي يحملُ مفهوم الغُنَّة والغُمَّة والأنَّة والأنين[13].

ب- **الترجمة من المازيغية إلى العربية:** تمَّت في الآونة الأخيرة -وبالضبط- الألفية الأولى (2000م-2010م) والثانية(2010م-2019م) ترجمة كثير من النُّصوص من اللغة المازيغية في شكلها المحلِّي -المْزابي- إلى اللغة العربية لتحقيق عدَّة أهداف منها: ممارسة المواطنة اللغوية من خلال التَّعدُّد اللهجي واللغوي والاثني وإعطائه المكان اللائق بها لكون الجزائر بلد التنوع اللِّساني والحضاري، إضافة إلى توضيح النَّص الأم المازيغي لمن لا يفهمه من قرَّاء العربية ومثقَّفيها وكذا نشر التُّراث المحلي الشَّفوي والمخطوط والمطبوع لتحقيق مقروئية كبيرة، وأخيرا توضيح الكلمات المازيغية المندثرة أو الفصيحة التي لا يستعملها عوام النَّاس بلغة عربية بسيطة لكونها لغة يفهمها عموم النَّاس، ولم تتوقَّف الترجمة من المازيغية إلى العربية فحسب، بل تطوَّرت وانفتحت على اللغات الأخرى وخاصة الفرنسية بحكم التعامل الإداري الجزائري بها بصفة خاصة والمغاربي بصفة عامة، وكذا الانجليزية لأنها لغة التوظيف والاستخدام العالمي.

وفي هذا الإطار توجد جهود لا بأس بها في خدمة الترجمة من المازيغية إلى العربية ولغات أخرى مثل: ترجمة الشَّاعر صالح ترشين لديوانه "أُولْ اِنُو" إلى العربية والفرنسية، وإلياذته "تْوِينَسْتْ نْ اِغْزَرْ مْزَابْ" إلى العربية والفرنسية والانجليزية، ويوجد شعراء آخرين ترجموا قصائد مختلفة من المازيغية إلى العربية بشكل بارز والفرنسية بشكل قليل والانجليزية بشكل أقل أمثال: عبد الوهَّاب فخّار وعُمر بوسعدة ويوسف لعساكر...

نستشهد هنا بقصيدة "أَدْوَالْ غَ لْدَفَّرْ" للشَّاعر صالح بن عمر ترشين التي يصف فيها السَّمر العائلي:

تْفُويـــــتْ تْنُـــــو جـــــارْ إِوْرِيـــــرَنْ أُنُـــــــــونْ دْفُـــــــــرَسْ أُولاَوَنْ

سُـــــولَّسْ يُولِيـــــدْ فِ غَرْمَـــــانْ سُ بَرْنُـــــوصْ يُـــــدَنْ مِـــــدَّنْ

تِـــــــزْدَايِينْ تِجَمِّـــــــوِينْ كَمْشَـــــــنْتْ أَطْفَنْـــــــتْ إِفَسَّـــــــنْ

تَتْشَـــــرِدْ تَخَّامْـــــتْ نِ شُـــــورَا تَوِيـــــدْ إِجْـــــدِي ادْوَاضُـــــو

يَـــــرْزَمْ يَـــــزْمِجْ تِـــــوِيرَا يَـــــنْكَضْ إِشَّـــــرْ يَـــــزْوَا اضُّـــــو

مَامَّـــــا اذْبَابَـــــا جَـــــارْ طَـــــرْوَا اَنْضَـــــنْ اَمَّـــــاسْ نَتْزَفْـــــرِي

اَتَّـــــانْ تِسِـــــيتْ تَبَرْشَـــــانْتْ دَوْلَـــــنْ لْوَسَّـــــانْ اَنْبَكْـــــرِي

مَمَّـــــا تَعْزِيـــــزْتْ اَتَّـــــالَسْ جـــــارْ تِنْفُوسِـــــينْ تْزَلْـــــوَنْ

بَابَـــــا يَضَـــــلاَّ تِيـــــرَا مَمَّـــــا أَتَّلَـــــمْ تِمِيَـــــا

يَلِّـــــيسْ أَمَّـــــاسْ نُ زَطَّ تْفَكَّـــــرْ يُـــــوَّاسْ تِمُـــــورَا

تَزِيـــــرِي تُوفُـــــو أَمْشَـــــانْ تُوطَّـــــادْ تَجْـــــرُو جَارَسَـــــنْ

بَابَـــــا يَقَّـــــلْ غَـــــلْ مَمَّـــــا عَشَّـــــانْ صَقْعَـــــنْ طَرُونْسَـــــنْ

آيِيْهَـــــا أَوَنْ وَجْـــــرَاوْ سِ إِلَـــــسْ يَـــــدُوَلْ غَـــــلْ وِيـــــوَالْ

مَلْمِـــــي أُولِ سِّـــــيولْ تَـــــبَجنَ أَتُـــــوغْ دَقْرُورْ

سِ مَلْمِي أُولْ تَـسْـمُـوقَّلْ

تِـــــيطْ تَقَّـــــلْ غْـــــلِ دِيسَـــــانْ تَـــــنَّ آيِيْهَـــــانْ أُودْمَـــــوَنْ

وَسَـــــنَّدْجِينْ إِيُّـــــودَالْ؟ مَـــــاتِي أَتُّـــــوغَنْ كَـــــرْمَنْ؟

يَدُوَلْـــــدْ أَضُّـــــو تَـــــزْوَا تِيفَـــــاوْتْ تَـــــرْزَمْ تِيسِـــــيتْ نَ تَضْـــــلُو تِـــــيطْ

نَـــــتَّـــــفْ سُـــــولَّـــسْ آلْ تَـــــشَـطُويْـــتْ[14]

تقابلها القصيدة المترجمة باللغة العربية بعنوان "سَمرُ أُسرَة" للشَّـاعر الأمـين أحمد بن يحي:

أَسْـــــــــدَلَ اللَّيْـــــــــلُ رِدَاءَهْ ... يَحْجُـــــــــبُ الشَّـــــــــمْسَ وَرَاءَهْ

سَـــــــكَنَ الْكَـــــــوْنُ رَهِيبًـــــــا ... فَـــــــانزَوَى الْكُـــــــلُّ انْـــــــزِوَاءَهْ

فَأَطَـــــــلَّ الـــــــنَّجمُ يَسْـــــــرِي ... وَامْتَطَـــــــى الْبَـــــــدْرُ سَـــــــمَاءَهْ

نَـــــــاثِرًا فَـــــــيْضَ اللَّـــــــآلِي ... شَـــــــاعِرًا يَحْـــــــدُو حُـــــــدَاءَهْ

بَعْـــــــدَ حِـــــــينٍ غَـــــــيَّمَ الأُفْـ ... ـقَ بِـــــــأَلْوَانِ الـــــــرَّدَاءَهْ

عَصَـــــــــفَتْ رِيٌّ عَقِـــــــــيمٌ ... فَهَـــــــوَى صَـــــــرْحُ الإِضَـــــــاءَهْ

فَاخْتَبَـــــــا النـــــــاسُ جَمِيعًـــــــا ... وَاسْـــــــتَوَى اللَّيْـــــــلُ اسْـــــــتِوَاءَهْ

حِينَهَـــــــا عـــــــادَ الْـــــــوَرَى نَـــــــحْـ ... ـوَ الْـــــــوَرَا عَهْـــــــدِ الْبَـــــــرَاءَهْ

رَجَعُـــــــوا لِلأَصْـــــــلِ لِلطَّـــــــبْـ ... ـعِ الَّـــــــذِي زَكَّـــــــى حَيَـــــــاءَهْ

سَـــــــمَرُ الأُسْـــــــرَةِ وَالأَهْـ ... ـلِ الأُلَـــــــى صَـــــــاغُوا لِقَـــــــاءَهْ

لْحَـــــــةٌ مِـــــــنْ فِطْـــــــرَةِ الْعَـــــــيْـ ... ـشِ الّـــــــذِي ذَاقُـــــــوا هَنَـــــــاءَهْ

جَـــــــدَّةٌ، جَـــــــدٌّ، أَبٌ، أُمٌّ بَنِـــــــينٌ فِـــــــي مُـــــــلاَءَهْ

قَـــــــدْ نَسُـــــــوا (التِّلْفَـــــــازَ) حِينًـــــــا ... وَبَـــــــرَامِيجَ الـــــــرَّدَاءَهْ

وَاسْـــــــتَفَاقَ الْكُـــــــلُّ حِينًـــــــا ... مِـــــــنْ دَيَـــــــاجِيرِ الـــــــدَّنَاءَهْ

إِذْ أَطَـــــــلَّ الْبَـــــــدْرُ يَكْسُـــــــو ... أَوْجُـــــــهَ الأَهْـــــــلِ ضِـــــــيَاءَهْ

عَـــــــرَفَ الابْـــــــنُ أَبَـــــــاهُ ... كَشْـــــــفَ النّـــــــورُ غِطَـــــــاءَهْ

مَجْلِـــــــسٌ طَـــــــابَ ائْتِلاَفًـــــــاكَمْ ... تَشَـــــــهَّيْنَا نَقَـــــــاءَهْ

إِذْ تَـــــــرَى الأَبْنَـــــــاءَ حَـــــــوْلَ الْـ ... جَـــــــدِّ أَغْصَـــــــانَ البَـــــــرَاءَهْ

جَـــــــدَّةٌ تَـــــــرْوِي حَـــــــدِيثًا ... ضَـــــــمَّهُ الـــــــدَّهْرُ وَرَاءَهْ

وَأَبٌ يَبْنِـــــــي الأَمَـــــــانِي ... لِغَـــــــدٍ يَرْجُـــــــو رَجَـــــــاءَهْ

وَيَـــــــدُ الأُمِّ تَعـــــــبُ الْـ ... كَـــــــأْسَ شَـــــــايًا فِـــــــي هَنَـــــــاءَهْ

فَجْـــــــأَةً يَسْـــــــرِي تَيَـــــــارُ الْـ ... كَهْرَبَـــــــا يُفْشِـــــــي الإِضَـــــــاءَهْ

بَـــــــيَّضَ السَّـــــــوْدَاءَ وَهْمًـــــــا ... نَافِثًـــــــا أَحْلَـــــــى إِسَـــــــاءَهْ

سَـــــــوَّدَ الْبِـــــــيضَ وُجُوهًـــــــا ... فَـــــــانْطَوَى الْكُـــــــلُّ انْطِـــــــوَاءَهْ

فَاغْتَـــــــدَى الكُـــــــلُّ غَرِيبًـــــــا ... كُلُّهُـــــــمْ يَشْـــــــدُو غِنَـــــــاءَهْ[15]

15

تتَّضح بين القصيدتين مفارقة عجيبة، حيث نجد قصيدة أَدْوَالْ غَلْـدَفَّرْ احتـوت على (17) بيتًا، أمَّا قصيدة سَمرُ أُسرة على (25) بيتًا، والسَّبب في ذلك راجع إلـى الترجمة، إذ غالبا ما نُشاهد النَّص المترجم زائدا نوعا ما على النَّص الأصـلي لأنَّ المترجم ليس هو المنتج الأصلي له، يُضاف إلى ذلك اختلاف اللغة النَّاقلة للنَّصـين وقد وقع الاختلاف كذلك في الرَّوي؛ إذ جعل الشَّاعر صالح ترشين قصيده متنـوع الروي والإيقاع، بينما بنى الأمين أحمد قصيده على روي الهمزة المفتوح متصـلا بهاء ساكتة، وظلَّ منتهجا من بداية القصيدة إلى نهايتها، ونلمس في قصـيدة "أَدْوَالْ غَ لْدَفَّرْ" التنوُّع الموسيقي والإيقاعي لأصواتها المختلفة التي بـرزت فيهـا ثلاثـة وهي: النُّون والرَّاء والسِّين، ويتجلى ذلك في:(**إِوْرِيـرَنْ، أُنُـونْ دَفْـرَسْ أُولاَوَنْ سُولَّـسْ، إِغَرْمَانْ، بَـرْنُوصْ يُدَنْ، مِـدَّنْ، إِفَـسَّنْ، تَتْشَرَدْ، شورَا تويرَا طَـرْوَا تِسِيتْ، لْـوَسَّانْ، تِنْفُوسِيـنْ...**) ويقترب الاختيار الصَّوتي لصالح ترشـين مـن اختيار الأمين؛ حيث بنى هذا الأخير اختياره على صوتي الـرَّاء والسِّـين بقـوَّة ويظهر صوت النُّون كذلك في بعض المواضع وتجلى ذلك في الكلمـات التَّاليـة: (**أَسْدَلَ، رِدَاءَهْ، الشَّـمْسَ، وَرَاءَهْ سَـكَنَ، انزَوَى، النَّجمُ، يَسْـرِي، الْبَدْرُ، نَـاثرًا شَاعِرًا، الـرَّدَاءَهْ، رِيحٌ، صَـرْحُ، النّاسُ، اسْتِوَاءَهْ، الْوَرَى هَنَاءَهْ، بَنِينٌ، بَـرَامِيجَ الـرَّدَاءَهْ، نَسُوا، اسْتَفَاقَ يَكْسُو، مجْلسٌ، تَرْوِي، الدَّهْرُ، وَرَاءَهْ، يبْنِي الأَمَانِي...**)

فاختيار صوتي الرَّاء والنُّون المجهورين دليل على طبيعـة الموضـوع الـذي استثاره الشَّاعران وهو تقلُّبات الطَّبيعة التي تقطع الكهرباء وينقطع الضَّوء وتخبـو الإنارة بالتَّبع، أمَّا صوت السِّين الخافت المهموس فيدلُّ علـى السَّـمر والجلـوس العائلي حيث يحيط الأُنس بهم ويجمعهم لقاء نافع يتبادلون فيه المنافع، ومن جميـل الصُّدف كذلك أنَّ الشَّاعرين بنيا موضوعيهما على عناصـر الطبيعـة: (**تَفُويْـتْ إِوْرِيرَنْ، سُـولّسْ، تِزْدَايـِينْ، تِـجَمِّوِينْ، إِجْـدِي، ادْوَاضُـو تَزِيـرِي**) (**اللَّيْـلُ الشَّـمْسَ، الْـكَوْنُ، النَّجْمُ، الْـبَدْرُ سمَاءَهْ، الأُفْقَ، رِيحٌ**) وهي رسالة لممارسـة المواطنة والعيش المشترك والتَّعايش الكريم والسَّلام المتواصل بين النَّـاس اقتـداءً بالطبيعة، إذ نجد التحاما كبيرا وتكاملا وطيدا بين عناصر الطبيعة، وبغيـر ذلـك

تُصبح الحياة فوضى وفسادًا ونستشهد هنا بما ذكره الله عزَّ وجلَّ من انضباط الكون وسيرورته بدقة متناهية لئلا يختلَّ. قال الله تعالى:﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاء أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[16]، وقوله:﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَالْقَمَرُ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[17] وهذا التنسيق المحكم موكَّل إلى الله عزَّ وجل وحده، ولو غفل عنه لفسد الكون لقوله:﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[18]، كما نجد في النَّصين ذِكرا للقاموس الأُسَري العائلي: **(مَامّا، بَابَا، طَرْوَا، مَمَّا تَعْزِيزْتْ يَلِّيسْ، يُوَّاسْ)** **(النَّاسُ، الْوَرَى، الأُسْرَةِ، الأَهْل، جَدَّةٌ، جَدٌّ، أَبٌ، أُمٌّ بَنِينٌ الابْنُ، الأَبْنَاءَ، الْجَدّ)** ودلالة ذلك أنَّ المواطنة والتعايش يبدآن من الأُسرة وذلك باستقرارها عن طريق الحوار والتَّواصل بين الأجيال والصغار والكبار في جوٍّ أخوي عائلي مرتبط ارتباطا وثيقا، وهذه الصُّورة هي مطابقة للأُمم والمجتمعات التي تريد أن تعيش في سلام ووئام لابدَّ لها من الحوار والتَّواصل والعلاقة الطيبة والجو الأخوي المرتبط، وإلاَّ فستعيش في دوَّامة الفتن والحروب وفي نهاية القصيدة يختم الشاعران سبب تصدُّع البيوت والعائلات وتفرُّقها بسبب من الأسباب الواهية، وذكر مثالا بسيطا وهو التِّلفاز الذي انتشر شعاعه وغاب ضياؤه **(أَضُّو، تِيفاوْتْ، سُولَّسْ)** **(الإِضَاءَهْ، وَهْما إِسَاءَهْ، غَرِيبًا)** حيث كانوا مجتمعين في جلسة سمر عائلية رائعة – وقد غابت عنهم الكهرباء فانقطع التلفاز عن البث– يتسامرون ويتذاكرون الحكايات والقصص الممتعة بين أفراد العائلة ولم يَشعروا بهذه المتعة زمنا طويلا إلى أن عاد الضِّياء ونفث التِّلفاز سمومه تفرَّق الشَّمل وذهبت وحدة العائلة وأصبح كل واحد منهم غريبا في بيته وهذا التوضيح يصلُح أن يُضرب لأسباب التصدُّع والتفرُّق والفتن والقلاقل التي تذهب نور السِّلم وتجعل النَّاس حيارى في ظلمات الحرب بسبب ظروف خارجية تنفث سمومها كما

ينفث التِّلفاز سمومه، وظروف داخلية وهي التفرُّق كما افترقت العائلة بعد سَمرٍ وتواصل وحوار.

وفي قصيدة أخرى يتحدَّث الشَّاعر صالح ترشين عن الوحدة "أَجْرَاو" قائلا:

طَـــــــــارَا أَيُـــــــــوَّا دْ زُورْ ن لَمَـــــــــــــــانْ

د اَيَفْـــــــسْ ن تْمَـــــــدُّورْتْ تِيمُـــــــورَا د وَغْـــــــلاَنْ

طِيزَايْـــــــتْ مِ تُّـــــــوزُونْ ف آيَـــــــنْ إِجَـــــــدْنَانْ

جَـــــارْ جَـــــاجْ دْ وَزْغَـــــارْ أَمَّـــــاسْ د اِيدِيسَـــــانْ

تَضْـــــــفِي أَتَّـــــالِي فْ سَـــــا نِ جَنْـــــوَانْ

وهذه الأبيات بالمازيغية ترجمها الشَّاعر بنفسه إلى العربية قائلا:

التَّعَـــايُشُ يَـــا أَخِـــي أَسَـــاسُ الأَمَـــانْ

بُـــذُورُ السَّـــعَادَة لِكُـــلِّ إِنْسَـــانْ

تَـــآزُرٌ وَتَعَـــاوُنٌ بَـــيْنَ الإِخْـــوَانْ

مِـــنَ الـــدَّاخِلِ وَالخَـــارِجِ وَالْجِيـــرَانْ

سَـــبِيلٌ لِنَيْـــلِ طُمَأْنِينَـــةِ رَبِّنَـــا وَالرِّضْـــوَانْ[19]

عندما نقوم بمقارنة الإبداعين الأدبيين وتحليلهما فإننا نجد أنهما يحتويان على خمسة (05) أبيات شِعرية، وقد نقلهما الشَّاعر صالح ترشين بنفسه؛ حيث أبدع الأبيات الأولى بالمازيغية، والثانية بالعربية وكان النَّقل موضوعيا شموليًّا استوفى مضامينه التي يرمي إلى نشرها وتعزيزها في إطار خدمة المواطنة اللغوية. أمَّا من حيث الجانب الإيقاعي فقد اختار صالح ترشين صوت النُّون رويًّا في كلا الإبداعين المازيغي (**لَـمانْ، أَغْـلاَنْ، إِجَـدْنَانْ، اِيـدِيسَـانْ، جَـنوَانْ**) والعربي (**الأَمانْ، إِنْـسَـانْ، الإِخْـوَانْ، الْجِيـرَانْ، الرِّضْوَانْ**) وكان هذا الاختيار الصَّوتي المتماثل موفَّقا ومتميِّزًا يرمي الشَّاعر من خلاله إلى ممارسة المواطنة اللغوية وخدمتها بتلاحم اللغتين العربية والمازيغية صوتًا وإيقاعًا وشَكلا ومضمونًا ورسالة وهذا لأجل إبعاد التنوُّع اللِّساني واللُّغوي من الصِّراع الاثني والقَبلي لأنَّ اللغة

توحِّد المجتمع في الأصل ولا تُفرِّقه مثلما يعتقد البعض من النَّاس، كما نلمس في الإبداعين اختيار الشَّاعر لكلمات مفتاحية تسعى إلى تجسيد السَّلام والتَّواصل بين عناصر المجتمع: **(طارَا، أَيُوَّا، لَمانْ، تْمَدُّورتْ، إِيدِيسانْ، تضْفِي) (التَّعَايُشُ، أَخِي الأَمَانْ، السَّعَادَة، تَآزُرٌ، تَعَاوُنٌ، الإِخْوَانْ، الْجِيرَانْ طُمَأْنِينَة، الرِّضْوَانْ)** وهذه الكلمات هي الَّتي تُؤسِّس الوحدة داخل المجتمع وتلمُّ شعثه وتنشر بين أفراده المحبَّة والسَّلام، وبهذا يغدو ممارسة المواطنة اللغوية نوعًا من التَّعايش السِّلمي بكل أريحية وبساطة بعيدا عن التنازع والاختلاف والصِّراع.

خاتمة:

تسعى الترجمة إلى تجسيد التماسُك النَّصي بين لغتين مختلفتين، ونحن نريد تجسيد هذا التماسك اجتماعيا ووطنيا وحضاريا بين اللُّغتين العربية والمازيغية، وقد رأينا في هذه الورقة البحثية –من خلال النُّصوص الشِّعرية التي سُقناها كعينات ونماذج– أنَّ المجتمع الجزائري –عامة والغرداوي خاصَّة– غني بمواطنته اللغوية والاثنية التي تُمثِّل تمازجا حضاريا وتكاملا اجتماعيًّا وتوحُّدًا فِكريًّا وتعاونا لغويا ولكن وجب على المتخصِّصين والمهتمين بهذه المجالات أن تنشر الوَعي والفضيلة في الأوساط الجزائرية بمختلف أطيافها لتلافي الصِّراع اللغوي وتوظيفه في الجهوية والعنصرية والقبليَّة الجاهلية، وعليها أن تُؤسِّس لوحدَة الشَّعب والتحامه مهما تنوَّعت لغاته واختلفت قبائله؛ وفي هذا الصَّدد يقول أ.د صالح بلعيد في مقال بعنوان (البربر والعرب الماضي والحاضر المشترك): "نرى أنَّ جاذبية الإسلام أدَّت إلى انتشار العربية حُبًّا فيها وفي إسلامها، وتَساكنت مع المازيغية دُونَ أنْ تقوم بتدميرها، وكان شِعار السَّلف في ذلك: بالعربية نمارس وجودنا الثقافي والعلمي، وبِلغاتنا القومية نمارس وجودنا الفنِّي والفكري والتخصُّصي[20]".

اقتراحات وتوصيات:

- نثمِّن مجهودات المجلس الأعلى للغة العربية على تنظيمه لهذا الملتقى الرَّامي إلى تعزيز المواطنة اللغوية في الأوساط العلمية أولا والشَّعبية بالتَّبع؛

- تنظيم طبعات متتالية لهذا الملتقى، وتسليط الضَّوء أكثر على الموضوع نظرا لأهميته وحساسيته -خاصة في الوقت الراهن- ونشر الوعي عن طريق المطبوعات والملصقات الإشهارية ووسائل الإعلام إلى الأوساط الشعبية لتعي قيمة الموضوع وأهدافه؛

- توجيه الطلبة والباحثين في مختلف مراحل التكوين (الليسانس، الماستر الدكتوراه) إلى دراسة أهمية المواطنة اللغوية والتركيز عليها في بحوثهم؛

- تخصيص شهر ماي من كل سنة لإبراز معطيات المواطنة اللغوية وتعزيزها بغية نشر ثقافة السِّلم والتعايش والوئام؛

- تشجيع المخابر اللغوية والبحثية التي تسعى إلى إبراز قيمة المواطنة اللغوية من خلال العربية والمازيغية لاعتبارهما لسان المجتمع الجزائري الذي يعبِّر عن هويته وانتمائه.

هوامش البحث:

[1] ينظر جمال الدِّين ابن منظور، لسان العـرب، دار صـادر، بيـروت- لبنـان، م: 12، د.ط 1417ه/1997م، ص: 66.

[2] المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت- لبنان، ط: 43، 2008م، ص: 60.

[3] ينظر الزرقاني محمد عبد العظيم، مناهل العِرفان في عُلوم القرآن، دار الفِكر، القاهرة- مصـر د.ط، ص: 02.

[4] ينظر إيناس أبو يوسف وهبة مسعد، مبادئ الترجمة وأساسياتها، د.ط، 1425ه/2005م، جامعة القاهرة- مصر، ص: 15.

[5] نفسه، ص: 15، 16.

[6] مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، 1987م، ص: 35.

[7] عمر بن سليمان بوسعدة، أَحُوَّفْ نْ وَغْـلاَنْ، المطبعـة الجابريـة، بنـورة- غردايـة، ط01 1425ه/2005م، ص: 71.

[8] مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، مصدر سابق، ص: 97.

[9] عمر بن سليمان بوسعدة، مصدر سابق، ص: 91.

[10] ينظر هلا السَّعيد، نظرة متعمقة في علم الأصوات، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة- مصـر (د.ط)، 2015م، ص: 58.

[11] ينظر محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشِّعري (استيراتيجية التناص)، المركز الثقـافي العربـي ط01، 1985م، الدار البضاء- المغرب، ص: 175.

[12] ينظر هلا السَّعيد، نظرة متعمقة في علم الأصوات، مرجع سابق، ص: 55، 56.

[13] ينظر محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشِّعري، مرجع سابق، ص: 184.

[14] صالح بن ح عمر ترشين،أُول اِنُو (قَلْبِي)، دار القُطب، بني يزقن- غردايـة، ط01، 1994م ص:35.

[15] الأمين أحمد، ديوان مُدُّوا الأيدي نتصالح، تح: خرازي مسعود، وابن ادريسو مصطفى، نشـر عشيرة آل خالد، بني يزقن- غرداية، ط01، 1433ه/2012م، ص: 123، 124.

[16] سورة الحج، الآية: 65.

[17] سورة يسن، الآيات: 38، 39، 40.

[18] سورة الأنبياء، الآية: 22.

[19] نفسه، ص:51.

[20] صالح بلعيد، المازيغية في خطر، مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، جامعة مولود معمري، تيزي وزُّو- الجزائر، د.ط، 2011، ص: 132.

الثقافة بين توابث الأمة و العولمة

ساجية بوخالفي

ج.مولود معمري تيزي- وزّو –الجزائر-

مقدّمة: تتموقع اللّغة في المجتمعات العربيّة ضمن الهُوية الثّقافية والحضـــارية وهي اليوم تقاوم الإغراءات الشّديدة الّتي تدفع بها نحـــو الانســـياق وراء تيـــارات التّغريب في ظلّ العولمة الماحية للهُويات والثّوابـــت، والكاســـحة للخصوصـــيات. وتعيش تلك البلدان وسط معترك لغويّ وفكريّ وثقافيّ يهدّد كيانها، يفرض عليهـــا أن تعود إلى ثوابتها وتتمسّك بها، وتتشبّث بقيم دينها متيقنة أنّ أيّ تفريط في هـــذه اللّغة هو تفريط في الحرّية والكرامة والهوية، وعياً منها أنّه لا يمكن الفصل بـــين اللّغة والأمّة، وبين اللّغة والثّقافة، وهنا يبرز دور المواطنة، خاصّة وأنّ الجزائـــر تحديداً تعيش سياسة لغويّة خاصّة، تسعى من خلالها إلى تحقيـــق التّعـــايش بـــين العربيّة والأمازيغيّة، وتعمد إلى ترقية اللّغتين؛ لأنّه السّبيل الوحيد لمواجهة العولمة.

فكيف للتّعايش اللّغويّ (بين العربية والأمازيغيّة) أن يحقّق الانـــدماج الـــوطني ويواجه تيّار العولمة؟ وما السّبل المثلى لتبنّي سياسة لغويّة بنظرة تكامليّـــة لأبعـــاد الهوية؟ وكيف يمكن تحقيق التّماسك الاجتماعيّ من خلال المواطنة اللّغويّة؟

ترتبط السّيادة اللّغويّة بالدّين والقوميّة والانتماء العربيّ الإسلاميّ، وفـــي هـــذا يقول مصطفى صادق الرّافعي: «وما اللّغة العربيّة إلاّ أمّنا الّتي بلبابها، وأفاضـــت علينا من جمالها وعبقريتها واللّغة عنوان القوميّة، وعلم مجد الأمّة، ورمز شـــرفها وما فرّط قوم في جنب لغتهم إلاّ ضربت عليهم الذّلة والمسكنة»[1] ويقول في موضع آخر: «كما أنّ اللّغة هي الأمّة، والأمّة هي اللّغة وضعف الأولى ضـــعف للثّانيـــة وهلاك الثّانية هلاك للأولى»[2] تحليل دقيق للعلاقة القائمة بين اللّغة والأمّة، ما يؤكّد الصّلة الوثيقة وصعوبة الفصل بينهما؛ لأنّ المســـاس بإحـــداهما يعنـــي تعـــريض الأخرى للخطر.

وفي السّياق ذاته، نشير إلى أنّ اللّغة العربيّة قد عرفت في فترة الاستعمار الأوروبي للبلاد العربيّة اضطهاداً شديداً، وكانت النّتيجة هيمنة لغة المستعمر الّتي طغت على مختلف مجالات الحياة، وحتى لغة التّخاطب والتّعليم والتّأليف والمراسلات الرّسميّة، ولعلّ هذا أكبر سبب أدّى إلى إهمالها وتراجعها وتدهورها فما كان على مدافعيها إلاّ محاولة استرجاع مكانتها وردّ اعتبارها.

لم تكن اللّغة العربيّة هي اللّغة الوحيدة المتعامل بها، فقد تعايشت مع مجموع لهجات في المجتمع الجزائريّ، إلاّ أنّه رسميًّا كانت الوحيدة، إلى أن بدأت الأصوات ترتفع مطالبة باعتماد اللّغة الأمّ لغة رسميّة.

و مهما يكن وفي خضمّ هذا التّغيير في السّياسة اللّغويّة يجدر بنا الإشارة إلى ما تعيشه الجزائر من حراك على أكثر من صعيد؛ جرّاء الوضع الجديد الّذي لم يتمّ له التّخطيط الجدّي مسبقا، فترسيم اللّغة الأمازيغيّة مطلب شرعيّ وتحقيقه كان مكسبا حقّا؛ وتحقيقه لا ترجى نتائجه على المدى القريب؛ فثمّة عراقيل تحول دون تحقيق ذلك، أولاها مشكل التّعدّد اللّهجيّ الّذي تعيشه الجزائر من خلال وجود كلّ من اللّهجة الشّاويّة والقبائليّة والشلحيّة والمزابيّة والتّرقيّة؛ أضف إلى ذلك مشكل الحرف؛ فبأيّ حرف تكتب اللّغة الأمازيغيّة؟ وقد اعتمدت سابقا في مجال التّعليم وحسب الاستعمال الجهوي للأمازيغيّة كلّا من حرف التّيفيناغ والحرف العربي والحرف اللّاتيني؛ أقيمت أبحاث حول الحرف المناسب لها ومن بينها أبحاث الدّكتور صالح بلعيد الّذي اعتمد في تحليله للقضيّة على التّاريخ و الحقّ الحضاريّ إذ يرى أنّه يجدر الكتابة بخطّ التّيفيناغ وإلّا في حال تعذّر ذلك – لأسباب أو لأخرى – يستدعي الأمر اعتماد الحرف العربي لتلاؤم الأصوات بينهما وتقاربها ممّا يضمن تطويرها والحيلولة دون موتها.

تعمّق الدّكتور صالح بلعيد في طرحه لمضايقات الأمازيغيّة في كتابه الموسوم "هل تشتعل حرب الحروف"؟ كما نجد له دراسة أخرى معمّقة حول ترسيم الأمازيغيّة في كتابه "رأي في تدبير المازيغيّة لغة رسميّة ثانية"؛ وممّا جاء في هذا الأخير تركيزه على الأبعاد الكبرى للأمازيغيّات، وكذا الثّراء اللّغويّ من خلال

التنوّع الثّقافيّ الجزائريّ الّذي يحقّق حسبه الانسجام الجمعيّ؛ يطرح مسألة الهويّة في مقال عَنْوَنَهُ "هويّتنا اللّغويّة المازيغيّة والعربيّة، صراع أم تكامل؟"[3] ورغبة منه في إثبات ما للثّقافة الأمازيغيّة من دور فعّال في الهويّة الوطنيّة، طرح مجموع تساؤلات من بينها:

1/_ هل هناك وعي بالهويّة الوطنية والإحساس بمقوّماتها؟

2/_ هل هناك استفادة من تجربة هذا الموروث الثّقافيّ والاعتبار بمواقفه؟

إلى غيرها من التساؤلات الّتي تسعى إلى إيجاد حلول لترسيخ هذا الموروث عبر اللّغة الأمازيغيّة مركّزا على قضيّة مهمّة هي الخصوصيّة الّتي تتمتّع بها الجزائر المتمثّلة في التّعدّديّة اللّغويّة، الّتي قلّ أن نجدها في بلد آخر؛ و ترسيم الجزائر للأمازيغيّة إقرار في حدّ ذاته بالمواطنة اللّغويّة؛ ولم يأت هذا القرار اعتباطا؛ ففي اختيار لغة رسميّة اعتبارات لا يمكن تجاوزها:

- أن تكون اللّغة الأكثر انتشارا من حيث الاستعمال والأكثر تجذّرا في وجدان المجتمع؛
- أن تكون حاملة للمعرفة والثّقافة و الحضارة؛
- أن تكون الأكثر بين اللّغات المستعملة قدرة على مواجهة اللّغات الأجنبيّة الأخرى؛
- أن تكون صالحة للتّواصل بين أكبر عدد ممكن من أبناء الشّعوب العربيّة الإسلاميّة؛
- أن تكون صالحة للاستعمال في التّعليم ومختلف القطاعات الاجتماعيّة الأخرى.

1- الهوية الوطنيّة ومقوّماتها:

ضبط مصطلح الهوية: يعتري مفهوم الهوية شيء من الغموض، وهذا يرجع لأسباب متنوّعة، أهمّها تقاطع مفهومه وتداخله مع عدد من المصطلحات الأخرى بحيث يصعب التّمييز بينها أو بين الحدود الفاصلة بينها، وفي هذا تقول (Durant. D. A) في طرح لها «بأنّ ثمّة تكافؤا بين الهوية والذّات والأنا»[4] فهذه المصطلحات

تتداخل مع مفهوم الهوية الفرديّة الّتي تؤسّس للهوية الجماعيّة ويضاف إليها بعض المصطلحات الّتي تصبّ في نفس الدّلالة تقريباً كالهوية والقومية، الهوية والضّمير الجمعي للأمّة، الهوية والثّقافة، الهوية والحضارة وأخرى تتقاطع مع المفهوم جزئيًّا كالوطنية والمواطنة.

كما نلمس تداخلاً وطيداً لمفهوم الهوية بالثّقافة وكلّ تبعاتها، وفي هذا يقول محمد العربي: «إنّ العلاقة بالثّقافة تبدو أكثر وثوقاً، فهناك ما يقترب من التّطابق بين المفهوم الّذي تحدّده للثّقافة والمفهوم الّذي نحدّده للهوية»[5] وهذا ما يجعل المصطلح يشوبه الغموض واللّبس. وكثيرون أثاروا هذه النّقطة، وبيّنوا كيف أنّه يصعب تحديد مفهوم الهوية.

العلاقة بين اللّغة ومتكلّميها وثيقة، فلا يوجد شعب لا يعتزّ بلغته؛ لأنّها عنصر رئيس في بناء شخصيته، وبناء شخصية المجتمع/ الجماعة الّتي ينتمي إليها، فإن كانت لغة تواصل هؤلاء فإنّها أيضاً عامل توحيد تلك الفئات، وهنا يكمن دور اللّغة في الحفاظ على الهوية الوطنيّة.

الهوية تمثّل الوطن والتّاريخ واللّغة والدّين والثّقافة، وفي ظلّ العولمة أفرز صراع بين الأصالة والمعاصرة فرضته الظّروف، والسّؤال المطروح ما مدى تأثير العولمة على الهوية والأمن الثّقافي لأيّ أمّة؟

ترتبط اللّغة بالهوية، وهي أصلاً رمز من رموز المجتمع، وسمة بارزة فيه، ولا يمكن أن ننكر أنّ الأمازيغيّة ليست مظهراً أيضاً من مظاهر الهوية الوطنية، خاصّة وأنّ الأصل الأمازيغي هو الأساس الّذي يتكوّن منه المجتمع حسب اعترافات ابن خلدون وابن باديس، والجزائر أمازيغيّة عرّبها الإسلام حقيقة ثابتة، والتّاريخ يشهد على ذلك وعلى أنّ التّراث بدوره يلعب دوراً مهمّا في الحفاظ على الهوية الوطنيّة، ويبقى هو الأصل الأول لأيّ أمّة، وهو يمثّل أيضاً التّاريخ والحضارة ولا يمكن ترك الأصالة وإلاّ غابت الثّقافة/ ترك المعاصرة وإلاّ أفلت الفرد عصره والتّوسّط مطلوب، والفرد مطالب بالتّوفيق بين القديم والحديث، والأصالة والمعاصرة، وما هو محلّي وما هو مستورد، المسألة في كيفية الجمع بينهما، ولعلّ

وجود المرء بين هذين الخيارين هو الأمر الّذي صعّب عليه مهمّة الحفاظ على الهوية، كأنّه بين المطرقة والسّندان، الحالة الّتي عايشها الجزائريّ وهو يعيش في ظلّ تراثه وثقافته ولغته (اللّغة العربية+ الأمازيغيّة) تواجده في بيئة لغويّة متنوّعة يستعمل لغة مفروضة عليه، وينشد لغة منشئه، اللّغة الأمّ الّتي اعترفت بها الجزائر كلغة ثانية رسميّة في البلاد مؤخّرا.

لا يؤثّر تعدّد الثّقافات ولا حتّى تعدّد اللّغات في الهوية، ألم تعش دوّل كثيرة في ظلّ التّعدّدية، دون أن تعاني الفرقة أو التّهميش أو اللااستقرار، كلّ شيء في قبول الآخر واحترامه وتبادل الآراء، كي لا يقع اصطدام، ولفترة طويلة تحقّق للجزائر ذلك، ولأسباب أو لأخرى تحوّلت الأوضاع وسادت الفوضى، ورفض الجزائريّ الآخر من بني جلدته الّذي يخالفه في اللّغة، وعلى الرّغم من ذلك لم تهمّش معالم الحضارة وثقافة كليهما العريقة، خاصّة عندما بدأت تعصف بهم المحاولات الّتي كانت تهدف إلى اختراق مقوّمات الهوية الوطنية، في محاولة منها لكسر حاجز الأصالة، وبالتّالي تخترق النّظام الاجتماعي والثّقافي لتنشأ ازدواجية ثقافّة ولغويّة سيكون لها الأثر السّلبيّ على مسار الهوية الوطنيّة ومقوّماتها (اللّغة والثّقافة) مثلما حاولت فرنسا من خلال نشر الفرانكفونية غزو ثقافيّ كان الهدف من ورائه طمس الهوية الجزائرية من جديد.

لا نقول أنّ التّنوّع الثّقافي/ التعدّد اللّغويّ في البلاد نقمة؛ بل هو نعمة تعطي للجزائر قيمة عالميّة أو قيمة مضافة لتراثها، وترفعها إلى مصاف الدّول المعترف بها ثقافيًّا أو حضاريًّا، كيف لا وقد أثبتت للعالم أنّها قادرة على استيعاب أكثر من نمط معيشيّ، وأكثر من حضارة في آن واحد.

لم تكن اللّغة ولن تكون الفاصل بين أبناء الجزائر، وقد يختلف الجزائريون لاختلاف مشاربهم وألسنتهم، ولكنّهم وقت الشّدة يدا واحدة، تلتحم الصّفوف تحت الرّاية نفسها مطالبة بالوحدة والتّكتّل ضدّ أيّ تيّار أجنبي أو محلّي ينوي المساس بكيانها. لم يتمكّن التعدّد اللّسانيّ أو اللّغويّ من خلق فجوة أو التّفريق بين الجزائريين، بل ساد الوعي اللّغويّ الّذي يهدف إلى جعل الفرد يعتزّ بلغته ويفتخر

بها، وبانتمائه لوطنه ويسعى جاهداً لاكتساب لغات أخرى (أجنبية) من أجل خدمة اللّغة الوطنيّة عن طريق الاستفادة من لغات الدّول الغربية والاستفادة منها.

2- صراع اللّغة والهوية بالجزائر -الأبعاد والتّداعيات-: لعبت فرنسا الدّور الرّئيس في طمس الهوية الجزائريّة، ولا يمكن أن نقول إنّ هذه المسألة مطروقة حديثاً فقط، فقد كانت حاضرة دوماً، وتعود جذورها إلى فترة الاستقلال، عندما سحبت فرنسا معلّميها من المدارس الجزائريّة، ولم تكن هذه الأخيرة مستعدّة لمجابهة الوضع الجديد، الأمر الّذي دفع بالدّولة الجزائريّة إلى الاستعانة بالمشارقة لتعيش البلاد ثانية أزمة هوية أخرى، وإن كان المنطلق سليماً وهو إعادة ترميم ما كسره المستعمر الفرنسيّ الّذي دمّر التّعليم والثّقافة بالجزائر، خاصّة وأنّه تعمّد تجهيل الشّعب الجزائريّ ليفرض سيطرته، فقضى على المدارس الملحقة بالمساجد أين كان يتمّ تعليم اللّغة العربية.

وتشير الأبحاث الميدانيّة إلى أنّ الجزائر عقب الاستعمار عرفت نسبة ضخمة من الأمّية تفوق 90%، وبالتّالي كان أكبر تحدّ لها هو تعريب التّعليم، فكانت المعاناة كبيرة والحاجة أكبر إلى وضع سياسة لغويّة جديدة؛ لأنّها تعيش وضعاً خاصًّا في المسألة اللّغويّة على هذه الثّنائيّة "اللّغة والهوية"، ولم يعد دور اللّغة مقتصراً على كونها أداة تواصل لغويّ فقط، بل تعدّاها إلى كونها وسيلة ربط بين الأجيال بين الأمّة الواحدة ذات الإرث التّاريخيّ الواحد، والنّتاج الفكريّ الواحد الّذي يقوّي لدى الجزائريين شعورهم بالانتماء.

يشهد التّاريخ أنّ للّغة العربيّة مكانة عالية في المجتمع الجزائريّ منذ عصر الفتوحات الإسلاميّة، ولم يكن لوجودها خطر على اللّغات والثّقافات المحلّية، على الرّغم من اصطدامها معها، وقد مرّت بفترات ضعف أدّت إلى تراجعها لصالح لغات وثقافات أخرى، جلبها المستعمر للقضاء على هوية الشّعب الجزائريّ المسلم وباءت كلّ محاولات المستعمر بالفشل؛ بحكم انتماء الشّعب إلى الأمّة العربيّة والإسلاميّة، وتمسّكه بهويته وثقافته ودينه.

تعايشت اللّغتان العربية والأمازيغيّة على الرّغم من مساعي فرنسا غرس الطّائفية اللّغويّة، وقد بذلت قصارى جهدها لخلق الفجوة والشّرخ في هذا المجتمع من خلال تثقيفها للنّخبة باللّغة الفرنسيّة، وكذا محاولة تسميم عقولهم بالأفكار العلمانيّة الغربيّة ولولا حنكة أبناء الجزائر ممّن وعوا بأهمّية اللّغة العربيّة للحفاظ على هوية الدّولة لسقطت هذه الأخيرة.

ولا ننسى في هذا الصّدد دور جمعية العلماء المسلمين وفضلها في إرساء مقوّمات الدّولة (اللّغة والدّين) من خلال شعارها "شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب" علماً أنّ مؤسّسها "عبد الحميد بن باديس" كان من أصل أمازيغيّ "صنهاجة"، ولم تكن ثنائية اللّغة آنذاك حائلاً ولا عائقاً أو عامل تفرقة بين أبناء الجزائر، بل كانت اللّغة العربيّة والأمازيغيّة متعايشتان، فكيف تطرح اليوم مسألة الهوية، وأنّ الجزائر أمازيغيّة، ترفض التّعامل بغير لغتها الأمّ؟

واللّغة على حدّ تعبير الفيلسوف "هيردر" «تمثّل روح الشّعب، وهي مخزن لكلّ ما للشّعب من ذخائر الفكر والتّقاليد والفلسفة والدّين، إنّ قلب الشّعب ينبض في لغته وروحه في لغته»[6] وما يميّز اللّغة على هذا الأساس أنّها أهمّ مقوّمات الهوية الثّقافية؛ وذلك للأسباب الآتية:

1-أنّها أداة التّعبير عن فكر الجماعة وأخلاقها.

2-أهمّ وسائل تحقيق الوحدة والتّماسك والانسجام الجمعي بين أفراد الجماعة اللّغويّة الواحدة.

3-أنّها الرّوح والقلب النّابض من حياة الأمم، ومن خلالها يتمّ التّواصل بين الأجيال ومن ثمّ الحفاظ على التّراث الثّقافيّ للجماعة.

فقد عرفت الجزائر منذ القديم بتنوّع الأنساق اللّغويّة فيها، ولم يكن هذا عاملاً مفرّقاً لأفراد الجماعات اللّغويّة، خاصّة إذا تحدّثنا عن الأمازيغية الّتي لم تكن مصنّفة في خانة اللّغة؛ بل عدّت لهجة بسبب افتقارها إلى نظام رمزيّ هجائيّ وقواعد نحويّة موحّدة بين مستعمليها، مثلها مثل الدّارجة، كونها الوحيدة في الاستعمال، فكانت العربيّة الفصحى واللّغة الفرنسيّة متعاملاً بهما أيضاً.

ولم يشكّل ذلك أزمة هوية، ولم تنشب معركة لغويّة إلاّ في وقت متأخّر عندما تعالت أصوات منددّة بمختلف الاستعمالات اللّغويّة غير الأمازيغيّة، بحكم كونها لغة الأمّ الّتي يجب ترسيمها، فكانت انطلاق أزمة الهوية إن صحّ التّعبير وانقسم الشّعب بين مؤيّد لاستعمال العربية –والّتي كانت اللّغة الرّسميّة الأولى– بموجب قرار رئاسيّ بعد الاستقلال وبين الأمازيغيّة لغة الأمّ الّتي أصبح متحدّثوها يطالبون بترسيمها، بينما كانت الفرنسيّة تنعم بمكانتها في القطاعات الإدارية، وكان لها مدافعوها أيضاً.

ولم تظهر أزمة الهوية تلك إلاّ بعد استعمار الجزائر من قبل الفرنسيين الّذين تعمّدوا طمس ومحو ومحاربة كلّ ما هو جزائريّ، واتّخذت بعد ذلك منحى إيديولوجيا عند ظهور الصّراع بين الدّوائر المفرنسة (الفرنكفونية) والدّوائر المعرّبة، المتشبّثة بأصالتها، واستمرّ الأمر على هذه الحال إلى فترة الفوضى الّتي برزت فيها فئتان متناحرتان، كلّ واحدة منهما ترفض للأخرى حقّ تواجدها وازداد الوضع تفاقماً في الثّمانينات من القرن الماضي، عندما تعالت الأصوات مطالبة بترسيم الأمازيغيّة.

4- الثّقافة بين ثوابت الأمّة والعولمة:

مفهوم الثّقافة: تعدّ الثّقافة روح أيّ أمّة وعنوان هويتها، وإحدى أهمّ الرّكائز في بناء الأمم ونهضتها ولكلّ أمّة ثقافتها، ومنها تستمدّ عناصر بقائها ومقوّماتها وخصائصها، وقد عرف العالم الثّقافة العربيّة الإسلاميّة لمّا كانت الحضارة العربيّة في أوج تقدّمها، وحين مسّت جميع جوانب الحياة؛ الفكريّة منها والثّقافيّة والعلميّة والّتي استغرقت قروناً إلى أن بدأ العرب والمسلمون يتراجعون عن مقدّمة الرّكب الثّقافيّ العالميّ، بداية من القرن الخامس عشر حين شهدت الفترة حالة خمول وركود وجمود فكريّ، وقلّة إبداع في ميادين الفكر والعلم والمعرفة الإنسانيّة، حيث غلب عليهم التّقليد والمحاكاة، وكانت الهزيمة أمام التّيار الثّقافي الغربيّ الّذي أثّر عليهم بقوّة في آدابهم وعلومهم ومعارفهم، وكذا طرائق معيشتهم.

والثّقافة مصطلح قديم في اللّغة العربيّة، فقد حظي باهتمام كبير من قبل البـــاحثين في علم الاجتماع، ممّن اختلفوا في إيجاد أو تحديد مفهومه حسب اخـــتلاف وجهـــات النّظر من تعرّض لماهية هذا المفهوم، فهناك من ربطه بالبعد التّـــاريخيّ التّطـــوّري ومنهم من عبّر عنه للتّمييز بين المجتمعات البسيطة والمعقّدة، ويبقى تعريـــف "إدوارد تايلور" الّذي نظر للثّقافة بوصفها «ذلك الكلّ المركّب الّذي يشمل المعرفـــة والعقائـــد والفنّ والأخلاق والقانون والعرف، وكلّ القدرات والعادات الأخرى الّتـــي يكتســـبها الإنسان من حيث هو عضو في المجتمع»[7]

كما نجد تعريفات أخرى كتعريف "كويسي رايت Kouisi Ryte" أنّ الثّقافة هـــي «النّمو التّراكميّ للتّقنيات والعادات والمعتقدات لشعب من الشّعوب، يعيش في حالـــة الاتّصال المستمرّ بين أفراده، وينتقل هذا النّمو التّراكميّ إلى الجيـــل النّاشـــئ عـــن طريق الآباء وعبر العمليات التّربويّة»[8] ويبقى هذا مفهوماً خاصًّا يعكس وجهـــة رأي هؤلاء، وقد نجد تعريفات أخرى لمفهوم الثّقافة في إطار عام وواسع، كمثـــل مفهـــوم "جان بول سارتر" عن الثّقافة «إنّ الإنسان يضفي ذاته يتعرّف فيها على ذاته، وهـــي وحدها المرآة القوية الّتي تعكس صورته»[9].

وممّن تحدّثوا عن الثّقافة العربيّة والغربيّة ابن خلدون في مقدّمته المشهورة والّذي ربط فيه مفهوم الثّقافة بالعمران، الّذي هو من صنع الإنسان، بما قام به مـــن جهـــد ونشاط ليسدّ به النّقص بين طبيعته الأولى وحاجاته في بيئته، حتّـــى يعـــيش معيشـــة عامرة زاخرة بالأدوات أو الصّنائع[10]، فهذا تعريف بسيط لمفهوم الثّقافة الّـــذي غيّـــر نمط حياة الإنسان، وحوّلها من حالة بدائية إلى حالة تمدّن.

ونجد "مالك بن نبي" في كتابه "مشكلة الثّقافة" يعرّفها على أنّها مجموعة الصّـــفات الخلقية والقيّم الاجتماعيّة الّتي تؤثّر في الفرد منذ ولادته.

كما يمكن القول «إنّ الثّقافة بمفهومها الواسع تشمل كلّ الأشكال والصّيغ الإبداعيّة (ثقافة، فنون، آداب) الّتي تعبّر عن الذّات الجماعيّة، وبالتّالي تميّزها فهي دالة علـــى كلّ أنماط وأساليب الفكر والفعل والإحساس (النّشاط الفكـــريّ والمعرفـــيّ والإنتـــاج التّقنيّ سبل السّلوك والتّصرف، سبل التّعريف الفنّي والجمالي) المســـتندة كلّهـــا إلـــى

جملة من القيم والمثل والالتزامات السّلوكية والأخلاقية، والكلّ يؤكّد خصوصية المجموعة، يعني هويتها حيث تمثّل نسيجاً معقّدا لوحدة تكوين هذه الذّات الجماعيّة وفي نفس الوقت هي وسيلة تأكيد وتجديد لهذه الذّات، من حيث التّمايز مع الآخرين»[11]

والثّقافة قد تكون المعيار في تحديد مستوى التّطوّر الحضاريّ للمجتمعات ويبقى تأثير العامل الثّقافيّ على الفرد عملية تأثير وتأثّر، لا يتوقّف على مستوى الفرد وحسب، بل على مستوى المجتمع ككلّ، وهي الّتي تضمن له بقاءه.

وتمتاز الثّقافة بحيويتها وارتباطها الشّديد برقيّ الأمم وانحطاطها، وهي الّتي تعبّر عن المعارف المادية وغير المادية الّتي تميّز أمّة عن أخرى، وما جعلها تتّسم بالاستمرارية تلك الخصائص الّتي تميّزها، وهي كونها:

إنسانيّة: الّتي تعكس مجموع أفكار وأعمال وسلوكات الإنسان، بحكم كونه الحيوان العاقل الوحيد المزوّد بجهاز عصبيّ خاصّ، وقدرات عقلية فريدة من نوعها، تتيح له ابتكار أفكار وأعمال جديدة.

مكتسبة: الثّقافة ليست فطرية في الإنسان، بل يحصل عليها أو يكتسبها من مجتمعه منذ ولادته وطول حياته، فالإنسان يكتسب ثقافة المجتمع الّذي ينتسب إليه وما تجدر الإشارة إليه هنا أنّ العامل الفيزيولوجي لا علاقة له بعملية الاكتساب وحده الزّمن كفيل أن يلقّنه تلك المعارف المختلفة.

اجتماعيّة: الثّقافة نتاج جماعة، فهي تمثّل مجموع عادات وقيّم المجتمعات وقد تكون بدرجات متفاوتة.

تطوّرية تكامليّة: لكلّ جماعة بشريّة ثقافة خاصّة بها، إلاّ أنّها ليست جامدة بل قابلة للتّطوير، وتخضع أحياناً للممارسة وسلوك الإنسان الّذي يعيش في المجتمع المتطوّر، وهي أيضا تخضع لحاجة المرء المادّية والمعنوية؛ أي إنّها تجمع بين المسائل المتّصلة بالزّواج والفكر وبين المسائل المتّصلة بحاجات الجسد، لتحقّق ذلك التّكامل بين الحاجات البيولوجية والنّفسية والاجتماعية والفكرية والبيئية.

استمراريّة/ انتقاليّة: كون الثّقافة مكسباً لا يحدّه زمن ولا مكان، يضمن لها بالتّالي الحياة، فلا تموت الثّقافة بموت الفرد، ولا يمكن لثقافة مجتمع أن تندثر وتتغيّر إلاّ بتذويب الجماعة الممارسة لها، بجماعة أقوى وأكبر تفرض ثقافة جديدة بالقّوة.[12]

خلاصة القول أنّه لا وجود للثّقافة دون وجود المجتمع، والمجتمع لا يقوم ويبقى دون الثّقافة، ولا يمكن الفصل بين الثّقافة وقضاياها وثوابت الأمّة، وعلى رأسها قيّم الدّين وأحكامه. وعقيدة الأمّة هي المعيار الأساس للحكم على ما ينتجه الفكر الإنسانيّ، ولا يمكن أن نحقّق ذاتنا بمنأى عن أصول الدّين، فكلّ المواقف الحياتية وكلّ التّصوّرات والسّلوكات منبثقة من أصل دينيّ، ومن السّخافة أن نحطّم هذا المعتقد كهؤلاء الّذين يعتبرون أنّ رسالة المثقّف هي تحطيم كلّ ما هو مقدّس في ما سموه بالتابوهات، أو أن يحتكروا لأنفسهم أفكارا ويرفضون أفكار غيرهم بدعوى التّحرّر، وأنّ ذلك لون من ألوان التّثقيف.

4- حقيقة العلاقة بين الثّقافة العالميّة وثقافة الأمّة: لكلّ أمّة من الأمم ثقافتها الخاصّة بها، النّابعة من دينها أو تاريخها وتاريخ مجتمعاتها، وتكون بهذا الثّقافة محلّية، بينما يكون العلم عالميًّا، الفكرة الّتي يريد "سيد قطب" طرحها في كتابه "معالم الطّريق" في قوله: «إنّ حكاية أنّ الثّقافة تراث إنسانيّ لا وطن له ولا جنس ولا دين هي حكاية صحيحة عندما تتعلّق بالعلوم البحتة وتطبيقاتها العلميّة، دون أن تتجاوز هذه المنطقة إلى التّفسيرات الفلسفية لنفس الإنسان ونشاطه وتاريخه، ولا إلى الفنّ والأدب والتّعبيرات الشّعورية جميعاً»[13] والأمر الغريب هو أن تفرض الدّول الغربيّة وعلى رأسها أمريكا أفكارها وثقافتها على جميع الأمم بحجّة العولمة، في الوقت الّذي يحرم فيه العرب المسلمون من فرض ثقافتهم.

ففي الوقت الّذي تتاح فيه كل الفرص للدّول الغربيّة لامتلاك زمام الأمور والتّلاعب بمصير الشّعوب، كأن يعطى لبعضهم حقّ امتلاك أسلحة نووية فتّاكة ويمنع هذا الحق عن بعضها (امتلاك طاقة نووية) وبعض أحداث العالم العربيّ تشهد على ذلك (ليبيا والعراق) فبأي حقّ تسيطر هذه القوى العظمى على الدّول الشّرقية؟ أيكفي دافع العولمة لتذويب الشّعوب المستضعفة وفرض سيطرتها عليها؟ حُقّ القول

هنا "حلال عليهم حرام علينا"، هل مفهوم الثّقافة يختلف من دولة إلى أخرى؟ أم أنّه يستعمل حسب الأهواء والمصالح؟

والأمر كذلك سيخرج من المفهوم الأصليّ إلى مفهوم آخر هو الغزو الثّقافيّ بفعل العولمة، وكم من دولة استغلّت نفوذها واستحوذت على أملاك شعوب أخرى بدعوى الحماية أو الوصاية، والجزائر خير دليل على هذه الهيمنة الاقتصادية، نهب اقتصاديّ لثرواتها بعد أن وعت فرنسا الموقع الاستراتيجي الّذي تحتلّه، وكل الخيرات الّتي تمتلكها الجزائر، فاقترن هنا مفهوم الثّقافة بالعولمة، من خلال البعد الاقتصادي ناهيك عن التأثير الثّقافيّ والغزو الفكريّ الّذي طبّقته عليها، وتكون بهذا قد اخترقت الهوية الجزائرية وصنعت من الجزائريين مثالا غربيا، أو استدرجت الجزائريين لاتباع أفكارها، ونقل ثقافتها وتنميط سلوكات أبنائها، واتّخاذ المثال الغربي قدوة والابتعاد بذلك عن مقوّمات الشّخصية الإسلاميّة، بمبادئها وقيّمها الدّينية، لتكسر بذلك شوكة الإسلام وتمسك قبضتها. «وكان حريا بالعرب الافتخار بلغتهم العربية التي هي ركن ثابت ممن أركان شخصيتهم، وحقّ لهم الاعتزاز والدّفاع عنها، والاهتمام بها، وعدم تهميشها في المجالات العلميّة كالطّب والهندسة وغيرهما الّذي سيؤدي حتما إلى ضياع الهوية العربية»[14]

وتشير صفاء جاهين إلى أنّ اللّغة ليست فقط أداة للتّواصل/ وعاء لحفظ التّراث الإنساني وحسب، بل إنّها هي الّتي تعطي الإنسان تميّزه وقدرته على التّفكير والإبداع وهي بهذا مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بهويته، والهوية حسبها دائما جزء من الذّات، مطالبة بالاهتمام باللّغة الفصحى؛ كونها لغة الدّين والتّراث والحضارة، هذا الشّيء الّذي نفته عنها الدّول الغربيّة.

واللّغة العربيّة ليست متقوقعة، بل هي الآن لغة عالمية، أثبت التّاريخ أصالتها واستيعابها لكلّ جديد في مختلف الحضارات الّتي طوعتها وفق معاييرها العربية الإسلامية العالمية، ولم تعد لغة العرب وحسب، بل لغة جميع الشّعوب المنتسبة إلى الدّين الإسلاميّ، وهي في كلّ يوم تثبت جدارتها من خلال تبنّي دوّل غربية لها وإدراجها في سياستها اللّغويّة، مثلما هو الشّأن مع ماليزيا، كوريا، تركيا... إلخ.

وتبقى اللّغة جزءا من كيان الأمّة، والعلاقة بينهما وطيدة، فاللّغة العربيّة بهذا هي لسان هذا الكيان المعبّر عن ثقافته وحضارته؛ لأنّها ترتبط بالأمّة العربية الإسلاميّة الّتي تتكلّم اللّغة العربيّة روحيًّا وثقافيًّا باعتبارها لغة القرآن والحديث الشّريف، ولغة العبادات ولغة التّراث الإسلاميّ الّذي تعتزّ به هذه الشّعوب، وتستمدّ منه هويتها وخصوصياتها الرّوحية والثّقافية والحضاريّة، واللغة الأمازيغية كذلك تعبر عن ثقافة الجزائريين وكل ما تحمله من أبعاد حضارية.

وتقاس قيمة هذه اللّغة بدرجة شمولها وعمقها وامتدادها عبر الزّمن، ولعلّ مصدر قوّتها ونمائها ورقيّها وتفتّحها يعود إلى ارتباطها الوثيق بالمستوى الثّقافيّ أو الحضاري أو العلمي الّذي وصلت إليه الأمّة العربيّة الإسلاميّة، والعلاقة مطّردة، فلا تقوى لغة أمّة إلاّ بقدر قوّة الأمّة، والعكس صحيح، كما تعدّ اللّغة العربيّة أسلوب تفكير، وهي تعبّر بحقّ عن المستوى الفكريّ والثّقافيّ. كذلك كانت الأمازيغية مرآة عاكسة للمستوى الثّقافي المرموق الذي عرفت به منطقة القبائل. واللغة «ليست مجرّد وعاء للثّقافة والتّراث، على أهمّية ذلك وخطورته، بل هي أيضا أسلوب تفكير ووسيلة اتّصال واستمرار لوجود الأمّة واللّغة تعني نظام القيّم الجماعيّة والفرديّة من خلال تعابيرها ومفرداتها، والعربية تعبّر عن المستوى الفكري والثّقافيّ لأهلها، وهي بعدُ وقبل رابطة أولى بين أهلها، وهي الّتي ترسم إطار الهوية العربيّة الإسلاميّة»[15].

اللّغة والثّقافة أيّ علاقة: تعيش الهند والجزائر في ظلّ التعدّد اللّغويّ والدّستور الهندي يعترف بثلاث عشرة لغة رسمية، والّتي فازت بمنصب اللّغة القوميّة National language، إلى جانب اللّغة الإنجليزية الوظيفية في المؤسّسات التّعليميّة، وهذا الوضع اللّغويّ، وفي ظلّ هذا التداخل اللّغوي أو التعدّد اللّغويّ كانت الهند مسرحاً للصّراعات اللّغويّة.[16] وعلى الرّغم من ذلك وإذا نظرنا إلى الجزائر سنرى أنّه وبالرّغم من العراقيل التي اعترضت طريقها إلاّ أنّها أثبتت للعالم بأسره أنّ قوتها في تعايشها بين اللّغتين العربية والأمازيغية، وهذا أكبر دليل على تمسّكها بهويتها، وأنّها لم تفرّط ولن تفرّط في مقومات هذه الهوية. فالعربية والأمازيغية

عنوان وطنية الجزائري.. والجزائر وهي في هذه الحال قد تشبه دولا تعيش سياسة لغوية أو واقعا لغويا خاصا، كما هو الحال مع دولة الهند التي تعيش في ظل التّعدّد.

فالجزائر بهذا تكون من بين الدّول الّتي تتعايش فيها مجموع لغات، أو قل لهجات إلى جانب الازدواجية اللّغوية، وتبقى من بين الدّول القليلة الّتي ضمت اللّغة الأمازيغية كلغة رسميّة ثانيّة إلى جانب اللّغة العربيّة، بقرار دستوريّ سنة 2016 وقد سبقها إلى ذلك دولة المغرب الشّقيقة الّتي رسّمت بدورها الأمازيغيّة إلى جانب العربيّة، وذلك سنة 2011، وهذ التّعايش اللّغويّ أو التّسامح اللّغويّ إن صدقت التّسمية، سمح بامتصاص غضب البربر الّذين رفضوا التّعامل بلغة يتيمة لا تمثّلهم وكان للفتوحات الإسلاميّة اليد في انتشارها، فهل يمكن القول إنّ هذا التّنوّع أو التعدّد اللّغويّ خطر على اللّغة والهوية الوطنية.

لا يمكن أن يكون هذا التعدّد/ التّنوع في حدّ ذاته الخطر المحدق الّذي يهدّد الأمن الثّقافي واللّغوي؛ لا سيما بين أولئك الّذين تجمعهم أمّة واحدة وثقافة واحدة ودين واحد وتاريخ مشترك، بل قد يكون هذا العامل كفيلا على خلق مجتمع متعدّد المشارب، متنوّع الثّقافة واللّغة، ويبقى المطلب هو هذا الإدماج الّذي سيؤدّي بدوره إلى الحفاظ على التّماسك والوحدة، الأمر الّذي كان الاستعمار يحاول الولوج من بابه لخلق الفتنة والتّفرقة في أوساط الأمم الّتي تعرف مثل هذا التّنوع، لكنّه فشل أمام إصرار وممارسات وتأديات هؤلاء للسانهم، الّذي كان عنوان وجودهم وكيانهم، الّذي لا يمكنهم التّفريط فيه.

الخاتمة:من خلال تحليلنا للأمور توصلنا إلى مجموعة من النّتائج تصبّ كلّها في علاقة اللّغة بالثّقافة والدّين، المكوّنان الأساسان لهوية أيّ أمّة، وأنّ الأمازيغيّة مثلها مثل اللّغة العربيّة في الجزائر مكوّن أساس من مكوّنات الهوية الوطنية تعكف الدّولة الجزائريّة على الارتقاء بها وتطويرها تصنيفاً وكتابة وتعليماً.

ونخلص إلى القول بأنّ السّيادة اللّغويّة ترتكز على ثوابت الأمّة (الدّين واللّغة والتّراث المعرفيّ)، وأنّ اللّغة هي الهوية المتجذّرة، وأنّها هي الواجهة والوعاء الثّقافي الحيّ المترجم للأفكار بغضّ النّظر عن جنس تلك اللّغة (عربيّة/ أمازيغيّة).

الهوامش:

[1]– زينب دوادي "سيادة اللّغة العربيّة جوهر الهوية والأمن الثّقافي للأمّة". أعمال المؤتمر الدّولي للّغة العربيّة، الإمارات: 2015، المجلس الدّولي للّغة العربيّة، جَ1، ص196.

[2]– المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

[3]– صالح بلعيد، رأي في تدبير المازيغية لغة رسمية ثانية، دط. الجزائر: 2018، دار الخلدونيّة ص101.

[4]– محمد مسلم، الهوية في مواجهة الاندماج عند الجيل المغاربيّ الثّاني بفرنسا، الجزائر: 2009، وزارة الثّقافة الجزائرية ص86.

[5]– محمد العربي ولد خليفة، المسألة الثّقافية وقضايا اللّسان والهوية، دط. الجزائر: 2003 ديوان المطبوعات الجامعيّة ص108.

[6]– لطيفة إبراهيم خضر، هويتنا إلى أين؟، ط1. القاهرة: 2009، عالم الكتب، ص245–246.

[7]– حسن الفقي، الثّقافة والتّربية، ط1. مصر: 1970، منشأة المعارف، ص7.

[8]– معن زيادة، معالم على طريق تحديث الفكر العربيّ. الكويت: دت، المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، ع115، ص31.

[9]– حواس محمود "الثّقافة والمثقّفون" الحوار المتمدّن. يوم 20–11–2005. على الرابط http://www.ahewar.org/debat/nr.asp?nm=1

[10]– ينظر: ابن خلدون، مقدّمة ابن خلدون، ص99 وما بعدها.

[11]– عزام المحجوب "وجهة نظر اقتصادي" عربي في قضايا الثّقافة والتّنمية، في الثّقافة ودورها في التّنمية" المنظمة العربية للتّربية والثّقافة والعلوم. تونس: 1996، مؤتمر الوزراء المسؤولين عن الشّؤون الثّقافيّة في الوطن العربي، ص10.

[12]– إبراهيم ناصر، الأنثروبولوجيا الثّقافيّة –علم الإنسان الثّقافي، دط. عمان: 1982، الجامعة الأردنية، ص103–104.

[13]– سيد قطب، معالم في الطريق، ط15. بيروت– القاهرة: 1992، دار الشروق، ص141.

[14]– صفاء جاهين وأحمد دسوقي "دور اللّغة العربية في الحفاظ على الهوية الوطنية" المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية. الإمارات: 2015، ط1، ج1، ص532.

[15]– عبد العزيز الدّوري، أوراق في التّاريخ والحضارة، ط2. بيروت: 2008، مركز دراسات الوحدة العربية، ص206.

[16]– عبد الجواد توفيق مفتوح "الواقع اللّغويّ في العالم العربيّ في ضوء هيمنة اللّهجات المحلّية واللّغة الانجليزية" مجلّة رؤى. القاهرة، ص124.

دور مؤسّسات التنشئة الاجتماعيّة
في تعزيز مبادئ المواطنة اللّغويّة

د. نعيمة رشيد

جامعة امحمد بوقرة – بومرداس-

مقدمة : تقوم المؤسسات الاجتماعية بدور مهم في التنشـــئة الاجتماعيـــة لكـــل مرحلة من المراحل العمرية للفرد إذ تسعى إلى تكريس وعي المواطنة، وتنشـــئة أفراد يعتزون بهويتهم الوطنية ويقدرون المجتمع الذي يعيشون فيـــه، ويشـــعرون بالانتماء إليه، وإذا كانت اللغة العربية والأمازيغية من عناصـــر الهويـــة الوطنيـــة وجب على المواطن الحق الاعتزاز بلغته والافتخار بها والدفاع عنها بالإسهام فـــي نموها وتطورها والارتقاء بها بين لغات العالم، وهذا لن يتحقق إلا بتنشـــئة أفـــراد واعين بأن تطورهم ورقيهم بين الأمم لن يحصل بمنأى عـــن لغـــتهم، أو بـــالتنكر لهويتهم والانصهار في هوية الآخر، بل بوحدتهم والالتفاف حول ثوابتهم الوطنيـــة والدفاع عنها، وهذه المهمة تتولاها مختلف المؤسسات الاجتماعية التي تسهر على المحافظة على ثوابت المجتمع الحضارية والثقافية والاجتماعيـــة ونقلهـــا للأجيـــال القادمة.

وانطلاقا مما تقدم تتحقق أهمية هذه الورقة، والتي جاءت لتوضيح الدور الذي يمكن أن تلعبه مؤسسات التنشئة الاجتماعية في تحقيق المواطنة اللغوية والانـــدماج الوطني. وإيمانا منا بأن التنشئة الاجتماعية للفرد هي التي تجعله يحب لغته ويفتخر بها أو العكس، ارتأيت تسليط الضوء على موضوع أراه من بـــين أهـــم العوامـــل المساعدة على ترسيخ المواطنة اللغوية والتعايش السلمي بين اللغات الوطنيـــة فـــي الجزائر فجاءت هذه الورقة للإجابة عن سؤال رئيس هو: ما الدور الـــذي تلعبـــه مؤسسات التنشئة الاجتماعية في تعزيز مبادئ المواطنة اللغوية ؟ وقد اقتضت خطة البحث الإجابة عن الأسئلة الفرعية التالية: ما مفهوم التنشئة الاجتماعية؟ وما هـــي

أهم مؤسساتها؟ ما مفهوم المواطنة؟ وما علاقته بالمواطنة اللغوية ؟ المواطنة اللغوية ومؤسسات التنشئة الاجتماعية أية علاقة؟.

أولا : مفهوم التنشئة الاجتماعية وأهم مؤسساتها:

1/ مفهوم التنشئة الاجتماعية : التنشئة الاجتماعية مفهوم مشترك بين مختلف مجالات المعرفة، فقد حظي باهتمام علم الاجتماع وعلم النفس، والانثربولوجيا ومن الملاحظ أنه لا يوجد تعريف جامع مانع لهذه العملية لأنها إحدى عمليات العلوم الاجتماعية التي تتسم بالنسبية والتغير عبر الزمان والمكان، فهي أصلا عملية تتعلق بالإنسان في سياقه الاجتماعي، وكل ما يتعلق بالإنسان فهو نسبي وغير ثابت. ولو أن المقام لا يسع لاستيعاب جميع مفاهيم التنشئة الاجتماعية إلا أنه يمكن الإشارة لبعض المفاهيم، ومنها تعريف زين العابدين للتنشئة الاجتماعية " بأنها تعني عملية إكساب الفرد الخصائص الأساسية للمجتمع الذي يعيش فيه ممثلة في القيم والاتجاهات، والأعراف السائدة في مجتمعه، ومعايير السلوك الاجتماعي المرغوب في هذا المجتمع، وهي عملية مستمرة عبر زمن متصل تبدأ من اللحظات الأولى من حياة الفرد إلى وفاته" [1].

ويرى عالم الاجتماع الأمريكي (بارسونز) أن التنشئة الاجتماعية " عملية تعلم تعتمد على التقليد والمحاكاة والتوحد مع الأنماط العقلية والعاطفية والأخلاقية عند الطفل والراشد، وهي عملية تهدف إلى إدماج عناصر الثقافة في النسق الشخصية وهي عملية مستمرة تبدأ من الميلاد داخل الأسرة وتستمر في المدرسة وتتأثر بجماعات الرفاق "[2].

كما يعرف قاموس علم الاجتماع التنشئة الاجتماعية بأنها " العملية التي يتعلم الطفل عن طريقها كيف يتكيف مع الجماعة عند اكتسابه السلوك الاجتماعي الذي توافق عليه هذه الجماعة "[3]. أما معجم علم النفس والطب النفسي، فإنه يعرف التنشئة الاجتماعية بأنها " العملية التي يكتسب الفرد من خلالها المعرفة والمهارات الاجتماعية التي تمكنه من أن يتكامل مع المجتمع، ويسلك سلوكا تكيفيًا فيه، وهي

أيضا عملية اكتساب الفرد للأدوار والسلوك والاتجاهات التي تتوقع منه في المجتمع "[4].

وما يتضح من التفسيرات أنها جميعها ركزت على الجانب التعليمي، أي أن عملية التنشئة الاجتماعية هي عملية مقصودة تهدف إلى تشكيل شخصية الفرد ابتداء من طفولته إلى مراحل متقدمة من حياته وفق معتقدات المجتمع، وعاداته وتقاليده ونظم تفكيره، كما يتعلم الفرد من خلالها كيفية أداء السلوك المقبول في مجتمعه، والابتعاد عن السلوك غير المقبول.

وأهداف التنشئة الاجتماعية واسعة ومتشعبة تشعب مجالاتها الاجتماعية، وفي مجال التنشئة اللغوية تهدف إلى" إكساب الفرد اللغة سواء تعلق الأمر باللغة التي يتعلم بها العلوم، أم تعلق الأمر بلغة الاتصال مع الآخرين، والاختلاط بهم والتعامل والتفاعل معهم، وإيجاد مكانة اجتماعية محترمة بينهم" [5].

2- المؤسسة الاجتماعية : وهي المؤسسة التي تقوم بمهمة التنشئة الاجتماعية للطفل من خلال إعداد مواطن صالح يستطيع مواجهة الحياة ومشاكلها، حتى يكون نافعًا في المجتمع، ويعمل على تطويره وازدهاره .

والمؤسسات الاجتماعية التي تشرف على عملية التنشئة الاجتماعية كثيرة ومتنوعة، منها التقليدية كالأسرة؛ وهي أول بيئة تحتضن الطفل عند ولادته، والتي تتمحور أساسا حول الأب والأم، والأسرة كان لها الدور المهيمن على عملية التنشئة الاجتماعية لأفرادها، إلا أن دورها قد انحصر بظهور مؤسسات جديدة تنافسها في دورها مثل رياض الأطفال والمدرسة والمسجد.

وفي مقابل المؤسسات التقليدية هناك المؤسسات الحديثة التي نشأت نتيجة للتطور التكنولوجي واستدعتها مقتضيات العصر الحديث، مثل رياض الأطفال وما تمثله من مرحلة مفصلية في تكوين شخصية الطفل إذ فيها تتفتح جميع إمكانيات شخصيته المستقبلية. كما تعد رياض الأطفال امتدادا لدور الأسرة وإن كانت لا تعتبر بديلا لها. ومن المؤسسات الحديثة في التنشئة وسائل الإعلام التي تعتبر مؤسسة ذات تأثير بالغ في الأشخاص، وبناء الاتجاهات وتوجيه الرأي العام

بالإضافة إلى النوادي الرياضية والثقافية، والتي تستقطب الكثير من الأفراد، ويمكن أن توجه لتزويد الأفراد بالخبرات الاجتماعية.

ثانيا : مفهوم المواطنة وعلاقته بالمواطنة اللغوية :

ارتبط مصطلح المواطنة بظاهرة العولمة، وما صاحبها من انتشار قيم سلبية ومساس بهوية المجتمعات الثقافية، فظهرت الدعوة إلى تعليم قيم المواطنة وتكريس وعي المواطن بحقوقه وواجباته من أجل تحقيق الاندماج الوطني. والمواطنة هي علاقة بين فرد ودولة كما يحددها قانون تلك الدولة، وهي صفة المواطن الذي يتمتع بالحقوق، ويلتزم بالواجبات التي يفرضها عليه انتماؤه إلى وطنه، وتتجاوز المواطنة بالنسبة للمواطن حدود الوطن فهي تعني الانتماء والهوية الرسمية للفرد خارج مجتمعه، عندما يلتزم بالحقوق والواجبات [6].

وعرفت المواطنة في موسوعة العلوم الاجتماعية على أنها " المشاركة بالعضوية الكاملة في دولة لها حدود إقليمية، وهو ما يعني أن تحديد هوية المواطن الحاصل على هذه العضوية مسألة نسبية تحددها كل دولة بحسب أوضاعها " [7]ويتضح من خلال هذا التعريف أنه ليس من السهل تحديد مفهوم كامل وشامل للمواطنة، كونه مصطلح غير ثابت يختلف مفهومه من دولة إلى أخرى حسب العناصر التي تحددها كل دولة للمواطنة الحقيقية، والمواطن الصالح الذي تتوفر فيه شروط المواطنة، إلا أن تعريجي على مفهوم المواطنة تم بما يمكنه أن يساعد في توضيح مفهوم المواطنة اللغوية . فما علاقة المواطنة اللغوية بالمواطنة ؟

إن رهان الأمم في عصرنا الحالي هو كيفية تنشئة جيل متشرب بقيم المواطنة في ظل العولمة التي انصهرت فيها الخصوصية التي تمايز بين المجتمعات، وألغت الحدود الثقافية والجغرافية، فأصبح جل ما تخشاه هو تزلزل الكيان الاجتماعي وتهدمه في ظل هيمنة العولمة التي تفرض على المجتمعات الضعيفة معاييرها الخاصة، فينسلخ الفرد عن مجتمعه، ويتمزق كيانه، ويفقد الشعور بالانتماء. ونظرا لأهمية المسألة نادت التربية الحديثة بتربية المواطنة عبر مختلف المراحل التعليمية

ضمن البرامج التعليمية البيداغوجية، وبرعاية مختلف مؤسسات التنشئة الاجتماعية عن طريق زرع روح المواطنة في الأفراد بداية من المراحل العمرية المبكرة حتى تترسخ في الفرد ويكبر معها ، وتصبح جزءا من شخصيته وسلوكا مكتسبا يظهر في ممارساته، واتجاهاته، وعلاقاته الاجتماعية. وتأتي أهمية تربية المواطنة من حيث هي عملية متواصلة لتعميق الحس والشعور بالانتماء للوطن، والاعتزاز به، والقيام بالواجب تجاه المجتمع، وغرس الروح الوطنية والأخوة والتفاهم والتعاون بين المواطنين. وبالرجوع إلى الهوية الجزائرية نجد أن لها ثقافة خاصة تشمل الدين واللغة والعادات والتقاليد، كل هذه العناصر تشكل هويتنا المجتمعية ومن أهداف تربية المواطنة تثبيت هذه العناصر والحفاظ عليها، ومن بين هذه العناصر اللغة العربية وهي اللغة الرسمية للبلاد، والأمازيغية كلغة وطنية ثانية ومن ثم فالمواطنة اللغوية تقتضي الدفاع عن اللغة العربية، والإسهام في تطورها ورقيها والمحافظة عليها، وذلك لا يتأتى إلا باستعمالها، والافتخار بها والعمل على ترقيتها ب" استعمال اللسان الوطني في كل المؤسسات والأماكن العامة، وقضاء المصالح الإدارية .

إن المواطنة اللغوية فضاء لغوي ممتد تأخذ فيه اللغة الرسمية النصيب الأوفر انطلاقا من أن تربية المواطنة تحصل أولا باللغة الرسمية، وعدم احتقار الوطنية وتعزيز الثقافة الوطنية بنقل المفاهيم الوطنية للطفل، وبث الوعي بتاريخ الوطن وإنجازاته، والاهتمام بمختلف الأنشطة الثقافية " [8]. فالعلاقة بين مفهوم المواطنة اللغوية والمواطنة هي علاقة الجزء من الكل ، والكل لا يكتمل إلا بترابط جميع الأجزاء حتى يبلغ صورة الكمال المنشودة . فلا يحمل صفة المواطن الحق من يحتقر لغته ويخجل من استعمالها فكل من يحتقر لغته وينأى عنها في الاستعمال اليومي، ويفضل عنها لغة أجنبية وطنيته زائفة أو ناقصة حتى ولو ظهر حاملا لشعارات جوفاء، تتغنى بحبه وتبجيله لوطنه، بينما واقعه الحقيقي ينم عن عدم إحساس واعتزاز بالوطن. فاللغة هي قبل كل شيئ هوية وانتماء، ورمز الكيان القومي والوحدة الوطنية وهي ذاكرة الأمة، وتراثها وحضارتها الماضية

والمستقبلية ف" الذين يتكلمون لغة واحدة يكونون كلا موحدا ربطته الطبيعة بروابط متينة، وإن كانت غير مرئية، ومن هنا كانت اللغة هي الهدف الرئيسي عند المستعمرين الطامعين في استعباد الشعوب، ومحاولة السيطرة عليها. ولن يتحول الشعب أول ما يتحول إلا من لغته، إذ يكون منشأ التحول في أفكاره وعواطفه وآماله. وهو إذا انقطع عن نسب لغته انقطع عن ماضيه ورجعت قوميته صورة محفوظة في التاريخ لا صورة محققة في الوجود " [9] .

ثالثا : دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية في تعزيز مبادئ المواطنة اللغوية :

لا تشكل المواطنة اللغوية لدى الأفراد تلقائيا، أو نتيجة للغرائز الفطرية، وإنما هي تتشكل نتيجة للجهود التي تتولاها المؤسسات المؤثرة في عملية تربية النشء ومؤسسات المجتمع المدني، ومن أهم تلك المؤسسات ما يلي:

1- **الأسرة:** حيث تعتبر أولى المؤسسات الاجتماعية وأهمها تأثيرا في عملية التربية والتنشئة الوطنية " فهي المؤسسة الأولى المسؤولة عن التنشئة الاجتماعية للطفل، فأهميتها لا تقتصر على توفير الاحتياجات المادية للطفل كالغذاء والكساء والمسكن، بل تمتد لتوفير الجوانب العاطفية والاجتماعية، فمنذ نعومة أظافره يجد الطفل نفسه محاصرا بمجموعة من القوانين التي تحدد له ماذا يأكل وماذا يلبس...وهي التي تحدد له اللغة التي يتحدث بها مع الآخرين، وهي التي تحدد له كيفية التعبير عن آرائه ورغباته "[10] ، وكذلك تحدد الأسرة للطفل منذ البداية اتجاهات سلوكه واختياراته في حياته المستقبلية .

وتلعب الأسرة دورا هاما في التنشئة اللغوية للفرد، فتوعية الآباء للأبناء بمقومات المواطنة المسؤولة ضروري لتشكيل نظرة سوية إلى لغته الوطنية، من خلال زرع حب لغته في قلبه ؛ كأن يكون الوالدان قدوة لأبنائهم في الحديث باللغة العربية، والتصريح أمام الأبناء بافتخارهم بلغتهم وحبهم لها، وربط مفهوم حب الوطن بحب اللغات الوطنية العربية والأمازيغية، كما يمكن للوالدين تعزيز هذه القيمة بالابتعاد عن التعليقات الساخرة والسلبية حول اللغات الوطنية، وتشجيع الأبناء على الحديث بها، وإظهار القبول والامتنان لذلك. بالإضافة إلى الاهتمام

بتحصيل الأبناء لمعدلات جيدة في مادة اللغة العربية واللغة الأمازيغية موازاة مع الاهتمام باللغات الأجنبية، إذ من الملاحظ أن اهتمام الآباء بنتائج أبنائهم في اللغات الأجنبية يفوق اهتمامهم باللغات الوطنية مع سعيهم الدائم إلى حصول أبنائهم على دروس دعم من أجل تحسين النتائج المحصلة فيها، بينما لا نرى الاهتمام نفسه مع اللغة العربية واللغة الأمازيغية . كما قد يسعى بعض الأباء إلى رسم صورة خاطئة عن اللغات الوطنية دون وعي منهم بخطورة الأمر، من خلال حرصهم على توجيه أبنائهم في شعب اللغات الأجنبية أو شعب أخرى على حساب تخصص اللغة العربية أو الأمازيغية، ظنا منهم أن اللغات الأخرى هي لغة العلم والمعرفة، وأنه لا مجال للغات الوطنية في ميدان العلوم والمعرفة، وهذه السلوكات السلبية التي تصدر عن بعض الآباء، والتي قد تحدث أحيانا دون وعي منهم تغرس في نفوس أبنائهم قيما خاطئة تتنافي ومبادئ المواطنة وحب الوطن وتجعلهم ينفرون من تعلم اللغة العربية واستعمالها، والحقيقة أن القيام باستطلاع بسيط بين التلاميذ يؤكد هذا التوجه لديهم.

كما تلعب الأسرة دورا آخر إضافة إلى دورها في تعزيز حب اللغة الوطنية كعنصر من عناصر الهوية والانتماء، وهو تحقيق التعايش السلمي بين اللغات الوطنية والإندماج الوطني بين أفراد الوطن الواحد، وذلك بتعريف الأبناء بتاريخنا وتراثنا الثقافي، وتعزيز شعور الانتماء وشرف الانتساب لهذه الأمة بجذورها الأمازيغية والعربية، كأخذهم في زيارات إلى مواقع أثرية أو محطات ثقافية وطنية، والاهتمام بالتقاليد والعادات المختلفة، وأن تحتفل الأسرة الجزائرية بجميع الأعياد الوطنية دون تمييز بين عربية وأمازيغية مما يرسخ شعور الانتماء إلى وطن متنوع الثقافات، ويقوي أواصر المحبة، وروابط الأخوة بين أبناء الوطن الواحد، ولكم نحن بحاجة في أيامنا هذه إلى هذا الشعور والإحساس بالانتماء إلى وطن واحد دون صراعات إيديولوجية جهوية، أو نزاعات عرقية تمزق وحدتنا وتنهش تلاحمنا، فوحدتنا وتآزرنا سيفوت الكثير على الأعداء المتربصين بوطننا الحبيب .

2-**المدرسة :** ودورها مرتبط بدور الأسرة ومكمل لها، إلا أن مايميز المدرسة عن الأسرة هو أنها تؤدي دورها بصورة مقصودة وهادفة، وبناء على أسس وأهداف تربوية محددة تصاغ من قبل المتخصصين ضمن إطار ومناهج تربوية محددة . فالمدرسة مؤسسة هامة تتولى تربية النشء في مختلف مراحل التعليم وهي التي تسهر على تعليم الناشئة لغة وطنهم، والوصول بهم إلى الاستعمال الصحيح والفصيح لها.

ووفقا للقانون التوجيهي للتربية الوطنية (2008) في الجزائر، فإن من مهام المدرسة الجزائرية " ضمان التحكم في اللغة العربية باعتبارها اللغة الوطنية والرسمية ...وترقية وتوسيع اللغة الأمازيغية"[11]. كما تم التأكيد فيه على ضرورة " تقوية الوعي الفردي والجماعي بالهوية الوطنية باعتباره وثاق الانسجام الاجتماعي وذلك بترقية القيم المتصلة بالإسلام والعروبة والأمازيغية "[12]. وفي هذا وعي بأهمية ترسيخ مبادئ المواطنة في نفوس أطفالنا وتنشئتهم على حب الجزائر وتعزيز الشعور بالانتماء إليها.

وقد سطرت مناهج التعليم الجزائرية مجموعة من الأهداف لتعليم اللغة العربية عبر مختلف المراحل التعليمية لتخرج طالبا يتواصل باللغة العربية، ويتقنها كتابة ومشافهة، بالإضافة إلى إقرار تعليم اللغة الأمازيغية كلغة وطنية ثانية في المناطق التي يتحدث أهلها بالأمازيغية، فمن حق كل دولة تعليم لغتها الوطنية والتمسك بها كرمز من رموز الهوية الثقافية، إذ أقرت اليونسكو حق كل شعب في التمسك بلغته القومية بوصفها الرمز الأكبر لهويته الثقافية، فكانت ثمة وثيقة الحقوق اللغوية التي أضيفت إلى ميثاق التنوع الثقافي، والذي من مبادئه إقرار حق الدولة انتهاج السياسات الثقافية التي تحددها لنفسها، وإقرار مبدأ حماية المنتج الثقافي والخاص بكل شعب.[13].

وتقدم المدرسة الجزائرية مادة دراسية مفصلة مهمتها تنمية المواطنة، إلا أن هذه المادة تركز على تزويد الطلبة بمجموعة من المعارف عن تاريخ بلدهم وحكومتها، وأنظمتها السياسية والاقتصادية، ولا تركز على المهارات الضرورية

للمشاركة ، بينما تربية المواطنة بمفهومها الواسع تشمل سلوكيات متعددة وقيما وفضائل يجب نقلها للطلبة لترسيخ المواطنة الصالحة، والسبيل إلى ذلك هو المعلم الكفء الذي يربي التلاميذ تربية سليمة، والذي يشكل الدعامة الرئيسية والهامة في توجيه المدرسة نحو تنفيذ مهامها التربوية وتحقيق الأهداف المرجوة منها فالمدرسة يمكنها أداء المهام التالية [14]:

- تستطيع أن تدعم كثيرا من المعتقدات والاتجاهات والقيم الحميدة التي اكتسبها الطفل في البيت؛
- يمكن للمدرسة أن تحمي من بعض العادات والقيم غير السليمة التي اكتسبها الطفل في البيت؛
- يمكن للمدرسة من خلال بعض الأنشطة الهادفة أن تزيل بعض ما يتعلق بنفس الطفل من صراعات نتيجة للصراعات المنزلية التي عاناها.
- يمكن للمدرسة أن تعلم الطفل ممارسة العلاقات الإنسانية القائمة على أسس إسلامية بطرقة مخططة.

إن أداء هذه المهام يكفله المعلم، من خلال تدريسه للمواد التعليمية المختلفة بهدف تنمية شخصيات طلبته، وتوجيه سلوكاتهم، وذلك بتعزيز الحسنة منها، وتقويم أو تعديل غير المرغوب فيها، فيمكن للمعلم أن يصحح بعض الاعتقادات الخاطئة التي اكتسبها الطفل في البيت كاحتقاره للغات الوطنية أو تفضيله للغة على أخرى بشكل يلغي وجود إحداها، كما قد يخلف صراع الوالدين حول رغبتهم في توجيه أبنائهم إلى تعلم لغة بعينها ، آثارا نفسية قد تؤثر في تنشئتهم الاجتماعية وفي حياة أطفالهم حاضرها ومستقبلها فيتدخل المعلم ويحاول الحد أو التخفيف من هذا الصراع بتحضيره لأنشطة ثقافية متنوعة لتلاميذه تعرف بثقافة وطنهم، وتشجيعهم على الانخراط في النادي الثقافي للمؤسسة التعليمية، والمشاركة في المناسبات الثقافية الوطنية، وإقامة معارض تعرف بالتراث الوطني، بنوعيه المادي وغير المادي. كل ذلك من شأنه أن يكوّن أفرادا صالحين يعتزون بعروبتهم وأمازيغيتهم وإسلامهم، فالمدرسة توفر " بيئة اجتماعية أكثر اتزانا من البيئة الخارجية مما يؤثر

في تنشئة التلميذ وتكوين شخصيته تكوينا يمكنه من التفاعل والتكيف مع المجتمع ومن العمل على تطويره" [15].

ولهذا يمكن للمعلم أن يعزز قيم المواطنة اللغوية لدى طلبته بجعلهم يفتخرون بلغاتهم الوطنية ولا يخجلون من التحدث بها، فهو القدوة الحسنة لتلاميذه في الصف، بتمكنه من اللغة العربية والحديث بها داخل القسم وخارجه، وإشعارهم بأن اللغة العربية من أهم مكونات وطنيتنا وقوميتنا العربية، وأنها الجامع والحافظ لتراثنا العربي ماضيا وحاضرا، وأنها ضمنت استمرار وحدتنا ووجودنا عبر العصور، دون أن ننسى اللغة الأمازيغية التي هي جزء لا يتجزأ من تراثنا الثقافي الوطني، ولا سبيل لفرض موقعنا بين الأمم إلا بالحفاظ على هويتنا ولغتنا لمواجهة تحديات كثيرة إن على المستوى الخارجي أو على المستوى الداخلي، في ظل عولمة كونية يدور فيها الصراع بين الثقافات.

وتبذل الدول الواعية جهودا كبيرة من أجل تكوين المعلمين تكوينا يرقى إلى تطلعاتها، لأن المعلم حجر الزاوية في العملية التربوية، ف" يعتبر فهم المعلمين لماهية المواطنة وأبعادها ومنطلقاتها، ومدخلاتها، وأليات تفعيلها وتطبيقها ضروري جدا كونهم من أهم الموصلين لأهداف التربية بحكم قربهم من الطلبة ومن العملية التعليمية التعلمية، ولا يكفي إعداد المعلمين في الجانب المهني، بل لابد أن تكون لديهم خلفية وافية عن المواطنة وتربيتها، وتطورها، وعن طبيعة بلدهم، ولذلك لابد من تقديم ورش تدريبية لهم في الناحية المفاهيمية للمواطنة، وفي استراتيجيات تنميتها، وفي طرق تقييمها" [16].

3- **المؤسسات الدينية :** بما أن المجتمع الذي ننتمي إليه هو مجتمع إسلامي فإن المؤسسة الدينية التي تحتل الصدارة هي المسجد. والمسجد يحتل منذ القدم مكانة اجتماعية مرموقة نظرا لما يقوم به من أدوار جليلة في المجال الاجتماعي وهو مكان لمناقشة قضايا الأمة الدينية والأسرية والسياسية والتربوية والاقتصادية وغيرها، إلا أنه في الوقت الحاضر تناقص دوره بسبب ظهور مؤسسات جديدة أوكلت لها مهام كان المسجد يقوم بها، إلا أن المسجد لم يفقد مكانته ولا يزال

يمارس وظيفته الاجتماعية إلى جانب وظائف أخرى، والتي ترتكز أساسا على غرس القيم الدينية التي توحد بين أفراد المجتمع، والدعوة إلى المشاركة الجماعية التي تؤلف القلوب ، وتقوي أواصر المحبة بين أطياف المجتمع، ونبذ كل معايير التفرقة بين أفراد الوطن على أساس عرق أو لغة أو دين ف" المسجد أحد المؤسسات التربوية ذات الدور المباشر في التأثير على حياة الفرد المسلم وسلوكياته وتعامله مع أفراد المجتمع من حوله. فالمسجد (جامع وجامعة) لأنه يمثل الحياة بأكملها وجميع جوانبها، وهو بحق أفضل مكان، وأطهر بقعة وأقدسها يمكن أن تتم فيها تربية الفرد، وتنشئته وتوجيه الشباب ورعايته" [17].

وتعد الخطبة من أكثر الوسائل فاعلية في نشر الأفكار وإيصالها إلى أكبر عدد ممكن من مختلف الطبقات والمستويات " فالخطبة أسرع إلى فهم العامة، وأبلغ في التأثير على الجميع، ولها مفعول مباشر وسريع في توجيه الرأي العام "[18] إذا ما تم ربطها بالحياة والواقع الذي يعيشه الناس وعلاج أمراض المجتمع، وتقديم الحلول لمشكلاته على ضوء الشريعة الإسلامية الغراء وبهذا يمكن توظيفها في توعية المواطنين بأهمية التمسك بهويتنا العربية الإسلامية، وضرورة التصدي للغزو الثقافي الذي يهدد بذوبان هويتنا، ومحاربة النزعات العنصرية والمذهبية وغيرها من الأمور التي تفرق وحدة الأمة، وترسيخ ثقافة تقبل الآخر بجميع اختلافاته، مما يساهم في عملية الاندماج الوطني والتعايش السلمي بين أطياف المجتمع بمختلف جهاته، وبتنوع أجناسه ولغاته.

4- **وسائل الإعلام :** يعد الإعلام السلطة الرابعة بما يملكه من وسائل التوجيه والتأثير في الرأي العام ، ووسائل الإعلام مؤسسة أخرى من مؤسسات التنشئة الاجتماعية، فالنظام الإعلامي يستخدم كمعلم لنقل التراث الاجتماعي من جيل إلى آخر[19]. ومن أهم وسائل الإعلام : التلفزيون، مواقع التواصل الاجتماعي الإذاعة، السنما، الكتب، المجلات...والتي تحدث تأثيرا بما تتضمنه من معلومات مسموعة أو مرئية، أو مكتوبة أو مقروءة، وتبدو أهمية هذه الوسائل فيما تتصف به من خصائص عامة تلعب دورا خاصا في عملية التنشئة الاجتماعية، ومن أهم

خصائص وسائل الإعلام أنها تمس مختلف الأعمار إلى جانب جاذبيتهـا، بحيـث أصبحت تحتل جانبا كبيرا من وقت واهتمام الإنسان.

ومن الأساليب التي تستخدمها وسائل الإعلام في التنشئة الاجتماعية [20]:

التكرار: عن طريق تكرار أنواع معينة من العلاقات والشخصـيات والأفكـار والصور، كما يحدث في القصص والكتب المصورة والتلفزيون.

الجاذبية: وذلك بتنوع الأساليب التي تشد المتلقي إلى وسائل الإعلام

الدعوة إلى المشاركة: وذلك بدعوة المتلقي إلى المشاركة الفعلية أو المشـاركة عن طريق الكتابة أو الرسم الإبداعي، إبداء الرأي والكتابة في موضوع معين

عرض النماذج: قد تكون شخصية لها مكانة اجتماعية.

إذا يمكن القول أن وسائل الإعلام تلعب دورا هاما في تعزيز مبادئ المواطنـة اللغوية، وتنمية الميول والاتجاهات الإيجابية إذا ما تم توجيهها لهذا الغرض، فهـي تعد منبرا لا يستهان به لترويج أفكار تدعم نمو اللغات الوطنية وتطورها، والتعايش السلمي بين لغات الوطن، والإسهام في نشر الوعي بأن اللغة هي عنـوان الهويـة والسيادة، وأن قوة الدول تكمن في التمسك بعناصر هويتها ومجابهـة الانصـهار والذوبان في قيم غربية ننسلخ فيها عن هويتنا الحقيقية.

ولا يمكن أن ننكر التأثير السلبي لوسائل الإعلام في عقل المتلقي إذا ما أسـيئ استخدامها فالكثير منها توجهها المناوئ للغة العربية واضح لا يخفى علـى أحـد، ومنها التي تسهم في إذكاء نار الفتنة بين أبناء الوطن، بخلق صراعات إيديولوجيـة وهمية، عبر الانتصار لجهة معينة من الوطن على حساب جهات أخرى، أو الميل إلى لغة على حساب لغة أخرى من لغات الوطن. كما يمكـن لظهـور شخصـية مرموقة اجتماعيا على التلفاز مثلا أن تؤثر سلبا أو إيجابا في المتـابعين للبـرامج التلفزيونية، كالإدلاء بتصريح أو المشاركة في احتفال أو تظاهرة ثقافيـة، فمجـرد تبني شخصية مشهورة في أوساط الجماهير لموقف معين من اللغات الوطنية يمكن أن يثير ردود فعل إيجابية أو سلبية حول الموضوع، وتجعل الأفراد يسلكون سلوكا مشابها لما تقدمه وسائل الإعلام، وقد شهد العالم الكثير من الأزمـات الدبلوماسـية

بين دول العالم قد تسببت فيها مجرد تصريحات صحفية أو أفعال مصورة، وصلت أحيانا إلى انقطاع العلاقات الدولية وحتى إلى مناوشات عسكرية.

ومع سرعة انتشار المعلومة والصورة على الشبكة العنكبوتية، أصبح من السهل الترويج للأفكار والتوجهات، وإذاعة الإشاعات والأخبار المغلوطة، والمتجول في مواقع التواصل الاجتماعي وصفحات الأنترنيت يستطيع أن يلمس تأثير هذه الوسائل الإعلامية الخطيرة ؛ فهي سلاح ذو حدين ، له تأثير كبير في مدى كسب الحروب الإعلامية القائمة عبر قنوات الإعلام المرئية والسمعية والمكتوبة، أصبح الرابح فيها من ينجح في التحكم إعلاميا في عقول الجماهير ، واللعب بمشاعرهم، والعزف على أوتار النقاط الحساسة التي تثير حفيظتهم .

خاتمة :

حاولت في عجالة من خلال هذه الورقة إبراز الدور الذي تلعبه مؤسسات التنشئة الاجتماعية في تعزيز مبادئ المواطنة اللغوية؛ بترسيخ حب اللغة العربية والافتخار باستعمالها في معترك الحياة اليومية، موازاة مع التمسك بهويتنا الثقافية وتراثنا الأمازيغي، والعمل على ترقية اللغة الأمازيغية والبحث في تطويرها والالتفاف حول عناصر الهوية الوطنية التي تمثل عنوان كياننا وسيادتنا ووحدتنا وعدم الانصهار في قوالب ثقافية غربية تلغي خصوصيتنا كوطن له دينه وثقافته ولغته التي تحدد هويته، وكل ذلك لن يتأتى تلقائيا أو محض صدفة، بل لابد من رسم خطة مدروسة وفق احتياجات المجتمع، يتبنى تحقيقها مؤسساته الاجتماعية التي تعمل على المحافظة عليه، وتنشئة أجيال تنشئة سليمة بما يضمن استمراره وهذه المؤسسات تتيح للفرد أن يسلك توجهات وأنماطا سلوكية تسمح له بالاندماج الاجتماعي وأداء الأدوار الاجتماعية الصحيحة للشخصية السوية .

الهوامش :

[1] زين العابدين درويش، علم النفس الاجتماعي: أسسه وتطبيقاته، دار الفكر العربي، القاهرة 1999، ص 68.

[2] عبد الفتاح تركي موسى، التنشئة الاجتماعية (منظور إسلامي)، المكتب العلمي للنشر والتوزيع، القاهرة، 1998، ص 21.

[3] محمد عاطف عيث: قاموس علم الاجتماع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1979 ص 449.

[4] جابر عبد الحميد، علاء الدين كفافي، معجم علم النفس والطب النفسي، دار النهضة، القاهرة جـ7، 1995، ص 360.

[5] إبراهيم عصمت مطاوع وواصف عزيز واصف، التربية العلمية، دار النهضة العربية، 1982 ص 18.

[6] ينظر: علي خليفة الكواري ، مفهوم المواطنة في الدول الديمقراطية، جريدة البيان، دبي الإمارات، أغسطس2004، ص21.

[7] ميشال مان : ترجمة عادل الهواري وسعد مصلوح، موسوعة العلوم الاجتماعية (مادة المواطنة) ، مكتبة الفلاح للنشر، الكويت، 1994، ص 110.

[8] صالح بلعيد، المواطنة وأخواتها، مقال منشور في موقع http://revue.ummto.dz تاريخ الاطلاع 2019/06/02

[9] مصطفى صادق الرافعي، من وحي القلم، دار المعارف، مصر، ج3، ص 126.

[10] مطوري أسماء، مؤسسات التنشئة الاجتماعية ودورها في تنمية قيم التربية البئية، أطروحة دكتوراه في علم اجتماع البيئة، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2016/2015

[11] مهام المدرسة ، الفصل الثاني من الباب الأول للقانون التوجيهي للتربية الوطنية 2008.

[12] غايات التربية، الفصل الأول من الباب الأول للقانون التوجيهي للتربية الوطنية 2008.

[13] ينظر: محمود السيد، الأمن اللغوي ودوره في الحفاظ على هوية الأمة، مقال منشور في موقع www.arabacademy.gov. تاريخ الاطلاع 2019/06/07

[14] منير المرسي سرحان، في اجتماعيات التربية، دار النهضة العربية، بيروت ، لبنان، ط4 2003، ص 196.

[15]زينب بنت محمد الغريبية، استراتيجية لتعزيز التربية من أجل المواطنة في المدرسة الحديثة مجلة تنمية الموارد البشرية ، العدد الحادي عشر، ديسمبر 2015.

[16] الدور السوسيولوجي للمسجد وعلاقته بالواقع الاجتماعي للشباب، بحث منشور في موقع مكتبة العمل الخيري، https://tslibrary.org/wp-content/uploads/books/1461.doc تاريخ الاطلاع 2019/05/30

17 صالح بن غانم السدلان، الأثر التربوي للمسجد، مأخوذ من موقع https://d1.islamhouse.com تاريخ الاطلاع 2019/05/25

[18] ينظر: محي الدين مختار، محاضرات في علم النفس الاجتماعي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، دط، د س

[19] مطوري أسماء، مرجع سابق.

سبل توظيف اللغة العربيّة
في تكريس ثقافة المواطنة والانفتاح على اللّغات الأجنبيّة

-الاسم واللقب : نادية بن ورقلة - الاسم واللقب : حني حسين

-الدرجة العلمية : أستاذة محاضرة صنف " أ" - الدرجة العلمية: السنة الثالثة دكتوراه

-المؤسسة الأصلية : جامعة زيان عاشور –الجلفة – المؤسسة الأصلية : جامعة الجزائر2

مقدمـــة: إن التعددية اللغوية تعكس الهوية الجزائرية ذات الروافد المتعددة، كما تمثل عاملا مساعدا على الانفتاح على المعارف الكونية والثقافات الأخـــرى ، مـــع الأخذ بعين الاعتبار ضرورة العمل على هيكلة وتوحيد المشهد اللغوي المتعدد، مع الانفتاح على اللغات الأجنبية، خاصة الإنجليزيـــة لمواكبـــة التطـــورات العلميـــة والاقتصادية ، فعلى الصعيد العالمي هناك تمازج وتداخل لغوي وثقافي، حيـــث لا توجد ثقافة خالصة وصافية البتة، كما يقول الناقد الأدبي الألمـــاني " ألفونســـو دو طورو"، باعتبار أن التنوع هو طبيعة المجتمعات فالتعددية الثقافية سمة ثابتة مـــن سمات المجتمعات المعاصرة، والخطر اليوم يكمن في تهميش أو عـــدم الاعتـــراف بهذه التنويعات اللغوية والثقافية أو تدبيرها بصورة غير عادلة أو غير ديمقراطيـــة. ومع هذه الثورة العالمية في الاتصالات بكافة أشكالها، كان من الطبيعي أن يكـــون الاهتمام باللغـــات في هذا العصر تحديدا غير مسبوق، باعتبار أن اللغـــــة هـــي الوسيلة الأساسية والأكثر فاعلية للتواصل بين الثقافات والأعراق المختلفة، وبالطبع كانت الإنجليـــزية هي اللغة التي شغلت المســـاحة الأوفـــر مـــن الـــزخم الـــدائر بخصوص اللغات، كونها لغـــة التواصل العالمية الأولى، والنافذة الأساسية لعـــالم الفكر والتقنيـــات والعلم ذي الصبغة العـــالمية . ومن هذا المنطلق عكف المجلـــس

الأعلى للغة العربية بوصفه هيئة استشارية تأسست في 26سبتمبر 1998، على ترقية مكانة اللغة العربية في الجزائر.

وحسب آخر الإحصائيات، تحتل اللغة العربية المركز الرابع عالميا كأكبر لغة من حيث عدد المتحدثين بها تسبقها كل من اللغة الإنجليزية في المركز الثالث والهندية في المركز الثاني، في حين تتصدر اللغة الصينية المجموعة، حيث يبلغ عدد سكان الصين حولي 1.4 مليار نسمة من مجموع سكان العالم البالغ عددهم 7.6 مليار نسمة. وتعد ثاني أكبر لغة انتشارا في العالم من حيث عدد الدول التي تتكلمها والبالغ عددهم 60 دولة ومن المنتظر أن يبلغ عدد المتحدثين باللغة العربية نحو 647 مليون نسمة حتى عام 2050.

والحقيقة أن الانفتاح على اللغات الأجنبية هو أمر يهم بالدرجة الأولى الشعوب العربية التي لا ينبغي أن تبقى حبيسة اللغة العربية تجتر أمجادها الماضية ، وتتغنى بما حققه أجدادها من عز وسؤدد يوم كان الإنسان العربي متشبثا بلغته الأم ، بل عليها أن تنفتح أكثر على اللغات الأجنبية :الفرنسية ، الإنجليزية أم الصينية ، لا يهم ، مع إلغاء مسألة المفاضلة من خلال النظر إلى إحدى اللغات باعتبارها أفضل من تلك ، أو التفكير في أن تعلم اللغات الأجنبية يهدد اللغة العربية في وجودها ويصيبها بالضمور ويكرس النظرة الدونية التي ينظر بها العربي إلى لغته، هذه مجرد أوهام لا أساس لها من الصحة والعكس هو الصحيح ، فانفتاح العرب على اللغات الأجنبية من شأنه أن يغني تجاربهم ويساهم في تقدمهم وبالتالي يستفيدون من الغرب في المجال العلمي والتكنولوجي بشكل خاص .

لسنا في حاجة إلى أن نكرر ونعيد فكرة مفادها أن اللغة العربية لغة القرآن، لغة حية ومطواعة تساير التقدم العلمي، وأن العيب ليس فيها ولكن العيب في أصحابها الذين ينظرون إليها نظرة احتقار ويهمشونها في أحاديثهم ومحافلهم ومنتدياتهم .[1]

لذا بات من المهم توظيف خبراء وكفاءات علمية وأكاديمية وطنية، تعمل بشكل متواصل على تكثيف الإنتاج الفكري، الثقافي والعلمي، والتنسيق الدائم مع باقي مؤسسات الدولة لتحسين الأداء العام عن طريق إصدار معاجم متخصصة وتقديم

مقترحات بناءة للنهوض باللغة، إضافة إلى إنجاز العديد من الترجمات بوصفها مجالا حيويا للبحث، ناهيك عن تنظيم ملتقيات ودورات تكوينية تكرس دور اللغة العربية في العلوم ، ترفع مستوى إتقانها في أوساط المهنيين في قطاعات الإعلام والفلاحة السياحة والجماعات المحلية والتعليم.

و قد أوضح رئيس المجلس البروفيسور صالح بلعيد، خلال نزوله ضيفا على منتدى جريدة النصر في وقت سابق ، بأن هذه الهيئة تسعى بجهد من أجل ازدهار اللغة العربية، في ظل الحركية الفكرية والغليان الثقافي والتوجهات الجديدة التي تعرفها بلادنا والعالم ككل، حيث تركز في مهامها على ترجمة المصطلحات في العلوم والتكنولوجيا لمواكبة النهضة الفكرية، خصوصا ما تعلق بالتخصصات الدقيقة التي تفتقر إليها البحوث بالعربية، وعليه فإن إستراتيجية المجلس ستركز كما قال، على ترجمة العلوم القاعدية خدمة للبحث العلمي، حيث يتم العمل على ترجمة أحد أمهات الأعمال البحثية وهو كتاب " أجدادنا العرب" الذي كشف مؤلفه بأن العربية هي أصل لأزيد من 3آلاف كلمة فرنسية .

هذا ويعمل المجلس على إصدار مجلات دورية أبرزها مجلة اللغة العربية ومجلة معالم للترجمة بالإضافة إلى إصدار يعنى بالعلوم والتكنولوجيا، هذا فضلا عن رفع محتوى مكتبة المجلس في غضون سنتين فقط من 216 كتابا إلى 300كتاب كلها أعمال مرقمنة ومتوفرة على شبكة الانترنت في سبع شبكات دولية معترف بها والتي تم عرضها خلال معرض الجزائر الدولي للكتاب في 2019 ، وتعتبر هذه الأعمال حسب رئيس المجلس، نتاجا لخطة عمل سمحت بتحقيق خمسين في المائة من برنامج الهيئة، المتعلق أساسا بترقية اللغة العربية.

كما أوضح بأن هيئته قامت بتخزين ما لا يقل عن 9000 عنوان ، مع فتح المجال لتحميلها مجانا و في ذات الإطار، قام المجلس الأعلى للغة العربية بالشراكة مع مركز البحث في الإعلام العلمي والتقني، بإدراج 3000 عنوان إلى غاية الساعة عبر أرضية "الجاحظ ".

و إبرام اتفاقية تعاون مع المديرية العامة للبحث والتطوير العلمي تتعلق بالنهوض بمخابر اللغات، وذلك انطلاقا من "ضرورة تحقيق قفزة نوعية" في هذا المجال حتى تتحول العربية إلى لغة علمية.

غير أنه حرص على التوضيح بأن المجلس "لا يعد هيئة تنفيذية بقدر ما يتمحور دوره حول تقديم مقترحات والتنبيه إلى الأخطاء في حال وجودها".

هذا و كان قد أورد بعض العلماء الأجانب أقوالا عن أهمية اللغة العربية ومكانتها في المجتمعات، حيث قال الفرنسي إرنست رينان:" اللغة العربية بدأت فجأة على غاية من الكمال، وهذا أغرب ما وقع في تاريخ البشر فليس طفولة ولا شيخوخة"، أما الألماني فريتاغ فقال فيها:" اللغة العربية أغنى لغات العالم" .

إن الأمر الذي من المرجح أن ينتج عن عالم متعدد الثقافات هو أن يصبح هناك تكيف إيجابي مع الاختلافات القائمة، على الصعيد اللغوي، والاجتماعي، بحيث يكون الناس أكثر إبداعا واهتماما باللغات الأخرى. فلديهم مدخل إلى المصادر اللغوية وارتباط بها، ما يجعلهم لا يحتاجون لبذل جهود كبيرة للحصول عليها، مقارنة بالوضع في بيئة وحيدة اللغة، حيث يكون الناس متوترين نوعا ما تجاه اللغات الأخرى المختلفة ." بالإضافة إلى مشروع خوارزيمة تصحيح وتسهيل خط وثائق الحالة المدنية النمطية التي توجت بتعاون مشترك بين المجلس ووزارة الداخلية والجماعات المحلية وهو مشروع صالح لغاية 2099، علما أن التعاون يمتد ليشمل هيئات وزارية أخرى كالتربية والتعليم ويهدف لاقتراح أفكار تخدم عملية إعداد المناهج التعليمية، كما يرتبط المجلس بعلاقات عمل مشتركة مع كل من المحافظة السامية للأمازيغية والمجلس الإسلامي الأعلى، الذي تم بالتنسيق معه جمع ورقمنه أزيد من 10 آلاف مخطوط، تخص كل ما له علاقة بالجزائر، هذا وتعمل الهيئة على إعداد معجم خاص بألفاظ الحياة العامة، يقوم على جمع المصطلحات الدارجة الشائعة وتهذيبها، إضافة إلى جائزة اللغة العربية ومشاريع أخرى .

إن العصر الذي نعيشه عصر يفرض على المجتمعات الإنسانية على اختلاف ألسنتها وثقافاتها، التواصل، بل التعايش، ذلك أنه قد أصبح من الصعب الاعتراف

بالهوية الواحدة، في مقابل الهوية المتعددة، بعد أن ارتفع المحدد الجغرافي عن رسم حدود اللغات والثقافات، فأصبحنا نعيش نمط القرية الواحدة، فحجم التداخل الثقافي الذي تسببت فيه من جهة عوامل الهجرات المختلفة العاملة والعالمة، والتي أدت إليها الكولونيالية ومراحل الاستعمار وضعف البنيات الأساسية للأوطان الضعيفة اقتصاديا وسياسيا وعسكريا خصوصا بعد التقسيم الذي نتج عن الحربين العالميتين الأولى والثانية، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى أدى التطور التكنولوجي والرقمنة إلى جعل العالم الشاسع جغرافيا متداخل ثقافيا وفكريا، حيث وسائل التواصل تعجل بنقل المعلومات من بلد لأخر متجاوزة القدرات البنيوية لذلك البلد وثقافته ولغته.

و في واقع كهذا يصبح الحديث عن الاقتصار على لغة واحدة في التواصل أمر صعب، خصوصا من جانب المتواصل العربي لعدة أسباب، بل لا بد من التمكن من لغة أخرى من اللغات الحاملة للمعرفة الجديدة التي تقود العالم حاليا، كاللغة الإنجليزية الآن التي أصبحت تكتسح العالم بشكل كبير بل أصبحت شرط أساسي لمسايرة التقدم المعرفي والفلسفي العالمي خصوصا في مجالات البحث التخصصي حيث لا سبيل لإدراك المقالات المستجدة إلا بإدراك لغاتها. [2]

فعندما نتكلم عن ضرورة تعلم اللغات الأجنبية ، نعني بهذه اللغات لغات الدول المتقدمة، والقصد من ذلك هو الاستعانة بها في التنمية التي ننشدها ، لأن هذه اللغات هي التي تنتج اليوم المعرفة التي نحن في أمس الحاجة إليها والتي نكتفي ، مع الأسف باستهلاكها فقط. لكن البعض منا يلجأ إلى النفخ في الضرورة التي لا مناص منها لهذه اللغات قصد تكريس فكرة خاطئة وهي دونية اللغة العربية وما تتهم به ظلما وجهلا وعدوانا وكراهية من " **أنيميا** " وقصور وعجز وحشرجة وقرب مفارقتها للحياة الدنيا، كما نقرأ في بعض الأدبيات غير العلمية وغير المؤدبة التي تنم عن انسداد فكري مؤسف وانغلاق علمي ساذج يكاد يكون صبيانيا.

و اللغة العربية ، كما لا أحتاج على البرهنة على ذلك ، لها من الإمكانيات الهائلة اللغوية والمصطلحية والبشرية والمعرفية وحتى المالية (التي تبذر غالبا في أشياء تافهة في دول البترول) ما يخول لها مواكبة العصر بدون عناء كبير ، وهذه اللغة

القائمة بذاتها ، منذ زمن قديم، هي التي علينا أن ننفتح عليها وأن نحتضنها قبل احتضان أية لغة أجنبية .

وكل انفتاح على غيرها من اللغات الأجنبية الغربية يجب أن يكون من أجل تزويدها بالعتاد العلمي والمعرفي الذي تفتقر إليه الآن لأسباب تاريخية وظرفية ومرحلية معروفه، كما أن لا أحد يشك في أنها عابرة بقوة منطق التاريخ.

إن للغة العربية التي هي في واقع الأمر لغة جاهزة علميا ورغم المغالطات التي تثار حولها بخصوص المصطلحات العلمية بصفة خاصة ، نكون قد رسمنا منذ زمن اللغة العربية بحكم جاهزيتها ، في الورق بديباجة جميلة ورسمنا اللغة الفرنسية في الواقع المعيش بجرأة الضعفاء. والنتيجة أننا أصبحنا نعيش في " **سكيزفرينيا** لغوية" لن تؤدي بنا سوى للهذيان والتيه فهناك دول صغيرة في العالم كالدول الإسكندنافية تأخذ من اللغة الإنجليزية ما تحتاج إليه من زاد معرفي علميا وتكنولوجيا ولكنها تشتغل بلغاتها الرسمية.فلكل من السويد والنرفيج وفنلاندا لغات رسمية متعددة ، بها تشتغل وبها تقدمت وبها تتقدم . أما الذين يشتغلون بلغة الغير بالإنجليزية والفرنسية بعد أن رسموها ، كبعض الدول الإفريقية ، التي تعيش وضعية ذيلية إذ تجدهم يجترون إنتاج الغير ويتكلون عليه في كل شيء وهكذا سيظلون، عبيدا مقيدي العقل والأيدي والأرجل.. [3]

لذا فانه لمن المهم إيجاد نقد علمي متطور يتنافس فيه الناس لتقديم البديل النوعي شرط أن يكون كل هذا في إطار الاعتزاز اللغوي على أن يتطلب الأمر اشتغالا أكاديميا مكثفا، وهو ما من شأنه أن يساعد في تهيئة اللغات لجعلها أكثر قدرة على أداء وظائفها، مع توفير عناصر الاشتغال الواعي على انسجام السياسة اللغوية والثقافية الوطنية .هذا كما تساعد اللغات الجديدة الفرد على استخدام إدراكه العلمي بشكل مختلف، ينمي قدرته على فهم التراكيب والقواعد اللغوية ويزيد من مرونته الفكرية وإمكاناته على التحليل والتواصل، وهذا ما أكد عليه رائد الفضاء جيوفري ويليامز عندما قال: " لن تستطيع أبدًا فهم لغة ما حتى تتمكن من فهم لغتين على الأقل"، أو ما قاله الأديب الألماني يوهان فولفغانغ فون غوته: "أولئك الذين لا يعرفون أي لغات

أخرى، لا يعرفون شيئًا عن لغتهم الأم، ولا بد أن هناك الكثير من المتع اللغوية التي يفتقد إليها الأشخاص الذين يتحدثون لغة واحدة."

إلى ذلك، فإن جميع هذه التأثيرات والمتطلبات ألغت الحدود الجغرافية بين الناس وراهنت على قوة اللغة وقدرتها على الوصول إلى أبعد بقعة وتوحيد العلاقات الدولية، ومع التطورات السريعة التي نشهدها في عصر التكنولوجيا يبدو تعلم لغة الآلة أو البرمجة أمرًا منطقيًا عند النظر إلى الإقبال على تعلم لغة البرمجة.

و بحسب إحصاءات المركز العالمي للعاملين في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وصل عدد المبرمجين إلى أكثر من 18 مليون مبرمج، وهذا بالتوافق مع رغبة العالم في محاربة الأمية التكنولوجية وتحسين قدرة الأفراد على التواصل مع الآلات التي يرجح أنها سوف تسيطر على مجالات عديدة في عالمنا يومًا ما.

هذا وتشير الدراسات إلى أن اللغة العربية أضحت منذ 2012من اللغات العالمية المعتمدة في 21 وكالة في الأمم المتحدة وفي كل أيام السنة بعد أن كانت تستعمل في نطاق ضيق في الجمعية العامة للأمم المتحدة فالعالم يعيش الآن في ظل عولمة لغوية وعلى العربية مثلما قيل «أن لا تعادي العولمة لكن عليها أن تفرض خصوصيتها، وأن تتكيف مع مختلف العلوم ، لاسيما وأنها تعتبر من أقدم اللغات العالمية فمن فكر في عجزها فهو مخطئ، إذ يرى الدارسين والمهتمين بأن المشكلة تكمن في الذين يشتغلون بها، «لو أنها عاجزة فعلا لانقرضت مع انقراض اللغات الحامية السامية» التي لم يبقى منها سوى البعض على غرار الفارسية والتركية .

مع ضرورة التكيف مع هذه العولمة اللغوية والحفاظ في نفس الوقت على خصوصية اللغة الأم ، فالعلم بات يتوزع في ثلاث لغات إذ لا يمكن أن نبدع في الفلسفة دون معرفة اللغة الألمانية ولا في التكنولوجيا دون أن نلم بالانجليزية، ولا في علوم البحار دون معرفة الاسبانية وما غير ذلك ، مع أهمية الدراسة العلمية لجميع المكونات اللغوية بالبلاد، التي يجب الاعتناء بها باعتبارها تراثا جزائريا مهما ، حيث أن جميع اللغات قابلة للتطور، مع الدعوة إلى تعلم اللغة العربية والأمازيغية كلغتي هوية مع الانفتاح على اللغات الأجنبية من خلال تعلم وإتقان اللغات الأكثر تداولا في

العالم والانخراط والتفاعل مع مجتمع المعرفة كشرط ضروري للحياة والتنمية داخل مجتمع دولي متشابك لا مجال فيه للوجود المنعزل . هذا كما يعتبر المجلس الأعلى للغة العربية هيئة دستورية يرمي إلى تجسيد ثلاثة أهداف رئيسية تتمثل في:

1-العمل على ازدهار اللغة العربية .

2-تعميم استعمالها في العلوم والتكنولوجيا .

3-تكريس المواطنة اللغوية وذلك بالتنسيق مع مختلف القطاعات ، وبوجه أخص البحث العلمي والتربية والإعلام . فضلا عن تفعيل الترجمة من اللغات الأجنبية إلى العربية .

هذا بالإضافة إلى وجود فوائد عديدة وموثقة للتحدث بأكثر من لغة. فتعلم اللغات يحصن من الخرف، ويزيد من حدة التركيز، ومهارات حل المشكلات، ويمكن أن يجعلك تكسب مزيدا من المال أيضا.

إذ يمكن لمزيد من التواصل والفهم الأكبر بين شباب اليوم أن يزيل الحواجز التي يقيمها المجتمع حولهم عندما يكبرون، حتى وهم يستخدمون التطبيق عبر قارات العالم المختلفة.

-أهمية تعلم اللغات الأجنبية:

-تعزيز القدرات المعرفية: أشارت الكثير من الأبحاث إلى التأثير الفعال لتعلم اللغات على تنمية القدرات المعرفية المختلفة مثل: زيادة القدرة على التركيز، والتذكر والتعلم، وحل المشكلات، والتفكير الناقد، والتخطيط الذهني، والتخيل، والابتكار.

-دعم الذكاء الاجتماعي: نظرًا لإتاحة العديد من الفرص للتعرف على الثقافات المختلفة مما يحد من التمركز الذاتي، ويزيد القدرة على تقبل وجهات النظر والثقافات المختلفة، وينمي القدرة على تقبل الآخرين، والتواصل معهم بفاعلية، وتكوين صداقات من مختلف الدول.

-تنمية الثقة بالنفس: حيث يتطلب تعلم اللغات عدة مهارات شخصية كالالتزام، والمثابرة، والإصرار وقيادة الوقت وبذلك يؤدي النجاح في تعلم اللغات إلى تقوية الثقة بالنفس، والثقة في القدرة على تحقيق الأهداف، ومواجهة العقبات.

-**الحصول على فرص عمل أفضل:** بالرغم من دور الانفتاح العالمي في زيادة فرص العمل وتوفير نطاقات أوسع للعمل إلا أن ذلك أيضًا أدى لاحتدام المنافسة في شتى المجالات على الصعيد الشخصي، والمؤسسي، والدولي؛ لذا يُمثل تعلم اللغات الأجنبية أحد أهم سبل الفوز والحصول على أفضل الفرص كنقطة قوة أساسية لدى الأفراد والمنظمات.

-**زيادة فرص التعلم:** حيث أصبحت اللغات الأجنبية من أهم متطلبات التعلم، لقدرتها على توفير فرص الإطلاع على أحدث المعلومات والأبحاث العلمية فور صدورها، بالإضافة لتحسين إمكانية القبول في المنح التعليمية.

و هذا ما يعود بنا إلى مقولة الملك الراحل "الحسن الثاني" الحكيمة التي تقول :" الأمي ليس هو من لا يعرف القراءة والكتابة ، ولكن الأمي هو من يعرف لغة واحدة ."

هذا وذكر موسى الشامي* استعمالنا للغة الغير دون لجوئنا إلى ترجمة علومه إلى لغات هويتنا لن يزيدنا إلا مزيدا من التبعية والذيلية والذوبان النهائي ككيان ذي هوية متميزة قد يصعب الاستغناء عن الاستعانة باللغة الفرنسية الآن، فلنستعن بها دون السقوط في الاستلاب والذوبان الكلي ولننفتح على لغات أخرى كالإنجليزية التي هي اليوم لغة علمية عالمية رغم أنها ستعرف هي كذلك في السنوات القادمة تراجعا في الولايات المتحدة حيث يلاحظ اجتياح الإسبانية في كثير من الولايات ، الشيء الذي سيؤثر على مردودها العلمي في الاكتشافات التكنولوجية ، و ستتراجع كذلك في إنجلترا حيث تطالب إكوسيا وبلاد الغال وإرلندا باستقلالها اللغوي.

لقد أصبح تعليم اللغة الإنجليزية ضرورة للتواصل في ظل العولمة التي أصبح فيها العالم بمثابة قرية صغيرة، . وقد قدمت عدة توصيات في هذا الاتجاه من قبل الباحثين والخبراء، بما في ذلك تقوية تعليم اللغة الإنجليزية في جميع المستويات، وإدماج تدريسها منذ المرحلة الابتدائية عن طريق الأنشطة التربوية المخالفة وتنظيم برامج للتبادل الثقافي للمدرسين وكذلك التلاميذ والطلبة للاستفادة من تكوينات لغوية في البلدان

* رئيس الجمعية المغربية لحماية اللغة العربية .

الأنجلوفونية وكذا مضاعفة الحيز الزمني للغة الإنجليزية في المدرسة والجامعة لتـــدعيم المهارات الخاصة بهذه اللغة.

فالحل في نظرنا يكمن في احترام التعددية اللغوية والثقافية ، والحفاظ على اللهجات واللغات الأجنبية والثقافات المحلية والانفتاح على اللغات الأجنبية ، مع تعزيـــز تعلـــيم اللغات الأجنبية الحديثة والتفكير النقدي في مدارسنا وجامعاتنا .

-المقترحات :

– النهوض بمخابر اللغات، وذلك انطلاقا من "ضرورة تحقيق قفزة نوعية" في هـــذا المجال حتى تتحول العربية إلى لغة علمية .

-تدعيم البحث العلمي وتبادل الخبرات والتجارب مع الدول الغربية والعربية.

-فتح شعب اختيارية عالية التخصص للبحث والتكوين باللغة الأجنبية الأكثر نفعـــا من حيث العطاء العلمي ويسر التواصل .

-الاستعمال الوظيفي للغات الأجنبية بإدراجها في تلقين وحدات ثقافية وتكنولوجيـــة أو علمية وتدعيمها بدروس الاستدراك.

-إن منظومتنا اللغوية تحتاج إلى إعادة تفكير والى مراجعة للسياسة الأفقية كونهـــا ضعيفة على المستوى اللغوي والمنهجي لدى المتعلمين والأساتذة، واعتماد إستراتيجية جديدة لتعليم اللغات منذ سن ما قبل الدراسة في فترة تحضيرية يكون فيها الطفل أكثـــر جاهزية للتعلم حيث باستطاعته تعلم ثلاث لغات بالتوازي .

و التركيز على دور الأسرة منذ فترة الرضاعة، "على كل فرد من الأسرة التحـــدث بلغة داخل البيت ليتعلمها الطفل بشكل انسيابي ويدخل المدرسة وهو يجيدها."

-إحداث مراكز تعنى بالبحث والتطوير اللغوي والثقافي الامـــازيغي فـــي بعـــض الجهات وتكوين وإعداد البرامج والمناهج الدراسية المرتبطة بها.

-الرفع من المستوى التكوين الأساسي والمستمر لمدرسي اللغـــات وإنشـــاء هيئـــة لتكوين المكونين في إطار تصميم عشري لتنمية تدريس اللغة الأجنبية.

-إجراء تقويم وطني منتظم وفعال لحصيلة المكتسبات اللغوية

-تأسيس شبكات جهوية مختصة في تعليم اللغات خارج المناهج النظامية والاعتماد على كل المعايير والاستراتيجيات الأكثر تطورا لتعليم اللغات (دروس مكثفة مختبرات لغوية..) .

-تجسيد مقاربة التدريس بالكفايات التواصلية ، وجعل من بين أهدافه: إتقان اللغة العربية ، والتمكن من اللغات الأجنبية.

وفي هذا الإطار، يمكن لوزارتي التربية والتعليم العالي القيام بحملة توعية لدى جميع الجهات الفاعلة والتأكيد على أهمية تقوية اللغات الوطنية والأجنبية في مؤسساتنا التعليمية استنادا إلى تقييم الوضعية الحالية. وقد أظهرت الدراسات التجريبية أن تدريس ثقافات أخرى منها ثقافة الأقليات في المناهج الدراسية تعود بالنفع ليس فقط على التلميذ حيث تساهم في تنمية قدراته الفكرية والثقافية وتحثه على تقبل واحترام الآخر، بل تؤثر إيجابا على الأساتذة وتذكرهم بوجود التنوع الثقافي وضرورة احترامه.وبما أن التعليم أحد حقوق الإنسان، فينبغي تحديثه وإصلاحه لتحقيق العدالة والكرامة الإنسانية والتنمية المستدامة .[4]

و كما يرى صالح أبو اصبع أنه لا ضير في الانفتاح على مفردات جديدة من اللغات الأخرى في مجال المستحدثات العلمية والتكنولوجية. لأن مثل هذه المفردات لا تشكل أداة الوعي، مثل ما تصنعه المفردات التي تعبر عن الوجدان والتفاعل مثل الأفعال والمصادر في اللغة. ولذا فنحن بحاجة إلى الانفتاح، وليس هناك من يستطيع أن يمنع لغة ما من التفاعل مع معطيات الحياة المتطورة ,

خاتمة :

إنّ اللغة تنمو وتزدهر بجهود أبنائها، وقد كانت اللغة العربيّة أداة لكتابة العلوم ما يزيد عن عشرة قرون، واليوم هي ليست عاجزة ولا قاصرة، لكن أبناءها عاجزون. هذا ويبقى على الدولة ، القطاع الخاص والمجتمع المدني أن يدعموا كل الأنشطة التي من شأنها أن تبرز الجوانب الايجابية لهذه الثقافة، دون إغفال الإلمام باللغات الأجنبية والثقافات الأخرى .

إن اللغة هي بمثابة بيت الكائن البشري، فيها ينظم أمور معاشه ويخزن رموزه وثرواته، إنها تأويه وتحفظ أسراره ومنها يرى العالم ويدركه. وقد ذهب المفكر الفرنسي ألبير كامي إلى حد اعتبارها وطنه حينما قال ذات يوم: "نعم، لي وطن: إنه اللغة الفرنسية". وبناء على ذلك، فالمواطنة ثقافية ولغوية، وتوازي في ذلك، على الأقل، المواطنة السياسية. وأقصد بالمواطنة الثقافية واللغوية التوزيع الثقافي واللغوي لأفراد المجتمع على قاعدة الاعتراف بالمساواة في الحقوق والواجبات وعلى أساس تعاقد ثقافي–لغوي بين الدولة والمواطن. وبهذا المعنى يكون السياسي عبارة عن تجل للثقافي واللغوي، أي أن المواطن مواطن ثقافي ولغوي أولا ثم تتأسس، بعد ذلك المواطنة السياسية التي تأخذ بعين الاعتبار هذين البعدين.

هذا ويذكرُ التاريخ أيضًا أن موتَ اللغات أو ضعفَها لا يرجعُ إلى طبيعة بِنياتِها الصوتية والصرفية والتركيبية فقط ، وإنما أمرُ ذلك مَرَدُّه إلى أهلها ومستعمليها، فإنْ هم وهَنُوا وضعُفوا وهَنَتْ لُغَتهم وضعُفَت، فلُغَة القويِّ المنتصر تناوش وتصارع لغةَ الضعيف المنهزم وتمتدُّ في محيطه، وتنساب تدريجيًّا في اقتصاده وإدارته وتعليمه وتوصل إليه المعرفة الجديدة، وفي الوقت نفسه يتقلَّص نفوذ لغة المنهزم وتتخلَّى عن وظائفها، وتتراجع إلى الوراء، وفي هذا ضعفٌ قد يُؤدِّي إلى الانقراض.

ومع بداية الألفية الثالثة، ونتيجة التطور التكنولوجي الهائل الذي أفرز وضعًا عالَميًّا لم يكن في الحسبان، أين تقارَبَتِ الشعوبُ وغدا الاتصال بين سكان المعمورة يتمُّ في لمح البصر, أصبحت كل لغةٍ تشعُرُ بالخطر

إننا اليوم أمام تنوع انصهر في أمر واحد، لكن هذا الانصهار لا يعدم ذلك التمايز والتفرد، بل أغناه وشرعنه. إن التعدد شرط للوجود وشرط لوحدتنا وللضمير الجمعي والفردي على حد سواء، وهو منبع صلابة المعرفة وثرائها ومصدر لثراء الرموز والدلائل وصناعتها. إنه الرقعة التي تجمع فسيفساء (بالمعنى الجميل للكلمة) من الثقافات وتعددية من اللغات وتنوعا من صيغ التفكير وبذات الوقت، تعتبر الوحدة شرطا للوجود ولتعددنا ولتمايزنا إلى الثقافات المتخالفة والمتغايرة والمتعددة المنابع والمتصارعة والمتساكنة، كما نشير إلى اللغات المختلفة المتفاوتة في الوضع والتطور

والاستعمال. لكننا نشير بذلك، في ذات الوقت، إلى أن الوحدة تكمن في هذا التنوع بالذات.

إن التنوع يتضافر من أجل رص الوحدة. والوحدة لا تعني الانصهار أو الصهر. وهي لا تلغي التنوع، ولا تعني التضحية بالاختلاف وإقصاءه وضرب التعدد. إننا حينما نقول: 1 + 1 = 2، فإن 2 ليست إلغاء لـ: 1 + 1. لكن الاختلاف لا يعني التطاحن والتباعد، لا يعني الضد، لا يعني الانعزال، لا يلغي الاتفاق، ولا يذهب بالوحدة، بل ينميها وتنميه. إننا حينما نقول: إن 2 هي 1 + 1، فهذا لا يعني التنكر لـ 2 الجامعة بين هويتين مختلفتين. وبطبيعة الحال، فالهوية لا يخلقها الانعزال ولا يرسم معالمها إلا الاحتكاك والمعاشرة والاتحاد.

المصادر والمراجع المعتمدة /

1.ضرورة الانفتاح على اللغات الأجنبية ~ المورد الجديد شوهد على الرابط التالي:

https://almawridaljadid.blogspot.com/2017/01/blog-post_10.html

2.نادية لطفي / طالبة وباحثة مقال في مدونات الجزيرة بعنوان :الاستعمار الجديد، اللغة بين الانفتاح الحضاري والاستلاب الثقافي . ويمكن متابعة الموضوع على الرابط التالي :

https://blogs.aljazeera.net/blogs/2019/1/7

3.موسى الشامي ، في الحاجة إلى الاستعانة باللغات الأجنبية لا الى تبنيها رسميا، هسبريس، نشر بتاريخ الثلاثاء08 يناير2013، على الساعة 16:03 شوهد في :

https://www.hespress.com/writers/69847.html

4. بقلم موحى الناجي مقال بعنوان / التعدد اللغوي والثقافي هو الحل ، نشر بالموقع الالكتروني ينايري موقع مغربي للتعبير الحر بتاريخ : بتاريخ الأحد 08 ديسمبر 2013 - 20:11:15 ويمنكم الاطلاع عن المقال على الرابط /

http://yennayri.com/news.php?extend.885

البّعد الهوياتيّ للمضامين الإعلاميّة ودورها في تكريس المواطنة اللّغوية واللّسانيّة

قراءة تحليليّة لنشرات الأخبار على ضوء نظرية القيمة المتوقعة ـ الثامنة نموذجا ـ

الطالبة : مريم ضربان

جامعة الجزائر 03

ملخص :

تتسم الجزائر بخصوصية **لغوية وألسنية** تتمظهر في امتدادها الحضاري بثلاثية "الإسلام، العروبة والأمازيغية"، هذه الثلاثية التي ما إن **تتناغم رساميلها الرمزية** حتى تتجلى حالة من **التعايش السلمي** بين اللغات والألسن في البلد الواحد لتعكس في الأخير حضارة **المواطنة اللغوية**، ولكن التشظي المجتمعي والهوياتي في رفض الآخر والشبيه كما يسميها "مارك أوجيه" من اللغات تطرح تهديدا أمنيا مجتمعيا ولغويا، والذي قد تعمقه وسائل الإعلام والاتصال التقليدية والحديثة وآليات آخرى أثناء التوظيف السلبي **والإيديولوجي لعناصر الهوية** في معنى الانقسام بدل الاجتماع والاتحاد، خاصة في ظل تداعيات العولمة وإقحام النموذج الواحد مثلما تصطلح عليه المدرسة النقدية بالصناعة الثقافية المنمطة والوحدانية اللغوية، مما يجعل **الأمن اللغوي** على المحك.

ومن واجب **الإعلام القيمي والأخلاقي** هو التصدي لهذه التهديدات من أجل الدفاع عن الهوية الواحدة من خلال مضامينه **وتعبئته الإعلامية** وحملاته الاتصالية التحسيسية وهنا يتجلى دوره كفاعل غير رسمي في صناعة السياسة اللغوية في الجزائر، وذلك على صعيد النقاش الذي ألقى بإرهاصاته على الهوية الوطنية **كغاية مواطنية** عليا لا يمكن فصلها عن البناء الروحي المتمثل في الهوية طبقا للمادتين 48 و54 من قانون الإعلام2014 والمتعلق بالنشاط السمعي البصري الذي يسعى لهذا **الدور الحضاري** في ترقية اللغتين الوطنيتين والتلاحم الاجتماعي والتراث الوطني والثقافة الوطنية

كما تعد **عولمة مفهوم المواطنة** ومحاولة طمس الثقافات الوطنيـــة وخصوصـــيات الشعوب بسبب الصراعات السياسية، كثيرا ما يأتي بردود عكسية لهذا الاتجـــاه مـــن خلال ارتباطات الأمم بجذورها **العميقة الروحية والتاريخية** ومنه نقترح من خلال هذه الورقة البحثية فكرة "**مشروع إعلامي هوياتي**، مستقى من المشروع المجتمعـــي فـــي دراسة محتويات الإعلام بكافة وسائله واستغلال بحوث قياس الرأي العام والمشاهد من أجل إشباع الجمهور هوياتيا وثقافيا ولغويا من خلال الاستفادة من التنوع اللغوي وكـــل عناصر ومكونات الرأسمال الرمزي الجزائري وفق مقاربة القيمة المتوقعة .

الكلمات المفتاحية: البعد الهوياتي، المضامين الإعلامية، المواطنة اللغويـــة القيمـــة المتوقعة، نشرات الأخبار، الأمن اللغوي واللساني .

Abstract:

Algeria is characterized by a linguistic and ethnic specificity that appears in its cultural extension in the trinity of "Islam, Arabism and Amazigh". This trilogy, once its symbolic capital is harmonized, reflects a state of peaceful co-existence between languages and tongues in the same country to reflect the civilization of linguistic citizenship. " But the fragmentation of society and identity in the rejection of the other languages pose a security threat to society and language, which may be deepened by the traditional and modern media and communication and other mechanisms during the its ideological employment of identity elements in the sense of division instead of meeting and union, The repercussions of globalization and the assimilation of one model, as the Frankfurt school used to call the cultural industry and the linguistic monotony, which makes linguistic security at stake.

It is the moral duty of media to confront these threats in order to defend the single/whole identity through its content and media mobilization and its communicative campaigns, and this is reflected in its role as an informal actor in the industry of language policy in Algeria. , In the context of the debate which gave its emphasis on the national identity as a supreme citizen's goal which presents the spiritual construction of identity in accordance with Articles 48 and 54 of the Media Act 2014 on audiovisual activity, which seeks to this

cultural role in the promotion of national languages and social cohesion and national heritage and national culture

The globalization of the concept of citizenship and the attempt to obliterate national cultures and the peculiarities of peoples due to political conflicts often result in adverse reactions to this trend through the links of nations with their deep spiritual and historical roots. From this paper we propose the idea of " Media identity project'' To inform media of all its means and to use the research of measuring public opinion and scenes in order to satisfy the audience, both ethically, culturally and linguistically, through the use of linguistic diversity and all elements and components of Algerian symbolic capital according to the approach of expected value.

Keywords: identity dimension, media content, language citizenship, expected value, newsletters, linguistic and dialectic security.

مقدمة :

إن الاهتمام بالسياق هو نجاح المضمون مهما كانت طبيعته عبر الوسيط الإعلامي حسب تعبير ماكتشيلي القائم على سيقنة المعنى (Systems)Contextualization[1] وكذا معادلة عزي عبد الرحمن في **مبادئه القيمية،** القائمة أساسا على الرأسمال الروحي والثقافي لبيار بورديو في رصد تجلياتها في الفعل الإعلامي والاتصالي وحسب نظرية **القيمة المتوقعة** التي تبنى أساسا على منطق اقتصادي ربحي بحت يتبناه المنتج في شقه المادي، هناك خلفية غير مادية/ أخلاقية يتبناها القائم بالاتصال ليزاوجها بالقيمة المتوقعة خاصة إذا تحلى بالبعد المواطني في نقل واقعه عبر الشاشات وإعادة انتاج وبناء مجتمعه وفق الضمير الوطني وهو رهان الإعلام القيمي، ثم إن رصد العلاقة الارتباطية بين اللغات الوطنية والإعلام الجزائري باختلاف طبيعة أبعاد ومؤشرات المفهومين ودلالتهما تقودنا إلى تأصيل معنى اللغة لدى ناطقها في إطار الهوية الجزائرية باعتبارها الحامل الرمزي لها، هذا إلى جانب السياق الإعلامي ومكانة هذه اللغة في الدساتير والمواثيق الوطنية للدولة الجزائرية، وكذا الآليات القانونية المجندة لتعزيز وتكريس تلك النصوص في الدفاع عن اللغات الوطنية بقوتها الآمرة، ليشكل البعد الأخلاقي والقيمي للمضامين الناطقة باللغة العربية والأمازيغية في

وسائل الإعلام العمومية والخاصة استمرارية هذا التمثل، لاسيما بعد موجة انتهاك الخصوصية الألسنية للجزائر إعلاميا وتداوليا ورقميا، أين تجلت صعوبة التحكم في لغة النشر والبث لشريحة باتت تؤمن بمنطق الاقتراب من المشاهد والمستخدم بلهجته العامية بدل لغته الفصحى في كل لغة، هذا رهان تقاني، يقابله رهان هوياتي يطرح فكرة التعايش الحضاري للغات في البد الواحد بما يجعل أفق التعايش يتسم بمواطنة لغوية وألسنية فاخرة وعليه نطرح سال الإشكالية الآتي :

كيف يتمظهر دور البعد الهوياتي للمضامين الإعلامية الجزائرية من خلال نشرة الثامنة في تكريس المواطنة اللغوية واللسانية ؟

ومنه نطرح التساؤلات التالية :

ما هو مفهوم المواطنة اللغوية في مصفوفة الدول الغنية حضاريا لغويا ولهجيا ولسانيا ؟

ما هي مكونات الهوية اللغوية للجزائر وعلاقتها بالزخم الحضاري والروحي ؟

ما هي النظريات والنماذج الإعلامية الأبرز في تكريس المواطنة اللغوية عبر الإعلام الجزائري ؟

ما هي المسؤولية الاجتماعية والأخلاقية للإعلام الجزائري في توطين المواطن اللغوية ؟

وللإجابة على هذه التساؤلات قسمنا الورقة البحثية إلى المحاور التالية :

- تحديد المفاهيم المتعلقة بالأمن اللغوي والهوياتي
- تجليات مفهوم المواطنة اللغوية
- علاقة اللغة بالهوية والمسألة اللغوية في الجزائر
- نظرية القمية المتوقعة وآليات توظيفها
- الإطار القانوني الإعلامي لـ2014 وعلاقته بالمسألة اللغوية
- عن الإعلام ودوره في الرفع بفخامة اللغة
- مشروع إعلامي هوياتي للمواطنة اللغوية
- قراءة تحليلية لنشرات الثامنة

- تحديد المفاهيم المتعلقة بالأمن اللغوي والهوياتي

إن الأمن الإنساني باعتباره التحرر من الخوف والتحرر من الحاجة، الذي حدده تقرير الأمم المتحدة للتمنية البشرية عام 1994 مع قائمة التهديدات التي تهدد الأمن البشري في إطار سبع فئات رئيسية هي الأمن الاقتصادي " الحماية من الفقر، الأمن الغذائي، قدرة الأفراد للوصول إلى الطعام الآمن، الأمن الصحي " الحماية من الأمراض " الأمن البيئي " الحماية من التلوث ونفاذ الموارد، الأمن الشخصي " الأمن الاضطهاد والتعذيب والحروب، **أمن المجتمع المحلي** " الهوية والبقاء الثقافي " الأمن السياسي " الحماية من الاضطهاد السياسي[2].

ويعنى **الأمن المجتمعي** بالحفاظ على الهوية والانسجام المجتمعي، ويمكن أن تشكل الدولة فيه وسيلة لحفظ قيم المجتمع، ثقافته، لغته وهويته، كما أن بقاءه لا يعتمد على السيادة أو السلامة الإقليمية للدولة، بل بقاؤه هي **مسألة هوية**، هته الأخيرة تمثل القيمة التي يجب أن تتم حمايتها[3]، كما هو "قدرة المجتمع على الاستمرار في طابعه الأساسي في ظل الظروف المتغيرة والتهديدات المحتملة أو الفعلية، فهو يتعامل مع الاستدامة في ظل ظروف مقبولة للتطور للأطر التقليدية **للغة** الثقافة، الجمعيات، الدين، الهوية والأعراف الوطنية ، وينشغل بالحالات أين المجتمعات ترى أنها مهددة من حيث **الهوية** [4].

في حين يقصد **بالأمن اللغوي:**" استقرار **اللغة** على نحوٍ صحيح سليم بعيدة عن كل ما يُهدِّدها، ويعبَث بها، ويَهبط بمُستواها، ويكون ذلك بإتباع وسائل وقائية جادَّة تضمَن لها حياتها وبقاءها ونقاءها" [5]. كما يضم الأمن اللغوي آليات الحفاظ على اللغة من التفكك التدريجي الذي ينخر اللغة القومية بإقحام الحرف اللاتيني والعامية بدل الفصحى التي تؤدي إلى التهاوي الذاتي وطمس الثقافة من باب اللغة، [6] كما يضم **الأمن اللغوي** آليات التنوع اللغوي عدم احتكار لغة دون أخرى في إطار اتفاقية التنوع اللغوي والثقافي الذي تبنته اتفاقية "اليونيسكو" حول تنوع أشكال التعبير الثقافي منذ 2005 والتي دخلت حيز التنفيذ في 2007، في الفقرة 14 من الديباجة التي تقر " أن التنوع اللغوي هو عنصر أساسي من عناصر التنوع الثقافي"، في حين يشكل **الأمن**

اللساني : جل الأطياف اللسانية التي قد تضمها اللغة الأم جينيا حال تامازيغت التي تضم الطيف الشلحي والشاوي وغيرها، والتي اعترف المشرع الجزائري بلفظها تفرقة بين اللسان واللغة .

كما نصت المادة الثامنة **لإعلان المبادئ** " **بناء مجتمع المعلومات – تحد عالمي في الألفية الجديدة** " الصادر عن مرحلة جنيف من القمة العالمية لمجتمع المعلومات على ضرورة أن يقوم هذا الأخير على احترام الهوية الثقافية والتنوع الثقافي واللغوي والتقاليد والأديان، وإلى إعطاء أولوية عالية في بناء مجتمع معلومات جامع لإنشاء المحتوى **بلغات** وأنساق متعددة وأن الجدل حول ضرورة المحافظة على **التنوع الثقافي واللغوي** في وجه عولمة الإعلام والثقافة وسيطرة وسائل الإعلام العالمية ليس موضوعا جديدا ولكن الانترنت قد أعاد إلى صدارة الاهتمامات كما أعاد نقاشات أخرى إلى الواجهة " تجديد الديمقراطية، وسائل الإعلام والتنمية .... " [7].

للحفاظ على الهوية الجزائرية عمل رجالات الجزائر على إعادة بعث العربية وقيم الثقافة الإسلامية إذ تعتبر الجزائر مثالا جيدا على التعقيد اللغوي، وتنوعه ليس نتيجة عوامل اجتماعية وجغرافية فحسب بل هو نتاج عوامل تاريخية أيضا فهي بلد متعدد اللغات، إذ يضم الجانب اللساني الاجتماعي للجزائر فسيفساء "العربية بأشكالها الثلاثة " الكلاسيكية، الفصحى الحديثة، العربية الجزائرية العامية الفرنسية والأمازيغية، ومن عوامل التعقيد الذي نشهده في الوضع اللساني الجزائري البعض منه تاريخي والبعض سياسي والباقي منه اجتماعي – ثقافي[8] .

ويرى الدكتور صالح بلعيد في معرض حديثه عن الأمن اللغوي أن معاداة اللغات الوطنية والأجنبية يمثل تطرفا في الطرح اللغوي، فالذات لا تتحقق إلا بوجود الذات الأخرى ودعاة الانغلاق اللغوي هم دعاة تخلف [9]، لقد طرحت قضية الأمن اللغوي منذ استفحال ظاهرة العولمة وما تعرفه الهويات الوطنية والأصالة من تراجع والشكوك التي تلحق اللغات الوطنية من خلال اندفاع الأولياء تعليم أولادهم اللغات الأجنبية توهما أنها التحاق بالركب المتطور، والعمى الحضاري الذي غشي بعض

النخب التي تصدر نتاجها العلمي باللغات الأجنبية إذ مثل الأمر غزوا ثقافيا بقناع آخر . فيطرح من خلال ذلك المعادلة الأمنية اللغوية التالية:

- اللغة الأم = الفرد + المجتمع = الانسجام المجتمعي = تحقيق مصالح المجتمع = ترابط اجتماعي
- اللغة الأجنبية = الفرد + النخبة = الطبقية = تحقيق مصالح الأفراد = ترابط فئوي

إن المخاطر الهوياتية والانسجامية المجتمعية تبدت بفعل تسامحنا في الهوية اللغوية التي أفضت إلى اغتراب لغوي وإرهاب لغوي تجسد في سلب الحقوق اللغوية وتتجلى مصفوفة الأمن اللغوي من خلال :

المحافظة على اللغة العربية، محاربة الغربة اللغوية، تفعيل العربية في التعليم والتربية، اقتحام عالم الحوسبة، اللغة العربية لغة علمية [10].

وبالقرار السياسي يحصل الأمن اللغوي من خلال تعميم استعمال اللغة العربية وأما الأمن اللغوي فكانت العالمة اللسانية نيكول غوتييه Nicole Gueunier أول من استعملت المصطلح في بحث لها عن مظاهر التعدد اللغوي في المجتمعات الخليط، وبالذات في تجمعات المهاجرين بفرنسا بما يشكل خطورة اللاأمن اللغوي l'insécurité linguistique في منظور التواصل والانسجام المجتمعي، وأن تفتيت المجتمعات من الداخل يأتي من التسامح اللغوي، إذ تتأتى أهمية اللغة لدى الفرد من خلال قيمتها عنده وعند الأمة عموما وتقرن الباحثة الأمن اللغوي بالأمن المائي والغذائي، كما ترى الباحثة بأن الأمن اللغوية تهدده اللهجات المحلية ففي كل مجتمع لغة عليا ولغة تواصل واللغة ككائن حي تحتاج إلى عناية وتطوير بما يحصن ذاتها وأمن وجودها اللغوي وهو ما يسمى بالأمن اللغوي في وقت العولمة لذا نحن مطالبين بحفظ كياننا اللغوي فاللغة العربية ركن من أركان الأمن الثقافي والحضاري والفكري للأمة العربية الإسلامية [11].

أما الأمن الهوياتي فهو تحصين هوية المجتمع من كل ما من شأنه أن يهدد أو يخل بها باعتبارها النظام الذي يسير به وعليه المجتمع، وتبعا لذلك فإنه يمكن تشبيه

الأمن الهوياتي بنظام المناعة الذي يصد كل عوامل التخريب التي يكون مصدرها داخليا أو خارجيا، وهنا يجدر التفريق بينها وبين الهوية الأمنية التي تعني مجموعة من الأنشطة التي تستهدف خلق الوعي الأمني في حين أن الأمن الهوياتي هو بيان الأسس والقواعد المتوفرة في مجتمع ما وتكوين قاعدة صلبة تمنع حالات الاختراق الهوياتي عن طريق الغزو الفكري والاغتراب والتخريب التي تعمل عليها أشكال العولمة [12]و الصناعات الثقافية المنمطة.

وقد تحدث التقرير العالمي حول الاتصال عن مخاطر "**الوحدانية اللغوية l'uniformisation luinguistique** "، بسبب سيطرة اللغة الانجليزية على محتوى الانترنت لخلفية تاريخية تعود إلى نشأة الوسيلة في ذاك السياق، ذلك أن اللغة الانجليزية تعكس توازن القوى السياسي والثقافي والاقتصادي ذلك أن الوحدانية اللغوية تشكل خطرا على الوحدانية الثقافية، خاصة بالنسبة لوسائل الإعلام التقليدية التي تتسم بخصوصية السيطرة الجماهيرية " الإعلام " على عكس الفضاءات السيبرانية الاتصالية " التي تتسم بخصوصية تفاعلية تشاركية تسير وفق منطق سوق المعلومة ومدى الالتزام الثقافي في تكريس المحتوى الثقافي وتفعليه على الشبكة ومن هذا الطرح تتجلى علاقة صناعة المحتوى بمسألة التنوع الثقافي واللغوي كبديل عن هيمنة نموذج واحد[13] .

- **تجليات مفهوم المواطنة اللغوية**

<u>المواطنة اللغوية عند الشعوب المتحضرة :</u> إن المواطنة كمصطلح غربي حديث citoyenneté استعمل سياسيا بقصد الانتماء للوطن ضمن منظومة الحقوق والواجبات، وباعتبارها صلة اجتماعية وسياسية وقانونية تكون قائمة بين شخص ودولة حسب المكونات الثقافية والاجتماعية والمعتقدات الدينية والنظام السياسي، والمؤثرة في درجة تمثل المواطنة ومدى وعيهم بحقوقهم وواجباتهم، كما أن درجة التنشئة الاجتماعية تلعب دورها في تعزيز القيم المجتمعية باعتبار القيم تأخذ بعدا معرفيا وانفعاليا وسلوكيا [14]، ويرتبط مبدأ المواطنة ارتباطا وثيقا بالحريات الفردية للمواطن التي تنقسم بدورها إلى قسمين : الحريات ذات المضمون المادي كالحرية الشخصية

والملكية الفكرية وذات المضمون المعنوي كالتعبير العقيدة والصحافة وهناك أيضا إلى جانب الحريات الفردية، الحريات الاجتماعية التي تقسم بدورها إلى قسمين : يشمل القسم الأول الحريات الاقتصادية والفكرية والأساسية، والثاني يشمل حريات المعارضة[15] .

المواطنة citizenship أيضا، مكانة للحصول على حق المشاركة في السياسة ويكون الفرد ممثلا فيها، فإذا كانت المواطنة هي التمتع بالحقوق والالتزام بالواجبات فإنها أيضا الشعور بالانتماء والولاء للوطن والسلطة القائمة التي تعد مصدرا لإشباع الحاجات الأساسية وحماية الحقوق العامة للمجتمع كما أن المفهوم الحيوي للمواطنة يتجاوز الولاء الضيق للقبيلة والعشيرة إلى الوطن الأم [16]

إن مضمون المواطنة يقوم على مجموعة من القيم والمبادئ والأساسيات الإيجابية والأخلاقية؛ وبذلك فالمواطنة تشكل نسقا من القيم تتفاعل فيما بينيا من جهة أولى، ومن جهة ثانية تتفاعل مع خارجيا من القيم الأخرى، وهي قيم تتحرك نحو المواطن والوطن والدولة والبيئة والكون بشد وحدته، كما تعني قيم المساواة والعدل والإنصاف والبناء والحوار والوحدة في التنوع والتكامل والتضافر والتآزر والتضامن والاندماج في المجتمع من أجل تطويره وتحسينه والحرية والكرامة والمشاركة والتسامح والديمقراطية والاختلاف.، بعد غرس القيم في النشء تعمل المواطنة على تعزيز الانتماء لموطن وخدمته والدفاع عنه، والسعي من أجل العيش المشترك مع الشريك الاجتماعي الذي يتقاسم الحياة مع الآخرين في الوطن ، كما تضمن صيرورة المؤسسات والفكر المؤسساتي القائم عمى احترام المؤسسات ووظيفتها في الدولة والمجتمع[17] .

الممارسة :لا معنى للمواطنة من غير ممارسة فعلية لها على أرض الواقـــع لأن الممارسة هي التي تعطيها القيمة التداولية في سوق المواطنة، والمواطنة دون ممارسة تهدم ثقافة المواطنة والمواطنة ذاتيا من الداخل، لأنها تفقد لدى المواطن قيمتها العمليـــة والنفعية. لذا قارن الأستاذ" عبد المحسن بن عبد الله الماضي "بين الوطنية والمواطنـــة فوجد أن"**المواطنة الوجه العملي للوطنية**، حيث قال " المتفق عليه أن الوطنية شـــعور

والمواطنة ممارسة .. والوطنية حب ووفاء بينما المواطنة قبول ورضـــا، والوطنيـــة حرارة وانفعال وجداني أما المواطنة فهي سلوك وتصرفات .. والوطنية أداء يحضر في المناسبات العامة ..أما المواطنة فهي الأداء الفردي للواجبات اليومية ..والوطنيـــة ارتباط عاطفي بالأرض والمجتمع، بينما المواطنة ارتباط عملي .. والوطنية حس قلبي ضميري داخلي، أما المواطنة فهي سلوك فعلي ظاهر.. والوطنية لا تعـــدُّد فيهـــا ولا تبدُّل، أما المواطنة في التكيُّف والمرونة بما تعنيه من تغيُّر وتبـــدُّل ..أي أن الوطنيـــة نتيجة لواقع بينما المواطنة وسيلة لهدف. ومن المتفق عليه أيضـــاً أن الوطنيـــة هـــي محصلة للمواطنة ..فلا وطنية جيدة بدون مواطنة جيـــدة]...[الوطنيـــة ذات علاقـــة بالتاريخ والهوية .أما المواطنة فهي التناغم والإيقاع الحياتي اليومي .[18]

فمن بين التهديدات السيبرانية والعولمية للمواطنة **عولمة مفهوم المواطنة** بمحاولـــة طمس الثقافات الوطنية وخصوصيات الشعوب بسبب الصراعات السياسية كثيـــرا مـــا يأتي بردود عكسية لهذا الاتجاه من خلال ارتباطات الأمم بجذورها العميقـــة الروحيـــة والتاريخية[19]، والعولمة بإسقاطاتها الافتراضية طرحت من خلال الفضـــاء العمـــومي الافتراضي توصيفا للعلاقة ين الهوية الثقافية والإعلام الجديد والتي تتجلى في مشـــكلة وضع الإعلام قبل الهوية كترتيب أولوية عن أخرى باعتبار تكنولوجيا الإعـــلام هـــي القوى الحيوية والمحددة المسببة والفاعلة وأن الهويات هي النتيجة والأثر التي تتشـــكل نتيجة فعل تكنولوجيا الإعلام[20].

ففي وقت تتخر العولمة الأمم بالذوبان والتبعية تتجلى واضـــحا أهميـــة **المواطنـــة اللغوية** " **اللسانية** " باعتبار اللغة هوية وتراث وتاريخ وبعد حضاري، بالإضافة إلـــى وظيفتها في المنظومة الاجتماعية وسائلها الضامنة لتحويـــل الـــوعي الجمـــاعي إلـــى منظومة مفاهيم قيمة تخدم تنمية النشاط وتطوره بصورة تضمن تواصلية العلاقـــة مـــع الأشياء والمواطنين لأداء وظيفة الأمن اللغوي / الثقافي، وهو الأمن الذي لا يتأتى إلا من خلال اللغة الرسمية الوطنية التي يسعى التنميط العالمي إلى قهرها وإنهاء سيادتها فالمواطنة اللغوية تنهي أسطورة الصراع والتفاضل والمنافسة اللغوية مـــع الأمازيغيـــة ولكن الحفاظ على نقاء اللغتين من التبعية اللغوية الأجنبية [21]

فالمواطنة اللغوية هي استعمال اللسان الوطني في كل المؤسسات والأماكن العمومية وقضاء المصالح الإدارية على اعتبار أنها فضاء لغوي ممتد، تأخذ فيه اللغة الرسمية نصيبها من أن تربية المواطنة تحصل باللغة وعدم احتقار الوطنية والتشبع بثقافاتها وقيمها وإحساس الذوات بأن العلاقة بين مفهوم المواطنة ومفهوم الثقافة الوطنية هي علاقة مشاركة إبداعية، في خلق فضاء وطني جديد يتجنب العزلة والانكفاء ويحارب التعصب ويؤسس الاندماج والوحدة على قاعدة الديمقراطية واحترام التعدد وصيانة حقوق الإنسان، ولا تتأتى المواطنة اللغوية إلا في إطار تعلم الطفل لغته ومارسها واستعملها ووجدها في مصاف اللغات الحية ودافعت مؤسسات الدولة عنها من خلال قوانينها ولا يتأتى ذلك إلا من خلال الوعي اللغوي [22] فالعربية والامازيغية انصهرتا ثقافيا مكونتان الهوية الانصهارية فلا انفصام بينهما وطنيا وهوياتيا .

وعن مواطنة اللغة الأمازيغية فإنها توطد اللحمة المجتمعية عبر عامل اللغة من خلال ترسيمها الدستوري وتشريعها المدرسي فالخطر يكمن في التعصب اللغوي الذي يمس استتباب الأمن اللغوي والسلم الثقافي [23]، وقد تناول الدكتور **صالح بلعيد مسألة المواطنة اللغوية** كنموذج في توصيف الذاكرة والهوية في تماسك المجتمع في كتاب مناسبة وكلمة فالاهتمام بالذاكرة والهوية يؤديان إلى بناء مجتمع متماسك ويخلقان الانسجام الجمعي في أفضل صوره وتكون المواطنة هي الحكم الفيصل [24]، فمن المواطنة والمواطن إلى المواطنة اللغوية والمدرسة التي توطد القيم المدنية وتربي النشء على ثقافتها من منظور تشاركي [25]

وعن التماسك المجتمعي/ السوسيولوجي كاصطلاح استخدمه إيميل دوركايم كاستعمال علمي في كتابه تنظيم العمل، وكتاب الانتحار باعتبار أن درجة التماسك الاجتماعي تعتمد على طبيعة الجماعات والمنتظمات التي تؤثر تأثيرا مباشرا على سلوك الأفراد، ويرتبط التماسك بالقيم المشتركة والالتزام بأخلاقية وسلوكية الجماعة كعلاقة تعبيرية ايجابية بين أطرافه، إذ يرتبط بمقولات الوعي والتجديد الثقافي [26].

إن التماسك الاجتماعي societal cohesion كمفهوم يأخذ خصوصيته المفاهيمية من أساس التفرقة بين الاجتماعي social والمجتمعي societal باعتبار أن الأول يعنى بالعامل الاجتماعي في شق العلاقات المتبادلة بين الأفراد والجماعات، في حين أن الثاني صفة تمنح بالضرورة الطابع الاجتماعي لما لحق بها كالبنى المجتمعية والنظم المجتمعية فهي تدل على ظواهر خاصة بالمجتمع لا يمكن عزلها عن طبيعتها الذاتية ولا إرجاعها إلى استدلالات فردية وتميز المدرسة الأمريكية الحديثة بلفظ المجتمعي دلالة " المحاكاة والتفاعل، وكان أول من استخدمها كيلر A.G.KILLER ليشير إلى الخصائص التنظيمية للحياة المجتمعية[27].

أما التماسك الاجتماعي فهو مدى الترابط بين أفراد الجماعة كحقل القوى الجاذب بين الأفراد وتفاعلهم ولا يمكن حصره إلا بتقنية المقايسة الاجتماعية SOCIOMETRY الذي من بين أهم ما يهمنا في ورقتنا البحثية هذه هو الانصهار الاجتماعي الذي يربط بين السياسي والديني والتقني والنخبة من خلال معايير الاعتماد والقيم والمصلحة المشتركة [28].

المواطنة اللغوية والهوية الوطنية

إن الهوية الوطنية باعتبارها مجموعة قيم تنسب إلى جماعة معينة والخصائص التي تتمثل في القيم والافتراضات الأساسية وسلوك متمظهر يميز مجموعة أو جماعة فرعية، والوطنية باعتبارها الأشياء الموروثة والمكتسبة والإحساس بالانتماء، فقد جاءت الهوية الجزائرية لتمثل نموذجا وطنيا مكتسبا وموروثا نابعا من الثوابت والمتغيرات الطبيعية والتاريخية والبشرية والثقافية التي تتميز بالثبات النسبي والتغير والتطور التدريجي في الوقت ذاته، الهوية النواة الحية للشخصية الفردية والجماعية والعنصر المحرك الذي يسمح للأمة بمتابعة التطور والإبداع مع الاحتفاظ بمكوناتها وميزتها الجماعية التي تحددت بفعل التاريخ الطويل واللغة القومية والسيكولوجية المشتركة وطموحات الغد فالهوية في واقع الأمر جزء عضوي من فكرة الثقافة والهوية لا تخرج عن الإطار السياسي فهناك علاقة معقدة بين التصورات الثقافية والممارسات السياسية والأساليب الشعبية في التحرك السياسي فحرب الجزائر مثال

على أنها حرب هوية ترفض الفصل بين الهوية الثقافية والهوية السياسية، والهوية الوطنية الجزائرية نشأت منذ آلاف السنين في الزمان والمكان من خلال انصهار الحضارات العربية الاسلامية التراث الأمازيغي وأبعاد ثقافة المتوسط " الإسلام – العروبة – الأمازيغية " لتشمل جميع نواحي الحياة الثقافية الطقوس الدينية، اللباس، الفن بأنواعه وتتميز بقدرتها على استيعاب الآخر دون مساس خصوصيتها الثقافية [29] .

وهو ما يطرح فكرة إعادة انتاج الهوية الوطنية إذ أن الهوية الوطنية هي الوعاء الذي تقوم عليه لحمة المجتمع وتماسكه ولها علاقة بنمو الروح الوطنية وقيم المواطنة والمشركة المرتبطة بآليات إعادة إنتاج الهوية :

- الالتفاف حول رؤية وطنية
- التعليم من أجل المواطنة
- وسائل الاتصال الجماهيري وبناء المخيال الوطني
- اختراع التراث [30]

وهنا يولي بيار بورديو Pierre Bourdieu أهمية للرساميل المجتمعية في تكوين **هوية الفاعل المجتمعي** على غرار ماكس فيبر، خلافا للطرح الماركسي للصراع القائم فقط على الرأسمال الاقتصادي، وخاصة الرساميل الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، التي تقوم على أهمية المورد الثقافي أي "مكونات الثقافة القاعدية " والاجتماعي الذي يركز على البنية المجتمعية ومكوناتها من تماسك وعلاقات وذكاء اجتماعي، كلها إضافة إلى الرأسمال القيمي أو الديني "الروحي" تكون " فائض القيمة النوعي" لتشكيل رأسمال رمزي، يعمل في الأخير على خلق التمايز والاختلاف لكل ثقافة مجتمعية ومنه تكوين حمولة رمزية للمجتمع في بعدها الهوياتي[31] .

إن الخصوصية الثقافية بوصفها شعور الفرد بنفسه وإدراكه لذاته كانتماء إلى فضاء ومكان محدد من التاريخ بما يحمله من عناصر تشكل البنيات الثقافية الكامنة وغير الظاهرة في ثقافة منطقة معينة حسب الدكتور عزي عبد الرحمن تتمثل في الزمن المكان اللغة الخوف وبيولوجية العقل والتفكير والرأسمال الرمزي تشكل في مجملها الشعور بالهوية ومصدر الوجود ومفهوم الذات [32].

وهنا تتجلى ثقافة **الدفاع المجتمعي** الذي لا ينجح في المناخ السياسي غير الديمقراطي، الهشاشة المؤسساتية، الثقافية السياسية الضحلة، والنخب المتناحرة على حساب مصالح الوطن والمتورطة بطريقة أو أخرى في الفساد .يبدأ الدفاع المجتمعي بتريكز الانتباه على تضييق الفجوة الكبيرة بين المجتمع والدولة، والربط العضوي بين مفهوم الدولة، المجتمع، والأمة؛ عن طريق خلق ثقافة التكامل السوسيولوجي، الثقافة السياسية الوظيفية، وقيم الوطن الآمن. يجب النظر إلى كل هذه العناصر على أنها عمليات سوسيولوجية تتفاعل ابتداءً في المستويات تحت وطنية، عبر عمليات التنشية الاجتماعية–السياسية التي تجري في المستويات القاعدية حيث الأسرة، المدرسة المساجد، جماعات الصداقة والعالم الافتراضي.عندما تُطبّع هذه المعاني في الإدراك المجتمعي والوعي السياسي وتُحمل في الثقافة السياسة كمضمون للاتصال الوظيفي نكون بصدد بلورة مفهوم شامل ووظيفي للدفاع المجتمعي[33].

- **علاقة اللغة بالهوية والمسألة اللغوية في الجزائر**

مقولات عديدة تمجد **الهوية من منطلقها اللغوي** تتردد في الندوات البحثية حول علاقة اللغة بغيرها من المفاهيم مثل " إن أردت أن تغتال شعبا اجعله يخجل من لغته "[34]، وكذا ما قاله كونفوشيوس " لما سئل بما تبدأ من إصلاح إذا أسندت إليك أوامر البلاد " فقال : إصلاح اللغة بالتأكيد، إذا لم تكن اللغة سليمة فما يقال ليس بالمقصود، فما يستحق الانجاز لن ينجزه، وإذا لم ينجز ما يستحق إنجازه، فإن الأخلاق والفنون يحل بهما الانحطاط وإذا ما انحطت الأخلاق والفنون فالعدالة سوف تتحرف وأذا ما انحرفت العدالة فسوف يقف الناس مضطرين لا حول لهم [35].

كما يقول كوردل هل – وزير الخارجية الأميركي (1933 –1944 م) : إذا أردت أن تلغي شعباً ما، تبدأ بشل ذاكرته التاريخية ثم تشوه لغته وثقافته، وتجعله يتبنى ثقافة أخرى غير ثقافته، ثم تلفق تاريخاً آخر غير تاريخه، وتعلمه إياه، عندئذ ينسى هذا الشعب من هو ومن كان تندثر معالم حضارته، وبالتالي ينساه العالم ويصبح مثل الأمم المنقرضة" [36].

ومنه وجب تأصيل دلالة اللغة العربية وقيمتها التاريخية، من مدخل الهوية الجزائرية الثرية حضاريا، باعتبارها – اللغة – كما يعرفها نوربرت سيلامي وظيفة التعبير والاتصال وإعمال الفكر من خلال استعمال رموز لا قيمة هوياتية بالنسبة لجميع الأفراد الذين يشغلون فضاء مشتركا [37]، فلكل شعب خصوصيته الثقافية والحضارية وكيانه اللغوي وهذا يمثل في مجموعه الهوية الثقافية اللغوية[38] ، وهو ما يمنحها دلالة قيمية بالرجوع إلى الرأسمال الرمزي لها، فالهوية إذا تعتمد على الآخر قبل أن تعتمد على الأنا أي كيف ينتسب الشخص إلى شيء آخر، فهوية الشخص هي تعبيره عن فرديته وعلاقته بالآخرين وانتمائه لهم، ونقول: الهوية العربية تعني الانتماء إلى العرب، والهوية الثقافية تعني الانتماء إلى ثقافة معينة.

وكتعريف للهوية عند العرب من لفظ **هو** وتعني "الذات الأخرى"[39]، وجاءت في موسوعة لالاند الفلسفية بأنها :" ميزة فرد أو كائن، ويمكن تشبيهه بأنه **هو ذاته** في مختلف فترات وجوده"[40]، فالهوية هي عكس الأنية حيث أن الشيء يكتسب هويته اعتمادا على "الآخر" والتي يقابلها باللاتينية ID ومنها اشتق لفظ Identité.

حيث اعتبر الباحث الزواوي بغورة في كتابه الهوية والتاريخ دراسات فلسفية في الثقافة الجزائرية والغربية أن الإنسان يتحدد أولا من حيث أنه إنسان ثقافة معينة وأن هويته تتحدد بانتمائه الى تلك الثقافة – بالرجوع إلى اللغة – التي يمكن تسميتها بالثقافة القاعدية culture de base[41]، وفهم مقاربة الهوية تؤدي الى توجهين متكاملين : التوجه الأول يتعلق بتلك المجتمعات حيث الثقافة أخذت طابعا عالميا وكونيا، وتشخص تلك الثقافة الحاملة للهوية في صورة هيمنة واستغلال اقتصادي وسياسي والتوجه الثاني متعلق بالثقافات التي نسميها بالثقافات الاثنية ethnique والتي تأخذ طابعا دفاعيا وتنتظم في شكل مقاومة يمكن أن تأخذ طابعا عنيفا[42].

لاحظ "**هابرماس يورغن**" طبيعة العلاقة بين اللغة والهوية من خلال التحولات الألسنية والنقاشات السائدة بين المدرسة التوليدية والوظيفية والتصور الفلسفي للغة من خلال التحول التداولي من الكفاية اللغوية إلى الكفاية التواصلية، التي أسقطت على المجال الاجتماعي من خلال متغير الهوية كإحداثية يتمحور حولها الحراك

السوسيولوجي والمجال الثقافي، خصوصا وأن الأمر يتعلق اليوم بتراجع القيم وكل ما هو ايتيقي أمام المردودية الاقتصادية التي تحكم السوق والعولمة وببعديها المعرفي والتواصلي ليحل البينثقافي محل الخصوصية والثقافة المحلية والتي شكلت هاجسا فكريا سرع من إعادة البحث في الجغرافيا السياسية الجديدة والبحث عن مواطنة جديدة . وهنا تولدت **الهوية المعيارية** كرؤية أكثر فهما للواقع المعيشي انتقلت من الطابع الاختزالي الميتافيزيقي إلى طابع كوني يشجع علاقة التضايف بين الهويات لتكشف عن بعد علائقي سوسيولوجي[43] .

فاللغة العربية : تنتمي إلى اللغات السامية والتي تضم عددا من اللغات السامية القديمة منها العبرية والاشورية والسيريانية الكنعانية الارامية والحبشية وأول من اصطلح تسمية " اللغات السامية هو الباحث الألماني شلوتسر Schlozer 1978 [44] ذلك أن الإسلام قد اعتمد على اللغة العربية منطلقا لإحداث وحدة ثقافية مشتركة بين المسلمين على اختلاف مواقعهم الجغرافية وانتماءاتهم العرقية [45].

كما عرفها رالف لينتونLinton بأنها: "التراث الاجتماعي الذي يرثه أعضاء المجتمع من الاجيال السابقة"[46]في حين ان **الهوية الثقافية:** هي ارتباط الهوية بالبعد الثقافي بحيث تتضمن كل ما هو مشترك بين جميع أفراد المجتمع مثل القواعد والقيم التي يشترك فيها الفرد مع بقية أفراد المجتمع[47].وهي كذلك :"تلك المبادئ الأصلية السامية والذاتية النابعة من الأفراد والشعوب وتلك الركايز التي تحمل للإنسان كيانه الشخصي، الروحي والمادي بحيث يحس ويشعر كل فرد بانتمائه الأصلي لمجتمع ما يخصصه ويميزه عن باقي المجتمعات الاخرى"[48].

ونعني بالهوية الثقافية في دراستنا تلك الهوية واضحة المعالم والتي تحظى بقبول من طرف أفراد المجتمع وهي الخصوصية الثقافية التي تشكل هويته والتي يكتسبها من دينه، لغته، تاريخه وأصله، عاداته وتقاليده والتي انتقينا منها ثلاث محددات نعبر بها عن فسيفساء الهوية الثقافية الجزائرية وهي التي حددها عبد الحميد بن باديس في مقال له بجريدة الشهاب بعنوان "الكلمة الصريحة" بأنها: **الدين الإسلامي، اللغة العروبة والتقاليد.**

فعدم فهم خصوصية التعدد اللغوي من شأنه أن يخلق أزمة هوية، إذ يميز جوزيف لابالومبارا J.Lapalombara في هذا السياق بين خمسة أنواع للأزمة :

1-أزمة الهوية : وتكون إما للوطن " وحدة الولاء والاولوية، أو الهوية 2- أزمة المشورعية 3- أزمة المشاركة السياسية 4- أزمة التوزيع 5- أزمة الهينة

و تشكل **إشكالية الهوية** في الجزائر محورا رئيسيا في تحديد اختيارات الجزائريين والتي تتسم بالحدة والمزاجية والسلوكية وهي إحدى سمات الشخصية القومية الجزائرية فقد أسهم التواجد الطويل للاستعمار الفرنسي في سحق بعض جذور الهوية من خلال إزاحة بعض الخصوصيات الثقافية اللغوية الحضارية والدينية للمجتمع الجزائري كاحتلال ثقافي وسيادة الثقافة واللغة الفرنسية في التفاعلات اليومية والإدارية واللسانية كل هذا أدى إلى تمظهر إشكالية الهوية الوطنية الجزائرية إزاء ذاتها [49].

أما بخصوص المنظرين لأنواع الهوية فيرون نجاح بعض الهويات في المجتمعات التي تتسم بأكثر من ثقافة ولغة على غرار **الهوية الامتزاجية** التي هي امتزاج الهويات التركيبية métisse بدون أن تصاحبها مظاهر الصراع والتمزق من خلا آلية **تخوم الهوية** حسب تعبير F.Barth في دراسته les groupes ethniques et leures frontieres أي تعيين حدود الانتماء بين هم ونحن وهي حدود توافقية بين ما تعتبره الجماعة مجال انتمائها وبين ما يسمح به الآخرون لها ويعتره الطرفان حدودا اجتماعية ثقافية رمزية قد يكون لها مقابل إقليمي وليس الذي يرسم هذه الحدود هو الاختلاف كما يرى أصحاب المذهب الثقافي قد تتعايش أكثر من مجموعة ثقافيا بل ما يقبل الحديث هو إرادة الاختلاف واستعمال بعض السمات الثقافية باعتبارها معالم للهوية وفواصل لمساحة الانتماء [50].

كما يحدد لوسيان باي ست 06 أزمات مترابطة في مواجهة عملية التنمية السياسية ترتبط ارتباطا وثيقا بمسألة المشاركة السياسية وهي مشروطة في حلها بحل أزمة المشاركة السياسية وهي : " أزمة الهوية، أزمة المشاركة، أزمة الاندماج، أزمة التغلغل وأزمة التوزيع [51]، وفي الحديث عن المأسسة يعرفها صمويل هنتغتون أنها المؤسسات الممثلة لمجموع المظاهر والأنماط السياقية التي تمثل الخيارات الجماعية وتحدد وتقيد

وتعطي الفرص للسلوك الفردي بما يضمن الاستقرار والثبات والانتظام والاستمرارية للمنظومة السياسية وعملياتها بما في ذلك اعتبارات المواطنة وتحتاج إلى أربعة معايير :

1- التكيف : بقدرة المؤسسة على مواجهة التحديات وعقبات البيئة الداخلية والخارجية؛

2- التعقيد : وذلك من خلال تمظهر التعددية في وحدات ووظائف المؤسسة؛

3- الاستقلالية : أي مدى استقلالية الاجراءات عن السلوكات المثبطة لها؛

4- التماسك : أي عدم وجود خلافات وصراعات داخل المؤسسة الواحدة. [52]

وهنا تكمن قدرة الحفاظ على الثقة بين المجتمع والدولة بعيدا عن تمزق الثقة بينهما.

- **نظرية القمية المتوقعة وآليات توظيفها**

قدم الفيلسوف الأمريكي رالف بارتون بيري Ralph Parton Perry في كتابه "عوالم القيمة " نظرية مميزة لتفسير نشأة القيم وكيفية ازدارها وقهقرها مفادها أن أي اهتمام بأي شيء يجعل هذا الشيء ذا قيمة، أي أن القيمة تتبع من الاهتمام والرغبة وليس العكس وبالتالي طرح فكرة الديناميكية والتغير في الاهتمام كمسببات لتغير القيمة، بمعنى أننا نستطيع أن نغير من قيم الشخص إذا غيرنا موضوعات اهتمامه كما أننا نستطيع أن ننشئ فيه قيما جديدة لم تكن موجودة من قبل إذا أدخلنا في حياته موضوعات لم يكن يهتم بها أو إذا كونا عنده اهتمامات جديدة [53]

إن الخصوصية الثقافية بوصفها شعور الفرد بنفسه وإدراكه لذاته كانتماء إلى فضاء ومكان محدد من التاريخ بما يحمله من عناصر تشكل البنيات الثقافية الكامنة وغير الظاهرة في ثقافة منطقة معينة حسب الدكتور عزي عبد الرحمن تتمثل في الزمن المكان اللغة الخوف وبيولوجية العقل والتفكير والرأسمال الرمزي تشكل في مجملها الشعور بالهوية ومصدر الوجود ومفهوم الذات [54].

في نظرية الاحتمالات، تعد **القيمة المتوقعة (EV)** لمتغير عشوائي هو المتوسط المرجح لجميع القيم الممكنة التي يمكن لمتغير عشوائي أن يتخذها، قد يكون مفهوم القيمة المتوقعة مفهوما بديهيا من قانون الأعداد الكبيرة، ويمكن أن تفسر على أنها

متوسط المدى الطويل لنتائج متعددة من التكرار المستقل لتجربة (مثل لف زهرلعبة الطاولة)، في التداول, يمكن توصيف القيمة المتوقعة بمثابة القيمة التقديرية لاستثمار ذات عائد غير معروف[55].

هي نوع من **الاستخدامات** التي تؤكد على احتمالية اختيار وسيط اعلامي ورسالة مهمة، وتوقع نجاح الاختيار وتقبلهما معا عند المستخدم أو الجمهور، ولكن يتوقف مدى نجاح هذه الرسالة في إرضاء أهم القيم الشخصية للمستخدم حيث تعد كأداة لقياس "رفاهية وسائل الإعلام" إزاء جماهيرها المختلفة [56].

وفي الإعلام .Expectancy value theory ارتبطت النظرية بنموذج الاستخدامات والاشباعات من خلال أعمال Martin Fishbein 1970s ، فوفقاً لنظرية القيمة المتوقعة، فإن السلوك هو دالة من التوقعات المرتقبة وقيمة الهدف الذي يعمل عليه المرء أو القائم بالاتصال . ويتنبأ مثل هذا النهج بأنه عندما يكون هناك أكثر من سلوك ممكن، فإن السلوك المختار سيكون هو السلوك الذي يمتلك أكبر النسب من النجاح والقيمة المتوقعة. تؤكد نظريات القيمة–التوقع أن البشر كائنات موجهة نحو الهدف إذ يتم تنفيذ السلوكيات التي يقومون بها استجابة لمعتقداتهم وقيمهم لتحقيق بعض الغاية. ومع ذلك، على الرغم من أنه يمكن استخدام نظرية –القيمة لتفسير المفاهيم المركزية في أبحاث الاستخدامات والإشباع، هناك عوامل أخرى تؤثر على العملية. على سبيل المثال، الأصول الاجتماعية والنفسية للاحتياجات، والتي تؤدي إلى دوافع للسلوك، والتي يمكن أن تسترشد بالمعتقدات والقيم والظروف الاجتماعية في السعي للحصول على مختلف الإشباعات من خلال استهلاك مضامين وسائل الإعلام .

أثبتت نظرية القيمة–التوقع أنها مفيدة في تفسير السلوكيات الاجتماعية، ودوافع الإنجاز، ودوافع العمل، نظرية القرار السلوكي أو نظرية المنفعة الشخصية المتوقعة subjective expected utility(S.E.U.)هي واحدة من أكثر الصيغ التي تم تطويرها بشكل كامل لصيغ القيمة المتوقعة ذلك إن نظرية فيشنبي في العمل العقلاني أو النوايا السلوكية هي نظرية قيمة متوقعة ومقبولة على نطاق واسع[57].

التقمص الوجداني جزء لا يتجزأ من الاتصال، لأنه يربط بين ذهن المرسل وذهن المتلقي، والتقمص الوجداني هو المقدرة عن فهم الحالة الذهنية لشخص آخر وقد طور الباحث جورج ميد نظرية التقمص الوجداني في كتابه Mind,self,and society فقد افترض ميد أنه حينما نتوقع أو نستنتج مشاعر الآخرين، وما سيفعلونه، وحينما نخرج بتنبؤات، تتضمن السلوك الخاص للإنسان، واستجاباته الخفية، وحالاته الداخلية ومعتقداته، ومعانية، حينما نطور توقعات وحينما نتنبأ نفترض أن لدينا مهارة يسميها علماء النفس بالتقمص الوجداني، أي القدرة على الإسقاط وتصور انفسنا في ظروف الآخرين، ويساعد على تطوير تلك القدرة التحرك المادي، من مكان إلى آخر، كذلك تعمل وسائلً الإعلام على تطوير المقدرة على التقمص الوجداني بين الأفراد الذين لم ينتقلوا من مجتمعاتهم المحلية أبداً، لأن تلك الوسائل تنقل العالم الخارجي إليهم، ونستطيع أن نعرف التقمص الوجداني بأنه العملية التي نتوصل بمقتضاها إلى توقعات، توقعات عن الحالات السيكولوجية الداخلية الإنسان ، ويشتمل التقمص الوجداني على نظريتين، نظرية تقول أننا نجرب الأشياء مباشرة، ونفس ما يفعله الآخرون وفقاً لخبراتنا، أي نفترض ان جميع الناس سوف يتصرفون بنفس الطريقة التي نتصرف بها، وإننا لا نستطيع أن نتنبأ بما سيفعله الآخرون، إذا لم نمر نحن أنفسنا بنفس التجربة التي يمرون بها .

والنظرية الثانية تقول اننا نحاول أن نضع أنفسنا في ظروف ومواقف الآخرين وفي اتصالنا نتحول من الاستنتاجات إلى اخذ أدوار الآخرين، على أساس تنبؤات ومنه يتولد الدور والاستنتاج والاستجابة [58].

- **الإطار القانوني الإعلامي لـ2014 وعلاقته بالمسألة اللغوية**

أكدت المفوضية السامية لحقوق الإنسان عام 2004 من سيول دور الإعلام كفاعل في إطار نسقية المجتمع المدني في مجال حماية وترقية حقوق الإنسان، أن يكون لأجهزة الإعلام دور وظيفي في بناء المجتمعات وتحقيق التنمية الإنسانية وكذلك دور مشخص لتوضيح الحقائق وإتاحة الفضاء الملائم لاستنباط الحقائق المتعلقة بالقرارات

التي تتخذها القيادات، والتي تمس حياة الناس والمجتمع[59] فوظائف الإعلام هي التثقيف والتربية والإعلام والحفاظ على الإرث الإنساني التي أضافها **شارل رايت** .

في إطار القانون رقـــم 14 – 04 المؤرخ في 24 ربيع الثـــاني عـــام 1435 الموافـــق 24 فبراير سنة 2014 والمتعلق بالنشاط السمعي البصري .

الفصل الثاني المبوب بالتعاريف يتضمن في مادته السابعة مفهوم **الخدمة العمومية** كنشاط للاتصال السمعي البصري ذات المنفعة العامة التي يـــضمنها كـــل شـــخص معنوي يستغل خدمة للاتصال الـــسمعي البصري فـــي ظل احترام مبادئ المـــساواة والموضوعية والاستمرارية والتكيف[60].

أما المادّة 10 من الباب الثاني الموسوم بخدمات الاتصال السمعي البصري فنصت على أنه يجب على الأشخاص المعنويـــين الذين يستغلون خدمات الاتصـــال الســـمعي البصري التابعة للقطاع العمومي في إطار مهامهم للخدمـــة العموميـــة إعـــداد بـــرامج موجهة للمجتمع بجميع مكوناته للإسهام في تلـــبية حاجاته في مجال الإعلام والتـــربية والثقافة والترفيه والمادّة 11: يجب على الأشخاص المعـــنويين الذين يستغلون خدمات الاتصال السمعي البصري التابعة للقطاع العمـــومي وفـــي إطـــار احتـــرام المبـــادئ الديمقراطية المكرسة دستوريا :

– تشجيع الحوار الديمقراطي وتنمية المبادلات الثقافية بين مختلف مناطق الـــوطن وترقية قيم السلوك الحضاري والتسامح والمواطنة– الإسهام في تنمية الإبداع الفكـــري والفني وكذا إثراء المعارف الاقتصادية والاجتماعية والعليمة والتقنية [61].

أما الفصل الثالث الذي تناول أحكاما مشتركة لكافـــة **خـــدمات الاتصـــال الســـمعي البصري** فتجسدت المـــادّة 48: يـــتـــضمن دفتر الشروط العامة لاســـيما الالتزامـــات التي تسمح بـــ :

– احترام مـــتـــطلبات الوحدة الوطنـــية والأمـــن والـــدفاع الـــوطني –الالتـــزام بالمرجعـــية الـــدينـــية الوطـــنية واحترام المرجعيات الدينية الأخرى وعدم المســـاس بـــالمقدسات والديانات الأخرى – احترام مقومات ومبادئ المجتمـــع – احـــتـــــرام الـــقيم الوطنية ورموز الـــدولة كما هي محددة في الدستور – ترقيـــة روح المواطنـــة

وثقافة الحوار– تقديم برامج متنوعة وذات جـودة – تـطوير وترقيـة الإنـتاج والإبداع الـسـمعي البـصري والسـينماتوغرافي الوطنيين من خلال آليات تحفيزية **-ترقية اللغتين الوطنيتين والتلاحم الاجتماعي والتراث الوطني والثقافـة الوطنـية بجميع تعابيرها في البرامج التي يتم بثها – تفضيل استـعمال اللغتـين الـوطنيتين في حصص ورسائل الإشـهار مهما كانت كـيفية البث أو التوزيع – ما عدا الأعمال الـسيـنماتوغرافية والـسمعية البصرية في نصها الأصلي والأعـمال الموسيـقية التي يـكون نصها محررا كليا أو جزئيا بلغة أجنبية .باستثناء هـذه الحالات يـكون الـلجوء إلى الدبلجة أو العنونة السفلية إجباريا – التأكد مـن بلوغ نسـبة 60 % على الأقل من الإنـتـاج الوطـني للأعـمال الموسـيقية والثـقافية الناطقـة أو المؤداة بلغة وطنية** [62].

في حين تناول الباب الثالث سلطة ضبط السمعي البصري في فصـله الأول مهـام وصلاحيات سلطة ضبط السمعي البصري من خـلال المـادة 54 : السـهر علـى ترقـية اللغتين الوطنيتين والـثقـافة الوطنية ودعمها [63] .

ولكن من خلال القوانين التي صاحبت الانفتاح الإعلامي والذي لم يضـع أطـرا ضابطة لهذا العمل خاصة فيما يخص سلطة الضبط السمعي بصري للقنوات الخاصـة باعتبارها قنوات موضوعاتية مستثناة من الخدمة العمومية، وهي التي يتوجب أن تعمل على تقديم محتويات متوازنة هادفة موضوعية حامية للهوية الثقافية[64] . ذ

- **عن الإعلام ودوره في الرفع بفخامة اللغة:** تحدث نيتشه عـن الانحـدار فـي الأفكار الحديثة وأشكالية "قلب القيم " الفنية والحضارية والثقافيـة ، مناضـلا لإعـادة إحيائها في زي الفن والمسرح والموسيقى حيث تحدث عن محاولة العـودة بالإنسـان الحديث إلى أصوله الثقافية بالفن وإعادة إحياء المسرح كمؤسسـة مقدسـة لإصـلاح الحضارة، وعدم السقوط في فخ ما يريده الجمهور الذي بات يعد المضـمون الموجـه إليه تسلية سطحية ومنوم مغناطيسي نزولا به وبالأوبرا إلى مستوى الجمهور من أجـل الربح، بل يجب رفعه إلى مستوى الفن وعدم السقوط به في فخ ثقافة الانسان النظري [65]. ويقف عند هذا الطرح –لغويا– الدكتور صالح بلعيد، في ضرورة تغليب الفصـيح

على العامي، فاستعمال لغة للإعلام ليس صعبا أو عسير المنال فلغة الإعلام هي الفصحى السهلة الميسرة في مستواها العملي المتميز عن المستويين : العلمي التجريدي والتذوق الجمالي[66]، معتبرا أن خصوصية العمل الصحفي في الجزائر تشوبه عدة نقائص منها عدم مراعاة قانون الأخلاق اللغوية خرق واضح للقواعد، والتي هي جوهر اللغة والاستعمال اللغوي مسألة أخلاقية ومهنية قبل كل شيء [67].

ومع أن قمة جنيف قد نوهت سنة 2003 من 10-11 من ديسمبر حول مجتمع الاعلام والمعلومات المنظمة من طرف الاتحاد الدولي للاتصالات اللاسلكية UIT إلاّ أن مجتمع المعلومات لا يمكن أن يتحقق دون تنوع ثقافي ولغوي يشجع الابداع والمعالجة والنشر والمحافظة على المحتوى المحلى[68] إلا أنه وفي خضم هذا التطور الثوري لوسائل الاتصال، تجد اللغة نفسها في بؤرة الضوء حيث تشير العديد من الدراسات منذ ظهور الجيل الثاني للشابكة القائم على التفاعلية، إلى تأخر العالم العربي في استيعاب هذه التكنولوجيا وانتشار مظاهر تنئ بخطورة وضع اللغة العربية الراهن فمع كل هذه التغييرات أصبح المزيج اللغوي يمثل تهديدا فعليا لوجود اللغة العربية كما عهدها العرب[69] .

حيث توصلت الباحثة في دراستها إلى أن 83% يعزف عن استخدام اللغة العربية أثناء التواصل على مستوى فايسبوك، و37% منهم يستخدمون الحرف اللاتيني في التعبير عن المفردات العربية و10% لا يستخدمون الحرف العربي إطلاقا، وبرى المبحوثون في إجاباتهم من خلال هذه الدراسة أن استخدامهم للعامية فيه حرارة وأنهم غير معتادين على استخدام الفصحى وضعفهم فيها وإجادة لغات أخرى بالقابل[70] .

ويعود سبب تقهقر اللغة العربية في الإعلام ومضامينه إلى الخطاب المرتجل أحد الأسباب المتدخلة في تصدر المستوى العامي لمستويات اللغة العربية المستعملة في **الإعلام الرياضي** التلفزيون الجزائري " القناتان الأرضية والثالثة " وفي وجود اللغة الهجينة [71].

أحد أسباب الانزلاق – أيضا – وراء التسطيح يتجلى في الفضائيات الخاصة في الجزائر بسب المنافسة الشديدة بينها على إنتاج أكبر عدد ممكن من الصور اللاهثة

والمتلاحقة في محاولة منها لكسب أكبر عدد ممكن من الجماهير وقعت بين حدي الحرية والإثارة وصعوبة الموازنة بينهما ولهذا فقد كتب التلفزيون نمطية تتشكل ملامحها مما هو سريع، آني، مثير، استعراضي جدا، من خلال استخدام آليات الربح السريع، تشجيع الاستهلاك النجومية، الترفيه الإعلانات والتبسيط لدرجة التسطيح[72] والذي انتقل إلى الخطاب الديني في برنامج انصحوني لـ " شمس الدين الجزائري "، وهو ما يشكل خطرا على اللغة من حيث قدسية المضمون .

وفي **الإشهار** حرص مؤتمر دمشق لحماية اللغة العربية على عدم الرضوخ للهجة على حساب العربية الفصحى، حيث يشكل هذا المسعى خطرا على الهوية من جهة وتهديدا للإشهار كمصدر اتصالي ضروري ضمن استراتيجيات الاتصال المؤسساتي من جهة أخرى، خاصة مع لجوء رجال الإشهار في مختلف الرسائل المصممة باللغة العربية إلى اللهجات العامية، الأمر الذي يعزز الانقسام ويشكل خطرا على الهوية المشتركة لبلدان الوطن العربي[73]، ولعل اللغة تعد أهم عناصر الثقافة مما يسهم في تعميق الانفصام بين العالم الرمزي الذي يشاهده المواطن العربي وعالمه اليومي حيث يسهم ذلك في نفور الجمهور المستهدف من الإشهار مما يحد من فعاليته الاقتصادية[74] .

وبما أن الرسائل الثقافية لا يمكن أن تنشأ من فراغ بل لا بد من توافر البنى التحتية القادرة على إنتاجها ومداومة تحديثها كما يجب أن تكون الثقافة من المنطلق بمثابة القائد وليس في الذيل، ومن هذا المنطلق وجب التفكير حول كيفية توظيف التراث الغني والواقع المتعدد والمتنوع للثقافة العربية الإسلامية والاستفادة من وسائل الإعلام قدر الإمكان بل وتكييفها لتحمل دلالة ورموز ذات صلة بالبعد الحضاري[75]، وهي الفكرة التي يقف عندها الدكتور " هلال عمار " الباحث في معهد التاريخ الذي نوه في مقال بحثي له بعنوان " مكانة المصادر العربية في كتابة تاريخ الجزائر المعاصر 1930-1962 ، إلى ضرورة توثيق البحوث التاريخية بأقلام أبنائه بحكم العلاقة بين المواطن ووطنه، بالمصدر العربي[76] .

وفي مداخلة للدكتور صالح بلعيد بعنوان " دور الصحافة في ترقية اللغة العربية " بتاريخ 23 من شهر مارس سنة 2010، في إطار اليوم الدراسي المنظم من قبل المجلس الأعلى للغة العربية " اللغة العربية في الصحافة المكتوبة بالجزائر، قال " يجب أن ندرك بأن أمام اللغة العربية تحديات وصراعات قاسية، تقتضي منها قبول بعض التعديل فلا مناص من مدراسنا ومجامعنا من مجاراة الوضع العولمي المعاصر، فكل يوضع أمام مسؤوليته للقيام بالدور المنوط به، للوصول إلى بناء إو تطوير لغة عربية فصيحة ومعاصرة للتعليم والتواصل الإعلامي والثقافي المنطوق[77] باعتبار أن الإعلام أمانة ومسؤولية، والمؤسسة الإعلامية كالمؤسسة التربوية من حيث أثرها في تشكيل بنية المجتمعات ورسم ملامحها وقد يتفوق أثر المؤسسة الإعلامية على التربوية نتيجة عوامل مختلفة، منها طبيعة المادة التي تقدمها كل منهما ومدى تناسبها لأهواء المتلقين، وتنوع أشكال المؤسسات الإعلامية[78] .

ذلك أن المهمة النبيلة للصحافة الجزائرية باللغة العربية يتطلب منها أن تكون في المستوى ولا بد من مراعاة اختيار الصحفيين وتحسين مستواهم لتفادي الأخطاء الشائعة الموجودة في محيطنا الإعلامي عموما، وكذا بالابتعاد عن الأسلوب الركيك كي تعلم لغة سليمة .. إن الدفاع عن اللغة العربية ليس لأنها لغة الكتابة فقط بل بهدف تعميمها وعليه لابد وأن تتصدى في مادتها الإعلامية إلى أي محاولة من شأنها المساس بها كلغة وطنية يجب أن تسود على الأقل في المرحلة الابتدائية لأبناء الجزائر [79].

مشروع إعلامي هوياتي للمواطنة اللغوية: لا يمكن لثورة فكرية أن تنجح وتحقق أهدافها إلا إذا كانت اللغة الوطنية فيها تملك مكانتها الطبيعية[80] وللوصول بالإعلام إلى أداء مهامه النبيلة يجب القيام على الحكومة الجزائرية القيام بمراجعة كاملة وإصلاح شامل لقطاع الإعلام من خلال رسم إستراتيجية إعلامية تأخذ في الحسبان تطوير المحتوى والمادة الإعلامية من خلال تقنيات حديثة وتوفر الإرادة السياسية لإعلام في مستوى التحديات يرتكز فيه المنتج الفكري الإعلامي على قيم الحكمة الخالدة المشتركة التي تتجاوز الانقسامات الدينية والاثنية والمذهبية[81] ذلك إن وسائلا الاتصال جميعا مسؤولة عن جذب الجمهور المتعدد والمتفرق بحكم المكان واللغة والعرق والثقافة .

ومنه نقترح فكرة " **مشروع إعلامي هوياتي** ، مستقى من المشروع المجتمعي في دراسة محتويات الإعلام بكافة وسائله واستغلال بحوث قياس الرأي العام والمشاهد من أجل إشباع الجمهور هوياتيا وثقافيا ولغويا من خلال الاستفادة من التنوع اللغوي وكل عناصر ومكونات الرأسمال الرمزي الجزائري

1-مخابر صناعة المحتوى " توظيف نظرية القيمة المتوقعة "

2-مخابر قياس الرأي ورصده مثل مركز عين عباسة بسطيف

3-مخابر الأفكار محاكية لمراكز think tank لصد **الصناعات الثقافية** المنمطة

4-فتح فضاءات عمومية ميديولوجية من أجل بديلية الرضا اللغوي في الجزائر **مثل ماهو متعارف عليه في قسم علم الاجتماع الثقافي فكرة مانجمنت المؤسسة الثقافية** " **التسويق الإعلامي للثقافة** "

تقدم العلوم تحت معرفية لعلم الاجتماع قفزة بحثية موسومة ب **تسيير المؤسسات الثقافية** العمومية والخاصة منها، مثل المركز الثقافي والمسرح والإذاعة – خاصة المحلية والجهوية – والتلفزيون والصحف والانترنت وغيرها من مؤسسات التنشئة الثقافية على غرار المجتمعية منها المسجد والشارع والأسرة من حيث المتطلبات المادية والمعنوية **والأهداف والوسائل والاستراتيجيات** من خلال ما هو مادي **مسرح، سينما ومعاهد** الثقافة أي تمظهرات الثقافة الإعلامية وارتباطاتها من الموسيقى والروايات الشعر من خلال " **المجال العام** " l'éspace publique والانتقال الحضاري من المجتمع الشفهي إلى ما بعد الحداثي .

5-تخصيص قنوات من أجل الاعلام الثقافي والتنموي لأن أزمة الهوية في الجزائر هي أزمة متعدد الأبعاد crise multidimensionnelle .

6-العمل الجمعوي وتفعيل مؤسسات المجتمع المدني إشراكها في صناعة السياسات للرفع بالتربية والتعليم والإعلام

7-تكييف الآليات والبدائل الحديثة مع التهديدات الحديثة في الفضاء العمومي الافتراضي المشكك في الهوية الوطنية الواحدة من أجل المساس بوحدوية الدولة وقيمها الأساسية إعلاميا " الدعاية السوداء "

8-الاهتمام بلغة التحرير على حساب فنيات التحرير والتخصص النوعي للصحفيين واستحداث مراكز المدققين اللغويين في كل وسيلة إعلامية .

9-التركيز على الخدمة العمومية في القنوات الخاصة وإلزامها بدفتر أعباء

أما من جهة طرح البدائل الإعلامية في صناعة السياسة اللغوية فيتم ذلك من خلال توظيف الدراسات الإعلامية القائمة على رصد الجمهور لتكريس السياسة اللغوية التي تبنتها الآليات التشريعية على غرار نظرية ترتيب الأولويات والأطر الإعلامية والغرس الثقافي .

قراءة تحليلية لنشرات الثامنة :

نشرة الـ 10 من جانفي 2019 :

عن الزمن 19:19 دقيقة إلى 23:27 دقيقة ومن 23:27 إلى 42:53 دقيقة بمعدل 15 دقيقة في النشرة تخللتها زيارات وزارية بين وزيرة التربية الوطنية من خلال عمر الأطفال في روبرتاج وتقرير مصور يوضح الاحتفالات في المدارس ثم من خلال التمنية المحلية بشبكة الربط والغاز الطبيعي للمناطق المعزولة في أعالي باتنة ومنه إلى الثقافة بالمعارض والسينما وتعليم الامازيغية في الابتدائية والمتوسط في تاشتة في عين الدفلى وتصريحات " سي الهاشمي عصاد " الأمين العام للمحافظة السامية للأمازيغية، والأفلام المخلدة للشخصيات الأمازيغية مثل لالا فاطمة نسومر ومنه إلى بجاية من خلال خصوصية التصريحات باللغة الأمازيغية الأمازيغية، ومنا للغة إلى الألسن انتقالا إلى التوارق تعبيرا عن الاختلاف الألسني من خلال لفظ الهوية الجزائرية في ورقلة والثقافية بصلة الرحمّ ، وكل الجنوب الجزائري في شكل نشاطات وزارية لوزير السياحة

أما بني سنوس بتلمسان فقد قدم مقدم النشرة المواضيع بالأمازيغية حول احتفالية **آيرات** كسنة فلاحية جديدة عند العائلات السنوسية، ليتم اختتما النشرة بالأيام الوطنية للمسرح الأمازيغي في أم البواقي فيناير بعد الترسيم العام الماضي 2018 لقي ظهورا ببعد حضاري وثراء وتنوعا ضمن مفاهيم الهوية الوطنية

نشرة 12 يناير 2019 :

من الدقيقة 14:42 إلى 21:47 من عام 2969 تثمين القرار التاريخي حـــول " تكريس يناير عيدا وطنيا، وترقية اللغة الأمازيغية تعزيزا للهوية بكل مكوناتها واللحمـــة الوطنية، وكذا شراكة المحافظة السامية بمركز الجيش ببني مسوس وبحضور رئـــيس المجلس الأعلى للغة العربية صالح بلعيد، احتفاليات في 48 ولاية ونشاطات سياســـية – ثافية من خلال وزيرة الشباب والرياضة ولاية تمنراست، روبرتاج السنة الزراعية سكان لحمر في بشار، واشادة الأحزاب الجزائرية بالقرار التاريخي حول دسترة اللغـــة الأمازيغية وترسيم اللغة الأمازيغية في أول أول ذكرى له .

في هذه النشرة يتجلى لنا أن الجزائر ومن خلال الإعلام عملـــت علـــى تكـــريس المواطنة اللغوية في استخدامها في الفضاءات العمومية الإعلاميـــة الميدياتيكيـــة كمـــا يسمها بيار ليفي، ومنه حفظ الأمن اللغوي والألسني في جزائر اللحمة الوطنية والتعـــدد الثقافي في معنى الافتخار وليس الانقسام .

أما العام الماضي من خلال تحليل المحتوى لنشرتي 10/ 11 جانفي 2018 يتجلى لنا أن مدة توظيف اللغة الأمازيغية في نشرة الثامنة بعد قرار ترســـيمها لغـــة وطنيـــة واعتبار يوم 12 جاني 2018 عيدا وطنيا وعطلة مدفوعة الأجر شكلت مدة **1 الساعة و45 دقيقة من أصل 2 ساعة و28 دقيقة** وهو وقت طويل جدا فالقيمـــة المتوقعـــة للقائم بالاتصال تماشت والدسترة والبعد المواطني للمضـــمون الإعلامـــي إذ تقمصـــت الروبرتاجات الإعلامية ثوب الانتماء من خلال آليـــات القمـــص الوجـــداني واشـــباع المشاهد ورغباته الهوياتية على صعيد لغوي وألسني .

الخاتمة :

نسقيا، نختم بفكرة مفادها أن العربية لن تثبت بواسطة الإعلام فحسب، بل تحتاج إلى أطر وبنى تحتية تمجد الغنى اللساني للجزائري، من مرجعيته الحضارية في الأسرة والجامعة وجميع مراكز التنشئة الاجتماعية، ونقله إلى التواصل الرقمي والاعتزاز به، بعيدا عن عقدة النقص اتجاه اللغة الأجنبية الثانية، والاستفادة من الموروث اللغوي لصالح الانسجام لأجل اللغة الواحدة رفعا بها وليس نزولا بسببها إلى التسطيح، ولا استغلال الاختلاف اللساني في الجزائر في مآرب تؤدي إلى اللاأمن اللغوي وبالتالي اللأمن المجتمعي . وكذا دور المجتمع المدني والفضاءات العمومية والإعلام التوعوي" :يعتبر تعظيم قيمة الأمن "تشاركيا" بالدرجة الأولى على مدى اهتمام البيئة الميدياتيكية من خلال مضامينها الإعلامية بالقيم ترسيخا لمدى صد الهجمات على الأخلاق والغزو الفكري، مما يحتاج إلى الفضاءات العمومية والافتراضية كمجال لإيتيقا النقاش والتواصل.

الهوامش:

[1] السيقنة اصطلاح يشيع في الوظيفة الاجتماعية للغة " النظرية السياقية للمعنى "، له علاقة بإشراك السياق في الفعل" على اختلافه " لنجاح الفعل النسقي، حيث يعبر عنه أيضا محمد العربي ولد خليفة بالنظام الرمزي l'ordre symbolique، ويجمع النظام الرمزي والمجال الرمزي بيار بورديو في كلمة الرأسمال الثقافي وهو مفهوم طوره إعلاميا عبد الرحمن عزي واستعان جزئيا بنظرية "بورديو " الخاصة الرأسمال الثقافي، والرأسمال الرمزي (وسائل الاتصال الجماهيرية) يتضمن :أ)"رأسمال مادي"أي رؤوس الأموال بوصفها بنية الإعلام الاقتصادية وب)"رأسمال رمزي" أي وسائل الإعلام على اعتبار أنها بنية فوقية تقترب أو تبتعد عن الواقع المعاش ثقافيا أو اجتماعيا أو تاريخيا, ج)"رأسمال قيمي" أي المعاني التي تشكل نظريا أساس الحراك الثقافي الاجتماعي والتي تستمد أصولها المرجعية والمعرفية من المعتقد والممارسات التاريخية المترتبة عن ذلك. أنظر عبد الرحمن عزي : الرأسمال الرمزي الجديد : قراءة في هوية وسوسيولوجية الفضائيات في المنطقة العربية، ط1، **سلسلة كتب المستقبل العربي** العدد 57 فبراير 2008، ثورة الصورة المشهد الإعلامي وفضاء الواقع، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص: 107، 108.

[2] نور الدين دخان، **الأمن الانساني، دراسة في المفهوم**، مجلة دراسات استراتيجية، العدد 09 ديسمبر 2009، مركز البصيرة للبحوث، الجزائر، ص ص 21–22

[3] منيغر سناء، **التنوع الثقافي من منظور الأمن المجتمعي**، رسالة ماجستير، حقوق الإنسان والأمن الإنساني، قسم الحقوق، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة سطيف، 2014، ص 15

[4] نفس المرجع، ص 19

[5] جابر قميحة، **الرقابة اللغوية " الأمن اللغوي "** http://www.alukah.net/literature_language/0/88698/، ساعة الاطلاع 13:07، يوم الاطلاع 2018/03/26

[6] عبد السلام المسدي، **الهوية العربية والأمن اللغوي، دراسة وتوثيق**، المركز العربي للأحاث ودراسة السياسات بيروت، 2014، ص ص 19– 20

[7] شوقي العلوي، **رهانات الانترنت** ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان 2006 ص ص 136–137

[8] هند محداد قايد سلمان، سليم بن هامل، **ثنائية اللغة وازدواجية الثقافة : استكشاف لغة الشباب ولغتهم وهويتهم في الجزائر حاليا**، مجلة معالم، العدد 10، السداسي الثاني 2018، المجلس الأعلى للغة العربية الجزائر، ص 37

[9] صالح بلعيد، **في الأمن اللغوي**، دار هومة، الجزائر ط 2، 2012، ص 09

[10] نفس المرجع، ص 33 –40

[11] نفس المرجع، ص 41–46 صالح بلعيد

[12] أوشن سمية، **العولمة والأمن الهوياتي**، المجلة الجزائرية للأمن والتمنية، العدد التاسع، جويلية 2016 الجزائر ص 189

[13] نفس المرجع ، ص ص 138–139–140

[14] نبيلة داودي، **قيم المواطنة لدى الشباب وعلاقتها بوسائل الإعلام والتنشئة الاجتماعية**، مجلة فكر ومجتمع، العـــدد 36، جانفي 2017، دار طاكسيج كوم، الجزائر، ص 302

[15] عبد الوهاب بن خليف، **جيوسياسية العلاقات الدولية التغيرات القواعد والأدوار**، دار قرطبة الجزائـــر 2016، ص 69

[16] نفس المجرع، ص ص 66–67

[17] رشيد بوزكري، **المواطنة ودورها في بناء الدولة القوية**، مذكره ماستر، أنظمة مقارنة وحوكمـــة، كليـــة الحقـــوق والعلوم السياسية، قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2014 ص 28

[18] نفي المرجع، ص 32–33

[19] عادل بوراس، **المواطنة تعدد في المفاهيم والأبعاد**، مجلة فكر ومجتمع، العـــدد 24، نيســـان 2015، دار طاكســـيج كوم، الجزائر، ص 140

[20] ليليا شاوي : **الهوية الثقافية في ظل الاعلام الجديد**، مجلة فكر ومجتمع العدد 19، ينـــاير 2014، طـــار طاكســـيج كوم، الجزائر، ص ص : 464–465

[21] صالح بلعيد، **في المواطنة اللغوية وأشياء أخرى**، دار هومة ، 2008، الجزائر، ص 19–23

[22] نفس المرجع، ص ص 19–25

[23] نفس المجرع، ص 29

[24] نفس المرجع، ص 83

[25] نفس المرجع، ص 18

[26] رشيد بوزكري، مرجع سبق ذكره ص ص 62–63

[27] مولود زايد الطبيب، **العولمة والتماسك المجتمعي في الوطن العربي**، المركز العـــالمي لدراســـة وأبحـــاث الكتـــاب الأخضر، ليبيبا، 2005، ص 30

[28] نفس المرجع، ص 21

[29] نصير صالح بوعلي، **أثر سوسيولوجيا لفضائيات على الأنساق القيمية والهوية الوطنية للمتلقـــي دراســـة حالـــة**، المجلة الجزائرية للاتصال، العدد 24 السداسي الثاني، 2015، الجزائر ص ص 79– 80

[30] أحمد زايد، **المواطنة، الهوية الوطنية ولمسؤولية الاجتماعية**، دار العين للنشـــر، مصـــر، 2018 ص ص 160–161

[31] جميل حمدواي، **بيير بورديو وأسئلة علم الاجتماع**، سلسلة البحث الأكاديمي، منشـــورات مجلـــة العلـــوم القانونيـــة مطبعة الأمنية، الرباط، 2018، ص ص 48–49–50.

[32] فطومة بن مكي، **قيم العولمة وعولمة القيم في وسائل الإعلام المعاصرة، الخطا الإشهارية الدرامي نموذجا**، مجلـــة فكر ومجتمع، العدد 40 كانون الثاني 2018، دار طاكسيج كوم، الجزائر ص 453

[33] عامر مصباح، **الدفاع المجتمعي والبقاء القومي للدولة**، الرابط نفسه . ســـاعة الاطـــلاع 20:55 يـــوم الاطـــلاع 2018/11/13

https://web.facebook.com/ameur.mosbah.50/posts/42449813796452

[3434] من كتاب أمريكا وحرب الإبادة الجماعية

https://www.facebook.com/the.Boooks/posts/1852534371643702، ساعة الاطلاع 11:52 يوم الاطلاع 2017/12/15 .

[35] صالح بلعيد : **دفاعا عن لغة الإعلام**، يوم دراسي حول، دور وسائل الإعلام في نشر اللغة العربية وترقيتها الأوراسي يوم الاثنين 15 جوان 2002، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر 2004،

[36] لماذا يجب أن نتعلم الفصحى،

https://ar.duolingo.com/comment/16687263/لماذا-نتعلم-العربية-الفصحى-مع-أننا-لا-نتكلم-بها؟ ساعة الاطلاع 18:21، يوم الاطلاع 2017/12/15 .

[37] عبد الوهاب غالم : **إشكالية التلازم بين اللغة ونهاية فعالية الاشهار في الفضاء الجزائري، دراسة نقدية في تأثيرات الخطاب الجزائري**، مجلة فكر ومجتمع، العدد 13، جويلية 2012، دار طاكسيج كوم الجزائر، ص 137

[38] كمال بوكرزازة، عبد الرزاق غزال : **المحتوى الرقمي العربي على الانترنت، دراسة في الاستخدامات والاشباعات**، مجلة الإعلام العلمي والتقني ، RIST، العدد 02، 2010، الجزائر ص 09

[39] مجمع اللغة العربية: **المعجم الوجيز**، مجمع اللغة العربية، مصر، 1989، ص 654

[40] لالاندأندريه، ترجمة: خليل أحمد خليل، **موسوعة لالاند الفلسفية**، المجلد الأول، منشورات عويدات بيروت– باريس، 1996، ص 607.

[41] الزواوي بغوره: **الهوية والتاريخ دراسات فلسفية في الثقافة الجزائرية والغربية**، ابن النديم للنشر والتوزيع لبنان، 2015، ص134

[42] نفس المرجع، ص : 135

[43] الناصر عبد اللاوي، **الهوية والتواصلية في تفكير هارماس**، الرابطة العربية الأكاديمية للفلسفة، دار الفارابي لبنان، 2012، ص ص 192–130–131

[44] أحمد مومن، **اللسانيات النشأة والتطور** ، ط 4، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2008، ص ص : 34–35

[45] عبد الجليل مرتاض : **العربية في ظل العولمة**، مجلة اللغة العربية، العدد 29، السداسي الثاني 2012 المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ص 222

[46] المرجع السابق، ص 31.

[47] الناصر عبد اللاوي: **الهوية والتواصلية في تفكير هابرماس**، دار الفرابي، بيروت، 2012 ص51.

[48] حفيظة ضربان : **ثقافة المؤسسة الخاصة الجزائرية، تحليل سوسيولوجي لامتداد الهوية الثقافية الجزائرية داخل المؤسسة**، حمود بوعلام نموذجا، مانجمنت موارد بشرية، علم اجتماع العمل قسم علم الاجتماع والديموغرافيا، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر 2، أبو القاسم سعدالله، الجزائر، 2016 ص 06

[49] سهيلة حاشي، **الأبعاد الاجتماعية للأزمة الجزائرية، قراءة سوسيولوجية للواقع الاجتماعي السياسي الجزائري** مجلة فكر ومجتمع، العدد 40 كانون الثاني 2018، دار طاكسيج كوم الجزائر، ص ص 81– 82

[50] محمد العربي ولد خليفة، **المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، دراسة في مسار الأفكار وعلاقتها بالهوية ومتطلبات الحداثة والخصوصية والعولمة والعالمية**، موفم للنشر، الجزائر 2016، ص ص – 149 – 150–151

ص عربي يومدين، بوزيدي يحي، **أثر عملية المأسسة على المشاركة السياسية : دراسة في التحولات السياسية في المنطقة العربية بعد 2011**، المجلة الجزائرية للسياسات العامة، العدد الخامس، أكتوبر 2014، ص 72 [51]

[52] نفس المرجع، ص 74

[53]فطومة بن مكي، **قيم العولمة وعولمة القيم في وسائل الإعلام المعاصرة، الخطاب الإشهاري الدرامي نموذجا** مجلة فكر ومجتمع، العدد 40 كانون الثاني 2018، دار طاكسيج كوم، الجزائر ص 456

[54] نفس المرجع، ص 453

[55]القيمة المتوقعة في منطق التبادلات والرياضيات، ساعة الاطلاع http://ar.tradimo.com/tradipedia 14:34، يوم الاطلاع 2018/04/27

[56] Jim Van Leuven; Expectangy Theory in Media and Message Selectio Vol 8, Issue 4, 1981 ,

http://journals.sagepub.com/doi/pdf/10.1177/009365028100800402 ،14:34 ساعة الاطلاع يوم الاطلاع 2018/04/27

[57] **EXPECTANCY VALUE MODEL** https://www.utwente.nl/en/bms/communication-theories/sorted-by-cluster/Interpersonal%20Communication%20and%20Relations/Expectancy_Value_Theory/ ساعة الاطلاع 14:34، يوم الاطلاع 2018/04/27

[58] محمد جاسم فلحي الموسوي، نظرية التقمص الوجداني، ساعة الاطلاع 15:57، يوم الاطلاع 2018/04/27 . http://masscomm.kenanaonline.net/posts/142667،

[59] منيغر سناء، **التنوع الثقافي من منظور الأمن المجتمعي**، رسالة ماجستير، حقوق الإنسان والأمن الإنساني، قسم الحقوق، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة سطيف، 2014، ص 150

[60] الجريدة الرسمية، **قانون رقم 14 – 04 مؤرخ في 24 ربيع الثاني عام 1435 الموافق 24 فبراير سنة 2014يتعلق بالنشاط السمعي البصري**

http://www.ministerecommunication.gov.dz/ar/node/458 ووزارة الاتصال، ساعة الاطلاع 11:09، يوم الاطلاع 2018/03/26 .ص 08

[61] الجريدة الرسمية، قانون رقم 14 – 04 مؤرخ في 24 ربيع الثاني عام 1435 الموافق 24 فبراير سنة 2014يتعلق بالنشاط السمعي البصري، ص 10

[62] الجريدة الرسمية، قانون رقم 14 – 04 مؤرخ في 24 ربيع الثاني عام 1435 الموافق 24 فبراير سنة 2014يتعلق بالنشاط السمعي البصري، ص ص 12 – 13

[63] الجريدة الرسمية، قانون رقم 14 – 04 مؤرخ في 24 ربيع الثاني عام 1435 الموافق 24 فبراير سنة 2014يتعلق بالنشاط السمعي البصري، ص 14

[64] صليحة العابد، **القنوات الفضائية الخاصة في الجزائر، حرية التعبير أم فوضى التعبير**، مجلة فكر ومجتمع، العدد 22، تشرين الأول 2014، دار طاكسيج كوم، الجزائر، ص ص 405-412

[65] جمال مفرج : **نقد الحداثة وأفكارها، أزمة القيم من مأزق الأخلاقيات إلى جماليات الوجود** الـدار العربيـة للعلـوم ناشرون، منشورات الاختلاف، 2009، الجزائر ، ص ص : 25– 28 .

[66] صالح بلعيد : **دفاعا عن لغة الإعلام**، يوم دراسي حول، دور وسائل الإعلام في نشـر اللغـة العربيـة وترقيتهـا الأوراسي يوم الاثنين 15 جوان 2002، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر 2004 ص 117

[67] نفس المرجع، ص : 119

[68] فؤاد بن حال، (تر) أحمد عظيمي : **صدمة الاتصال الشمولي : الأنظمة والمجتمعات العربية في مواجهة التحـدي**، منشورات الوكالة الوطنية للنشر والإشهار ANEP ، 2005، ص ص : 141–143

[69] قناوي منال : **اللغة العربية أداة تواصل في الشبكات الاجتماعية ، دراسة ميدانية في واقـع اسـتخدام الجزائـريين للغة العربية في الفايسبوك، أشغال** ندوة النشر الإلكتروني، المحتوى الرقمي باللغة العربيـة المجلـس الأعلـى للغـة العربية، الجزائر، 2014، ص 91

[70] منال نفس المرجع، ص 102

[71] زينب ياقوت : **اللغة العربية المستعملة في التلفزيون الجزائري، الإعلام الرياضي انموذجا** مجلـة فكـر ومجتمـع العدد 15، يناير 2013، دار طاكسيج كوم، الجزائر، ص 474

[72] صليحة العابد : **القنوات الفضائية الخاصة في الجزائر، حرية تعبير أم فوضى التعبير**، مجلة فكر ومجتمـع، العـدد 22، أكتوبر 2014، طار طاكسيج كوم، الجزائر، ص 407

[73] عبد الوهاب غالم : مرجع سبق ذكره، ص 140

[74] نفس المرجع : ص 141

[75] نيلة داودي : **قيم المواطنة لدى الشباب وعلاقتها بوسائل الغعلام والتنشئة الاجتماعية**، مجلة فكر ومجتمـع، العـدد 36، يناير 2017، دار طاكسيج كوم، الجزائر، ص 403

[7676] عمار هلال : **مكانة المصادر العربية في كتابة تاريخ الجزائر المعاصر 1930–1962** مجلـة بحـوث، العـدد الأول، 1992–1993، جامعة الجزائر، الجزائر ص ص : 83

[77] فهد سالم خليل الراشد : **دور مراكز القياس حول واقع اللغة العربية ومدى تأثرها باللهجات والعاميات**، مجلة اللغـة العربية، العدد 29، السداسي الثاني، 2012، المجلس الأعلى للغة العربية الجزائر ص : 109

[78] دلال بحري : **دور وسائل الإعلام في تحقيق التمنية الثقافية في الدول العربية**، مجلة فكر ومجتمع العـدد العـدد 22، أكتوبر 2014، طار طاكسيج كوم، الجزائر ص : 435

[79] قادري حسين : **دور وسائل الإعلام في انتشار اللغة العربية في الجزائر**، يوم دراسي حول دور وسـائل الإعـلام في نشر اللغة العربية وترقيتها، الأوراسي يوم الاثنين 15 جوان 2002 المجلـس الأعلـى للغـة العربيـة، الجزائـر 2004، ص ص 72 –73

[80] عثمان سعدي، **اللغة والهوية، بين الثورة الجزائرية والثورة الفيتنامية**، دار الأمة، الجزائر 2014 ص 16

[81] دلال بحري، **دور سائل الإعلام في تحقيق التمنية الثقافية في الدول العربيـة**، مجلـة فكرومجتمـع، العـدد 22 تشرين الأول 2014، دار طاكسيج كوم، الجزائر، ص 436

تقرير الورشة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيّم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين أما بعد:

تقرير الورشة العلمية (الأولى) لملتقي المواطنة اللغويّة ودورها في تعزيز سبل التعايش السلمي بين اللغات الوطنية في الجزائر.

انعقدت أشغال الورشة العلمية الأولى لملتقى المواطنة اللغوية ودورها في تعزيز سبل التعايش السلمي بين اللّغات الوطنية في الجزائر (احتفاء باليوم العالمي للعيش معا في سلام) المنعقدة بالمكتبة الوطنية الجزائرية، الحامّة، في الساعة التاسعة والنصف صباحا ودامت الى غاية حدود الساعة الواحدة زوالا، بتاريخ 23 شوال 1440 هجري الموفق لـــ 26 يونيو2019،برئاسة الدكتورة نسيبة العرفي والمقررة الناطقة فريال وعه، وتدخل كل من الأساتذة الآتية أسماؤهم:

-خيرة عيشون

-ليلى مغيث زروقي

-مليكة صالح

-إلياس بن حتة

-محمد يزيد سالم

-عمر بن عيشوش

-إيمان بلحداد

-موسي كراد

تمت مناقشة مواضيع مهمة ومتنوعة عالجت قضية المواطنة اللغويّة في الجزائر ودورها في سبيل تعزيز التعايش السّلميّ بين اللغات الوطنية وتحقيق الانسجام الجمعيّ،الثقافيّ والفكري في الجزائر

وقد انصّبت ابحات السّادة المتدخلين في الشأن اللغوي والوعي والذي بدوره يسمح ويساعد على استقرار البلاد وتنميتها بفعل الصراعات الثنائية ذات البعد

اللغويّ وذلك عبر أليات وإجراءات تسمح بإعادة صياغة مفهوم المواطنة اللغويّة في الجزائر.

ومن جملة ما توصلت عليه هذه الورشة العلمية من توصيات ما يلي:

1-العمل على إيجاد توافق بين قيم المجتمع الأصلية وتراثه الثقافي والحضاري والاتجاهات المعاصرة في التربية.

2-السعي الدؤوب من اجل تطوير المناهج التعلمية وأساليب التدريس في المراحل المختلفة.

3-غرس مبادئ المواطنة اللغويّة لدى الشباب عبر مختلف المنابر الإعلامية وموقع التواصل الاجتماعي.

4-تبني المنطق التعددي في صياغة السياسات اللغويّة التي من شأنها تأسيس للتعايش بين مكونات المجتمع الجزائري.

5-تفعيل دور المجتمع المدني في تعزير المواطنة اللغويّة بإقامة ندوات ومسابقات من أجل نشر الوعي اللغويّ.

6-الإهتمام باللّغة العربيّة لتحقيق الهدف الأساسي ألا وهو المواطنة اللغويّة.

7-تنقية العامية من المفردات الأجنبية ومحاولة ترقيتها للتقرب من العربية الفصيحة .

8-الخروج من المزايدة القائلة بأن الأمازيغية لغة تجزئة والعربية لغة الوحدة الوطنية.

وشكرا

تقريـــر يوسف درغال

بسم الله الرحمان الرحيم؛

سيدي رئيس المجلس المحترم، السيدات والسادة الحضور كل بمقامه ومكانته،

الســـلام عليكم ورحـــمة الله تعالى وبركاته.

من فعاليات الملتقى الوطني الموسوم المواطنة اللغوية ودورهـــا فـــي تعزيـــز ســـبل التعايش السلمي بين اللغات الوطنية في الجزائر، وذلك احتفاء باليوم العالمي للعيش معـــا في سلام الموافق 16 ماي من كل سنة، المنعقد يومي 27/26 جـــوان 2019 بالمكتبـــة الوطنية الجزائرية الحامة الجزائر.

انعقدت اشغال الورشة العلمية الثانية من الساعة التاسعة وخمســـة وأربعـــين دقيقـــة صباحا الى غاية السّاعة الحادية عشر وأربعين دقيقة، برئاسة الدكتورة صـــحرة دحمـــان والمقرر يوسف درغال.

تشكلت الورشة العلمية من الأساتيذ الاتية أسماؤهم:

د: صحرة دحمان؛

ا- أبو بكر زروقي؛

ا- ايمان بن عزوزي؛

ا- يوسف باعمارة؛

ا- مريم ضربان؛

ا- سميرة بن جدو؛

ا- عيوش نعيمة؛

ا- سعدودي سعيدة.

بدأت أعمال الورشة العلمية بمداخلات الأساتذة وتلتها مناقشة الموضوعات ذي صـــلة بموضوع الملتقى وأهدافه، ومنها:

- الاقتراض اللغوي بين الأمازيغية والعربية من الثقافة الى البناء اللغوي؛
- المواطنة في ضوء مناهج الجيل الثاني -مفارقات وتحديات؛

– ممارسات المواطنة اللغوية من خلال الترجمة الثقافية للنصوص الشعرية؛

– البعد الهوياتي للمضامين الإعلامية ودورها في تكريس المواطنة اللغوية واللسانية

– القرار السياسي والأمن اللغوي، أي علاقة؟

– أهمية التعددية اللغوية في تعزيز قيم التعايش السلمي بين الأفراد؛

– الواقع اللغوي في الجزائر والبحث عن الهوية.

وخلصت الورشة العلمية الى جملة من المقترحات والتوصيات متمثلة فيما يلي:

1– حث واضعي البرامج على الاهتمام بقيم المواطنة اللغوية في المقررات الدراسية لتربية النشء على قيم التعايش والاختلاف، والتأسيس للتنوع الثقافي على ضوء الثلاثي الهوياتي، الإسلام، العروبة، الامازيغية؛

2– على صناع السياسة في الجزائر فتح حوار حقيقي لايجاد اللآليات الوظيفية و العلمية لإرساء هوية وطنية جزائرية متجذرة في تاريخها الحضاري الامازيغي و معتزة بعروبتها و إسلامها، و أخذ هذه المكونات الهوياتية بعين الاعتبار في صياغة السياسة العامة؛

3– ضرورة تفعيل المواطنة اللغوية بممارسات فعلية؛

4– انتهاج سياسة لغوية منها تخطيط لغوي في حقول التربية و التعليم والاعلام والثقافة تروج للذخيرة المعجمية من الكلمات ذات صلة بالاقتراض اللغوي بين اللغتين، على ان يعطي فيها المجال لذوي الخبرات و الكفاءات في حقول التهيئة و التخطيط اللغوي؛

5– توجيه الطلبة و الباحثين في مختلف التكوين (ليسنس،ماستر،دكتراه) الى دراسة أهمية المواطنة اللغوية و التركيز عليها في بحوثهم؛

6– تفعيل الترجمة في تحقيق التماسك النصي بين لغتين مختلفتين بطريقة ممنهجة؛

7– اعتماد الكتابة بالحرف العربي للغة الامازيغية لاعتبارات عدة أهمها:

* ان ما ألفه الامازيغ في تاريخهم بالحرف العربي أضعاف مضعفة لما كتبوه بالحرف اللاتيني؛

* تعميم الامازيغية في المناطق الناطقة بالعربية في بلدنا أولى من ترويجها للعالمية بالحرف اللاتيني، و ذلك لأجل انفتاح المجتمع على ذاته و تجنب القطيعة المجتمعية و اللاأمن اللغوي؛

8- تشجيع المخابر اللغوية و البحثية التي تسعى الى ابراز قيمة المواطنة اللغوية من خلال العربية و الامازيغية لاعتبارهما لسان المجتمع الجزائري الذي يعبر عن هويته و انتمائه؛

9- تنويع المحتويات الإعلامية لما يخدم ترقية اللغات الوطنية.

تم إخراج وطبع بـ :

الإنمـــاء
للطباعة والنشر والتوزيع

المنطقة الحضرية قطعة 1- عين النعجة رقم 1 جسر قسنطينة - الجزائر
ها : 07.71.52.50.50 /05.50.54.83.07

البريد الالكتروني: inma.book@yahoo.com